جامعة عبد المالك السعدي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
تطوان

مركز دراسات الدكتوراه:
في الآداب والعلوم الإنسانية والترجمة
تكوين: الدراسات الإسلامية، عقيدة وعلوم تراث وحضارة

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب

بعنوان:

«مَرْتَعُ الجَنَانِ عَلى عُقُودِ الجُمَانِ»

للعلامة محمد يحيى الوَلَاتِي (ت: 1330 هـ)

دِراسَةٌ وتحقيقٌ

الجزء: الأول

إعداد الطالب الباحث:
سيدنا عالي زايدن باتي

بإشراف الأستاذ:
فضيلة الدكتور محمد الحافظ الروسي

السنة الجامعية:

1443 -1444 هـ/ 2022-2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى النسمة الزكية التي فاضت على مشارف مدينة جيبالي المالية روحا تقية نقية... تحمل همّ الدين همّ الأمة همّ الإنسان.. تتنكر لذاتها وتعمل الخير في خفاء، همها الوحيد مرضاة رب الأرض والسماء..

إلى من كنت أكبر فيه التقى والشجاعة والحلم والعزم والحزم

إلى من كنت أغبطه حقا على صفات حميدة اجتمعت فيه قلَّ أن تجتمع في أحَد..

إلى شقيقي وكبدي.. إلى فلتة زمانه..

إلى الشهيد إطوّل أيام ولد باتي.

إلى من كانا لي عونا وسندا في الرخاء والشدة..

إلى من تحمّلا مشاق الحياة لأنعم في كل حين وأوان.. إلى اللذين ما رفضا لي طلبا قط..

إلى من ربياني مذ كنت صبيا يافعا، وأحاطاني بعنايتهما حتى كبرت وصرت قادرا على إمساك القلم..

إلى والدي العزيزين: زايدنا، فاطمة الزهراء. أطال الله أعمارهما.

إلى روح جدي محمد النذير ابن باتي -القارئ المقرئ رحمه الله رحمة واسعة-.

إلى كل مشايخي وأساتذتي الذين صرفوا عليّ من وقتهم الثمين..

إلى من أشد بهم أزري إخوتي وأخواتي أبقاهم الله لي ذُخرا.

إلى كل الأقارب والأصدقاء والزملاء، كل باسمه ووسمه..

إلى هؤلاء جميعا أُهدى هذا العمل.

سيدنا عالي زايدن باتي

شُكر وتقدير

شكر الناس من شكر الله، ولا يقوم بواجب الثاني ذو تقصير في الأول.

اعترافا بالجميل لأهله وامتثالا لقول النبي صلى الله عليه وسلم " مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ بِه فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ"، أتقدم بالشكر الجزيل، والدعاء الصادق لكل من:

فضيلة الأستاذ الدكتور: محمد الحافظ الروسي المشرف علي في إعداد هذه الأطروحة، أشكره على ما أحاطني به من عطف الوالد ونصح المعلم.

الأساتذة الكرام أعضاء اللجنة العلمية الموقرة على تَفَضُّلِها بقراءةِ هذا العملِ وتمحيصهِ وعلى ما ستقدمُهُ لي من ملاحظاتٍ علميةٍ ومنهجيةٍ مفيدةٍ.

الأستاذ المحاضر بجامعة نواكشوط العصرية حسني بن الفقيه، صاحب الخلق الرفيع، والأدب الجم، الذي زوّدني بنسخة المخطوط، وأعانني بتوجيهاته وإرشاداته.

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى جميع الأساتذة الفضلاء في تكوين: الدراسات الإسلامية عقيدة وعلوم وتراث بمركز دكتوراه كلية الآداب والعلوم الإنسانية –تطوان، التي تشرفت بتسجيل أطروحة الدكتوراه بها.

كما أقدم شكري وعرفاني بالجميل لكل من أسهم – ولو بتشجيع– في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة:

الحمدُ للهِ الَّذِي خَلقَ الإنسانَ وكرَّمهُ بالعَقْلِ والتفكيرِ، والمَنطقِ والبَيان، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى صَفوة عدنانَ النبيِّ العربيِّ الَّذِي كَانَ خُلقهُ القرآنُ، والَّذِي شرَّفهُ اللهِ بالرِّسَالَةِ والنّذارة، وبالحِكمة والْمَوْعِظَة الحسنةِ، وصِدقِ القولِ وفَصَاحَة الْعِبَارَة، محمدٍ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ بِالْهُدَى، ودِينِ الْحَقِّ الْمُبِينِ، لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ولَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، وعَلَى آلِهِ وأَصْحَابِهِ صُدُور قَافِلَةِ الْإِسْلَام وأَوَّلُهَا، وأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وكَانُوا أحقَّ بِهَا وأهلَها، وعَلَى التَّابِعِينَ ومَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّين.

أما بعد، فإنه لا يعزب عن ذهن المسلم ما للغة العربية من أهمية كبرى في حياته اليومية، فهي أساس من بنيان الشريعة، بها تعرف ألفاظ الشريعة، وتدرك مقاصدها، ويدرأ التعارض عن نصوصها.

وقد حرص علماء شنقيط على علوم العربية، تعلما وتعليما، فأثمرت جهودهم مؤلفات جليلة القدر، عميمة النفع، فكانت رياضا غناء يهرع إليها الدارسون، ويكتب عنها الباحثون لما وجدوا فيها من العبقرية الفذة.

ومن العلماء الشناقطة الذين عرفوا في ساحة العلوم عامة واللغوية خاصة العلامة محمد يحيى الولاتي صاحب المناقب الجليلة، والتآليف الحسنة، والجواهر النفيسة، والآراء القويمة، وقد خلدت آثاره العلمية مكانته العلمية السامقة، فهو بحر العلوم، شريعة، ولغة، ومنطقا، وبيانا، وفكرا، وتصوفا.

ولقد تعددت جهود العلامة محمد يحيى الولاتي، وتنوعت في مجالات عدة، من مجالات علوم اللغة، وقد تراوحت جهوده ﷺ بين التأليف والتدريس، فمن المعلوم أنه كان شيخ محظرة تدرس بساحتها منظومات النحو والمنطق والبيان وغيرها، كما عول في رحلته الحجية ـ الطافحة بالمناظرات العلمية ـ على بث كثير من المعارف بعدد من المراكز الثقافية، والمحطات العلمية التي مر بها خلال ارتحاله، أما جهوده في جانب التأليف، فكانت أوضح وأبرز، وقد شملت تيسير العديد من النصوص النحوية والصرفية والبيانية من خلال بعض المنظومات، كما عولت على جمع المتفرق من النظائر والأشباه، وقد تراوحت بين النظم والشرح والتلخيص والبسط.

وقد شجعني كثيرا نجاحي في خوض غمار بحث الدراسات العليا ـ مرحلة الماجستير ـ الذي كان

بعنوان " الفكر الإصلاحي عند العلامة محمد يحيى الولاتي " على المواصلة في هذا الدرب، والمضي في هذا السبيل..

وبلطف من الله ربي، ساقتني هذه التجربة الممتعة، مع هذا العلَم البارز، إلى اكتشاف كنوز مؤلفاته العجيبة، حيث تمكنت من الوقوف على هذا الجوهر المكنون، فعضضت عليه بالنواجذ، واستمسكت به استمساك الضنين، فنجوت من مشكلة اختيار الموضوع، وما يصاحبها من عمليات التفتيش والشد والجذب، وما يضارعها من صولات الخبط والضرب.. فحُسمَ الاختيارُ وقُضي الأمْرُ.. وكان حالي مع " مرتع الجنان على عقود الجمان " كما وصف معقر البارقي:

فَأَلْقَتْ عَصاها واسْتَقَرَّ بِها النَّوى كَما قَرَّ عَيْنًا بالإِيابِ المُسافِرُ[1]

وغدا من الواضح الجلي ـ بالنسبة لي ـ أن دراسة وتحقيق أجزاء متناثرة من هذا الكتاب لا تكفي للتعريف به، ولا تخدم الإفادة الشافية منه، وأنه لا استغناء عن دراسة منهجية مستوعبة، تتناوله بصورة شاملة متكاملة، وإلا باتت كل تلك المحاولات جهوداً مشتتة وطاقاتٍ ضائعةً وقِوىً معطلةً.. لا تُفضي إلا إلى نتائجَ ناقصةٍ، أوْ خلاصاتٍ خديجة، ويبقى القارئ مهتما، والمتطلِّع لهذا الموضوع مغتما!

من هنا رأيت أن أتوكل على الله تعالى وأستعينه في دراسة وتحقيق هذا الكتاب كله، فتصديت لهذه المهمة الصعبة بإيعاز وتوجيه من أستاذي المشرف العلامة الدكتور محمد الحافظ الروسي ـ حفظه الله تعالى ومتعه بالصحة ـ ومضيت على هذا الطريق تمشيا مع رسالة وحدة تكوين الدكتوراه "الدراسات الإسلامية: عقيدة وعلوم وتراث وحضارة" بكلية الآداب بمرتيل جامعة عبد المالك السعدي التي كان من أُولى اهتماماتها بعثُ التراث الأدبي والحضاري في الغرب الإسلامي.

وهكذا انجابت عني سُحب التردد فوقفت مطمئنا بعتبة شرح الولاتي " مَرْتَعُ الْجنانِ على عقود الجمان " الذي يتميز عن غيره من شروح الفن بميزات كثيرة لعل أبرزها:

1 ـ أنه خلاصةُ مصنفات من أمهات فن البلاغة، لخصها لنا عالم من أهل الاختصاص بأسلوب

---

(1) . البيت لمعقر بن حمار البارقي، أو عبد ربه السلمى، أو سليم بن ثمامة الحنفي. انظر لسان العرب ج15 ص347. ونسبه الجاحظ في البيان إلى المضرس الأسدي انظر البيان والتبيين ج3 ص27.

جيد تيسيرا للحفظ وتسهيلا للفهم.

2 ـ قيمته العلمية فرغم كونه شرحا مختصرا لا يدعى صاحبه السبق ولا الإحاطة ـ بل إنه يصرح باعتماده على شروح من سبقه اعتمادا كليا ـ إلا أنه قد حقق من خلال شرحه مقاصد التأليف الستة المتبقية، فقد شرح، وصحّح، ورتّب، وجمع، وأتمّ، وكانت له عنديات كثيرة سأبسط الحديث عنها في دراسة الكتاب.

3ـ أن الحاجة إليه كبيرة، خصوصا في قطرنا الشنقيطي، فقد كثر السؤال عن هذا المخطوط الذي يحسب ضمن مؤلفات الولاتي، وعند البحث عنه لا يوجد، وقد وفقني الله في العثور على نسخة يتيمة منه أهداني إياها مشكورا حفيد المؤلف الأستاذ حسني بن لفقيه ـ جزاه الله خيرا ـ

واعتبارا لكل هذه الميزات الظاهرة، ومحاولة مني لانتشال هذا التفسير القيم من الضياع بعد طول التَّجافي الذي حدث للمخطوط الشنقيطي، والإهمال الذي لحق بأبهى كتب المنطقة المبثوثة في مكتبات تكاد تكون طيَّ الإهمال والتلاشي.

يأتي اختياري لهذا العنوان: **"مرتع الجنان على عقود الجمان للعلامة محمد يحيى الولاتي(ت 1330ه) دراسة وتحقيق "**

وأرمي من وراء هذه الدراسة إلى التعريف الكامل بالمؤلِّف وكتابه، مُركّزا على الجوانب العلمية من حياته، ومُبرزا القيمة العلمية لكتابه.

وأهدف من خلال التحقيق إلى إثبات نسبة المتن إلى صاحبه اعتمادا على النسخة الأم، ليَخرج النص مطابقا لأصله مع حل مشكلاته، وكشف مبهماته، وفك مغلقاته.

ولقد أشار إلى أهمية التحقيق الدكتور محمد عبد الحفيظ كنون حفظه الله مُلفتا الانتباه إلى نفاسته وشروط المحقِّق، حيث يقول: "فإن كان المحقق في حاجه إلى مؤهلات تكمن في دقة الفهم وحسن التمحيص وكمال الفطنة، وأخرى سلوكية تتمثل في الاجتهاد والصبر والإخلاص، وثالثة علمية تتجلى في الإلمام بجملة من المعارف والعلوم ذات الصلة بموضوع النص المحقق، ومؤلفه، وأصول العمل وقدراته، ويضيف: فإن المحقق في حاجة

إلى مؤهلات إضافية منها:

- الاطلاع الواسع والإلمام الكبير بكل جوانب الموضوع، وأصوله ومصادره.
- التأمل الطويل والصبر الجميل؛
- الدُّربَة العلمية والتجربة المكتسبة في التعامل مع المخطوط والمخطوطات.
- امتلاكه لحاسة تساهم في تكميل ما لم يستطع البصر قراءته؛
- امتلاكه لمَلكة علمية توجهه إلى المضان التي تساعده على القراءة والتوثيق والتحقيق؛
- حصول نوع من الأُلفة بينه وبين النص المحقق.."[1]

بهذا فالتحقيق عَملية مُرهِقة مقارنة مع التأليف، فهي مَهمّة تتطلب قدرا كبيرا من الدقة والصبر والأمانة العلمية، يقول شيخ المحققين عبد السلام هارون -رحمه الله- في كتابه "تحقيق النصوص ونشرها": (إن التّحقيق نِتاج خُلُقي، لا يقْوَى عليه إلا من وهب خلتين شديدتين الأمانة والصّبر، وهما ما هما!! وقد يقال: كيف نترك ذلك الخطأ يشيع، وكيف نُعالجه؟ فالجواب أن المحقق إنْ فطن إلى شيء من ذلك الخطأ نبّه عليه في الحاشية)[2].

دواعي اختيار موضوع الأطروحة

ومن دواعي اختياري لهذا الموضوع بالإضافة لما سبق:

1ـ ما لألفية السيوطي الموسومة بعقود الجمان من أهمية بالغة لدى الدارسين لعلم البلاغة والبيان، ولأن الحاجة ما زالت قائمة إلى يومنا هذا لشروح أكثر قيمة لهذه الألفية، فكان العمل على

(1) - مجلة كلية الآداب، جامعة عبد المالك السعدي تطوان، العدد 16 السنة 2011 ص: 15 مقال للدكتور: محمد كنون الحسني، إشكالية التحقيق على النسخة الفريدة.

(2) - تحقيق النصوص ونشرها"، عبد السلام هارون، مؤسسة الحلبي، القاهرة 1965 (ص44).

إخراج هذا الشرح إلى النور مساهمة كبيرة في هذا الباب.

2ـ الرغبة الجامحة في إبراز إبداعات الشناقطة في شتى المجالات العلمية.

3ـ شهرة العلامة محمد يحيى الولاتي ومكانته العلمية، وثقافته الموسوعية، دفعتني إلى البحث عن حياته، وتحقيق أهم مصنفاته، فهو علم بارز صاحب علم واسع ونظر ثاقب، حريص على الاستفادة من الوقت، فهو القائل: "إن ضوء النهار ينبغي أن لا يضيع إلا في المطالعة والتدريس"[1]

4 ـ ما لهذا العالِم في نفسي من حب وإعجاب منذ فترة، حيث أعجبتني موسوعيته ومشاركته في كل الفنون وإكثاره من التأليف، فأردت أن أسهم بانتشال أحد كتبه وإخراجه من عالم المخطوط المعرض للتلاشي والاندثار، إلى عالم الكتابة والتدوين، لتعم الفائدة منه.

5ـ الإسهام ـ ولو بجهد المقل ـ في تحمل عبء يسير من أعباء وحدة تكوين الدكتوراه بكلية الآداب التي جعلت في كبرى اهتماماتها بعث التراث الأدبي المغاربي.

صعوبات الأطروحة

إلا أن عملا كهذا ما كان ليتم بسهولة ودون صعوبات، ولعل أبرز ما تجشمت فيه:

1ـ كثرة الأسفار بحثا عن نسخ أخرى للمخطوط في مظانها، حيث ذهبت إلى أقصى الشرق الموريتاني مدينة ولاته التاريخية ـ مكان ميلاد المؤلف ـ ثم إلى حاضرة تمبكتو التاريخية بالشمال المالي حيث اطلعت على مكنونات مخطوطات معهد أحمد باب التُّنْبُكتي.

2ـ كثرة الإحالات والتضمينات التي تتسم ـ أحيانا ـ بالعمومية(**عدم تعيين المصدر**)، فقد يحيل المؤلف على علماء للواحد منهم مؤلفات كثيرة، مما تطلب مني البحث في عدة كتب لمُؤَلِّف واحد لمجرد الوقوف على إحالة واحدة.

3ـ ضخامة المادة العلمية التي تناولها التحقيق، إذ أنني حققت الكتاب كله بما فيه من إحالات وتضمينات وأبيات شعرية كثيرة جدا.

---

(1) – انظر ترجمة حفيده له في بداية كتابه "نيل السول على مرتقى الوصول للعلامة محمد يحيى الولاتي" صححه وراجعه حفيده بابا محمد عبد الله محمد يحيى الولاتي، مطابع دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، تاريخ الطبع 1412، ص 5.

عدم تمييز الآيات القرآنية عن الشرح وكتابتها برواية حفص..

بيد أن أهمية الموضوع وشرفه، والشعور بضرورة الإسهام - ولو بجهد المقل - في التعريف بموروثنا العلمي الأصيل، والرغبة في إضافة جديد في موضوع الاختصاص.. بالإضافة إلى رسم خطة علمية متكاملة العناصر، تحكم البحث وتحدد معالمه، والاسترشاد بتوجيهات الأستاذ الدكتور محمد الحافظ الروسي حفظه الله تعالى، المعروف بالخبرة العالية والقدم الراسخة في ميدان البحث العلمي والدراسات الأكاديمية، عواملُ كانت خيرَ مُعين على تذليل تلك الصعاب وتجاوزها، حتى تم بعون الله هذا العمل.

خطــة الأطروحة:

أما خطة الأطروحة فقد جاءت بعد هذه المقدمة على النحو التالي:

تناولت هذا العمل وفق الخطة التي اقتضتها طبيعة تحقيق كتاب: "مَرْتَعُ الجَنَانِ عَلَى عُقُودِ الجُمَانِ» للعلامة محمد يحْيَى الوَلَاتِي (ت 1330 هـ) دِراسَةٌ وتحقيقٌ" ومعطيات مؤلِّفه، وقسمته إلى قسمين: قسم للدراسة وقسم للتحقيق .

مُقَدِّمَة: وتناولت فيها موضوع الأطروحة وأهميتها وبواعثها وأهدافها والصعوبات التي واجهتني، ثم عرضت الخطة التي وضعتها لدراسة وتحقيق هذا الكتاب.

القسم الأول: الدراســـة : فقد اشتمل على: فصلين، وتحت كل فصل مباحث ومطالب. وتفصيل هذه الخطة كما يلي: **الفصل الأول**: تحدثت فيه عن حياة المؤلف وعصره، وفيه مبحثين: **المبحث الأول**: التعريف بعصر المؤلِّف (المحيط العام)، **والمبحث الثاني**: : التعريف بالمؤلِّف (المحيط الخاص)، واقتصرت على العوامل المؤثرة في حياته من نشأته، تربيته، تأثيرات محيطه عليه، أقوال العلماء فيه وشيوخه وتلاميذه ثم إنتاجه العلمي. بينما **الفصل الثاني**: خصصته للحديث عن دراسة الكتاب وبيان عملي في التحقيق: وفيه عشرة مباحث: **المبحث الأول**: تناولت فيه اسم المؤلِّف، وتحقيق نسبته، **المبحث الثاني**: مصادر مرتع الجنان، **المبحث الثالث**: سمات الشرح

وخصائصه، **المبحث الرابع**: تمحور موضوعه عن الأسس المنهجية لمرتع الجنان ، تطرقت في **المبحث الخامس**: إلى مقاربة بين مرتع الجنان وبعض شروح عقود الجمان وخصصت **المبحث السادس**: للحديث عن منهج الشرح عند الولاتي، وتعرض **المبحث السابع**: لمناقشة الولاّتي لآراء البلاغيين في مرتع الجنان، وركزت في **المبحث الثامن**: على استثمار الشارح للمصادر، وقبل المبحث الأخير "التاسع: تناولت القيمة العلمية لمرتع الجنان. وختمت الفصل **بالمبحث العاشر**: وهو **عملي في التحقيق ووصف النسخ** وبعرض نماذج مصورة من النسخ المعتمدة فِي التحقيق.

أما القسم الثاني: فيتضمن النص المحقق.

وقد خصصته لتحقيق وتخريج مَتْن كتاب: **"مَرْتَعُ الجَنَانِ عَلى عُقُودِ الجُمَانِ» للعلامة محمد يحْيَى الوَلاتِي"**، وفْقَ منهج التحقيق المعتمد عند أهل الاختصاص، حيث حاولت قدر الإمكان أن ألتزم بضوابط تحقيق ودراسة وتخريج كتاب من التراث البلاغي. أما المصادر والمراجع فقد اعتمدت في قسم التحقيق جُل الكتب التي ذكرها المؤلف داخل المتن، سواء المطبوع منها أو المخطوط، إلا ما لم أستطع الحصول عليه.. كما اعتمدت على مصادر ومراجع متنوعة في علم الحديث والتفسير والكلام والبلاغة والنحو والعقيدة والتراجم والتاريخ..

وأنهيت عملي بفهارس علمية تسهيلاً على القارئ: فهرس أجزاء الآيات القرآنية، فهرس الأحاديث النبوية فهرس الأعلام، فهرس الأبيات الشعرية، فهرس الأمثال والآثار، فهرس الفرق والطوائف والقبائل، فهرس الأماكن والبلدان، فهرس الكتب الواردة في المتن، فهرس للمصطلحات البلاغية والعقَدية والأصولية والحديثية والغريبة، فهرس للمصادر والمراجع، فهرس المحتويات.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله وسلم وبارك على الحبيب محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

القسم الأول: الدراسة

الفصل الأول: ترجمة المؤلف (حياته وعصرُه)

إن الترجمة والتعريف بأي عَلَمٍ كان تستلزم إلقاء الضوء على مركبات البيئة المحيطة به، والمؤثرات السياسية والاجتماعية والثقافية المختلفة التي تركت بصماتها لا محالة على الشخص المدروس وإنتاجه المعرفي ـ إن كان ـ.

وهذا ما يملي عليّ وأنا في سبيل الترجمة للعلامة محمد يحيى الولاتي أن أتحدث أولا عن المنطقة التي عاش فيها والمؤثرات السياسية والاجتماعية والثقافية لتلك المنطقة، على أن أتناول في المبحث الثاني التعريف الشامل بشخصية المؤلف.

المبحث الأول: التعريف بعصر المؤلف(المحيط العام)

ينتمي صاحبنا إلى مدينة ولاته التاريخية المعروفة، جوهرة الصحراء ومهد العلماء والصلحاء، وهي آخر مدن شنقيط مما يلي بنباره وأهلها عرب وجلهم أو كلهم من الزوايا، وفيها علم وصلاح[1].

ومدينة ولاته هذه واحدة من المراكز العلمية العظيمة التي تشرف بها بلاد موريتانيا، وهي كما عرفها حماه الله ولد السالم: "الحاضرة العتيقة الواقعة في أقصى جنوب الشرق الموريتاني الحالي ضمن ولاية الحوض الشرقي **(النعمة)**، وقد تأسست في القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي، وهي من كبريات حواضر الإسلام والثقافة العربية في غرب الصحراء والسودان، ثم صارت منذ القرن التاسع الهجري دار علم لا مثيل لها في البلاد، وهي كذلك مركز تجارة قديم ظل مزدهرا قرونا"[2]

ورغم تعدد الأسماء التي وردت بها "ولاته" في مراجع متعددة، **(بيرو، إيولاتن، ولاتن، ولاته)** فقد تم تجاوز الإشكال بمقارعة النصوص ببعضها مما رجح فرضية أنها لمسمى واحد تعددت

(1) – الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، والكلام على تلك البلاد تحديدا، وتخطيطا، وعاداتهم، وأخلاقهم، وما يتعلق بذلك. لأحمد بن الأمين الشّنْقِيطي (المتوفى: 1331 هـ) عني بتصحيحه وتنقيحه: المؤلف نفسه. الشركة الدولية للطباعة – مصر، ط الخامسة، 1422 هـ – 2002 م (ص459).

(2) – تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، د حماه الله ولد السالم، منشورات الزمن، ط الثانية، (ص 165.164).

أسماؤه وتغيرت بتغير تركيبة السكان العرقية. [1]

وتتضارب الآراء حول نشأة ولاته، فمن قائل إنها بنيت قبل الإسلام، ومن قائل إن تأسيسها كان في القرن الثاني الهجري ـ كما تقدم معنا ـ.

والحق أنها كانت قائمة إلا أنها ظلت وثنية حتى دخلها الإسلام على يد سرايا عقبة بن نافع الفهري، الذي خلّف فيها ابنه العاقب المدفون بصحن مسجدها، ـ حسب الرواية المتداولة عند الولاتيّين، ـ ثم وفد إليها كثير من العلماء الأولياء والصالحين وذوي الأموال من كل قبيلة وفج، من سجلماسة وسوس ودرعة وتافلالت وفزّان وتوات ومصر وغيرها، وبهذا تتضح العلاقة العضوية بين التجارة وانتشار الإسلام. [2] وكانت "ولاته" تابعة لإمبراطورية غانا، وعندما سقطت غانا بيد الصوصو هاجرت إليها الجاليات العربية التي كانت في غانا وتحول إليها مركز الثقل الاقتصادي والثقافي وأصبحت فيها جاليات عربية كبيرة وصنهاجية. [3]

وبتأسيس مدينة "تنبكتو" في القرن (7هـ) هاجر إليها الكثير من سكانها فكانت عمارتها خرابا لولاته، وقد خضعت ولاته لسيطرة المرابطين إبان امتداد نفوذهم على الصحراء فأصبح المذهب السني المالكي هو المعتمد عند أهلها حتى اليوم. وهي الآن حاضرة لا يتجاوز عدد سكانها 13086 نسمة، حسب آخر إحصاء للسكان 25 مارس 2013 أكثر من 52٪ ما بين أطفال أقل من 14 سنة أساسهم النساء. والصورة الحالية للمدينة وعلاقة سكانها بماضيهم، لا تجعل منها فقط نموذجا حضاريا فقط، بل موسوعة في شتى مجالات الحياة، ففيها يجد الشاعر والرسام والمصور أو النحات والخطاط والكاتب وغيرهم مجالا رحبا لإبراز قدراتهم الفنية وإبداعاتهم. [4]

---

(1) – "ولاته ملتقى الثقافات بين الغرب الإسلامي وبلاد السودان في الفترة ما بين 1204.1912 للميلاد" للمؤرخين محمد الأغظف بن الداه، ومحمد البشير بن سيدي حمادي، بحث قدم في ندوة " محمد يحيى الولاتي عالم التجديد والتواصل"، منشورات مركز البحوث والدراسات الولاتية.ص 136.138.

(2) – "ولاته من الحاضر إلى الماضي" للأستاذ سداتي بن بابيه، ص 18، طباعة سيرك، ط الأولى 2005.

(3) – البحث السابق، "ولاته ملتقي الثقافات..."ص 136.

(4) – ولاته من الحاضر إلى الماضي، ص18.19.

المطلب الأول: الحياة الاجتماعية لعصره

عاش العلامة محمد يحيى الولاتي ﷺ في بلاد شنقيط، وهو الاسم الذي اشتهر به طوال التاريخ الوسط، القطر المسمى الآن الجمهورية الإسلامية الموريتانية[1]، وشنقيط إحدى مدن ولاية آدرار، وتذكر المراجع أنها أنشئت عام 160ه تحت اسم (**آبيير**) ثم بنيت بالقرب منها مدينة شنقيط الجديدة عام 660 وقامت بها سوق العلم وازدهرت، وكانت قوافل الحجيج تؤمها وتجتمع بها، ثم تنطلق إلى مكة المكرمة، فيتعلق بالركب كل من أراد الحج من سائر الآفاق، وقد اشتهر ركبها هذا وذاع صيتها حتى عرف باسمها القطر كله، بل كان كل أهل تلك البلاد من شنقيط إلى السودان لا يعرفون عند أهل المشرق إلا بالشناقطة إلى وقت قريب[2].

وإلى جانب هذه الأهمية الدينية كانت (**شنقيط**) المدينة مركز إشعاع وضّاء للثقافة العربية والحضارة الإسلامية، بواسطة تلك المدارس الصحراوية (**المحاضر**) التي أنشئت وازدهرت فيها، كما كانت سوقا تجارية رائدة، بحكم موقعها على مفترق طرق القوافل الكبرى وضروبها الصحراوية. [3]

هذا عن الموطن الأصلي للمؤلف على العموم، وهو المعروف ببلاد شنقيط، أما إذا تجاوزنا

---

(1) – موريتانيا كلمة لاتينية معناها أرض الرجال السمر، انظر "موريتانيا الحديثة" لمحمد يوسف مقلد، ص41، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1960. والجدير بالذكر أن بلاد موريتانيا عبر تاريخها الطويل عرفت بأسماء كثيرة، تحيل على حقب وعهود تاريخية مختلفة، وتقع على مناطق غير متطابقة، ما فتئت تتسع وتضيق عبر العصور، ولعل أشهر هذه الأسماء: صحراء الملثمين، بلاد التكرور، بلاد شنقيط، بلاد المغافرة، وهناك أسماء ونعوت أخرى أقل انتشارا، منها: البلاد السائبة، المنكب البرزخي، بلاد لمتونة، بلاد صنهاجة الجنوب، وصنهاجة الرمال، ولما وقعت موريتانيا في قبضة الاستعمار الفرنسي رأت فرنسا أن هذه التسميات لا تخدم أغراضها الاستعمارية، فابتعثت لها هذا الإسم الروماني القديم من مرقده(موريتانيا) وذلك على إثر مهمة استطلاعية قام بها الضابط الفرنسي كابلاني في المنطقة، وقدم تقريرا عنها، واقترح فيه هذه التسمية، فصدرت الموافقة على اقتراحه في قرار وزاري فرنسي بتاريخ 1899.12.27م.انظر هذه المعلومات في كل من: " موريتانيا الحديثة" لمحمد يوسف مقلد، ص 129، وكتاب "السلفية وأعلامها في موريتانيا" للشيخ الطيب بن عمر بن الحسين، ص 61.60 ط الأولي 1416. 1995 دار ابن حزم، بيروت.

(2) – راجع الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، لأحمد بن الأمين، ص 426. و"الشعر والشعراء في موريتانيا" لمحمد المختار ولد اباه، دار الأمان، الرباط، ط2، 2003.1424، ص26.

(3) – المصدر السابق، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 430.

ذلك إلى مدينته التي ولد فيها فهي أيضا لا تقل أهمية عن مدينة شنقيط **(بالتعريف الأخص)** أي أنها معدودة في المدن التاريخية الضاربة جذورها في القدم والعراقة، وقد ازدهرت فيها هي الأخرى سوق العلم والعمل مما بوأها مكانة مرموقة بين نظيراتها في القطر الموريتاني كله.

وإذا أردنا أن نعطي نبذة مقتضبة عن الحالة الاجتماعية في هذه المدينة، التي تعتبر المستهدف الأول لكل ما قام به العلامة محمد يحيى الولاتي من جهد، تمثل في محاولة إصلاح الأوضاع المختلفة فيها، والتي كانت تشهد انحرافا في العديد من المجالات، مما جعل الرجل يتصدى لذلك كله محاولا القضاء عليه والرجوع بالمجتمع إلى جادة الطريق، مضطلعا بمهمة الدعوة والجهاد بفكره وقلمه، ينشر العلم في ربوع وطنه ويوفر متون الشريعة أصولا وفروعا وقواعد وييسرها نظما وشرحا وتعليقا، ليحكم شرع الله هذا الركن القصي من بلاد الإسلام، وليستعاض فيه عن غياب السلطة والنظام بتشريعات رب الأنام.

ولقد وصف لنا الرحالة ابن بطوطه[(1)] مدينة ولاته والحركة التجارية داخلها في رحلته الشهيرة التي بدأها من طنجة عام 725ه فذكر أن القوافل تأتي من الأقطار المجاورة لشراء الملح من كدية الجل حيث قال ابن بطوطة: "‥ يجلب إليهم تمر درعه، وسجلماسه، وتأتيهم القوافل من بلاد السودان فيحملون الملح، ويباع الحمل منه بولاته بثمانية مثاقيل إلى عشرة... وبالملح يتصارفون كما يتصارف بالذهب والفضة، يقطعون قطعا ويتبايعون به[(2)]"

ويصفها الباحث حماه الله ولد السالم بأنها: "... مركز تجارة قديم ظل مزدهرا قرونا[(3)]"

وتعتبر مدينة ولاته من أهم المدن التي ظلت لفترة طويلة ممرا رئيسيا للقوافل التجارية، مما جعلها منطقة تجارية حيوية.

---

(1) – هو الشيخ الفقيه السائح الثقة الصدوق، جوّاب الأرض، ومخترق الأقاليم بالطول والعرض، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، المعروف بابن بطوطه، له رحلة عجيبة في مجلد، جمعها الفقيه أبو القاسم محمد بن جزي الكلبي، انظر فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تأليف أبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، تحقيق محمد حجي، ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1428.2007، ص 105.

(2) – رحلة ابن بطوطه، المسماة " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"ص 10، ط دار الفكر، بيروت.

(3) – تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، للدكتور حماه الله ولد السالم(ص164.165)

وقد كانت ولاته تابعة لإمبراطورية غانا، وعندما سقطت غانا بيد الصوصو هاجرت إليها الجاليات العربية التي كانت في غانا، وتحول إليها مركز الثقل الاقتصادي والثقافي، وأصبحت فيها جاليات عربية كبيرة وصنهاجية، وفي سنة 1412 كانت مدينة القوافل الأولى، وقد بلغ ازدهار التجارة فيها إلى حد أن أقدم أبناء المقري إلى إنشاء فرع لشركتهم التجارية "المقري إخوان" التي تتمركز في تلمسان، حيث يقول المقري[1]: " ولد يحيى الذين أحدهم أبو بكر خمسة عقدوا الشركة بينهم فيما ملكوه أو يملكوه على السواء بينهم والاعتدال، وكان أبو بكر ومحمد بتلمسان، وعبد الرحمن بسجلماسه، وعبد الواحد وعلى في إيولاتن[2].

شهدت مدينة ولاته استيطان مجموعات سكانية متنوعة، نظرا لموقعها المتميز كنقطة عبور إلى ذهب السودان، [3]، وقد كانت "ولاته" مركزا مهما للتسوق، وقصدها الناس من كل الآفاق، وسكنها الخيار من العلماء والصالحين، وذوي الأموال من كل قبيلة ومن كل بلاد، وهكذا تعددت أصول سكان ولاته بتعدد الوافدين إليها، فاستوطنتها عدة قبائل وأسر، إلا أن استيطانهم لها كان متفاوتا من حيث الزمن والثقل البشري، وتكاد المصادر التاريخية تجمع على أن أقدم المجموعات التي قطنت "ولاته" هم السود، والظاهر أنهم كانوا من السوننكي، إلا أنهم اختفوا منها في ظروف غامضة، غير أن المهم بشأن سكان "ولاته" هي المجموعات العربية۔ الصنهاجية المختلفة الأصول والمرجع، والتي أضحت من القرن العاشر الهجري (16م) على الأقل، تنتمي إلى مجتمع البيضان الناطق بالحسانية، والتي تنتشر على الرقعة الترابية المنسوبة إليه،[4] وأهم هذه المجموعات البيضانية التي استوطنت "ولاته":

---

(1) - هو أحمد بن أحمد بن يحيى ت 1041هـ، أبو العباس المقري التلمساني صاحب كتاب "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" في تاريخ الأندلس السياسي والأدبي، ولد ونشأ بتلمسان وانتقل إلى فاس وكان خطيبها والقاضي بها، ومنها إلى القاهرة، وتنقل بين الديار الشامية والحجازية والمصرية، وتوفي بمصر ودفن بمقبرة المجاورين، انظر الأعلام للزركلي، 237/1.

(2) - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، - المقري الحفيد أحمد التلمساني، ، : دار الفكر - بيروت، 1986 .تحقيق: د.إحسان عباس، 7 /130.

(3) - راجع عن هذه المعلومات، تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية للدكتور حماه الله ولد السالم، ص 175. 182.

(4) - مرجع سابق، تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، د حماه الله/السالم، ص 176.175.

1ـ المحاجيب وهم من أقدم السكان استيطانا للمدينة، وينقسمون إلى:

أـ أولاد الفقيه عثمان: وهم الذين يشكلون في الوقت الراهن قبيلة المحاجيب في ولاته، وقد اشتهروا بالعلم والصلاح، ونستطيع أن نقول إنهم يشكلون جماعة بشرية مهمة من حيث الكم، فقد كان فيهم ما يزيد على مائة عالم خلال القرن 18م، وكانت بيدهم السلطة السياسية بالمدينة، وكذلك مفاتيح الاقتصاد وهم ينقسمون إلى فرعين أولاد سيد أحمد وأولاد المحجوب.

ب ـ الإمامات: وهم أبناء الإمام اندغ محمد الكبير وكانوا يتولون إمامة الصلاة حتى انقرضوا، وقد اشتهر منهم علماء أجلاء لا في ولاتة فقط، بل وفي تمبكتو فجد أحمد باب التنبكتي [1] من الأم منهم، وكان بعضهم يسكن تازخت.

ج ـ أولاد انداعل: ويتولون القضاء في المدينة، وهم سكان المدينة، إذ إن يحيى الكامل جد أولاد الفقيه عثمان وجدهم في مدينة بيرو **(ولاته)** قبله في القرن 5 للهجرة، بدليل زواج ابنه محمد ـ الذي قدم معه ـ سيدة من ذرية انداعل.

د ـ المؤذنون: وأخذوا التسمية من الوظيفة التي كانت وقفا عليهم، وهي الأذان وبعض العادات الاجتماعية التي كانت مرتبطة بهذه الوظيفة، ـ وهي التي سنرى فيما بعد أن الولاتي اعتبرها خروجا على الشرع ومخالفة له، إذ إن هذه الأمور المرتبطة بالدين لا تنال عنده بالوراثة، وإنما بالكفاءة فقط ـ

هـ ـ مجموعة من الصناع: صائغو الذهب مرتبطون بهذه القبيلة ويشكلون مجموعة متوسطة، إلا أن لها مستوى فنيا عاليا في صياغة الذهب ومعرفة عياره.

---

(1) – أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس: مؤرخ، من أهل تنبكت Tombouctou في إفريقية الغربية. أصله من صنهاجة، من بيت علم وصلاح. وكان عالما بالحديث والفقه. وعارض في احتلال المراكشيين لبلدته (تنبكت) فقبض عليه وعلى أفراد أسرته واقتيد إلى مراكش سنة 1002 هـ، وضاع منه في هذا الحادث 1600 مجلد، وسقط عن ظهر جمل في أثناء رحلته فكسرت ساقه، وظل معتقلا إلى سنة 1004 وأطلق فأقام بمراكش إلى سنة 1014 وأذن له بالعودة إلى وطنه. وتوفي في تنبكت. وكان شديدا في الحق لا يراعي أحدا. له تصانيف منها (نيل الابتهاج بتطريز الديباج – ط) في تراجم المالكية، و(كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج – خ) تراجم، وله حواش ومختصرات تقارب عدتها الأربعين أكثرها في الفقه والحديث والعربية، ما زال معظمها مخطوطا. الأعلام للزركلي ج1 ص102 ط 15 دار العلم للملايين.

ويشكل الجميع قبيلة المحاجيب وتسكن الأحياء الجنوبية الغربية من المدينة **(بلد المنعة)**. [1]

2ـ إديلب، من أصل جكني، والراجح أنهم استوطنوا ولاته بعد خراب تنيكي[2] وكونوا حارة كبيرة شمالي المدينة، وبنوا بها مسجدا ويشكلون مجموعة بشرية متوسطة العدد، ولهم أبناء عمومة ببادية ولاته، وظهر منهم علماء أجلاء.

3ـ الأقلال: قدموا من شنقيط ويشكلون مجموعة متوسطة من حيث العدد، ولهم حي خاص بهم شرقي المدينة، وقد ظهر منهم علماء أجلاء، وأغلبهم من أبناء سيدي ببكر **(وهم شرفاء)** وأولاد موسي الذين يوجدون ببادية ولاته.

4ـ ابدوكل: القبيلة الصنهاجية المعروفة في الصحراء، لهم قصبة خاصة بهم لا زالت بقاياها قائمة في وسط المدينة، ويشكلون مجموعة متوسطة، وظهر منهم علماء.

5ـ ياداس: وينتسبون للأنصار ولهم حي خاص بهم يعرف بحي ياداس، وكانوا يشكلون مجموعة مهمة.

6ـ بارتيل: وهم يشكلون مجموعة مهمة من حيث العدد، وقد ظهر منهم علماء أجلاء، ولا زالوا يعمرون حيهم**(الحي الجنوبي من المدينة)** ولهم أبناء عمومة ببادية ولاته، ويعودون لأصل أنصاري.

7ـ بنو حسان[3]: استوطنوا المدينة في القرن 18م، ولم يشكلوا حيا خاصا بهم واشتهر منهم علماء وأولياء، وأكثرهم من أولاد يونس، وأولاد يطه وأولاد زيد، وأولاد علوش، الذين كانت ولاته دارا لهم في هذه الفترة، وأولاد بوفايد، فبعضهم استوطنها كغفير ثم تربى فيها ونشأ نشأة علمية، ومنهم من استوطنها للاتجار وتأثر بجوها الثقافي، أو بعد هزيمته.

8ـ آل سيدي حمو بن الحاج: وهم من شرفاء اتوات استوطنوا المدينة في القرن 17م وكونوا حيا

(1) – مصدر سابق " ولاته ملتقى الثقافات..." للمؤرخين محمد الأغظف، ومحمد البشير، ص 141.

(2) – (حياة موريتانيا الجغرافية ص 210) العلامة المؤرخ ابن حامد.

(3) – هم أصحاب السلطتين السياسية والعسكرية في الإمارات والزعامات الموريتانية القديمة، يتولون الدفاع عن الحوزة الترابية، وحماية الأمن العام، والصّلات وثيقة بينهم وبين الزوايا عن طريق المجاورة والمصاهرة. انظر الجمهورية الإسلامية الموريتانية، دراسة مسحية شاملة، تأليف المنظمة العربية للثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية. ص29ـ30

خاصا بهم في وسطها.

9ـ القلاقمة: استوطنوا المدينة سنة 1076ه وبنوا بها 20 دارا، وكان قد أجلاهم سن على من تنبكتو بعد أن شرد علماءها.

10ـ مجموعة من السكان الذين لا ينتمون لإحدى القبائل السالفة الذكر، ويشكلون مجموعة بشرية مهمة **(عبارة عن أسر)**

ويلخص حماه الله ولد السالم ما كنا بصدد الحديث عنه حول سكان "ولاته" فيقول: "... وأهم هذه المجموعات البيضانية هي على التوالي حسب أهميتها العددية ووزنها الثقافي والديني: المحاجيب، الشرفاء، إديلبه، شرفاء الأقلال، ثم المجموعات ذات الأصول الحسانية، والتي لم تكن مستقرة في المدينة، بفعل الصراعات المختلفة، لكن آخرها وجودا واستقرارا هي مجموعة أولاد داود، التي ستقوم بدور مهم في تاريخ المدينة في عهد آخر"[1]

ورغم اختلاف وتعدد أصول الولاتيّين إلا أنهم امتزجوا فيما بينهم مشكلين مجتمعا شبه حضري، ورغم ملاحظة تخطيط المدينة وتقسيمها تقسيما قبليا، إلا أن مختلف القبائل التي سكنتها تشعر بنوع من الوحدة والانسجام المتكامل، الأمر الذي من شأنه أن يضعف الولاء القبلي أمام الولاء الحضري، حيث يوجد الواحد منهم ينتسب للمدينة قبل انتسابه للقبيلة.[2]

(1) – مرجع سابق، تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، د. حماه الله ولد السالم، ط 2، منشورات الزمن، ص 176.

(2) – ولاته ملتقى الثقافات بين الغرب الإسلامي وبلاد السودان، محاضرة للمؤرخين: محمد الأغظف/الداه، ومحمد البشير/سيدي حمادي. منشورات مركز الدراسات والأبحاث الولاتية، ص 143.

المطلب الثاني: الحياة الثقافية

من المعروف أن الإسلام لم يدخل شعبا ولا بلدا إلا دفعهما دفعا إلى العلم والتعلم، وقد كانت أول الآيات نزولا على الرسول ﷺ تأمر بالقراءة والتعلم ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾[1] وآيات قرآنية أخرى كثيرة تحض على العلم، كما تحض عليه أحاديث نبوية متعددة.

فالعلم والإسلام متلازمان، والعلم لا ينفك عنه أبدا، وكان المسلمون الأولون بمجرد أن يفتحوا بلدا يقيمون فيه مسجدا، ويقيمون بجانب المسجد كتّابا لتحفيظ القرآن الكريم للناشئة، حتى إذا حفظ الناشئ القرآن ورتله أو جوده، تحول إلى حلقة أحد العلماء في المساجد يأخذ عنه الفقه والحديث والعلوم الإسلامية، كما يأخذ عنه العربية وقواعدها وآدابها من شعر ونثر، وكما يحدث ذلك في المدن يحدث في البدو وبصور مختلفة، هيأت دائما كما هيأت صور التعليم في المدن لظهور فقهاء يفقهون الدين الإسلامي وتعاليمه، وظهور نحاة ولغويين يحسنون العربية وقواعدها وتعليمها للناشئة.

وكل ذلك حدث في موريتانيا مع انتشار الإسلام في حواضرها وبين قبائلها البدوية منذ القرنين الثالث والرابع، حين أصبحت هناك قبائل تعمل على نشر الدين الحنيف، واتسع ذلك في القرن الخامس الهجري حين نزل الشيخ عبد الله بن ياسين في قبائل لمتونة وأخواتها الصحراويات بموريتانيا: مسوفة وكدالة وجزولة ولمطه، وسمى أتباعه هناك المرابطين أي المجاهدين الذين رصدوا أنفسهم للجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته ودينه .[2]

وهكذا فقد كانت ـ وما زالت ـ موريتانيا مركز علوم غزيرة وثقافة عربية إسلامية، وأولُ مُعلِّم عرفته موريتانيا ـفي عهد المرابطين ـ هو عبد الله بن ياسين[3]، جاء به يحيى بن إبراهيم الكدالي في

---

(1) – سورة العلق، الآية: 1.

(2) – تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، شوقي ضيف، ط الأولى، دار المعارف، ص 556.

(3) – عبد الله بن ياسين بن مكو الجزولي المصمودي، الزعيم الأول للمرابطين وجامع شملهم وصاحب الدعوة الإصلاحية، افتتح بلاد درعه وسجلماسة، وفتح بلاد المصامدة حربا، وامتد سلطانه من نواحي السنغال إلى سجلماسة، ومن درعه إلى أغمات، وتقد إلى قبائل برغواطة، وكانت لها دولة على الشاطئ الأطلسي بين الدار البيضاء والسويرة، فاستولى على بلادها بعد وقائع أصيب فيها بجروح كانت سبب وفاته سنة 451. الأعلام 144/4.

فجر دولة المرابطين، فكان معلما ومربيا مدة يحيى بن إبراهيم، ويحيى بن عمر، وصدرا من ولاية أبي بكر بن عمر .

ولما تنازل هذا الأخير لابن عمه يوسف بن تاشفين[1] عن المغرب الأقصى ـ بعد أن أخضع بعضه ـ رجع أبو بكر إلى الصحراء واستصحب معه ـ من أغمات وريكه ـ الإمام أبا بكر محمد بن الحسن الحضرمي المتوفي 478 بأزوكي (**بكاف معقودة**) أطار .

واستصحب أيضا إبراهيم الأموي معلما للفقه وقاضيا في مجلس الأمير .

فهؤلاء الثلاثة أصل انتشار العلوم الدينية في قبائل موريتانيا لذلك العهد . فانتشر العلم واتسع نطاقه قرونا عديدة، وكان قبل ذلك قاصرا على علوم الشرع دون آلاتها ومتمّاتها، وكذلك قدم على ولاته يحيى الكامل جد المحاجيب، فانتشر على يده علم كثير في تلك النواحي، وأحدث بها حركة علمية نشيطة، وكان العلم في موريتانيا دائما تزداد ثروته بواسطة سفر الحجاج والتجار الذين كانوا يطلعون على إفريقية الشمالية ومصر وغيرهم من بلاد الإسلام فيأتون بالمتون المؤلفة في شتى الفنون العلمية .

وكذلك كانت موريتانيا بدورها، تنشر التعاليم الإسلامية والثقافة العربية في جاراتها السوداء العامرة بالمساجد والمدارس وحلق الذكر، والتي أنجبت علماء وصالحين وحجاجا كثيرين .

واشتدت عناية الزوايا[2] بالعلم، ففي كل بلدة وفي كل حي من أحياء هذه القبائل البدوية كانت الناشئة تدوي دوي النحل بآي القرآن الكريم، وبعد ترتيله أو تجويده يلتحقون ببعض العلماء ليعمقوا دراساتهم في العلوم الشرعية وما يتعلق بها من علوم الآلة، واستجلبت المتون من بلاد

---

(1) – يوسف بن تاشفين بن إبراهيم، المصالي الصنهاجي اللمتوني الحميري، أبو يعقوب أمير المسلمين وملك الملثمين، سلطان المغرب الأقصى وباني مدينة مراكش، ولد في صحراء المغرب، وولاه ابن عمه أبو بكر بن عمر اللمتوني إمارة البربر، وجال جولة في المغرب بجيش كبير، فقوي أمره، واستولى مدينة فاس، وغزا الأندلس فصالحه ملوكها على الطاعة له، واستخلفه أبو بكر بن عمر على المغرب فاستقل به، وبني مدينة مراكش، واستنجده ابن عباد على قتال الإفرنج فزحف إليه بجموعه وهزم الإفرنج في معركة الزلاقة، شمل سلطانه المغربين الأقصى والأوسط وجزيرة الأندلس، كان حازما ضابطا لمصالح مملكته، توفي بمراكش سنة 500هـ، انظر الأعلام 218/8.

(2) – ذكر العلامة باب ولد الشيخ سيديا (ت 1342 هـ)أن الزوايا التي أصبحت علما على القبائل التي اشتغلت بنشر الثقافة الإسلامية، إنها مشتقة لهم من الزوايا جمع زاوية بالاصطلاح الصوفي، لملازمتهم إياها/انظر السلفية وأعلامها في موريتانيا ص79 م س.

الإسلام، وعني الطلاب بدرسها، والعلماء بالتعليق عليها واختصارها ومحاذاتها، بمصنفات منثورة أو منظومة، لم تخل قبيلة من الزوايا من علماء مشاركين في جميع العلوم أو متخصصين في بعضها، يستظهرون المتون العلمية المختصرة المقررة للتدريس، ويطالعون المطولات .

من ذلك في الفقه وفي المرحلة الابتدائية مختصر الأخضري في العبادات، ونظم المرشد المعين لابن عاشر، والرسالة لابن أبي زيد القيرواني، وفي المرحلة الثانية مختصر خليل، وعليه اعتماد أكثرهم، وتحفة الحكام لابن عاصم الغرناطي، ولامية الزقاق في القضاء .

وقد شرح هذه المتون جماعة وحاذاها آخرون بمؤلفات منظومة أو منثورة بينوا مجملها واستدركوا عليها أو على بعض شروحها[1] .

غير أن الأخبار عن الحركة العلمية في بلاد شنقيط إنما أخذت في النمو ابتداء من القرن العاشر الهجري حين تم تعريبها بفضل قبائل المعقل العربية: حسان وغيرها ـ التي نتناول بالدراسة الآن أحد أعلامها وهو محمد يحيى الولاتي ـ

ويسوق أحمد أمين الشنقيطي[2] والمختار ولد حامد[3] ومحمد المختار ولد اباه[4] وغيرهم أخبارا مختلفة عن تلك الحركة، مبرزين أهم المراحل والوسائل التعليمية المتبعة في شنقيط، والتي تختلف اختلافا بسيطا من منطقة لأخرى، وتتقاطع في الكثير من المسائل،

ففي القرن الثالث عشر الذي يمثل العصر الذهبي للمحضرة عم التدريس جميع البلاد الشنقيطية، وتوسعوا في المعارف توسعا كبيرا، وظهر من بينهم فطاحلُ العلماء وفحولُ الشعراء، حتى نالوا إعجاب الكثيرين، واستحقوا أن يقال فيهم: " إن من الشناقطة علماء قد لا نغالي إذا قلنا عنهم إنهم لا يقلون أهمية عن أمثال جمال الدين الأفغاني، [5] ومحمد عبده، [1]ورشيد رضا، [2] وأبى الثناء

(1) – ابن حامد، الحياة الثقافية الجزء الثاني ص 6.5.

(2) – راجع الوسيط لأحمد أمين، (من الصفحة 517 وحتى 521) ط الخامسة، 1422 الشركة الدولية للطباعة، مصر.

(3) – المختار ولد حامد، حياة موريتانيا، الجزء الثاني، الحياة الثقافية.

(4) – راجع كتبه: الشعر والشعراء في موريتانيا، دراسات في التشريع الإسلامي في موريتانيا، وتاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب.

(5) – محمد بن صفدر الحسيني جمال الدين الأفغاني، فيلسوف الإسلام في عصره، وأحد الرجال الأفذاذ الذين قامت على سواعدهم نهضة الشرق الحاضرة، ولد في أسعد آباد بأفغنستان ونشأ بكابل، وتلقى العلوم النقلية والعقلية وبرع في الرياضيات، قصد مصر فنفخ فيها روح النهضة

الألوسي، [3] وعثمان بن سند[4] وأضرابهم[5]" وحتى قال عنهم طاهر الحاجري: " إن الصورة التي أتيح لنا أن نراها لشنقيط في هذين القرنيين 12و13 جديرة أن تعدل الحكم الذي اتفق مؤرخو الأدب العربي على إطلاقه"

وليس لنا من حاجة في إيراد هذه المقولات، إلا أنها تمثل على الأقل شهادة بمكانة هؤلاء العلماء والشعراء في الأوساط العلمية والأدبية .

ولقد قامت المحاضر بدور كبير في الحفاظ على الهوية الإسلامية في هذه الناحية من العالم العربي والإسلامي، فصمدت أمام جيوش الاحتلال الفرنسي، وأفشلت جل مخططاته وأهدافه الرامية إلى مسخ الشخصية الإسلامية وإخضاعها للغزو الاستعماري البغيض .

الإصلاحية في الدين والسياسة، وتتلمذ له نابغة مصر محمد عبده، كان عارفا باللغات، كثير الأسفار، اصطدم بعدة حكومات، مرض بالسرطان، وقيل دس له السم فتوفي سنة 1315، ونقل رفاته إلى أفغانستان. انظر الأعلام للزركلي، 169.168/6.

(1) – محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني، مفتى الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلامي، قال أحد من كتبوا عنه: (تتلخص رسالة حياته في أمرين: الدعوة إلى تحرير الفكر من قيد التقليد، ثم التمييز بين ما للحكومة على الشعب من حق الطاعة، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة)، ولد في شنرا من قرى الغربية بمصر، ونشأ في محلة مصر بالبحيرة، وأحب في صباه الفروسية والرماية والسباحة، وتعلم بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم بالأزهر، وتصوف وتفلسف، وعمل في التعليم، وكتب في الصحف، ولا سيما جريدة "الوقائع المصرية" وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين، ولما احتل الإنكليز مصر ناوأهم، سجن ونفي إلى بلاد الشام، سافر إلى باريس فأصدر مع أستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة "العروة الوثقى" له مؤلفات عديدة، ت 1323هـ. انظر الأعلام للزركلي، 252/6.

(2) – محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، صاحب مجلة المنار، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتّاب العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، رحل إلى مصر فلازم الشيخ محمد عبده، أصبح مرجع الفتيا، في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة، توفي فجأة في سيارة كان راجعا بها من السويس إلى القاهرة سنة 1354، انظر الأعلام للزركلي 126/6.

(3) – محمود شهاب الدين أبو الثناء الحسيني الآلوسي (1270-1217)هـ(، 1854 – 1803)م، مفسر، ومحدث، وفقيه، وأديب، وشاعر، وهو مجتهد، تقلد الإفتاء ببلده عام 1248هـ، بموجب الفرمان السلطاني العثماني ثم عزل فانقطع للعلم. وتصدر للتدريس.

(4) – عثمان بن سند بن راشد بن عبد الله بن راشد الوائلي 1242)هـ1826 – م(، علامة في أدب العرب، ومؤرخ وشاعر ومن أشهر العلماء بالكويت وشبه الجزيرة العربية بالقرن الثالث عشر، له مؤلفات عديدة في مجالات عدة، خزانة التّواريخ النجديّة: عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام – (ج6، ص241) الطبعة الأولى 1419هـ/1999م.

(5) – المقولة لعبد اللطيف الدليشي الخالدي، انظر " بلاد شنقيط المنارة والرباط، عرض للحياة العلمية، والإشعاع الثقافي، والجهاد الديني، من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر) للخليل النحوي، ط المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987، ص 3.

ولقد كتب الأديب الكبير الخليل النحوي فصولا ممتعة في الجهاد العلمي للمحاضر، ومقاومتها للاستعمار، أغناها بالنصوص الشعرية والنثرية، فأعطت صورة واضحة عن المحضرة الشنقيطية وإبداعاتها ومميزاتها، وأضافت جديدا طالما انتظره الباحثون المتعطشون على معرفة أدنى المعلومات عن مجتمع خالف النظرية الخلدونية القائلة بأن " الثقافة هي سليلة العمران" فليرجع إلى ذلك الكتاب مَنْ أراد الاطلاع أكثر على هذا الموضوع . [1]

وهكذا ففي بداية القرن العاشر وحتى نهاية القرن 13 عشر الهجري، شهدت شنقيط نهضة ثقافية شاملة، فانتشرت المحاضر في أرجاء البلاد، وأقبل الناس عليها بشغف، فكان لهم في رحابها رهبانية علم وجهاد ثقافي كبير وعطاء ثري: شعرا ونثرا، غير أن الملاحظ أنهم وقد انصرفوا إلى ما هو عندهم أجدى وأنفع من ضروب النشاط المعرفي، لم يُعْنَوْا بتدوين حركتهم العلمية والتأريخ لها وتوثيق أحداثها، إلا شذرات قليلةً متفرقة كادت الأيام تلوى بها، ولعله من المبشر أن أبناء شنقيط في الآونة الأخيرة بدؤوا يُوَلُّون وجوههم شطر هذا الإرث الحضاري التليد، الزاخر بالعلم والمعرفة المتنوعة، مما أتحفنا بكتب من قبيل حياة موريتانيا للعلامة المختار بن حامد، وبلاد شنقيط المنارة والرباط للخليل النحوي، وكتب محمد المختار ولد اباه.. إلخ .

ورغم ذلك كله فإن الفراغ أكبر من أن تملأه هذه الأعمال العلمية القيمة، فما زال الضباب يلف جوانب كثيرة من تاريخ الحياة العلمية الثقافية الشنقيطية، ويد الْبِلى تلاحق ذخائر التراث هناك، والصدور التي تكنز العلم وتحفظ ذكريات " المحضرة" لا تفتأ تتناقص يوما بعد يوم، وفي ذلك خسارة قومية أكيدة، تشكل مواجهتُها عبئا كبيرا لا بد أن يكون قوميا هو الآخر[2] .

غير أن ما يستحق الإكبار حقيقة هو تمسك الشناقطة وتشبثهم بالعلم والمعرفة في عسرهم ويسرهم ومنشطهم ومكرههم، فلقد كان العلم في بلاد شنقيط ينمو وهو يصطلي نار الحرب، وكان إذا أثخنته الجراح ومزقت جسمه السهام، يستعيد قوته وحيويته بسرعة البرق، ولعل من الخصائص

(1) – المرجع السابق، بلاد شنقيط المنارة والرباط، الخليل النحوي (من الصفحة 48 إلى نهاية الكتاب).

(2) – مقتبس من مقدمة الخليل النحوي لكتابه المنارة والرباط، ص 12.

الفارقة للثقافة المحضرية الشنقيطية أنها نمت وازدهرت في ظروف عاصفة، فلم تكن الاضطرابات والحروب القبلية التي أثخنت جسم المجتمع الشنقيطي منذ نهاية القرن الخامس الهجري إلى أوائل القرن الرابع عشر لتشل حركة العلم، خلافا لما كان عليه الشأن في مراكز الثقافة العربية في بلاد الإسلام الأخري، فهذه جامعة القرويين، وهي أدني الجامعات العريقة شُقة إلى بلاد شنقيط، كانت تعطل الدراسة عندما تضطرب الظروف الأمنية، وحدث ذلك بسبب حروب في الأندلس بعيدة الشقة .

أما في بلاد شنقيط فقد كان الحي البدوي يظعن راحلا في وجه الخطر فترتحل معه المحضرة وتتواصل الدراسة على ظهور العيس وفي حالة السير، ولعل أبرز مثال على حيوية العلم في بلاد شنقيط وصموده في معمعان الحرب، وضْعيَّتُه أيام المواجهة الساخنة بين الزوايا وبني حسان خلال حرب شرببه الشهيرة . [1]

وكانت هذه الحرب مهما تعددت أسبابها ثمرةَ حركةٍ علمية أقنعت مجموعات قبلية بضرورة إقامة الدولة والحكم بشرع الله والدعوة إليه وتعليم الناس ما جهلوا منه .

وهكذا فقد أثخنت الحروب المجتمع الصحراوي، ونتج عنها دمار كبير، ولكن كان فيها إثم كبير ومنافع للناس، فقد كانت الحروب والنزاعات القبيلة سببا مباشرا في تعمير الأرض ونشأة بعض الحواضر التي أصبحت مراكز إشعاع ثقافي وديني تستقطب الناس .

وكأمثلة على ذلك نذكر بأن خراب (آبير) بعد ارتكاب يحيى العلوي جريمة القتل فيها كان سببا مباشرا في ازدهار مدينة شنقيط التي تصدرت الساحة الثقافية خلال ثلاثة قرون تقريبا .

وكان لخراب تنبكتو والعواصف التي هبت عليها في عهد السونغاي أثر مباشر في ازدهار ولاته التي انتقلت إليها أيضا عمارة جارتها تازخت ضحية الحروب .

وقامت وادان على أنقاض مدن احترب أهلها حتى تركوها خرابا، ودبت النزاعات والحروب في صفوف أهل شنقيط أكثر من مرة، فنزحت منهم طوائف أسست حواضر علمية جديدة مثل: أطار،

(1) - هي حرب طاحنة قامت بين قبائل بني حسان من جهة، وقبائل صنهاجة بقيادة الإمام ناصر الدين، دامت أزيد من عشرين سنة، وأسفرت عن هزيمة معسكر ناصر الدين. انظر حماه الله مرجع سابق، ص 86.

وأوجفت، وتجكجة، وأمم ضربت في أطراف البادية فأسست المحاضر ونشرت العلم فيها بعد أن كان رهين الحواضر .[1]

ونظرا لارتباط موضوع البحث بمدينة ولاته أكثر من غيرها من المدن التاريخية الشنقيطية فإننا سنركز الحديث عن الدور الثقافي والعلمي الذي اضطلعت به مدينة ولاته عبر التاريخ، وخصوصا في عصر العلامة محمد يحيى الولاتي، أي في أواسط القرن 13 وبدايات القرن 14 .

فمن المعلوم أن مدينة ولاته كان لها دور ثقافي كبير لا في منطقتها فحسب، وإنما في محيطها القريب والبعيد على حد سواء، فلقد تميزت بمنظومة تعليمية فذة مكنتها من أن تتبوأ مكانتها السامية بين المدن العلمية التاريخية .

وللحديث عن هذه المنظومة، فإننا سنحاول إعطاء نبذة مقتضبة عنها اعتمادا على ما كتبه المؤرخون والباحثون قديما وحديثا عن هذه المدينة، ومنظومتها التعليمية الرائدة، حيث يذكر الباحثون أن مدينة ولاته كانت معروفة بالكثير من النشاطات الثقافية والدينية، واشتهر سكانها بالإقبال على التعلم ذكورا وإناثا، أحرارا وعبيدا، وليس ببعيد عنا أن العلامة محمد يحيى الولاتي قد أخذ القرآن على مولى لقبيلة المحاجيب ـ مما يدل على إشاعة الثقافة والعلم في المجتمع الولاتي ككل، وهكذا فقد كان أهل ولاته شديدي الحرص على التعلم والعمل بالعلم، وتوجد في كل حي من أحياء المدينة محضرة، هذا بالإضافة إلى تعدد " دُورِ التلاميذ " ومن الثقافات السائدة عندهم أن كل شاب وصل مرحلة البلوغ يجب عليه أن يلتحق بدار التلاميذ ليتعلم فرض عينه، ويعاب إذا أقدم على عمل قبل أن يعرف حكم الله فيه، وهذه عادة متبعة في المجتمع الولاتي، والخارج عليها يعتبر خارجا على المجتمع، ويصبح منبوذا ـ ولهم في ذلك أدب فصيح وشعبي ينتقد الشباب الذين قدموا على الزواج قبل أن يتعلموا، فليرجع من أراد معرفة ذلك إلى كتاب الأستاذ سداتي ولد بابيه[2] .

ويذكر الباحثون عن المنظومة التعليمية المتبعة عند أهل ولاته أن هناك مستويان يمر بهما طالب

(1) - مرجع سابق، بلاد شنقيط المنارة والرباط، ص 105.

(2) - ولاته من الحاضر إلى الماضي، الأستاذ سداتي ولد بابيه، ص 36.35.

العلم في مدينة ولاته:

المستوى الأول: ورواده الصبيان في الغالب، فيبدؤون في ولوج ما يسمى ب " دُورِ الطلبة"، وهي صنفان: قسم خاص بالذكور، وآخر خاص بالإناث ويدرسهن نسوة، وهذه الدّورُ عبارة عن كُتّاب يتعلم فيه الطفل القراءة ثم يبدأ بتعلم القرآن، ويتم تأديب الطالب بالتوبيخ والضرب في حالة التقصير، ولتسهيل حفظ القرآن فإن الولاتيين يعتمدون الطريقة التالية: يحفظ القرآن أولا في شكل أجزاء، وكلما حفظ الطالب جزءا توقف عن تكراره وانتقل إلى الجزء الموالي حتى يحفظ القرآن كله، فإذا أكمل حفظه مجزأ، أعاد حفظه من جديد لكن دون تجزئة، بل يحفظه متواصلا إلى نهايته، ثم يبدأ في دراسة علوم القرآن بادئا برسمه، ثم مقرئه، ومتشابهه، ويمر أثناء ذلك باختبارات دقيقة، تارة من قبل الشيخ المعلم، وتارة أخرى من قبل زملائه في الدراسة، ويحصل بعد النجاح في كل تلك الاختبارات على إجازة في مقرأ نافع بروايتي ورش وقالون، ومنهم من يتعمق أكثر فيدرس القراءات السبع المعتمدة، ليصبح حاملا لإجازة السبع، وقد يتوسع ليكمل العشرة المتعارف عليها، وليس للبرنامج التعليمي عندهم مدة زمنية ينفذ فيها، بل المعتمد عندهم التمكن من حفظ النصوص وفهمها وتمثلها واستحضارها عند الجواب على الأسئلة والاستشهاد بها، لذا فلا حرج على الطالب أن يعيد الكتاب مرتين أو ثلاثة لاستيعابه، وهناك كتب معتمدة هي التي تتم دراستها في هذا المستوى لا نطيل بذكرها، ومن أراد الاطلاع أكثر على ذلك فلينظر " المنارة والرباط"، و" حياة موريتانيا الثقافية" .

المستوى الثاني: بعد إكمال الطالب للمستوى الأول يلتحق بالمستوى الثاني الذي يتميز بنظام خاص وببرامج تعليمية شبه منظمة في مؤسسات تعليمية معروفة، تمارس فيها هذه الأنشطة التعليمية، في المستوى العالي: وهي باختصار:

1ـ دور التلاميذ: وهي جامعات أهلية موزعة على أحياء المدينة التي لها في الأصل بعد قبلي، فكل حارة تتسمى بقبيلة تشكل أغلب ساكنتها ولها دار تلاميذها .

2ـ النوادي: التي تشكل هي الأخرى فضاء للتعلم، حيث يتركز النشاط التعليمي فيها على دراسة سيرة المصطفى ﷺ، ولهم كتب خاصة في السيرة يعتمدون عليها في دراسة السيرة النبوية، ككتب ابن

سيد الناس والكلاعي، وكذلك يعتنون في هذه النوادي بمدائح الرسول ﷺ، خصوصا في شهر رمضان، حيث يتم سرد كتاب " الشفا للقاضي عياض" وقت الضحى مجزأ على 29 جزء، ويختمونه يوم 29 من رمضان ويسمونه يوم ختم " الشفا"، وفي هذه النوادي يتبارى الأقران في مختلف المعارف .

3ـ حلق تدريس الحديث: تلتئم الحلقة بعد صلاة العصر في دار الشيخ المحدث وروادها من طالبي إجازة الحديث، والراغبين في الاستفادة والاستزادة، مما يمكن فهمه أو استنباطه من الحديث، وفي هذه الحلقة يُسرد صحيح البخاري، وصحيح مسلم أساسا، ويتبعون في ذلك الطريقة التالية:

يقوم الطالب المترشح للإجازة بقراءة الحديث، والشيخ يستمع، ويقوم طالبان آخران بمسك كتب تفسير الحديث، مثلا يمسك أحدهما إرشاد الساري للقسطلاني، وفيه إعراب أحاديث المصطفي، ويمسك الثاني فتح الباري لابن حجر العسقلاني، وفيه معاني حديث البخاري، وبعد تأكد الشيخ من كفاءة المترشح من ناحية إعراب الحديث وفهمه، يأذن له في دراسة مصطلح الحديث، فإذا أتقنه يعطيه بعد ذلك الإجازة، ويصبح بإمكانه هو الآخر ترأس حلقة الحديث وأن يعطي الإجازة بدوره .

3ـ المسجد: ويضطلع هو الآخر بدور تعليمي أكاديمي منظم، وقد بنيت في ولاته أروقة للأنشطة التعليمية متصلة بالمسجد وليس لها حكم المسجد، وهي مخصصة لدراسة الحديث النبوي، وتفسير القرآن الكريم، والسيرة النبوية، ومدائح الرسول ﷺ، حيث تعقد عدة حلقات في أوقات وأزمان مختلفة لدراسة تفسير القرآن الكريم، وتفسير الحديث الشريف معتمدين في ذلك على الصحيحين وموطأ الإمام مالك، وذلك بحضور رواد المسجد خاصة المهتمون منهم بالعلم، ويفعلون الشيء نفسه مع السيرة والمدائح النبوية .

أما عن البرامج التعليمية فإنهم يتناولون شتى العلوم المتعارف عليها آنذاك، من علم الكلام والتصوف والفقه: أصوله وقواعده وفروعه والسيرة والتاريخ والأنساب والأخلاق وآداب السلوك واللغة والأدب: دواوين الشعر المتون النثرية (مثل المقامات) والنحو والصرف والعروض والقوافي والبلاغة: المعاني والبديع والبيان والمنطق [1] .

خلاصة: بناء على ما سبق ندرك بجلاء أنه لمْ يُقدِّر مجتمعٌ الثقافةَ في ظل الدولة وفي غيابها كما كان الشناقطة يقدرونها، فلقد كان العلم لهم وطنا وحسبا ونسبا، وبالعلم ـ لا بالعرق والسلالة ـ تبلورت بنية المجتمع الشنقيطي، فشعر الهاشميون والفوتيون، والأمويون، والصنهاجيون ـ وقد أخذوا الكتاب بقوة، وآووا من المعرفة إلى ركن شديد ـأنهم وإن كانوا أولاد أخياف، ذرية بعضها من بعض، تؤلف بينها أم حنون، ولقد حسمت الثقافة العربية الإسلامية في بلاد شنقيط خلاف المؤرخين والنسابة في أصول صنهاجة، فأعلن القوم وهم يحتضنون اللغة العربية: تعليما وتعلما وتأليفا وشعرا، منسلخين مما عداها أنهم عرب أقحاح، وقطعت جهيزة كل خطيب، ولقد حملت البادية بهؤلاء القوم لواء الحركة العلمية العربية والإسلامية، فتبين في مضارب البدو عند الشناقطة، أن العلم عند العرب ليس ربيب الحضارة، بل هو توأم الإنسان يلازمه ملازمة الظل والترحال، وبالعلم والمعرفة كانت للشناقطة فتوحات في أعماق إفريقيا، ونفحات في البلاد العربية وآسيا، وكان السيف والقلم لديهم رضيعيْ لبان وفرسيْ رهان، على أن للقلم عندهم صولة لم تكن للسيف . [2]

(1) - تاريخ الأدب الموريتاني: خلاصة جهود تأريخه وتأصيله وتصنيفه. ولد حبيب الله أحمد، اتحاد الكتاب العرب، , 1996 –ص83.
والحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية، 1800 – 1956: محمد ظريف. جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الانسانية بالمحمدية، 2002 ص153.

(2) - مرجع سابق، بلاد شنقيط، المنارة والرباط، ص 11.

وهكذا ففي بداية القرن العاشر وحتى نهاية القرن 13 عشر الهجري شهدت شنقيط نهضة ثقافية شاملة، فانتشرت المحاضر في أرجاء البلاد، وتنوعت المعارف، وأقبل الناس على العلم يتنافسون في الاغتراف منه، وكان لمدينة ولاته حظها الكبير من ذلك، فخلد لنا التاريخ أسماء لامعة من أبنائها نبغوا في هذا الشأن، ونستشف أيضا من هذا كله أن مدينة ولاته ضاربة في أعماق التاريخ، وقد ازدهرت عمرانيا وثقافيا وسكنها الخيار من الناس ووفد إليها العلماء، فشكلت حلقة ثقافية مضيئة، شع نورها على محيطها القريب والبعيد، فتمكنت من تحقيق التواصل بين الغرب الإسلامي والسودان، حتى كادت تضاهي في عطائها العلمي كبريات الحواضر الإسلامية، حتى قال شاعرها محمد الحسن بن محمد يحي:

كأنهـــا مصـــر أو فـــاس وقرطبـــة وجلّـــق الشـــام في علـــم ومتجـــر

فما هي إلا بلدة طيبة أنبتت بإذن ربها ثمرا طيبا، علماءَ نجباء تميزوا بعطائهم العلمي، وما الشيخ محمد يحيى الولاتي إلا شجرة طيبة من نبتها، أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها[1].

(1) – التصوف والتقريب الطائفي: بين مصادرة الحق وتضارب الأولويات: أعمال ندوة تيكماطين للفكر الاسلامي الدورة الخامسة 8 و9 و10 يوليو 2005، تيكماطين، موريتانيا، المركز الافريقي للدراسات والأبحاث الصوفية بتكماطين بالتعاون مع منظمة آل البيت، 2006، ص42.

المطلب الثالث: الحياة السياسية

من المعلوم أن الإسلام قد وصل إلى بلاد المغرب بصفة عامة في القرن الأول للهجرة، وذلك عن طريق الغزوات التي قادها الفاتحون لمنطقة شمال إفريقيا والأندلس، أمثال: معاوية بن خديج الكندي، [1] وعقبة بن نافع الفهري، [2] وموسى بن نصير[3] وغيرهم، وقد اختلف في تاريخ فتح موريتانيا، وفي القائد الذي فتحها، فبعض الروايات تنص على أن عقبة بن نافع في ولايته الأولى افتتح منها مناطق، حتى وصل إلى وادان وما وراءها من الواحات الجنوبية، وينكر آخرون ذلك، غير أن المعروف في التاريخ أن عقبة بن نافع في ولايته الثانية على إفريقية من قبل يزيد بن معاوية، قد اكتسح المنطقة حتى وصل إلى موريتانيا، واستشهد وهو عائد من هذه الغزوة إلى القيروان عام 36 أو 64ه وعليه فإن من المقبول أن يكون الإسلام دخل المنطقة في هذه الغزوة، فذلك أقرب إلى الحقائق التاريخية وإن لم يكن حاسما بدوره، بل إن بعض الروايات تشير إلى أن عقبة بن نافع واصل سيره من السوس حتى وصل ولاته، وقبره بصحن مسجدها الذي هو بانيه . [4]

وهكذا فقد بقي الإسلام حيا في قبائل الصحراء على وهن منهم في شأنه وضيق اطلاع، وفي القرن الثالث الهجري بدأت قبائل صنهاجة تنظم شأنها وتحكم أمرها، فاجتمعت حول الأمير تميم اللمتوني، وتحت راية الإسلام، داعية إلى تثبيت أركانه فيما بينها وإلى نشره فيمن حولها، فاستطاعت أن تزعزع أركان إمبراطورية غانا الكبيرة، واحتلت مدينة أودغست، واستطاعت " كدالة" في الجنوب

---

(1) – معاوية بن خديج الكندي الخولاني المصري، صحابي، على قول الأكثرين، شهد فتح مصر، وقام بفتوحات في بلاد المغرب، وذهبت عينه في قتاله مع البربر، توفي سنة 52هـ.، انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين بن الأثير المتوفي سنة 630، تحقيق وتعليق الشيخ على محمد معوّض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. (باب الميم والعين) 5/199.198.

(2) – ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا تصح له صحبة، بعثه معاوية بن أبي سفيان إلى إفريقية، فافتتحها واختط مدينة القيروان، وبناها، وغزا أقواما من البربر والروم، وقتل شهيدا عام 63هـ، قتله كسيلة بن لمرم، انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة، 1/778.

(3) – هو أبو عبد الرحمن موسي بن نصير اللخمي مولاهم، افتتح بلاد المغرب والأندلس، وغنم أموالا لا تعد ولا توصف، له مقامات مشهورة هائلة، وكان ذا رأي وتدبير وحزم، وخبرة بالحرب، ت 98هـ. انظر تاريخ إفريقيا والمغرب، للرقيق القيرواني، تحقيق: المنجي الكعبي، طبعة تونس 1967م، ص 89.68.

(4) – انظر "السلفية وأعلامها في موريتانيا"، الطيب بن عمر، ص 66. 67.

الغربي من البلاد أن تسيطر على مناطق كانت تحتها قبائل البافور .

وبعد قرن من حملة تميم اللمتوني حج الأمير يحيى بن إبراهيم الكدالي، [1] فكان من عاقبة حجه رشدا وخيرا لأهل الصحراء، فقد عاد ومعه أول معلم حفظ لنا التاريخ ذكره، منتدب للقيام بمهمة التعليم والتربية في القبائل الصنهاجية .

وكان الرباط الذي أسسه الفقيه المجاهد عبد الله بن ياسين منطلق دولة المرابطين التي نشرت الإسلام وأرست قواعده في النفوس، حتى تعقله أهل الصحراء وتعلقوا به صادقين .

وقد ترك اختفاء دولة المرابطين فراغا سياسيا ودينيا، حاول العرب والزوايا ـ كل من جانبه ـ أن يسدّوه[2] .

وهكذا فبعد رجوع يحيى بن إبراهيم الكدالي من أداء فريضة الحج، اجتمع في القيروان بأبي عمران الفاسي[3] وشكا إليه ما تعانيه صنهاجة الموريتانية من الجهل بشؤون الدين الحنيف وتعاليمه، وسأله أن يبعث معه أحد تلاميذه ليعلمهم أمر دينهم، فعرض الشيخ أبو عمران الفاسي على تلاميذه هذا الأمر، فلم يستجب منهم أحد، فكتب له رسالة إلى فقيه من تلاميذه بسجلماسة جنوبي المغرب الأقصي هو محمد وجّاج أو وقّاق بن زلّو اللّمطي، [4] وطلب إليه في رسالته أن يعرض الأمر على تلاميذه لعل واحدا منهم يقبل المسير مع يحيى الكدالي، فقبله فقيه تقي ورع يدعى عبد الله بن ياسين الجزولي، فرجع يحيى الكدالي إلى قومه بهذا الفقيه، فأخذ يحفظهم القرآن ويفقههم في تعاليم الدين الحنيف، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر فالتفوا حوله، وبعد فترة ازورّوا عنه، وتوفي حاميه يحيى الكدالي، فأجمعوا على الانصراف عنه، لما يأخذهم به من مشاق التكاليف الدينية، فأخذ يفكر

---

(1) – نفسه.

(2) – مرجع سابق، بلاد شنقيط، المنارة والرباط، الخليل النحوي، ص 31.

(3) – أبو عمران الفاسي (ت430 هـ) حافظ المذهب المالكي، أحد فطاحل المذهب المالكي بالغرب الإسلامي الذي كان له الأثر البارز في إرساء وتوطيد دعائم هذا المذهب.

(4) – هو وجّاج بن زلّو اللمطي: رحل إلى القيروان فأخذ عن أبي عمران الفاسي، ثم عاد إلى بلاده في السوس الأقصى، وبنى بها دارا لطلبة العلم سماها دار المرابطين، وكان من أهل الصلاح والتقوى...، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، لأبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي، المعروف بابن الزيات، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 2، 1997، ص 89.

في تركهم والرجوع إلى أهله، غير أن زعيما منهم يدعى يحيى بن عمر[1] أشار عليه أن يعتزل معه للعبادة والنسك في جزيرة على مقربة من مصب نهر السنغال، فبني بها هو والقلة التي ذهبت معه رباطا للنسك، وأخذ البقية يلتحقون بهم شيئا فشيئا إلى أن وصل عددهم إلى ألف رجل، فقال عبد الله بن ياسين قولته الشهيرة " إن ألفا لن يغلبوا من قلة وقد تعين علينا أيها المرابطون القيام بالحق والدعاء إليه"، [2] وحَمْل الكافة عليه، وبهذا سماهم المرابطون، وجعل أمرهم في الحرب إلى الأمير يحي بن عمر اللمتوني، وقَتل هُو ويحيى مَن استعصى على الحق من قبائل صنهاجة الموريتانية، ومضيا يدعوان إلى الإسلام في سودانيي التكرور، وحوض السنغال الأدنى، وما وراءه من بلاد السودان الغربي في غانة، وغير غانة، وبعد أن أرسل إليهما فقهاء سجلماسة ودرعة بضرورة الذهاب إليهم لإزاحة ما تفشى من المنكرات، لبيا ذلك النداء وتوجها بجيش جرار إليهم وتم لهما النصر، ثم عادوا إلى صحراء موريتانيا وإلى جهاد الوثنيين في بلاد السودان، وتوفي الأمير يحيى بن عمر، وقدّم عبدُ الله بن ياسين أخاه أبا بكر بن عمر اللمتوني[3] مكانه وقلده أمر الحرب، فقام بالأمر أحسن قيام، فأخذ في الجهاد والتوغل في المغرب الأقصي، إلى أن جاءه خبر خلاف نشب بين قبيلتي لمتونة ومسوفة، وخشي افتراق الكلمة، فخرج إليهم، واستعمل على المغرب الأقصي ابن عمه يوسف بن تاشفين الذي أقام دولة المرابطين في مراكش، ومنذ ذلك الحين انقسمت دولة المرابطين قسمين: شمالية وجنوبية .

والقسم الجنوبي ظل يقوده المجاهد البطل أبو بكر بن عمر الذي استطاع نشر الإسلام في جميع

---

(1) - يحي بن عمر بن تكلالين اللمتوني أبو زكريا مؤسس دولة المرابطين في المغرب الأقصى، كان من رؤساء "لمتونة" في الصحراء، وهو الذي طلب من أبي عمران الفاسي أن يرسل معهم من يفقههم في الدين ففعل، قتل في درعه سنة 447 ومعه بشر كثير، قام بعده بأمر لمتونه ومن والاها أخوه أبو بكر بن عمر، انظر الأعلام للزركلي، 157/8.

(2) - انظر الأعلام للزركلي 156/8.

(3) - من رؤساء دولة المرابطين في المغرب، كان رجلا صالحا ورعا، شارك في دعوة المرابطين منذ بدايتها، وقد استولى على سجلماسة وملك السوس بأسره، ثم امتلك بلاد المصامدة وفتح بلاد أغمات وتادله وتامسنا، وقاتل البجلية من شيعة عبيد الله المهدي وقبائل برغواطه، وكان في كل هذا إلى جانب سيد المرابطين عبد الله بن ياسين، اتفق رأي الناس عليه بعد موت عبد الله بن ياسين، فوّض إلى ابن عمه يوسف بن تاشفين أمر المغرب، وارتحل هو إلى الصحراء ليصلح بين القوم، قتل شهيدا في حرب مع السودان، الأعلام للزركلي، 68/2.

أرجاء إفريقيا المدارية، حتى أبواب إفريقيا الاستوائية، وقد بدأ بالتكرور ومنطقة نهر السنغال الأدنى، وانضموا إلى جيشه في حماس بالغ، حتى استطاع فتح غانة والاستيلاء عليها ونشر الإسلام فيها، وصحيح أن كل تلك البلاد كان قد دخلها الإسلام على أيدي التجار والقبائل الصنهاجية قبل أبي بكر بن عمر، ولكن كانت كثرة أهلها ما عدا التكرور وثنية، أما أبو بكر بن عامر فإنه أحالها بلادا إسلامية إلى اليوم، إلا أن استشهاد أبي بكر كان له الأثر البالغ على دعوة المرابطين، فلقد عادت هذه الشعوب إلى الاستقلال عن دولة المرابطين، وعاد الازدهار لمملكة غانة من جديد، وظلت صاحبة السيادة والنفوذ في كل البلاد والأراضي الواقعة بين نهر النيجر والمحيط الأطلسي، وتبعها الشطر الجنوبي من موريتانيا ومدينة أودغست وولاته، وكانت قبيلة الصوصو تنزل جنوبيها وتخضع لها وتدفع لها الجزية، إذ كانت وثنية، وما زالت تقوى حتى استطاعت القضاء على غانة والاستيلاء على عاصمتها كومبي صالح، وفر من العاصمة فريق من المسلمين إلى مدينة ولاته، وأصبحت من أهم المراكز التجارية في إفريقية الغربية كما مر معنا سابقا، وبعد فترة تقدر بثلاثين عاما استطاعت " مالى" أن تحكم سيطرتها على دولة الصوصو وتوسع حكمها في المنطقة، ومن المرجح أن تكون ولاته قد دخلت في حكم الأمراء الماليين الذين تعاقبوا على الدولة، وقد كانت تلك الفترة مرحلة ضعف مدينة ولاته، إلى أن استولت أسرة إسكيا بزعامة " سن علي" على مدينة تمبكتو، مما جعل فقهاءها يفرون إلى ولاته، فأخذت في الرقي والازدهار الحضاري والعلمي .

ولقد زار الحسن الوزّاني ولاته في عهده، وقال إنها تابعة لملك تمبكتو وتدفع له ضريبة محددة، وأثناء حديثه عن جغرافيتها ذكر أن كل تنظيم مدني مجهول بها، فلا قضاة ولا حكومة منظمة، إذ كانت قبيلة مسوفة فيها لا تزال تعيش معيشة قبلية .

ونعلم كذلك أيضا أن المنصور رأى أن يرسل إلى بلاد موريتانيا والسودان رجالا كثيرين، وخيلا من عرب المعقل وجشم، أهل الشوكة والنجدة لحراسة ما استولى عليه جيشه من تلك الديار، ولباه من عرب المعقل حسان وغيرها، وتغلغلت قبائل حسان في كل مناطق موريتانيا، وكان ذلك مكسبا

كبيرا لموريتانيا لأنهم كانوا عربا، وأخذت تتعرب من حينئذ، أي من أول القرن العاشر الهجري[1] .

وما إن وصلت هذه القبائل إلى بلاد شنقيط حتى بدأت فتحها للصحراء، وتطهيرها من الحاميات البرتغالية التي كانت ترابط على هضبة آدرار، بهدف السيطرة على طرق القوافل بين الشمال والجنوب، كما أنهم وجدوا البلاد في وضعية مزرية من الناحية الدينية والاجتماعية والسياسية، نظرا لضعف العقائد وسيطرة الأعراف والعادات المنافية للدين، وذلك كله ناتج عن سيطرة مماليك السودان على الحواضر، مثل ولاته وغيرها، والذين تم جلاؤهم مع تقدم معقل في اتجاه الجنوب الشرقي، وحيث استقر بعض بني دليم وبني داود(**بنو زيد، وعلوش، وأبي ردة**) هؤلاء الذين ستزدهر على أيديهم الحركة العلمية في جنوب شرقي البلاد، والذين نناقش في هذا البحث أعمال أحد أعلامهم الكبار، وهو محمد يحيى الولاتي الداودي المعقلي .

وهكذا فإن قبائل المعقل بدأت فصل فتحها للصحراء بعد الفتوى التي أفتى بها الشيخ سيد امحمد الكنتي بغزو ابدوكل، حيث شرع لهم محاربة دولة ابدوكل، بشرط أن يرفعوا عنهم السيف إذا ما بلغوا منهم الحد وأمنوا شوكتهم، فوافقوه على ذلك وأعطوه عهودهم، وقد تم لهم ما أرادوا من هزيمة ابدوكل .

وكان من نتائج تلك الحرب أن توزعت حسان على مناطق الصحراء عنوة موزعينها إلى أقاليم، وقد فضلوا العيش بالصحراء لخوفهم من المدن التي تتسبب في الأوبئة، ولهم في ذلك تجربة مع مدن تونس والمغرب، ولم يرثوا بالصحراء مقومات دولة كما حدث لغيرهم من الأمراء الذين ورثوا دولا وقصورا كانت قائمة من مرابطين وموحدين ومرينيين وغيرهم .

وبعد هزيمة " ابدوكل" وإجلاء البرتغاليّين انتشروا على الحدود الدولية من جهة البحر، وقاوموا محاولات الأوربيين للدخول إلى البلاد، من برتغاليين، وهلنديين، وألمان، وإنجليز، وفرنسيين، وشكل بعضهم إمارات وأشباه إمارات، وتم استقرار البلاد على أيديهم فترة طويلة، وازدهرت

(1) - راجع عن هذه المعلومات مثلا: عصر الدول والإمارات، د شوقي ضيف ص (547. 551) وغيره.

الحركة العلمية والثقافية في عهودهم وعلى أيدي بعضهم[1] .

ورغم كل ما قاموا به من تضحيات فإنهم قد تعرضوا لشيء من عدم الإنصاف من قبل بعض الباحثين، بدأ ذلك بالطعن في نسبهم، واعتبارهم مخربين ومفسدين ولصوص، وقد استغل المستشرقون تلك المبالغات فحملوا على هذه القبائل العربية، ووصفوها بأقبح المواصفات، كذلك لم ينصفهم كثير من مؤرخي مماليك المغرب وإفريقيا، مع أنهم كانوا أهل نجدة للأمراء، من موحدين، ومرينيين، وسعديين، وجميع من تعاقب على حكم إفريقيا والمغرب، فلقد صدوا البيزيين حتى اعترف شاعرهم بذلك، كما أخروا ضياع الأندلس لفترة[2] .

وكذلك أخّرُوا احتلال موريتانيا التي ظل الأوروبيون يتربصون بها مدة خمسة قرون .

بعد ذلك فضل بعضهم وهم معقل، الحرية التي تكفلها لهم حياة البادية، ورفضوا الانصياع للملوك، وأقاموا إماراتهم التي تناسب نمط عيشهم، وقد استقر معقل منهم لفترة طويلة في المغرب الأوسط في الجزء الشمالي من الصحراء الإفريقية، حتى تمت لهم السيطرة على كل هذه الصحراء، حتى تخوم السودان الغربي في القرن الثامن للهجرة، وقد ذكر ذلك أكثر من مصدر، فحسن الوزان يقول إن الأداية الذين هم أبناء أدي بن حسان يقطنون: " الصحاري الواقعة بين وادان وولاته، ويبسطون نفوذهم على السودانيين، ولا يكاد يحصى عددهم، ويقدر المقاتلون منهم بسبعين ألفا[3]"

ومن ذلك الحين انتشرت ظاهرة الحروب القبلية، التي لم تنج منها بلدة، ويذكر ابن الأمين الشنقيطي أنها تبدأ ضعيفة، ثم تقوى وتستحكم بمرور الزمن، وقد غلبت هذه الحروب على حياتهم وألفوها منذ القرن العاشر، أي منذ نزول بني حسان، ولعل هذا هو السبب في عدم استقرار الحالة السياسية في البلاد، حيث لم تقم فيها دولة في ذلك الزمن، إذ لم تعمها وحدة بين قبائلها وسكان مدنها

(1) – للتذكير لا يمكن إحصاء علماء معقل، ومن أشهرهم وليس أولهم في بلاد الصحراء أندغ محمد بن ملوك بن الحاج الدليمي، ت995، ومدرسة آل زيد، ومنها شيخ الشيوخ الحاج الحسن بن آغبدي الزيدي، وابنه الحاج سيدي وآل أيجل، وهي أعرق المدارس في بلادنا في النحو والفقه.

(2) – (خضيري أحمد، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب، ص264، مكتبة مدبولي مصر ط الأولى، 1996)

(3) – وصف إفريقيا، للوزّان (محمد بن الحسن الوزان الفاسي) المعروف بليون الإفريقي ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية 1983 .الجزء الأول، ص 54.

قبل القرن العشرين، ولا نغفل أنه كانت توجد بعض الزعامات في بعض المدن العريقة كشنقيط وولاته وغيرهما، إلا أن هذه الزعامات زعامات ثقافية وليست سياسية .

وبالرجوع قليلا إلى مدينة ولاته للحديث عن الحياة السياسية فيها، نظرا لارتباط البحث بها أكثر، فيمكن الحديث عن تلك الدول التي تعاقبت على الحكم في منطقة السودان، والتي كان سلطانها غالبا ما يمتد حتى يصل مدينة ولاته، فلا تخلوا مدينة ولاته على مر التاريخ من تبعية لإحدى الدول السودانية قبل مجيء عرب المعقل، الذين خلصوها من تلك التبعية، وبسطوا نفوذهم عليها ـ كما تقدم معنا ـ

وإذا ما تجاوزنا ذلك التاريخ القديم، ودلفنا إلى عصر الولاتي، واستنطقناه عن الحالة السياسية التي كانت تعيشها المدينة، فإننا ندرك بجلاء، واعتمادا على ما كتبه العلامة الولاتي نفسه أن مدينة ولاته لم تحكمها سلطة مركزية منتظمة، إلا ما كان من أمر قبيلة مشظوف، التي تمثل زعامة كباقي الزعامات المنتشرة في بلاد شنقيط كلها يومئذ، بمعني أن مدينة ولاته كانت خاضعة لسيادة بعض الوجهاء وأهل الأموال ممن لا ينتمون لزعامة منظّمة ـ ولو قليلا ـ، وهذا ما حدا بالولاتي إلى أن ينتقد تصرفاتهم أشد انتقاد، ويفضح ممارساتهم في أكثر من مناسبة، فلقد حملهم مسؤولية تردي الأوضاع في المدينة في ذلك الحين من الدهر، ويجتهد في هذا المقام في إجلاء آيات تقصير هذه الفئة وعلامات انحلالها، وما يتبع ذلك من نتائج غير محمودة تنسحب آثارها على الدين والمجتمع[1] .

وهكذا نلقاه يعقد فصلا خاصا من كتابه " رسالة النصح والوفاء عن الحيف في فض المداراة على

(1) – كان للولاتي علاقاته الخاصة بهذه الكيانات السياسية لاسيما "إمارة مشظوف" حيث أيّد رئيس "مشظوف ترتيب الولاتي للقضاء، ولذا كان البعض يعتبره "قاضي نفسه، كما يظهر من كتاباته، لم يكن يسند شرعية ترتيبه في الإمارة"، مع أنه القضاء إلا إلى علمه وما يتعين عليه من التصدي للأمر في ظل انعدام السلطان وفساد الجماعة ينظر: الفقيه والمجتمع في الحواضر الصحراوية لعبد الودود ولد عبد الله جامعة نواكشوط، مجلة رفوف مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا، جامعة أدرار – الجزائر العدد الثامن — ديسمبر 2015ص180.

ويبدو أنه كان يرجح التحالف مع الزعامات البدوية المحاربة، ويحدوه الأمل في إصلاحها بالتوجيه والنصح والإرشاد للاستعانة بها في مواجهة الظلمة المتفقهين المتولين شؤون الحل والعقد في المدينة باعتبار أنه لا أمل في تقويم هؤلاء. وهذا ما يفسر موقفه من تجويز إيقاع العقوبة المالية بهدف ردع القوى العشائرية المتنفذة، "إذ لا يجوز إهمال الفجار والظلمة وتركهم بلا تعزير حيث تعذرت إقامة الحدود كما في البلاد السائبة" محمد المختار ولد السعد فقد تناول موضوع : " الفقهاء الشناقطة ومسألة العقوبة بالمال من خلال فتاوي محمد يحي الولاتي، منشورات: مركز البحوث والدراسات الولاتية –نواكشوط 2013، ص95-126.

أموال الضعفاء"[1] لبيان الشروط التي يجب توافرها في جماعة أهل الحل والعقد التي يمضى على العامة كل ما فعلت، ويجمل هذه الشروط في: العلم، والعدالة، والرأي، ليخلص في النهاية إلى أن هذه الشروط مفقودة في الجماعات التي تحكم مدينة ولاته، ويتمادي في فضح ما يراه من استخفاف هذه الجماعات بأمور الدين، وينتهي به الأمر إلى أن يحكم بصراحة أن العامة في حل من أمرهم .

إلا أننا وفي لحظة لاحقة نراه يؤسس لتحالف بينه وبين سلطة أهل امحيميد، التي تنتمي لقبيلة مشظوف الكبيرة، والتي كانت لها إمارة من أكبر الإمارات الموجودة في المنطقة آنذاك، وبما أن الأمر قد استتب لهذه الأسرة فإن العلامة محمد يحيى الولاتي رأي فيها خيرا لأهل المدينة، خصوصا أن هذه الأسرة عرف عنها من العدل والاستقامة ما لم يعرف عن غيرها في تلك الفترة، بمعني أنها كانت على العكس من الجماعات التي تولت الشأن العام لحاضرة ولاته قبل ذلك، وهكذا فقد عقد معهم ذلك التحالف، وقبل تولى مهمة القضاء، بعد أن قبلوا شروطه، المتمثلة في الانصياع لكل الأحكام التي يصدرها، وتعهدوا بتنفيذ الأحكام بصرامة، كما أخذ عليهم عهدا أن لا يقبلوا بدخول المستعمر البلاد، إلا بعد أن يحاط بهم من كل جانب، وقبلوا ذلك أيضا[2] .

و تثبت الوثائق أن العلاقة بينهم قد توطدت واستمرت إلى أن توفي العلامة محمد يحيى الولاتي،

ونخلص من كل هذا إلى أن مدينة ولاته في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، والعقود الثلاثة من الرابع عشر، قد شهدت فترة توتر من الناحية السياسية والاقتصادية، نظرا لتصاعد الفوضى السياسية وتعدد الإمارات فيها، وحروبها فيما بينها، بالإضافة إلى جماعة المحاربين الذين اتخذوا الغزو والنهب وسيلة للعيش فيها[3]، وقد ترتب على ذلك جو من الذعر والفزع أدى إلى هجرة الكثير من

(1) – قامت بتحقيقه الطالبة فتى بنت محمد عبد الله كلية الآداب جامعة نواكشوط السنة الجامعية 1995-1996.

(2) – مرجع سابق، " الولاتي سيرته ومآثره" للأستاذ حسني، ص 16.

(3) – لم يكن النهب والتلصص مقتصرا على البوادي فحسب بل إنه شمل المدن أيضا كما تصور ذلك فتوى محمد يحيى الولاتي بشأن عدم وجوب صلاة الجمعة في مدينة ولاتة لعدم أمنها وشدة ظاهرة الغصب والتلصص على سكانها حين يقول: " إنهم « من قديم الزمان لابد لهم من بدري ذي قرة يلجأون إليه ويحتمون بحماه وهم الآن جعلهم الله في حماية احمد محمود بن المحيميد. المدينة في مجتمع البداوة: التاريخ الاجتماعي لولاته خلال القرنين 18 و19 مع تقديم ونشر تاريخ ولاتة: معهد الدراسات الإفريقية، , 2002، ص23. الحركة الاصلاحية في بلاد شنقيط

السكان إلى حيث يتوفر الأمن والاستقرار[1]، بل إن البلاد كلها ـ وليست ولاته فقط ـ في عصر الولاتي كانت تتسم بمظاهر السيبة وغياب السلطان الزاجر، والطابع البدوي .

وبما أن واقع البلاد الاجتماعي والسياسي وما تولد عنه من فراغ سلطوي بنيوي، ومن اختلالات أمنية مضطربة، ومن انحراف واضح عن السلوك الديني، فإن العلامة الولاتي، وبعد أن صدع بالحق في وجه الجماعات التي تولت أمر الناس في ولاته، فإنه عمل على إيجاد بديل لهذه السلطة المنحرفة، ولو لم يكن بتلك المواصفات المرجوة، فما لا يدرك كله لا يترك جله، وما إن لاح له في الأفق وجود بديل، قد يكون أحسن مما سبق، حتى بادر في عقد تحالف معه، مع وضع شروط تحقق الصلاح والخير للبلاد والعباد، وهكذا فقد كان الولاتي يرجح التحالف مع الزعامات البدوية المحاربة، ويحدوه الأمل في إصلاحها بالتوجيه والنصح والإرشاد، للاستعانة بها في مواجهة الظلمة المتفقهين المتولين شؤون الحل والعقد في المدينة، باعتبار أنه لا أمل في تقويم هؤلاء الأخيرين، نظرا للتعصب والغرور ووضعهم في الحسبان أنهم من أهل العلم، ويظهر أيضا من كتاباته وخطاباته أنه كان يدرك مخاطر التغلغل الاستعماري الذي كان يهدد المنطقة كلها في تلك الفترة .

ونظرا لأن الولاتي كان يراهن على " التحالف مع الزعامات المحلية" لردع الفرنسيين عن اختراق الصحراء واحتلال حواضرها من جهة، ومواجهة الزعامات العرفية المحلية من جهة أخري، لبناء نظام مؤسس على الشريعة وقادر على الصمود، فقد تفطن مبكرا إلى خطورة تعامل نخبة من تجار المهجر مع الفرنسيين، ودعاهم إلى رفض الدخول في طاعة المستعمر مهما كانت الأحوال، لما يمثله ذلك من تمكين معنوي للوافد الجديد في نفوس سكان المدن الصحراوية نفسها، بما فيها ولاته حيث تتمتع جاليات التجار بنفوذ مادي واجتماعي كبيرين، وهذا يظهر الدور الكبير الذي كان يضطلع به الرجل خدمة للأمة والوطن، وهذا يؤكد لنا أن الولاتي كان من القادة السياسيين البارزين بالتعبير الحالي، ولا نستغرب إذا ألفينا بعض الباحثين الفرنسيين يصفه برئيس ولاته وزعيمها .

(موريتانيا) بين الاستجابة للاستعمار الفرنسي ودفاعه من خلال بعض الفتاوى والوثائق: بن حبيب الله، محمد يحيى. مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، 2006 –ص196.

(1) – مرجع سابق، "ولاته من الحاضر إلى الماضي" للأستاذ سداتي بن بابيه ص 107.

المبحث الثاني التعريف بالولاتي

إن الترجمة والتعريف بأي علم كان تستلزم ـ أول ما تستلزم ـ إلقاء الضوء على مركبات البيئة المحيطة به، والمؤثرات السياسية والاجتماعية والثقافية المختلفة التي تركت بصماتها لا محالةَ على الشخص المدروس وإنتاجه المعرفي ـ إن كان ـ وهو ما تم القيام به في المبحث الأول الموسوم بالتعريف بعصر المؤلف، وفي هذا المبحث أروم الوقوف على مختلف محطات حياة العلامة محمد يحيى الولاتي، الشخصية والعلمية، وقبل ذلك يجدر بنا أن نلقي نظرة فاحصة على المجتمع الولاتي في تلك الفترة ليسهل علينا استيعاب الأسباب التي جعلت هذا الرجل يتبنى رؤية من نوع خاص أكسبته شهرة وتميزا قل نظيرهما، فقد كان المجتمع الولاتي منتصف القرن التاسع عشر يعيش رخاء في المعيشة وبسطة في الرزق، وذلك بفضل القوافل الواصلة بينه وبلاد السودان، ورغم ذلك كانت تواجهه محن متعددة متمثلة في غارات بعض القبائل المحاربة، مما حدا بالولاتيّين إلى الانتظام في دفع المداراة حماية لممتلكاتهم، وقد كان للأوبئة والكوارث الطبيعية تأثيراتها .

ومن جانب آخر ظلت تأثيرات الثقافة الشرقية حاضرة من خلال جهود الزاوية المختارية الكنتية، كما كان للتجانية الفوتية حضورها .

وهكذا كان تشكل المجتمع المتعلم في هذا الفضاء يرتكز على قطبين: يتعهدان السلطة الزمنية والروحية وكان التجار ينفقون على مراكز العلم ويدفعون الهبات، ويشرفون على ترميم أماكن العبادة ويدارون بأموالهم القبائل المسيطرة والمغيرة، رغبة في توفير الحماية ودفعا بالمداراة عن أنفسهم وممتلكاتهم مما سمح لرموز هذه الطبقة بتغيير الكفة في حال حدوث اختلال في التوازن السياسي والاقتصادي .

ورغم ذلك ظلت السلطة الروحية والدينية، كالإمامة والقضاء تكتسي حصانة وقدسية، تنفع الناس في مآلهم، ويلجأ إليها الأمراء ورؤساء القبائل في تنظيم أمورهم الدينية .

ووفقا لهذه الازدواجية نشطت الحركة الثقافية العلمية والأدبية والاقتصادية تحت عناية ما يعرف

بأهل الحل والعقد .[1]

المطلب الأول: العوامل المؤثرة في حياته (اسمه، نسبه، نشأته، تربيته، تأثيرات محيطه عليه، أقوال العلماء فيه)

في هذا الجو المشحون بالتدافع على طلب المعارف وتحصيل الأرزاق ولد محمد يحيى بن محمد المختار بن الطالب عبد الله بن أحمد حاج سليل أسرة علم وأدب تعرف بأهل أبو تنتمي إلى قبيلة أولاد داود المنتسبة إلى جعفر بن أبي طالب ﷺ،[2] اشتهر في زمانه بلقب الفقيه علما انصرف إليه غلبة بينما عرف خارج موطنه بمحمد يحيى الولاتي نسبة إلى مدينة ولاته التي ولد بها سنة 1259هـ ـ 1843م وهي مدينة تقع في الجنوب الشرقي من موريتانيا، ومن الملاحظ أن زمان ولادته تباينت فيه أقوال الكاتبين عنه، فنجد تلميذه المرواني بن محمد المختار بن أهل أحمادو يؤكد أنه ولد في عام ست وخمسين ومائتين وألف 1256ه وتوفي ﷺ في آخر العام الموفي 1330ه بولاته، بينما نرى غيره يقول بولادته في عام تسع وخمسين ومائتين وألف، أما زمان الوفاة فمتفق عليه .

عاش ﷺ يتيما ترعاه أمه **(العزيزة)** في بيت أخواله أهل الحاج ببانه، وكانت ﷺ حريصة ـ كغيرها من الأمهات الأصيلات في قطره ـ على أن يبلغ ولدها من الشأو ما بلغ أجداده متمثلة تلك القناعة الراسخة لدى الأهل بأن الشرف الحقيقي هو شرف العلم والدين لا شرف الأصل والمحتد فهم يؤمنون بصدق بأن ((**مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**)) [3] ويدركون بأن آصرة العلم والدين هي

---

(1) – منقول بتصرف من بحث بعنوان " محمد يحي الولاتي: الإشعاع العلمي والتواصل الثقافي" للباحث في التراث عال بن مروان حفيد محمد يحي الولاتي، يوجد هذا البحث ضمن أعمال ندوة " محمد يحي الولاتي عالم التجديد والتواصل" ص 406.405.

(2) – اختلف المؤرخون في نسب القبائل الحسانية التي من ضمنها قبيلة الولاتي، فاعتبر ابن خلدون أنهم من من القبائل اليمنية، وينتهي نسبهم إلى قضاعة بن سليم أو قضاعة بن الحارث، غير أن رضا كحاله، وصاحب الاستقصاء، خالفا هذا الرأي، فاعتبرا أن بني حسان يرجع نسبهم إلى جعفر بن أبي طالب، وعلى هذا الرأي درج الفقيه محمد المختار بن الفقيه محمد يحي الولاتي، بعد أن ناقش رأي ابن خلدون المتقدم من عدة أوجه، قائلا: (وحيث كان بنو حسان ينتسبون قديما وحديثا إلى جعفر بن أبي طالب، وقامت القرائن القوية على صدقهم، ونقل الأئمة الأثبات ذلك، حرم علينا أن ننفيهم عن نسبهم بلا دليل) انظر " حياة موريتانيا الجغرافيا" للمختار بن حامد ت 1414هـ، ط جامعة محمد الخامس، منشورات معهد الدراسات الإفريقية في الرباط، معاجم وموسوعات، ص 102.100.

(3) – مصدر سابق، الجامع الصحيح للإمام مسلم، (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وعَلَى الذِّكْرِ،) الحديث رقم (2699)، 2074/4.

الأقوى من بين الأواصر كافة، وأن عروتهما هي الأوثق من بين العُرى قاطبة، وأنها الأدعي للتوطيد والتثبيت منها جميعا بتعبير حفيده الأستاذ حسني بن الفقيه . [1]

هذا ما كانت تدركه تلك الأم العاقلة حق الإدراك وتضعه نصب عينها، فحرصت كل الحرص على أن توفر لابنها كل الشروط التي تؤهله لأن يبقى موصولا بمجد آبائه الأفذاذ .

وهكذا فقد فكرت اقتداء بسنة حميدة درج عليها القوم في أن ترسله خارج موطنه الأصلي ليتلقي العلم على أيدي مشايخ المحاضر الموجودة في عصره، غير أنها عدلت عن ذلك القرار بمشورة من أحد صالحي قومه، ومفاد هذه المشورة هو أن محمد يحيى سيتبحر في العلم دون أن يبرح مدينة ولاته، ويشاء الله أن يتهيأ لولدها ما تقر به عينها، فيمده بذكاء خارق وحافظة قوية وسرعة فهم فائقة، ويحبب إليه الجد والمثابرة، ويجعله فوق كل ذلك برا بوالدته عطوفا على أخواته اليتيمات، فقد كان يقول عن نفسه " إنه ما قرأ شيئا يريد حفظه إلا حفظه وما حفظ شيئا ونسيه" ويقول أحد أشياخه: " أنا أقرئه اللقب وهو يقرئني المعني" كناية عن سرعة استيعابه للنصوص حتى لكأنه يعرف معانيها مسبقا ولا يحتاج إلا لمعرفة الألفاظ والمصطلحات .

وإذا كان معروفا لدى العقلاء أن من جد وجد ومن زرع حصد ومن صبر ظفر، فإن العلامة الولاتي فهم هذا حق الفهم وطبقه أحسن تطبيق، فهو الذي أثرت عنه مقولته الخالدة: " إن ضوء النهار ينبغي أن لا يضيع إلا في المطالعة والتدريس والتأليف" فضوء النهار يعتبره نعمة من نعم الله تعالى، وشكرها أن لا تضيع في غير المفيد .

كان رحمه الله مالكي المذهب، أشعري المعتقد، تجاني الطريقة . [2] إلا أن الواضح من خلال مؤلفاته وأجوبته ميله في أصول الدين إلى منهج السلف المبني على التفويض المستند إلى نصوص الشريعة وأدلتها، وهذا بطبيعة الحال لا ينفي كونه أشعريا، فبالرجوع إلى رسالته: " الأجوبة الشافية في علم الكلام" يظهر اتجاهه الأشعري، إلا أن له تحفظا واضحا وضوح الشمس في ضحاها على

(1) – العلامة الولاتي سيرته ومآثره، للأستاذ حسني بن الفقيه حفيد الولاتي، ص2، نسخة إلكترونية، كتبت عام 1986.02.01 .

(2) – المصدر السابق، الأستاذ حسني ص1 .

طريقة المتأخرين من الأشاعرة، بدليل ابتعاده عن المعالجات العقلية لمسائل أصول الدين، بل وتحذيره منها في أكثر من مرة .

وكذلك كان له موقف إيجابي من التصوف، بل إنه من أبرز أعلام الطريقة التجانية في عصره، ولا أدل على ذلك من تكرر نزوله بالزوايا الصوفية[1] بالمغرب وتونس إبان رحلته الحجازية الشهيرة، إلا أن هذا كله لا يحول بينه وبين بيان الحق إن اقتضت الحال ذلك، عندها لا يبالي بمخالفته للأشاعرة أو للمتصوفة، بل يبين الحق ويبرزه غير مكترث بما يترتب على ذلك من مخالفة للمدرسة الأشعرية، أو للفكر الصوفي، وعليه فإن أشعريته وتصوفه كأشعرية وتصوف الرعيل الأول تماما .

وهكذا فقد وقف العلامة محمد يحيى الولاتي قامة علمية نوهت بخصاله الألسن والأقلام، وحفت به منذ نشأته ظروف مواتية، كانت بمثابة المصعد الذي اعتلى به مراتب العلم والمعرفة، فهو أصيل ولاته إحدى العواصم الثقافية، وسليل عائلة علم وصلاح، تيتم صغيرا فرعته أمه " العزيزة" وحرصت على أن يسير ابنها على خطي أسلافه، فكان له ذلك بفضل ما أوتي من ذكاء استرجاعي وإبداعي وقّاد، يسر له سرعة الاستيعاب والحفظ، مع قدرة فائقة على الإثراء والإضافة والنبوغ المبكر، إلى جانب امتلاكه فنيات التقييم والنقد البناء في كل ما تلقاه من علوم، سواء من المكتبة العائلية، أو على يد شيوخ محاضر مدينة " ولاته" منارة العلم والمعرفة وبوتقة الحضارات ونافذة الإسلام على بلاد السودان . [2]

ومما ساعد في تكوين الولاتي تكوينا مناسبا وجعل مرجعيته الفكرية متينة صلبة حسن تصرفه في الوقت والاستفادة منه، فهو الذي كان يقول إن ضوء النهار أثمن من أن يضيع في غير المطالعة، وبهذا اتسع أفقه العلمي، وتنوعت اهتماماته وأنشطته بين نسخ الكتب حرصا على كفالة أخواته اليتيمات،

---

(1) الصوفية: جمع الصوفي، وهو الفاني بنسفه، الباقي بالله تعالى، المستخلص من الطبائع، المتصل بحقيقة الحقائق. فالصوفية هم القائمون مع الله بحيث لا يعلم قيامهم إلا الله. انظر: ومعجم مصطلحات الصوفية (ص: 157– 158) والرسالة القشيرية (ص: 311). وتلبيس إبليس (ص: 161). وموسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي (ص: 557). ومعجم ألفاظ الصوفية (ص: 78).

(2) – منقول بتصرف من بحث للدكتور منور خميلة، بعنوان " محمد يحيى الولاتي: الإصلاح والتواصل" شارك به في ندوة " محمد يحيى الولاتي عالم التجديد والتواصل" منشورات مركز البحوث والدراسات الولاتية 2012، ص 443.

وبين التدريس والتأليف والإفتاء والقضاء والسفارة في أوقات لاحقة .

وهكذا فقد اجتمعت في شخص الولاتي قدرات ومواهب متعددة جعلت منه رجلا جمعا عصاميا، وجعلت من حياته قيمة حقيقة، ومن أعماله روافد مثرية للرصيد المعرفي لبلاد الإسلام جمعاء .

وتضاف إلى ما سبق سمات أخرى نستشفها من سيرته ونمط عيشه وعلاقته مع محيطه، ومواقفه مع الحكام والمحكومين ببلاده، وموقفه من الاستعمار الأجنبي، نذكر من ذلك استقلالية الرأي والجرأة الفكرية، والتعفف والغيرة على الوطن، والبر بالأهل والاقتراب من الناس، وقد أفصحت عن ذلك كله أفعاله قبل أقواله، مما زاد في هيبته وقوة شخصيته وقدرته على الإقناع والتأثير، [1] وهذه السمات كلها من مواصفات المصلح الضامنة لتقبل كتاباته والاقتناع بأفعاله واتباعها، إذ من المعلوم أن الناس أسرع إلى الاقتداء بأفعال العالم من أقواله .

وهذا كله لا شك نتيجة لتأثيرات وسطه العلمي الذي كان له الأثر البارز في رسم الملامح الأولى لشخصيته، فمن المعلوم أن أسرته التي ينتمي إليها ذات مكانة علمية عالية، وخير شاهد على ذلك نضالية والدته ﷺ وحرصها على تعليمه ليسلك طريق آبائه وأجداده، وهذا ما جعلها تفكر في إرساله طلبا للعلم خارج مدينته ولاته .

وتبرز شهادات المترجمين له رسالته النبيلة التي سخر لها جهده ووقته وعلمه، فأنت ترى كل من كتب عنه من العلماء والباحثين منبهرا بكفاءته وموسوعيته وقدرته على تفعيل رؤيته الإصلاحية بمعيار الكتاب والسنة والإجماع، واتباع السلف الصالح .

ـ يقول عنه صاحب شجرة النور الزكية إنه " خاتمة المحققين وعمدة العلماء العاملين، وحيدُ عصره حفظا وعلما وأدبا، جامع لصفات الكمال موهوبا ومكتسبا بقية السلف وقدوة الخلف[2]"

ـ ويصفه الزركلي في الأعلام بأنه " عالم بالحديث من فقهاء المالكية، شنقيطي الأصل، كان

(1) – المرجع السابق نفسه، ص 443.

(2) – شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد مخلوف، ج1 ص 435، ط: المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة 1349.

قاضي القضاة بجهة الحوض[1]"

ـ وقال فيه تلميذه أبو العباس بن المأمون الحسني أحد أعلام علماء فاس: " هو العلامة العلم الهمام، المهتم بتحرير العلوم أي اهتمام، الحافظ الحجة السالك في اقتفاء السنة أوضح محجة . كان مع اشتغاله بالإفادة تأليفا وتعليما يتجر في البر وغيره مع قدمه الراسخ في العلم والعمل[2]"

ـ ويقول فيه محمد حبيب الله ولد مايابى " هو البحر الزاخر ذو المآثر الجميلة والمفاخر، إمام العلم وحامل لوائه وحافظ علم الأصول وكوكب سمائه . كان إماما من أهل الجد لا تأخذه في الله لومة لائم كثير الردع لأهل البدع والمناكر[3]"

ـ ويقول فيه تلميذه المرواني " كان مجاهدا لمن خالف سنة الرسول ﷺ ولجميع طوائف أهل البدع، مسالما لمن اتبع سنة الرسول وعمل بالشرع العزيز . وقّافا عند كتاب الله لا تأخذه في الله لومة لائم، أقرب الناس إليه وأبعدهم في الحق سواء[4]"

ـ ويقدّمُه حفيده الأستاذ حسني ولد الفقيه قائلا إنه " شخصية إصلاحية متعددة الأبعاد، فتاواه ونوازله شاهدة على جهوده في الإصلاح الاجتماعي، وآثاره في القضاء عدت مضربا للمثل في القضاء بالقسط[5]"

ـ ويصفه يحيى ولد البراء بأنه: " من أواسي الفقه المتبحرين شيخا أقرن في المعارف الإسلامية، عالي الكعب في الفقه، ومن أغزر علماء موريتانيا إنتاجا على العموم، وأكثرهم فتاوى على الخصوص، فهو أحد أعلام علماء هذا البلد المكثرين من الإفتاء والمورودين للاستفتاء، حتى لا

---

(1) – "الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين" لخير الدين الزّركلي، ط دار العلم للملايين، بيروت، ط 15 2002، المجلد7 الصفحة 142.

(2) – مرجع سابق، ابن مخلوف، 1/435.

(3) – مقتطف من تقديم محمد حبيب الله بن مايابى لكتابي محمد يحيى الولاتي (فتح الودود، ونيل السول) ص 6.

(4) – ورقات مخطوطة في التعريف بالولاتي، للمرواني بن محمد المختار بن احمادو (تلميذ الولاتي)، الأستاذ حسني ناقلا عن هذه الورقات المخطوطة، انظر "محمد يحيى الولاتي سيرته ومآثره" ص 3.

(5) – حسني ولد الفقيه، محمد يحيى الولاتي، سيرته ومآثره، ص 9.

يكاد يوجد باب من أبواب الفقه إلا وله فيه نصوص إفتائية[1]" .

ـ ويقول محمد المختار بن انباله الولاتي عن الفراغ الذي تركه الفقيه عند خروجه للحج:

لـــئن غـــاب عـــن " والات" يحيـــى   فإنهـــا تغيـــب عنهـــا نورهـــا وشـــبابها
وغيـــب عنهـــا نحوهـــا وبيانهـــا   وغيـــب عنهـــا فقههـــا وصـــوابها

ـ ويقول فيه أحد شيوخه: " تلميذي محمد يحيى أعلمه الألفاظ ويعلمني المعاني، وأستفيد منه أكثر مما يستفيد مني[2]"

ـ ويقول عنه محمد المختار ولد اباه: " فقد كان الفقيه عالما تقليديا متمسكا بقواعد المالكية، وهو مع ذلك أصولي بلغ رتبة الاجتهاد في المذهب[3]"

ـ ويقول فيه في سياق آخر: " ولكن الفقيه الولاتي يمثل أكثر مما يتحلى به الفقهاء، وفي كنانته أكثر من سهم، وفي صدره أكثر من فن، ومراجعة مؤلفاته التي تزيد على المائة تبين أنه كان من أولئك الموسوعيين الذين علا كعبهم في العلوم الإسلامية المعروفة في قطره[4]"

ـ وقد ترجم له تلميذه التونسي محمد باش طبجي الحنفي ترجمة وافية في رسالته الموسومة ب: " رسالة الشنقيطي في الكفارات" نأخذ منها باختصار قوله فيه: " رجل تلوح عليه الشهامة، يمثل عربيا من تهامة أو كأنه نشأ في بادية اليمن، أو أدبته امرأة من علياء هوازن، فلا غرو أن يحذو في نطقه الاعتيادي حذو العربية الفصيحة، فإنه من معشر قد خصوا من البلاغة والحكم ما لا يخص به غيرهم من الأمم . أما تضلعه في العلوم الشرعية وتبحره بالفنون العربية لاسيما علم أنساب العرب فقد بلغ في جميعها غاية الأرب، مع مقدرة على النظم والسجع والإنشاء والترسل وبراعة في القصيد، بحيث إن قال لم يدع قولا لقائل، أو أطال لم يأت غيره بطائل، يسوق ما عرف من هاتيك الفنون في قوالب

(1) - د. يحيي ولد البراء، محاضرة بعنوان " العرف والمصلحة في فتاوى محمد يحيي الولاتي جدل التقليد والاجتهاد" ألقيت في ندوة " محمد يحيي الولاتي عالم التجديد والتواصل" ص (198)، المنظمة من طرف مركز البحوث والدراسات الولاتية.

(2) - مرجع سابق، الأستاذ حسني، ص 3.

(3) - تاريخ النحو العربي في المغرب والمشرق، للدكتور محمد المختار ولد اباه، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية 1429. 2008، بيروت، لبنان، ص 489.

(4) - نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

مختلفة، حتى كأنها آلة في يده يصرفها كيف شاء" .

ويقول عنه في سياق ثاني: " بارع في تحقيق المناط مع غاية التحري والاحتياط، بحر العلوم الزاخر وملجأ من يفاخر، العلامة المحقق والفهامة المدقق"، ويصرح بانبهاره بعلمه وملازمته له " فرأيت من فصاحة اللسان، وقوة الجنان، وتحسين العبارة، والتأنق في الإشارة، وبداهة الجواب، ومصادفة الصواب، واستحضار المسائل، وإقامة الدلائل، ولطف الأخلاق، وفتح الإغلاق، وكثرة النقول ما يبهر العقول . رويت عنه الموطأ وصحيح البخاري والشفا قراءة وعرضا ومناولة وبقية الصحاح الستة مناولة"[1]

وكل هذه الشهادات يعززها قول تلميذه المرواني بن احمادو الذي لازمه ردحا من الزمن ـ وهو أدرى به من غيره ـ يقول متحدثا عن سلوكه في القضاء: " . عدلا ذا هيبة لا يدخل عليه جبار إلا تواضع، ولا يخرج من عنده خصمان إلا خرجا راضيين[2]"

تلك نبذة مقتضبة من شهادات علية القوم، سدنة المعرفة والعلم، في حق العلامة محمد يحيى الولاتي تبين بحق مدى ما وصل إليه من مرتبة عالية، في حفظ الشرع وفهمه، وفي التعمق في علوم الغاية وعلوم الآلة .

---

(1) - رسالة الشنقيطي في الكفارات، مخطوط يوجد بالمكتبة الوطنية بتونس في قسم المخطوطات تحت الرقم 21788، نشره د. محمد الأمين بن سيد المختار، وعلق عليه ضمن دراسة له بعنوان "جوانب مخفية من حياة وآثار الفقيه محمد يحي الولاتي"مجلة الموكب الثقافي، نواكشوط، العددان 32و33، السنة 2003.

(2) - مرجع سابق، الأستاذ حسني ص 9.

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه

رغم ما عرف به الولاتي من فهم خارق وذكاء مبهر، إلا أنه يبقي ـ كغيره ـ محتاجا إلى شيوخ يلازمهم، لينهل من علمهم ما يسد به ظمأه في العلوم التي حرص على تحصيلها، رغم صعوبة الظروف التي اكتنفت حياته، فلقد درس العلوم في ولاته ـ منذ المراحل الأولى وحتى أصبح عالما ـ كما تقدم معنا فكان يتجول في حلقات الدرس، سواء كان ذلك في المسجد أو بيوت العلماء ومقرئي القرآن، وقد حفظ لنا الرواة بعض الأسماء التي كان لها الأثر في تكوينه المعرفي، يقول حفيد المؤلف الأستاذ حسنى ولد الفقيه: " ولقد حفظت لنا الرواية أسماء بعض أشياخ محمد يحيى وضنت بالبعض الآخر، إما لأنه غير موجود أصلا، أو لأن دوره في كوين الرجل ـ وهو المعروف بإجلال معلميه والمداومة على الحديث عنهم ـ لم يكن ذا بال، ويبقى أدق ما وقعنا عليه في هذا الموضوع هو ما ورد في ورقات مخطوطة كتبها أحد تلامذته الملازمين له وهو المرواني بن محمد المختار بن أحمادو[1] (1291ـ 1365ه) الذي ذكر أنه درس على مولى للمحاجيب يدعى محمود[2] القرآن الكريم، وعلى الإمام بن حمو أسر المحجوبي[3] علم المعقول وعلم الأصول وجزء من نص الشيخ خليل، والجزء الآخر منه قرأه على ببكر بن أحمد معلوم الداودي ثم البرداوي . [4]

ويرجح الأستاذ حسني أن العلامة الولاتي كان يتردد على أكبر علماء ولاته من " المحاجيب" خاصة دون الالتزام بحلقة عالم بعينه وإغفال الآخرين، وذلك لهمته العالية التي لا تسمح له بتفويت أي فرصة للتعلم، وهو المتطلع والباحث عن التعمق في العلوم، ولهذا فالظن به أنه لن يفوت فرصة التعلم على أكابر علماء قبيلة المحاجيب باعتبارهم " المؤسسين لسمعة مدينة ولاته دينيا وثقافيا بتفرغهم للعلم وتفانيهم في خدمته"[5]

ـ أما تلامذته فيورد المرواني قائمة بهم تضم إلى جانبه هو وأخويه المدعوين أحمد بن محمد

---

(1) – ولد في ولاته 1291هـ، نشأ فيها وتعلم العلم على يد الفقيه محمد يحي الولاتي، لازمه ملازمة الظل لصاحبه حتى أجازه في الصحاح الستة ومذهبي مالك وأبي حنيفة، كان له مجلس للحديث بولاته، وهو عالم تقي ورع، له مواقف شجاعة ضد المستعمر، انظر كتاب "ولاته من الحاضر إلى الماضي لمؤلفه الأستاذ سداتي ولد بابيه"ص 80.79.

(2) – بحثت، فلم أقف له على ترجمة.

(3) – كذلك هذا أيضا.

(4) – مثلهما، وقد لاحظت أن كل من ترجم للولاتي من الشناقطة، يذكر هؤلاء ضمن شيوخه، دون أن يترجم لهم.

(5) – مرجع سابق، الأستاذ حسني ص5.

المختار ولد احمادو وبانم، كلا من محمدي بن سيدي عثمان[1] (1337ه) واباتي بن عبد الله بن سيد أحمد بن أبي كف المحجوبي[2] وسيد المختار بن آل ببكر، وعثمان بن الطالب صمب وسيداتي بن الكنتي والجيل بن أحمد ابيسيف البسيفي، واباه بن زهو العين، [3]

وسيدى محمد بن عابدين، [4] وحمود بن اعلي بن عيسى، ومن أهل تيشيت محمد بن أحمد الصغير التيشيتي، ومحمد بن انبال، ومحمد المختار بن انبال[5]، بل إن الأستاذ حسنى اعتبر العلامة الكبير محمد يحيى بن سليمة[6] من تلامذة العلامة محمد يحيى الولاتي بناء على قاعدة " تلميذ التلميذ تلميذ" وذلك أن المرواني صاحب الترجمة للولاتي قد أجاز محمد يحيى ولد سليمة في الحديث، والمرواني من تلامذة الولاتي فكان ولد سليمة بذلك تلميذا للولاتي .

ومن تلامذته أيضا من خارج وطنه الشيخ محمد باش طبجي الحنفي التونسي، والشيخ أبو العباس بن المأمون الحنفي، وسيدي عبد الله التادلاوي، وسيدي محمد اب الأمين، وسيد اعل بن عبد الله في مجّاط . [7]

---

(1) - عالم، ورع، عابد، منفق في سبيل الله، من أعلام المدرسة الولاتية، بنى لطلبة العلم الذين كانوا يؤمون محظرته دارا لا زالت إلى اليوم تدعى بدار التلاميذ، ولم يقتصر إنفاقه على ساكني ولاته، بل تجاوزه إلى سكان تيشيت، توفي رحمه الله عام 1337هـ. انظر ولاته من الحاضر إلى الماضي، سداتي ولد بابيه.

(2) - عالم جليل، أبدى محمد يحيى إعجابه به حيث يصفه بأنه " أعلم أهل ولاته في زمنه وأعدلهم"كان من العلماء النجباء الأذكياء الأدباء الأتقياء، جامعا لأنواع العلوم، ذا جد واجتهاد في العلم، أفنى عمره فيه، ما ترك مطالعة الكتب حتى توفي عام 1275.، مصدر سابق، =سيرته ومآثره" ص 5. وكذلك " ولاته من الحاضر إلى الماضي" ص 103.

(3) - كل هؤلاء معدودون في تلاميذه، غير أني لم أعثر على تراجم لهم.

(4) - قدم ولاته تلميذا ودرس على الفقيه محمد يحيى الولاتي، وشيخن محمد ولد سيدي عثمان، كان يحفظ اثني عشر نصا في المذهب عن ظهر قلب، وكان مقدما للتجانيين، توفي سنة 1945م. انظر " ولاته من الحاضر إلى الماضي" ص 90.

(5) - أحد تلامذة الفقيه المقربين، وهو صاحب الأبيات السابقة في التأسف على ذهاب الولاتي إلى الحج، توفي وهو ينوى الهجرة إلى البلاد المقدسة، شمال تمبدغة سنة 1936م. انظر أعمال ندوة "الولاتي عالم التجديد والتواصل" ص 409.

(6) - عالم شهير كتب في أكثر العلوم الشرعية، واشتهر بمنحاه الاجتهادي المتحرر. عرف عنه والفقيه الولاتي أنهما كانا فرسي رهان، ودارت بينهما مساجلات قيمة، توفي 1354هـ، انظر " ولاته من الحاضر إلى الماضي" ص 98، وكذلك "تاريخ النحو العربي في المغرب والمشرق، ص 489.

(7) - انظر الرحلة الحجازية، للولاتي، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط 2، 2009، ص 103.

المطلب الثالث: إنتاجه العلمي

لا يخفى على المهتمين بالعلم والمعرفة أن العطاء العلمي لبلاد شنقيط **(موريتانيا)** كان متميزا، حيث دأب علماؤها على تأليف المؤلفات الكثيرة، وقد كان لمدينة " ولاته" من ذلك العطاء نصيب الأسد، مما بوأها مكانة سامية في الصقع الشنقيطي وفي الأصقاع المجاورة، ففيها تتابعت أجيال من كبار العلماء المكثرين من التأليف في مختلف المجالات المعرفية .

لكنها في فترة محددة . (1259ـ1330) بزغت فيها شمس معرفة منيرة، لم يقتصر نورها على تلك المنطقة فحسب، بل تعدي إشعاعها إلى أقطار المغرب والمشرق، حيث عرفت مدينة ولاته ظهور عالم لم تعرف مثله قبله ولا بعده، وهو العلامة محمد يحيى الولاتي الداودي، الذي شرفها وخلد ذكرها بنسبته إليها .

لقد بدا نبوغ الولاتي في وقت مبكر، وقد تجلى ذلك في انشغاله بالتأليف والإفتاء في سن مبكرة، حيث نظم معاني الحروف من كتاب مغني اللبيب وعمره 17 سنة، وشرح ألفية السيوطي وعمره 18 سنة، ثم تتوالى مؤلفاته وفتاويه التي بلغت 110 مصنفا حسب ابنه محمد الحسن . [1]

إن نظرة سريعة إلى مؤلفات الشيخ الفقيه، تشعر القارئ بأنه أمام بحر زاخر وعالم غير عادي مميز عن غيره، قد خرج عن المألوف حفظا وعلما وتأليفا وورعا وصرامة في إحقاق الحق وإبطال الباطل.

ولقد جاء منتوجه المعرفي وافرا زكيا، مصبوغا بلون الحياة البدوية السائبة، منقوشا بحروف هموم أهلها وصراعاتهم، تفوح من عناوينه ومضامينه رائحة خلافاتهم وتحزباتهم العقدية والمعاملاتية .

ثم إن تأليف المؤلفات يعد المرحلة النهائية للعالم، ولذلك فإنها تعد من أخطر المراحل، فتجب حمايتها وحراستها، ليلا يتسلل إليها من ليس أهلا لذلك، وقديما كان العلماء، ومنهم علماء شنقيط ـ يعرضون المتطفل على التأليف للتأديب . ولهذا اشتهر عنهم حصر التأليف في سبعة أغراض أو في

(1) – انظر ترجمته له في مقدمة كتابه " نيل السول=ص 5. 6.

سبعة أقسام نظمها العلامة المغربي أحمد بن عبد العزيز الهلالي[1] قائلا:

في سبعة حصروا مقاصد العقلا — من التأليف فاحفظها تنل أملا
أبدع، تمام، بيان، باختصارك في — جمع، ورتب، وأصلح يا أخى الخلا

ويمكن أن نبني على هذه الأدوات تصنيفنا لمؤلفات محمد يحيى الولاتي المختلفة، فهو معدود مع المكثرين في التأليف، فمؤلفاته تربو على المائة[2]، أو على الأصح ما وجد منها يربو على المائة .

وسأبدأ بجرد لهذه المؤلفات ثم بعد ذلك أصنفها حسب موضوعاتها:

أولا: الكتب المطبوعة :

1 . ـ الرحلة الحجازية، مطبوع[3] .
2 . رحلة الولاتي من تندوف إلى ولاتة[4] مطبوع .
3 . ـ فتح الودود على مراقي السعود، مطبوع[5] .
4 . ـ نيل السول على مرتقى الوصول إلى علم الأصول، مطبوع مرتان[6] .
5 . ـ اختصار موافقات الشاطبي، مطبوع . [7]
6 . ـ المجاز الواضح في قواعد المذهب الراجح، مطبوع[8] .

---

(1) – أحمد بن عبد العزيز بن رشيد بن محمد الهلالي السجلماسي أبو العباس، فقيه مالكي من أعيان العلماء، له نظم وعلم بالحديث، اشتهر بالورع والزهد، ولد بسجلماسة، وتوفي سنة 1175 بمدغرة تافلالت، حج مرتين وأخذ عن علماء الحجاز ومصر، له عدة مؤلفات، وديوان شعر صغير. انظر الأعلام للزركلي، 1/151.

(2) – ولاته من الحاضر إلى الماضي، ص100، وغيره.

(3) – قامت بتحقيقها الدكتور محمد حجي. نشرته دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان 1990

(4) – دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور بريك الله حبيب 2021 ، دار الإرشاد –تلمسان، الجزائر 2021.

(5) – حققه: عبد الله بن إبراهيم بن عبد الرحمان الشنقيطي (1150-1235) (1738-1817) .المطبعة المولوية، 1907

(6) – قام بتصحيحه وتدقيقه ومراجعته بابا محمد عبد الله محمد يحي الولاتي سنة 1992 في مجموع 230 صفحة.

(7) – توضيح المشكلات في إختصار الموافقات /تأليف محمد يحي الولاتي الشنقيطي ؛ راجعه حفيده بابا محمد عبد الله, دار عالم الكتب تاريخ النشر 1993؛ .عدد (.صفحاته ،318)

(8) – عنوانه الكامل: الدليل الماهر الناصح شرح نظم المجاز الواضح على قواعد المذهب الراجح. بيانات النشر: نواكشوط: مكتبة الولاتي لإحياء التراث الإسلامي، 2006الوصف المادي: 1 مجموع صفحاته. (279 ص.)

7. ـ الدليل الماهر الناصح شرح المجاز الواضح، مطبوع[1] .

8. ـ نور الحق الصبيح في شرح بعض أحاديث الجامع الصحيح، مطبوع[2] .

9. ـ حسام العدل والإنصاف القاطع لكل مبتدع باتباع الأعراف، مطبوع[3]

10. ـ الأجوبة الواضحة لمن يدعي الاجتهاد ناصحة، مطبوع .

11. ـ شرح إيصال السالك إلى أصول الإمام مالك، مطبوع[4] .

12. – شرح نظم مكفرات الذنوب مطبوع[5]

13. ـ شرح نظم ورقات إمام الحرمين، مطبوع[6] .

14. شرح ورقات أبي المعال . مطبوع[7]

15. ـ منبع الحق والتقي الهادي إلى سنة النبي المنتقي، مطبوع .

---

(1) – – راجعه بابا محمد عبدالله . الرياض: دار عالم الكتب . الطبعة الأولى، 1414 هـ

(2) – نشرته دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض 1999.

(3) – – تحقيق وتقديم عبد الرحمن بلحاج علي، دار الميزان للنشر، حامم سوسة، تونس 2008. عدد صفحاته 270 صفحة.

(4) – .طبع عدة طبعات: 2006 مكتبة المعارف المتحدة (في 416 صفحة)، إيصال السالك، لمؤلفه أحمد بن محمد بن محمد ابن أبي كُف. دراسة وتحقيق وتعليق: الدكتور ياسر عجيل النشمي أستاذ الفقه وأصوله بكلية الشريعة بجامعة الكويت. و2010و2016 و2018 من تحقيق موسى بن محمد بن معد الدخيلة ونشرها بمطبعة بمكناس. وفي سنة 2020 طبعت بدراسة وتحقيق إبراهيم بن الشيخ راشد المريخي، محمد الأمين محمد ابن ونشرت عن دار المالكية بتونس، 2020 عدد صفحات الكتاب : (198 صفحة)

(5) – شرح نظم مكفرات الذنوب لمحمد يحيى بن محمد المختار الولاتي. بيانات النشر: نواكشوط: شركة الكتب الإسلامية الموريتانية، 1992الوصف عدد صفحاته: 61 صفحة.

(6) – عنوان الكتاب: فرائد الدرر في عقد ما للجويني من نثر تأليف العلامة المجدد الشيخ محمد الحسن بن أحمد الخديم الشمشوي اليعقوبي الشنقيطي. شرح نظم ورقات إمام الحرمين / للشيخ المرابط محمد سالم بن المختار بن ألما الشمشوي اليدالي الشنقيطي؛ مع مقدمة في التعريف بالناظم وخاتمة فيها نبذة من آثاره. دار التيسير للنشر والتوزيع نواكشوط، 2014.عدد صفحاته (124 ص.)

(7)– عنوان الكتاب: شرح على منح الفعال في نظم ورقات أبي المعال للعلامة النظامة الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي المتوفى سنة 1226 هـ لمؤلفه: محمد يحيى بن محمد المختار بن الطالب عبد الله الولاتي المتوفى سنة 1330 هـ ؛ تقديم وتحقيق أمين ولد البشير ؛ مراجعة وتصحيح التاه بن محمدن ولد أحمد اليدالي. بيانات النشر: الدار البيضاء: دارة نجيبويه المعرفية، النشر: نواكشوط: جامعة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، 2020: عدد صفحاته: (181 صفحة.)

16. ـالعروة الوثقي الموصل إلى منبع الحق والتقى . مطبوع [1] .

ثانيا: الكتب المخطوطة :

17. ـمرتع الجنان على عقود الجمان في علم البيان (**وهو الكتاب الذي نشتغل عليه**)

18. نظم الناسخ والمنسوخ وشرحه، مخطوط .

19. ـكتاب في مصطلح الحديث، مخطوط .

20. ـشرح مختصر ابن أبي جمرة، مخطوط .

21. ـشرح حصن الحصين، مخطوط .

22. ـالبحر الطامي ذو اللجج على بستان فكر المنهج، مخطوط .

23. ـكتاب في الرد على جماعة ألقظف، مخطوط .

24. ـالمواهب التليدة في حل ألفاظ الفريدة، مخطوط .

25. ـمصباح الفقيه في أن الظالم أحق أن يحمل عليه، مخطوط .

26. ـالرسالة الملجمة للجهال مفحمة، مخطوط .

27. ـكشف الكروب، مخطوط .

28. ـمنهج الأبرار في رد من حكم باسترقاق الأحرار، مخطوط .

29. ـتاريخ قدوم الشرفاء على المغرب، مخطوط .

30. ـنظم في التصريف وشرح له في جزئين، مخطوط .

31. ـسلم الفوز والنجاة لمحمد يحيى بعد الممات وفي الحياة .

32. ـشرح في علم البيان، مخطوط .

33. ـمكتوب في بطلان جمعة ولاته، مخطوط .

34. ـأجوبة وأسئلة بن عمر دكوره العشرة، مخطوط .

35. ـالرد على تلميذ الشيخ محمد فاضل في شأن توهين السنة ونفي القياس، مخطوط .

(1)ـ حققه حفيد المؤلف حسني ولد الفقيه. دار النعمان الجزائر 2005.

36. ـ نقض حكم أفتي به قاضي ولاته، مخطوط .

37. ـ مكتوب في شأن زكاة الإبل المحبسة، مخطوط .

38. ـ مكتوب في شأن زكاة الحبس، مخطوط .

39. ـ مكتوب بشأن الأحباس ردا على أحمد الصغير، مخطوط .

40. ـ فتوى بشأن تداول الإمامة بالوراثة، مخطوط .

41. ـ فتوى بشأن القتل الخطأ شبه العمد، مخطوط .

42. ـ فتوى بشأن توريث ذوي الأرحام، مخطوط .

43. ـ فتوى بشأن قتيل قتل غيلة، مخطوط .

44. ـ فتوى بشأن ما يحرم من الرضاعة، مخطوط .

45. ـ فتوى بشأن العصمة من الزواج، مخطوط .

46. ـ فتوى بشأن رهن تصرف فيه المرهون له، مخطوط .

47. ـ فتوى بشأن اللصوص، مخطوط .

48. ـ فتوى بشأن قتيل من بودبوس، مخطوط .

49. ـ فتوى في الرد على المعترض على بطلان جمعة ولاته، مخطوط .

50. ـ كتاب الأجوبة المهمة عن وقائع ملمة، مخطوط بمكتبة حسني بن الفقيه الخاصة .

51. ـ رسالة في الرد على الشيخ ابن حامن بشأن بيع الملح بالذهب، مخطوط .

52. ـ مكتوب بشأن إباحة الأتاي **(الشاي)** مخطوط .

53. ـ مكتوب بشأن الشركة بين الأخوين، مخطوط .

54. ـ فتوى بشأن ضياع وثيقة الدين، مخطوط .

55. ـ فتوى بشأن الهبة واستثناء ذكور نسلها، مخطوط .

56. ـ مكتوب في حد على الكلام، مخطوط .

57. ـ نصيحة أولاد الزوايا والطلبة عن الدخول في طريقة زنادقة المتصوفة، مخطوط .

58. ـ الرسالة الهادية والنصيحة الوافية لمن يراها من مؤمني البادية . مخطوط .

ويبلغ الموجود من مؤلفاته 110 تأليفا، وما هذا إلا غيض من فيض مما سطر الولاتي ببنانه ﷺ .

وإذا ما تأملنا هذه المؤلفات فإننا نستطيع تصنيفها باعتبارات مختلفة، وذلك راجع لكثرتها، وتنوع مضامينها وأساليب تأليفها .

فمن حيث المحتوى والموضوع، فهي تشمل:

- علوم القرآن الكريم .
- علوم الحديث الشريف .
- السيرة النبوية وعلم الأنساب .
- الرقائق والتصوف .
- أصول الفقه ويعتبر الشيخ رائده في عصره .
- قواعد الفقه .
- الجدل العلمي والردود .
- الإصلاح العلمي والاجتماعي والسياسي .
- علوم اللغة العربية .
- الديوان الشعري .

ومن حيث الأسلوب فنجد من أساليبه التي اتبعها في مؤلفاته:

- النثــر .
- الأنظام الرجزية .
- البحور الشعرية الأخرى .

ومن حيث استقلال المؤلف وارتباطه بمؤلفات أخري:

- مؤلفات شارحة لمؤلفات أخرى نظما ونثرا .
- تلخيص لمؤلفات أخرى .
- مؤلفات خالصة من تأليف المؤلف، نظما ونثرا .

ويمكن أن نرسم صورة مختصرة لعامة مؤلفات الشيخ ﷺ، وهي كونها:

ـ تربوية مبسطة واضحة .

ـ منهجية في الترتيب وإيراد الأفكار .

ـ وافية بالمقصود منها علميا وتربويا .

ـ شاملة للعلوم المعروفة في محيطه .

ـ متنوعة: نثرا ونظما وشرحا وإفتاء .

ـ كثيرة حيث زاد ما وجد منها على المائة .

ـ موفقة في اختيار مواضيعها .

ـ صحيحة الأنقال معتمدة المراجع والأقوال .

ـ شاهدة على مجتمعها علميا وسياسيا واجتماعيا .

ـ فيها كفاية ذاتية لمحظرته ومحيطه، في العلوم المعروفة يومئذ .

ـ مفخرة من مفاخر البلاد الشنقيطية **(موريتانيا)** .

وعلى العموم فإن الشيخ الولاتي ﷺ قد سخر جهده ووقته لخدمة العلم وأهله، فأحيا فنونا كانت ميتة مثل أصول الفقه، وسهل فنونا كانت مستعصية مثل قواعد الفقه، وأعطى البدائل الفقهية النافعة المؤصلة، كما ألف في فنون كانت مهجورة، مثل الناسخ والمنسوخ، وشرح متونا مهمة، قليلة الشروح، أو لم تشرح قبله، كل ذلك بأسلوب واضح مبسط مرتب، يجعلها في متناول طلاب العلم والعلماء معا، كما اشتهر بالتأليف في مجال الإصلاح الاجتماعي والسياسي، وقد جاوزت شهرته حدود الإقليم الذي نشأ فيه، ويعود ذلك إلى دوره في تدريس سائر العلوم المعهود في قطره، ورحلته إلى المشرق ووفرة تآليفه في شتى المعارف، ولقد لهج الشعراء بمدحه حيا، ورثائه ميتا، فيقول أحد تلامذته وهو محمد المختار بن امبالة الولاتي:

لئن غاب عن والات يحيى فإنها ... تغيب عنها نورها وشبابها

وغيب عنها نحوها وبيانها ... وغيب عنها فقهها وصوابها

ولما جاء أهل تونس نعيُه أرسل محمد السنوسي التونسي[1] قصيدة رائعة في رثائه يقول في مطلعها:

مضى خلف الأبرار والسيد الحبر	فصدر العلى من قبله بعه صفر
ولا تحسبن الدهر أهلك شخصه	ولكنه في موته هلك الدهر
هو البحر عند الدرس تطغى علومه	عليه وفي المحراب يعرفه الذكر . .[2]

(1) - محمد بن عثمان بن محمد السنوسي، أبو عبد الله، (1317.1267) المفكر المصلح، الأديب المؤرخ الرحالة، أخذ عن شيوخ من أشهرهم سالم بوحاجب، تولى مناصب سامية في جهاز الدولة، من تآليفه: رحلته الحجازية، ورحلة الاستطلاعات الباريزية، وتأليف في القانون، وديوان شعر، مولده ووفاته بتونس، اشتغل في التعليم، فكان يكتب دواوين الشعراء، انظر الأعلام 263/6. وشجرة النور الزكية لابن مخلوف، الترجمة رقم 1663، ص 416. 417.

(2) - انظر ترجمة الولاتي، في تقديم حفيده أب بن سيدي محمد في كتاب الدليل الماهر الناصح شرح نظم على المجاز الواضح على قواعد المذهب الراجح، للولاتي، ص 10، مكتبة الولاتي لإحياء التراث الإسلامي، نواكشوط، موريتانيا ط1427. 2006. وغيره من المراجع.

الفصل الثاني: دراسة الكتاب وبيان عملي في التحقيق

إن العيش لفترة غير قصيرة مع **مرتع الجنان**، والعكوف الطويل عليه يجعل المرء يجزم بأن مادته العلمية غزيرة، وتتضح له كذلك السمات التي طبعته، والخصائص والأسس التي قام عليها منهجه، وهذا ما سأتناوله في هذا الفصل عبر المباحث التالية:

المبحث الأول: اسم الكتاب وتحقيق نسبته إلى المؤلف

أود في هذا المبحث أن أعرف القارئ الكريم على عنوان هذا الكتاب كما أراد صاحبه، وأن أحقق نسبته إلى المؤلف، وذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول: اسم الكتاب وتاريخ تأليفه

صرّح المؤلف في مقدمته بالعنوان الذي وضعه لشرحه، حيث قال في المقدمة بعد أن بسط الحديث عن الباعث على تأليفه قال : " حَرَّكَني ذلك إلى أن أضع شرحا مبيّنا مفيدا، على ألفية الفقيه والمحدث والأديب الوحيد، المسماة: بـ"عقود الجمان في المعاني والبديع والبيان "[1] يزيل الحجاب عن مشكلاتها العويصة الأبية، ويسهل الوصول إلى ذخائر كنوزها الخفية، مع ضيق باعي وقصور نظري وعدم اتساعي وفتور فكري، وسميته ب: **" مرتع الجنان على عقود الجمان "** . وأسأل الله أن يتممه على الوجه المقصود، وأن يمدني بأمداد لطفه الكافي وعونه المغني عن كل موجود، وأن ينفع به كل من نظر فيه من أهل الوجود، خالصا لوجهه الكريم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم "[2]

كما صرح بتسمية الكتاب أيضا في الخاتمة حيث قال: " وتم ما أردت من **شرح عقود الجمان** وإيضاحه وبيان نكته وأسراره، وما أردت إيراده فيه من الفوائد النفيسة التي تقر بها أعين ذوي الألباب، وتزيل عن المشكلات والمعضلات كل قناع وحجاب .

وكان الفراغ من تسويده وتبييضه يوم الأحد عشية لستّ ليالٍ خلون من صفر الخير من العام

[1] - ذكر السيوطي أن اسم أرجوزته هو " عقود الجمان في علم المعاني والبيان " انظر شرحه المتقدم ص 1.

[2] - النص المحقق، (ج1. ص:150)

السابع والثمانين بعد المائتين والألف (1287 هـ) بولاته . . وسميته بـ: " **مرتع الجنان على عقود الجمان**" نفع الله تعالى به وبأصله وجعله خالصا لوجهه متقبلا عنده .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحابته أجمعين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المطلب الثاني: نسبته إلى المؤلف

يقال في تحقيق نسبة مرتع الجنان إلى مؤلفه العلامة محمد يحيى الولاتي ما قيل في تسمية الكتاب، فقد صرح المؤلف بنسبة هذا الشرح إليه بعد أن عرّف بنفسه تعريفا كاملا، وبين قيمة هذا الفن وحاجة الناس إليه، ثم خلص إلى رغبته في تأليف كتاب يشرح به ألفية السيوطي، ولم يقتصر على ذلك، بل صرح بوضع عنوان لهذا الشرح في البداية وفي النهاية، ونسب الكتاب لنفسه وصرح بالعزم على تأليفه، وبهذا تتحقق نسبة مرتع الجنان على عقود الجمان إلى مؤلفه محمد يحيى الولاتي، وهذه النسبة معلومة يستوي فيها كل دارس مهتم بهذا العلم في قطرنا الشنقيطي ـ خصوصا ـ حيث إن مرتع الجنان كتاب معدود في قائمة مؤلفات الولاتي قديما وحديثا، فالرواية إذن متواترة على تحقق نسبة الكتاب إلى مؤلفه محمد يحيى الولاتي .

ولـــــيسَ يَصِــــحُّ في الأذهـــــان شـــــيءٌ   إذا احتـــــاج النهــــار إلـــــى دليـــــل[1]

[1] - البيت للمتنبي في ديوانه ص334

المبحث الثاني: مصادر مرتع الجنان

المطلب الأول: ملامح عامة:

اعتمد المؤلف ﷺ في شرحه لمنظومة " عقود الجمان في المعاني والبيان" على مصادر متنوعة، مما يدل على تمكنه المعرفي والتزامه العلمي، وامتلاكه لناصية العلوم، وقدرته على تجميع مادة الكتاب من مصادر شتى .

إن تنوع مصادر الرجل دليل واضح على موسوعيته، وهي مصادر متنوعة في مجالات متعددة، وهذه الكثرة والتنوع في المصادر جعلت مادته العلمية غزيرة ومتنوعة، كما بينت أصالة علمه واتساع ثقافته ومعرفته بكتب الأولين، وكشفت مدى استفادته ممن سبقوه .

هذا ويحدد المؤلف نقله أحيانا بذكر عنوان المصدر ومؤلفه، وأحيانا يكتفي بذكر عنوان الكتاب فقط، أو يذكر اسم المؤلف فقط، إضافة إلى المصادر الأخرى التي نقل عنها ولم يعز إليها .

والجدير بالذكر أن الولاتي اعتمد على مجموعة من المصادر القليل منها ضمن المخطوطات ؛ لكن غالب مصادره ومراجعه مطبوعة من أمثال الإتقان للسيوطي، وفيض الفتاح للعلوي، والتلخيص والمفتاح للقزويني، وشروح التلخيص والحواشي عليه، ودلائل الإعجار للجرجاني، وأسرار البلاغة للجرجاني، ومفتاح العلوم للسكاكي، ومطول السعد، وعروس الأفراح، وضياء التأويل، وكشاف الزمخشري .

المطلب الثاني: سرد المصادر:

يمكن أن نصنف المصادر حسب التخصص على النحو التالي:

أولا: القرآن الكريم[1]

ثانيا ـ الحديث النبوي الشريف: [2]

1. صحيح البخاري .
2. صحيح مسلم .
3. موطأ الإمام مالك
4. المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري .
5. سنن الترمذي .
6. سنن البيهقي .
7. سنن أبي داود .
8. سنن ابن ماجة .
9. سنن النسائي .
10. السنن الكبرى للبيهقي
11. مسند الإمام أحمد
12. مسائل الإمام أحمد
13. مسند الشاميين للطبراني
14. مسند الشهاب للقضاعي
15. الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي حكم عليها ابن كثير في تفسيره، لأبي عبد الرحمن

(1) - ينظر الفهارس العامة، فهرس الكتب الواردة في المتن(ج3، ص: 944)
(2) - ينظر الفهارس العامة، (ج3، ص:886 وما بعدها)

محمود بن محمد .

16. الفردوس بمأثور الخطاب الديلمي .

17. المعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني .

18. المعجم الأوسط للطبراني .

19. المعجم الصغير للطبراني

20. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، للأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي،

21. شعب الإيمان للبيهقي

ثالثا ـ علوم القرآن: [1]

22. ضياء التأويل في معاني التنزيل لأبي محمد عبد الله بن محمد الملقب بفودي الهوصي

23. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي

24. البرهان في علوم القرآن للزركشي

25. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري

26. معاني القرآن للفراء

27. تفسير ابن العربي

رابعا ـ السيرة والشمائل: [2]

28. الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض .

29. السيرة الحلبية، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون لأبي الفرج الحلبي

خامسا ـ الأدب: [3]

30. ديوان سلامة بن جندل

---

(1) – ينظر فهرس الكتب الواردة في المتن (ج3، ص: 944)

(2) – ينظر فهرس الكتب الواردة في المتن (ج3، ص: 944) وما بعدها

(3) – ينظر النص فهرس الكتب الواردة في المتن(ج3، ص: 944) وما بعدها

31. ديوان المتنبي شرح العكبري
32. ديوان أبي تمام
33. ديوان الحماسة لأبي تمام
34. ديوان الفرزدق
35. ديوان النابغة الذبياني
36. ديوان امرئ القيس
37. ديوان طرفة بن العبد
38. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، - المقري الحفيد أحمد التلمساني
39. الكامل في اللغة والأدب للمبرد
40. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير
41. مقامات الحريري لأبي محمد القاسم بن محمد الحريري

سادسا: كتب البلاغة[1]

42. الأطول
43. تلخيص المفتاح
44. الشهدة الصريحة
45. عروس الأفراح
46. الفريدة
47. التمويهات على التبيان
48. الفلك الدائر
49. المطول

[1] - ينظر النص المحقق، فهرس الكتب الواردة في المتن(ج3، ص: 944) وما بعدها

50. المعيار

51. المفتاح للقزويني

52. حواشي التلخيص

53. حواشي الجربي

54. الحواشي على المحلى

55. دلائل الإعجاز

56. سر الفصاحة

57. شرح الفوائد الغياثية

58. شرح المفتاح

59. شرج المنهاج

60. شرح بديعية ابن جابر

61. شرح بديعية ابن حجر

62. عجالة الناظم

63. كتاب الشعر

64. معاهد التنصيص

65. نور الأقاح

66. فيض الفتاح على نور الأقاح

67. الإفصاح

68. الحاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم السيد الشريف الجرجاني .

سابعا: كتب النحو[1]

69. ارتشاف الضرب لأبي حيان .

[1] - ينظر النص المحقق، فهرس الكتب الواردة في المتن(ج3، ص: 944 وما بعدها)

70. الكتاب لسيبويه

71. مغني اللبيب، ابن هشام .

ثامنا. التصوف: [1]

72. إحياء علوم الدين للغزالي .

73. جامع العلوم والحكم لابن رجب

74. الحكم العطائية ابن عطاء الله السكندري .

سابعا ـ الفقه وأصوله: [2]

75. الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع، لحسن بن عمر السناوني المالكي

76. حاشية العطار على شرح الجلال المحلى على جمع الجوامع

77. الغيث الهامع شرح جمع الجوامع لولي الدين أحمد بن ع الرحيم العراقي

78. حواشي الحطاب على رسالة ابن أبي زيد .

(1) – ينظر فهرس الكتب الواردة في المتن(ج3، ص: 944)

(2) – ينظر فهرس الكتب الواردة في المتن(ج3، ص: 944)

المبحث الثالث: سمات الشرح وخصائصه

توطئة :

إن تحديد منهج الكتاب من أصعب المراحل التي يمر بها الباحثون، وتختلف هذه الصعوبة من كتاب لآخر، إلا أنها في تحقيق المخطوطات أكثر صعوبة . خاصة وأن جل إنتاجات المؤلف الفكرية غير مطبوعة .

لقد نهج المؤلف في شرحه الاختصار وعدم التعرض للتكرار، وجعل أبيات منظومة " عقود الجمان في المعاني والبيان" متفرقة غير كاملة، كما عمل على الاستدلال على المسائل بنصوص القرآن والسنة وأقوال الأئمة، ليعطي بذلك قوة دلالية للمسائل التي تحدث عنها، ومما يميز أسلوبه دقته في النقل والأمانة العلمية، حيث يقوم بعزو كل الأقوال إلى قائليها في غالب الأحيان . ولقد صرح بذلك في خاتمة الكتاب، قال ﷺ: " وتمَّ ما أردتُ مِن شَرحِ عقودِ الجُمان وإيضاحِهِ وبيانِ نُكتِهِ وأسْراره، وما أردتُّ إيرادَهُ فيهِ منَ الفوائِدِ النفيسةِ التي تقَرُّ بها أَعْيُنُ ذَوي الألبابِ، وتُزيلُ عنِ المشكلاتِ والمُعْضلاتِ كلَّ قِناعٍ وحِجاب . . وجُلُّ اعْتِمادِي في النقلِ فيهِ فَيْضُ الْفتَّاحِ على نُورِ الأقاحِ لِلْعلويِّ، وعُجالةُ الناظمِ والشّهدةِ الصّريحة لانبوي بن الإمام ، والإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي، الذي هو الناظمُ، وسميته بـ: **" مرتعِ الجنان على عقود الجمان"** نفعَ الله تعالى بِهِ وبأَصْلِهِ وجَعلهُ خالصا لوجهِهِ مُتقبَّلا عِندهُ . "[1]

ومن خلال قراءتي لهذا الشرح، لاحظت أن المؤلف التزم منهجا واضحا في مبناه، حيث قسمه إلى:

أ - المقدمة: استهلها الشارح بالبسملة، ورصعها بأسلوب تغلب عليه الأسجاع، كما جرت العادة عند القدماء، مستعملا لغة سلسة . كما خصص المقدمة لبيان أهمية هذا العلم والثناء على

[1] - النص محققا (ص 831)

منظومة عقود الجمان وعلى ناظمها السيوطي ﷺ، مبرزا في الوقت ذاته أهمية شرحه لهذه المنظومة الرجزية في علم البلاغة، فقد وضع المنظومة في المكانة التي تستحق نظرا لقيمتها العلمية وأهميتها الفنية والجمالية، كما ذكر في المقدمة دواعي تأليفه للكتاب، حيث أوضح أن جلالة هذا العلم، ومساعدته في الوقوف على حقائق التنزيل، ومن ثم تحصيل الإيمان الذي هو أشرف مطلوب وأعزه، كل هذا كان داعيا إلى تأليف هذا الكتاب الموسوم ب " مرتع الجنان على عقود الجمان في المعاني والبيان" .

ومن هنا يتضح الباعث على تأليف هذا الكتاب، وهو ـ كما يظهر ـ تقريب المادة البلاغية من أذهان المتعلمين حتى يحكموا أطراف البلاغة، ويتقنوا خفايا جمالياتها في الخطاب العربي، خاصة القرآن والحديث الشريف .

وقد كان أسلوب الولاتي ﷺ في كتابه هذا سهل المأخذ، لا يحتاج إلى كد الذهن في استخراج خبيئته، فهو يمتاز بوضوح الفكرة، وقد التزم بالمنهج التفسيري التوضيحي، كما قام بشرح المنظومة الرجزية شرحا يغلب عليه الاتجاه اللغوي، وظل وفيا لهذا المنهج من بداية الشرح إلى نهايته، جمع من الأدب أنفعه، ومن الشعر أعذبه، فيسر بذلك للقارئ تقييده ومطالعته .

وبالجملة فقد أوضح المؤلف ﷺ في مقدمة الكتاب وخاتمته الخطوط العريضة للمنهج الذي اتبعه، وغيرُ خافٍ على الباحث المتمرس الخصائص التي طبعته، والأسس التي ارتكز عليها في تناول نظم عقود الجمان، والطريقة التي سار عليها في تناول الأبيات الرجزية، كل ذلك سنبينه بحول الله في المطالب التالية:

المطلب الأول: السمات المميزة

يمتاز شرح مرتع الجنان على عقود الجمان بالخصائص المنهجية الآتية:

1ـ الجمع والانتخاب: ليس للمؤلف من كتابه هذا ــ على طوله ـ إلا الجمع والانتخاب، ولا يعني هذا أن الولاتي ﷺ حاطبُ لَيْلٍ يجمعُ كلَّ ما صادفه، بل إنه اجتهد في لمِّ شتات أقوال البلاغيين واللغويين، وأجاد في ترتيبها، وأبدع في صياغتها، وكان موفقا في جمعه وانتخابه، فصان كتابه عن الأقوال المهلهلة الضعيفة التي لا يسعفها دليل، ولا تأوي من العلم إلى ركن ركين، فجاء شرحه زبدة منتقاة من هذه الكتب المختلفة .

ولئن كان الولاتي لم يأت بجديد من عنده في الشرح والتفسير، إلا أنه كان حاضر الرأي يناقش الأقوال، ويجتهد في الترجيحات، بل ويضيف أحيانا على وجه الاستطراد كثيرا من الفوائد والنكت .

2ـ الاختصار: وهو سمة غالبة على هذا الشرح، يشهد لها الجنوح نحو الانتقائية، ويدل عليها أيضا: حصره لمصادره التي اعتمد عليها ـ كما بين في خاتمة هذا الكتاب ـ وعزوه المعلومات إليها هناك بعمومية وإجمال .

3ـ الاستيعاب: فقد وظف الولاتي ﷺ ثقافته الموسوعية في هذا الشرح، فهو الحائز على اليد الطولي في فنون كثيرة، كالحديث والفقه والمنطق. وقد وظف ذلك كله في هذا الشرح كلما دعت الحاجة إليه .

المطلب الثاني: خصائص الشرح

تضافرت في مرتع الجنان جملة من الخصائص جعلت الشرح موسوعة علمية حافلة بمعارف كثيرة، وهنا أذكر جملة من تلك الخصائص على النحو التالي :

❖ **المصطلحات العلمية**

التدقيق في أصل المصطلح العلمي، بحث مهم في تقريب العلم، وترسيخه في أذهان الشادين، فهم قادرون على استيعاب مباحث العلم، واستظهار متصوراته، لأن المصطلح العلمي، أبان لهم الفروع، وميز لهم بين الكليات والجزئيات، حتى أصبحوا محكمين لمشكاة القواعد التعليمية للعلم .

بذل الولاتي جهدا كبيرا في استكناه حقيقة المصطلحات العلمية، مظهرا أهمية المفاهيم، وهنا سأعرض لجوانب تكشف عن تلك الأهمية، الوضع المعجمي للمصطلح، والمرادفات، التفرقة بين ما يتوهم أنه متحد .

❖ شرح المصطلح في أصله اللغوي

من سمات منهج الولاتي الوقوف على أصل المصطلح، قبل أن يكون حقيقة علمية، وهو بذلك يسعى إلى الوصول إلى حقيقة، مفادها أن المفهوم العلمي، ينبغي أن يسبق بمجرى معجمي عام .

فمن تفسيره للمعنى اللغوي، حديثه عن الفصاحة ف" الْفصاحةُ لغةً الظهورُ والبيانُ، يُقالُ فَصَحَ الأعجميُّ وأفصحَ، إذا نطقَ لسانُهُ وَخَلصتْ لُغتهُ من اللُّكْنةِ، وسيأتي معناها في الاصطلاح عند البيانيين، وهو المراد ههنا، والمعنى أن الفصاحةَ . [1]"

ومن ذلك أيضا نظره في مفهوم الرمز في الكناية، قائلا: " الرمز " وإن قَلَّت الوسائط بين الكناية والمعنى المقصود المكنى عنه، أي بين الملزوم واللازم، مع خفاء في اللزوم، أي في الانتقال من الملزوم إلى اللازم في الكناية المسوقة لمذكور، فهي أي الكناية رمز أي تسمى باسم الرمز، لأن الرمز

---

[1] – النص المحقق (ج1، ص152) وينظر كذلك الفهارس العامة فهرس المصطلحات البلاغية (ج3، ص: 848-861)

هو الإشارة إلى قريب منك على سبيل الخفية، لأن الرمز الإشارة بالشفة أو العين أو الحاجب"[1]

هذا هو المهيع الغالب، وربما أهمل الولاتي المعنى المعجمي للمفهوم، فدخل إلى المعنى الاصطلاحي، ومن أمثلته حديثه عن مصطلحي الإشارة والإيماء قال . . " **وَإِلَّا فَالأَخِيرَانِ** أيْ: وإلا يكن في الكناية خفاء في اللزوم، بأن كانت جلية، مع عدم الوسائط أو قلتها، فهي المسماة بالاسمين الأخيرين، أي بالإشارة والإيماء، لأن هذين الاسمين إذا أطلقا تبادر منهما القرب والظهور"[2] .

❖ **المترادفات الاصطلاحية**

الترادف تواطؤ يحصل بين الباحثين، حيث تتنوع ألفاظهم للمفهوم مع اتحاد مدلوله، وكان للولاتي اهتمام بهذا المهيع، رغبة في توسيع إدراك طالبي حل ألفاظ عقود الجمان، فيقفوا على كم من المصطلحات العلمية التي يختلف لفظها ويتحد مدلولها، وبذلك يدفع عنهم اللبس في تصور المدركات الاصطلاحية .

✓ الإيجاز / الاختصار

فمن تنبيهات الولاتي على الترادف حديثه عن الإيجاز قال: " والإيجاز لغة التقصير، يقال أوجزت الكلام قصرته، يستعمل متعديا وقاصرا، **وهو والاختصار بمعنى واحد**، كما يؤخذ من المفتاح، وصرح به الخطيبي" ثم يومئ إلى بعض الدقائق : " وقال بعضهم: الاختصار خاص بحذف الجمل فقط، بخلاف الإيجاز" . [3]

ومنه أيضا حديثه عن مصطلحي الإطناب والإسهاب، يقول الولاتي في تحديد الإطناب: " والإطناب لغة المبالغة، يقال أطنب في الكلام أي بالغ فيه، وهو بمعنى الإسهاب "[4] غير أن الولاتي قد يحقق في المترادفات، وربما ظهر له اختلاف في المجرى، ففي حديثه عن الإطناب والإسهاب،

---

(1) -ينظر النص المحقق، (ج : 3 ص: 668)

(2) - النص المحقق، (ج 3: ص: 669)

(3) - النص المحقق، (ج:2 ص:504)

(4) – نفسه.

توصل إلى أنهما مختلفان " والحق أنه أخص منه، فالإسهاب التطويل لفائدة، أو لا لفائدة، كما ذكره التنوخي وغيره، بخلاف الإطناب، فإنه لا يكون إلا لفائدة "[1] فالبنية التركيبية للنص هي المحدد للفروق بين مفهومي الإطناب والإسهاب .

✓ إعراب نص عقود الجمان

كان الولاتي مدققا في مرتع الجنان، واضعا المتلقي نصب عينه، حتى يقدم له شرحا مضيئا لألفاظ عقود الجمان، ولا أدل على ذلك من محاولته لضبط النص، مبينا حركات الإعراب، وضبط الصيغة الصرفية، ليتمكن الطالب من استجماع النص .

فمن مظاهر اهتمامه بالإعراب قوله معلقا على قول السيوطي :

" وغيرَ ثانٍ صفه بالبلاغة . "

قال " غيرَ" منصوبٌ على الاشتغال"[2]

ومنه أيضا ضبطه لقول السيوطي :

أَوْ حَمْلِهِ عَلَيْهِ مَنْ قَدْ سَمِعَا

يقول الولاتي: " أو حمله بالجر عطف على قوله وللتفاؤل، والضمير فيه عائد على المتكلم، والضمير المجرور بعلى عائد إلى المطلوب، ومن قد سمعا مفعول به للمصدر المضاف إلى فاعله الذي هو حمله، والألف في سمعا للإطلاق "[3]

وإذا حصل في النظم شيء، قد يفهم منه المبتدئ الخطأ واللحن، كشف الولاتي عن وجه النص الفصيح، فقول السيوطي:

---

(1) – النص المحقق، (ج 2: ، ص: 504)
(2) – النص المحقق، (ج :1، ص: 152)
(3) – النص المحقق، (ج 2: ص:452)

لَفْــظٌ أُرِيــدَ لازِمُ مَعْنَــاهُ مَــعْ جَــوَازِ أَنْ يُقْصَــدَ مَعْنَــاهُ تَبَــعْ

فربما أشكل إعراب تبع، لأن السياق يقتضي نصبها، لذا بادر الولاتي لتوضيح ذلك فقال: قوله: " تبع" بالوقف على السكون على لغة ربيعة"[1] وهنا تنقشع غيمة الإشكال عن المبتدئ في العلم .

ومن إعرابه كذلك قوله: ذا مبتدأ خبره وصف من الفعل المبني للنائب ونائبه، والجملة جواب الشرط حذف منها فاء الجزاء للضرورة ،

ومن ضبطه للصيغة الصرفية حديثه عن " ملوحا" في قول السيوطي :

إِنْ كَثُــرَتْ وسَــائِطٌ فَوُصِــفَا مُلَوَّحًــا .

قال " وقوله: ملوحا بتشديد الواو وكسرها، حال من الضمير المستتر في الوصف، ومعنى ملوحا مشيرا إلى المعنى المقصود المكنى عنه من بعد"[2] ومن تأمل الصيغة تعليقه على قول السيوطي :

وَمَــا يَكُــونُ شَــبَهًا فِي الْحَــرْفِ فَــذُو تَعَلُّــقٍ بِــهِ فَقُــلْ فِي

" ويحتمل أن يكون شبها بكسر الباء وحذف الياء، أصله شبيها حذف للوزن، وهو صفة"[3]

الضرورات العروضية

النظم العلمي منهج لجأ إليه العلماء، بغية ضبط العلوم وتقريبها للطلاب، ولذا حرصوا على نظم الكتب التعليمية تقوية لذاكرة الطلاب، لترسخ القواعد في الأذهان، وتقوى على الاستظهار، ونظرا لاستجماع النظم لأمور تعليمية دفعة واحدة، ربما اضطر الناظم إلى ارتكاب بعض المخالفات، خشية الضرورات العروضية، تحصيلا للشروط، أو تتميما للوزن .

فطن الولاتي لبعض التجاوزات العروضية الحاصلة في عقود الجمان، فلم يفتأ في التنبيه على

(1) – النص المحقق، (ج3، ص657)
(2) – النص المحقق، (ج3، ص668)
(3) – النص المحقق، (ج 2: ص:642)

تلك المخالفات، مخافة أن يظن المتعلم أنها جارية على قواعد العربية .

فمن ذلك تعقيبه على قول السيوطي :

" وَإِنْ تَقِلَّ مَعْ خَفَا"

قال الولاتي: قوله: خفا بالقصر لضرورة الوزن، وقوله رمز خبر مبتدأ محذوف، والجملة جواب الشرط"[1]

ومنه تعليقه على دعا في قول السيوطي:

مِنَ الْبَلِيغِ صِيغَةَ الْمَاضِي دُعَا

" وقوله: دعا بالقصر لضرورة الوزن، حال من فاعل تفي أو مفعول له" . فالضرورة أباحت للسيوطي قصر الممدود .[2]

ومما ارتكب فيه السيوطي مخالفة القواعد لأجل الوزن قوله:

وَكَوْنُهُ قُيِّدَ بِالشَّرْطِ لأَنْ = يُفِيدَ مَعْنَى الْأَدَوَاتِ كَيْفَ عَنْ

وَكُلُّهَا مَبْسُوطَةٌ فِي النَّحْوِ = وَابْحَثْ هُنَا فِي إِنْ إِذَا وَلَوِّ

يقول الولاتي : " وقوله ولو بكسر الواو وتشديدها لضرورة القافية، وقوله عن بتخفيف العين لضرورة القافية أيضا، فعل ماض بمعنى عرض "[3]

فهنا ارتكب السيوطي انحرافين، حيث شدد المخفف " لو" ثم خفف المشدد " عن" وكل ذلك سببه معرة الوزن، لأن العدول عن الوضع أولى من كسر نظام العروض .

---

(1) – النص المحقق، ج3 669

(2) – النص المحقق، ج3، ص307

(3) – النص المحقق، ج1، ص308

✓ تصويب أبيات عقود الجمان

لم يأل الولاتي جهدا في تقريب ألفاظ عقود الجمان، توفية بغرضه الذي ذكر في مقدمة شرحه، ومما يؤكد ذلك اعتناؤه بإصلاح ألفاظ عقود الجمان التي نقصت في تأدية المعنى، الأمر الذي ينتج عنه الخلل في التصور، فيحجب المعنى عند القراء، مما ينتج عنه لبس أو انحراف في فهم المعنى الإجمالي للنص .

صوبه الولاتي قول السيوطي

وَمَـــا عَـــنِ التَّعْقِيـــدِ فَالبَيَـــانُ ثُمَّ الْبَـــدِيعُ مَـــا بِـــهِ اسْتِحْسَـــانُ

ولوْ قالَ:

وَمَـــا عَـــنِ التَّعْقِيـــدِ فَالبَيَـــانُ ثُمَّ الْبَـــدِيعُ مَـــا بِـــهِ اسْتِحْسَـــانُ

لكانَ أحسنَ"[1]

ومن أمثلة اللبس الداعي إلى إعادة ترتيب نظم بيت عقود الجمان قول السيوطي:

وَمَـــا يَكُـــونُ شَـــبَهًا فِي الحَـــرْفِ فَـــذُو تَعَلُّـــقٍ بِـــهِ فَقُـــلْ فِي

فهذا البيت وقع فيه حذف للخبر، **لذا صوبه الولاتي قائلا:** " ولو قال: وما يكون شبها في الحرف لذي تعلق به لكان أحسن وأوضح، إذ قوله فذو تعلق مبتدأ خبره محذوف أي أحق به، والجملة خبر ما . ولو قال: لذي تعلق استقام المعنى بلا حذف، وكان الجار والمجرور خبر ما، ويحتمل أن يكون شبها بكسر الباء وحذف الياء أصله شبيها حذف للوزن، وهو صفة"

ومن نقد النظم حديث السيوطي عن مصطلحي الإماء والإشارة، حيث يقول:

إِشَـــارَةٌ إِيمَـــاءٌ، الَّـــذِي حُـــذِفْ مَوْصُـــوفُهُ نَاسَـــبَ تَعْرِيضًـــا عُـــرِفْ

وقد انتقد الولاتي بعض ألفاظ البيت فقال مصوبا " ولو قال الناظم:

فالَّـــــــذِي حُـــــــذِفْ مَوْصُـــوفُهُ نَاسَـــبَ تَعْرِيضًـــا حُـــذِفْ

لكان أوضح وأبين"[2]

---

(1) – النص المحقق ج1،ص171

(2) – النص المحقق: ج2 ص667

إن هذه التصويبات وغيرها ـ مما لم يذكر ـ دليل على سعي الولاتي في تشذيب العقود، وإظهاره نصا علميا سلسا متكاملا ينهل منه طلاب علوم البلاغة دون أن يجدوا ما يكدر صفو أفهامهم، وتلك الانتقادات التي قدم الولاتي، كانت في نظري صائبة، لما حوت من تقريب لمعنى الأبيات وتوضيح لمقاصدها .

المبحث الرابع: الأسس المنهجية لمرتع الجنان

تمهيد

وضع الولاتي لشرحه منهجا واضح المعالم، اعتمد فيه على البيان والتحليل ابتداء من الكلمة لإبراز المعاني الدقيقة التي احتواها نص المنظومة، ولتوضيح ما كان يرمي إليه الناظم من جهة أخرى، وهو منهج غلبت عليه سمة البيان والوضوح، وتميز بخلوه من الإطناب الممل والبعد عن الإيجاز المخل، مع التوسع في النقل عن العلماء . وتحديدا في علم البلاغة والنحو في أغلب مادة الكتاب الذي ضم أقوال كبار البلاغيين والنحاة .

رتَّبَ الولاتي شرحه ترتيبا بديعا كدأب المصنفين المحققين [1]، فبدأه بشرح ألفاظ منظومة " عقود الجمان في المعاني والبيان" شرحا دقيقا، حيث بدأ بالشرح اللغوي، واشتقاق كل ألفاظ الجمل من مصادرها والاستدلال عليها من القرآن ومن كلام العرب الموثوق بعربيتهم .

وتثير دراسة شرح" منظومة " عقود الجمان في المعاني والبيان" إشكالا مهما، يتحدد في الاتجاه الذي نحاه الشارح العلامة " محمد بن يحيى الولاتي " في شرحه، ولعل هذا الإشكال يعترض كل باحث في محاولة تصنيف الشروح داخل إطار منهجي محدد، ويعود هذا الإشكال بالخصوص، إلى شبه غياب تصور موحد حول مفهوم الاتجاه أو المنهج أو الطريقة وغيرها من المصطلحات التصنيفية، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد " أحمد جمال العمري" في كتابه " شروح الشعر الجاهلي، مناهج الشراح" يقدم دراسته في ضوء التصنيف التالي:

---

(1)- قال التفتازاني "هذا هو التحقيق في وجه تصدير الكتب بتعريف العلم، وغايته، وموضوعه". انظر "شرح الشمسية" في المنطق"، التفتازاني (سعد الدين مسعود بن عمر، ت792 هـ)، تحقيق: جاد الله بسام صالح، دار النور المبين، الأردن، ط1، 1432 2011-هم، (ص: 95).

❖ - المنهج الالتزامي النقلي:

منهج يلتزم فيه صاحبه بآراء السلف وأقوالهم معتمدًا رواياتهم وتفسيراتهم في جميع النواحي، ويقوم أساسًا على السماع والرواية والنقل، يجمع أقوال السابقين على اختلاف اهتماماتهم ويرصها جنبًا إلى جنب، ما توافق منها وما تعارض، دون المساس بجوهر الأقوال والآراء . كما أنه منهج يقوم على التوثيق ونسبة كل قول إلى صاحبه مهما تعددت الأقوال والآراء أو تضاربت أو جانبت الحقيقة والصواب، ما دام صاحب الرأي مذكورًا في صدر كلامه . أي المنهج المعتمد على التفسير النقلي، ويمثله ابن السكيت[1]

❖ - المنهج الإبداعي الفني:

وقد حدده بأنه منهج يقوم على دعامات فنية ومقومات أدبية وعلمية تتآزر فيما بينها لتخدم النص الشعري وتضيء جوانبه وتبرز سماته ومعانيه في أجمل صورة وعلى أكمل وجه، ويقوم أيضًا على إعمال العقل وكد الفكر واستنطاق النصوص بما فيها وما وراءها، ويستند إلى المحصول الثقافي الواسع في علوم اللغة والأدب، ويظهر في إطار فني بديع يعكس ملكة صاحبه الخلاقة لواعية الذواقة الفاهمة لأغراض الشعر ومراميه، كما يقوم على استغلال إمكانات اللغة والتفنن في استخراج مكامن علوم البلاغة لإظهار ما يؤديه من جمال التصوير وروعة التعبير في إطار من حسن العرض وكمال التحليل وجوده التعليل . وبجانب هذا هو منهج يستعرض الروايات ويقارنها ويختار أفضلها وأجودها وأقربها إلى مذهب الشاعر ومقصده، وفوق هذا أنه منهج تظهر فيه ذاتية الشارح وشخصيته وملكته الأدبية وقدرته على بلورة الأفكار وتقديم التصورات الممكنة والمحتملة والجائزة في غلاف من الأسلوب الأدبي المؤثر . أي المنهج الذي يقوم على أسس فنية وأدبية وعلمية، فتسخر له إمكانات اللغة والإعراب، وثقافة الشارح، ويمثله المرزوقي [1]

---

(1)- شروح الشعر الجاهلي، أحمد جمال العمري، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، 1981، (9/2). شروح حماسة أبي تمام دراسة موازنة في مناهجها وتطبيقها، تح: محمد عثمان علي دار الأوزاعي، بيروت، لبنان، ط 1. 1994. (ص: 95)

❖ **- المنهج الانتخابي التهذيبي التكميلي:**

أي المنهج الذي ينطلق من الشروح السابقة ويتدخل فيه النقل والاجتهاد، ويعتمد كل التخصصات، فهو منهج: " حصري نقلي مزجي استقرائي انتخابي تهذيبي تنسيقي توفيقي تكميلي تحقيقي . "[1]

أما في كتابه " منهج أبي جعفر النحاس في شرح الشعر" فإننا نجده لا يعطي تصنيفا آخر للمناهج ويطلق على منهج النحاس في شرح الشعر: المنهج النقلي: [2]" وهو منهج الرواية والدراية القائم على الاستنباط والاستشهاد معا . "

أما فخر الدين قباوة فهو يضع للشروح اتجاهات[3]: الاتجاه اللغوي[4]، الاتجاه التاريخي[5]، الاتجاه النحوي[6]، الاتجاه النقدي[7]، مع إضافته في الدراسة للمنهج التكاملي[8] .

أما سعيد الأحرش، فيقسم الشروح إلى أنواع هي: الشروح الأصلية، والشروح المختصرة الميسرة .

ثم يدرس الشروح في ضوء اتجاهات:

- ✓ الاتجاه النحوي البلاغي .
- ✓ الاتجاه الأدبي المستوفي .

---

(1)- شروح الشعر الجاهلي، أحمد العمري (273/2).

(2) - منهج أبي جعفر النحاس في شرح الشعر، أحمد جمال العمري، القاهرة، دار المعارف 1982، (ص: 87)

(3)- منهج التبريزي في شروحه والقيمة التاريخية للمفضليات، ط2، دار الفكر 1418 هـ، اتجاهات الشروح، (ص: 118).

(4)- نفسه، (ص: 119).

(5)- نفسه، (ص: 128).

(6)- نفسه، (ص: 139).

(7)- نفسه، (ص: 157).

(8)- نفسه، (ص: 200).

- ✓ الاتجاه التاريخي .
- ✓ الاتجاه الصوفي .

أما عبد الله المرابط الترغي ﷺ فيدرس في كتابه "**(الشروح الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية العصر الأول: دراسة في الأنماط والاتجاهات**"، الشروح واتجاهاتها، في ضوء الأنماط، حيث يقول : " أصناف الشروح الأدبية تجري على ما تقدمه من مواد الشرح أولا، وما تعتمد عليه من طريقة في ذلك ثانيا . وكان من هذه الأصناف ما تمثلت معه أعمال اتجاهات الشرح الأدبي، فكان هناك الاتجاه اللغوي، والاتجاه التكاملي التحليلي، والاتجاه الانتقائي الاستطرادي، والاتجاه الإخباري، والاتجاه الصوفي . "[1] .

وأنا في هذا المقام لا أريد تقديم دراسة حول هذا الجانب عند الباحثين بقدر ما أتلمس الطريق لأوضح الاتجاه الذي يندرج في إطاره " مرتع الجنان على عقود الجمان"، وسأحاول تقديم قراءة أو مقاربة توضح اتجاه هذا الشرح .

فمن الملاحظ أن النص موضوع الشرح، يعد المحرك والمحدد لطبيعة الشرح واتجاهه، فإذا كان خطاب النص خطابا أدبيا أو تاريخيا أو صوفيا أو علميا أو لغويا، تلون الشرح بلونه، وانعكس ذلك على اتجاه الشرح، فتكون الغاية منه ليس فقط إزاحة الغموض، بل أيضا إبراز الجانب الذي يعكسه النص .

وبالنسبة لشرح " مرتع الجنان" يمكن تصنيفه ضمن الاتجاه اللغوي باعتباره المهيمن على الشرح، من أوله إلى آخره .

ولقد أكسبت خاصية الجمع، وميزة تنوع المصادر منهجَ المؤلف في التفسير ثراء في المعرفة وتميزا في المنهج، فقد جمع بين عدة مناهج في هذا الكتاب، وتطرق إلى الكثير من المسائل العلمية

---

[1]- الشروح الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، العصر الأول: دراسة في الأنماط والاتجاهات، د. عبد الله المرابط الترغي، (ص: 159).

المختلفة، فيكثر الخوض في المسائل النحوية والصرفية والبلاغية، وله مع هذا كله اهتمام بمختلف المواضيع التي يتناولها العلماء الموسوعيون عادة كقضايا العقيدة ومذاهب الفرق الإسلامية، ومسائل الفقه والأصول وغير ذلك، مما سنفصله في المطالب التالية:

ـ المطلب الأول المنحى اللغوي:

هذا الاتجاه يتم فيه التركيز على اللغة وموادها في شرح النص الشعري ومعالجته فيكون ذلك: إما بالاقتصار على شرح اللغة، والاكتفاء بها وبموادها من بداية الشرح إلى نهايته .

وإما بتناول مختلف الفقرات التي يتم فيها معالجة قضايا النص إلى جانب الشرح اللغوي من بلاغة ونحو، وفقه وغيرها، غير أنه يركز على عنصر اللغة باعتباره الأهم في عملية الشرح .

وقد حدد العلامة عبد الله المرابط الترغي ﷺ أسباب الاعتماد على اللغة في عملية الشرح والتحليل فيما يلي[(1)]:

1) اعتبار شرح النص الأدبي، لا يتم إلا بالشرح اللغوي، وأن ما يأتي بعد شرح اللغة، إنما يمكن أن يصل إليه القارئ بدون معاناة، وأن الحاجز الوحيد في عملية فهم النص، هو اللغة بغريبها وتراكيبها، وهذا هو تصور القدماء لعملية الشرح الأدبي، وبخاصة في مرحلة التدوين الأولى، وظل قائما حتى في المراحل المتطورة في عملية الشرح .

2) وقد يكون الاقتصار على اللغة في عملية الشرح بهدف الاختصار، إما نتيجة ظروف طارئة، وإما لأسباب تكون تعليمية، أو مرتبطة بظروف اللحظة التي يباشر فيها عملية الشرح، كافتقاده إلى المصادر والمراجع التي يمكن أن يثري بها الموضوع . غير أن المقصود بشرح اللغة سواء في العمل الذي يقتصر على شرح اللغة، أو الذي يتجاوزها إلى ما يتضمنه النص من مواد أخرى، هي معالجة ما يرتبط بمواد اللغة في تفسير غريبها، وعرض المعاني المعجمية للفظة التي تعرض للشرح بما فيها

(1)- الشروح الأدبية، عبد الله المرابط الترغي، (ص: 167) وما بعدها بتصرف.

المعاني المشتملة، ثم بسط عملية الاشتقاق بالبحث في أصول الكلمة، ومصادرها، ومادتها ومشتقاتها، وأوجه استعمالها، وما يحدث فيها من تغييرات صرفية إما عن طريق الإبدال أو الإعلال وغير ذلك، وإيراد تصاريفها وأوزانها والتحولات الصرفية المطردة أو الشاذة .

كما يتم في الشرح اللغوي إيراد الشواهد لتأكيد حالة لغوية أو صرفية تتعلق باللفظة المشروحة، وكذا الاعتماد على نقول لغوية ترجع موادها إلى المصادر المختلفة، أو إلى أقوال بعض الرواة وعلماء اللغة، ولا شك أن هذه النقول والأقوال تقوم مقام حجة على اختيار معنى من معاني اللفظة ليتناسب والسياق الذي يتم فيه شرح اللفظة، كما يدخل ضمن هذا الشرح الجانب الإعرابي فيتم من خلاله تعيين عناصره التركيبية، وتحديد علاقات التأثر والتأثير فيه، وتكمن أهميته حينما يتعلق الأمر بقضية شائكة في مستوى التركيب المشروح .

فاللغة في شرح الفقيه الولاتي " تعتبر أساسا في فكّ معاني النص وتقريب الخطاب الشعري وسبر أغواره، وبسط ما استغلق على الفهم، حيث تظهر مقدرته اللغوية في تتبع الألفاظ الغريبة الواردة في النص، مع عدم ترك أي لفظة دون شرحها .

كما أن أهم ما يميز شرحه لمعاني الألفاظ، هو تناوله لها في إطار ترابطها المعنوي الموضوعي ليمهد لمعنى البيت عامة .

ومن آليات الشرح والتحليل التي اعتمدها الشيخ " محمد بن يحيى الولاتي " في شرحه، للكشف عن معاني النص ودلالته ؛ اعتماده على الشرح الإعرابي على اعتبار أن هذه العملية قد تشكل مفتاحا ومدخلا لقراءة وشرح الأبيات .

وإن كثرة المادة النحوية في شرح " مرتع الجنان" تكشف عن عمق التحليل النحوي التركيبي لدى الشارح، لتعطي للشرح ثراء كبيرا في هذا الجانب .

وتتم الممارسة الإعرابية بشكل يتم فيه المزج بينها وبين عملية شرح اللفظة الأخرى، في دلالتها المعجمية، باعتبار أن هذه العمليات تتكامل في الإفصاح عن معاني النص الظاهرة والخفية .

ولهذا، قد تكون بداية شرح البيت إعرابا، وقد يتراوح الشرح بين الإعراب وشرح اللغة .

ثم إن الهدف من عرض القضايا النحوية عند الولاتي لا يقف عند الجانب الوظيفي للفظ المشروح بتحديد الموقع الإعرابي فقط، وإنما يتجاوزه ليشمل الجانب التعليمي والتثقيفي[1]، ويظهر ذلك جليا عند عرض الآراء النحوية حول مسألة ما، وترجيح أحد الآراء على الآخر،

" ومثال ذلك حديثه عن الخلاف في التوابع أيها أولى بالتقديم عند اجتماعها .

قال في المطول: " عند اجتماع التوابع الأصل تقديم النعت، ثم التأكيد، ثم البدل، ثم البيان، ووجه الفنري تقديم النعت على ما بعده ؛ لأن النعت مع المنعوت كشيء واحد، والتأكيد لكونه أرسخ في التابعية من البدل، إذ هو مقصود بالنسبة دون متبوعه، فإنه في حكم المطروح " . [2]

قال الفنري: " وإنما أدخل " أو" في قوله أو البيان، تنبيها على أن عطف البيان مع البدل من واد واحد، حتى أن بعض النحاة لم يميزه من بدل الكل، وبقي العطف بالحرف المتأخر عن الكل " .

قلتُ: ما في المطول خلاف لما مشى عليه الناظم في الفريدة، من أنه يقدم عند الاجتماع النعت، ثم البيان، ثم البيان، ثم التوكيد، ثم البدل، ثم النسق، قال:

يَتْبَـعُ في الإعْـرابِ الأسـماء الأُوَلْ ... نَعْـتٌ وتَوْكيـدٌ وعَطْـفٌ وبَـدَلْ
وَنَسَـقٌ وعنـدَ الاجْتمـاع ... كَـذا تَرتُّـبٌ بِـلا نِـزاع[3]

ولم يخل عمل الولاتي من ملامسة المظاهر البلاغية والجمالية للنص، بالرغم من طغيان الجانب اللغوي في شرحه، فهو كثيرا ما يتناول قضايا البلاغة خاصة إذا كان لها ارتباط بشرح معاني النص، ولهذا تعتبر تكميلا لعمل الشرح في مستواه اللغوي .

---

[1] – النص المحقق، (ج1، ص: 359)

[2] – المطول للسعد، م س، ج2 ص98.

[3] – النص المحقق، (ج1، ص: 359)

ومثال ذلك تعقيبه على كلام للسيوطي في الإتقان حول انقسام المجاز العقلي إلى أربعة أنواع، ففي النوع الثالث الذي أحدُ طرفيه حقيقي دون الآخر، ومثل له السيوطي بقول الله تعالى: ﴿أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا﴾ قال الولاتي معقبا: " قلت: المجاز العقلي في قوله أم أنزلنا . ليس في النسبة الإسنادية، التي هي نسبة الإنزال إلى المتكلم وهو الله تعالى، وإنما هو في النسبة الإيقاعية، وهي نسبة الإنزال إلى السلطان، وهو البرهان، وقد مرّ أنه يدخلها . "[1]

وقال أيضا في موضع آخر معلقا على رأي السيوطي القائل بأن الاستثناء من الإيجاب يفيد الحصر: قال: " قلتُ: لا نسلم كون الاستثناء من الإيجاب لا يفيد الحصر، بل يفيده ؛ لأن قولك: " قام القوم إلا زيدا " يفيد قصر الحكم الذي هو القيام على القوم المعهودين دون واحد منهم هو زيد، فهو من القصر الإضافي المصرح فيه بالإثبات والنفي، أو يقال إن قولك: " قام القوم إلا زيدا " يفيد قصر الحكم الذي هو عدم القيام على زيد دون باقي القوم المعهودين .

ولقد استطاع الشارح بحاسته الفنية وقدرته على تذوق الشعر إبراز مواطن الجمال في منظومة السيوطي، مما يؤكد لنا معرفته الواسعة بعلوم البلاغة، وتمكنه من استخراج الصور الشعرية البلاغية التي تحتوي عليها، وهذا يعكس لنا رهافة الحس بجمال الكلمة لدى الشارح ﷺ، رغم اعترافه وتواضعه في مستهل تقديم شرحه بقوله " مَعَ ضِيقِ بَاعِي وقُصُورِ نَظَرِي وعَدَمِ اتِّسَاعِي وفُتُورِ فِكْرِي " [2].

على أن عرض هذه المظاهر لم يأخذ حيزا وافيا داخل عملية الشرح .

---

(1) – فيض الفتاح

(2) – النص محققا (ج1، ص150)

ـ المطلب الثاني المنحى القراءاتي :

للمؤلف اعتناء كبير بالقراءات أوجها وتوجيها . . إلا أن مما يعاب عليه أحيانا إيراده للقراءات الشاذة دون التنبيه عليها، بل لربما استُشفَّ من كلامه أحيانا جواز القراءة بها، كما في قوله: ومنه قراءة بعضهم: " سواء عليهم أنذرتهم[1] " بحذف همزة التسوية، وهي قراءة شاذة .

ومن ذلك أيضا حديثه في باب الإيجاز عن جواز الحذف للقطع، وأورد في ذلك بعض القراءات الشاذة دون أن يعلق على شذوذها، فقال: ومِنْهُ قراءة بعضهم: ﴿**وَنَادَوْاْ يَمٰلِ**﴾ بِالتَّرْخِيمِ ويَدْخُلُ فِي هَذَا النَّوْعِ حَذْفُ هَمْزَةِ أَنَا فِي قَوْلِهِ: ﴿**لَّكِنَّا هُوَ اَ۬للَّهُ رَبِّے**﴾ إِذِ الْأَصْلُ لَكِنَّ أَنَا، حُذِفَتْ هَمْزَةُ أَنَا تَخْفِيفًا، وأُدْغِمَتِ النُّونُ فِي النُّونِ ومِثْلُهُ مَا قُرِئَ ﴿**وَيُمْسِكُ اُ۬لسَّمَآ ان تَقَعَ عَلَي اَ۬لَارْضِ**﴾ ﴿**بِمَآ أُنزِلَ لَيْكَ**﴾ ﴿**فَمَن تَعَجَّلَ فِے يَوْمَيْنِ فَلَثْمَ عَلَيْهِ**﴾ ﴿**إِنَّهَا لَحْدَي اَ۬لْكُبَرِ 35**﴾[2]

ومنه أيضا إيراده لقراءة ابن محيصن المكي الشاذة، في قول الله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَنذَرْتَهُمْ﴾ بحذف همزة التسوية، ولم يعلق على هذا أيضا .

وهذه القراءات وإن كان إيرادها في الأصل ليس له، إلا أنه نقلها من أحد مصادره المباشرة التي صرح بالنقل عنها وهو كتاب الإتقان، غير أنه أدرجها في شرحه، ولم يعلق على شذوذها مما يجعل القارئ في حيرة من أمره حول تسليم الولاتي لهذه القراءات أم لا .

(1) المحقق، (ج2، ص: 514)
(2) نفسه،(521/1)

المطلب الثالث: المنحى الفقهي :

لم يكثر المؤلف من طَرْق المسائل الفقهية، ولكنه حين يذكرها لا يفوته ـ غالباـ أن يبين صحيحها من سقيمها، فمن أمثلة مناقشته لآراء المذاهب:

أـ قوله: " استدل ابن دقيق العيد وغيره من أئمة الأصول على إفادة إنما للحصر، بأن ابن عباس فهِمَهُ مِنْ حديث ((**إِنَّمَا الرِّبَا فِي النَّسِيئَةِ**)) ولم يعارض في فهمه الحصر، بل عورض بحديث أبي سعيد وهو نص في تحريم ربا الفضل، وقد حاول الشافعي الجمع بين الحديثين بجعل الحصر خاصا، فقال يحتمل أن النبي ﷺ سُئل عن الربا في صنفين مختلفين ذهب بورق أو تمر بحنطة، فقال: ((**إِنَّمَا الرِّبَا فِي النَّسِيئَةِ**)) فأداه الراوي ولم يؤد المسألة "[1] .

ب ـ يرى أهل البلاغة أن صيغة الأمر قد تأتي للتأديب، ومثلوا لذلك بحديث ((**كل مما يليك**)) قال الولاتي معلقا: " أما أكل المكلف مما يليه فمندوب، ومما يلي غيره فمكروه، وهذا ما لم يؤذ فيحرُم "[2]

ج ـ ومنه كذلك حديثه عن الاختلاف في جواز الاقتباس من القرآن، قال الولاتي: " **قلتُ**: ففي الاستدلال على إباحة الاقتباس بقوله: ((**إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا إلخ**)) نظر لأن كلامه ﷺ كله وحيٌ، لأنه ﴿ **مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾أَيْ ما يَنطِقُ به، والقرآن وحيٌ أيضا، فتضمينه ﷺ لآية أو تركيب من القرآن في كلامه، إنما هو خلط وحي بوحي، لأنه لا فرق بين الحديث والقرآن من جهة المعنى، إلا أن القرآن نزل بلفظه للإعجاز بسورة منه وللتعبد بتلاوته، والحديث نزل معناه على قلب النبي، فعبر عنه بلفظه، فليس تضمينه، للقرآن في كلامه كتضمين غيره له في كلامه، فلا يكون حجة على جوازه ؛ لأن القرآن والحديث من جهة المعنى سواء "[3]

---

[1] – النص المحقق، (ج1، ص: 372)
[2] – النص المحقق، (ج1، ص: 440)
[3] – النص المحقق (ج3، ص813)

وهو وإن كان مالكي المذهب إلا أنه غير متعصب حيثما تجلى له الحق تبعه، وأقرب مثال لذلك اختياره لرأي المتأخرين من الشافعية فيما يتعلق بجواز الاقتباس من القرآن والسنة على التفصيل الذي سبق بيانه .

وهذا ليس غريبا عليه، فلقد كان يلقب بالفقيه، لرسوخ قدمه في الفقه وعلوّ كعبه فيه، ومصنفاته في الفقه خير شاهد على ما ذكرنا .

المبحث الخامس: مقاربة بين مرتع الجنان وبعض شروح عقود الجمان

ذاع نظم عقود الجمان فكثرت عليه المؤلفات، شرحا لعباراته، وتقريبا لمعانيه، ونقدا لحدوده، ومعالجة لقضاياه العلمية، وقد كان الدافع الأهم في كل ذلك تقريب المادة البلاغية من أذهان المتعلمين حتى يحكموا أطراف البلاغة، ويتقنوا خفايا جمالياتها في الخطاب العربي، خاصة القرآن والحديث الشريف .

ولم يكن الولاتي في مرتع الجنان قصد غير إفادة المتلقين للدرس البلاغي، وفي المبحث سأعرض لمقاربة شرح الولاتي لعقود الجمان بشروح أخرى ليظهر مناهجها ومميزاتها، وتلك الشروح اخترت منها:

شرح المرشدي على عقود الجمان " الدرر الحسان في عقود الجمان"[1] .

طرة محنض باب على عقود الجمان، محنض باب بن اعبيد الديماني[2]

مرتع الجنان على عقود الجمان للولاتي .

الجواهر الثمان شرح عقود الجمان، محمد الحسن بن أحمد الخديم[3] .

إن المقارنة بين مؤلفات تتناول نصا واحدا تتطلب النظر في بعض المكونات المركزية التي تعد المعبر الأساس لفهم النص .

وسنقتصر على بعض الأسس المركزية للشرح .

(1) نشر الكتاب أول مرة باسم شرح المرشدي على عقود الجمان، غير أن بعض الدارسين سماه الدرر الحسان شرح عقود الجمان في المعاني والبيان،

(2) – طرة محنض بابه على عقود الجمان، محنض بابه بن اعبيد الديماني، مراجعة وتعليق محمد ولد بتار، ديوان الشناقطة، ط1، 2021/1442

(3) – الجواهر الثمان، شرح عقود الجمان، محمد الحسن بن الخديم، إشراف عبد الله محمد سالم وأحمد سالم أحمد، دار التيسير للنشر والتوزيع، نواكشوط، موريتانيا، ط1، 2021/1442

المطلب الأول: سبب تأليف الشرح

دأب أكثر الشراح على تقديم الأسباب التي دعته إلى صرف وقته في الاشتغال بشرح النصوص والتعقيب على مؤلفات العلماء، باعتبار أن المسلم عمره قصير، فلا ينبغي أن يشغله إلا بما يقربه من ربه، طلبا للمثوبة وحسن العمل . وهنا أعرض مقدمات الشراح المختارة للدراسة لأظهر السمات المشتركة، والمميزات الخاصة .

إن الناظر في مقدمات الشروح الأربعة يمكنه أن يقسمها قسمين: قسم لم يضع مقدمة، ولا ذكر سببا للتأليف، وقسم قدم وبين السبب الباعث على الشرح .

أ ـ القسم الذي أهمل المقدمة

لم يشر المرشدي ومحنض بابه إلى الأسباب الداعية إلى شرحهما لعقود الجمان، بل دخلا إلى نص السيوطي، شرحا وتعليقا، حتى أنهما لم يقدما للنص بحمدلة ولا بسملة، ولعلهما اكتفيا بمقدمة السيوطي، فهي كافية لما اشتملت من أصول المقدمات .

ب القسم الذي قدم وأظهر أسباب الشرح .

❖ **1ـ مرتع الجنان**

افتتح الولاتي شرحه بحمد المنعم والصلاة على النبي المعظم، ثم اتبع منهجية أغلب الشراح، حيث ذكر اسمه، وفضل العلم، والأسباب الباعثة على التأليف . فعن نسبه يقول: أمّا بعدُ فيقولُ أفقرُ الْعبيدِ إلى مَوْلاهُ الْغَنِيِّ بِهِ عَمن سِواه محمد يحيى بنُ محمد الْمُختار بن الطّالِب عَبدُ الله، الْعَلَّوشِيُّ نَسَباً الْوَلاتِيُّ مَنشَئاً ومَوْطِناً، المالكيُّ مَذهباً الأشعريُّ مُعْتَقدا[1] . وإنما صنع هذا الصنيع ليعطي المتلقي ورقة تعريفية عن نفسه كي يتتبع سيرته العلمية، أهو من أهل هذا العلم حتى تقبل آراؤه، وتطمئن النفوس إلى شروحاته العلمية ؟ .

[1] النص المحقق (ج1/ص150)

بعد التعريف الموجز ألمح الولاتي إلى فضل علم البلاغة قائلا: لَمّا كانَ عِلمُ الْبلاغةِ مِنْ أجَلِّ الْعُلومِ قَدْرا، وأَدقِّها سِرّا، إذْ به تُعْرفُ دَقائقُ الْعَرَبيّةِ وأسرارُها، ويَكْشفُ عَن وجُوهِ إعْجازِ الْقرآن أسْتارَها، وذلكَ داعٍ إلى التَّصْديق بالنبيِّ، فلِذا ذَكرَ السيوطيُّ في شرحِهِ: " كَمَالُ الإيمانِ مُتَوقِّفٌ على مَعْرفَةِ عِلمِ البلاغةِ لتَوقُّفِ إدْرَاكِ إعجازِ القرآنِ الذِي هُوَ مُعْجِزَةُ النَّبِيِّ، عَلَى مَعْرِفَتِهِ[1] . ففيه تبيان لحاجة الناس إلى معرفة علم البلاغة ؛ لأنها من مفاتيح فهم خطاب الدين، ومن ثم شمر الولاتي عن ساعد الجد ليقرب معانيها من أذهان المتعلمين المسلمين، ليتفقهوا في الدين، يقول الولاتي عن أسباب شرحه: " حَرَّكَنِي ذلكَ إِلَى أَنْ أَضَعَ شَرْحـًا مُبِينا مُفِيدْ، عَلَى أَلْفِيَّةِ الْفَقِيهِ الإِمَامِ السّيُوطِيِّ الْوَحِيدْ، الْمُسَمَّاةِ: بِعُقُودِ الْجُمَان فِي عِلْمِ الْمَعَانِي والْبَدِيعِ والْبَيَانْ. يُزِيلُ الْحِجَابَ عَن مُشْكِلاتِهَا الْعَويصةِ الأَبِيَّة، ويُسَهِّلُ الْوُصُولَ إِلَى ذَخَائِرِ كُنُوزِهَا الْخَفِيَّةِ[2] . ولئن نجح الولاتي في مهمته فقد نصر الإسلام، لأنه أطلع الناس على كنوز الإعجاز القرآني، وبصرها بمقاصد جوامع كلم النبي ﷺ، وتلك أسمى ما يقدمه الإنسان لخدمة دينه .

❖ 2ــ الجواهر الثمان

بدأ صاحب الجواهر بعد الحمدلة والصلاة على النبي بذكر اسمه، مبينا فضل علم البلاغة قائلا: يقول أسير ذنبه، ورهين كسبه، الفقير إلى ربه الغني الكريم، محمد الحسن بن أحمد الخديم . لما كان علم البلاغة من أجل العلوم قدرا، ودقها سرا، وبه تعرف دقائق العربية وأسرارها، وتكشف عن وجوه إعجاز القرآن أستارها ؛ ولذا قال بعضهم: إن كمال الإيمان متوقف على معرفة البلاغة، لتوقف إدراك إعجاز القرآن على معرفته"[3] . وإذا كان هذا شأن علم البلاغة، فمعرفة أصولها، وفهم مقاصدها، غاية المسلم الذي يريد إدراك كنه معاني القرآن الكريم .

لقد حتّمت الحاجة لعلم البلاغة إلى تأليف كتب تتضمن المباحث الكبرى للعلم حتى

[1] النص المحقق (ج1/ص150)
[2] النص المحقق (ج1/ص150)
[3] الجواهر الثمان، ص: 11.

تستجمع أبوابها، وتحكم قضاياها، وتضم أشتاتها، وحسب محمد الحسن ف" ألفية السيوطي المسماة عقود الجمان من أوعب وأحسن ما ألف في هذا الشأن"[1] .

وإذا كان عقود الجمان جمانة مؤلفاته البلاغية فقد حرك عرف ألفاظها محمد الحسن إلى وضع شرح يبرز جواهرها المكنونة، يقول موضحا سبب وضع شرحه: " أضع عليها تعليقا كالشرح، يهذب مبناها، ويقرب معناها، ويفتح مغلقها، ويشرح مجملها، ويوضح مشكلها"[2] . وعلى هذا المنوال يكون محمد الحسن قدم خدمة جليلة لعلم البلاغة، حيث حل ألفاظ نظم شهير يتناوله الطلاب بالدرس، فلم يترك مبهما من غير تبيين، ولا لبسا من غير إظهار .

ومما سبق يتضح للقراء أن شراح عقود الجمان الأربعة سلكوا منهجين:

المنهج الأول: الدخول إلى النص المشروح دون تقديم، وهذا منهج المرشدي، ومحنض بابه . وهذا منهج مرجوح .

المنهج الثاني: التقديم للنص، حيث نلفي الولاتي وابن الخديم سلكا الطريق الأعرف، حيث ذكرا الاسم، وفضل العلم، والأسباب الدافعة إلى الشرح .

---

(1) المصدر السابق: نفسه.

(2) نفسه.

المطلب الثاني: تفسير الألفاظ والعبارات

الشرح في مفهومه العام تفكيك للنص، بحيث يتناول النص على مستويين: اللفظ المفرد، ثم المعنى الإجمالي للمركب، وهنا سيتطرق البحث لبعض ملامح الشرح عند الشروح الأربعة تبيينا لمناهجهم، وتوضيحا لطرقهم التي سلكوا في تقريب النظم، وإفادة الطالبين . وسأكتفي بالبيت الأول من عقود الجمان :

قَالَ الْفَقِيرُ عَابِدُ الرَّحْمَن   الحَمْدُ للهِ عَلَى الْبَيَانِ

❖ شرح المرشدي

حاول المرشدي تقريب لفظ البيت، حيث قال: **(قال)** ابتدائي فيه عدول عن مقتضى الظاهر، وتعبير عن معنى المستقبل بلفظ الماضي، تفاؤلا وإشعارا بتحقق المحكي، وذلك يعد من باب الاستعارة ؛ إذ قد شبه غير الحاصل بالحاصل في تحقق الوقوع . . [1] ثم استطرد مناقشة طويلة أعرضت عنها خشية التطويل .

" الفقير" فعيل بمعنى المفتعل، وله استعمالات، وهو اللائق هنا المحتاج، أي: إلى الله، فحذف المتعلق للعلم به . وإدخال الألف في قوله " عابد الرحمن" قال الناظم إنه غير مخرج الكلمة عن أصل معناها، واستعمله الناس كثيرا، وتبعته في منظومتي الصرفية . . "[2] . وجملة قوله " الحمد لله" مقول القول، وأردف الناظم التسمية بالحمدلة اقتداء بأسلوب الكتاب المجيد، وعملا بحديث الابتداء، إذ سبق التعريف بالقائل غير مخل بالابتداء، ومبحث الحمد مما شاع الكلام فيه، وأفرد بالتصنيف فلا حاجة إلى الإطالة بذكره . . "[3] .

---

[1] المرشدي، ص: 1.

[2] نفسه

[3] المصدر السابق ص: 3.

" على البيان" وعلى في على البيان" للتعليل، أي: لأجل ما علمنا من البيان، وهو متعلق بمحذوف التقدير، نحمده على البيان، إذ لا يصح تعلقه بالحمد، إذا جعلنا الحمد لله جملة، لأنه لا يصح الإخبار عن المصدر قبل استيفاء معمولاته، وإن أبقينا " على" على معناها من الاستعلاء ففيه من المبالغة الإشارة إلى تفخيم الحمد . . "[1] .

كانت شروح المرشدي للبيت علمية يطبع أسلوبها التمكن القوي في العلوم، حيث لا يريد أن يغادر لفظا إلا أحاط به من جوانب متعددة: المعجم، والدلالة، والنحو والصرف . . إلخ . وبها يكون شرحه أكثر موسوعية، وأدق منهجا من الشروح الأخرى ؛ لأن غرضها من الشرح كان أسمى من التعليم، إذ هو موجه إلى كبار العلماء والنقدة المتعطشين للتحقيق والتدقيق .

وقد حذفت كثيرا من كلام المرشدي، لأنه مناقشات عامة عرضها للمنتهين في العلم، أما غيرهم من المبتدئين، فلا طاقة لهم بها، لما احتوت من الصعوبة، منطقا، وبلاغة، ونحوا، وصرفا، وعقيدة .

❖ **طرة عقود الجمان**

تناول محنض بابه بعض ألفاظ البيت المركزية التي يحتاجها المتعلم، فقال ": **(قال الفقير)** أي: إلى الله في جميع أموره، **(عابد الرحمن)** وهو الإمام خاتمة الحفاظ جلال الدين السيوطي الشافعي مذهبا، وإدخال الألف في عبد غير مخرج له عن معناه، وهو جائز مستعمل **(الحمد لله على البيان)** هو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير "[2] .

اكتفى محنض بابه بإضاءة بسيطة على ألفاظ البيت رغبة منه في الاختصار لإفادة المتعلمين الناشئين، ولذا أهمل شرح الحمدلة، باعتبارها من الألفاظ الشهيرة الواضحة المعنى والمبنى .

---

[1] نفسه.

[2] طرة محنض بابه، ص: 10.

❖ **مرتع الجنان**

قصد الولاتي بعض الألفاظ التي يرى فيها غموضا يحتاج الطالب إلى كشفه، متوسعا بعض الأحيان في بسط الدلالات التداولية للفظ كحديثه عن أصل عبد .

يقول الولاتي " الْفَقِيرُ الْمُحْتاجُ إلى اللهِ فِي كُلِّ شُؤونِهِ، وعابِدُ لِضَرُورَةِ الْوَزْنِ، أَصْلُهُ عَبْدٌ، وعَبْدٌ فِي الْأَصْلِ وصْفٌ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الاسْمِيَّةُ، والرَّحْمَانُ صِفَةُ مُبالَغةٍ فِي الرَّحْمَةِ، وأَصْلُها رِقَّةُ الْقَلْبِ، واسْتِعْمالُها مِنَ اللهِ تَعالَى بِمَعْنَى إِرَادَةِ الْخَيْرِ، مَجَازٌ مُرْسَلٌ، لِاسْتِحَالَةِ الْحَقِيقَةِ فِيه .

وَالْبَيَانُ هُوَ الْمَنطِقُ الْفَصِيحُ الْمُعْرِبُ عَمّا فِي الضَّمِيرِ، وفِي التَّعْبِيرِ بَرَاعَةُ اسْتِهْلَالٍ"[(1)] .

كانت عبارة الولاتي سهلة المأخذ قصاراها حل معنى ألفاظ السيوطي، ثم التنبيه على بعض الضروريات التي ينبغي لطالب العلم اليقظة لها، كضرورات الوزن " عابد"، ثم معرفة سياقات الألفاظ، فصلا بين حقائق الأشياء ومجازاتها، إذ بعض المعاني قد يستحيل مجراه على الحقيقة، لما يترتب على الحقيقة من الاستحالة .

❖ **الجواهر الثمان**

أشار ابن الخديم إلى شرح ما يحتاج من الألفاظ، منبها على اسم المؤلف " قال الفقير" الْمُحْتاجُ إلى اللهِ فِي كُلِّ شُؤونِهِ، هو الإمام خاتمة الحفاظ جلال الدين (**عابد الرحمن**) بن أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي المتوفى في سحر ليلة الجمعة سنة ٩١١ه عن اثنتين وستين سنة، وإدخال الألف في " عبد" غير مخرج للكلمة عن أصل معناها، وهو جائز، وعبد في الأصل وصف غلبت عليه الاسمية، والرحمن صفة مبالغة من الرحمة، وأصلها رقة القلب، واستعمالها في الباري تعالى بمعنى إرادة الخير مجازا ؛ لاستحالة الحقيقة عليه، وهذا الاسم من خواص الله تعالى لم يستعمل في غيره، ومقول القول هو جملة (**الحمد لله**) نحمده على أي: لأجل ما علمنا من (**البيان**)، وهو المنطق

(1) – النص المحقق، (ج1، ص: 151)

المفصح عما في الضمير، وفي التعبير به براعة استهلال، وهي كون الابتداء مناسبا للمقصود"[1] .

تبع ابن الخديم الشراح السابقين في النقل عنهم ــ كما صرح به في المقدمة ــ لكنه أضاف بعض القضايا التي يراها لازمة للمتعلم، كالتعريف بالسيوطي، وتحديد وفاته، وهذا الصنيع يضع حدا فاصلا للتجديد والتقليد عند السيوطي، علاوة إلى الاطلاع على بعض مسارات البحث البلاغي، مصطلحا وقضية .

ومن خلال النظر إلى شروحات البيت يتبين أن المرشدي حاز السبق في حل معاني البيت، مستوعبا ما أهمله غيره، رغم ما تخلله من الإسهاب، والخروج على ألفاظ النص، ثم يتلوه في الشرح الولاتي، فمحمد الحسن، أما محنض بابه، فكان شرحه ضيقا، لأنه أعد لغرض الحفظ والمذاكرة، ومن ثم سمي طرة .

[1] الجواهر الثمان، ص: 11.

المطلب الثالث: الاهتمام بالمصطلحات العلمية

تعتبر المصطلحات المفاتيح التي تمكن من استيعاب العلم ؛ لأنها تقرب أبوابه، وتدني معانيه حتى تجعل الدارس محكما للقواعد، ومتمكنا من مجاري الألفاظ الاصطلاحية ؛ لأنها بؤرة الانطلاق نحو تفكيك ماهيات العلم .

وشراح عقود الجمان حاول كل منهم شرح المصطلحات العلمية وتقريبها للمبتدئين ليسهل العلم، وتذلل مباحثه . ونظرا لكثرة المصطلحات سأقتصر على مفهومي الفصاحة والبلاغة عند الشراح .

❖ **الفصاحة**

تعد الفصاحة من المفاهيم الأساسية التي كانت محط اهتمام العلماء، لما حظت به من عناية الدرس البلاغي، باعتبارها المصطلح المفتاح في مقدمات كتب البلاغة .

شرح المرشدي

يرى المرشدي أن تعميق المصطلح العلمي في الأذهان ينبغي التقديم له بذكر مجرياته اللغوية العامة حتى يتمكن المتعلم من رصيد لغوي يسهم في تكوينه، ف" الفصاحة " هي في الأصل صفة اللبن الذي أخذت رغوته، والفصيح هو هذا اللبن، وفصح إذا أخذت رغوته، قال الشاعر :

وتحت الرغوة اللبن الفصيح"

فهي باعتبار الأصل المذكور تنبئ عن الظهور والإبانة، يقال: أفصح الفصيح إذا ظهر، وقال تعالى حكاية عن موسى، وأخيه " هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا"[1] . أي: أبين مني قولا"[2] .

إن تقريب معنى مصطلح الفصاحة أخذ من المرشدي جهدا كبيرا دفعه إلى حشد جملة من

---

[1] سورة القصص، الآية: 34

[2] شرح المرشدي، ج1، ص: 9.

الأمور، كي يمنح المصطلح شرعية الاستعمال العربي، مدعوما بدليلين من أصح أدلة النحو، هما القرآن والشعر .

طرة عقود الجمان

أشار محنض بابه إلى معنى الفصاحة فقال: " هي في الأصل الظهور والبيان، يقال: أفصح الصبح إذا ظهر " وَأَخِي هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا" أظهر "[1] .

مرتع الجنان

يقول الولاتي: " الْفصاحةُ لغةً الظهورُ والبيانُ، يُقالُ فَصَحَ الأعجميُّ وأفصحَ إذا نطقَ لسانُهُ وخَلصتْ لُغتهُ من اللُّكْنةِ "[2] . وإنما مثل بالأعجمي ليربط المفهوم اللغوي بالمجرى الاصطلاحي، إذ هو امتداد له، ذلك أن الفصاحة سمة لسانية لها محددات ملازمة للخطاب التواصلي .

الجواهر الثمان

نقل ابن الخديم معنى الفصاحة من الشراح السابقين قائلا عنها " هي في اللغة: الظهور والبيان، يقال: أفصح الصبح إذا ظهر " وَأَخِي هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا" أي: أبين قولا"[3] . فليس ثمة فرق بين الشروح الثلاثة، رغم تداخلها مع المرشدي خلا أنه أحاط بالمعنى وعضده بالمصادر النقلية.

❖ **البلاغة**

مفهوم البلاغة هو المصطلح المركزي الذي يشمل جميع علومها، ويعم سائر مصطلحاتها العلمية، ومن ثم يكون تسوير دلالته اللغوية مفتاحا يستنار به إلى معرفة محتوياته المعرفية .

---

(1) طرة محنض بابه، 12.

(2) النص المحقق (ج1/ص152)

(3) الجواهر الثمان، ص"14.

شرح المرشدي

يقول في تناول معنى البلاغة " وهي تنبئ عن الوصول والانتهاء ؛ لأنها مأخوذة من بلغ بالضم إذا انتهى"[1] . بمعنى أن دارس البلاغة قصارى جهده معرفة ما يراد من النص على وجه تام المعنى، واضح الدلالة .

طرة عقود الجمان

لم يتعرض المصنف لأصل المفهوم مكتفيا بالتمثيل " يقال متكلم بليغ، وكلام بليغ، ولا يوصف بها غير الكلام من المركبات"[2] .

مرتع الجنان

تناول الولاتي مفهوم البلاغة، فقال " . لأنها مُطابقةُ الكلام لمُقْتضى الحالِ وهيَ منتفيةٌ . والبلاغة لغةً الوصولُ والانتهاءُ، يقالُ بلغتُ المكانَ إذا وصلتُ إليه، ومبلغُ الشيءِ منتهاهُ وسُمِّيَ الكلامُ بليغا من ذلك، لأنه بلغَ الأوصافَ الحسنةَ اللفظيةَ والمعنويةَ"[3] .

عرض الولاتي للمصطلح من ثلاث زوايا: وضعه اللغوي، والاصطلاحي، ثم تعليل التسمية، وكل هذا يدل على سعيه في تقريب المصطلح وإذاعته حتى يدرك طلاب المعاني مجاريه التداولية .

الجواهر الثمان

لم يزد ابن الخديم على ما ورد عند الولاتي، غير أن ترتيبه كان أجمل، حيث أوضح مجري البلاغة في الوضع والاصطلاح " البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وأصلها في وضع اللغة من الوصول والانتهاء، يقال بلغت المكان إذا انتهيت إليه ومبلغ الشيء منتهاه، وسمي الكلام بليغا ؛ لأنه

---

(1) شرح المرشدي، ج1، ص: 9.

(2) طرة محنض بابه، ص: 18.

(3)- النص المحقق (ج1/ص152)

قد بلغ الأوصاف اللفظية والمعنوية "[1] .

من خلال الشروح الأربعة يُدرك المجرى المعجمي لمفهوم البلاغة ، رغم اختلاف عباراتهم في بعض المناحي، خلا أنهم أجمعوا دلالتها على بلوغ مقصد الشيء .

[1] الجواهر الثمان، ص: 16.

المطلب الرابع: شرح الحدود / التعريفات

تعتبر التعريفات من أجل ما استنبطه الإنسان، حيث يسعى الجاد إلى جمع المعارف وضبطها بطريقة تسهلها على المتلقي، مما يجعله قادرا على استظهار القواعد وتمييز التصورات العلمية .

والسيوطي اتبع هؤلاء في الاعتناء بحدود المفاهيم، لما لها من أثر جليل في خدمة العلم، لذا شفع مصطلحاته البلاغية بحدود علمية كانت محطة هامة ألزمت شراح عقود الجمان بالنظر فيها، شرحا، وبسطا، ونقدا .

حدَّ السيوطيُّ علمَ المعاني فقال:

وَحَـــدُّهُ عِلْـــمٌ بِـــهِ قَـــدْ تُعْـــرَفُ   أَحْـــوَالُ لَفْـــظٍ عَرَبِـــيٍّ يُؤْلَـــفُ
مِمَّـــا بِهَـــا تَطَـــابُقٌ لِمُقْتَضَـــى   حَـــالٍ وحَـــدِّي سَـــالِمٌ ومُرْتَضَـــى

فهذا الحد مفهم لماهية علم المعاني، موضح لجزئياته رغم ما يتخلل من الاختصار، مما عدل به إلى الغموض، وهذا ما حرك الشراح إلى التوقف عليه شرحا وتفصيلا، وهنا سأعرض تصور الشراح الأربعة لهذا الحد .

<u>شرح المرشدي</u>

وحده، أي: علم المعاني، علم أي: ملكة يقتدر بها على إدراك جزئيات هي المشار إليها بقوله: قد تعرف" ويجوز أن يراد بالعلم المعنى الأول، وهو نفس الأصول والقواعد . . "

(أحوال لفظ) . . أي الأمور العارضة له من التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، فخرج ما يعرف به اللفظ نفسه، وهو علم متن اللغة"

(عربي) ليخرج غيره، فإنه إنما يتكلم في قواعد اللغة العربية"

وإذا كانت الحدود لها شروط علمية فإن المرشدي يتطلع لتحقيقها في تعريفات السيوطي ومن ثم يتفحص ألفاظ تعريف علم المعاني خشية أن يكون فيها ما يعيبها ؛ لأنها منزهة عن العيب قال "

وقد تعرف" هنا للتحقيق، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ لا للتقليل فلا يفسد بها الحد" ثم عقب على قول السيوطي **(وحدي سالم ومرتضى)** " ليس سالما من الانتقادات، ولا مرضيا عند النقاد من حيثيات أخرى . . [1] .

طرة عقود الجمان

لم يشرح محنض بابه من عناصر التعريف إلا لفظة العلم قال: وحده علم أي: ملكة يقتدر بها على إدراك جزئيات، ويحتمل أن يراد به نفس القواعد المعلومة **(به قد تعرف أحوال لفظ عربي يؤلف)**[2] . وإنما أهمل باقي الألفاظ مخافة أن يطول الشرح فيعسر حفظه على المتعلم المبتدئ .

مرتع الجنان

بسط الولاتي عناصر تعريف السيوطي مبينا معانيها حتى أوقف المتعلم على متصور علم المعاني في مجراه الاصطلاحي، يقول شارحا ": يعنى أنَّ علمَ المعاني هو العلمُ الذي تعرف به أحوالُ اللفظِ العربي من حيثُ يطابق بها مقتضى الحال، فاحترز بقوله: مما بها تطابق" إلخ . عن أحوال اللفظ العربي التي ليست بهذه الصفة كالإعلال والإدغام والرفع والنصب ونحوها مما لا بد منه في تأدية أصل المعنى، وإنما قلتُ من حيث يطابق إلخ، ليخرج علمُ البيان والبديع لأنهما لا يخرجان إلا باعتبار الحيثية، أي لأن أنواعَهما وإن كانت أحوالا للفظِ قد يقتضيها الحالُ، لكن لا يبحث عنها فيهما من حيث أنها يطابق بها اللفظ مقتضى الحال، فليس فيهما أنَّ الحالَ الفلانيَ يقتضى التشبيهَ أو الاستخدام مثلا، **وأحوالُ اللفظ العربي** الأمورُ العارضةُ له من إطلاق وتأكيد ونحوهما وهذا هو المقتضى"[3] .

لم يغادر الولاتي تعريف السيوطي حتى أبان حدود كل من العلوم الثلاثة " المعاني، البيان،

(1) شرح المرشدي، ج1، ص: 31.

(2) طرة عقود الجمان، ص: 27.

(3) النص المحقق (ص172)

البديع " مظهرا مهايع التداول الاصطلاحي والحدود الفاصلة بين الاستعمالات، سعيا في تمكين الطلاب من ماهيات العلوم .

ويبدو أن الولاتي ارتضى تعريف السيوطي دون اعتراض، ولا مناقشة قال معلقا على قوله: وحَدِّي سالمٌ ومُرتضَى" يعنى أن حدَّه سالمٌ من الإخلال بالمَحْدود، أيْ أنه محيطٌ به ومانعٌ من دخول غيره معه في الحد، ومُرتضًى عند كلِّ لَبيبٍ"[1] .

الجواهر الثمان

ألمّ ابن الخديم بمرتكزات تعريف السيوطي، مانحا المتعلم شرحا وافيا بألفاظ الحد قال: " وحده أي: حد علم المعاني **(قد يُعْرَفُ =أحْوَالُ لَفْظٍ عَرَبِيٍّ)** أي: جميع أحواله، **(يؤلف)** يستعمل، ويعني بأحواله: الأمور العارضة له، من تقديم، وتأخير وغير ذلك، **(مما)** بيان لأحوال اللفظ العربي، أي التي **(بها تطابق لمقتضى الحال)** أي من حيث يطابق اللفظ بها مقتضى الحال "

(وحدي) لهذا العلم بما ذكرت في الأصل **(سالم)** من الإخلال بالمحدود أي: أنه محيط به ومانع من دخول غيره معه في الحد **(ومرتضى)** عند كل لبيب[2] .

غير أن تسليم الولاتي وابن الخديم بتعريف السيوطي دون اعتراض ولا مناقشة ربما كان وراءه النظر إلى مستوى الطلاب المقبلين على نظم العقود، ولذا قد تكون المناقشة وفحص الحدود بعرضها على الحد الجامع المانع حاجزا يثقل كاهل الطلاب المبتدئين، لنقص مؤهلاتهم العلمية، وبخاصة ما دأب عليه العلماء عند مناظرات الحدود وموازناتها بالقياس العقلي بغية التمهيد لكشف صحيحها، ورد ضعيفها .

---

(1) - النص المحقق (ج1، ص172).
(2) - النص المحقق (ج1، ص172).

المبحث السادس: منهج الشرح عند الولاتي

كانت البلاغة مبثوثة في مجامع كتب الأدب، ثم قيض الله لها جمعا من العلماء، فجمعوا شملها، وعقدوا مباحثها، وأصّلوا قواعدها، وبينوا مصطلحاتها، حتى صارت علما مستقلا، وكان من أبرز هؤلاء عبد القاهر الجرجاني، ثم السكاكي ﷺ .

ونظرا لتلك الجهود المثمرة تواصلت أمشاج علم البلاغة، فكثرت فيه المؤلفات، وتعددت فيه المذاهب، غير أن كتاب تلخيص المفتاح للقزويني أحدث هزة في الأوساط العلمية، مما دفع العلماء إلى تبنيه كتابا علميا يقرر على طلبة علم البلاغة، حيث يجدون ضالتهم فيه، لما تميز به من الاختصار. ولهذا كان قِبلة للطلاب، وعِلقا نفيسا للعلماء، فبادروه بالتدريس والشرح والتعليق، وفي مرحلة لاحقة نظموه، كي يسهل على النظام حفظه واستظهاره، ومن أجَلِّ أنظامه، نظمُ السيوطي " عقودُ الجمان " الذي ذاع في الأوساط العلمية، حتى صار مورد العلماء، فشرحوا ألفاظه، وبينوا مقاصده، وكملوا نقصه .

ومن الذين فازوا بشرف شرح هذا النظم محمد يحيى الولاتي، حيث عقد له شرحا سماه **مرتع الجنان**، وقد بذل قصارى جهده في تقريب الألفاظ، وشرح المقاصد، وذكر الخلافات، وكشف الغامض، وتكميل الناقص، كل ذلك بلغة سلسلة كاشفة .

فقصارى الشرح توضيح ألفاظ عقود الجمان، حتى يستلهمها طلاب البلاغة دون أن يعترضهم إشكال، فيرتووا من معانيها، ويفيدوا من كنوزها الثمينة .

فما هي المنهجية التي تتبع في شرحه ؟

المطلب الأول: طريقته في الشرح

لم يلتزم الولاتي بطريقة واحدة في شرحه لألفاظ العقود، وإنما سلك طرقا قددا، فتارة يقتطع ألفاظا من البيت، ويقوم بحل مقاصدها، وأخرى يأتي بالبيت كاملا فيتناوله بالشرح والبسط، وربما سرد أبياتا، ثم يرجع إلى تبيين كل لفظ، وأحيانا يشرح كل لفظ، ثم يمنحه شرحا مجملا .

واستنادا إلى تعدد منهجية الولاتي في شرح النظم سأعرض نماذج يُستدل بها على معالم منهجه.

❖ اقتطاع جملة وشرحها

سلك الولاتي هذه الطريقة في كثير من الأحيان، حيث يقتطع لفظا مركبا أو جملة فيتناول معانيها، ثم يمضي إلى لفظ آخر حتى يشرح البيت كاملا، فمن ذلك حديثه عن التضمين " **وَمِنْهُ تَضْمِينٌ**: أيْ ومما يتصل بالسرقات من البديع اللفظي نوعٌ يسمى التضمينُ، وهو مفسَّر في اصطلاح البديعيين **بِأَنْ يُضَمِّنَا** أي: المتكلم مِن شاعر أو خطيب كلامه شعرا كان أو خطبة، والألف في يضمنا لإطلاق القافية، شيئا " **مِنْ شِعْرِ غَيْرِهِ** " بيتا كان، أو فوقه، أو مصراعا، أو دونه، **وَ**يشترط فيه **أَنْ يُبَيِّنَا ذَلِكَ** أي يبين أنه من شعر غيره **إِنْ لَمْ يَشْتَهِرْ** الْمُضَمَّنُ بالفتح من بيت أوْ مصراع **عِنْدَ أُولِي بَلاغَةٍ**" أي عند علماء البلاغة، فإن اشتهر المضمن عندهم فإنه لا يحتاج المتكلم الذي ضمنه كلامه حينئذ إلى أن يبين أنه من شعر الغير، وبهذا القيد أي قيد التبيين والاشتهار عند الناس يخرج التضمين ويفارق الأخذ والسرقة"(1)

❖ اقتطاع شطر أو قريب منه

وهذه الطريقة يلجأ إليها الولاتي في حالة ترابط، فمن نماذجها حديث الولاتي عن أحوال الإخبار

.

. . **والْأَوَّلا** **فَائِـــــدَةَ الْإِخْبَـــــارِ سَـــــمِّ**

(1)- النص المحقق، (ج3ص: 814)

أيْ سَمِّ الأولَ وهو قصدُ إفادة الحكم للسامع فائدةَ الإِخْبار

واجْعَـــــلا لاَزِمَهَـــــا الثَّـــــانِيْ .

أي: واجعل الثاني وهو قصد إفادة السامع كون المخبر عالما الحكم، لازمها أي لازم فائدة الخبر، ومعنى اللزوم أنه كلما أفاد الحكم أفاد أنه عالم به من غير عكس"[1] .

❖ **اقتطاع بيت واحد**

فَلاِجْتِنَـــابِ عَبَـــثٍ قُـــلْ حَذْفُـــهُ — أَوْ لِاخْتِبَـــارِ سَـــامِعٍ هَـــلْ يَنْبُـــهُ

يعني أنه يحذف المسند إليه لأجل اجتناب العبث، إذا كان في ذكره عبث، بأن كان لا فائدة في ذكره، كقول المستهل: " الهلال " لدلالة القرينة عليه، لكن لا بناء على الحقيقة وما في نفس الأمر، بل بناء على الظاهر لوجود القرينة، فيستغني عن ذكره فيكون عبثا بهذا المعنى لا بالحقيقة، إذ هو الركن الأعظم من الكلام، فكيف يكون ذكره عبثا، ويحذف أيضا لأجل اختبار مطلق تنبه السامع وفطانته، هل يفهم بالقرائن أو لا يفهم إلا بالتصريح، كما تقول عند حضور جليس: رجلين أحدهما له صحبة مع السامع دون الآخر غادرٌ والله أي صاحبك، لأن الغدر مناسب للصحبة" .

وفي هذه الحالة قد يلجأ الولاتي إلى منح البيت خلاصة ثانية، قال في البيت السابق: وتقرير البيت: فلأجل اجتناب عبث قل أنت أيها السامع حذفه أي المسند إليه، أو لأجل اختبار فطنة سامع، هل ينبه أي يفهم بالقرائن أو لا يفهم إلا بالتصريح"

❖ **اقتطاع أكثر من بيت من عقود الجمان**

وهذه الطريقة غالبا ما يمتطيها إذا كانت الأبيات متضمنة صورا، أو خلافا بلاغيا .

فمن ذلك تناوله للأبيات التالية :

وَشِـــبْهُ الِاتِّصَـــالِ كَوْنُهَـــا جَـــوَابْ — سُـــؤَالٍ الْأُولَى اقْتَضَـــتْهُ والصَّـــوَابْ
تَنْزِيلُهَـــــا مَنْزِلَـــــةً فَتُفْصَـــــلُ — فَصْـــلَ جَوَابِـــهِ وقِيـــلَ يُجْعَـــلُ

[1]- النص المحقق، (ص: 181)

مُقَــــدَّرًا لِنُكْتَـــــةٍ كَالإِغْنَـــا   مِنْـهُ وتَـرْكِ السَّـمْعِ مِنْـهُ يُغْـنَى

مُقَدَّرًا لِنُكْتَةٍ كَالإِغْنَا = مِنْهُ وَتَرْكِ السَّمْعِ مِنْهُ يُغْنَى

هذا هو الحال الرابع من الأحوال الموجبة للفصل، يعنى أن شبه كمال الاتصال كونها أي الجملة الثانية جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى، أي أشعرت به ودلت عليه، والصواب تنزيلها منزله أي والمختار عند أهل البيان تنزيل الجملة الأولى منزلة السؤال الذي دلت عليه، فتفصل الجملة الثانية عن الجملة الأولى، فصل جوابه أي تفصل فصلا كفصل جوابه أي جواب السؤال عنه أي كما يفصل الجواب عن السؤال"(1) .

وربما اضطره ذلك إلى شرح الأبيات مرتين، كما حصل في الأبيات الآتية :

وَمَرْجِــــعُ الْبَلَاغَـــةِ التَّحَـــرُّزُ   عَــنِ الخَطَـا فِي ذِكْـرِ مَعْـنًى يَـبْرُزُ

وَالمَيْــزُ لِلْفَصِـيحِ مِــنْ سِــوَاهُ ذَا   يُعْــرَفُ فِي اللُّغَــةِ والصَّــرْفِ كَــذَا

فِي النَّحْــوِ والَّــذِي سِــوَى التَّعَقُّــدِ   المَعْنَــوِيْ يُــدْرَكُ بِالْحِــسِّ قَــدِ

قال الولاتي شارحا: يَعْنى أنّ مَرجعَ البلاغة أيْ ما تتوقّفُ عليه البلاغةُ التحرُّزُ أيْ التحفظ من الخطأ في ذكر معنًى يبرزُ أي يظهرُ، والمَيْز أي التمييز للفصيح مِن سواه أيْ مِن غيره . قوله: ذا يعرف إلخ . يعنى أنّ الميز للفصيح مِن سواهُ، منهُ ما يُعرف باللغة أي بعلم اللغة، وهو تمييز الكلمة السّالمة من الغرابة من غيرها، والمرادُ بعلم اللغة هنا هو معرفةُ أوضاع المفردات العربية، لأنَّ مَن تَتبَّع الكتبَ المتداوَلَة، وأحاط بمعاني المفردات الكثيرةِ الاستعمال على ألسنةِ العربِ الخُلَّص الموثوقِ بعربيَّتِهِمْ، عَلِمَ أنَّ ما عداها مِمّا يُحتاج إلى تفتيش عنه في المطوّلات كَتكَأْكَأْتُمْ، أوْ يحتاج إلى أن يُخرج له وجهٌ بعيدٌ كمُسَرّجا، غيرَ سالمِ منَ الغرابة، إذ بأضدادها تتبين الأجناس، ومنهُ ما يعرفُ بعلم الصرف، وهو عدم مخالفة القياس، ومنه ما يعرفُ بعلم النحو، وهو عدمُ ضَعفِ التأليفِ والتعقيدِ اللفظي، ومنه ما يعرف بالحسِّ وهو عدمُ التنافر" (2)

(1) – النص المحقق، (ج1ص:169)

(2) – النص المحقق، (ص: 169)

ونظرا لاستطراده في الشرح، رجع الولاتي للأبيات فشرحها مجملة، حيث قال:

وتقريرُ الأبياتِ: ومرجعُ البلاغة أيْ: ما تَرجع إليه وتتوقفُ عليه، التحرزُ أي التحفظ عن الخطأ في ذكر أيْ تأديةِ معنى يبرز أي يُراد إبرازه، والميز للفصيح مِن سواه أيْ الميز للكلام الفصيح مِن غيره، ذا أي الميز للفصيح من سواهُ، يُعرف باللغة أي بعلم اللغة وعلم الصرف، كذا بالنحو أي كمعرفته بعلم اللغة وعلم الصرف معرفته بعلم النحو، والمرجع الذي سوى التعقد المعنوي، وهو عدم التنافر يُدرَك أي يُعرف بالحس، قَدِي أيْ حسبي هذا .

المطلب الثاني: جوانب من مميزات الشرح

يستخدم الولاتي بعد توفية شرح ألفاظ العقود بعض المصطلحات كالتنبيه والفائدة، وكل ذلك سعيا منه في توضيح المصطلحات البلاغية لتسهل على الطالبين .

❖ **التنبيه**

فمن ذلك حديثه عن المرجع، حيث شرح الولاتي ألفاظ العقود وبين محتملاتها، ثم كر ثانية على المفهوم مستخدما لفظ التنبيه، فقال: تنبيــه: اعلمْ أنّ مرجعَ الشيء قد يطلقُ ويراد به ما يتوقف عليه الشيءُ، وقد يطلق ويراد به فائدة الشيء وغايته والغرض منه، والمراد هنا الأول"[1] .

ومنه أيضا صنيعه في المجاز، فقد شرح مفهومه وبين آراء العلماء فيه، ثم عطف قائلا: تنبيه: اعلم أن المجاز موضوع بالوضع النوعي لا الشخصي، ومعنى ذلك أن العلاقة فيها أن تعتبر العرب نوعها، ولا يجب النقل عنهم في كل جزئية من جزئياتها . مثلا يجب أن يعلم أن العرب تطلق اسم السبب على المسبب، ولا يجب أن يسمع عنهم إطلاق الغيث على النبات"[2] .

❖ **الفائدة**

استخدم الولاتي لفظ الفائدة مرادفا للتنبيه، ليمنح القارئ مزيدا من التفصيل حول قضية هامة تحتاج بسطا، فمن أمثلة استخدامه للفائدة ما ختم به حديثه عن المجاز قال: " **فائــدة:** المجاز المبني على التشبيه هو الاستعارة . قال في الإتقان : " زُوِّجَ الْمَجَازُ بِالتَّشْبِيهِ فَتَوَلَّدَ بَيْنَهُمَا الِاسْتِعَارَةُ، فَهِيَ مَجَازٌ عَلَاقَتُهُ الْمُشَابَهَة"[3] .

---

[1] - النص المحقق، (ج1، ص: 170)

[2] - النص المحقق، (ج2، ص: 608)

[3] - النص المحقق، (ج1ص:299)

المطلب الثالث: كثرة النقول فى الشرح

نقل الولاتي نصوصا وآراء كثيرة عن أساطين البلاغة كالجرجاني، والزمخشري والسكاكي، والطيبي، والقزويني والتفتازاني، والفنري . . الخ .

وكان هذا النقل يسهم في إثراء الشرح، تدعيما لحجة، أو توضيحا لمبهم، أو اعتراضا على مذهب، أو تأصيلا لقاعدة . فمن نماذج ذلك ذكره للشلوبين، وابن رشيق، وابن جماعة لدى حديثه عن المفاضلة بين بعض الأساليب قال: " يعنى أن الخلاف بين البيانيين في الأفضل أي الأبلغ من هذين، أي اللف والنشر المرتب وغيره من معكوس ومشوش . . فقال بعضهم وهو الشلوبين: الأبلغ والأفضل المرتب، وقال ابن رشيق: الأفضل والأبلغ غير المرتب من معكوس ومشوش . وقيل لا خلف أي، وقال بعضهم: وهو ابن جماعة"[1]

ومنه أيضا ما ورد في حديثه عن سبب تسمية المجاز: " وإنما سمي هذا المجاز استعارة للتناسب بينه وبين معنى الاستعارة، وهو طلب العارية .

قال الجربي: لأن المتكلم يَدَّعى في الاستعارة كون المشبه فردا من أفراد المشبه به، فيثبت له ما يخص المشبه به، وهو اسم جنسه، أو لازم من لوازمه، وهذا شأن العارية .

وقال الفنري: وإنما سمي المرسل مرسلا لأن الإرسال في اللغة الإطلاق، والاستعارة مقيدة بإعادة دخول، بادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به، والمرسل مطلق من هذا القيد"[2] .

[1]- النص المحقق، (ج3ص: 702)
[2]- النص المحقق، (ج2، ص: 608)

المطلب الرابع: الاهتمام بإعراب ألفاظ عقود الجمان

يعد إعراب النص مظهرا من مظاهر الشرح والتفسير، لما ينتج عنه من توضيح وكشف للألفاظ . وقد اهتم الولاتي في كثير من الأحيان أثناء شرحه بإعراب عقود الجمان، وهذا المسلك المبتغى منه إزالة اللبس عن النص، بتقريب مقاصده وضبط ألفاظه، فمن ذلك تعليقه على قول السيوطي :

. . عنِ الْخَطَا فِي ذِكْرِ مَعْنًى يَبْرُزُ

قوله: يبرز مضارع مبني للمفعول ونائبه ضمير عائد إلى قوله: معنى، والجملة صفة معنى وقوله: والميز للفصيح معطوف على قوله: التحرز، وقوله: ذا مبتدأ خبره الجملة بعده والجملة الكبرى وهي المبتدأ وخبره، الجملة استئناف بياني لأن قوله: ومرجع البلاغة إلى قوله: والميز للفصيح من سواه مشعر بسؤال مقدَّر تقديرُه بمَ يُعرفُ الميزُ للفصيح من سواه ؟ فقال: ذا يعرف باللغة إلخ، وقوله: قدي اسم فعل بمعنى أكتفي بهذا، أوِ اسمٌ بمعنى حسب وعليه يكون مبتدأً خبرُه محذوفٌ تقديرُه هذا"[1] .

[1] - النص المحقق، (ج1، ص: 170)

المبحث السابع: مناقشة الولاتي لآراء البلاغيين في مرتع الجنان

لا شك أن الخلاف بين البلاغيين خلاف علمي، باعثه تعدد المنطلقات، واختلاف المشارب، فمِن متأثر بالطرح المنطقي، ومِن صادٍّ عنه، ومِن جامعٍ بينهما، وفي ذلك كله تغزر مادة العلم، وتثرى مباحثه، وما من شك أن البلاغة نضجت مصطلحاتها، ونوقشت حدودها كما بُينت منزلتها في العلوم .

وقد كان الولاتي يقظا لشمول البلاغة، حيث ضم في شرحه جملة من قضايا البلاغة والبلاغيين، نعرض هنا لتناوله لقضية الخلاف بين أرباب البلاغة في المتصورات والشروحات .

شمل مرتع الجنان أسماء كثيرة لأرباب البلاغة وفرسانها الذين بذلوا جهودا في تقريبها وشرحها، وكان من ما عرض له الولاتي ذكرُ مسائل الخلاف بين العلماء البلاغيين .

وهنا سأعرض نماذج تُبين تعاملَ الولاتي مع آراء العلماء، موافقة، وتصويبا .

استعان الولاتي في تقريب ألفاظ عقود الجمان بأقوال السابقين، تفصيلا لمجمل، أو توضيحا لمشكِل، وفي ذكره للآراء نلفي تنوعا في منهجه، مرجحا تارة رأيا على رأي، وهنا يستخدم مصطلحات من قبيل: والصواب، والمختار، وقلت . . إلخ . وربما اكتفى بعرض الأقوال دون ترجيح .

المطلب الأول: الترجيح بين الآراء

يعرض الولاتي لبعض الخلافات بين أرباب البلاغة، فيختار بعد عرض الأقوال الأصوب عنده.

ـ فمن أمثلة ذلك حديثه عن الخلاف في اشتراط الفصاحة في البلاغة، إذ يقول ناقلا عن فيض الفتاح: " وقالَ فيه أيضا: ومِمّن اشترطَ الفصاحةَ في البلاغةِ صاحبُ التلخيص، وليسَتْ شرطًا فيها عندَ صاحبِ المفتاح، وبعضُهم فصَّلَ فقالَ: الفصاحةُ المعنويةُ شرط فيها إذْ مرجِعُها علمُ البيانِ الذي هُوَ جزءُ علمِ البلاغةِ بخلافِ الفصاحةِ اللفظيةِ، فإنَّ مرجعَها الحسُّ واللغةُ والنّحوُ والصَّرفُ . . **قلتُ**: والقولُ المُفَصِّلُ هُوَ المُختارُ عِندِي[1] . فثمة أقوال في اشتراط الفصاحة وعدمها في البلاغة، والولاتي يختار المذهب المفصِّل .

ـ ومنه حديثه عن الاقتباس من القرآن يقول الولاتي: " احتجوا لجوازه في النثر بقوله: ((**إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ**))

قال في فيض الفتاح: " تنبيه في مختصر الوقار، ولا يُتمثل بالقرآن نحو ﴿وَأَخْرَجَتِ الأرض أَثْقَالَهَا 2﴾ والصواب جوازه في النثر بشرط أن يورد لا على أنه من القرآن، ولم يخرج القرآن إلى معنى لا يليق به من الخلاعة وأوصاف النساء ونحو ذلك .

قال بهاء الدين السبكي في عروس الأفراح: لو أخذ مرادا به القرآن لكان ذلك من أقبح القبائح ومن عظيم المعاصي، وأما إذا استعمل على ما فيه إخلال بجلالته وتعظيمه، فقد قال الحطاب في حواشيه على رسالة ابن أبي زيد: لا يشك مسلم في منع ذلك وتحريمه، وربما أدى ذلك إلى الكفر أعاذنا الله منه .

قال ابن عبد البر في هذا الحديث إباحة الاستشهاد بالقرآن فيما يحسن ويحمد" . [2]

---

[1] – النص المحقق، (ج1، ص: 161)

[2] – فيض الفتاح

ثم بعد هذه النقولات يبدي الولاتي رأيه قائلا: " **قلتُ**: ففي الاستدلال على إباحة الاقتباس بقوله: ((**إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا إلخ**)) نظر لأن كلامه ﷺ كله وحيٌ، لأنه ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾ أَيْ ما يَنطِقُ به، والقرآن وحيٌ أيضا، فتضمينه ﷺ لآية أو تركيب من القرآن في كلامه، إنما هو خلط وحي بوحي، لأنه لا فرق بين الحديث والقرآن من جهة المعنى، إلا أن القرآن نزل بلفظه للإعجاز بسورة منه وللتعبد بتلاوته، والحديث نزل معناه على قلب النبي ﷺ فعبر عنه بلفظه، فليس تضمينه، للقرآن في كلامه كتضمين غيره له في كلامه، فلا يكون حجة على جوازه ؛ لأن القرآن والحديث من جهة المعنى سواء"[1] .

ومما يدل على ترجيحه للأقوال استخدامه لمصطلح الصواب في تعقيبه على خلاف العلماء، فمن ذلك تعليقه على بيت العقود :

وَالخُلْفُ فِي الأَفْضَلِ مِنْ هَذَيْنِ قَر = وَقِيلَ لا خُلْفٌ بِتَحْرِيرِ النَّظَرْ

قال الولاتي شارحا: " يعنى أن الخلاف بين البيانيين في الأفضل أي الأبلغ من هذين، أي اللف والنشر المرتب وغيره من معكوس ومشوش، قرْ بتسكين الراء لضرورة الوزن، أصله قرَّ بتشديد الراء أي ثبت واستقر، فقال بعضهم وهو الشلوبين: الأبلغ والأفضل المرتب، وقال ابن رشيق: الأفضل والأبلغ غير المرتب من معكوس ومشوش .

وقيل لا خلف أي، وقال بعضهم: وهو ابن جماعة"

والصواب عندي أن يوفق بينهما بأن المرتب أبلغ إذا اقتضى المقام الإيضاح، وإفهام السامع من أول وهلة، والمعكوس والمشوش أبلغ، إذا اقتضى المقام الإبهام على السامع في أول وهلة، لأنه لا يفهم كيفية رجوع النشر إلى اللف فيهما إلا بعد تأمل"[2] .

ومن استعمالاته الاختيار شرحه لبيت العقود:

[1] - النص المحقق (ج3، ص813)
[2] - النص المحقق، (ج3، ص:702)

قُلْـتُ ومَـنْ يَشْـرُطُ أَنْ يُغَلَّبَـا   أَعْلَـى أَوِ الْأَدْنَـى فَـلا تُصَـوِّبَا

قال: أي قال الناظم من زيادته على التلخيص، ومن شرط أن يغلب الأعلى، أي ومن شرط تغليب الأعلى على الأدنى، وهو الطيبي، أو الأدنى أي ومن شرط تغليب الأدنى على الأعلى، وهو ابن الحاجب، فلا تصوبا، أي لا تصوب مقالته، بل **المختار** أن التغليب قد يكون للفضل والخفة والتذكير"[1].

[1] - النص المحقق، (ج1، ص: 316)

المطلب الثاني: النقل دون ترجيح

تتعدد آراء العلماء في مسألة ما فيسلك كلٌّ سبيلا، متذرعا بدليل يؤيد قوله أو مذهبه ليدفع عنه الانتقاد، ويبعد عنه الاعتراض .

والولاتي في نقله لمذاهب العلماء قد يكتفي بالنقولات العلمية دون أن ينتصر لمذهب، أو يرجح قولا، وإنما يقتصر على ذكر الآراء، فمن ذلك حديثه عن المين والكذب، قال: والكذب والمين بمعنى واحد، قال السعد: ولا فائدة في الجمع بينهما، فتعينت زيادة الكذب أو المين، ولا مرجح .

قال في العروس: " وفيه نظر ؛ لأن ذكر الشيء مرتين فيه فائدة التأكيد، وقد قال النحاة: إن الشيء يعطف على نفسه تأكيدا، وعدم تعين الزائد لا يدفعها . والفائدة التأكيدية معتبرة في الإطناب كما ستراه في غير ما موضع"[1] .

[1]- النص المحقق، (ص:505)

المبحث الثامن: استثمار الشارح للمصادر

صرح المؤلف رحمه الله بالمصادر التي اعتمد عليها في شرحه لعقود الجمان اعتمادا كليا، ولم يخرج عنها إلا في حالات قليلة جدا، مع التنبيه على تلك الحالات، وهذه المصادر المشار إليها هي ثلاثة كتب ذكرها بالتفصيل، غير أنه ينقل عن كتب كثيرة بواسطة هذه الكتب الثلاث دون التنبيه على ذلك غالبا .

وأنا في تناولي لهذا المبحث سأفرد القول أولا عن هذه المصادر المباشرة بمطلب يعطى نبذة عن مؤلفي هذه الكتب ومناهجهم فيها، ومدى استعانة المؤلف بكل واحد منها في شرحه، على أن أشفعه في المطلب الثاني بالمصادر غير المباشرة، وأقصد بها المصادر التي ينقل عنها المؤلف بالواسطة .

المطلب الأول: مصادره المباشرة

قال المؤلف في خاتمة كتابه بعد أن بين الفائدة المرجوّة من تأليف هذا الكتاب والقيمة العلمية له، وتاريخ الانتهاء من تأليفه وكتابته والمكان الذي أُلّف فيه .

قال بعد هذا كله: وجل اعتمادي في النقل فيه فيض الفتاح على نور الأقاح للعلوي، وعجالة الناظم والشهدة الصريحة لانبوي بن الإمام ، [1] والإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي، الذي هو

---

[1] - هو الفقيه النحوي اللغوي الأصولي العروضي المتفنن في كل فن، العابد الزاهد الورع، انبوي بن الإمام محمد عبد الله بن الإمام عمر مم بن محمد بن أبي بكر بن اند عبد الله بن سيدي أحمد المحجوبي، كان رحمه الله صدرا من صدور العلماء، ومفخرا من مفاخر الأولياء النجباء، وأحد الفقهاء الأتقياء، نحويا لغويا بيانيا، شاعرا ناثرا بليغا.. ماهرا في كل ما يحاوله آية في الفهم والحفظ..

اشتهر وبرع في الفنون كلها، جمع بين العلم العزيز والدين المتين..

له تواليف عديدة مفيدة انتفع بها الناس، منها: (عمدة السالك على ألفية ابن مالك)جمع فيه من كلام الأشموني والهبة ما يشفي الغليل، تداوله الطلاب كثيرا في ولاته، ومنها: نظمه في البيان الذي سماه(النخبة المليحة)وشرحه شرحا سماه(الشهدة الصريحة على النخبة المليحة)، ومنها: نظمه(نزهة الألباب في علم الحساب)وشرحه، ومنها: (ديوان السعادة في مدح صاحب السيادة)ومنها(شرحه لسلم الأخضري في المنطق)وأما شعره فأكثر من أن يحصى، توفي رحمه الله 1260 هـ. انظر منح الرب الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور للمحجوبي، ص 128.125، دراسة وتحقيق وتقديم د الهادي المبروك الدالي ط1 ، سلسلة من التاريخ الثقافي المشترك لإفريقيا فيما وراء الصحراء وشمالها.

الناظم .

وهذه التفاسير الثلاثة التي ذكر المؤلف يوجد منها اثنان وهما كتابان مطبوعان معروفان، أما المصدر الثالث فهو مخطوط نادر، لا تتوفر منه إلا نسخة واحدة في مكتبة أهلية بمدينة ولاته، وهي مكتبة أهل شيخنا محمدي، والنسخة موشكة على التّلف حتى بمجرد اللمس وانطماس الحبر حسب ما قال الأستاذ محمدُ الداه أيده، والحق أن الحصول على هذه النسخة قد أعياني .

وهنا أشير إلى أن إحالات المؤلف على هذا المخطوط الذي لم نحصل عليه ـ للأسف ـ وهو الشهدة الصريحة على النخبة المليحة لانبوي بن الإمام ، ليست كثيرة، وهي غالبا إما تعليق على رأي في مسألة بلاغية بزيادة شرح وإيضاح، أو الإتيان بتلخيص لمسألة، وقد لاحظت أن صاحب الشهدة الصريحة ربما نقل بواسطة عن مصدر من مصادر البلاغة المعروفة، فبالرجوع لذلك المصدر أجد النقل بحالته .

وترتيب هذه المصادر حسب أقدميتها على النحو التالي:

❖ **أولا: الإتقان في علوم القرآن**

1ـ مؤلِّفه:

يعتبر السيوطي (ت911ه) من العلماء الموسوعيين الذين برعوا في شتى العلوم، وألفوا فيها، وقد حفلت المصادر بالتعريف به وبمؤلفاته الحسان، فهو " عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب . له نحو ست مائة مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة، كان من أفراد الدهر نجابة وذكاء . . وكان يلقب بابن الكتب ؛ لأن أباه طلب من أمه أن تأتيه بكتاب، ففاجأها المخاض، فولدته وهي بين الكتب[1] .

ونظرا لكثرة كتب السيوطي وذيوعها في الأمصار أشير إلى بعضها، فمنها : " (الإتقان في علوم

(1)- أعلام للزركلي، ج3 ص301، دار العلم للملايين، ط15 أيار مايو 2002م

القرآن) و(إتمام الدراية لقراء النقاية) كلاهما له، في علوم مختلفة، و(الأحاديث المنيفة) و(الأرج في الفرج) و) الازدهار في ما عقده الشعراء من الآثار) و(إسعاف المبطأ في رجال الموطأ) و(الأشباه والنظائر في فروع الشافعية و(الاقتراح في النحو)، و(الألفية في مصطلح الحديث) و(الألفية في النحو واسمها الفريدة، وله شرح عليها، و(بديعية وشرحها) و(بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة) و(تاريخ الخلفاء) و(تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي)، و(ترجمان القرآن) و(تفسير الجلالين) و(تنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك)"[1]

منهجه :

يعد كتاب الإتقان في علوم القرآن موسوعة علمية حاول السيوطي أن يضم فيها عصارة العلوم المتعلقة بالقرآن، سوءا كانت مباحث من صميم علومه كالمكي والمدني، والوقف والابتداء، وأسماء السور، والمتواتر . . إلخ . أو مباحث مساعدة على فهم القرآن ومعرفة إعجازه وأسلوبه، كعلوم اللغة نحوا وبلاغة ومعجما . . الخ .

ويبدو أن السيوطي لم يسلك منهجا محددا، وإنما أطلق العنان لجمع المعلومات وضمها تحت مسمى يضم بعض الأشتات، ولكي يستطيع القارئ لمّ شمل العلوم التي تتحقق منها معرفته، كان لا بد من تحصيل جملة من المباحث حصرها السيوطي في ثمانين نوعا، حيث قال بعد سردها: " فهذه ثمانون نوعا على سبيل الإدماج، ولو نوّعتُ باعتبار ما أدمجته فيها، لزادتْ على الثلاثمائة "[2] .

ثم إن السيوطي بعد عد الأنواع أشار إلى مصادره موزعة إلى التخصصات، سأذكرها دون تفصيل، ملتزما بذكر الكتاب الأول .

" فمن الكتب النقلية: تفسير ابن جرير، وتفسير الحافظ عماد الدين ابن كثير، وفضائل القرآن

---

(1) - الأعلام للزركلي، ج3 ص301، دار العلم للملايين، ط15 أيار مايو 2002م.

(2) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ص: 26

لأبي عبيد .

ومن جوامع الحديث والمسانيد ما لا يحصى .

ومن كتب القراءات وتعلقات الأداء جمال القراء للسخاوي، والإرشاد في القراءات العشر للواسطي[1] ، والنشر والتقريب لابن الجزري .

ومن كتب اللغات والغريب والعربية والإعراب، مفردات القرآن للراغب، وشرح التسهيل والارتشاف لأبي حيان، والمغني لابن هشام .

ومن كتب الأحكام وتعلقاتها: أحكام القرآن لإسماعيل القاضي، والناسخ والمنسوخ لمكي، والإمام في أدلة الأحكام للشيخ عز الدين بن عبد السلام .

ومن الكتب المتعلقة بالإعجاز وفنون البلاغة: إعجاز القرآن للخطابي، والبرهان للزملكاني، والإيجاز في المجاز لابن القيم .

ومن الكتب فيما سوى ذلك من الأنواع البرهان في متشابه القرآن للكرماني، وأمثال القرآن للماوردي، وجواهر القرآن للغزالي .

ومن الكتب الجامعة بدائع الفوائد لابن القيم، وكنز الفوائد لعز الدين بن عبد السلام، والنفيس لابن الجوزي .

ومن تفاسير غير المحدثين الكشاف وحاشيته للطيبي، وتفسير الأصبهاني، وتفسير القشيري .

---

(1) اسمه محمد بن موسى وأصله من فرغانة وكان يعرف بابن الفرغاني، من قدماء أصحاب الجنيد وأبي الحسين النوري وهو من علماء مشايخ القوم لم يتكلم أحد في أصول التصوف مثل ما تكلم هو وكان عالما بالأصول وعلوم الظاهر، دخل خراسان واستوطن كورة مرو ومات بها بعد العشرين وثلاثمائة. طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي (ص: 232). مختصر تاريخ دمشق (197/28)

ومن كتب الرسم المقنع للداني، وشرح رائية السخاوي لابن جبارة "[1]

فهذه موسوعات جليلة ضمنها السيوطي في إتقانه، فاستحق الرتبة السامقة في كتب علوم القرآن، كما عد من مصادر البلاغة لما احتوى عليه من فنونها ومباحثها .

وبالجملة فإن الإتقان في علوم القرآن كتاب جليل، له أولية صناعية اكتسبها من الطريقة التي نحاها فيه مؤلفه، حتى أخرجه كتابا غاية في التحرير والتهذيب .

وهكذا فإن ثنايا مرتع الجنان تعُجُّ بالثناء على هذا الكتاب، فقد جعله المؤلفُ مصدَره المُقدَّم بعد فيض الفتاح، ولم يمنعه الحرص على الاختصار من التنويه برأي السيوطي وتقديمه على غيره عند ذكر الترجيحات .

والمطالع لمرتع الجنان يدرك بجلاء كيف أن المؤلف اعتمد اعتمادا كليا على هذا الكتاب، فاستقى منه مختلف أوجه البيان والبلاغة، ولم يجعله عمدة في مجال دون آخر .

❖ ثانيا: فيض الفتاح على نور الأقاح

1ـ مؤلفه:

لم تكن شنقيط بمنأى عن العالم الإسلامي، فقد أنجبت علماء حفاظا وشراحا بزغت أسماؤهم في التأليف والشروح، كان من أبرزهم صاحب فيض الفتاح .

هو سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي (ت 1233ه) الفقيه الأصولي المحدث النحرير، صاحب البيان والتحرير، ذو التآليف العديدة والتصانيف الفريدة، فقيه مالكي، طار ذكره وانتشر، واشتهر علمه في الآفاق وابذعرّ، علويّ النسب، من غير أبناء فاطمة، من قبيلة إدَوَعْلِي من الشناقطة " تجرّد أربعين سنة لطلب العلم في الصحاري والمدن، وأقام بفاس مدة، وحج، وعاد إلى

[1] – مقدمة السيوطي في كتابه الإتقان، ج1 ص 32– 34، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة 1394 ه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

بلاده فتوفي فيها .

له من المؤلفات: " نشر البنود " في شرح ألفية له في أصول الفقه سماها " مَراقي السّعود " وله " نور الأقاح " وهو منظومة في علم البيان، وشرحها " فيض الفتاح " وله " طَلْعة الأنوار " منظومة في مصطلح الحديث، وشرحها " هُدَى الأبرار على طلعة الأنوار[1]

2ـ منهجه:

المتتبع لفيض الفتاح يدرك عمق الشارح في فنون البلاغة، حيث علّ مباحثها، واستوعب مصطلحاتها، وأحاط بخلافات أربابها، الأمر الذي جعله مؤهلا للقول فيها، وذلك ما دعاه لأن يفرد البلاغة بكتاب يسرد فيه تصوره لمباحثها وفنونها .

يعد فيض الفتاح كتابا جليلا متداولا، سهل العبارة، دقيق المأخذ، أراد به صاحبُه شرحَ نظمه (**نور الأقاح**) الذي عقد فيه التلخيص للقزويني، وقد لخّص فيه مؤلفه أهم مسائل البلاغة من معان وبيان وبديع، وهو كتاب وسط في علم البلاغة متضمن لدقائق علمي المعاني والبديع، خال من التعقيدات، ليس بالطويل الممل، ولا بالقصير المخل، اعتمد فيه مؤلفه على أهم المصادر البلاغية المتداولة والتي تلقاها الناس بالقبول، حيث صرح بأنه اعتمد في شرحه هذا على مجموعة من الكتب التي تعد من المصادر مثل مطول سعد الدين التفتازاني، وحواشي السيد عليه، وحواشي شمس الدين بن محمد الفنري ويعرف بجلبي، وتلخيص المفتاح والإيضاح وكلاهما لقاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، وعلى حواشي الشيخ ياسين الحمصي على مختصر سعد الدين التفتازاني، وعلى شرح السيد الجرجاني على القسم الثالث من مفتاح العلوم للسكاكي، وعلى عقود الجمان للسيوطي ، وغير ذلك من المصادر البلاغية والمعجمية والأصولية .

فتم ـ كما قال مؤلفه ـ بحمد الله دفترا كاملا ومجلسا حافلا صار كلُّ الصيد في جوفه[2] مزدهيا

(1) - «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط» م س ص37

(2) - هو مثل يُضرب لمن استولى على أعلى شيء وأحسنه.

بنعته ووصفه، ومتحدثا بشكر مولاه ليزداد القبول، ويلقح به أشجار العقول .[1]

وقد جعل الولاتي هذا الشرح في المرتبة الأولى من حيث الاعتماد عليه، ولعل مما أغراه به صحة ما فيه، وجودة عباراته واختصارها المناسب للمقام، ثم ارتباطه الشديد كذلك بالمنظومة التي اضطلع بشرحها .

والمطالع للفصل الأخير من هذا العمل (النص محققا) يشهد بما قلنا (إذ مما تعهدنا به في هذا العمل المبارك أن نرد المعلومة إلى مصدرها سواء ورد في النص عزوها أو لم يرد)

ومن أمثلة الإشارة المنوّهة إلى هذا التفسير قوله في معرض الكلام على مجيء الفعل المضارع للاستمرار، والتمثيل بالآية الكريمة ﴿يَسْتَهْزِءُ بِهِمْ﴾ للاستمرار في غير لو، فلم يقل الله مستهزئ بهم بصيغة اسم الفاعل، قصدا إلى استمرار الاستهزاء بهم وتجدده وقتا فوقتا .

قال في فيض الفتاح: " والاستهزاء السخرية والاستخفاف، أي: إنزال الهوان والحقارة بهم "

قال الولاتي مستحسنا هذا الرأي: " وهذا الأخيرُ أحسن عندي، وقد خطر لي من قبل "[2]

ومن أمثلة التنبيه على اختيارات العلوي قوله: " **قلت**: ولقد أحسن صاحب فيض الفتاح حيث لم يشترط التنافي بين الوصفين في قصر القلب، حيث مثل له بقوله: " ما زيد إلا شاعر " خطابا لمن يعتقد اتصاف زيد بالكتابة دون الشعر، مع عدم تنافي الشعر والكتابة، والناظم تبع ما في التلخيص من اشتراط هذا الشرط المنتقد عليه بما يطول جلبه "[3] .

وخلاصة القول إن كثرة نقل الولاتي عنه، واعتماده عليه بشكل كبير، دليل على تقديمه له وتزكيته إياه في هذا العلم .

ومما يلاحظ أن اعتماد المؤلف على كتاب فيض الفتاح يشبه اعتماده على كتاب الإتقان لعلوم القرآن للسيوطي . إلا إذا استثنينا إعراب الأبيات الرجزية لعقود الجمان، ففي ذلك تأثر كبير بصاحب

---

[1] - فيض الفتاح على نور الأقاح للعلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي ج2 ص355

[2] – النص المحقق، (ص:)

[3] – النص المحقق، (ص:)

فيض الفتاح، الذي كان من منهجه إعراب الأبيات الرجزية في منظومته (**نور الأقاح**) التي وضع لها هذا الشرح المسمى (**فيض الفتاح**). وقد يكون مردُّ ذلك ولعُ الشناقطة بالإعراب، حيث كان الاعتناء به عندهم عنوانا للفتوّة وآية للعبقرية .

المطلب الثاني: المصادر غير المباشرة

نعني بالمصادر غير المباشرة الكتب التي نقل عنها المؤلف بالواسطة، أي بواسطة أحد مصادره التي اعتمد في شرحه لمنظومة، وقد سبق التنبيه على أنهما مصدران رئيسان هما الإتقان للسيوطي، وفيض الفتاح للعلوي .

ونشير إلى أن الولاتي تارة ينبه على نقله غير المباشر من هذه الكتب، وتارة يعرض عن ذلك .

وهذه المصادر المشار إليها هي: تلخيص المفتاح للقزويني، وحواشي شمس الدين للفناري، ومطول سعد الدين التفتازاني، وحواشي السيد عليه، وحواشي الشيخ ياسين الحمصي على مختصر التفتازاني، والمثل السائر لابن الأثير . .

ومما تجدر ملاحظته هنا أن جل هذه المصادر يكون العزو إليه عن طريق اسم مؤلف الكتاب، وليس بذكر اسم الكتاب، لكنه بالتتبع والتقصي وجدت أن المقصود كتبهم هذه التي ذكرنا في الفقرة السابقة .

وسأذكر بعضا من هذه المصادر مرتبا لها بحسب كثرة المنقول عنها في مادة هذا الكتاب الذي بين أيدينا .

1ـ تلخيص المفتاح للقزويني: وهو تلخيص للكتاب الذي وضعه أبو يعقوب يوسف السكاكي بعنوان **مفتاح العلوم**، حيث ترك القزويني ما تناوله صاحب المفتاح في مجال النحو والصرف والعروض، واتجه إلى علم البلاغة بأركانه الثلاث، فكان كتابه متميزا في تقعيد قواعد علوم البلاغة، ووجوه معالمها، مستفيدا من الجهود العلمية التي سبقته في هذا الغرض، وهو كتاب مطبوع .

ولما رأى الخطيب القزويني أن التلخيص بحاجة إلى إيضاح عمد إلى تأليف شرح وضعه عليه، وسماه الإيضاح في علوم البلاغة ، فكان كافيا وشافيا لغَلَّة الدارسين والباحثين في هذا العلم .

وقد أفاض المؤلف في النقل عن هذا الكتاب بواسطة فيض الفتاح للعلوي، ولم ينبه على ذلك إلا في حالات قليلة .

وليس غريبا إكثار صاحبنا من النقل عن تلخيص المفتاح، حيث إن التلخيص هو الأصل للرجز المسمى عقود الجمان، وهذا أمر معروف، فالسيوطي عقد تلخيص المفتاح للقزويني في رجز من ألف بيت سماه " عقود الجمان في علم المعاني والبيان " كما صرح بذلك في شرحه على هذا الرجز[1] وكذلك صرح في هذا الرجز بأن الغرض منه تلخيص كتاب القزويني المتقدم الذكر، حيث قال فيه:

وَهَـــذِه أُرْجُـــوزَةٌ مِثْـــلُ الْجُمَـــانْ ضَـــمَّنْتُها علـــمَ المعـــانِي والبيـــانْ
لَخَّصْـتُ فيهـا مـا حَـوَى التَّلْخِـيصُ مَـعْ ضَـــمٍّ زِيـــاداتٍ كَأَمْثَـــالِ اللُّمَـــعْ

2ـ المطوَّل لسعد الدين التفتازاني: والمطول هو شرح على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، وهو كتاب مطبوع يقع في أربع مجلدات ـ والمجلد الخامس وهو عبارة عن ترجمة ودراسة للكتاب ـ في رسالتين علميتين بتحقيق السيدين: عبد العزيز بن محمد السالم (**وقد اشتغل على الجزء المتعلق بعلم المعاني**) وأحمد بن صالح السديس (**وقد اشتغل على الجزء المتعلق بعلم البيان والبديع**) طبعته مكتبة الرشد ناشرون، وقد اعتمد الباحثان على أنفس النسخ الخطية، وهي ثلاث نسخ لكتاب المطول ـ بما فيها نسخة كتبت في حياة المؤلف وعليها تقييداته وتصحيحاته وعليها تقريظه لتلميذه، وهي تامّة ـ انتخبوها من أنفس ستة عشر نسخة من بين أكثر من مائتي نسخة للكتاب حول العالم .

وسعد الدين كان ممن قرأ الدلائل والأسرار ـ وهما كتابان لشيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني ـ قراءة دقيقة متأنية، فورَّثه ذلك حسن فهم كلام الشيخ عبد القاهر الجرجاني، ونظر في كتاب المفتاح للسكاكي، وكذلك في الإيضاح للخطيب القزويني، فحلَّ أكثر غوامضهما، وكان محبا

(1) - انظر ص151 من النص المحقق

للتحقيق فخالف كثيرا من البلاغيين في مسائل، ونبه على نكت اهتدى إليها بنور التوفيق .

وقد اهتم المتأخرون بهذا الكتاب لما فيه من تحقيقات، فكتبوا عليه حواشي كثيرة .

وقد أكثر المؤلف النقل عنه بواسطة العلوي في فيض الفتاح، ونبه على ذلك في غير ما موضع .

3ـ مفتاح العلوم لأبي يعقوب يوسف السَّكّاكي وهو من أهم كتب البلاغة ومراجعها، فهو الذي قسّم البلاغة التقسيم الثلاثي المعروف إلى يوم الناس هذا من معان وبيان وبديع، وهو الكتاب الذي نظّم البلاغة ووضع لها الأبواب والأقسام والتعريفات والحدود، وهو الذي قعّد لعلم البلاغة، وحوّل علم الجرجاني الذي كان منثورا في كتابيه أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز إلى قواعد جامدة منضبطة وصارمة في كتابه هذا مفتاح العلوم، وهو كتاب يَعُدّه الدارسون لعلم البلاغة كتابا صعبا، لأنه جمع مع علم البلاغة علم النحو والصرف والْعَروض، ولهذا لما جاء الخطيب القزويني بعده لخصه تلخيصا جيدا مكتفيا بعلم البلاغة فقط، مُهملا لما يتعلق منه بالنحو والصرف والعروض، فجاء كتابه التلخيص مثمرا محتاجا إليه فنال إعجاب الجميع، وكان محط اهتمام الدارسين لعلم البلاغة، حيث جاء استجابة لتطلعات المهتمين بهذا الشأن .

وهو كتاب مطبوع، يقع في مجلد واحد كبير، بتحقيق د عبد الحميد هنداوي مدرس البلاغة بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، طبعة ونشر دار الكتب العلمية ببيروت لبنان، ط الأولى 1420 ه، 2000 م .

وقد أكثر الولاتي النقل عنه بواسطة فيض الفتاح للعلوي، وقد نبه على ذلك مرات عديدة .

4ـ حاشية السيد الشريف الجرجاني وهي عبارة عن حاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم الذي سبق ذكره، ويعد كتاب الحاشية هذا من المصادر البلاغية التي تدخل في دائرة اهتمام الباحثين في مجال البلاغة، ذكر فيه صاحبه شواهد وتتمات بديعة، وفسر ألفاظا غريبة، وغير ذلك مما يخدم علم البلاغة، وهو كتاب مطبوع في مجلد واحد، علّق عليه رشيد أعرضي، ونشرته دار الكتب العلمية .

والولاتي أكثر من النقل عن كتاب الحاشية هذا بواسطة فيض الفتاح على نور الأقاح للعلوي .

5 ـ عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: وهو كتاب عظيم النفع ألفه أحمد بن علي أبو حامد السبكي، قصد به مؤلفه شرح تلخيص المفتاح للقزويني، وقد ذكر السبكي في مقدمته كتابه هذا أنه قد شغل خاطره بالعزم على شرحه وبيان قيمته، وبين أن الباعث له على صرف الهمة لهذا العلم ووضعِ شرح على هذا الكتاب، عدمُ اطلاعه للمتأخرين على تصنيف محكم تقر بتهذيبه العين، ولا وقف لهم فيه على تأليف مجمل أو مفصل، يشاهد فيه المرء صحة المعاني، مثل كتاب التلخيص للقزويني، وبين كذلك أن الشروح التي وضعت عليه لا تنشرح لها الصدور الضيقة، ولا تنفتح عندها مغلقة، وذلك أن أصحابها يتناولون المعنى الواحد بالطرق المختلفة، ويتناوبون المشكل والواضح على أسلوب واحد كلهم قد ألفه، لا يخالف المتأخر منهم المتقدم إلا بتغيير العبارة، ولا يجد له على حل ما أشكل على غيره أو استشكال ما اتضح جسارة .

قصارى أحدهم أن يعزو أبياتا من الشواهد لقائليها، ويوسع الدائرة بما لا يقام له وزن من تكميل ناقصها، وإنشاد ما قبلها وما يليها، ولا يزيد في شرح عبارة المصنف على الإيضاح زينا وجد فيه أم شينا، إلى أن يقول: فلو نطق التلخيص لتلا ما جئتم به هذه بضاعتنا ردت إلينا، هذا والشرح يطول، والوقت ينفق ولم يكتب لطالب البيان وصول .

وقد احتوى الكتاب كثيرا من المباحث المفيدة التي تتسم بالجدة، وبتعبير السبكي: ولقد احتوى هذا الشرح بحمد الله تعالى من المباحث التي هي من بنات فكرى فلم أسبق إليها، ومن هبات ذكرى، فما عثر أحد فيما علمت من أهل هذا الفن عليها، على جملة لا أعقد لها عددا حتى أفرغ من عدّ النجوم، ولا أعهد لها مددا سوى إلهام الحي القيوم، وكأين فيه من شاهد يردّ على هذا العلم ما يدعيه عن حق ضائع، ويثبت له عرفا يحفظ طيب الثناء بعرف ضائع، ويأمن من الإسقاط فإني استخرجته بالفكرة، وعدلته بتزكيتي العقل والنقل عند قاض من التأمل ليست عنده فترة، وأجلسته في

مجالس العلماء فأثبتوا فخره، وأطلت البحث عنه ولم أجده في كتاب ولم أسمعه من ذي فطرة .

واعلم أني مزجت قواعد هذا العلم بقواعد الأصول والعربية، وجعلت نفع هذا الشرح مقسوما بين طالبي العلوم الثلاثة وأكاد أقول بالسوية، وأضفت إليه من إعراب الآيات الواقعة فيه ما هو محرر وإن كان رقيق الحاشية . [1]

وهو من المصادر التي نقل عنها المؤلف بواسطة فيض الفتاح للعلوي، دون التنبيه على ذلك .

6ـ حاشية الفناري على المطول: وهو عبارة عن حاشية من تأليف حسن جلبي بن محمد شاه ابن الفناري، وهذه الحاشية معدودة في مصادر علم البلاغة، وقد تناولها الدارسون لهذا الفن قديما وحديثا، وعدوها من مراجعه ومصادره التي لا يستغنى عنها .

وهذا الكتاب من المصادر التي نقل عنها المؤلف بواسطة فيض الفتاح للعلوي، لكنه لم ينبه على ذلك، غير أن المطالع لمرتع الجنان يدرك أن مؤلفه قد استقى كثيرا من حاشية جلبي هذه، دون أن يعدها من مصادره التي أخذ عنها، ولم يذكرها كذلك من المصادر التي نقل عنها بالواسطة .

3ـ المثل السائر لابن الأثير وهو كتاب جمع فيه صاحبه فنونا عديدة من فنون العربية والأدب، وعنوان الكتاب هو المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ونشرته دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة، ويقع في خمس مجلدات، ولم يكد كتاب « المثل السائر، في أدب الكاتب والشاعر » يظهر حتى تداوله الناس وكتبوه، وأخذوا في التقريظ له، والانتفاع به، وذاع أمره في البلاد، حتى نقل إلى بغداد .

وهو كذلك من المصادر التي أخذ عنها الولاتي واستقى منها بواسطة فيض الفتاح للعلوي، دون أن ينبه على ذلك .

---

[1] - انظر مقدمة المصنف من كتاب عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للسبكي، ج1 ص30، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، ط الأولى، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت لبنان.

المطلب الثالث: توثيق النصوص في الشرح

التزم الولاتي ﷺ الدقة والأمانة العلمية في شرحه هذا إلا في حالات نادرة، ولذلك كان حريصا على توثيق نصوص الأقدمين وردها إلى مصادرها ما أمكنه ذلك .

ويمكننا إبراز تعامل الولاتي مع هذه المصادر التي استقى منها أدلته وحُججه على النحو التالي:

أ – النقل بالإحالة على الكتاب، وهذا كثير، ومنه:

– قوله: " قال في فيضِ الفتّاحِ: " التحقيقُ أنَّ مُقتضى الحالِ هوَ الكلامُ الكليُّ المشتملُ على الخصوصياتِ، ومَعْنى المطابقةِ أنَّ الكلامَ الجُزئيَّ المشتملَ عليها من أفرادِ ذلك الكليِّ الذي يقتضيهِ الحالُ لا أزْيدَ ولا أنقَصَ " انتهى[1] .

ـ وقوله: " قال في الإتقان: " والباء زائدة، ودخلت لتأكيد الاتصال ؛ لأن الاسم في قوله وكفى بالله متصل بالفعل اتصال الفاعل "[2] .

ـ وقال في موضع آخر: قال في المفتاح: " ولطائف هذا الباب لا تكاد تنضبط "[3]

ـ ومنه قوله أيضا: " قال في الشهدة الصريحة: " واعلم أن جعل معمولات الفعل كالحال ونحوه من المفيدات، وجعل الإضافة والوصف من المخصصات، إنما هو مجرد اصطلاح " . [4]

ـ ويقول في موضع آخر: " قال في المطول: " اللهم إلا أن يراد الصفات الوجودية، وفيه كما قال الفنري بحث، إذ من الصفات الوجودية ما يستلزم نقيض إحداها عين الأخرى، كحركة جسم

[1] – النص المحقق (ج1، ص160)
[2] – النص المحقق (ج1، ص183)
[3] – النص المحقق (ج1، ص221)
[4] – النص المحقق (ج1، ص335)

وسكونه، فيلزم من ذلك المحال قطعا " . [1]

ب – النقل بالإحالة على المؤلف .

فمن ذلك:

ـ قوله: " قال ياسين: الأحسن أن يقال، لتأكيد ستر العورة، حتى أنه يستر لفظها عن السامع " . [2] .

ـ ومنه قوله: " قال ياسين: " وكلها ترجع إلى المجاورة، وقرينة هذا المجاز تختلف بحسب المقامات، ومنها الاستحالة كما في القمرين، ولا يخفى أن في التغليب جمعا بين الحقيقة والمجاز "[3]

ـ ومنه كذلك: " وأجاب السيد في حاشية الكشاف بأن الجمع الممتنع إذا كان كل منهما مرادا باللفظ، لا إن أريد مجموعهما كما في التغليب، لارتباطه بجعلهما معنى واحدا "[4]

قال **صاحب الكشاف**: " وكما يجب على البليغ في مظانّ الإجمال والإيجاز أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والإشباع أن يفصل ويشبع . [5]

قال **الشيخ عبد القاهر**: " ما من اسم حذف في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره "[6]

قال **الطيبي**: وهو أن يكون المعني مهتما بشأنه، فإذا شرع في نوع من الكلام نظر إلى ما يتخلص إليه، فإذا تمكن من إيراده كر إليه ورجع، كتكرير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ﴾ الآية في سورة

---

[1] – النص المحقق (ج1، ص215)

[2] – النص محققا (ج1، ص208)

[3] – النص المحقق (ج1، ص183)

[4] – النص المحقق (ج1، ص184)

[5] – النص المحقق، (ج2، ص،500).

[6] – النص المحقق، (ج2، ص،527).

التوبة[1] .

قال في **دلائل الإعجاز**: " معناه أن مقتضى القياس أن يجوز أيضا التأخير لحصول المبالغة بالكناية، لكن لم يقم الاستعمال إلا على خلافه " . [2]

ومنها التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام، قال **حازم في منهاج البلغاء** إنما يحسن الحذف لقوة... [3]

ج – النقل بالواسطة فأحيانا يصرح بها وأحيانا لا يصرح:

ـ فمن أمثلة ما صرح بالنقل عنه: قوله: " قال الناظم في الشرح: " قال الناظم في الشرح: " قال في الكشاف، في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ﴾ يجوز أن يكون ولا نكذب معطوفا على نرد أو حالا، قال: ولا يدفعه قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ 29﴾ لأنه تمن قد تضمن معنى العدة فتعلق به التكذيب، فالحاصل أن قول الكفار ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ 28﴾ لفظ تمن متضمن لكلام خبري، هو الوعد بعدم التكذيب، والإيمان على تقدير الرد بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ 29﴾ أي في إخبارهم بالوعد بعدم التكذيب والإيمان، إذ لا يحتمل الصدق والكذب إلا الخبر . "[4]

ومنه أيضا قوله: " قال في فيض الفتاح: " خالف ابن مالك في هل فقال: إنها تجيء لطلب التصور كالهمزة، فيؤتى لها بمعادل معطوف بأم المتصلة، واستدل لذلك بقوله:

((هَلْ تَزَوَّجْتَ بِكْراً أَمْ ثَيِّبًا)) يعنى أنه علم بتزوجه، وسأل عن تعيين المتزوجة أهي من نوع البكر أو من نوع الثيب، وتأول بعضهم الحديث بأن تكون أم منقطعة، والمعنى: بل تزوجت ثيبا، فعلم أن امتناع قولنا مثلا: هل قام زيد أم عمرو ؟ عند غير ابن مالك، إذا لم تقدر أم منقطعة إذ هي تجامع هل، بل لا تقع إلا بعدها، ولأنه يشترط في اتصالها أن يكون قبلها استفهام بالهمزة أو لفظة

(1) – النص المحقق، (ج2، ص533).
(2) – النص المحقق، (ج1، ص263).
(3) – النص المحقق، (ج2، ص525).
(4) – النص المحقق، (ج2، ص401).

سواء قاله ياسين"[1]

ـ ومن أمثلة ما لا يصرح بالنقل عنه: نقله من مطول السعد بواسطة فيض الفتاح للعلوي، فهذا الكتاب ينقل عنه بالواسطة كثيرا، وكذلك فعل مع مفتاح العلوم للسكاكي، وحاشية السيد الشريف . والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى .

فمنها: قوله: في شرح البيت التالي من العقود

وَقَالَ فِي الْمِفْتَاحِ هَلْ عَبْدٌ عُرِفْ قُبْحٌ لَهُ . [2]

يعنى أن صاحب المفتاح قال فيه: " إن نحو هل عبد عرف قبح له، أي لأجل أن التقديم يفيد الاختصاص، والاختصاص يستلزم التصديق ؛ لأن الأصل عنده عرف عبد على أن عبد بدل من الضمير المستتر في الفعل، وقدم لأجل التخصيص، ولذلك ساغ الابتداء به من غير مسوغ غير التخصيص .

وبالرجوع إلى كتاب فيض الفتاح وجدت أن العلوي هو الناقل لهذه الفقرة من المفتاح، فالولاتي هنا ناقل من المفتاح بالواسطة وهذه الواسطة هي فيض الفتاح للعلوي، غير أنه لم يصرح بنقله لهذا الكلام من فيض الفتاح ـ كما هي عادته ـ

ومن أمثلة هذا النقل بالواسطة ما أورده الولاتي في شرحه هذا ناقلا عن السعد في مطوله بقوله: " وفى المطول: " فالظاهر أنهم علموا ذلك من حلفه وذمه الأصنام " .

ومثال تقرير الفعل: أضربت زيدا ؟ وتقرير المفعول نحو أزيدا ضربت ؟ والعلاقة في التقرير بينها السيد في حواشيه على المطول بقوله: " الاستفهام عن أمر معلوم للمخاطب يستلزم حمله على إقراره بما هو معلوم منه " .

---

(1) - النص المحقق، (ج2، ص: 407)

(2) - النص المحقق، (ج1ص: 407)

وهذه الفقرة منقولة أيضا من كتاب فيض الفتاح للعلوي، ولم نجد ذكرا للتنبيه على ذلك .[1]

ومنه كذلك قوله: " قال صاحب الإفصاح: " إنما سأل اليهود عن الروح تعجيزا وتغليظا، إذ كان الروح يقال بالاشتراك على روح الإنسان، والقرآن، وعيسى، وجبريل، وملك آخر، وصنف من الملائكة، فقصد اليهود أن يسألوه، فبأي مسمى أجابهم قالوا: ليس هو، فجاءهم الجواب مجملا، وكان هذا الإجمال كيدا يرد كيدهم "[2]

وبالرجوع إلى مصدر هذا النقل يتبين أن الولاتي نقل هذا من كتاب " إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون " لأبي الفرج الحلبي، بواسطة كتاب الإفصاح .

(1) - النص المحقق، (ج2، ص: 426)
(2) - النص المحقق، (ج1، ص: 281)

المبحث التاسع: القيمة العلمية لمرتع الجنان

تتحدد القيمة العلمية لأي كتاب بالسمات المنهجية، والقيمة العلمية، وبمستوى القبول الذي استقبل به، ومدى انتفاع الناس به .

وبما أنني عايشت الكتاب فترة طويلة نتيجة الاشتغال عليه، فإنني أرى أنه من المتعين علي أن أبرز قيمته العلمية حسب ما ظهر لي نتيجة هذا التعايش، وسأتحدث عن هذه القيمة من خلال محددين أجعل كل واحد منهما في مطلب:

المطلب الأول: ميزات مرتع الجنان

تعرضنا بالتفصيل في المباحث الماضية لكثير من مميزات هذا الشرح، لذلك سأكتفي في هذا المقام بإبراز ميزتين، هما أهم ما طبع الكتاب، حال كوني مكتفيا بما تقدم من الاستشهاد على صحتهما:

الميزة الأولى: جمعه وانتقاؤه لكثير من الفوائد المهمة، فلقد اجتهد في نخل أحسن ما في مصادره، وصان تفسيره عن الأقوال الضعيفة التي لا تستوي على ساق، ولا تصمد أمام ضربات النقاد.

الميزة الثانية: جودة مصادره وتنوعها، أكسبت هذا الشرح ثراء وتميزا، وجعلته ـ على اختصاره ـ شرحا جامعا لمختلف ضروب البلاغة، وأهم ما تناوله شيوخها والعارفون بأسرارها ودقائقها .

المطلب الثاني: حضور شخصية المؤلف في شرحه

التزم الولاتي ﷺ في شرحه بالنقل عن السابقين، لكن شخصيته الموسوعية أبت إلا أن تترك بصماتها، وتلقي بظلالها على تأليفه، فقد أضاف أمورا مهمة، منها الاستطرادات والاستدراكات على النقول، ومنها الاختيارات والترجيحات بين الأقوال، وكذلك الوقفات التقويمية أثناء عرضه لبعض القضايا والمسائل .

وبالجملة فإن القارئ لهذا الكتاب يدرك بوضوح أنه أمام شخص متخصص، بصير بمواطن الخطأ، عارف بمواضع الصواب، يلخص ويناقش ويرجح، وله عنديات كثيرة تعطي عنه صورة واضحة .

فمن اختياراته مثلا ـ وهي كثيرة ـ:

أ ـ رأيه في مسألة اشتراط الفصاحة في البلاغة، فبعد أن ساق آراء البيانيين في المسألة قال: " وبعضهم فصّل فقال: إن الفصاحة المعنوية شرطٌ في البلاغة، إذ مرجِعها علمُ البيان، الذي هو جزءُ عِلمِ البلاغة، بخلاف الفصاحة اللفظية، فإنّ مرجعها الحِسُّ واللغة والنحو والصرف، فلا تشترط إذا . قال: " والقول المفصّل هو المختار عندي . "[1]

ب ـ قال في فيض الفتاح: " . كما ترك الأصل في طريق العطف كراهة الإطناب، كذلك ترك هذا الأصل في مثل " ما زيدا ضربت " و" ما أنا قلت هذا " إذ القصد قصر الفعل على غير المذكور كما هو الحق، لا قصر عدم الفعل على المذكور، فيكون النص لما ينفى دون ما يثبت " .

قلتُ: الصواب عندي كون النفي والاستثناء مما صرح فيه بالمثبت والمنفي جميعا، فكلاهما منطوق ؛ لأن في قولك: " ما قام أحد " تصريح بنفي القيام عن كل أحد، وفى قولك: " إلا زيد "

(1) ـ النص المحقق، (ج1،ص161)

تصريح بإثباته لزيد[1] .

ج ـ يرى أهل علم المعاني أن الهيئة التركيبية في الإضافة اللامية موضوعة للاختصاص الكامل المصحِّح لأن يُخبر عن المضاف بأنه للمضاف إليه، فإذا تم هذا الاستعمال لأدنى ملابسة كان فيه مجاز لغوي، ويمثلون لذلك بقول الشاعر:

إذا كوكبُ الخَرْقاء لَاحَ بسُحْرَةٍ ... سُهيلٌ أذاعت غزلَها في القرائب

أضاف الكوكب إلى الخرقاء لأدنى ملابسة، وهي تنبهها للشتاء عند طلوعه وإذاعتها لغزلها بين قربائها استعدادا له، وهُو وجه المجاز في هذه الإضافة .

قال الولاتي معلقا على هذا الرأي قلت: والذي يظهر لي وأرتضيه أن ليس في هذا التركيب مجاز لغوي ولا حكمي ؛ لأن نسبة الكوكب إلى الخرقاء لا توصف بحقيقة عقلية ولا مجاز عقلي ؛ لأن المنسوب هنا الذي هو الكوكب ليس بفعل ولا شبهه، وتقدم في النسبة الإسنادية أن الحقيقة والمجاز إنما يدخلان في نسبة الفعل أو شبهه إلى ملابسه، وتقدم أن النسبة التقييدية كهذه النسبة أي نسبة الكوكب إلى الخرقاء كالإسنادية، فلا توصف بالحقيقة أو المجاز، إلا إذا كان المنسوب فيها فعلا أو شبهه، والكوكب ليس فيه رائحة الفعل، وليس في الطرفين أيضا اللذين هما الكوكب والخرقاء مجاز لغوي، كما زعم بعضهم ؛ لأن كلا منهما مستعمل فيما وضع له، والمجاز اللغوي لا يدخل في النسبة التي توصف بالحقيقة والمجاز كالإسنادية، فأحرى النسبة التي لا توصف بهما كهذه النسبة أي نسبة الكوكب إلى الخرقاء .

هذا بالإضافة إلى تصويباته الكثيرة للناظم ولصاحب فيض الفتاح أيضا، ثم للسيوطي في الإتقان وغيره، مما يمكن الاطّلاع عليه في المباحث السابقة .

(1) ـ النص المحقق: (ج1،ص372)

المطلب الثالث: مآخذ وملاحظات على مرتع الجنان

لا يخلو أي جهد بشري مهما بلغ صاحبه في تحريره وتنقيحه من هِنات وتجاوزات، وربي سبحانه شاء أن لا يعطي الكمال لأحد، وهذا الشرح الذي بين أيدينا ـ على جلالة قدره وصحة مضامينه ـ لم يسلم من الأخطاء والتجاوزات، لكن ذلك قليل الوقوع نادر الوجود .

ومن أمثلته:

ـ ما ذكرنا سابقا من إهمال للتنبيه على القراءة الشاذة، وتصريحه الذي يفهم منه أحيانا تجويزه القراءة بها .

ـ أ ـ فمن ذلك حديثه في باب الإيجاز عن جواز الحذف للقطع، وأورد في ذلك بعض القراءات الشاذة دون أن يعلق على شذوذها، فقال: ومِنْهُ قراءة بعضهم: ﴿وَنَادَوْاْ يَـٰمَالِكُ﴾ بِالتَّرْخِيمِ ويَدْخُلُ فِي هَذَا النَّوْعِ حَذْفُ هَمْزَةِ أَنَا فِي قَوْلِهِ: ﴿لَّـٰكِنَّا هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ إِذِ الأَصْلُ لَكِنَّ أَنَا، حُذِفَتْ هَمْزَةُ أَنَا تَخْفِيفًا، وأُدْغِمَتِ النُّونُ فِي النُّونِ ومِثْلُهُ مَا قُرِئَ ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ ان تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾﴿بِمَآ انزِلَ إِلَيْكَ﴾ ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ[35]﴾

ب ـ ومنه أيضا إيراده لقراءة ابن محيصن المكي الشاذة، في قول الله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمُوٓ ءَآنذَرْتَهُمُوٓ﴾ بحذف همزة التسوية، ولم يعلق على هذا أيضا .

2 ـ ترك إيفاء المسألة حقها من التوضيح، فنجده أحيانا يشير إلى المسألة ـ التي تحتاج إلى زيادة توضيح وبيان ـ ويتعداها إلى غيرها، وفي المقابل ربما أسهب في الحديث عن بعض المسائل التي لا تحتاج إلى إسهاب لوضوحها وعدم خفائها .

3ـ إيراده معلومات عديدة دون عزوها لأصحابها، فهو أحيانا ينقل عن بعض المصادر دون التنبيه على ذلك، فنجده أحيا ينقل الكلام دون عزو لصاحبه، وبالرجوع إلى المصدر الذي نقل منه، نجد الكلام كما هو في مرتع الجنان .

وقد كثر هذا مع كتاب فيض الفتاح على نور الأقاح لسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي،

ويفعله أحيانا مع الإتقان في علوم القرآن للسيوطي .

4ـ ترك الترجيح في بعض المسائل، فهو وإن كان صاحب رأي في عرض المسائل ومناقشتها إلا أنه ربما ـ في حالات ـ غفل عن الترجيح في بعض المسائل الخلافية التي يحتاج القارئ فيها إلى من يأخذه إلى الصواب، ويبين له الراجح في المسألة بالدليل، ومن الأمثلة على ذلك عدم إعطاء رأي واضح فيما يتعلق بحكم الاقتباس من القرآن والحديث، حيث اكتفى بذكر الخلاف الواقع فيه بين العلماء دون أن يرجح أحد الأقوال الثلاثة التي هي المنع مطلقا ـ كما عند المالكية، والجواز مطلقا، كالذي منه يكون في الخطب والمواعظ، والثالث القول بالتفصيل، فإن كان مما نسبه الله تعالى لنفسه، أو كان تضمينا في معنى هزل، فهذا مما يحرم، وما كان غير ذلك فلا بأس به .

وحاصل حكم الاقتباس ـ كما قال السيوطي ﷺ ـ أنه إن كان في غرض محمود، فهو حسن، وإلا فإنه مكروه، أو حرام .

المبحث العاشر: عملي في التحقيق ووصف النسخ

سبق الحديث عن عنوان المخطوط، ونسبته إلى صاحبه، وتاريخ انتهائه منه .

المطلب الأول: التعريف بالمخطوط ووصف نسخه ونماذج مصورة منه

اعتمدت في هذا التحقيق على نسخة يتيمة، وهي نسخة المؤلف التي منها ورقتان بخطه، وهي الورقة الأولى والأخيرة .

أي أنها النسخة الأم أو النسخة الأصل، التي كتبت على عهد المؤلف، وتوجد في مكتبة حفيد المؤلف الأستاذ حسني بن الفقيه بنواكشوط، كتبت في ورق الدفاتر العادية ذات الحجم الصغير في كل سطر منها ثلاث عشرة أو أربع عشرة (13-14) كلمة، وفي كل صفحة أربع وعشرون (24) سطرا أحيانا، وأحيانا خمس وعشرون (25) سطرا، ويقع المخطوط كله في 433 صفحة .

وقد كتبت بخطٍّ شنقيطيٍّ جميلٍ مُتداخل واضح مقروء بسهولة، ومُيزت الأبيات الرجزية من عقود الجمان عن المتن باللون الأحمر، ووضع تحتها خط باللون الأزرق ـ ولا أدرى هل هو قديم قدم المخطوط، أم هو طارئ ـ يميزها عن المتن، وكتب المتن باللون الأسود، ولم يكن هناك من تمييز يذكر للشواهد العلمية من آيات وأحاديث وأشعار، إلا كتابة العناوين البلاغية الكبرى بالخط الكبير المضغوط، مثل **باب التشبيه، باب الاستعارة، باب الكناية،** وكذلك الحال بالنسبة للقواعد والنكت وكلام العلماء الذين اعتمد المؤلف أقوالهم في كتبهم، وجعلها مصادر يأخذ منها، وذلك مثل: **قال في فيض الفتاح، قال في الإتقان، قال في عروس الأفراح،** وتارة أخرى يذكر اسم المؤلف مكتفيا به عن الإشارة إلى الكتاب، فيقول مثلا: **قال السيد، وقال الفناري، وقال ابن الأثير** .

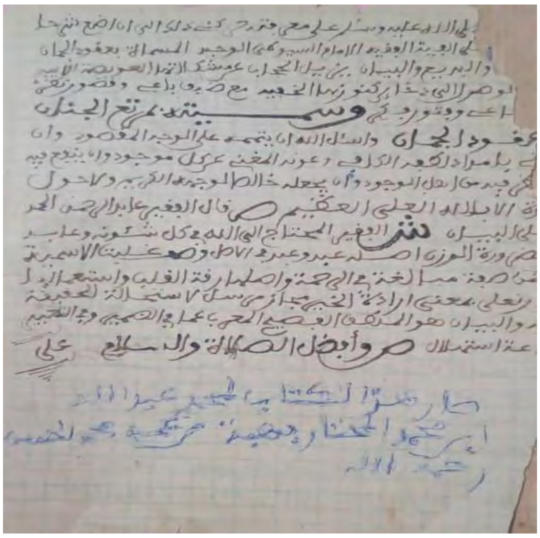
أما أقلامها فأقلام الحبر الخشبية التقليدية، وعليها بعض الهوامش، وأغلب هوامشها تصحيح لكلمات سبق القلم إلى كتابتها كتابة خاطئة، أو تكملة لسقط داخل المتن، فتتمُّ الإشارة إليه في الهوامش، وقد اتبع في ذلك نظام التعقيبات، فيأتي بالتعقيبة تارة أسفل الورقة، وتارة أخرى بأحد جوانبها (**حسب قربها من مكان السقط**)، وكثيرا ما يعلق بكلمة " صح " بعد الانتهاء من التعقيبة .

وتمتاز هذه النسخة بأنها غاية في الصحة والوضوح، وذلك ما شجعني على الاشتغال عليها وحدها بعد تعذّرِ الحصول على نسخ أخرى للمخطوط .

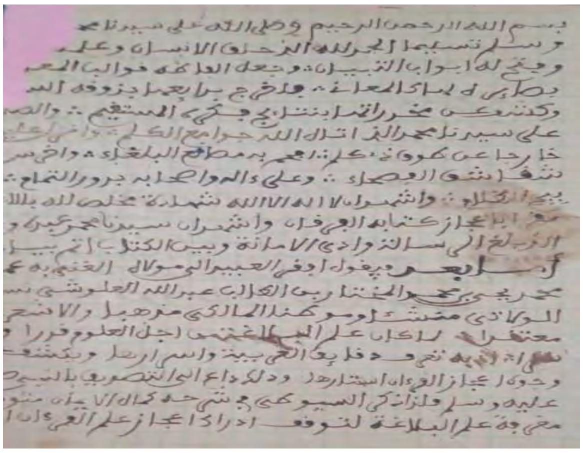
ذلك أن الورقة الأولى منها والأخيرة بخط المؤلف نفسه ـ كما شهد لي بذلك حفيده الأستاذ الجامعي حسني ابن الفقيه الولاتي ـ .

ففي الورقة الأولى كتب المؤلف أنه ملّك هذا الكتاب لابنه محمد الحسن، وفي هذا ما يعزّز قيمة هذا المخطوط ويبعث على الاطمئنان، فمن الواضح أن هذه النسخة كانت في متناوله، ويبدو أنه اطلع عليها وصحّحها، والدليل على ذلك كتابته للورقة الأخيرة منها بخطه .

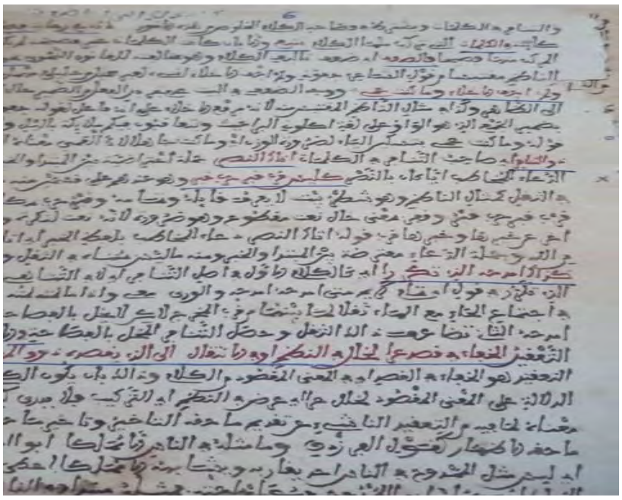
نماذج مصورة:

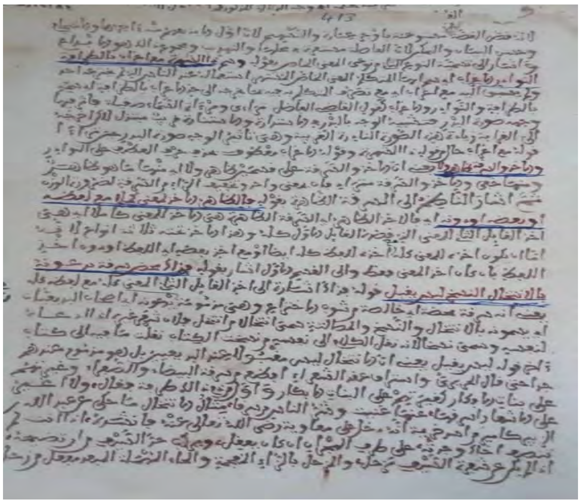


وسميته بمرتع الجنان
...
وأفضل الصلاة والسلام على



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
وسلم تسليما الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه
...
أما بعد فيقول أفقر العبيد إلى مولاه الغني به





المطلب الثاني: عملي في التحقيق

يتلخص عملي في النقاط التالية:

1ـ تخريج الآيات القرآنية، واعتمدت في ذلك رواية ورش عن نافع ـ كما هي خصوصيتنا المغاربية ـ ولم أبرزه داخل المتن ما لم يكن مطابقا لما هو عليه في المصحف، لذلك أهملت إبراز الكلمة حين تكون ناقصة حرفا فأكثر مما لا يمكن الوقوف دونه .

2ـ تخريج الأحاديث النبوية .

3ـ ضبط النص وتشكيل ما يُشكل منه .

4ـ خدمة النص بإدخال علامات الترقيم عليه .

5ـ توثيق المعلومة الواردة في المتن بردها إلى مصدرها الأصلي، سواء كانت معزوة إليه أو غير معزوة ـ ما أمكنني ذلك ـ .

6ـ شرح الغامض في النص وكشف اللفظة القاموسية .

7ـ ترجمة الأعلام الواردة في المتن، سواء كانت أعلام أشخاص أو قبائل أو أمم، باستثناء المشاهير، فلم أترجم لهم، كالخلفاء الراشدين، والعشرة المبشرين بالجنة، وأمهات المؤمنين، وكبار الصحابة، والمكثرين من الرواية منهم، وأئمة التابعين، وأئمة المذاهب، وأصحاب الصحاح والسنن، ورؤوس الكفر والنفاق كفرعون وقارون وأبي جهل وعتبة وعبد الله بن أبي، ومن كان من أضرابهم .

7ـ عرفت بالبلدان الواردة في المتن باستثناء الأماكن المقدسة والحواضر العلمية المشهورة .

8ـ عزو الأبيات الشعرية لقائليها مع ردها إلى مصادرها إن وجدت ـ ما أمكنني ذلك ـ .

9ـ ابتعدت قدر الإمكان عن توضيح الواضح، فاقتصرت في التعليق على ما اقتضاه المقام دون إسهاب أو تطويل .

10ـ التنبيه على التصحيف والوهم ـ على قلته ـ الوارد في المخطوط .

11ـ إعداد فهارس شاملة .

تلك عشرة كاملة من المباحث المبينة لكل نواحي هذه الدراسة واتجاهاتها المختلفة .

على سبيل الختم

من خلال هذه الرحلة العلمية الماتعة، مع الولاتي وكتابه مرتع الجنان على عقود الجمان، دارسا لمنهجه وطريقته في التأليف، ناظرا في كتابه ومحققا له، أخلص إلى ما يلي:

أولا: أن القرن الثالث عشر كان عصرا ذهبيا بامتياز في بلاد شنقيط، حيث ظهر علماء موسوعيون واصلوا ليلهم بنهارهم خدمة للعلم، فألّفوا التآليف المهمة التي كان لها الأثر البارز في الحياة العلمية والثقافية بموريتانيا مدة طويلة .

ثانيا: أن التراث العلمي والحضاري في بلادنا لا زال بحاجة ماسة إلى لفتة كريمة من الجهات الرسمية بدل الصدود والإعراض، ذلك أن الجهود الفردية مهما بلغ أصحابها من الجِدِّ والاجتهاد، فإن نتائجها تظل محدودة وقاصرة .

لهذا فإن المطلوب فتح مراكز تلملم شعث هذه الجهود التي يقوم بها أفراد، سعيا إلى انتشال المخطوط الشنقيطي من الضياع، وينظم انطلاقة راشدة، تؤدي إلى نشر هذه العلوم المختلفة بدل تركها حبيسة رفوف مكتبات أهلية خاصة، مما يعرضها للضياع كلما تأخر إنقاذها .

ثالثا: أن البلاد تمتلك ثروة علمية كبيرة، في مجالات عديدة، ولا ينقصها إلا سعي جاد في سبيل جمعها وتصحيحها وتحقيقها ونشرها، ويكون ذلك مفيدا بشرط أن يتولى الإشراف على ذلك علماءُ متخصصون لهم خبرة ومعرفة .

رابعا: أن العلامة محمد يحيى الولاتي من أغزر علماء موريتانيا إنتاجا، وأكثرهم تأليفا، فهو بحق قامة علمية كبيرة، حفّت به منذ نشأته ظروفٌ مواتية، كانت بمثابة المصعد الذي اعتلى به مراتب العلم والمعرفة، فهو أصيل ولاته إحدى العواصم الثقافية، وسليل عائلة علم وصلاح .

خامسا: أن الولاتي قد اجتهد في لمِّ شتات أقوال البلاغيين واللغويين، وأجاد في ترتيبها وأبدع في صياغتها، وكان موفقا في جمعه وانتخابه، فجاء شرحه زبدة منتقاة من هذه الكتب المختلفة .

وكان مع ذلك حاضر الرأي يناقش الأقوال، ويجتهد في الترجيحات، بل ويضيف أحيانا على وجه الاستطراد كثيرا من الفوائد والنكت .

سادسا: أنني في القسم الأول المتعلق بدراسة الكتاب حاولت جهدي أن أستنطق المؤلف وأبين منهجه الذي سار عليه في هذا الكتاب خصوصا، والطريقة التي يعالج بها الموضوعات، ليكون القارئ الكريم على بينة مما يرى حين يصل إلى الكتاب محقَّقا، وذلك سعيا مني إلى تزويده بوسائل

فكرية ونظرية تمكنه من التعامل مع الكتاب بما يليق .

وفي القسم المتعلق بالتحقيق اتبعت منهجية رصينة في التعامل مع المخطوط، عاملا بكل الإرشادات والتوجيهات التي يضعها أهل المناهج المهتمة بالتحقيق، آخذا في الاعتبار أن الحكم على هذا الكتاب المهم، الذي طالما انتظره الدارسون، سيكون من خلال هذا العمل، مما يحتّم الاعتناء به وجعله، في المستوى الذي يليق به .

وهكذا فإن القسم الثاني المتعلق بالتحقيق من هذا العمل جاء محاولة للمحافظة على النمط الذي سار عليه المؤلف تشوفا للهيأة التي يريد لمؤلَّفه .

سابعا: أن هذا الكتاب إن وفقنا في طبعه وإشاعته بين الناس، فإنه سيكون إضافة نوعية للمكتبة الأدبية عموما، والشنقيطية خصوصا، وذلك أن الآذان مليئة بذكر هذا الشرح والحديث عنه، غير أن الوصول إليه لم يكن متاحا، للعوامل التي ذكرت سابقا .

وخلاصاتُ البحث غير هذا كثيرة، ولكن في ذكر البعض إشارة إلى الكل، والحمد لله الذي بنعمته وجلاله تتم الصالحات، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم .

ولا أحسب بعد طول هذا العمل والإيلاف أنني قد وفَّيت الموضوع بحثا ودراسة، وإنما أثرت غبارا أحسب أن هذا البحث من عجاجه وخَبرْت محاولة أستنطق من خلالها المخطوط الشنقيطي .

وأملي وكلّ آمالي أن يجد هذا البحث التقبل والقبول من قبل الناظر، والدعاءَ لمُعِدّه من طرف المستفيد . وحسبي في نهايته أن أتأسى بما قاله القاضي عياض في مقدمة كتابه ترتيب المدارك: " وأنا أضرع إلى ذي العزة والجلال أن لا يجعل حظي من هذا الكتاب مجرد التعب والسهر والنصب، وأن يحسن فيه النية ويكمل بعفوه عن زللنا المنة، وجدير لمطالعه أن يحسن الظن ولا يبادر إلى الطعن حتى يجيل النظر ويحقق ما أنكر، فإن تيقن بعدُ زلة أصلحها، أو وجد مبهمة أوضحها، وأن يشكر ما كفيناه في جمعه من شغل الخاطر، والفراغ للبحث والطلب المتواتر، ويعذر فيما عساه يعثر عليه من زلل خفي، أو ظاهر، فالغالب على المرء التقصير، والأمر الذي ارتكبته خطير، ويغتفر القليل للكثير، وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير . "[1]

(1) - «ترتيب المدارك وتقريب المسالك» للقاضي عياض(ت544)ج1 ص31، ت ج1 ابن تاويت، ط1، مطبعة فضالة، المحمدية المغرب.

القسم الثاني:
النص المحقق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

الحمدُ لله الذي خلقَ الإنسانَ وعَلّمه البيانَ، وفتحَ لهُ أبوابَ التبيانِ، وجَعلَ ألفاظَهُ قوالبَ المعاني، وجعلَ بصائرَهُ لها كالْمَغاني، فأخرجَ بَدائِعَها بذَوْقِهِ السَّليمِ، وكشفَ عن مُخدَّراتِها بنَتائجِ فِكْرِهِ الْمُسْتَقيمِ .

والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمدٍ الذي آتاهُ اللهُ جوامعَ الكَلِمْ، وأَنزَلَ عَلَيْهِ كِتاباً خارِجاً عَن طَوْقِ كُلِّ ذِي كَلِمْ، أَفْحَمَ بِهِ مَصاقِعَ البُلغاءْ، وأخْرسَ بِهِ شَقاشِقَ الفُصَحَاءْ، وعَلَى آلِهِ وأصْحابِهِ بُدورِ التَّمامْ، ومَصَابيحِ الظَّلامْ .

وأشْهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ شَهادةَ مُخْلِصٍ للهِ بالإيمانْ، مُقِرّاً بإعْجازِ كِتابِهِ الْفُرْقانْ، وأشهد أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عَبْدُه ورسُولُهُ الذي بلَّغَ الرِّسالةَ وأدَّى الأمَانةَ وبَيَّنَ الْكتابَ أتَمَّ بيانْ .

أمّا بعدُ فيقولُ أفقرُ الْعبيدِ إلى مَوْلاهُ الْغَنِيُّ بِهِ عَمن سِواهُ محمد يحيى بنُ محمد الْمُختار بن الطّالِب عَبدُ اللهِ، الْعَلُّوشِيُّ نَسَباً الْوَلاتِيُّ مَنشَئاً ومَوْطِناً، المالكيُّ مَذهباً الأشعريُّ مُعْتَقَداً .

لَمّا كانَ عِلمُ الْبلاغةِ مِنْ أجَلِّ الْعُلومِ قَدْراً، وأَدقِّها سِرّاً، إذْ به تُعْرفُ دَقائقُ الْعَرَبيّةِ وأسرارُها، ويَكْشفُ عَن وجُوهِ إعْجازِ الْقرآن أسْتارَها، وذلكَ داعٍ إلى التَّصْديق بالنبيِّ ﷺ، فلِذا ذَكَرَ السيوطيُّ في شرحِهِ: " كَمَالُ الإيمانِ مُتوقِّفٌ على مَعْرفَةِ عِلمِ البلاغةِ لتَوقُّفِ إدْرَاكِ إعجازِ القرآنِ الذِي هُوَ مُعْجِزَةُ النَّبِيِّ [1] ﷺ عَلَى مَعْرِفَتِهِ، [1] حَرَّكَنِي ذلكَ إلَى أنْ أضَعَ شَرْحاً مُبيناً مُفِيدْ، عَلَى أَلْفِيَّةِ الْفَقِيهِ الْإِمَامِ السّيُوطِيِّ الْوَحِيدْ، الْمُسَمَّاةِ: " بِعُقُودِ الْجُمَانْ فِي عِلْمِ الْمَعَانِي والْبَدِيعِ والْبَيَانْ "[2] يُزِيلُ الْحِجَابَ عَن مُشْكِلاتِهَا الْعَويصةِ الأبِيَّهْ، ويُسَهِّلُ الْوُصُولَ إلَى ذَخَائِرِ كُنُوزِهَا الْخَفِيَّهْ، مَعَ ضِيقِ بَاعِي وقُصُورِ نَظَرِي وعَدَمِ اتِّسَاعِي وفُتُورِ فِكْرِي، وسَمَّيتُهُ بِـ: " مَرْتَعِ الْجنَانِ عَلَى عُقُودِ الْجُمَانِ " وأسأَلُ اللهَ أنْ يُتمِّمَهُ عَلَى الْوَجْهِ الْمَقْصُودْ، وأنْ يُمِدَّنِي بِأمْدادِ لُطْفِهِ الْكَافِي وعَوْنِهِ الْمُغْنِي عَن كُلِّ مَوْجُودْ، وأَنْ يَنفَعَ بِهِ كُلَّ

(1) – شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ص3 ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.

(2) – ذكر السيوطي أن اسم أرجوزته هو " عقود الجمان في علم المعاني والبيان " انظر شرحه المتقدم ص 1.

مَن نَظرَ فِيهِ مِنْ أَهْلِ الْوُجُودْ، خَالِصـًا لِوَجْهِهِ الْكَريمْ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمْ"

قَـــالَ الْفَقِـــيرُ عَابِـــدُ الـــرَّحْمَنِ   الحَمْـــــدُ للهِ عَلَـــــى الْبَيَـــــانِ

الْفَقيرُ الْمُحْتاجُ إلى اللهِ فِي كُلِّ شُؤونِهِ، وعابِدُ لِضَرُورَةِ الْوَزْنِ، أَصْلُهُ عَبْدٌ، وعَبْدٌ فِي الْأَصْلِ وصْفٌ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الاسْمِيَّةُ، والرَّحْمَانُ صِفَةُ مُبالَغةٍ فِي الرَّحْمَةِ وأَصْلُها رِقَّةُ الْقَلْبِ، واسْتِعْمالُها مِنَ اللهِ تَعالَى بِمَعْنَى إِرَادَةِ الْخَيْرِ، مَجَازٌ مُرْسَلٌ، لِاسْتِحَالَةِ الْحَقِيقَةِ فِيه .

وَالْبَيَانُ هُوَ الْمَنطِقُ الْفَصِيحُ الْمُعْرِبُ عَمّا فِي الضَّمِيرِ، وفِي التَّعْبِيرِ بَرَاعَةُ اسْتِهْلَالٍ . [2]

وَأَفْضَـــــلُ الصَّــــلَاةِ والسَّـــلَامِ   عَلَـــــى النَّـــــبِيِّ أَفْصَـــــحِ الْأَنَامِ

الصَّلاةُ مِنَ اللهِ الرَّحْمَةُ، ومن الملائكةِ الدعاءُ، ومنَ الآدميّينَ تضرُّعٌ ودعاءٌ، والمطلوبُ دوامُ حصولِهِما لا أصلُ الصَّلاةِ ولا أصلُ حُصولِها ؛ لأنها حاصلةٌ مِنَ اللهِ لنبيِّهِ ﷺ، والسّلامُ هُو الأمانُ، فالْمَعنى: نطلبُ الصلاةَ الدائمةَ دوامَ الآبادِ، معَ السَّلامِ المُلازمِ لِلازديادِ على نبينا محمد ﷺ .

وَهَـــذِهِ أُرْجُـــوزَةٌ مِثْـــلُ الجُمَـــانْ   ضَـــمَّنْتُهَا عِلْـــمَ الْمَعَـــانِي والْبَيَـــانْ

الأُرجوزةُ أُفعولةٌ منَ الرَّجزِ، البحرُ المشهور، وهيَ بضمِّ الهمزة

وسكون الراء بمعنى مَرْجوزةٌ، والجُمانُ اللُّؤلؤُ واحِدُهُ جُمانةٌ .

لَخَّصْتُ فِيهَا مَا حَوَى التَّلْخِيصُ مَعْ   ضَـــمِّ زِيَادَاتٍ كَأَمْثَـــالِ اللُّمَـــعْ

يعنى أنهُ لَخّصَ في هذهِ الأُرْجوزةِ ما حواهُ تلخيصُ المِفتاحِ للقزويني، معَ ضمِّ زياداتٍ حسنةٍ إليه، والتلخيصُ لغة التنقيحُ والتمحيصُ، وتلك الزياداتُ المذكورةُ

مَـــا بَـــيْنَ إِصْـــلَاحٍ لِمَـــا يُنْتَقَـــدُ

عَلى صاحب التلخيص أيْ يُعترضُ عليهِ فيهِ فيُردُّ عليهِ

وذِكْـــرِ أَشْـــيَاءَ لَهَـــا يُعْتَمَـــدُ

أيْ يعتمدُ عليها

وَضَـــمِّ مَـــا فَرَّقَـــهُ لِلمُشْـــبِهِ

مِنَ الأحكامِ

واللهَ رَبِّي أَسْـــأَلُ النَّفْـــعَ بِـــهِ

أيْ أسألُ من الله أن ينفعَ بِهذا النَّظمِ كلَّ مَنْ رامَ الانتفاعَ بهِ مِنْ مُعلِّم ومُتعلِّمٍ، ولفظُ الجَلالةِ مفعولٌ

به لأسألُ قُدِّمَ عليه وربِّى بَدَلٌ مِنهُ أوْ عَطْفُ بَيانٍ أوْ نَعْتٌ لهُوَ **أنْ يُزكِّى عَمَلي** الْحَسَنَ أيْ يُنمّيهِ بالأضْعافِ الْمُضاعَفةِ ويُطَهِّرَهُ مِنَ الرِّياء والعُجْبِ وأنْ **يُعْرِضا** عَنْ سُوئِهِ أيْ وأنْ يَتَجاوزَ ويَصْفَحَ عن السُّوءِ أيْ السَّيِّءِ مِنْ عَمَلي **وأنْ يُنيلَنِي الرِّضَا** أيْ وأسأُلهُ أيضا أنْ يَرْزُقَني رِضاهُ الأكْبرَ الذي لا دَرَجةَ فَوْقهُ، رَزقني اللهُ أنا والنّاظمُ تزكيةَ الْعَملِ الصّالحِ والْمُجاوَزةَ عَن السّيِّءِ والرِّضَا منَ اللهِ سُبحانَهُ، لا إلهَ إلّا هُوَ إنَّهُ عَلى ذلكَ قَديرٌ وبالإجَابةِ جَديرٌ، وصَلَّى اللهُ على سَيِّدنا مُحَمَّدٍ وآلهِ وصَحْبهِ وسَلَّمَ .

مُقَدِّمَةٌ:

يَعْنى في بَيانِ مَعنَى الفَصَاحَةِ والْبَلاغةِ وانْحصَارِ عِلْمِ الْبَلاغَةِ في عِلمَيْ الْمَعَاني والْبَيَانِ، وفيما يتعلقُ بذلك، ومُقدِّمَةُ الْكتابِ طَائفةٌ مِنَ الْكَلامِ قُدِّمَتْ أمَامَ الْمَقْصُودِ لارْتباطٍ لهُ بمعانيها، وهي بكَسْر الدالِ مِنْ قَدَّمَ بالتَّضْعيف .

يُوصَـــــفُ بِالْفَصَـــــاحَةِ المُرَكَّـــــبُ   ومُفْـــــرَدٌ ومُنْشِـــــئٌ مُرَتِّـــــبُ

الْفصاحةُ لغةً الظهورُ والبيانُ، يُقالُ فَصَحَ الأعجميُّ وأفصحَ إذا نطقَ لسانُهُ وخَلصتْ لُغتهُ من اللُّكْنةِ، وسيأتي معناها في الاصطلاح عند البيانيين، وهو المراد ههنا، والمعنى أن الفصاحةَ يوصفُ بها اللفظُ المركبُ، فيقالُ مركب فصيحٌ أو كلامٌ فصيح [3] بالبلاغة، ويوصفُ بها

المفردُ، فيقالُ مفردٌ فصيحٌ أو كَلِمةٌ فصيحةٌ، سواءً كان المفردُ حقيقةً كزيدٍ، أو حكما كزينِ العابدينَ وبَرَقَ نحْرُهُ وغلامُ زيدٍ، ويوصفُ بها المُنشِئُ المُرتِّبُ أي المتكلمُ المرتب للكلام فيقال متكلمٌ فصيحٌ .

وَغَـــــيْرَ ثَانٍ صِـــــفْهُ بِالْبَلَاغَـــــهْ   ومِثْلُهَـــــا فِي ذَلِـــــكَ البَرَاعَـــــهْ

غيرَ منصوبٌ على الاشتغال، يعنى أنَّ البلاغةَ إنَّما يوصَفُ بها الكلامُ والمتكلمُ، وهما المرادانِ بقولِهِ غيرَ والمرادُ بقوله ثانٍ المفردُ بقسْميْه، فلا يوصفُ بها ؛ لأنها مُطابقةُ الكلام لمُقْتضى الحالِ وهيَ منتفيةٌ في المفردِ، فيقالُ كلامٌ بليغٌ ومتكلمٌ بليغٌ، ولا يقال كلمةٌ بليغةٌ، والبلاغة لغةً الوصولُ والانتهاءُ، يقالُ بلغتُ المكانَ إذا وصلتُ إليه ومبلغُ الشيءِ منتهاهُ وسُمِّيَ الكلامُ بليغا من ذلك لأنه بلغَ الأوصافَ الحسنةَ اللفظيةَ والمعنويةَ، والمتكلمُ البليغُ الذي يَبلغُ بِعِبارَتِهِ كُنْهَ مُرادِهِ .

قَوْلُهُ: ومِثلُها إلخ، يعنى أنَّ البراعةَ مثل البلاغةِ فلا يوصفُ بها إلا الكلامُ والمتكلمُ، فيقال كلامٌ

بارعٌ ومتكلمٌ بارعٌ، ولا يقال كلمةٌ بارعةٌ، ومعنى براعةِ الكلام أنه فائقٌ لجميع الكلام في الفصاحةِ ومطابقةِ مُقتضى الحالِ، وبراعةُ المتكلمِ كونُه فائقا أقرانَهُ في الفصاحةِ والبلاغةِ .

فَصَـــاحَةُ الْمُفْـــرَدِ أَلَّا تَنْفُـــرَا   حُرُوفُـــهُ كَهُعْخُـــعِ واسْتَشْـــزَرَا

يعنى أنَّ فصاحةَ المفردِ التي إذا اتَّصفَ بها يقالُ فيه فصيحٌ هيَ أنْ يَتخلَّصَ من ثلاثةِ أمورٍ أحدُها: عدمُ تنافرِ حروفِه، والتنافرُ وصفٌ في الكلمةِ يوجبُ ثِقلها على لسانِ ذي الذَّوْقِ السليمِ، والذوقُ قوةٌ إدراكيةٌ لها اختصاصٌ بإدراكِ لطائفِ الكلامِ ووجوهِ مَحاسنِهِ الخَفِيَّةِ، فإذا كان مُتنافِرا فليس بفصيحٍ كهُعْخُعٍ وهوَ نَبْتٌ، واسْتَشْزَرَ بمعنى ارتفع، والألف فيه للإطلاق وكذا الألف في تَنْفُرا .

والثَّاني منها:

وَعَـــدَمُ الخُلْـــفِ لِقَـــانُونٍ جَلِـــي

يعنى أنَّ الثانيَ من أسبابِ فصاحةِ المفردِ عدمُ مُخالفتهِ للقانونِ الجَلِيِّ أيْ الواضحِ المُسْتَنبَطِ مِنْ تَتَبُّعِ لغةِ العربِ، ويَعنى بلغتهِمْ مفرداتِ الألفاظِ الموضوعةِ، وما هوَ في حُكمِ المفرداتِ كوُجوبِ الإعْلالِ في قامَ، والإدْغامِ في مَدَّ، والمرادُ بالْمُخالفةِ مَا خالفَ ما ثبتَ عن الواضعِ كـَ فَكِّ الإدغامِ في الأَجْلَلِ من قولِ أبى النَّجْمِ:

كَ" الحَمْـــدُ للهِ العَلِـــيِّ الأَجْلَـــلِ"

الواســعِ الفضْــلِ الوَهــوبِ الْمُجْــزل   أَعْطــى فلــمْ يَبْخَــلْ ولمْ يُبَخّــلِ .

وثالثُها: **فَقْدُهُ** أيْ المفردُ **غَرابَةً قَدْ أُرْتِجَا** يعنى أنَّ الثالثَ من أسبابِ فصاحةِ المفردِ فَقدُهُ غرابةً يُرتجُ بسببها أيْ يُغلقُ معناهُ بسببها فلا يُفهمُ، والغرابةُ هي كونُ الكلمةِ وحشيةً أي غيرَ ظاهرةِ المَعنى ولا مَأْنُوسَةِ الاستعمالِ، والغريبُ على قسمين:

ـ منهُ ما تَحْتاجُ مَعْرفتُهُ إلى بحثٍ عنهُ في كتبِ اللغةِ، كقولِ عيسى[1] حينَ سَقطَ عنِ الحمار واجتمع الناسُ عليه: " مَا لَكُمْ تَكَأْكَأْتُمْ عَلَيَّ تَكَأْكُؤَكُمْ عَلَى ذِي جِنَّةٍ افْرَنقِعُوا عَنِّى " تكأكأتم بمعنى اجْتَمَعْتُم، وافرنقعُوا بمعْنى تَنَحَّوْا، ومنهُ مَا يَحْتاجُ إلَى أنْ يُخْرجَ لهُ وجْهٌ بعيدٌ وهو الذي مَثَّل لهُ الناظمُ كَ قولِ

(1) – عالم جليل من ثقيف ومن أئمة النحو واللغة ومن المتقعرين في كلامهم، صنف نيفا وسبعين كتابا في النحو ولم يبق منها سوى الجامع والإكمال؛ لأنها كانت احترقت إلا هذين، توفي عام 150هـ.

رُؤْبَةَ:

أَزْمـــانَ أبْـــدتْ واضِـــحاً مُفَلَّجـــا   أَغَـــرَّ بَرّاقـــاً وطرْفـــاً أبْرَجَـــا[4]

ومُقْلـــــةً وحاجِبـــاً مُزَجّجـــا   وَفاحِمـــاً ومَرْسِـــناً مُسَـــرَّجَا[1]

وَكَفَـــلًا وهْنـــاً إذَا تَرَجْرَجَـــا   .   .

فَمُسَرّجٌ غَريبٌ إذْ لا يُدرَى هلْ معناهُ كالسَّيْفِ السُّرَيْجِي في الرِّقَّةِ والاستواءِ أو كالسراج في البريقِ واللَّمعانِ .

قال الفنري: وجهُ تخريجِ الوجهِ البعيدِ أنَّ فَعّلَ بالتضعيف قد يجيءُ لنسبةِ الشيءِ إلى أصلهِ نحو تمّمْتُهُ أي نسبتُهُ إلى تّميمٍ، ووجهُ البعدِ أنَّ مجردَ النسبةِ لا يدلُّ على التشبيهِ فاستخراجُ التشبيهِ منها بعيدٌ .

قولُه: أُرتِج بالبناء للنائبِ نائبُه ضميرٌ عائدٌ إلى المفردِ، والألفُ فيه لإطلاقِ القافيةِ .

وزادَ بعضُهمْ في فصاحةِ المفردِ خُلوصَهُ من أمرٍ رابعٍ وهوَ الكَراهةُ في السمعِ وإليهِ أشارَ الناظمُ بقولِهِ:

قِيـــلَ وفَقْـــدُ كُرْهِـــهِ فِي السَّـــمْعِ

أيْ قالَ بعضُ البَيانيّينَ:

ويشترطُ أيضا في فصاحةِ المفردِ فقدُ كراهتِهِ في السَّمعِ أيْ خُلوصِهِ من الكراهةِ في سَمْعِ السّامِعِ، وإلا بِأنْ كانَ كّريهـاً في السمعِ لمْ يكنْ فَصيحـاً **نَحْوَ جِرِشَّاهُ** أيْ نَحْوُ الْجِرِشَّي أيْ النفسُ في قول المتنبي:

مُبـــارَكُ الاسْـــمِ أغَـــرُّ اللَّقَـــبِ   كَـــريمُ الجرشـــي شَـــريفُ النَّسَـــب(2)

فلفظُ " الجرشى" ثقيلٌ وكريهٌ على السمعِ تَمُجُّهُ الأسْماعُ كلُّها **وذَا ذُو مَنْعٍ** يعنى أنَّ هذا الشرطَ الرابعَ الذي هو الخُلوصُ منَ الكراهةِ في السمع ذو منعٍ أي ممنوعٍ ومردودٍ، لأنه داخلُ في الغرابةِ ؛ لأن الخلوصَ من الغرابةِ يستلزمُ الخلوصَ من الكراهةِ في السمعِ ؛ لأن كَراهةَ المفردِ في السمعِ إمّا أن

(1) . ديوان رؤبة ت راضي نواصره، ط دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع.

(2) - هو لأحمد بن الحسين الجعفي الكندي، المعروف بأبي الطيب المتنبي، من قوله في مدح سيف الدولة "من المتقارب، انظر شرح ديوان المتنبي للواحدي (ص308 بترقيم الشاملة آليا).

يكونَ لاشتمالهِ على عَدمِ ظُهورِ المعنى وعدمِ أُنسِ الاستعمالِ كما في تكاكأتم بمعنى اجتمعتم، وإمَّا أن يكونَ لأجلِ اشتمالهِ على ذلكَ معَ الكراهةِ على الذوقِ أي التنافرِ كالجِرِشّى وجَفَخَتْ، واعلمْ أنَّ مُطلقَ الْكَرِيهِ على السمعِ لا يستلزمُ أن يكونَ كريهـًا على الذَّوقِ، والجرشى النفس، وجَفَخَت بمعنى فخرت .

وَفِي الْكَـــلَامِ فَقْــدُهُ فِي الظَّـــاهِرِ لِضَـــعْفِ تَالِيـــفٍ ولِلتَّنَـــافُرِ

فِي الْكَلِمَاتِ=أيْ والفصاحةُ في الكلامِ التِي إذا اتَّصَفَ بها يقالُ فيه فصيحٌ، هيَ فقدُهُ أيْ الكلامُ فيظاهرُ حالَهُ أي لفظَهُ ؛ لأن الفصاحةَ في الألفاظِ لا في المعانِي عكسَ بلاغةِ الكلامِ، فإنَّها فقْدُهُ في باطنِ حالهِ أيْ في معناهُ عدمُ مطابقةِ مُقْتضى الحالِ فهِيَ أيْ فصاحةُ الكلامِ خلوصُهُ من ثلاثةِ أمورٍ:

أحدُها: ضعفُ التأليفِ وهوَ أن يكونَ الكلامُ مُؤلَّفـًا على وجْهٍ مُمْتنعٍ عندَ جمهورِ النحاة .

وَثَانِيهَا: التنافرُ في الكلماتِ وهوَ أن تكونَ الكلماتُ ثقيلةً على لسانِ ذِي الذوقِ السليمِ والطَّبْعِ المستقيمِ .

وثالثُها: التَّعقيدُ اللفظيُّ والمعنويُّ أيْ الخلوصُ منهُما وإليهِ أشار الناظمُ بقوله: **وكَذَا التَّعْقِيدُ** يَعْنى أنهُ يُشترطُ في فصاحةِ الكلامِ أن يكونَ خَالصـًا مِنَ التعقيدِ اللفظيِّ والمعنويِّ كما أنه يشترطُ فيها خلوصُهُ من ضَعْفِ التأليفِ[5] والتنافُرِ في الكلماتِ، ويشترطُ في فصاحةِ الكلام الخلوصُ من هذهِ الأمورِ الثلاثةِ **مَعْ** رِعايَةِ **فَصَاحَةٍ** كَائنةٍ **فِي الْكَلِمَاتِ** التي تَرَكَّبَ منها الكلامُ **تُتْبَعْ** وإلا بأن كانت الكلماتُ غيرَ فصيحةٍ لمْ يكنِ الكلامُ المركَّبُ منها فصيحا **فَالضَّعْفُ** أيْ ضَعْفُ تَأْلِيفِ الكلامِ وهُوَ مُخالفتُهُ للقانونِ النَّحْويِّ نَحْوُ قولِ الناظمِ مُقتبِسا من قولِ الشاعر:

جَفَــوْنِي ولَمْ أَجْــفُ الأخِــلاءَ إنَّـــنِي لِغَـــيرِ جَمِيـــلٍ مِـــنْ خَلِيلـــيَ مُهْمِـــلُ

قَدْ جَفَوْنِي ولَم أَجْفُ الأخِلاءَ ومَا كُنتُ عَمِي ووَجْهُ الضَّعْفِ في البيتِ عدمُ تجريدِ الفعلِ مِن الضميرِ حالَ إسنادهِ إلى الظاهرِ، وكذا في مثالِ الناظمِ المقتبسِ منهُ برفعِ الأخلاءُ على أنهُ فاعلٌ لقولهِ جَفَوني المُتلبِّسُ بضميرِ الجمعِ الذي هوَ الواوُ على لغة " أكلوني البراغيثُ " و(**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ**

مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ والنَّهارِ)) [1]

قَوْلُهُ: ومَا كُنتُ عَمِي بتسْكينِ الياءِ لضرورةِ الوزنِ أيْ ومَا كنتُ جاهِلا لأنَّ العَمَى معناهُ الجهلُ، والكلامُ **ذُو التَّنَافُرِ** أيْ صاحبُ التنافر في الكلماتِ **أَتَاكَ النَّصْرُ** جُملةٌ اعتراضيةٌ بينَ المبتدإِ والخبرِ ومَعناها الدعاءُ للمُخاطَب أيّاً كان بالنصر كَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ وهو عندهمْ على قسمينِ:

ـ منهُ ما هوَ مُتَناهٍ في الثِّقَلِ كَمثالِ الناظمِ، وهوَ شَطْرُ بيتٍ لا يُعرفُ قائلُهُ وتمامُهُ:

وَقَــــبْرُ حَــــرْبٍ بِمَكَــــانٍ قَفْــــرِ ... ولَــــيسَ قُــــرْبَ قَــــبْرِ حَــــرْبٍ قَــــبْرُ

وقفر بمعنى خالٍ نعتٌ مقطوعٌ، وهو ضرورةٌ لأنه نعتٌ لنكرةٍ، وقبرُ اسمُ ليس أُخِّرَ عن خبرِها وخبرُها قُرْبَ .

قوله: أتاك النصرُ دعاءٌ للمخاطَب بلفظ الخبرِ أيْ أتاكَ النصرُ والظَّفَرُ من اللهِ، وجملةُ الدعاءِ معترضةٌ بينَ المبتدأ والخبرِ .

ـ ومنهُ ما ليسَ مُتناهٍ في الثقلِ، وإليه أشارَ بقولِهِ:

كَــــذَاكَ أَمْدَحُــــهُ الَّــــذِي تَكَــــرَّرَا

أيْ كالكلامِ الأولِ في أصلِ التنافرِ أيْ لا فِي التَّنَاهِي فِي الثِّقَلِ أَمدحُه الذي تكرر في قولِ أبى تمّام:

كَريمٌ مَتَى أمدحُهُ أَمْدَحُه والْوَرى . . مَعِي وإذا ما لُمْتُهُ لُمْتُهُ وحْدِي[2]

فإنّ في اجتماعِ الحاء مع الهاء ثِقَلا لمَا بينهُما من قرْبِ المَخْرجِ، لكن لا يُخِلُّ بالفصاحة، فإذا انضمَّ إليها أمدحُه الثاني تضاعَف ذلك الثقلُ وحصَل التنافرُ المُخِلُّ بالفصاحةِ .

وَالأَمْرُ الثَّالِثُ وهُوَ التَّعقيدُ **الْخَفاءُ في قَصْدٍ عَرَا**

لِخَلَــــلٍ فِي الــــنَّظْمِ أَوْ فِي الِانْتِقَــــالْ ... إِلَى الَّــــذِي يَقْصِــــدُهُ ذَوُو الْمَقَــــالْ

يعنى أنَّ التعقيدَ هو الخفاءُ في القصدِ أيْ في المعْنى المقصودِ من الكلامِ، وذلكَ بأن يكونَ الكلامُ غيرَ ظاهرِ الدلالةِ على المعنى المقصودِ لخَللٍ عَرا أي عَرَضَ في النظمِ أيْ التركيب فلا يُدرى كيفَ

(1) – صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، الحديث رقم 555، ج 1 ص 115 وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، الحديث رقم 632، ج 1 ص 439

(2) – حبيب بن أوس الطائي أبو تمام، في ديوانه الحماسة برواية الجواليقي ص 115 ط دار الكتب العلمية.

يُتوصَّلُ إلى معناهُ لما فيه من التعقيدِ الناشئِ عن تقديمِ ما حَقُّهُ التأخيرُ وتأخيرِ ما حقُّهُ التقديمُ، وبإضْمارِ ما حَقُّهُ الإظهارُ كقول الفرزدق:

وَمَـــا مِثْلُـــه في النَّـــاسِ إلا مُملكـــاً   أَبـــو أُمـــهِ حَـــيٌّ أَبـــوهُ يُقَارِبُـــه[1]

أي ليس مثل الممدوحِ في الناسِ أحدٌ يقاربُهُ ويشابهُهُ إلا مُمَلَّكـًا أعطى الملك أبو أم ذلك المملك أبوه أي أبو الممدوح فهو ابن أخته .[2]

فمثلُ مبتدأٌ، وفى الناس خبرُه ، [6] وحيٌّ بدلٌ من المبتدأ، ففيه فصْلٌ بين البدلِ والمبدل منهُ وبين المبتدأ والخبر ـ أعني أبو أمه أبوه ـ بالأجنبي الذي هو حيٌّ وبين الموصوفِ والصفة ـ أعني حيٌّ يقاربُه ـ بالأجْنبِيِّ الذي هو أبوهُ، وقدَّمَ المُستثنى أعني مُملكـًا على المستثنى منهُ أعني حيٌّ ولذا نصبَهُ .

قال ياسين[3]: وفى البيتِ وجهٌ ظاهرٌ يمكنُ حَملهُ عليه بحيثُ لا يكونُ تَعقيدا، وهو أن يكون مثلُه اسمُ مَا، وفى الناس خبرُه، وإلا مملكا مستثنى من الضمير المستكن في الخبر، وأبو أمه مبتدأٌ وحيٌّ خبرُه، وأبوهُ خبرٌ ثانٍ أو بدلٌ من حيٍّ، وهذه الجملةُ صفةُ مملكا، ويقاربُه صفة ثانيةٌ له، ومعنى حيٌّ شبابٌ ؛ لأن الشبابَ من الشيب بمنزلةِ الحياةِ من الموتِ انتهى .

أوْ لِخللٍ عارضٍ في الانتقالِ أي انتقالُ الذهنِ من المعنى الـأولِ الذي وضع لهُ اللفظُ إلى المعنى الثاني المقصودِ منه، وإنما يكونُ ذلك بسببِ قصد المتكلمِ اللازمِ الذي خَفيتْ دلالةُ القرينةِ عليه،

---

(1) – البيت في ديوانه ص108، ط دار بيروت للطباعة والنشر.

(2) – المعنى: وما مثل إبراهيم في الناس حي يشبهه في فضائله غير ملك أبو أمه أبوه.

(3) – ياسين الحمصي السّكاكي(000. 1061 هـ = 1651.000م) هو ياسين بن زين الدين بن أبي بكر ابن عليم الحمصي، الشهير بالعليمي: شيخ عصره في علوم العربية، ولد بحمص، ونشأ واشتهر وتوفي بمصر. الإمام البليغ، شيخ العربية وقدوة أرباب المعاني والبيان، قرأ على الشيخ منصور السطوحي، ثم على الشهاب الغنيمي، ولازمه في العلوم العقلية، وأخذ الفقه عن الشمس الشوبري، وكان ذكيا حسن الفهم، وبرع في العلوم العقلية، وشارك في الأصول والفقه، وتصدر في الأزهر لإقراء العلوم، ولازمه أعيان أفاضل عصره، وحظي كثيرا وشاع ذكره وبعُد صِيته.
له حواش كثيرة، منها(حاشية على ألفية ابن مالك ط)جزءان، و(حاشية على متن القطر وشرحه للفاكهاني . ط)و(حاشية على شرح التلخيص المختصر للسعد التفتازاني . خ)و(حاشية على فتح الرحمن شرح لقطة العجلان . ط)في الأصول، و(حاشية على شرح الاستعارات . خ)و(حاشية على شرح السنوسي على صغراه . خ)في التوحيد، و(حاشية على التصريح، شرح التوضيح . ط)في النحو. انظر خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج4 ص491، تأليف محمد أمين بن فضل الله الحموي الأصل الدمشقي ت 1111، ، : دار صادر . بيروت، والأعلام للزركلي م س. ج5 ص35.

فالمدارُ على خفاءِ القرينة، فلو لمْ يردْ إلا لازما واحدا من غير واسطةٍ مع خفاءِ القرينةِ حصلَ التعقيدُ، ولو اتضحتْ لم يحصلِ التعقيدُ وإن كثُرتْ اللوازمُ والوسائطُ .

والمرادُ بالذهنِ ذِهنُ السامعِ، والمراد بالانتقال من معنى إلى آخر توجهُ النفسِ في المعنى الأصلي إلى المعنى المراد لعلاقةٍ بينهما، والخللُ **في الانتقال** هو بُطءُ الانتقالِ لعدم ظهور دلالةِ اللفظِ على المعنى المرادِ، وذلك كقول عباس بن الأحنف:

سَـأَطْلُبُ بُعْـدَ الـدارِ عـنكمْ لِتقْرُبـوا وتسْـكُبُ عَينـايَ الـدموعَ لتَجْمُـدا[1]

أيْ كَنّى بسكب الدموعِ عمّا يلزمُ فراقَ الأحبةِ من الحُزْنِ، وأصابَ لأنه كثيرا ما يُجعلُ دليلا عليه، لكنه أخطأ في الكناية عمّا يوجبُهُ الوِصالُ من السرورِ بجمود العينِ لأن جمود العين اشتهرتْ عن العربِ التكنيةُ به عن بخلِها بالدموع، قال الحماسيُّ:

أَلاَ إنَّ عَيْنـا لمْ تَجُـدْ يـومَ واسـطٍ عليـكَ بجـاري دمعِهـا لجَمـودُ[2]

لا عن ما قصدَهُ الشاعرُ من السرورِ .

وقال ياسين: فإنّ ذلكَ يحتاجُ إلى وسائط بأن ينتقلَ من جمود العينِ إلى انتفاء الدمعِ منها ومنه إلى انتفاء الحُزن ومنه إلى السرور مع خفاء القرائن لعدم جريانه عندهم، وتحقيقُ ذلك ـ كما قال الفنري ـ إنّ كلَّ حقيقةٍ جَرتْ عادةُ البلغاءِ في التجوز منها إلى معنى دائما[3] كما عن الجمودِ إلى بخلها بالدموعِ حالَ إرادةِ البكاءِ، فالانتقالُ إلى غيره وإن كان مع علاقةٍ مصححةٍ كالانتقال منه إلى عدم البكاءِ مطلقا، ومنهُ إلى السرورِ غيرُ مقبولٍ انتهى .

وتقديرُ كلامِه: والأمرُ الثالثُ الخفاءُ في قصدٍ أي مقصودِ المتكلمِ، وذلك الخفاءُ لأجل خللٍ عرا أي عرَض **في النظم** أي نظمِ الكلام أي تركيبُه، **أو في الانتقالِ** من المعنى الأصلي [7] **الذي يقصِدُه** إلى المعنى الذي يقصده **ذوو المقالِ** أي أصحابُ الكلامِ أي المتكلمونَ .

---

(1) - البيت في ديوانه ص106 شرح وتحقيق عاتكة الخزرجي دكتوراه دولة في الآداب جامعة السوربون، مطبعة دار الكتب المصرية 1954.1373

(2) - ديوان الحماسة بشرح التبريزي، ج2 ص295

(3) - فيه تعقيد

وزادَ بعضُهمْ شرطا رابعا في فصاحةِ الكلامِ وإليه أشار بقوله:

قِيـــلَ وأَلَّا يَكْثُـــرَ التَّكَـــرُّرُ ... ولَا الْإِضَـــافَاتُ وفِيـــهِ نَظَـــرُ

يَعْنى أنَّهُ يُشترطُ في فصاحةِ الكلامِ عندَ بعضِ الْبَيانيينَ الخُلوصُ من كثرةِ التَّكرارِ وكثرةِ الإضافةِ، فكثرةُ التكرارِ كقولِ المتنبي:

وَتُسْـعِدُني فِـي غَمْـرَةٍ بَعْـدَ غَمْـرَةٍ ·· سَـبُوحٌ لَهـا مِنْهـا عَلَيْهـا شَـواهِدُ[1]

يَعْنِي أنَّ لها مِن نَفْسِها شواهدُ دالَّةٌ على نَجابَتِها، وكثرةُ الإضافةِ كما في قولِ عبدِ الصَّمدِ:

حَمَامَـة جَرْعَـا حَوْمَـة الجَنـدِلِ اسْـجعي ·· فأنـتِ بمَـرْأى مـن سـعادَ ومَسْـمَعي[2]

أضافَ حمامةً إلى جَرْعا، وجرعا إلى حومة، وحومة إلى الجندلِ، وجَرعا مقصورٌ للوزنِ: أرضٌ ذاتُ رَمْلٍ مُستويةٌ لا تُنبتُ شَيئا كما في الأساسِ، [3] وحومةُ الشيءِ مُعْظمُهُ والجَندل الحجارةُ، وفى كَوْنِ كلٍّ من كَثرةِ التَّكرارِ والإضافةِ مُخِلا بالفصاحةِ نظرٌ، لأنَهُ إنْ حصلَ الثِّقلُ بسببهِ فقدِ احتُرزَ منهُ بالتنافُرِ وإلا فلا يُخلُّ بالفصاحةِ لكثرتهما في قولهِ ﷺ: ((**الْكَرِيمُ ابنُ الكريمِ ابْنِ الكريمِ ابنِ الكَرِيمِ يوسفُ بنُ يعقوبَ بْنِ إسْحاقَ بْنِ إبراهيمَ**))[4] ولكثرةِ الإضافةِ في قولهِ تعالى: ﴿**ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ**ءَ 1﴾ [5] " وقولِهِ: ﴿**مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ**﴾[6] " وكثرةُ التكرارِ في قولِهِ: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا**

---

(1) – ديوان المتنبي، ص 319، ط دار بيروت للطباعة والنشر.

(2) – من الطويل، وهو لابن بابك عبد الصمد، ذا في الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني ج1 ص37، ت محمد ع المنعم خفاجي، ط3 دار الجيل.

(3) – أساس البلاغة للزمخشري، ونصه: وهي أرض حزنة يعلوها رمل، ج1 ص134، تحقيق محم باسل عيون السود، ط1 دار الكتب العلمية.

(4) – صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين، الحديث رقم 3390 ج4 ص151

(5) – سورة مريم الآية2

(6) – سورة غافر الآية31

7﴾[1]

وَحَـــدُّهَا فِي مُـــتَكَلِّمٍ شُـــهِرْ مَلَكَـــةٌ عَلَـــى الْفَصِـــيحِ يَقْتَـــدِرْ

يَعْنى أنَّ حَدَّ الفصاحةِ في المُتكلِّمِ مشهورٌ عندَ البيانيينَ فهِيَ فيه مَلَكةٌ أيْ سَجِيَّةٌ راسخةٌ في النفسِ يَقْتدِرُ بتلكَ السَّجيةِ على التعبيرِ عن مقصودهِ بكلامٍ فصيحٍ، فقولُه ملكة خبرُ مبتدأ محذوفٍ أيْ هيَ والجُملةُ استئنافٌ بيانيٌّ، فكأنَّ سائلاً سأَلَ ما هي ؟ فقيلَ لهُ هي ملكة إلخ، وقولُه على الفَصيحِ مُتعلِّقٌ بيقتدِرُ، فإنِ اتَّصفَ المُتكلِّمُ بهذهِ الصفةِ سُمِّيَ فَصيحًا في حالتَيْ النُّطْقِ وعَدَمِهِ .

بَلاَغَـــةُ الْكَـــلاَمِ أَنْ يُطَابِقَـــا لِمُقْتَضَـــى الْحَـــالِ وقَـــدْ تَوَافَقَـــا فَصَاحَةً . .

يَعنى أنَّ بلاغةَ الكلامِ هيَ مُطابقتُهُ للمَعْنى الذي يَقْتضيهِ الحالُ، ومَعْنى مُطابقتِهِ إياهُ اشْتِمالُهُ عَليهِ، فالحالُ هوَ الأمرُ الدَّاعِي إلى أنْ يُعتبرَ معَ الكلامِ الذي يُؤدِّي بهِ أصْلُ الْمَعْنى خُصوصيةٌ مَّا، واعتبارُ تلك الخصوصيةِ هوَ مُقتضَى الحالِ، ومعنى مطابقتِهِ لهُ أنَّ الحالَ إذا اقْتضَى التَّأكيدَ كانَ الكلامُ مُؤَكَّدا، وإذا اقتضَى عدمَهُ كانَ الكلامُ عَاريًا عنِ التأكيدِ، وهكَذا فكَوْنُ المُخاطَبِ مُنكرا مثلا حالٌ يقتضى التأكيدَ، والتأكيدُ هُوَ المُقتضَى، وقولُك إنَّ زيدا قائمٌ كلامٌ مُطابِقٌ لمُقتضَى الحالِ، وكونُهُ خاليَ الذِّهْنِ أيضا حالٌ يقتضى تركَ التأكيدِ، وتركُهُ هو المُقتضَى، وقولكَ قامَ زيدٌ كلامٌ مُطابِقٌ لمُقتضَى الحالِ .

قال في فيضِ الفتّاح: " التحقيقُ أنَّ مُقتضى الحالِ هوَ الكلامُ الكليُّ المشتملُ على الخصوصياتِ، ومَعْنى المطابقةِ أنَّ الكلامَ الجُزئيَّ المشتملَ عليها من أفرادِ ذلك الكليِّ الذي يقتضيهِ الحالُ لا أزْيدَ ولا أنقَصَ[2]انتهى . [8]

قوْلُهُ: وقد يوافقا فصاحةً يعنى أنه يُشترطُ في بلاغةِ الكلامِ أنْ يُوافقَ الفصاحةَ أيْ أن يكونَ فصيحا لأنَّهُ لازمٌ في البلاغةِ .

(1) - سورة الشمس الآية7

(2) - فيض الفتاح على نور الأقاح للعلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي، إشراف محمد الأمين بن محمد بيب، ج1 ص30 ط 1999

قال في فيضِ الفتاحِ: قالَ بعضُهُم ما لمْ يقْتضِ المقامُ خلافَ الفصيحِ كالتعقيدِ في التَّعْميةِ واللُّغْزِ فَحِينئذٍ رَعْيُ[1] المُطابقةِ أوْلى منْ رِعايةِ الفصاحةِ، والصوابُ منْعُ بلاغة الكلامِ المذكورِ انتهى .

وقالَ فيه أيضا: ومِمّن اشترطَ الفصاحةَ في البلاغةِ صاحبُ التلخيصِ[2].

وليسَتْ شرطًا فيها عندَ صاحبِ المفتاح، [3] وبعضُهم فصَّلَ فقالَ: الفصاحةُ المعنويةُ شرط فيها إذْ مرجِعُها علمُ البيانِ الذي هُوَ جزءُ علمِ البلاغةِ بخلافِ الفصاحةِ اللفظيةِ فإنَّ مرجعَها الحسُّ واللغةُ والنّحوُ والصَّرفُ انتهى . [4]

قلتُ: والقولُ المُفَصِّلُ هُوَ المُختارُ عِندِي .

وتقريرُ البيتِ: بلاغةُ الكلامِ مُطابقتُهُ لمُقتضى الحالِ، والحالُ أنَّ ذلكَ الكلامَ قدْ يُوافقُ الفصاحةَ، فقولُهُ: وقد يوافقُ إلخ جملةٌ حاليةٌ من فاعلِ يُطابقُ والواوُ للحالِ، وقدْ تحقيقيةٌ وفتحُ آخرِ المضارعِ لضرورةِ القافيةِ إذْ حُكمُهُ الرفعُ لأنه مُجرَّدٌ، وقلبُ الإعرابِ يجوزُ للضرورةِ .

قال في الفريدة[5]:

وَآخَرُونَ جَوَّزُوهُ مُطْلَقَا= وقلْبَ الإعْرابِ عَلَى مَا يُنْتَقَى [6]

والألفُ للإطْلاقِ .

ويَحتملُ أن يكونَ مَعنى قولِه: وقدْ تَوافَقَا فصاحةً أنَّ البلاغةَ قدْ تُطلقُ على مُسمَّى الفصاحةِ تَوافُقًا بالتاء الفوقانيةِ .

. والْمُقْتَضَى مُخْتَلِفُ حَسْبَ مَقَامَاتِ الْكَلَامِ يُؤْلَفُ

(1) – في فيض الفتاح " رعاية " ص 30

(2) – الخطيب القزويني

(3) – يقصد السكاكي

(4) – فيض الفتاح م س. ج1 ص31

(5) – هي ألفية في النحو نظمها السيوطي رحمه الله، وسماها: " الفريدة في النحو والتصريف والخط " وشرحها في كتاب سماه: " المطالع السعيدة " وهو مطبوع، ولكنها لم تشتهر كما اشتهرت ألفية ابن مالك، وعلى الأخيرة الاعتماد. وللمؤلف شرح على الفريد سماه بالمواهب التليدة في حل ألفاز الفريدة للسيوطي. ينظر: إ إيصال السالك إلى أصول الإمام مالك – تحقيق ص83.

(6). المطالع السعيدة في شرح الفريدة كلاهما للسيوطي، ج1 ص210، ت د نبهان ياسين حسين، ط الجامعة المستنصرية 1977.

يَعنى أنَّ مُقتضى الحالِ مُخْتلفٌ بِحَسَبِ اخْتِلافِ مقاماتِ الكلامِ يولَفُ ذلكَ الاختلافُ فيهِ لأنَّهُ يَلزمُ مِنِ اخْتلافِ مَقاماتِ الكلامِ اختلافُ مُقْتضياتِها، فَكلُّ مَقامٍ يَقتضى كلاماً مُكَيَّفًا بكَيْفيَّةٍ مخصوصةٍ لمْ يَقْتَضِهِ الآخَرُ .

فَقَوْلُهُ: حَسْبَ مفعولٍ فيهِ متعلقٌ بقولِهِ يولَفُ أيْ يولفُ اختلافُ المُقتضياتِ قدْرَ اختلافِ المقاماتِ، ومَعْنى يولفُ يوجدُ أوْ يُصحبُ فهيَ من المُوافقةِ .

تنبيه:

اعْلَمْ أنَّ الحالَ والمقامَ مُتَّحِدانِ في الذاتِ لأنَّ كُلا منهُما عِبارةٌ عنِ الدَّاعي إلى إيرادِ الكلامِ عَلى وجْهٍ مَخْصوصٍ، ومُخْتلفانِ بالاعتبارِ، فإنَّ الداعيَ مُقامٌ باعتبارِ توهُّمِ كونِه مَحَلا لوُرودِ الكلامِ فيهِ على خُصُوصيَّةٍ ما، وحالٌ باعتبارِ توهُّمِ كونِه زَمَنًا لهُ .

فَمُقْتَضَى تَنْكِيرِهِ وذِكْرِهِ ... والْفَصْلِ الإيجَازِ خِلَافُ غَيْرِهِ

يَعْنى أنَّ المقامَ المقْتَضِى لِتَنكِيرِ المُنَكَّرِ مُسْندا إليهِ أوْ غيرِهِ، والمقامُ المُقتضِى لذكرِ المذكورِ مُسندا إليهِ أوْ غَيْرِهِ، والمقامُ المقْتضى للفصْلِ بيْنَ الجُملتينِ، والمقامُ المُقتضى للإيجازِ أيْ الاخْتصارِ خِلافُ غيرِهِ أيْ مُخالِفٌ للمَقامِ المُقتضى للتعريفِ والحذْفِ والوَصْلِ والإطْنابِ والمساواةِ، وكَذا المَقامُ المُقتضِى إطْلاقَ الحُكمِ أوِ التَّعلُّقِ أوْ إطلاقَ المُسندِ إليْهِ أوِ المسند أو متعلقاتِهِما يُباينُ مقامَ تقييدِ الحُكمِ أوِ التعلقَ بمُؤكَّدٍ ، [9] ومقامُ تقييدِ الحُكمِ أو التعلقِ بأداةِ قَصْرٍ ومقامِ تقييدِ المُسندِ إلَيْهِ أوِ المُسندِ أو متعلقاتِهِما بتابعٍ، ومقامُ تقييدِ المُسندِ بشَرطٍ، ومقامُ تقييدِ الثلاثةِ بمفعولٍ أوْ شِبْهِهِ .

تنبيه:

الفرقُ بينَ الحُكمِ والتعلقِ أنَّ المُرادَ بالتعلقِ تعلقُ المَحكومِ بهِ بغيرِ المحكومِ عليهِ كتعلقِ الضَّرْبِ بعَمْرو بيومِ الخَميسِ مثلا في قولك ضربَ زيدٌ عمرا يومَ الخميسِ لإيقاعِه على عمرو ووقوعِه في يومِ الخميس، فيُغايرُ الحكمَ، أوِ المرادُ بالتعلقِ تعلقُ المَحكومِ بالمحكوم عليهِ وغيرِه كتعلقِ الضربِ بزيدٍ وعمرو يومَ الخميسِ في المثالِ الأولِ فيكونُ أعمَّ منَ الحُكمِ، وقيلَ الفرقُ بينهُما أنَّ التعلقَ أعمُّ لوقوعِهِ في الخبرِ والإنشاءِ، والحُكمُ أخصُّ لاختصاصِه بالخَبَرِ لأنَّ الإنشاءَ لا حُكْمَ فيهِ انتهى .

كَـــذَا خِطَـــابٌ لِلـــذَّكِيِّ والْغَـــبِي

أيْ كالمَقامِ المُقْتَضِى للتَّنكِيرِ والتَّعريفِ مَقامُ خِطابِ الذَّكِيِّ ومَقامُ خطابِ الْغَبِيِّ في مُخالفةِ كلٍّ منهما للآخَرِ، يَعنى أنَّ مَقامَ خِطابِ الذكيِّ مُخالفٌ لمقامِ خطابِ الغبيِّ كما أنّ مقامَ التنكيرِ مُخالفٌ لمقامِ التعريفِ، فمَا قبلَ هذا مِن المَقامات وهذا اللفظِ صفةٌ لِلغيرِ ؛ لأن التّفاوُتَ فيه نَشأَ مِن جِهةِ المُخاطَبِ لا مِن جهةِ نفسِ الكلامِ، والتفاوتُ في المقاماتِ المتقدمةِ نشأَ مِنْ جهةِ نفسِ الكلامِ، والمرادُ بالخطابِ الكلامُ المُخاطبُ بهِ لا المَعْنى المَصْدرِيُّ قاله الفنري .

يعنى أنَّ مَا يُخاطب به الذكيُّ من العبارةِ اللطيفةِ والمعاني الخَفيّةِ مُخالفٌ لما يُخاطَب بهِ الغبيُّ مِن العبارةِ غيرِ اللَّطيفةِ والمعاني الظاهرةِ، فكَوْنُ الكلامِ مُخاطَبا بهِ ذَكِيٌّ حالٌ يَقتضِى خِلافَ مَا يَقْتضيهِ الْعَكْسُ .

وكِلْمَـــــةٌ لَهَـــا مَقَـــامٌ أَجْنَـــبِي

مَـــعْ كِلْمَـــةٍ تَصْـــحَبُهَا فَالْفِعْـــلُ ذَا   أَنْ لَـــيْسَ كَالْفِعْـــلِ الَّـــذِي تَـــلَا إِذَا

إذْ يَعْنى أنَّ لِكُلِّ كلمةٍ مَقاما اجْتُبِيَ أيْ اخْتيرَ لَها معَ كلمةٍ تَصْحَبُها أيْ صُوحِبتْ مَعَها ليس لها معَ ما يُشاركُ تلكَ الصَّاحبَةَ في أصلِ المَعْنَى لا في جَمِيعِهِ، فلذلكَ كانَ الفعلُ ذَا إنْ الشَّرْطِيةُ مَثلا أيْ صاحِب إنْ الشرطية أيْ المقرونُ بها ليسَ كالفعلِ الذِي تَلا إذا الشرطيةُ لأنَّ الفعلَ يقترنُ بإنْ في مَقامِ الشَّكِّ والتَّردُّدِ، وبإذا في مَقامِ الجَزْمِ، ولهُ أيضا معَ كلٍّ مِنْ أدواتِ الشَّرْطِ مَقامٌ ليسَ له معَ الأُخْرى، ولكلٍّ مِن أدواتِ الشرطِ أيضا معَ الماضي مقامٌ ليسَ لها معَ المُضارِع، فتجيءُ معَ الماضِي لإظهارِ أنَّ الشرطَ مُتحقّقٌ وقوعُه كأنَّه وُقع،

ـ وإذا اختلفَ المَقامُ معَ المُشاركةِ في أصْلِ المَعْنى فمَعَ غيرِها أحْرَى ـ

وكذا المسندُ إليه كزيد مثلا له حالٌ مع المسندِ المُفردِ اسْمـًا كانَ أوْ فِعلا ماضيا أو مضارعا ـ ولهُ مع الجُملة الاسميةِ أوِ الفعليةِ أو الشرطيةِ حالٌ آخَرُ، إذِ المُرادُ بالكلمةِ المُصاحِبةِ لِلكلمةِ، الكلمةُ الحقيقيةُ أوْ ما هوَ في حُكْمِها .

قوله: كلمةٌ مبتدأٌ سَوَّغَ الابتداءَ فِيهَا[1] قَصدُ العُمومِ، ومقامُ مبتدأٌ[10] وخَبرُهُ لَهَا، وسوغ الابتداءَ

(1) - لعل الأصح "بها"

بِهِ تقديمُ خبرِهِ المجرورِ عليهِ، والجُملةُ خبرُ كلمة، والفاءُ في قوله: فالفعلُ تفريعيَّةٌ والفعلُ مُبتدأ خبرُه ليسَ، وقولُهُ: ذا إنْ حالٌ من المبتدأ أيْ فالفعلُ حالَ كَونِه ذا إنْ أيْ مُصاحِبا لها .

وَالارْتِفَـــاعُ فِي الْكَـــلَامِ وجَبَـــا   بِأَنْ يُطَـــابِقَ اعْتِبَـــارًا نَاسَـــبَا

يعنى أنهُ يجبُ الارتفاعُ في الكلامِ أيْ يجبُ اتصافُهُ بالارتفاعِ والحُسْنِ والقَبولِ بسببِ مُطابقتِهِ لِلاعتبارِ المُناسِبِ وهُو مُقتضى الحَال، فالاعتبارُ المُناسبُ ومُقتضى الحال مترادفان، فالارتفاعُ والحُسنُ بالنظرِ لذاتِ الكلامِ، والقبولُ بالنظر للسّامع، والمرادُ بالمطابقة للاعتبارِ المناسِبِ المُطابقةُ في الجُمْلة، إذْ لا يُشترطُ في أصْل البلاغة المطابقةُ التامَّةُ، فَإذا اقْتَضَى المَقامُ شَيْئين تَحققتِ البلاغة برعايةِ أحدِهما فقطْ، كما صرح به عيسى الصوفي[1] وسَلَّمهُ الشِّهابُ ابن قاسم فيما إذا اقتضى المقامُ مثلا شيئين من نوعينِ كالتأكيدِ والتَّعريفِ مثلا، وأمّا مِن نوعٍ واحدٍ كتأكيدين لقُوَّةِ إنكارِ المُخاطَبِ فمنعُ حُصولِ المُطابقة بتوكيدٍ واحِدٍ .

والمرادُ بالحسنِ الحُسنُ الذاتيُّ الداخلُ في حَدِّ البلاغةِ التي هي المطابقةُ معَ الفصاحةِ، وليسَ

---

(1) - عيسى بن محمد بن عبد الله بن محمد السيد الشريف العلامة المحقق المدقق الفهامة أبو الخير قطب الدين الحسيني الإيجي الشافعي الصوفي المعروف بالصفوي، نسبة إلى جده لأمه السيد صفي الدين والد الشيخ معين الدين الإيجي صاحب التفسير، كان مولده في سنة تسعمائة واشتغل في النحو والصرف على أبيه، وتفقه به في المحرر وأخذ عنه الرسالة الصغرى والكبرى للسيد الشريف الجرجاني في المنطق وهما اللتان عملهما مؤلفهما لولده محمد، وسماهما بالغرة والمرة، ثم لازم الشيخ أبا الفضل الكازواني الصديقي القرشي، صاحب الحاشية على تفسير البيضاوي، والشرح على إرشاد القاضي شهاب الدين الهندي ست سنين بكجرات من بلاد الهند، فقرأ عليه المختصر والمطول مع حاشية الشريف إلى باب القصر، وشرح الطوالع والتجريد، مع حاشية الدواني وأجاز له، ثم فارقه وسمع بالهند أيضاً على أبي الفضل الاسترابادي، أشياء بقراءة غيره، ورحل إلى دلي، وحضر مجلس العلماء بها عند السلطان إبراهيم بن السلطان إسكندر شاه، وبحث معهم فظهر فضله وأكرمه السلطان وأدرك الجلال الدواني، وأجاز له، ثم حج وجاور بمكة المشرفة سنين، وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وصحب بالمدينة الشيخ الصالح الزاهد المعمر أحمد بن موسى النبتيتي المجاور بها، فلقنه الذكر، وصافحه، وشابكه وأرخى له العذبة، وأذن له في ذلك وأخبره أنه تلقى ذلك من جماعة منهم جده لأمه السيد معين الدين الصفوي، تجاه وجه النبي صلى الله عليه وسلم سنة أربع وتسعمائة عن والده السيد صفي الدين، عن الشيخ زين الدين الخوافي، وذكر له أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، ثم دخل دمشق في حدود سنة تسع – بتقديم التاء – وثلاثين وتسعمائة فأخذ عنه جماعة من أهل دمشق وحلب، ودرس بدمشق في شرح الكافية، للعلامة الرضي وكان يعتمد على كلام الشيخ جمال الدين بن مالك، ولا يعتمد على كلام الشيخ جمال الدين بن هشام الأنصاري. وللسيد مؤلفات منها شرح الكافية المذكور، وهو شرح مختصر وشرح الغرة للسيد الشريف الجرجاني في المنطق وشرح الفوائد الغياثية في المعاني والبيان قال ابن الحنبلي: وهو مما لم يكمله ومختصر النهاية لابن الأثير في نحو نصف حجمها وتفسير من سورة عم إلى آخر القرآن وكان مع ما كان عليه من العلم والتحقيق يحب الصالحين ويميل إلى بر الفقراء. «الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة» لنجم الدين محمد بن محمد الغزي، ج2 ص232.230، المحقق: خليل المنصور، ط1 1997، ، : دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.

المُرادُ بالحُسْن الحُسنُ العَرضِيُّ الخارجُ ؛ لأن الكلامَ قدْ يرتفعُ بالمُحسّناتِ، وهيَ خارجةٌ من حيثُ يُبحثُ عنها في علم البديع[1] انتهى .

والباءُ في قوله: بأن يطابقَ متعلقةٌ بوَجَبَ، وجملةُ ناسبَ صفةُ اعتبارا .

وَفَقْدُهَا انْحِطَاطُهُ يَعْني أنَّ فقدَ المُطابقةِ المذكورةِ سَببُ انْحِطاطِ الكلامِ عَن رُتبةِ الحُسْنِ والقبولِ، فالكلامُ الفاقدُ لها ليسَ بحَسَنٍ في نَفْسِهِ ولا مَقْبولٍ عندَ السَّامِعِ .

قَولُهُ: وفَقْدُها مُبتدأ والضميرُ عائدٌ على المطابقةِ، وانْحطاطُهُ خبرُ المبتدأ، والضمير فيه عائدٌ على الكلام، وهُوَ على حذْفِ مُضافٍ أي سببُ انْحِطاطِهِ انتهى .

فَالْمُقْتَضَى، مُناسِبٌ مِن اعْتِبارِ مُرْتَضَى يعنى أنَّ المُقتضى أي مُقتضى الحالِ هوَ المُناسبُ من اعتبارِ مُرتَضى، فمِنْ في قولِهِ: مِن اعتبارِ مُبيِّنةٌ لقولِهِ: مناسبٌ، ومُرتضى نعتٌ لاعتبارٍ:

وَيُوصَفُ اللَّفْظُ بِتِلْكَ بِاعْتِبَارْ   إِفَادَةِ الْمَعْنَى بِتَرْكِيبٍ يُصَارْ

يعنى أنَّ اللفظَ أيْ الكلامَ يُوصَفُ بتلكَ أيْ البلاغة باعتبارِ إفادةِ المَعْنى والغرضِ المقصودِ بتركيبٍ يُصارُ إليهِ أيْ يُنتقلُ إليهِ لإفادةِ المَعْنى والغرضِ المقصودِ، لا مِنْ حيثُ أنَّهُ لفظٌ وصَوْتٌ لأنهُ باعتبارِ ذلكَ لا يُوصَفُ بكونهِ مُطابقا أوْ غيْرَ مُطابقٍ ؛ لأن المُطابقةَ وعدَمَها إنَّما تَتَحقّقُ عند تحققِ المعاني والأغراضِ التي يُصاغ لها الكلامُ، أوْ عندَ عدمِ تَحققُّقِها، والباء في قوله: باعتبارٍ للسَّببيةِ متعلقةٌ أيضا بيُوصفُ، والباء في قوله: بتركيب للتَّعْدِيَةِ أيضا وهي متعلقة بالمصدر وهوَ قولُهُ: إفادة وجملةُ يُصارُ مِنَ المُضارعِ المَبْنِيِّ للنائبِ، ونائبُهُ في مَحلِّ صفةٍ لتَرْكيبٍ، [11] والنائبُ ضميرٌ عائدٌ إلى تركيبٍ أيْ بتركيبٍ مُصَيّرٍ إليه، والمعنى بتركيب يُصارُ إليه لإفادةِ المَعْنى المقصودِ" انتهى.

وَقَدْ يُسَمَّى ذَاكَ بِالْفَصَاحَهْ

يَعْنى أنَّ مُطابقةَ الكلامِ لِمُقْتَضى الحالِ قدْ تُسمّى بالفصاحةِ كما تُسمّى بالبلاغةِ، فالمشارُ إليهِ بقولِه: ذاكَ الوصفُ المُتقدمُ وهوَ مُطابقةُ الكلامِ لمُقتضَى الحالِ .

ولِبَلَاغَةِ الْكَلَامِ سَاحَهْ

بِطَرَفَيْنِ حَدُّ الإعْجَازِ عَمَلْ   ومَا لَهُ مُقَارِبٌ . .

---

(1) - فيض الفتاح م س. ج1 ص 34

يَعْنى أنَّ لِبلاغةِ الكلامِ ساحةٌ أيْ فَناءً واسعا مصْحوبا أوْ مَحدودا بطَرَفيْن أعْلَى إليه تَنتهي البلاغةُ وهوَ حَدُّ الإعجاز أيْ مُنتهاه، وذلكَ هُوَ بَلاغَةُ القرآنِ، ومقاربٌ للأعْلى وهوَ بلاغةُ كلام النبيِّ ﷺ لقَولِهِ ((**وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ**)) [1] وإعجازُ القرآنِ هوَ ارْتقاؤُهُ في بلاغتهِ إلى مَرْتبةٍ يَعجزُ عنها جميعُ الخلقِ على الصَّحيحِ لا صَرفُ العُقولِ عَن مُعارضَتِهِ، فالباءُ في قولِه: بِطَرَفَيْنِ بمَعْنى المُصاحَبة أو التَّقوِيَة، والجارُ والمجرورُ صفةٌ لِساحَهْ، وحَدُّ الإعجاز مبتدأٌ، وعلى خبرُه على حذف موصوفٍ، أيْ حدُّ الاعْجَازِ طَرَفٌ عَلِى بتخفيف الياء للضرورةِ، ومَا اسمُ موصولِ مبتدأٌ وله مُقاربٌ صِلتُها وصدرُها مبتدأٌ محذوفٌ أيْ هوَ له مقاربٌ، واللامُ زائدةٌ لتقويةِ العاملِ لضَعْفِهِ بالْفَرْعِيّة والتأخيرِ، وخبرُ ما محذوفٌ تقديرُه منه أيْ مِنَ الأعْلى، والضميرُ المجرورُ باللامِ الزائدةِ عائدٌ إلى حدِّ الاعجازِ، وقولُه: حد الاعجاز إلخ استئنافٌ بيانيٌّ لأنَّ قولَه: ولبلاغةِ الكلام ساحَهْ أشعرَ بسُؤالٍ مقدَّرٍ تقديرُهُ ما هُمَا ؟ فقال: هُمَا طرفانِ أعْلَى ومُقاربٌ لهُ، وإلى الضَّرْبِ الثَّاني أشارَ بقوْلِهِ: **والأسْفَلِ**

هُـــوَ الَّـــذِي إِذَا لِدُونِـــهِ نَـــزَلْ ۝ فَهْـــوَ كَصَـــوْتِ الْحَيْـــوَانِ مُسْـــتَفَلْ

يعْنى أنَّ حَدَّ الطَّرَفِ الأسْفَلِ هُوَ الْمَقامُ الذي إذَا لِرُتبةٍ دونَهُ نَزلَ الكلامُ، فهُوَ أيْ الكلامُ مُسْتَفِلٌ كصَوْتِ الحَيوانِ أيْ فهوَ مستفل اسْتفالا كاسْتِفالِ صَوتِ الْحَيوان، أيْ مُنْحَطٌّ انْحِطاطًا كانْحِطاطِ صَوْتِ الْحَيَوانِ، فقولُه: والأسفل بالجر مضافٌ إليه حُذفَ مُضافُه وبقيَ مَجرورا ؛ لأن مُضافَهُ المحذوفَ معطوفٌ على مُماثِلٍ لهُ لفظا ومَعْنًى، وهوَ قَوْلُهُ: حَدُّ الإعْجَازِ .

قال في الخلاصة[2]:

وَرُبَّمَـــا جَـــرُّوا الـــذِي أَبْقَـــوْا كَمَـــا ۝ لَـــوْ كَـــانَ قَبْـــلَ حَـــذْفِ مَـــا تَقَـــدَّمَا
لَكِـــنْ بِشَـــرْطِ أَنْ يَكُـــونَ مَـــا حُـــذِفْ ۝ مُمَـــاثِلاً لِمَـــا عَلَيْـــهِ قَـــدْ عُطِـــفْ[3]

(1) – صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، الحديث رقم 523، ج رقم 1 ص 372.

(2) – يقصد بها ألفية ابن مالك في النحو، وقد سماها الألفية وسماها الكافية،: جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني النحوي المعروف ت 672 هـ، وكان قد ألف قبلها مصنفا في النحو سماه الكافية الشافية في ثلاثة آلاف بيت، وهي التي اختصر في الكافية التي تعرف الآن بألفية ابن مالك، قال في مقدمتها: وأستعين الله في ألفيه : : مقاصد النحو بها محويه، وقال في خاتمتها: ..أحصى من الكافية الخلاصه..

(3). «ألفية ابن مالك» (ص38 ط التعاون)

والمضافُ المحذوفُ مبتدأ خبرُه الذي وقولُه: هو ضميرُ فَصْلٍ، وجملةُ الشَّرطِ والجَزاءِ صلةُ الموصولِ، والعائدُ إليه الضميرُ المجرورُ بِدُونَ، والفاءُ في قولِهِ: فهُوَ فاءُ الجَزاءِ، والكافُ في قوله: كصوتِ نائبٌ عن مَصْدرٍ مَصُوغٍ مِنْ مُسْتَفَلٍ أي مستفلٍ استفالا مثلَ اسْتفالِ صوتِ الحيوان، أوْ هيَ معَ مَجرورها حالٌ منَ الضميرِ المُسْتترِ في مُسْتفَلٍ أيْ فهوَ مستفل حال كونِه كصوتِ الحيوانِ انتهى .

بَيْنَهُمَا مَرَاتِبُ يعْنِى أنَّ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ مَراتِبُ كَثيرةٌ مُتفاوتَةٌ [12] بعضُها أعْلَى مِن بعْضٍ بحَسَب رعايةِ الاعتباراتِ كما في رعايةِ شيءٍ واحدٍ ورعايةِ أكثرَ، وبحسَبِ البُعْدِ مِنْ أسبابِ الإخْلالِ بالفصاحةِ، كما لوِ انتفى الثقلُ بالكليَّة في موضِع كقولك: أشْكُرُهُ، وبقيَ منهُ شيءٌ يسيرٌ لا يُخلُّ بالفصاحةِ في مَوْضعٍ آخرَ كقولِك: أمْدُحُهُ، فالتنكيرُ في قولِهِ: مراتبٌ للتنكيرِ .

. . مَرَاتِـــــــبٌ وتَتْبَـــــــعُ بَلَاغَـــــةً مُحَسِّـــــنَاتٌ تُبْـــدِعُ

يعني أنَّ بلاغةَ الكلامِ تَتبعُها محسناتٌ تُبدَعُ أي مُبْتدَعةٌ، وفى قولِهِ: تُبدَعُ إشارةٌ إلى أنَّ هذه الوجوهَ إنَّما تُعدُّ مُحسِّنةً بعدَ رعايةِ المُطابقةِ والفصاحةِ، وإنما قَيَّدتُ قولَه: بلاغةً بالإضافة إلى الكلامِ في قَوْلِي: بلاغةُ الكلامِ دونَ المُتكلمِ لأنَّهَ لا يُعْهدُ وصْفُ المتكلمِ بهذِهِ الوُجوهِ في الْعُرف، فلا يُقالُ بسببِ رعايةِ المُتكلمِ تلكَ الوجوهُ مُتكلِّمٌ مُرصِّعٌ ولا مُجنِّسٌ كما يقالُ بسببِ رعايةِ المطابقةِ والفصاحةِ متكلمٌ بليغٌ فصيحٌ .

قوله: بلاغةً مفعول تتبعُ قُدِّم على الفاعلِ، وفاعلُهُ مُحسّناتٌ، وجملةُ تُبدَعُ صفةُ محسنات انتهى .

وَحَـــدُّهَا فِي مُـــتَكَلِّمٍ كَمَـــا مَضَـــــــــــــــى . .

يَعْنِى أنَّ حدَّ البلاغة في المتكلِّمِ كما مَضَى في حَدِّ الفصاحةِ فيهِ، فالبلاغةُ في المتكلمِ مَلَكةٌ يَقْتدِرُ بها على تأليفِ كلامٍ بليغٍ، والمَلَكَةُ صفةٌ غَريزِيَّةٌ لا تزولُ أصْلا أوْ تزولُ بعُسْرٍ .

قولُه: وحَدُّها مبتدأٌ خبرُه كما مضى، والجارُّ مُتعلِّق بالمبتدأ .

مَضَـــى فَمَـــنْ إِلَى الْبَلَاغَـــةِ انْتَمَـــى

فَهْـــوَ فَصِـــيحٌ مِـــنْ كَلِـــيمٍ أَوْ كَـــلَامْ

يعنى أنَّ كلَّ مَنِ انتمي أيْ انتسَبَ إلى البلاغةِ مِنْ كليمٍ أيْ مُتكلِّمٍ أوْ كلامٍ فهُو فصيحٌ لأنَّ الفصاحةَ شرْطٌ في البلاغةِ، والفاءُ في قولِهِ: فَمَنْ تفريعيّةٌ أيْ فَعُلِمَ مِمّا تَقدَّمَ في حَدِّ البلاغةِ أنَّ كلَّ مَنِ انتمي إلَى

الْبَلاغةِ مِنْ مُتَكَلِّمٍ أَوْ كلامٍ فصيحٍ ومَن اسمُ شرطٍ عامٌ، وانتمى فعلُ الشرط، وقولُه: فَهْو فصيحٌ مبتدأ وخبرُه، والجُملةُ جوابُ الشرطِ، والفاءُ الداخلةُ عليها فاءُ الجَزاءِ، ومِن في قوله: من كليم مبينةٌ لمَن، وكليمٌ فعيلٌ بمعنى مُفاعلٌ أي مُكالمٌ .

وعَكْـسُ ذَا لَـيْسَ لَنَـا بِـهِ الْتِـزَامْ

يَعْنِي أنَّ عكسَ ذا وهوَ اشتراطُ البلاغةِ في الفصاحةِ حتى يكونَ كلُّ فصيحٍ بليغا ليسَ لنا مَعاشرَ البيانيين لهُ الْتزامٌ أيْ لسْنا مُلتزمين لهُ، بل مُلتزمون عكسَه وهوَ أنْ ليسَ كلُّ فصيحٍ ـ كلاما كان أو مُتكلِّما ـ بليغا ؛ لأن الكلامَ الفصيحَ قدْ يَعْرى عن المطابقةِ، ولأنَّ المُتكلمَ قد يكونُ فصيحا ولا يكونُ بليغا، والمشارُ إليه بقوله: ذا اشتراطُ البلاغةِ في الفصاحة .

قولُه: وعكسُ ذا مبتدأٌ وجملة ليس ومعموليها خبرُه، واللامُ في قوله: لنا متعلقٌ باسم ليس وهو قولُه: التزامٌ لأنَّهُ مَصدرٌ وله خبرُ ليس، أيْ ليسَ التزامٌ كائنا لهُ أيْ العكسُ انتهى .

قُلْـتُ ووَصْـفٌ مِـنْ بَـدِيعٍ حَـرَّرَهْ   شَـيْخِي وشَـيْخُهُ الْإِمَـامُ حَيْـدَرَهْ

أيْ قال السيوطيُّ إنَّ شيخَهُ حرَّرَ أيْ أجازَ وصْفَ الكلامِ [13] دون المتكلم بوصفٍ من البديع، إذْ ليس للبديع أثرٌ ظاهرٌ في المتكلِّم، وإنما أثرُه في الكلام، وإنَّ شيخَ شيخِهِ الإمامُ حيدرة الروميّ(1) حرّر أيضا وصفَ المتكلم بوصفٍ من البديع، فقال: لا مانعَ مِن أن يُقالَ متكلِّمٌ مبدِعٌ، أو مُحسِن ونحوُ ذلك، وردّ عليه بأنه لم يَرِدْ عنِ العرب .

قال السيوطي: إن أريدَ بكونِه لا أثرَ لهُ في المتكلم أنه لا يعتبر فيه أن يكون للمتكلم ملكة يقتدر بها على إيراد المحسنات من طباق وجناس وتورية وغير ذلك، بخلاف علم البلاغة ففيه نظر، بل ينبغي اشتراط الملكة فيه حتى لو اتفق للمتكلم مثلا التكلم بكلام بديع أنه لا مانع ولا ملكة له فيه لم يعد مبدعا، وقول الإمام حيدرة: لا مانع من أن يقال مبدع، كان أولى منه أن يدعي أنه لا مانع من أن يقال

(1) – حيدر بن أَحمد بن إِبْرَاهِيم أَبُو الْحسن الرُّومِي الأَصْل العجمي الْحَنَفِيّ الرِّفَاعِي نزيل الْقَاهِرَة ويعرف بشيخ التَّاج والسبع وجُوه. / ولد بشيراز فِي حُدُود الثَّمَانِينَ وسَبْعمائة، وتسلك بِأَبِيهِ وغَيره ورحل إِلَى الْبِلَاد ووفد على مُلُوك الشَّمْس وعلمائه، فَكَانَ مِمَّن اجْتمع بِهِ التَّفْتَازَانِيّ والسَّيِّد الْجِرْجَانِيّ، حُلْو اللَّفْظ والمحاضرة حَافِظًا لكثير من الشّعْر فصيحا باللغتين التركية والعجمية بل لَهُ فيهمَا النّظم الْجيد، انْتَهَت إِلَيْهِ الرياسة فِي فني الموسيقى والألحان وصنف فيهمَا مَعَ الدّيانَة وَكَثْرَة الْعِبَادَة والعفة توفي 854 هـ.. انظر الضوء اللامع للسخاوي، ج3 ص 169، ، دار مكتبة الحياة ببيروت.

بديع لأنه ورد لغة بمعنى فاعل ومفعول، ومنه في الفاعل: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1] أيْ بادعُهُما، وفى المفعول: " هذا شيء بديع " نعم في شرح بديعية ابن جابر لي: . يُقالُ أبدع الشاعرُ إذا صنع البديعَ في شعره، فعلى هذا يجوز أن يقال مُبدِع كمُكرِم انتهى .

قوله: ووصف مبتدأ، والجار والمجرور بعده صفةٌ له، وسوغ الابتداء به وصفُه به، وجملة حرّره من الفعل والفاعل والمفعول خبر المبتدأ، والمعنى ووصف كائن من بديع حرره شيخي انتهى .

وَمَرْجِـــــعُ الْبَلَاغَـــــةِ التَّحَـــــرُّزُ	عَـــنِ الخَطَـــا فِي ذِكْـــرِ مَعْـــنًى يَـــبْرُزُ
وَالمَيْـــزُ لِلْفَصِـــيحِ مِـــنْ سِـــوَاهُ ذَا	يُعْـــرَفُ فِي اللُّغَـــةِ والصَّـــرْفِ كَـــذَا
فِي النَّحْـــوِ والَّـــذِي سِـــوَى التَّعَقُّـــدِ	المَعْنَـــوِيْ يُـــدْرَكُ بِالحِـــسِّ قَـــدِ

يَعْنى أنّ مَرجعَ البلاغة أيْ ما تتوقّفُ عليه البلاغةُ التحرُّزُ أيْ التحفظ من الخطأ في ذكر معنًى يبرزُ أي يظهرُ، والمَيْز أي التمييز للفصيح مِن سواه أيْ مِن غيره .

قوله: ذا يعرف إلخ يعنى أنّ الميز للفصيح مِن سواهُ منهُ ما يُعرف باللغة، أي[14] بعلم اللغة، وهو تمييز الكلمة السّالمة من الغرابة من غيرها، والمرادُ بعلم اللغة هنا هو معرفةُ أوضاع المفردات العربية ؛ لأن مَن تَتَبَّع الكتبَ المتداوَلَة وأحاط بمعاني المفردات الكثيرةِ الاستعمال على ألسنةِ العربِ الخُلَّص الموثوقِ بعربيَّتِهِمْ، عَلِمَ أنَّ ما عداها مِمّا يُحتاج إلى تفتيش عنه في المطوّلات كَتَكَأْكَأْتُمْ، أوْ يحتاج إلى أن يُخرج له وجهٌ بعيدٌ كمُسَرّجا، غيرَ سالمٍ منَ الغرابة، إذ بأضدادها تتبين الأجناس، ومنهُ ما يعرفُ بعلم الصرف، وهو عدم مخالفة القياس، ومنه ما يعرفُ بعلم النحو، وهو عدمُ ضَعفِ التأليفِ والتعقيدِ اللفظي، ومنه ما يعرف بالحسِّ، وهو عدمُ التنافر .

وتقريرُ الأبياتِ: ومرجعُ البلاغة أيْ ما تَرجع إليه وتتوقفُ عليه، التحرزُ أي التحفظ عن الخطأ في ذكر أيْ تأديةِ معنى يبرز أي يُراد إبرازه، والميز للفصيح مِن سواه، أيْ الميز للكلام الفصيح مِن غيره، ذا أي الميز للفصيح من سواهُ يُعرف باللغة، أي بعلم اللغة وعلم الصرف، كذا بالنحو، أي كمعرفته بعلم اللغة وعلم الصرف، معرفته بعلم النحو، والمرجع الذي سوى التعقد المعنوي، وهو عدم التنافر، يُدرَك أي يُعرف بالحس قَدِي أيْ حسبي هذا .

(1) - سورة الأنعام، الآية: 101

قوله: يبرز مضارع مبني للمفعول ونائبه ضمير عائد إلى قوله: معنى، والجملة صفة معنى وقوله: والميز للفصيح معطوف على قوله: التحرز، وقوله: ذا مبتدأ خبره الجملة بعده، والجملة الكبرى وهي المبتدأ وخبره، الجملة استئناف بياني لأن قوله: ومرجع البلاغة إلى قوله: والميز للفصيح من سواه، مشعر بسؤال مقدَّر، تقديرُه بمَ يُعرفُ الميزُ للفصيح من سواه ؟ فقال: ذا يعرف باللغة إلخ، وقوله: قدي اسم فعل بمعنى أكتفي بهذا، أوِ اسمٌ بمعنى حسب، وعليه يكون مبتدأً خبرُه محذوفٌ تقديرُه هذا .

تنبيـــه:

اعلمْ أنّ مرجعَ الشيء قد يطلقُ ويراد به ما يتوقف عليه الشيءُ، وقد يطلق ويراد به فائدة الشيء وغايته والغرض منه، والمراد هنا الأول انتهى .

وَمَـا بِــهِ عَــنِ الخَطَـا فِي التَّادِيَـهْ مُحْـــتَرَزٌ عِلْــمَ الْمَعَــانِي سَمِّيَــهْ

أيْ سَمِّ المرجع، أيْ مرجعَ البلاغة، الذي به محترزا احترازا عن الخطأ في تأديةِ أصلِ المعنى المراد علمَ المعاني .

قولُهُ: ما اسم موصول منصوب على الاشتغال، وقولُهُ: محتَرَزٌ مبتدأٌ خبرُه به وهو مصدر مِيميٌّ مِن غير الثلاثي، والجملةُ صلة ما، والعائدُ إليه الضمير المجرور بالباء، وقوله: علم مفعول سَمِّيَهْ الثاني، قُدِّم عليه، أو منصوب بنزع الخافض، أي سَمِّه بعلم المعاني، وقوله: سميه أمرٌ مُؤكدٌ بنون التوكيد الخفيفة مبني على الفتح، حُذفت لالتقاء الساكنين وهما النون الخفيفة وهاءُ الغائب الساكنة للقافية .

قال في الفريدة:

وَاحْـــذِفْ خَفِيفَـــةً لِسَـــاكِنٍ تَـــلا وَبَعْـدَ غَـيْرِ الْفَـتْحِ فِي الْوَقْـفِ عَـلا[1]

وهاءُ الغائبِ المذكورةِ مفعولُ سَمِّ الأولَ، وهو الذي شَغَلَ الفعلَ عن ما، فصارتْ منصوبةً بفعلٍ مُقدَّرٍ مُوافقٍ لهُ لفظا ومعنى .

---

(1) – ينظر: الوفية باختصار الألفية لجلال الدين السيوطي ت حمزة مصطفى أبو توهة ط 1 2019 .1440 مؤسسة "علم" لإحياء التراث والخدمات الرقمية (ص69)

وَمَـــا عَـــنِ التَّعْقِيـــدِ فَالبَيَـــانُ   ثُمَّ الْبَـــدِيعُ مَـــا بِـــهِ اسْتِحْسَـــانُ

أيْ وسَمٍّ مرجعَ البلاغةِ الذي يُحترزُ بِهِ عن التعقيدِ المعنويِّ، بالبيانِ أي بعلمِ البيانِ .

قولُه: ثم البديع إلخ

يعْنى أنَّ علمَ البديعِ، هو العلمُ الذي يُعرفُ بِهِ استحسانُ الكلامِ، أيْ تحسينُهُ أيْ الوُجوهُ المُحسِّناتُ لهُ .

قَولُه: ما معطوفٌ بالواو على ما في البيتِ قبلَها، وصِلتُها محذوفةٌ وبقيَ متعلقها، وهوَ قولُهُ عن التعقيد لدلالة صلةِ ما الأولى عليها .

قال في التسهيل:

" وقد يحذف ما علم من موصول غير الألف واللام ومن صلة غيرهما "[1]

وقولُه: فالبيان معطوفٌ أيضا على معنى قولِه: علم المعاني لأنه منصوبٌ بنزعِ الخافض، والعطفُ على مَعْمولَيْ[15] عاملٍ واحدٍ بأداةٍ واحدةٍ جائزٌ .

تنبيـــــه:

أمّا تسميةُ علمِ المعاني بالمعاني فلتعلُّقِهِ بالمعاني، إذْ مرجعُه إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى، وأما تسميةُ البيان بالبيان فلتعلقه بإيراد المعنى الواحدِ، بطرقٍ مختلفة في الوضوحِ أي البيان والظهورِ، وأمَّا تسميةُ الثالثِ بالبديع فلتعلُّقه بأشياءٍ بديعةٍ وأمورٍ غريبةٍ انتهى .

وقولُه: استحسانٌ مبتدأ خبرهُ به، وكسْرهُ لضرورة القافية، وقلبُ الإعراب جائزٌ للضرورة كما قدمنا .[2]

ولوْ قالَ:

وَمَـــا عَـــنِ التَّعْقِيـــدِ فَالبَيَـــانُ   ثُمَّ الْبَـــدِيعُ مَـــا بِـــهِ اسْتِحْسَـــانُ

لكانَ أحسنَ .

(1) - شرح تسهيل الفوائد لابن مالك النحوي، (الشرح والتسهيل كلاهما لابن مالك)ج1 ص231، تحقيق الدكتوران ع الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، ط1 ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

(2) - انظر الصفحة 76 من هذا العمل

الفن الأول: علم المعاني

قَدَّم علمَ المعاني على البيان، لكون علمِ المعاني من علم البيان بمنزلة المفرد من المركب ؛ لأن البيانَ علمٌ به يعرف إيراد المعني الواحد في تراكيبَ مختلفةٍ في وضوح الدِّلالة عليه، وذلك الإيراد لا يعتد به إلا بعد رعاية المطابقة في تلك التراكيب، ففيه زيادة اعتبار ليست في علم المعاني ؛ لأن علمَ البيان متوقِّفٌ على علمِ المعاني .

وَحَــدُّهُ عِلْــمٌ بِــهِ قَــدْ تُعْــرَفُ ... أَحْــوَالُ لَفْــظٍ عَــرَبِيّ يُؤْلَــفُ
مِمَّــا بِهَــا تَطَــابُقٌ لِمُقْتَضَــى ... حَــالٍ وحَــدِّي سَــالِمٌ ومُرْتَضَــى

يعنى أنَّ علمَ المعاني، هو العلمُ الذي تعرف به أحوالُ اللفظِ العربي، من حيثُ يطابق بها مقتضى الحال، فاحترز بقوله: مما بها تطابق إلخ عن أحوال اللفظ العربي التي ليست بهذه الصفة، كالإعلال، والإدغام، والرفع، والنصب ونحوها، مما لا بد منه في تأدية أصل المعنى، وإنما قلتُ من حيث يطابق إلخ، ليخرج علمُ البيان والبديع، لأنهما لا يخرجان إلا باعتبار الحيثية، أي لأن أنواعَهما وإن كانت أحوالا للفظِ قد يقتضيها الحالُ، لكن لا يبحث عنها فيهما من حيث أنها يطابق بها اللفظ مقتضى الحال، فليس فيهما أنَّ الحالَ الفلانيَ يقتضى التشبيهَ أو الاستخدام مثلا، وأحوالُ اللفظ العربي، الأمورُ العارضةُ له، من إطلاق وتأكيد ونحوهما، وهذا هو المقتضى .

وتقريرُ البيتين: وحدُّه أي علمُ المعاني، علمٌ به قد يعرف أي يعرف به أحوالُ لفظٍ عربي يولف، أي يُركب، أصله يؤلف فحذفت الهمزة، وخفف اللام، مما بها تطابق لمقتضى حال، أي من كل حال، أي أمر عارض به، أي برعايته مطابقة لما يقتضيه الحال .

قوله: وحَدِّى سالمٌ ومُرتضَى يعنى أن حدَّه سالمٌ من الإخلال بالمَحْدود أيْ أنه محيطٌ به، ومانعٌ من دخول غيره معه في الحد، ومُرتضًى عند كلِّ لَبيبٍ .

قَوْلُه: به قد يعرف، من المضارع ونائبه صفة قوله علم، وقولُه يولَف صفة لفظ، أي حَدُّه علمٌ معروفٌ به أحوالُ لفظٍ عربيٍّ مألوف أي مُركَّب، ومِنْ في قوله ممّا بها مُبيِّنةٌ لقوله أحْوالٌ .

يُحْصَــرُ فِي أَحْــوَالِ الِاسْــنَادِ وفِي ... أَحْــوَالِ مُسْــنَدٍ إِلَيْــهِ فَــاعْرِفِ
وَمُسْــنَدٍ تَعَلُّقَــاتِ الْفِعْــلِ ... والْقَصْــرِ والْإِنْشَــاءِ [16]ثُمَّ الْوَصْــلِ

وَالْفَصْلِ والْإِيجَازِ والْإِطْنَابِ ... وَنَحْوِهِ تَأتِيكَ فِي أَبْوَابِ

يعنى أنَّ المقصودَ من علم المعاني، يُحصرُ حصرَ الكُل في أجزائه، لا الكليِّ في جُزئياته، في ثمانية أبواب، والمرادُ بالأبواب المسائلُ لا الألفاظ، ليَصِحَّ حصرُ العلمِ فيها ؛ لأن العلمَ ليس بلفظ .

أوّلُ الأبواب الثمانيةِ أحوالُ الإسناد الخبري، والثاني أحوالُ المسند إليه، والثالثُ أحوال المسندِ، والرابعُ أحوالُ متعلَّقات الفعل، والخامسُ القصْر، والسادسُ أحوالُ الإنشاء، والسابعُ أحوالُ الفصْل والوصْل، والثامنُ أحوالُ الإيجاز، والإطنابِ، والمساواة، وإنما انْحصرَ هذا العلمُ في هذه الأبوابِ الثمانية ؛ لأن الكلامَ إما خبرٌ، أو إنشاءٌ، والخبرُ لا بد لهُ من إسْناد، والإسنادُ لا بدَّ له من مُسند إليه ومسندٍ، والمسندُ قد يكونُ له متعلقاتٌ، إذا كان فعلا أو ما في معناه، وكلٌّ من التعلق والإسْناد قد يكونُ بقصْر وبغيره، فهذه خمسةُ أبوابٍ .

والإنشاءُ هو البابُ السادس، ثم الجملةُ إن قُرِنَتْ بأخرى، فالثانية إما مَعطوفة على الأولى أو لا، وهما الفصلُ والوصْل، ثم الكلامُ البليغ، إمّا زائدٌ على أصْل المعنى المرادِ لفائدةٍ، أو ناقصٌ غيرَ مُخلٍّ، أو مساوٍ، والأولُ الإطناب، والثاني الإيجاز، والثالث المساواة .

وتقرير الأبيات: يُحصرُ علمُ المعاني في أحوال الإسناد الخبريِّ، وفى أحوال مُسنَدٍ إليه، فاعرفْ أيها السامعُ ما أقولُ لك، وأحوالُ مسنَد، وأحوالُ تعلقات الفعل، وأحوالُ القصر، وأحوالُ الإنشاء، ثم أحوال الفصْل والوصْل، وأحوالُ الإيجاز والإطْناب ونحوِه وهو المساواةُ، تأتيكَ هذه الأحوالُ كلها مبسوطةً في أبواب .

فقَوْلُه: فاعرف جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه، وقوله: تعلقاتُ الفعل معطوفٌ بحذف العاطف على مُسند، وقوله: تأتيك في أبواب استئنافٌ بيانيٌّ .

تنبيــه

التنبيه يستعمل فيما عرض له المذكور قبله بطريق الإجمال، وقد يستعمل في بيان البديهي، ولأجل الأخير اسْتُعمل هُنا، إذ قال السكاكيُّ وغيرُه: إن معرفة الخبر والإنشاء والصدق والكذب

بديهية . [1]

مُحْتَمِلٌ لِلصِّدْقِ والْكِذْبِ الْخَبَرْ   وغَيْرُهُ الإِنْشَا ولا ثَالِثَ قَرْ

يَعنى أنَّ كلَّ كَلامٍ مُحتمِلٍ للصِّدْق والْكَذِب ـ بالنظر لذاته لا لذات المُخْبِر ولا المُخبَر به ـ هو الخبرُ، وقوْلي لا لذاتِ المُخبر أعني أنه لا يُنظرُ في احتماله الصدقَ والكذبَ إلى قائله، إذْ لو نظرنا إليه لكانتْ مثلا أخبارُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام [17] لا تحتملُ الكذب، وكانت تَرَّهاتُ مسيلمة غيرَ مُحتملةٍ للصدق، وكذا لا ينظرُ للمخبر به، إذ قد يعلمُ صدقُ الخبر، أو كذبه من خارج قوله .

وغيرُه إلخ، يعنى أنّ غير الخبر، وهو الكلامُ الذي لا يحتمل الكذب هو الإنشاءُ، ولا ثالث لهما على الصحيح، خلافا لمن قال إن أقسامَ الكلام ثلاثةٌ، خبرٌ، وطلبٌ، وإنشاءٌ . [2]

قولهُ الإنشا بالقصْر لضرورة الوزن .

قال في الإتقان: " قالوا لأن الكلام إما أن يحتمل التصديق والتكذيب أولا، الأول الخبر، والثاني إن اقترن معناه بلفظه فهو الإنشاء، وإن لم يقترن، بل تأخر عنه فهو الطلب، المحققون على دخول الطلب في الإنشاء، وأن معنى اضرب مثلا وهو طلب الضرب مقترن بلفظه، وأما الضرب الذي يوجد بعد ذلك، فهو متعلق الطلب لا نفسه، وقد اختلف الناس في حد الخبر، فقيل لا يحد لعسره، والأكثر على حده، فقال القاضي أبو بكر والمعتزلة: الخبر الكلام الذي يدخله الصدق والكذب، فأورد عليه خبر الله تعالى فإنه لا يكون إلا صدقا، فأجاب القاضي بأنه يصح دخوله لغة، وقيل الخبر الكلام الذي يدخله التصديق والتكذيب، وهو سالم من الإيراد المذكور، وقال أبو الحسين البصري[3]: الخبر كلام يفيد بنفسه نسبة، فأورد عليه نحو قم، فإنه يدخل في الحد؛ لأن القيام منسوب والطلب

---

(1) – فيض الفتاح م س ج1 ص40

(2) – الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج3 ص256، ت محمد أبو الفضل إبراهيم ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(3) – أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري المتكلم أحد أئمة المعتزلة، ولد بالبصرة ولم تشر إلى تاريخ ولادته، ونشأ بها ثم رحل إلى بغداد حيث لازم شيخه عبد الجبار وصار من أشهر تلاميذه توفي رحمه الله سنة (436 هـ).من مصادر ترجمته: فضل الاعتزال، ص: 387. تاريخ بغداد3/100. المنية والأمل، ص: 199. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي 15/300 الكامل في التاريخ لابن الأثير9 /527. المختصر في أخبار البشر لإسماعيل أبي الفدا 2/176. ميزان الاعتدال 3/106. لسان الميزان لابن حجر 5/289. شجرات الذهب لابن العماد الحنبلي 3/259.

منسوب، وقيل الخبر الكلام المفيد بنفسه إضافة أمر من الأمور إلى أمر من الأمور، نفيا، أو إثباتا، وقيل الكلام المقتضي بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفي أو الإثبات .(1)

تَطَابُقُ الْوَاقِعِ صِدْقُ الْخَبَرِ وَكِذْبُهُ عَدَمُهُ فِي الْأَشْهَرِ

يعنى أنَّ صِدْقَ الخبرِ مطابقتُه حُكمَه ومُوافقتُه للواقع أيْ الخارج، والخارجُ هو ما في نفس الأمر، وكذبُه عدمُها في القوْل الأشهر، وبيانُ ذلك أنَّ الدالَّ على وقوع نسبةٍ بين شيئين بثبوت هذا لذاك أو سَلبِه عنه، إذا قُطع النظر عما في الذهن من النسبة، أي ما يفهم من الكلام، ونظرنا إلى الخارج، وما في نفس الأمر لا بد أن يكون هذا هو ذاك أو ليس هو، فمطابقةُ هذه النسبة الحاصلة في الذهن المفهومة من الكلام لتلك النسبة الخارجة صدقٌ، وعدمها كذبٌ، فمعنى المطابقة بين النسبتين، الموافقة في الكيف، بأن تكونا ثبوتيتين أو سلبيتين، بناءً على أن نسبة الكلام الإيقاع أو الانتزاعُ أي الإيجاب والسلب، والتي في الخارج الوقوع أو عدمُ الوقوع، وأما على القول بأن النسبة الذهنية والخارجية الوقوع أو عدم الوقوع، فالمطابقة فيهما من حيث ذاتهما، ولا يقال كيف يتصور تطابقهما مع اتحادهما، لأنا نقول: الوقوع له اعتباران: [18]

أحدهما: كونه مفهوما من الكلام مع قطع النظر عن الواقع، والآخر كونه في الواقع مع قطع النظر عن الكلام، والوقوعُ بأحد الاعتبارين غيره بالآخر .

تنبيهان:

الأول: المراد بالمطابقة مطابقة الكلام للمعنى المراد، فإذا قلت: " جئتك اليوم ألف مرة " مثلا قاصدا التكثير فأنت صادق إن كثر مجيئك، وإن لم يحصل العدد .

الثاني: التحقيق أن نسبة الإنشاء لا خارجَ لها بخلاف الخبر، فقولنا: " زيد سيقوم " حكاية لثبوت القيام لزيد في الواقع، بمعنى أن في الواقع شيئا هو قيام زيد في المستقبل، حكيته بقولك سيقوم زيد، بخلاف اضرب فليس حكاية عن شيء، بل أحدثت به طلب الضرب وأوجدته بحيث لا يحصل دون

(1) - الإتقان م س ج3 ص257

التلفظ به . [1]

وتقريرُ البيت: تطابقُ الواقع الحكمُ للواقع أيْ مُوافقته له هو صدقُ الخبر وكذبه أي الخبر عدمها أي عدم المطابقة في القول الأشهر انتهى .

وَقِيــــلَ بَـــلْ تَطَـــابُقُ اعْتِقَـــادِهِ ... ولَــوْ خَطَــا والكِــذْبُ فِي افْتِقَــادِهِ
فَفَاقِــــدُ اعْتِقَـــادِهِ لَدَيْــــهِ ... واسِــــطَةٌ وقِيــــلَ لَا عَلَيْــــهِ

يعنى أنَّ النَّظّامَ[2] ومُتابعيه قائلونَ أنَّ صدقَ الخبر مطابقته لاعتقاد المُخْبِر، أيْ لما في اعتقاده ولو كان ذلك الاعتقاد غيرَ مُطابق للواقع، وكذبه عدم مطابقته للاعتقاد، والمراد بالاعتقاد الحكمُ الجازمُ والراجحُ، فالمظنون صادق، والموهوم كذب، والمشكوك لا اعتقاد فيه، لتساوى الطرفين من غير ترجيح .

قوله: ففاقد إلخ، يعنى أن فاقد الاعتقاد من الكلام على هذا القول بأن كان شاكا واسطة، أي ليس بصدق ولا كذب، وقيل إنه ليس بواسطة ؛ لأن الاعتقاد إذا انتفى تحققت عدم المطابقة للاعتقاد، فيكون كذبا انتهى .

وحُجّةُ النَّظَّامِ قولُه تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ واللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ

---

(1) – فيض الفتاح م س. ج1 ص41

(2) – النظام المعتزلي:

" إِبْرَاهِيم بن سيار بن هَانِئ الْبَصْرِيّ الْمَعْرُوف بالنظام بالظاء الْمُعْجَمَة الْمُشَدّدَة قَالَت الْمُعْتَزلَة إِنَّمَا لقب بذلك لحسن كَلَامه نظماً ونثراً وَقَالَ غَيرهم إِنَّمَا سمي بذلك لِأَنَّهُ كَانَ ينظم الخرز بسوق الْبَصْرَة وبيبعها وَكَانَ ابْن أُخْت أبي الْهُذيْل العلاف شيخ الْمُعْتَزلَة وَكَانَ إِبْرَاهِيم هَذَا شَدِيد الذكاء.=فطالع كتب الفلاسفة وخلط كَلَامهم بِكَلَام الْمُعْتَزلَة وصَارَ رَأْسا فِي الْمُعْتَزلَة وإِلَيْهِ تنْسب الطَّائِفَة النظامية ووَافَقَ الْمُعْتَزلَة فِي مسائلهم وانْفَرَدَ عَنْهُم بمسائل أُخْرَى."

وقد ترجم له الذهبي بقوله: " شَيْخُ المُعْتَزِلَةِ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيْمُ بنُ سَيَّارٍ مَوْلَى آلِ الحَارِثِ بنِ عَبَّادٍ، الضُّبَعِيُّ، البَصْرِيُّ، المُتَكَلِّمُ.تَكَلَّمَ فِي القَدَرِ، وانْفَرَدَ بِمَسَائِلَ، وهُوَ شَيْخُ الجَاحِظِ. وقَدْ كَفَّرَهُ جَمَاعَةٌ. وقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ النَّظَّامُ عَلَى دِيْنِ البَرَاهِمَةِ المُنْكِرِيْنَ لِلنُّبُوَّةِ والبَعْثِ، ويُخْفِي ذَلِكَ.وَلَهُ: نَظْمٌ رَائِقٌ، وتَرَسُّلٌ فَائِقٌ، وتَصَانِيْفُ جَمَّةٌ، مِنْهَا: كِتَابُ (الطَّفْرَةِ)، وكِتَابُ (الجَوَاهِرِ والأَعْرَاضِ)، وكِتَابُ (حَرَكَاتِ أَهْلِ الجَنَّةِ)، وكِتَابُ (الوَعِيْدِ)، وكِتَابُ (النُّبُوَّةِ)، وأَشْيَاءُ كَثِيْرَةٌ لاَ تُوْجَدُ. ورَدَ: أَنَّهُ سَقَطَ مِنْ غُرْفَةٍ وهُوَ سَكْرَانُ، فَمَاتَ فِي خِلاَفَةِ المُعْتَصِمِ أَوِ الوَاثِقِ، سَنَةَ بِضْعٍ وعِشْرِيْنَ ومائَتَيْنِ.

وَكَانَ فِي هَذَا الوَقْتِ: العَلاَّمَةُ المُتَكَلِّمُ أَحَدُ مَشَايِخِ الجَهْمِيَّةِ إِبْرَاهِيْمُ ابْنُ الحَافِظِ إِسْمَاعِيْلَ ابْنِ عُلَيَّةَ البَصْرِيُّ." انظر الوافي بالوفيات، الصفدي، ج6 ص13، ت أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ، : دار إحياء التراث . بيروت، عام النشر 2000/1420 وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ج10 ص542.541 ت مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ، : مؤسسة الرسالة، ط3 1985/1405

والله يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ 1﴾[1] فحكم عليهم بالكذب في قولهم إنك لرسول الله، مع أنه مطابق للواقع، لمخالفته لاعتقادهم، ورُد هذا الاستدلال بأن المَعنَى لكاذبون في قولهم نشهد، باعتبار تضمنه خبرا كان وهو أن شهادتنا هذه من صميم القلب وخالص الاعتقاد، ولا شك أنه غير مطابق للواقع والاعتقاد معا ؛ لأن المنافقين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم .

وقال الحفيد[2]: " يصح رجوع التكذيب إلى قوله نشهد، نظرا إلى أنه خبر عن استمرار الشهادة " .

وتقرير البيتين: وقيل بل الصدق تطابق اعتقاده أي مطابقة الكلام لاعتقاد الخبر ولو خطأ بتخفيف الهمزة لضرورة الوزن، أي ولو كان خطأ أي غير موافق للواقع، والكذب كائن في افتقاده أي افتقاد مطابقة الاعتقاد . [19]

ففاقد اعتقاده لديه: أي فالكلام الفاقد اعتقاد المتكلم لدى القائل بهذا واسطة، وقيل لا أي ليس واسطة، بل هو كذب، أي لأنه داخل في فاقد الاعتقاد، إذ هو شامل لما لا اعتقاد معه أصلا، أو معه اعتقاد ضعيف كالشك والوهم،

قوله: عليه أي على هذا القول فاقد الاعتقاد واسطة لدى القائل به وقيل لا .

الجَاحِظُ الصِّدْقُ الَّذِي يُطَابِقُ مُعْتَقِدًا أَوْ وَاقِعًا يُوَافِقُ

يعنى أنَّ الجاحظَ قال: إنَّ الصِّدق هو الكلامُ الذي يطابق معتقدا ويوافق واقعا، أي يطابق الاعتقاد والواقع معا .

وَفَاقِدٌ مَعَ اعْتِقَادِهِ الْكَذِبْ وغَيْرُ ذَا لَيْسَ بِصِدْقٍ أَوْ كَذِبْ
وَوَافَقَ الرَّاغِبُ فِي الْقِسْمَيْنِ ووَصَفَ الثَّالِثَ بِالْوَصْفَيْنِ

---

(1) - سورة المنافقون، الآية: 1

(2) - هو حفيد السَّعْد ت 916 هـ 1510 م

أحمد بن يحيى بن محمد بن سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الهروي: شيخ الإسلام، من فقهاء الشافعية، يكنى بسيف الدين، ويعرف بحفيد السعد (التفتازاني) كان قاضي هراة مدة ثلاثين عاما. ولما دخلها الشاه إسماعيل بن حيدر الصفوي كان الحفيد ممن جلسوا لاستقباله في دار الامارة، ولكن الوشاة اتهموه عند الشاه بالتعصب، فأمر بقتله مع جماعة من علماء هراة، ولم يُعرف له ذنب، ونعت بالشهيد. له كتب، منها مجموعة سميت (الدر النضيد في مجموعة الحفيد - ط) في العلوم الشرعية والعربية، و(حاشية على شرح التلخيص - ط) فرغ من تأليفها سنة 886 (والفوائد والفرائد - خ) حديث، في طوبقبو، و(شرح تهذيب المنطق - خ) لجده، في الأزهرية (2)» انظر الأعلام للزركلي 1/ 270

يعنى أن الكلام الفاقد لمطابقة الواقع مع فقدانه مطابقة اعتقاد المخبر هو الكذب، وغيره أي وغير المذكور من القسمين ليس بصدق ولا كذب، بل هو واسطة لا يوصف بالصدق ولا بالكذب، ووافق الراغبُ[1] الجاحظَ في القسمين الأولين، وخالفه في الثالث، فلم يجعله واسطة، بل وصفه بالوصفين، وصفه بالصدق من جهة مطابقته للواقع أو الاعتقاد، وبالكذب من جهة مخالفته لأحدهما .

تنبيـــه:

حُجَّةُ الجاحظِ على أنّ من الكلام ما ليس بصادق ولا كاذب، قوله تعالى: ﴿أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾[2] لأنَّ الكفارَ حصَروا أخبارَ النبي ﷺ بالحشر والنشر في الافتراء، والإخبار حال الجنون على سبيل الانفصال الحقيقي، أي لا يرتفعان ولا يثبتان، والمراد بالإخبار حال الجنة غير الكذب، لأنه مقابله، والشيء لا يقابل بنفسه، وغير الصدق أيضا لأنهم يعتقدون عدمه، وهم من أهل اللسان عارفون باللغة، فيجب أن يكون من الخبر ما ليس بصادق ولا كاذب ليكون هذا منه بزعمهم، وإن كان صادقا في نفس الأمر، ورد هذا الاستدلال بأن معنى: أَمْ بِهِ جِنَّةٌ، أم لم يفترِ، وعبر عن عدم الافتراء بالجنة ؛ لأن المجنون يلزم أن يكون لا افتراء له ؛ لأن الافتراء الكذب عن عمد، ولا عمد للمجنون، فيكون حصرا للخبر في نوعيه، أعني الكذب عن عمد والكذب عن خطأ، فقوله: أم به جنة، كناية بأن أطلق اسم الملزوم، وهو اتصافه بالجنون، وأريد به اللازم، وهو الكذب عن خطأ، والكناية لا يلزم فيها تحقق الملزوم، فلا يلزم أنهم وصفوه بحصول الجنون، انتهى . [3]

---

(1) - الرَّاغِب الأَصْفَهَاني

(000 - 502 هـ = 000 - 1108 م)

الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي.

من كتبه (محاضرات الأدباء – ط) مجلدان، و(الذريعة إلى مكارم الشريعة – ط) و(الأخلاق) ويسمى (أخلاق الراغب) و(جامع التفاسير) كبير، طبعت مقدمته، أخذ عنه البيضاوي في تفسيره، و(المفردات في غريب القرآن – ط) و(حلّ متشابهات القرآن – خ) و(تفصيل النشأتين – ط) في الحكمة وعلم النفس، و(تحقيق البيان – خ) في اللغة والحكمة، وكتاب في (الاعتقاد – خ) و(أفانين البلاغة) انظر «الأعلام للزركلي» (2/ 255)

(2) - سورة سبإ، الآية: 8

(3) - فيض الفتاح م س ج2 ص44

فرع: قال السبكي: وأبى قوم تعريف الخبر كالعلم والوجود والعدم، أي لأن كلا من الأربعة ضروري، فلا حاجة إلى تعريفه، وقيل لعسر تعريفه .[1]

تنبيهـان:

الأول: اختلف في مدلول الخبر هل هو الحكم بثبوت النسبة أو هو النسبة، ؟

فقيل إنه الحكم بثبوت النسبة التي تضمنها، فقولك: قام زيد، مدلوله الحكم على زيد بثبوت نسبة القيام إليه، ويقاس على الخبر في الإثبات الخبر في النفي، [20] فيقال مدلول " ما قام" الحكم بانتفاء نسبة القيام إلى زيد، وقيل إنه ثبوت النسبة في الخارج أو انتفاؤها لا الحكم بذلك، وحجة الأول أنه إن لم يكن مدلوله الحكم بها بل كان ثبوتها لم يكن شيء من الخبر كاذبا غير ثابت النسبة في الخارج، واتفق العقلاء على أن من الخبر كاذبا، ويجاب بأن كذب الخبر ليس مدلولا له حتى ينافي ما جعل مدلوله من ثبوت النسبة، إذ غاية الأمر أن الخبر الكاذب تخلف فيه المدلول الذي هو ثبوت النسبة في الخارج عن الدليل، وذلك واقع في الدلالات اللفظية كما في المجاز، بخلاف العقلية فإنها تقتضي استلزام الدليل للمدلول استلزاما عقليا يستحيل معه تخلف المدلول عن الدليل كما في دلالة الأثر على المؤثر .

وتقسيم الخبر إلى الصدق والكذب على القول الأول باعتبار ما تضمنه من النسبة، وعلى الثاني باعتبار وجود مدلوله معه وتخلفه عنه انتهى .[2]

الثاني: اعلم أن النسبة الإسنادية مورد للصدق والكذب في الخبر اتفاقا، واختلف في النسبة التقييدية، فالإسنادية هي التي يعبر عنها بكلام تام نحو " قام زيد" والتقييدية هي التي يعبر عنها بمركب غير تام نحو غلام زيد، والغلام الذي لزيد، فقيل إنها تحتملهما كالإسنادية ؛ لأن المركب التقييديَّ إما مطابق فيكون صادقا أو غير مطابق فكاذب، فقولك: " يا زيد الإنسان" صادق، وقولك يا زيد الفاضل، يحتملهما .[3]

(1) - الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع، ج2 ص57، ط1 ، مطبعة النهضة تونس

(2) - فيض الفتاح م س ج1 ص45

(3) - فيض الفتاح م س ج1 ص46

قال في المطول: " وفيه نظر ؛ لأن الصدق والكذب إنما يتوجهان إلى ما قصد المتكلم إثباته أو نفيه، والنسبة الوصفية ليست كذلك "[1] انتهى .

والراجح عند الشافعية تعلق الصدق والكذب بها، واستدل الشافعيُّ وغيرُه على صحة أنكحةِ الكفارِ بقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ﴾[2]

وفى البخاريِّ: ((**يُقَالُ لِلنَّصَارَى مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ، فَيَقُولُونَ كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ بْنَ اللهِ، فَيُقَالُ كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن صَاحِبَةٍ ولاَ وَلَدٍ**)) [3] .

مبحث أحوال الإسناد

أحوالُ الإسنادِ الْخَبَرِيِّ:

خبرُ مبتدأ محذوفٍ، أيْ البابُ الأولُ أحوالُ الإسناد الخبريِّ، والمرادُ بالباب الأولِ مباحثُ أوْ عباراتُ أحوالِ الإسناد، إذِ الباب ليس هو نفسُ الأحوال، والمرادُ بالأحوال الأمورُ العارضةُ له مثلَ التأكيد وغيره، ففائدةُ الإسناد هو ضمُّ كلمة إلى أخرى، ولا بد في هذا الضم من أن يفيدَ الحكمَ بإثبات المفهوم من هذه المضمومة لهذه المضموم لها أو نفيه عنها .

الْقَصْــــدُ بِالْإِخْبَـــارِ أَنْ يُفَـــادَا ... مُخَاطَـــبٌ حُكْمًـــا لَـــهُ أَفَـــادَا

أَوْ كَوْنُـــــهُ قَـــــدْ عَلِمَـــــهْ . [21]

يعني أن القصد بالإخبار أن يُفاد مخاطَبٌ، أي إفادة المخاطب حكما له أفاد أي حكما مفيدا له أو كونه أي المخاطِب بالكسر علمه أي عَلِمَ الحكمَ،

قوله: له أفاد جملة فعلية صفة لقوله حكما، واللام في له زائدة لتقوية العامل لضعفه بالتأخير، وقوله: أو كونَه بالنصب معطوف على قوله حكما .

يعنى أن القصد بالإخبار إفادةُ المُتكلِّم المخاطبَ بالفتح حكما نحو " قام زيد" إذ كان خالي الذهن منه، أو إفادته إياه أنه عالم بالحكم، وذلك إذا كان السامع عالما بالحكم كقولك لمن حفظ

(1) – المطول على التلخيص للتفتزاني ص 43 ط دار الكتب العلمية 1 يناير 2013

(2) – سورة القصص، الآية: 9

(3) – صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة ﴾ الحديث رقم 4581، ج 6 ص 44.

التورية " أنت حفظت التورية" تريد إخباره بأنك عالم بأنه حفظها .

. . والْأَوَّلا فَائِـدَةَ الْإِخْبَـارِ سَـمِّ واجْعَـلا

أَيْ سَمِّ الأولَ وهو قصدُ إفادة الحكم للسامع فائدةَ الإِخْبار

لَازِمَهَـــا الثَّـــانِيْ .

أي واجعل الثاني وهو قصد إفادة السامع كون المخبر عالما الحكم، لازمها أي لازم فائدة الخبر، ومعنى اللزوم أنه كلما أفاد الحكم أفاد أنه عالم به من غير عكس كما في حفظت التورية، وعند شارح المفتاح أن فائدة الخبر هي استفادة السامع من الخبر الحكم، ولازمها هي استفادته منه أن المخبر عالم بالحكم،

. وقَـــدْ يُنَـــزَّلُ عَـالِمُ هَـذَيْنِ كَمَـنْ قَـدْ يَجْهَـلُ

يعنى أنه قد ينزل عالم هذين الأمرين فائدة الخبر ولازمها كمن قد يجهل أي كالجاهل، وقد تحقيقية .

وذلك **لِعَدَمِ الْجَرْيِ عَلَى مُوجَبِهِ** أيْ لعدم جرْي العالِم بالأمرين على موجَب العلم، أي على ما يوجبه العلم وهو العمل به، فيلغى له الخبر كما يلغى للجاهل ؛ لأن من لا يجرى على مقتضى العلم هو والجاهل سواء، من حيث إن المقصود بالذات من العلم انتفى عنهما، والمراد بالجاهل الخالي عن العلم بالفائدة ولازمها، فيتناول الخلو من الحكم والتردد والإنكار، فيقال للعالم التارك للصلاة، الصلاة واجبة .

وَمَا أَتَى لِغَيْرِ ذَا أَوِّلْ بِهِ أيْ أوِّلْ ما أتى من الخبر لغير ذا أي لغير إفادة المخاطب حكما أو علم المخبر به، أي بتنزيل العالم منزلة الجاهل .

فَلْيُقْتَصَـرْ عَلَـى الَّـذِي يَحْتَـاجُ لَـهُ مِـنَ الْكَـلامِ ولْيُعَامَـلْ عَمَلَـهُ

فَلْيُقْتَصَـرْ عَلَـى الَّـذِي يَحْتَـاجُ لَـهُ مِـنَ الْكَـلامِ ولْيُعَامَـلْ عَمَلَـهُ

أيْ فإذا عرف المتكلم أن القصد بالخبر أحد الأمرين السابقين، فليقتصر على الذي يحتاج له من الكلام، أي يورد التركيب على قدر ما تحصل به الإفادة لا أزيد ولا أنقص، فإن لم يفد أو كان ناقصا عما قصد أو زائدا كان لغوا، قوله: وليعامل عمله أي وليعامل الكلام عمل ما يحتاج له

فَــإِنْ يُخَاطِــبْ خَــالِي الــذِّهْنِ مِــنِ حُكْــمٍ ومِــنْ تَــرَدُّدٍ فَلْيَغْــتَنِ[1]

عَنِ الْمُؤَكِّدَاتِ أي فإن يخاطب المتكلم مخاطبا خاليَ الذهن من الحكم ومن التردد فيه فليغتنِ عن المؤكدات وجوبا، ويلقى الكلام إلى السامع مرسلا من التأكيد، [22] كقولك لمن هو خالي الذهن من قيام زيد أي من نسبته إليه " قام زيد"

والفاء في قوله: فإنْ إلخ تفريعية، وتحريك نون من بكسرة لضرورة الوزن .

. أَوْ مُـــــــــــرَدِّدَا وطَالِبًـــا فَمُسْـــتَجِيدًا أَكِّـــدَا

أي وإن يخاطِب سامعا مُرددا أي مترددا في الحكم وطالبا له فمستجيدا أَكَّدا، أي فليؤكد الكلام توكيدا مستجيدا أي مستحسنا بمؤكدٍ واحد، فلو زاد لم يستقمْ، أو لمْ يؤكدْ، لم يستحسن ؛ لأن ذهنَ السامعِ متفش فيه نقيض الحكم، ففيه مانعٌ من قبوله، فناسبَ التأكيدَ ليُزيلَ السابقَ ويثبت اللاحقَ، لكن لما كان المانع ضعيفا لأنه نغص نفش تصوريٍّ غير ثابت، كفى في دفعه أدنى مبالغة، بل ربما زال بلا مبالغة، فهذا ما للجمهور، واعلم أن المستحسن في باب البلاغة كالواجب .

قولُه: أو مرددا وطالبا معطوف على قوله خالي الذهن في قوله مستجيدا نائب عن مصدر من أكد وقوله أكد مبني للمفعول انتهى .

أَوْ مُنْكِــــرًا فَأَكِّـــدَنْ وجُـــوبَا

أيْ وإن كان السامع منكرا للحكم بأن كان حاكما بخلافه، فأكدن الكلام تأكيدا واجبا **بِحَسَبِ الإِنْكَارِ** أي إنكار السامع، فكلما ازداد إنكاره ازداد التأكيد له كقوله تعالى حكاية عن رسل عيسى عليه السلام إذْ كُذبوا في المرة الأولي: ﴿**إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ** 13﴾[2] مُؤَكِّداً بإِنَّ واسمية الجملةِ، وفى المَرَّة الثانية ﴿**رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ** 15﴾[3] مُؤَكِّداً بالقَسَمِ وإن واللام واسمية الجملة لمبالغة المخاطبين في الإنكار، حيث قالوا ﴿**مَآ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا ومَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ اِنَ اَنتُمُۥٓ إِلاَّ تَكْذِبُونَ**

(1) - وهذا هو الموافق للوزن والمعنى كما في المطبوع.
فَــإِنْ يُخَاطِــبْ خَالِيًــا لِلــذِّهْنِ مِــنْ حُكْــمٍ ومِــنْ تَــرَدُّدٍ فَلْيَغْتَــنِ

(2) - سورة يس، الآية: 14

(3) - سورة يس، الآية: 16

14﴾[1]

فَالضُّرُوبَا أيْ الثلاثةَ **أَوَّلَهَا سَمِّ ابْتِدَائِيًّا** أيْ سَمِّ الأولَ منها وهو إلقاءُ الخبر إلى خالي الذهن نُزِّل منزلة المتردد أو المنكر أم لا ابتدائيا، لأنه ابتدئ به من غير طلب أو إنكار، و**مَا تَلاهُ فَهْوَ الطَّلَبِيُّ** أيْ والذي تلا أي تَبِع الأولَ وهو إلقاء الخبر إلى المتردد فهو الطلبيُّ أي فهو المسمى طلبيّا، لأنه مسبوق بطلب المخاطَب، إما بلسان الحال أو لسان المقال، و**انْتَمَى، تَالِيهِ لِلإِنْكَارِ** أيْ انتسبَ تاليه أيْ الضَّربُ الذي يلي الطلبي وهو إلغاء الخبر إلى المنكر للإنكار، فيقال فيه إنكاري لأنه مسبوق بإنكار المخاطب، والفاء في قوله فالضُّروبا تفريعية، والضروبَ منصوب على الاشتغال .

تنبيهان:

الأول: اعلم أن مؤكدات الحكم ستة عشر: قد التحقيقية، وإن المكسورة الثقيلة، وأما المفتوحة فلا تؤكده ؛ لأن ما بعدها في حكم المفرد، ولام الابتداء، ونونا التوكيد، والقَسَم فإنه يؤكد جملة الجواب وهي خبرية، والإنشاء إنما هو نفس الجملة القسمية نحو والله وأقسم بالله، كما أن جملة جواب الشرط خبرية، بخلاف جملة الشرط فإنها إنشائية، والجملة الإسمية [23] لأن لها اعتبارين، اعتبار إفادتها أصل الحكم الدوامي الثبوتي، واعتبار تأكيد الحكم بواسطة تلك الفائدة، وإلقاؤها إلى خالي الذهن إنما هو مع قطع النظر عن الاعتبار الثاني، بل لضرورة أن الحكم الدوامي هو مقتضي المقام، وعدها من المؤكدات بالنظر إلى الاعتبار الثاني، وقيل إنها لا تؤكد إلا في مقام العدول عن الفعلية، ومنها الحروف الزائدة، وتسمى حروف الصلة، نحو﴿**وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً** 78﴾[2]

قال في الإتقان: " والباء زائدة، ودخلت لتأكيد الاتصال ؛ لأن الاسم في قوله وكفى بالله متصل بالفعل اتصال الفاعل .

قال ابن الشَّجري [3]: وفعل ذلك إيذانا بأن الكفاية من الله ليست كالكفاية من غيره في عظم

(1) – سورة يس، الآية: 15

(2) – سورة الفتح، الآية: 28

(3) – ابن الشجري، تأليف: ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة (المتوفى: 542هـ).

المنزلة، فضوعف لفظها لتضاعف معناها " انتهى .[1]

ومنها أيضا حروفُ التنبيه ك ألا وها، ومنها كأنَّ ولكنَّ بتشديد النون فيهما، ومنها إنما وليت ولعل والسين كما للزمخشري، إذا دخلت على فعل مستقبل محبوب أو مكروه، ومنها العماد وهو ضمير الفصل، وتقديم الفاعل المعنوي كما سيأتي، ومنها أما الشرطية انتهى .

الثاني: اعلم أنَّ الحُكمَ يؤكدُ بناء على أن المخاطبَ ينكر كون المتكلم عالما به معتقدا له، كما تقول " إنك لعالم كامل "

قال في المطول: وعليه قوله تعالى: ﴿**قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ**﴾ انتهى .

. . **ثُمَّ مُقْتَضَى ظَاهِرِهِ إِيرَادُهَا كَمَا مَضَى**

يعنى أن مقتضى ظاهر الحال إيراده أي الكلام إيرادا كما مضى من عدم التوكيد في الضرب الأول، والتوكيد بمؤكد واحد استحسانا في الثاني، ومن وجوب التأكيد بحسب الإنكار في الثالث .

وَرُبَّمَا خُولِفَ ذَا فَلْيُورَدِ كَلامُ ذِي الخُلُوِّ كَالْمُرَدِّدِ

يعنى أنه ربما خولف ذا أي مقتضى ظاهر الحال، فالحال في العرف قد يكون أمرا محققا كما مر، وقد يكون أمرا يعتبره المتكلم بتنزيل أمر منزلة غيره، والأول يسمى ظاهر الحال، وتطبيق الكلام عليه إخراج له على مقتضى الظاهر، والثاني خلافه، وتطبيق الكلام عليه إخراج له على خلاف مقتضى الظاهر، فإذا أريد إخراجه على خلاف مقتضى الظاهر فليورد كلام أي خطاب السامع ذي الخلو من الحكم أي صاحب الخلو منه أي خالي الذهن من الحكم كالمردد، أي كخطاب السامع المردد أي المتردد في الحكم، وذلك أي تنزيله منزلة المتردد، **إِذَا لَهُ قُدِّمَ** بالبناء للمفعول وتشديد الدال **مَا يُلَوِّحُ بِخَبَرِ** أي إذا قدم له كلام يلوح بخبر أي يشير إليه، والتلويح الإشارة، من بعد **فَهْوَ** بسبب تلويح ما قدم له بالخبر **لِفَهْمِ** أي لفهم الخَبَر الملوّح به **يَجْنَحُ** أي يميل **كَمِثْلِ مَا يَجْنَحُ مَنْ تَرَدَّدَا** =**لِطَلَبِ**=أيْ فهو يجنح إلى فهم الخبر الملوح به جنوحا كمثل جنوح من تردد لطلب أي من تردد مع طلب، أي المتردد في الحكم الطالب له، وهو من انتقض [24] في ذهنه نقيضه، وإذا كان كذلك

(1) - الإتقان في علوم القرآن م س ج2 ص 217

فَالْحُسْنُ أَنْ تُؤَكِّدَا الحكمَ له بمؤكِّد واحد، نحو قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ** 37﴾[1] فَمعْنى لا تُخاطبني لا تَدعني يا نوحُ في استدفاعِ العذاب عن قومك، فهذا يلوح بالخبر الذي هو أنهم مغرقون، فصار المقام مظنة أن يتردد المخاطب في الحكم عليهم بالإغراق وعدمه يتمثل في الإقدام للتلويح والإحجام لعدم التصريح، فلذلك أكد أنهم مغرقون بأن، إذ لا يؤكد أمثال هذا إلا بها ؛ لأنها علم للتوكيد، والمراد أن الكلام يشير إشارة ما إلى جنس الخبر وأنه عذاب، حتى أن الفهم المتسارع يكاد يتردد فيه ويطلبه لأنه يشير إلى خصوصية الخبر الذي هو الإغراق انتهى .

وما في قوله كمثل ما يجنح مصدرية، والفاء في قوله فالحسن تفريعية .

وَيُجْعَــــلُ الْمُقِــــرُّ مِثْــــلَ الْمُنْكِــــرِ إِنْ سِمَــــةُ النُّكْــــرِ عَلَيْــــهِ تَظْهَــــرِ

يعنى أنَّ المُقِرّ بالحكم يجعلُ مثلَ المنكر له إن سمة النكر عليه تظهر، أي إن ظهرت عليه علامة الإنكار، فيؤكد له الحكم كما يؤكد للمنكر،

كَقَوْلِنَــــا لِمُسْــــلِمٍ وقَــــدْ فَسَــــقْ يَا أَيُّهَــــا الْمِسْكِينُ إِنَّ الْمَــــوْتَ حَــــقْ

أي كقولنا لمسلم وقد فسق أي خرج عن طاعة الله، يا أيها المسكين إن الموت حق، فهو لا ينكر أحقية الموت، لكنه لما فسق ولم يتأهب للموت بالتقوى والاستعداد، فكأنه ينكره، وكقول الشاعر:

جــــاءَ شَــــقِيقٌ عارضــــًا رُمْحَــــهُ .. إنَّ بَنَــــي عَمِّــــك فِــــيهِمْ رِمــــاحُ[2]

فإنه لا ينكر أن في بني عمه رماحا، لكن مجيئه واضعا للرمح العرض من غير مبالاة وتهيب للحرب أمارة على أنه يعتقد أن لا رمح فيهم، بل كلهم عزل، فنزل منزلة المنكر، وأكد له الخطاب .

وَيُجْعَــــلُ الْمُنْكِــــرُ إِنْ كَــــانَ مَعَــــهْ شَــــوَاهِدٌ لَــــوْ يَتَأَمَّــــلْ مُرْدِعَــــهْ

كَغَيْرِهِ . . يعنى أن المنكر للحكم يجعل كغيره أي كغير المنكر، وهو الخالي الذهن والمتردد إن

---

(1) – سورة هود، الآية: 37

(2) – البيت لحجل بن نضلة الباهلي، وهو شاعر جاهلي والبيت في الإيضاح (24)، ودلائل الإعجاز (304)، والمصباح (6) والبيت الذي بعده:

هــــل أحــــدث الــــدهر لنــــا ذلّــــة أم هــــل رنــــت أم شــــقيق ســــلاح

والشاهد في قوله: «إن بني عمك فيهم رماح» وهو تنزيل العالم منزلة المنكر.

كان معه أي المنكر شواهد لو يتأمل مردعه أي دلائل دالة على وجود الحكم لو يتأمل فيها أردعته عن إنكاره الحكم، فالمراد بغير المنكر في قوله كغيره ما يشمل الضعيف الإنكار لأنه بالنسبة للمنكر القوي الإنكار كالعدم .

قال ياسين: فإن نزل منزلة الخالي لم يؤكد له الحكم، وإن نزل منزلة السائل استحسن تأكيده له، وإن نزل منزلة ضعيفة لم يزد على واحد، ولا معنى لتنزيل المنكر منزلة العالم في إلقاء الخبر إليه، فإنه يقتضي عدم الخطاب انتهى .

وذلك **كَقَوْلِكَ الإِسْلامُ حَقٌ، لِمُنكِرٍ** الإسلام من غير تأكيد، لما معه من الدلائل الدالة على نبوءته ﷺ، التي لو تأملها ارتدع عن إنكاره .

تنبيهان:

الأول: النكتة في تنزيل غير السائل كالسائل، الإيماء إلى أنه ينبغي له أن يتفطن لما لوح له، حتى يتردد فيؤكد معه الكلام [25] إزالة لتردده، وفي تنزيل من معه الأمارة كالمنكر، الإيماء إلى أنه لا ينبغي له تلك الأمارة، وأنه يكون فيها كالمنكر، فينفى إنكاره بالتوكيد، وفى تنزيل من معه الدلائل كغيره، الإيماء إلى أنه لا ينبغي له الإنكار للدلائل التي معه، فإن لم يكن مقرا فينبغي له أن يكون خالي الذهن الذي يكفى في اعتقاده مضمون الخبر مجرد إلغاء الكلام إليه خاليا عن التأكيد .

الثاني: اعلم أن حال المخاطب بالجملة منحصر في العلم والخلو والإنكار والسؤال، فالعالم لا يتصور معه إخراج الكلام على مقتضى الظاهر ؛ لأن مقتضاه أن لا يخاطب بما يعلمه، فإذا خوطب فقد نزل منزلة غيره من الثلاثة، وذلك راجع إلى تجهيله بوجه ما، وكل واحد من الخالي والسائل والمنكر يتصور معه الوجهان، فإذا نظر في خطابه إلى حالة نفسه كان إلقاء الخبر إليه إخراجا على مقتضى الظاهر، وإن نزل في ذلك منزلة أحد الأمرين الأخيرين، إذ لا معني لتنزيله منزلة العالم، كان إخراجا على خلاف مقتضاه، وانحصر الكلام في اثني عشر قسما، ثلاثة منها في إخراج الكلام على مقتضى الظاهر، وتسعة على خلافه، ثلاثة في العالم، وستة في غيره، قاله ياسين انتهى .

قولُه: **والنَّفْيُ فِيهِ مَا سَبَقْ** يعنى أنَّ النفي فيه جميعُ ما سبق في الإثبات من الاعتبارات من التجريد من المؤكدات في الابتدائي، نحو " ليس زيد قائما" وتقويته بمؤكد واحد استحسانا في الطلبي، نحو

ليس زيد بقائم، ووجوب التأكيد بحسب الإنكار في الإنكاري، نحو والله ما زيد بقائم، وقس على هذا انتهى .

تنبيه

تجيء إن لغير التوكيد، فتدخل للدلالة على أن الظن كان من المتكلم في الذي كان أنه لا يكون، كقولك للشيء ـ وهو بمرأى ومسمع من المخاطب ـ" إنه كان من الأمر ما ترى" و" أحسنت إلى فلان، ثم إنه جعل جزائي ما ترى" وعليه قوله تعالى: ﴿**رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ**﴾[1] ﴿**رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ** 117﴾[2] وقد نقله في المطول مُحتا عليه، وسلمه السيد والفنري، أو لإصلاح نظم الكلام حيث لا يصح بدونها، فإن ضمير الشأن لا يصح في الجملة الشرطية بدونها، كقوله تعالي: ﴿**إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ**﴾[3] ﴿**أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًا**﴾[4] انتهى .

أو للحسن كما في النكرة الموصوفة فإنها أحسن مع إن، كقوله:

إنَّ دَهــرا يلــفُّ شَــمْلى بليلــى　　　لزمــــان يهـــم بالإحســــان[5]

انتهى .

ثُمَّ مِـــنَ الْإِسْـــنَادِ مَـــا يُسَـــمَّى　　　حَقِيقَــــــــةً عَقْلِيَّــــــــةً .

يعنى أن الإسناد خبريا كان أو إنشائيا، منه ما هو حقيقة عقلية، ومنه ما هو مجاز عقلي، ومنه ما ليس بواحد منهما، وذلك حين يكون المسند ليس بفعل ولا معناه، نحو الحيوان جسم، وجعل السيوطي الحقيقة والمجاز صفة للإسناد دون الكلام [26] تبعا للقزويني، وأما صاحب المفتاح وعبد القاهر فإنهما جعلاهما صفة للكلام .

---

(1) – سورة آل عمران، الآية: 36

(2) – سورة الشعراء، الآية: 117

(3) – سورة يوسف، الآية: 90

(4) – سورة الأنعام، الآية: 54

(5) – نسب هذا البيت لكل من: حسان بن ثابت، وعمر بن أبي ربيعة، وهو في ديوان حسان / (م): يلف شملي بِجُملٍ، وفي ديوان عمر، ص 163: يلف شملي بسعدي

قال القزويني: " وإنما اخترناه لأن نسبة الشيء الذي يسمى حقيقة أو مجازا إلى العقل على هذا لنفسه بلا واسطة، وعلى قولهما لاشتماله على ما ينسب للعقل، أعني الإسناد " انتهى .

يعنى أن تسمية الإسناد حقيقة عقلية، إنما هي باعتبار أنه ثابت في محله، وتسميته مجازا عقليا باعتبار أنه متجاوز محله، والحاكم بذلك العقل دون الوضع، وذكر الناظم الحقيقة والمجاز العقليين هنا، ولم يذكرهما في علم البيان تبعا للقزويني، وكأنه مبني على أنهما من أحوال الإسناد كالتأكيد والتجريد عنه، انتهى .

وتقرير كلامه: ثم من الإسناد ما أي نوع يسمي حقيقة عقلية، وذلك **كَأَن مَا**

يُسْـــنَدُ فِعْـــلٌ لِلَّـــذِي لَـــهُ لَـــدَى ... مُخَاطِـــبٍ وشِـــبْهُهُ فِيمَـــا بَـــدَا

أي كأن يسند فعل أو شبهه للفاعل الذي الفعل المذكور أو شبهه ثابت له، لدى مخاطِب بكسر الطاء فيما بدا للسامع من حاله أي فيما ظهر له بأن لا تدل قرينة على أنه غير ما هو له في اعتقاد المتكلم، والمراد بشبه الفعل المصدر واسما الفاعل والمفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل والظرف، ومعنى كون الفعل أو شبهه ثابتا للفاعل أن معناه قائم به ووصف له سواء صدر عنه باختياره، كضرب زيد، أم لا كمرض، ومعنى الصدور الظهور، فيتحقق الصدور بهذا المعنى في الموت والمرض، وإن في قوله كأن ما مصدرية، وما زائدة، وقوله وشبهه بالرفع معطوف على قوله فعل فدخل بقوله فيما بدا ما يطابق الاعتقاد والواقع معا

كَقَوْلِنَـــا أَنْبَـــتَ رَبُّنَـــا الْبَقَـــلْ

أيْ كقولنا معاشر المؤمنين أنبت ربنا أي الله البقلَ .

قال ياسين: " وهذا إذا كان المخاطب يعتقد إيمان المتكلم وأنه ينسب الآثار كلها لله تعالى، أما لو كان يعتقد أن المتكلم يضيف الإنبات للربيع، وعلم المتكلم ذلك، كان الإسناد مجازا ؛ لأن اعتقاد المتكلم يجعل قرينة صارفة "[1]

ودخل أيضا ما يطابق الاعتقاد فقطك :

وأَنْبَـــتَ الرَّبِيـــعُ، قَـــوْلُ مَـــنْ جَهِـــلْ

(1) . انظر حاشية الدسوقي على مختصر المعاني (1/ 397) ت عبد الحميد هنداوي، ط ونشر المكتبة العصرية بيروت

أيْ قول الجاهل، لأنه يعتقد أن المنبت للبقل إنما هو الربيع، وقوله: قول من جهل بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي ودخل ما يطابق الاعتقاد فقط، كأنبت الربيع، وهو قول من جهل، ودخل أيضا ما يطابق الواقع فقط كقول المعتزلي لمن لا يعرف حاله، وهو يخفيها عنه: " خلق الله الأفعال كلها" فإن إسناد خلق الأفعال كلها إلى الله تعالى إلى إسناد إلى ما هو له عند المتكلم فيما ظهر للسامع، وهو موافق للواقع فقط، ودخل أيضا ما لا يطابق شيئا[27] **كَجَاءَ زَيْدٌ مَعَ فَقْدِ الْفِعْلِ، عِلْماً** أي مع فقد الفعل وهو المجيء علما أي في علم المتكلم دون السامع، فإنه إسناد إلى ما هو له في الظاهر ؛ لأن الكاذب لا ينصب قرينة على خلاف إرادته، أما إذا كان المخاطب أيضا عالم بأنه لم يجيء، فإن علم مع ذلك أن المتكلم عالم بأنه لم يجئ، فإن كان لملابسته المجيء بأن جاء رسوله كان مجازا، وإلا فلا يعد في الحقيقة ولا في المجاز، بل ينسب قائله إلى الحماقة والجنون، كما صرح به في المفتاح، وإن كان لم يعلم أن المتكلم عالم بأنه لم يجئ فهم من ظاهره إسناده إلى ما هو له عنده، بناء على سهو أو نسيان .

تنبيـــه

اعلم أنه لا يعترض على تعريف الحقيقة العقلية بأنه غير جامع لخروج نحو " ما قام زيد" و" ما ضرب عمرو" من المنفيات، فإن إسناد الضرب والقيام ليس إلى ما هو له، لا في الحقيقة ولا في الظاهر، وإن أريد إسناد القيام والضرب المنفيين إلى ما هما له دخل في التعريف من المجاز العقلي ما هو منفي، نحو " ما صام نهاري وما قام ليلي" لأنا نقول معناه أنه لو اعتبر الكلام مجردا عن صورة النفي كان إسنادا إلى ما هو له ؛ لأن النفي فرع الإثبات، بخلاف " صام نهاري" فإنه إسناد إلى غير ما هو له، فكذلك النفي .

وَمَا يُدْعَى الْمَجَازَ الْعَقْلِي يعني أن من الإسناد ما يدعى أي يسمي المجاز العقلي، أي المنسوب للعقل، ويقال له أيضا المجاز الحكمي، والمجاز في الإثبات أي في الانتساب والاتصاف، فيشمل الإيجاب والنفي، أو لأن الحقيقة والمجاز في النفي تابعان لهما في الإثبات ؛ لأن النفي فرع الإثبات، وتخصيص المجاز في الإثبات بالنظر إلى الأصل، ويسمى أيضا الإسناد المجازي ؛ لأن المجاز في

الإسناد لا في الطرفين، وإنما سمي مجازا حكميا باعتبار أن كل مجاز عقلي إنما هو مجاز في الحكم والإسناد، إما ظاهرا أو مقدرا، أو باعتبار أن المجاز وإن كان في الإضافة وإيقاع الفعل على مفعوله، لكن الحكم أشرف منهما، فاعتبر الأشرف في التسمية، وهو أي المجاز العقلي **إِسْنَادُهُ** أي الفعل المذكور أو شبهه **إِلَى الذِي لَيْسَ لَهُ** أي إلى الفاعل الذي ليس الفعل المذكور أو شبهه له عند المتكلم في الحقيقة **بَلْ لِشيء مُلابِسٍ** للفعل المذكور أو شبهه غير الملابس الذي الفعل له حقيقة سواء كان ذلك الغير غيرا في الواقع أو عند المتكلم في الظاهر، والحال أن المتكلم **قَدْ أَوَّلَهُ** أي أول المتكلم إسناده الفعل أو شبهه إلى غير ما هو له، أي طلب ما يؤول إليه من الحقيقة بأن ينصب قرينة صارفة لأن يكون الإسناد إلى ما هو له .

قال الحفيد: التأول تطلب الحقيقة وملاحظتها، وهذا يستلزم اعتبار العلاقة ونصب القرينة، واعلم أن الفعل له ملابسات مختلفة، [28]

وَأَنَّـــهُ يُلابِـــسُ الْفَاعِـــلَ مَـــعْ … مَفْعُولِـــهِ ومَصْـــدَرًا ومَـــا اجْتَمَـــعْ
مِـــنَ الزَّمَـــانِ والْمَكَـــانِ والسَّـــبَبْ … فَهْـوَ إِلَى الْمَفْعُـولِ غَـيْرُ مَـا انْتَصَـبْ

يعنى أن الفعل أو شبهه يلابس الفاعل لصدوره منه أو قيامه به، والمفعول لوقوع معناه عليه، والمصدر لدلالته عليه انفرادا، والزمان والمكان لدلالته عليهما التزاما، لأنه لا بد له من زمان ومحل يقع فيه، والسبب لأنه الباعث عليه، وأما المفعول معه والحال والتمييز والمستثنى فلا يسند إليها لأن المفعول معه مثلا هو الواقع بعد واو بمعنى مع، فبعد إسنادهم الفعل إليه لا يبقى هذا المعني قطعا، وأما المفعول به فليس إلا ما وقع عليه فعل الفاعل، وبعد إسناد الفعل إليه لا يتغير هذا المعني أصلا، وإنما يتغير نصبه، وهو ليس بمأخوذ في مفهومه، وقس على هذا سائر البواقي، واعلم أنه يستثنى مما ذكر الظرف وأفعل التفضيل فإنهما لا يلابسان المفعول به، إذ لا ينصبانه، وأما المصدر فقد يلابس المصدر إذا كانا متغايرين كقولك " أعجبني ضرب القتل"

وتقرير البيت: فإنه أي الفعل أو شبهه يلابس الفاعل مع مفعوله أي مفعول فعل الفاعل، ويلابس مصدرا، وما اجتمع من الزمان والمكان، أي ويلابس الذي اجتمع معه أي ما وقع فيه من الزمان والمكان، و" من" مبينة لما ويلابس السبب .

فَهْـوَ إِلَى الْمَفْعُـولِ غَـيْرُ مَـا انْتَصَـبْ

وَفَاعِلٌ أَصْلٌ يعنى أن الإسناد إلى المفعول غير المنصوب أي المرفوع وهو النائب، وإلى الفاعل إذا كان الفعل مبنيا لهما، أصل أي حقيقة، نحو " قام زيد" و" ضرب عمرو" فإسناد القيام إلى زيد والمضروبية إلى عمرو حقيقة .

والمراد بالفاعل في قوله وفاعل، الفاعل الذي لا يكون سببا ولا مصدرا ولا زمانا ولا مكانا، ويعنى به أيضا ما يقوم به الفعل عند المتكلم في الظاهر، فلا يرد أن قول الجاهل " أنبت الله البقل" مجاز، مع أنه إسناد الفعل المبني للفاعل إليه، و**غَيْرُ ذَا مَجَازْ** يعنى أن غير ما ذكر من إسناد الفعل المبني للفاعل إليه، وإسناد الفعل المبني للمفعول إليه مجاز عقلي، والغير هو إسناد الفعل المبني للفاعل إلى غير الفاعل، والفعل المبني للمفعول إلى غير المفعول للملابسة أي لأجل أن ذلك الغير يشابه ما هو له من حيث إن كلا منهما يلابسه الفعل ويتعلق به، وإن اختلفت جهة التعلق، فقد استعير الإسناد مما هو له لغيره، لمشابهته إياه في الملابسة .

مثال إسناد الفعل المبني للفاعل إلى مفعوله :

كَعِيشَـــــةٍ رَاضِــــــيَةٍ إِذَا تُجَــــازْ

أي إذا تجوز بالإسناد فيها عن محله، كقوله تعالي: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ 20﴾[1] فالعيشة مرضية لا راضية .

ووّجه الجربي المجاز في هذا التركيب أن الرضا صفة الراضي، فحقيقة الكلام " رضي المرء عيشته " [29] فأسند الفعل إلى المفعول من غير أن يبنى له فيبقى رضيت العيشة، فآل الأمر إلى أن صار المفعول فاعلا للفاعل، ومثال إسناد الفعل المبني للمفعول **السَّيْلُ مُفْعَمٌ** بفتح العين، فالسيل مفعم بكسر العين لا مفعم بفتحها .

قال الجربي[2]: " حقيقة الكلام أفعم السيل الوادي، أي أملاه، فأسند الفعل إلى المفعول في التقدير من غير أن يبنى له، فصار الكلام هكذا أفعم الوادي السيل، ثم حذف الفاعل وأقيم المفعول

(1) – سورة الحاقة، الآية: 21

(2) – هو سليمان بن عبد الرحمن بن سليمان المغربي الجربي المدني السمومني الشهير بسليمان الجربي ت 966 هـ

مقامه وبني الفعل له، فصار أفعم السيل وهو معنى كونه مجازا، ثم سبك منه اسم مفعول، فقيل سيل مفعم فقد جعل ما كان فاعلا مفعولا " .[1]

ومثال إسناد الفعل إلى زمانه **لَيْلٌ سَارِي** فالليل مَسريٌّ فيه لا سار، أصله سرى المرء ليله، ثم حذف الفاعل وأسند الفعل إلى الزمان، وهذا معنى كونه مجازا، ثم سبك من الفعل اسم فاعل وأخبر به عن الليل، ومنه قوله تعالي: ﴿يَوْماً يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيباً﴾[2] فالجعل لله حقيقة، وإسناده لليوم كناية عن شدة هوله ؛ لأن الشيب يتسارع عند تفاقم أي تعاظم الأهوال، أو كناية عن طوله، وأن الأطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة، ومثال إسناد الفعل إلى مصدره **جَدَّ جَدُّهُمْ** وحقيقته جد القوم جدا، ثم أسند الفعل إلى الجد مع بقائه على بنائه للفاعل، فصار جد جد القوم فكأنه لعظمه صار الجد نفسه جادا، وهذا معنى كونه مجازا، ومثال إسناد الفعل إلى مكانه **نَهْرٌ جَارِي** فالنهر مجري فيه لا جار، لأنه المكان الذي يجرى فيه الماء، وأصله جرى ماء النهر أي جرى ماء في النهر ثم حذف الفاعل وأسند الفعل إلى المكان، فقيل جرى النهر وهذا معنى كونه مجازا، ثم سبك من الفعل اسم فاعل وأخبر به عن النهر، ومثال إسناد الفعل إلى سببه، قول الأمير **وقَدْ بَنَيْتُ مَسْجِداً** فالأصل بنى العَمَلَةُ مسجدا بسبب أمري، فحذف الفاعل وأسند الفعل إلى المتكلم وهو الأمير، لأنه سببه، وهذا معنى كونه مجازا، ومنه قوله تعالي: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾[3] فإن الزيادة فعل الله والآيات سببها .

تنبيه

اعلم أن المجاز العقلي يجرى في النسبة الإيقاعية والإضافية بلا خلاف، كما جرى في الإسنادية، وكذلك الحقيقة العقلية تجرى فيهما أيضا، ونعنى بالإيقاع إيقاع الفعل على مفعوله، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ 151﴾[4] فإنه أوقع الإطاعة على الأمر، والأصل إيقاعها على ذي الأمر،

(1) . انظر حاشية سليمان الجربي على مختصر التفتزاني ج1 ص115، دراسة وتحقيق يحيى بن بهون حاج امحمد ط1 دار المقتبس.

(2) – سورة المزمل، الآية: 17

(3) – سورة الأنفال، الآية: 2

(4) – سورة الشعراء، الآية: 151

فالأصل لا تطيعوا المسرفين في أمرهم، ونحو نوّمتُ الليل بتشديد الواو، وأجريتُ النهر، والأصل نوّمته في الليل، وأجريت ماء في النهر، فحذف ما حق الفعل أن يقع عليه ووقع على غيره، وهو الليل والنهر، ومثاله في الإضافة قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا**﴾[1] أصله شقاق الزوجين بينهما، [30] فحذف الزوجين[2] وأضيف الشقاق إلى بينهما، اتساعا على سبيل المجاز، ومنه قوله: ﴿**بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ**﴾[3] إن جعلت الإضافة بمعنى اللام، وإن جعلت بمعنى في فلا يكون مجازا بل حقيقة انتهى .

. . **وقَائِـــــــــــــــــلْ أَوَّلُـــهُ يُخْـــرِجُ قَـــوْلَ الجَاهِـــلْ**

يعنى أن قوله في تعريف المجاز العقلي، وقد أوله يخرج قول الجاهل أنبت الربيع البقل عن حد المجاز، وإن كان إسنادا إلى ما ليس له في الواقع، لأنه لا تأول فيه للمتكلم، لأنه مراده ومعتقده، **مِنْ ثَمَّ** أي من أجل اشتراط التأول في المجاز **لَمْ يُحْمَلْ عَلَى ذَا الْحُكْمِ** أي على المجاز العقلي، فهو المشار إليه بقوله **أَشَابَ كَرُّ الدَّهْرِ دُونَ عِلْمِ** المأخوذ من قول الشاعر:

أشَـــابَ الصَّـــغيرَ وأفْنَـــى الْكَبيـــرَ كَـــرُّ الغـــداة ومـــرّ العشـــى[4]

حيث أسند أشاب وأفنى إلى الكر والمر دون علم أو ظن من المخاطب بفتح الطاء إن قائله لم يعتقد ظاهره لاحتمال أن يكون معتقدا له، فيكون حقيقة كقول الجاهل .

ولأجل اشتراط التأول في المجاز

وَقُـلْ مَجَـازٌ قَـوْلُ فَضْـلِ الْأَلْمَعِـي مَيَّـزَ عَنْـهُ قُنْزُعًـا عَـنْ قُنْزُعِـي
جَـذْبُ اللَّيَـالِي أَبْطِئِـي أَوْ أَسْـرِعِي

أيْ احكم على قوله بأنه مجاز حيث أسند ميز المكنى به عن الشيب في الرأس إلى جذب الليالي،

---

(1) – سورة النساء، الآية: 35

(2) – فحذف الزوجان على الأصح.

(3) – سورة سبإ، الآية: 33

(4) – البيت من المتقارب، وهو للصلتان العبدي وهو في الكامل بتحقيق د. عبد الحميد هنداوي 3/ 25، والبيت جاء ضمن عدة أبيات له في الشعر والشعراء ومنها:

إذا ليلـــة هرّمـــت يومهـــا أتـــى بعـــد ذلـــك يـــوم فـــتي
نـــروح ونغـــدو لحاجاتنـــا وحاجـــة مـــن عـــاش لا تنقضـــي

أي مضيها لأجل القرينة اللفظية، وهي إسناده الفعل إلى الله آخر كلامه :

لِقَوْلِهِ عُقَيْبَ هَذَا المَطْلَعِ

أي بُعَيْد هذا المَيْز،

أَفْنَاهُ قِيلُ اللهِ للشَّمْسِ اطْلُعِي حَتَّى إِذَا وارَاكِ أُفْقٌ فَارْجِعِي

فإنه دل على أنه يعتقد أن الأفعال كلها لله، وأنه المبدئ المعيد، وأنه المنشئ والمفني، فيكون الإسناد هناك على تأول أن جذب الليالي لميز أو سبب له، والضمير في قوله عنهللرأس، والأفق ما بين السماء والأرض .

أَقْسَامُهُ حَقِيقَتَانِ الطَّرَفَانْ أَوْ فَمَجَازَانِ كَذَا مُخْتَلِفَانْ

يعنى أن أقسام المجاز العقلي أربعة، باعتبار الحقيقة والمجاز طرفيه، أعني المسند إليه والمسند ؛ لأن الطرفين إما أن يكونا حقيقتين وضعيتين، نحو أنبت الربيع البقل، فكل من الإنبات والربيع مستعمل في حقيقته الموضوع هو لها، أو مجازين وضعيين، نحو أحيا الأرض شباب الزمان، فإن المراد بإحياء الأرض إحداث نضارتها بالنبات والإحياء، في اللغة إيجاد الحياة، وهي صفة تقتضي الإحساس بالحواس الخمس، والحركة الإرادية، وكذا المراد بشباب الزمان زيادة الزمان لقوة الأرض المؤثرة، والشباب لغة كون الحيوان في زمان تكون حرارته الغريزية مشبوبة، أي قوية مشتعلة، وإما أن يكونا مختلفين، فيكون المسند حقيقة، والمسند إليه مجازا أو بالعكس .

فالأول :

كَأَنْبَتَ البَقْلَ شَبَابُ الْعَصْرِ

أيْ الزمان، فالمسند وهو أنبت مستعمل فيما وضع له، والمسند إليه وهو شباب العصر [31] مستعمل في غير ما وضع له، ومثال الثاني وهو العكس أي كون المسند مجازا، أو المسند إليه حقيقة :

والْأَرْضَ أَحْيَاهَا رَبِيعُ الزَّهْرِ

فالمسند وهو أحيا مستعمل في غير ما وضع له، والمسند إليه وهو الربيع مستعمل فيما وضع له .

أقسامه مبتدأ والضمير فيه عائد إلى المجاز، والخبر محذوف تقديره أربعة، وقوله الطرفان مبتدأ خبره حقيقتان، قدم عليه، والجملة استئنافٌ بيانيٌّ، فكأنَّ سائلا لمّا سمعَ قولَه: أقسامُه أربعة، سأل ما

تعدادها ؟ فقيل حقيقتان إلخ انتهى .

قال في الإتقان: وهذا القسم يعنى المجاز العقلي أربعة أنواع،

أحدها: ما طرفاه حقيقتان، كالآية المصدر بها يعنى ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ وكقوله ﴿وَأَخْرَجَتِ الأرض أَثْقَالَهَا 2﴾[1]

ثانيها: مجازيان، نحو ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾[2] أي فما ربحوا فيها، وإطلاق الربح والتجارة هنا مجازا .

ثالثها، ورابعها: ما أحد طرفيه حقيقي دون الآخر، أما الأول أوالثاني كقوله ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾[3] أي فَهُوَ يَتَكَلَّمُ، أي بُرْهاناً، ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ 15 نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ 16﴾[4] فإن الدعاء من النار مجاز، وقوله ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا 4﴾[5] ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾[6] ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ 8﴾[7] فاسم الأم لهاوية مجازا، أي كما أن الأم كافلة لولدها وملجأ له، كذلك النار للكافرين كافلة ومأوى لهم انتهى كلامه .[8]

قلتُ: المجاز العقلي في قوله ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ ليس في النسبة الإسنادية التي هي نسبة الإنزال إلى المتكلم وهو الله، إنما هو في النسبة الإيقاعية، وهي نسبة الإنزال إلى السلطان، وهو البرهان، وقد مر أنه يدخلها .

وَشَـاعَ فِي الْإِنْشَـاءِ والْقُـرْآنِ   يَقُـولُ يَا هَامَـانُ مَثِّـلْ ذَانِ

(1) – سورة الزلزلة، الآية: 2

(2) – سورة البقرة، الآية: 16

(3) – سورة الروم، الآية: 35

(4) – سورة المعارج، الآية: 16.15

(5) – سورة محمد، الآية: 4

(6) – سورة إبراهيم، الآية: 25

(7) – سورة القارعة، الآية: 9

(8) – الإتقان للسيوطي م س ج3 ص122

يعنى أنَّ المجازَ العقليَّلا يختص بالخبر وكلامِ البشرِ، بل شاعَ مَجيئُهُ في الإنشاءِ والقُرآن، أيْ كلام اللهِ نحو قوله تعالي: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا﴾[1] أي قَصْرا، فإن البناء فعل العملة، وهامان سبب آمر، وكذا قوله ﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾[2] فإن الإخْراج فعلُ الله، وإبليسُ سببٌ، وكذا ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ 151﴾ ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ﴾[3]

وتقرير البيت: وشاع مجيء المجاز العقلي في الإنشاء والقرآن بقول الله ﷻ: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا﴾ مثِّل أنتَ أيها السامع ذانِ أي مجيئه في القرآن والإنشاء معا .

وقوله ذان مفعول به لقوله مثل على لغة من يلتزم الألف في المثني مطلقا على حد ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾[4]انتهى .

قال في الإتقان: " لا خلاف في وقوع الحقائق في القرآن، وأما المجاز فالجمهور أيضا على وقوعه فيه، وأنكره قوم منهم الظاهرية، وابن القاص[5] من الشافعية، وابن خويز منداد[6] من المالكية، وشبهتهم أن المجاز أخو الكذب، والقرآن منزه عنه، [32] وأن المتكلم لا يعدل إليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير، وذلك محال على الله تعالى، وهذه شبهة باطلة، ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن، فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، ولو وجب خلو القرآن من المجاز وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيرها انتهي " .[7]

وَشَـــــرْطُهُ قَرِينَـــــةٌ تُقَـــــالُ أَوْ مَعْنَوِيَّـــــــــــــــــةٌ . .

---

(1) - سورة غافر، الآية: 36

(2) - سورة طه، الآية: 114

(3) - سورة هود، الآية: 87

(4) - سورة طه، الآية: 63

(5) - ابن القاص، أبو العباس، أحمد بن أبي أحمد الطبري الشافعي، كان واليا على طرطوس ومات بها مرابطا عام 335. انظر ترجمته في: «طبقات الشيرازي» (111)، «وفيات الأعيان» لابن خلِّكان (1/ 68)، «طبقات الشافعية» للسبكي (59/3)

(6) - ابن خويز منداد المتوفى سنة 390 هجري نقل ابن عبد البر المتوفى سنة 463 هجري إن ابن خويز منداد فقيه من فقهاء المالكية تكلم عليه القاضي عياض في ترتيب المدارك ترجمته في

(7) - الإتقان م س ج3 ص120

يعنى أنه لا بد للمجاز العقلي من قرينة صارفة عن ظاهره ؛ لأن المتبادر إلى الفهم عند انتفاء القرينة هو الحقيقة، إذا كان الظاهر صادقا باتفاق، وإن كان كاذبا فالسعد يحمله عليها، والسير يتوقف، فقد تكون القرينة لفظية، كقول أبي النجم

قَدْ أبحت أمُّ الخيار تدَّعي — علي ذنبا كلَّه لم أَصْنع
لما رأت راسي كراس الأصلع — مَيَّزَ عنه، قُنزُعا عَن قُنْزُع
جذبُ الليالي أبطئي أو اسرعي — أفناهُ قيلُ الله للشمس اطلعي
حتى إذا واراك أفق فارجعي . [1] — أفناهُ قيلُ الله للشمس اطلعي

قوله: ميز عنه قال الحفيد: يمكن أن يكون عن بمعني في، أي ميز فيه، أي في الرأس القنزع عن القنزع، بانحسار ما بينهما، والقنزع الشعر المجتمع حوالي الرأس، وجملة ميز عنه قنزعا، قال عصام: مفسرة لرؤية الرأس، كرأس الأصلع، مبينة لوجه الشبه، وقوله جذب الليالي، قال عصام: أي مضي أكثر العمر، من قولهم جذب الشهر أي مضت عامته، وقوله أبطئي أو اسرعي حال من الليالي، بتقدير القول أو الأمر، بمعني الخبر، أي تبطئ وتسرع، وقوله أفناه أي أبا النجم، أو شعر رأسه، فهذه القرينة اللفظية، وهي إسناده الإفناء إلى الله لفظا دليل على أنه يعتقد أن الفعل لله، وأنه المنشئ والمفني، فيكون إسناد ميز إلى الليالي المجذوبة بتأول بناء على أنه زمان أو سبب عادي، وقد تكون القرينة معنوية .

وتقرير البيت: وشرطه أي المجاز العقلي قرينة تقال أي قرينة مَقالية أي لفظية، أو قرينة معنوية .

كَمَا يُحَالُ،

قِيامُهُ فِي عَادَةٍ بِالْمُسْنَدِ — أَوْ عَقْلٍ أو يَصْدُرُ مِنْ مُوَحِّدِ

يعني أنه يشترط في المجاز العقلي قرينة لفظية، كما مثلنا، أو معنوية، كاستحالة قيامه أي المسند في عادة بالمسند إليه، أو عقل، أي أو استحالة قيامه به في عقل، وكان يصدر المسند منسوبا إلى مسند إليه، لا تصح نسبته إليه شرعا، إلا على سبيل المجاز من متكلم موحد لله كامل توحيده .

(1) – الكتاب لعمرو بن عثمان الملقب سيبويه، ج1 ص85، ت ع السلام محمد هارون، ط3 ، مكتبة الخانجي القاهرة، ولم يذكر إلا البيت الأول، وقد نسبه فعلا إلى أبي النجم العِجْلي، غير أن أغلب المحققين على أن الأبيات في المجموع من شعره.

قوله: كما يحال قيامه في عادة بالمسند أي إليه، فحذف إليه وهذا هو الاكتفاء الآتي في البديع، وقوله أو يصدر عطف على قوله كما يحال .

مثال استحالة قيام المسند بالمسند إليه عادة :

كَهَــزَمَ الأَمِــيرُ جُنْــدَهُ الغَــوِي

فهَزْمُ الأمير وحده للجند مُحالٌ عادة، والاستحالة قرينة على [33] أن إسناد الهزم إلى الأمير مجاز عقلي، وإنما هو لجنوده، وهو سبب آخر .

ومثال استحالةِ قيامه به عقلا :

وجَــاءَ بِي إِلَيْــكَ حُبُّــكَ الْقَــوِي

فالأصل جاء بي إليك نفسي، بسبب حبك القوي ؛ لأن قيام المجيء الذي هو عرض بالمحبة، وهي عرض ظاهر الاستحالة، إذ العرض لا يقوم بالعرض، وإنما يقوم بالذات، ومثال صدور المسند منسوبا إلى مسند إليه، لا يصح قيامه به شرعا إلا على سبيل المجاز من موحد، قول المؤمن: " أنبت الربيع البقل" فمثل هذا إذا صدر من الموحد الكامل يكون مجازا ؛ لأن الموحد الكامل لا يعتقد أنه أسنده إلى ما هو له .

وَفَهْــمُ أَصْــلِهِ يَكُــونُ واضِــحَا … كَرَبِحَــتْ تِجَــارَةٌ أَيْ رَبِحَــا

يعني أن فهم أصله، أي الفعل، أي ما له الفعل أصلا، أي حقيقة في المجاز العقلي، يكون واضحا أي ظاهرا، كربحت تجارة من قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ أي فما ربحوا فيها .

قال الجربي: " يعنى أن موضع إسناد الربح في الحقيقة هو صاحب التجارة، لكن لما كانت التجارة سببا في الربح أسند إليها، وكون فاعل الربح هو صاحب التجارة لا التجارة نفسها أمر ظاهر " (1) .

قوله: أي ربحا تفسير لما له الربح حقيقة، وهو صاحب التجارة، ويكون:

وَذَا خَفَــا كَسَــرَّنِي مَنْظَرُكَــا … أَيْ سَــرَّنِي اللهُ لَــدَى رُؤْيَتِكَــا

يعني أن فهم أصل الفعل في المجاز العقلي، أي ما له الفعل حقيقة، يكون ذا خفاء، أي صاحب

(1) - حاشية الجربي م س ص121

خفاء، كسرني منظرك، أي سرني الله لدى رؤيتك ؛ لأن إسناد المسرة إلى المنظر أي الرؤية مجاز، وإلى الله تعالى حقيقة، لكن فيه خفاء، إذ الفاعل بحسب الظاهر هو الرؤية لا شيء آخر، فيحتاج إلى تأمل .

ومنه قول أبي نواس:

يُرينا صَفحتيْ قمرٍ ... يفوقُ سَناهما القَمَرا

يزيدُك وجهُه حُسنا ... إذا ما زدته نظرا[1]

أي يزيدك الله حسنا في وجهه مهما كررت النظر فيه لما أودعه من دقائق الحسن والجمال، مع أن تكرار النظر في الشيء قلما يحلو، فلا يظهر كون فاعل الزيادة الله، إلا بعد تأمل، قوله: أي سرني الله لدى رؤيتك، تفسير لما له الفعل حقيقة .

تنبيه

اعلم أنه لا بد لفعل المجاز العقلي إذا بني للفاعل من ثبوت فاعل له حقيقي، إذا أسند إليه يكون الإسناد حقيقة، وكذا إذا بني للمفعول لا بد أن يكون له مفعول حقيقي، إذا أسند إليه يكون الإسناد حقيقيا، لكن لا يلزم إسناد الفعل إلى ما هو له، لجواز أن لا يسند إلى ما هو له قطعا، كما أن المجاز الوضعي لا بد أن يكون له موضوع، إذا استعمل فيه يكون حقيقة، لكن لا يجب أن يستعمل فيه، لجواز أن لا يستعمل فيه قطعا، فهذا مذهب الرازي قائلا: أن الفعل لا بد له من فاعل حقيقة، لامتناع صدور الفعل لا عن فاعل، فهو إن كان ما أضيف إليه [34] الفعل فلا مجاز، وإلا فيمكن تقديره، وقدره السكاكي، وتبعه صاحب التلخيص، وخالفه الشيخ عبد القاهر الجرجاني، فقال: لا يجب أن يكون لفعل المجاز العقلي فاعل حقيقة أو مفعول به، إذا أنت نقلت الفعل إليه صار حقيقة، فإنك لا تستطيع في نحو " يزيدك وجهه حسنا " وصيرني من قوله " وصيرني هواك وفى لحيتي يضرب المثل" أن تزعم أن له فاعلا قد نقل عنه الفعل، فجعل للوجه وللهوي، والرازي قدره " صيرني الله بسبب هواك، ويزيدك الله بسبب النظر في وجهه حسنا" وقال إن الشيخ لم يطلع على حقيقة الفاعل في تلك

(1) . ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ ت199هـ، ص143، ت أحمد عبد المجيد الغزالي، ط1 دار الكتاب العربي . بيروت.

الأمثلة لخفائه، وقول الشيخ صوبه السعد والسيد ؛ لأن كل ما كان فعلا اصطلاحيا، لا يجب أن يكون مصدره أمرا موجودا صادرا عن شيء، بل إن كان لازما كالسرور والقدوم والقرب كان مصدره موجودا صادرا عن فاعل، فإن كان ما أسند له كان الإسناد حقيقة، وإن كان غيره كان الإسناد مجازا، وإن كان متعديا كالمسرة والتصيير والإقدام، في " أقدمني بلدك حق لي على فلان" كانت عدمية لا تحتاج إلى فاعل تصدر عنه، فهذا مراد الشيخ .

وَيُوسُـــفٌ أَنْكَـــرَ هَــــذَا جَاعِلَــــهْ	كِنَايَـــــــــةً بِأَنْ أَرَادَ فَاعِلَــــــــهْ
حَقِيقَـــةً ونِسْـــبَةُ الإِنْبَـــاتِ لَـــهْ	قَرِينَـــــــةٌ وقَـــــدْ أَبَاهُ النَّقَلَـــــهْ

يعنى أن يوسف السكاكي أنكر هذا أي المجاز العقلي، أي أنكر وقوعه في كلام العرب حال كونه جاعله، أي جاعلا ما ذكر من أمثلة المجاز العقلي استعارة بالكناية، بأن أراد فاعله الحقيقي، أي بسبب أن قال إن المراد بالفاعل في المجاز العقلي الفاعل الحقيقي، فالمراد عنده بالربيع في قول المؤمن: أنبت الربيع البقل الله، فاستعير لفظ الربيع لله استعارة بالكناية، ونسبة الإنبات الذي هو من لوازم الفاعل الحقيقي أي الله للربيع، هي قرينة الاستعارة، وقد أبى قوله النقلة، جمع ناقل، لأنه يلزم عليه أن يتوقف أنبت الربيع البقل وشفى الطبيب المريض وسرتني رؤيتك ونحوه مما يكون الفاعل الحقيقي فيه هو الله تعالى على وروده من الشارع ؛ لأن أسماء الله توقيفية، واللازم باطل ؛ لأن مثل هذا التركيب شائع ذائع عند القائلين بأن أسماء الله توقيفية، وغيرهم سمع من الشارع أم لا، وهذا رد لا يمكن الجواب عنه، ورد عليه أيضا بأنه يلزم على قوله الفساد والمحال، وما ينتج المحال محال .

قال في التلخيص: " لأنه يستلزم أن يكون المراد بعيشة في قوله تعالي: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ 20﴾ صاحبَها " . (1)

قال الجربي: " لأن على مذهبه شبهت العيشة بصاحب العيشة، وهو زيد مثلا من حيث تعلق الفعل بهما [35] ؛ لأن العيشة مرضية، كما أن صاحبها راض، ثم أفرد المشبه بالذكر وأريد به المشبه به الذي هو صاحب العيشة، فيلزم أن يكون المراد بالعيشة صاحبها، وكذا الضمير الراجع إليها من

(1) . الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين القزويني، ج1 ص 102، ت محمد ع المنعم خفاجي، ط3 دار الجيل. بيروت.

راضية للزوم اتحاد معنى الضمير ومرجعه، فتقول معنى الآية فهو في صاحب عيشة راض، وضمير هو المراد به صاحب العيشة، فيلزم أن يكون الشيء ظرفا لنفسه، وذلك محال، ورد عليه أيضا بنحو قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ مما أضيف فيه الفاعل المجازي إلى الفاعل الحقيقي، لبطلان إضافة الشيء إلى نفسه، ورد عليه أيضا بأن لا يكون أمر العملة بالبناء منسوبا لهامان في قوله تعالى: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ بأن يكون فرعون هو الآمر لهم بنفسه في هذا الكلام ؛ لأن فاعل ابن هو هامان مرادا به الفاعل الحقيقي الذي هو العملة أنفسهم، وعدم كون الأمر لهامان بَاطِلٌ، إذْ لا يكون حينئذ لندائه وخطابه فائدةٌ " . [1]

أحوالُ المُسنَدِ إليهِ

أي الأمور العارضة له التي يطابق اللفظ بسببها مقتضي الحال احترازا عن العارضة له وليست بتلك الصفة، ككونه عرضا أو جوهرا قائما بنفسه، أو بمحل ونحو ذلك .

فَلاجْتِنَــــابِ عَبَــثٍ قُــلْ حَذْفُــهُ ... أَوْ لاِخْتِبَـــارِ سَـــامِعٍ هَـــلْ يَنْبُــهُ

يعني أنه يحذف المسند إليه لأجل اجتناب العبث، إذا كان في ذكره عبث، بأن كان لا فائدة في ذكره، كقول المستهل الهلال لدلالة القرينة عليه، لكن لا بناء على الحقيقة وما في نفس الأمر، بل بناء على الظاهر لوجود القرينة، فيستغني عن ذكره فيكون عبثا بهذا المعني لا بالحقيقة، إذ هو الركن الأعظم من الكلام، فكيف يكون ذكره عبثا، ويحذف أيضا لأجل اختبار مطلق تنبه السامع وفطانته، هل يفهم بالقرائن أو لا يفهم إلا بالتصريح، كما تقول عند حضور جليس رجلين أحدهما له صحبة مع السامع دون الآخر غادر والله أي صاحبك ؛ لأن الغدر مناسب للصحبة .

وتقرير البيت: فلأجل اجتناب عبث قل أنت أيها السامع حذفه أي المسند إليه، أو لأجل اختبار فطنة سامع، هل ينبه أي يفهم بالقرائن أو لا يفهم إلا بالتصريح .

قوله: حذفه مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله، وجملة الأمر وهي قل معترضة بين المبتدأ وخبره، وقوله أو لاختبار سامع معطوف على قوله لاجتناب، وإنما قدم الحذف على سائر الأحوال، لأنه

(1) . حاشية الجربي م س ج1 ص220

عبارة عن عدم الإتيان بالمحذوف، والعدم متقدم على الوجود، لتأخر وجود الحادث عن عدمه السابق، وإنما لم يعتبر عدمه اللاحق المتأخر مع أن الحذف إسقاط، فمناسبته للعدم [36] اللاحق أقوى ؛ لأن الواقع هنا في نفس الأمر هو العدم السابق، إذ التحقيق أنه لم يؤت بالمسند إليه أصلا، لا أنه أوتي به ثم أسقط انتهى .

أَوْ قَدْرِ فَهْمِهِ أيْ السامع، يعنى أن المسند إليه يحذف لأجل اختبار قدر فهم السامع، هل يفهم بالقرائن الخفية أم لا ؟ كما تقول مثلا عند حضور رجلين أحدهما أقدم صحبة مع السامع من الآخر، أهل للإحسان والله، تريد أقدمهما صحبة، وهو زيد، اختبارا لمقدار ذكاء المخاطب، هل ينتبه لهذا الحذف بهذه القرينة الخفية، وهي أن أهل الإحسان ذو الصداقة القديمة دون حادثها، أم لا ؟

قوله: أو قدر فهمه معطوف على قوله سامع هل ينبه انتهى .

. . **وجُنْحٍ لِدَلِيلْ أَقْوَى هُوَ العَقْلُ لَهُ قُلْتُ عَلِيلْ**

يعنى أن المسند إليه يحذف لقصد المتكلم لجنح أي عدول لدليل أقوى، أي قصده أن يلقي في خيال السامع أنه جنح وعدل إلى أقوى الدليلين من العقل واللفظ، وهو العقل ؛ لأن الاعتماد عند الذكر على دلالة اللفظ من حيث الظاهر، وعند الحذف على دلالة العقل، وهو أقوى وأرجح لاستقلاله بالدلالة كما في العقليات الصرفة، وإن لم يكن مستقلا هنا، بخلاف اللفظ فلا يستقل لافتقاره إلى العقل، فإذا حذفت فقد خيلت أنك عدلت عن الدليل الأضعف إلى الأقوى، قوله له قلت عليل يعنى أن لهذا السر وهو العدول إلى أقوى الدليلين هذا المثال، وهو قوله قلت عليل مثالا، إذا كان جوابا عن سؤال سائل، قال كيف أصبحت ؟ أو كيف أمسيت ؟ فتقول له عليل أي أنا عليل، فقد خيلت له أنك عدلت عن الدليل الأضعف إلى الأقوى .

قال الشاعر:

قال لي كيفَ أصبحتَ ؟ قلتُ عليلْ ... سَهر دائمٌ وحُزْن طَويلْ [1]

لم يقل أنا عليل، للتخييل المذكور .

قوله: وجنح معطوف على قوله لاختبار، وقوله: هو العقل استئناف بياني، فكأن سائلا لما سمع

(1) - مشهور غير منسوب

قوله وجنح إلخ سأل ما الدليل الأقوى ؟ فقال هو العقل، وقوله له قلت علي لمبتدأ وخبر، أي لهذا السر، وهو العدول إلى أقوى الدليلين، هذا الكلام وهو قلت عليل مثالا، فقوله قلت عليل في محل مبتدأ أي هذا الكلام وخبره الجار والمجرور قبله .

أَوْ صَـوْنِهِ عَـنْ ذِكْـرِهِ أَوْ ا[1] صَـوْنِكا   أَوْ لِتَـأَتِّي الْجَحْـدِ إِنْ تَجْـنَحْ لَكَـا

يعنى أن المسند إليه يحذف لأجل صونه أي المسند إليه عن ذكره باللسان، لصونه عن اللسان، لعلو مرتبته، حتى كأن السائل ينجسه إذا مر عليه، كقوله:

أضـاءتْ لهُـم أحسـابُهم ووجـوهُهم   دُجـي الليـلِ حـتى نظـم الجـزع ثاقبـه
نجـومُ سمـاءٍ كلمـا انفـض كوكـبٌ   بـدا كوكـبٌ يأوي إليـه كوكَبُـه[2]

فلم يقل هم نجوم سماء، [37] صونا لهم وتعظيما، وكذا يحذف لصون ذكرك أي لسانك عنه لدناءته، حتى كأن اللسان يتنجس بمروره عليه، كقوله:

قـومٌ إذا أكَلـوا أخْفـوْا كَلامَهُـمْ   واسْـتوْثقُوا مِـن رِتاجِ البـابِ والـدّار

لم يقل هم قوم صونا للسانه عن ذكرهم، وفى معناه قول القائل:

وَإذا ذَكَـرْتكُم غَسَـلْتُ فَمِـي   ولقـدْ عَلِمْـتُ بأنـهُ نَجِـسُ

ويحذف أيضا لتأتي الجحد، أي لأجل أن يتأتى الجحد أي الإنكار إذا افتقر إليه، كأن يقول في حضرة إنسان دلت القرينة على إرادته فاسق، فاجر لم يقل أنت فاسق فاجر، ليقول أي ليتأتى له أن يقول له إذا غضب عليه ما عنيتك .

ومعنى البيت: أو صونه أي المسند إليه عن ذكره باللسان، وصون ذكرك أيها المخاطب أي لسانك عن ذكره، أو لتأتي أي إمكان الجحد أي الإنكار، أن يجنح لك أي أن تواخذ بما قلت .

قوله: أو صونه معطوف على المجرورات قبله، والضمير فيه عائد إلى المسند إليه، وقوله عن ذكره متعلق بصونه، لأنه مصدر، وقوله أو ذكرك معطوف على الهاء المجرور بصونه، وبينهما جناس تام ؛ لأن المراد بالأول معناه الأصلي وهو الذكر، وبالثاني اللسان، وإطلاقه على اللسان مجاز

---

(1) - في النص المطبوع أَوْ صَوْنِكا، عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي، ص36، ت ع الحميد ضحا، ط1 دار الإمام مسلم للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة.

(2) -البيتان لأبي الطمحان القيني، ونسبهما ابن قتيبة للقيط بن زرارة ص272 معجم الشعراء انظر الإيضاح في علوم البلاغة م س ج2ص6.

مرسل، من تسمية الآلة باسم ما يراد منها ؛ لأن اللسان آلة الذكر .

أَوْ كَوْنِـــهِ مُعَيَّنًـــا أَوِ ادِّعَـــا أَوِ الْمَقَـــامِ ضَـــيِّقًا أَوْ سُمِعَـــا

يعني أن المسند إليه يُحذف لكونه مُعينا، أي لتعينه بأن لا يصلح ذلك المقام إلا له حقيقة، نحو ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[1]﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ 107﴾[2] فالمُسندُ إليه اللهُ، وهذا المقامُ لا يصلح إلا له حقيقةً أو ادعاء، أي أو لكونه معينا بأن لا يصلح المقام إلا له ادعاء، نحو وهاب الألوف أي السلطان، حيث لم يصلح غيره لذلك بدعوى المتكلم، وفائدةُ ذكرِ التعيين وهو مستغنى عنه بالاحتراز عن العبث، ذكرها السعد .

وهي الاحتراز عن سوء الأدب في مثل ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ فلا يقال حذف لأن ذكره عبث .

وقال الفنري: " ولا شك أن القصد إلى التعين مغاير للقصد إلى الاحتراز عن العبث، فجاز أن يقصد كل منهما مع الذهول عن الآخر، وأن يقصدا معا، وقس على ذلك سائر النكت التي يمكن اجتماعها " انتهى .

قوله: أو المقام ضيقا يعنى أن المسند إليه يحذف لكون المقام ضيقا عن إطالة الكلام بسبب ضجر المتكلم وسآمته، كقوله: قال لي كيف أصبحت ؟ قلت: عليل، لم يقل أنا عليل للتنبيه على أن شدائد الزمان جعلته بحيث لا يقدر على التكلم بأزيد مما يفيد الغرض، ولا ينافيه ما سبق من أنه للتخييل المذكور، فإنه يمكن أن تقصد نكتتان فأكثر معا، وبحسب ذلك يرتقي الكلام في الحسن والقبول .

قوله: أو سمعا يعنى أن المسند إليه يحذف إذا سمع عن العرب محذوفا ولم تستعمله مذكورا، إذ يجب اتباع الاستعمال لأنه مثل، والمثل لا يغير لأنه استعارة، كقولهم: رمية من غير [38] رام " أي هي أو هذه أو رميتك، ومنه قول أبي أخزم الطائي[3]:

---

(1) – سورة غافر، الآية: 62

(2) – سورة البروج، الآية: 16

(3) – زيد بن أخزم الطائي النبهاني أبو طالب البصري الحافظ ه ترجمة في : تذكرة الحفاظ للذهبي (537/2)

إن بنيَّ خَضّبوني بالدَّم   شِنشِنَةٌ أعْرِفُها مِن أخْزَم[1]

أي هي شنشنة أي طبيعة .

قوله: أو كونه معطوف على المجرورات باللام قبله، وقوله: أو ادعا بالقصر للوزن معطوف على محذوف، أي أو لكونه معينا حقيقة أو ادعاء، وقوله: أو المقام ضيق معطوف على معمولي مصدر كان، أي أو لكون المقام ضيقا، وقوله: أو سمعا معطوف على خبر كان أي خبر مصدرها، أي أو لكونه معينا، أو سمع عن العرب محذوفا من عطف الفعل على الاسم .

تنبيه

بقي على المصنف حذفه لخوف فوات فرصة، كقول الصائد: غزال، فإن المقام لا يسع أن يقول: هذا غزال، حتى يبعد الغزال، وحذفه لصلاح الوزن والسجع .

وَذِكْرُهُ لِلْأَصْلِ أَوْ يُحْتَاطُ إِذْ   تَعْوِيلُهُ عَلَى الْقَرِينَةِ انْتُبِذْ

يعنى أن المسند إليه يُذكر للأصل أي لكون ذكره الأصل، ولم يظهر مقتض للعدول عنه ؛ لأن مجرد الأصالة لا يصلح نكتة، بل لا بد معه من انتفاء المعارض من نكتة أخرى تقتضي خلافه، حتى إذا وجدت نكتة أخرى ترجحت عليه بمجردها، وألقي اعتباره بخلاف بقية النكت، فإن كلا منها نكتة بمجردها، حتى إذا وجد غيرها فلا بد من مرجح، ويذكر أيضا للاحتياط، إذ تعويله على القرينة، انتبذ أي حين انتبذ أي طُرح تعويل المتكلم على القرينة بسبب خفائها، لأجل اشتباه فيها، أو لخفائها في نفسها، كما إذا حضر رجلان أحدهما يظن السامعُ به خيرا، وهو صاحبه، فتقول له: صاحبك غشاش، لأنك لو لم تذكر لفظ الصاحب لربما لم يفهم المراد، ولو دلت قرينة حسن ظنه بالصاحب أنه المراد، لأنه هو المناسب لأن يرد فيه على المخاطب، ولخفاء القرينة وضعف الاعتماد عليها ذكرته احتياطا انتهى .

أَوْ سَامِعٍ لَيْسَ بِذِي تَذْكِير

يعني أن المسند إليه يذكر لقصد التنبه والتفطن لفهم سامع أنه ليس بذي تذكير أي ليس له ذهنٌ

[1]. قال ابن الكلبي: " إن الشعر لأبي أخزم الطائي " انظر مجمع الأمثال للميداني ج1 ص361، ت محمد محي الدين ع المجيد، ط دار المعرفة . بيروت لبنان.

يتذكر به، أيْ لأجل التنبيه على غباوة السامع، وأنه لا يفهم إلا بالتصريح، كما إذ قال قائل: من نبيكم ؟ فتقول له نبينا محمد سيد العالمين، تنبيها على أنه لغباوته حيث سأل عن هذا، جدير بأن لا يتكل معه على القرائن، قوله: أو سامع بالجر معطوف على قوله للأصل واحتياط انتهى .

أَوْ كَثْـــرَةِ الْإِيضَـــاحِ والتَّقْرِيـــرِ

يعني أنَّ المسند إليه يذكر لكثرة الإيضاح والتقرير أي لتكثيرهما حيث كانت القرينة الدالة على حذفه موجودة، والسامع ممن يكتفي بالقرينة أي يفهم بها، لكن في الذكر مع تلك القرينة تقرير للمسند إليه وزيادة إيضاحه، فالإيضاح باعتبار فهم السامع المطلوب، والتقرير باعتبار تمكنه في ذهنه، فزيادة الإيضاح تستلزم التقرير، والتقرير يستلزم زيادة [39] الإيضاح، كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾[1] حيث لم يحذف المسند إليه، يعنى اسم الإشارة الثاني، جاعلا ﴿هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾ خبرا عن اسم الإشارة الأول، فتكرير أولئك أفاد اختصاصهم بكل واحد من الهدى والفلاح على حدة، فيكون كل منهما مميزا لهم عن من عداهم، ولو لم يكرره لربما فهم اختصاصهم بالمجموع، فيكون هو المميز لا كل واحد على حياله أي انفراده انتهى .

واعلم أن المراد بذكر المسند إليه عدم حذفه سواء كان لمسنده عند حذفه مسند إليه آخر كما هنا أم لا، وفى الأطول أن التقرير وزيادة الإيضاح إما للمسند إليه أو لغرض تعلق بتكريره كما هنا، انتهى .

أَوْ قَصْدِهِ تَحْقِيرَهُ يعنى أنَّ المسند إليه يُذكرُ لقصد المتكلم تحقيره نحو السارق اللئيم حاضر **أَوْ رِفْعَتِهْ** أي وكذا يذكر لقصد المتكلم رفعته أي تعظيمه، لكونه يدل على التعظيم، نحو أميرُ المؤمنين يفعل كذا .

أَوِ التَبَرُّكِ بِهِ أَوْ لَذَّتِهْ يعنى أنَّ المسندَ إليه يذكر لقصد المتكلم التبرك به، أي باسمه، نحو محمد ﷺ شفيعنا، وكذا يذكر أيضا لقصد المتكلم لذته، أي التلذذ به، كقولك ليلى حاضرة عند

(1) - سورة البقرة، الآية: 5

قيام القرينة، سواء كان التلذذ حاصلا للمتكلم أو المخاطب أو لهما .

قوله: أو قصده بالجر معطوف على قوله أو كثرة الإيضاح، وقوله تحقيره مفعول قوله قصده، وقولهأو رفعته معطوف على قوله تحقيره، وقوله أو التبرك به، أو لذته معطوفان عليه أيضا .

أَوْ بَسْـــطِهِ الْكَــلامَ حَيْـــثُ يُطْلَــبُ　　　تَطْوِيلُـــه لِكَوْنِـــهِ يُسْـــتَعْذَبُ[1]

يعنى أنه يُذكر لقصد المتكلم بسْطَ الكلام وإطنابه، حيث يطلب تطويله أي الكلام، لكونه أي الكلام يستعذب أي يستعذبه المتكلم أي يستلذه كما إذا كان المتكلم راغبا وطالبا لإقبال السامع على كلامه لعظمة السامع وشرفه، والمتكلم محبوب للسامع أيضا، ولهذا يطال الكلام مع الأحبة كقول موسى: ﴿هِىَ عَصَاىَ﴾[2] ولم يقل عصايَ اسْتِلْذاذاً بخطاب الله تعالى، ولهذا زاد على السؤال ما ترى .

قوله: وبسطه بالنصب معطوف على قوله: تحقيره في البيت قبله .

تنبيـــه

بقي على المصنف من نكت الذكر تشويق السامع بذكر المسند إليه إلى الخبر ليتمكن الخبر في ذهنه إذا ألقي فيه ؛ لأن النفس إذا اشتاقت إلى الشيء ثم نالته كان أمكن عندها كقول المعري:

والـــذِي حـــارَتِ الْبَرِيَّـــةُ فِيـــهِ　　　حَيَـــوانٌ مُســـتحدَثٌ مِـــن جَمـــادِ[3]

وإدخال الهول على السامع بذكره، نحو السلطان يأمرك بكذا، والتعبد بلفظه أي المسند إليه، كقولنا في تكبيرة الإحرام الله أكبر، والتسجيل وهو التقرير والتثبيت كقولك: أنت فاعل كذا ليقول نعم، فلا يتأتى إنكاره بعد ذلك، بخلاف لو قلت فاعل كذا وقال نعم، لإمكان أن يقول أردت غيري، والإشهاد كقولك: هذا الشيء لفلان، [40] ليقع الإشهاد عليه، والتعجب نحو زيد يقاوم الأسد، وهذا كله مع قيام القرينة، إذ لو فقدت في شيء من الصور لكان ذكر المسند إليه واجبا لانتفاء شرط

(1) – في النص المطبوع وهي: أَوْ بَسْطِهِ الْكَلامَ حيثُ يُطْلَبُ --- طُولُ الْمَقامِ كَالذِي يَسْتَعْذِبُ

(2) – سورة طه، الآية: 18

3 . البيت لأبى العلاء المعري في المصباح في المعانى والبيان والبديع لبدر الدين بن مالك ص 15، وفي الإشارات والتنبيهات للجرجانى ص 46 انظر عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ج1 ص174 ت د ع الحميد هنداوي، ط1 1423هـ المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت.

الحذف انتهى .

وَكَوْنُهُ مَعْرِفَةً فَمُضْمَرُ إِذِ الْمَقَامُ غَائِبٌ أَوْ حَاضِرُ

هذا شروع في إيراد المسند إليه معرفة، والمعرفة ما أشير به إلى خارج مختص إشارة وضعية، قاله السيد، فتقييد الخارج بالمختص للاحتراز عن الضمائر العائدة إلى ما لم يختص بشيء قبلها، نحو رجل قائم أبوه، ورُبَّهُ رَجُلا، ونِعْم رجلا، ويالها قصة، ورب رجل وأخيه، فإن هذه الضمائر نكرات، إذ لم يسبق اختصاص المرجوع إليه بحكم .

وقوله: إشارة وضعية احترازا عن النكرات المتعينة عند المخاطب نحو جاءني رجل تعرفه، أو رجل هو أخوك ؛ لأن رجلا لم يوضع للإشارة إلى مختص .

وقد في باب المسند إليه التعريف على التنكير ؛ لأن الأصل في المسند إليه التعريف، وعكس في المسند لأن الأصل فيه التنكير، وذلك لأن المسند إليه محكوم عليه، والمحكوم عليه لا بد أن يكون معلوما للمخاطب حتى يفيد الحكم عليه بشيء مجهول عنده، وهو المسند، فلو كان المسند أيضا معلوما للمخاطب قبل الإخبار لم يفده شيئا، ولا يقال إن الذي تتوقف عليه الإفادة جهل ثبوته للمحكوم عليه لا جهله في نفسه، لأنا نقول: ينبغي أن كمال الإفادة يتوقف على جهله في نفسه أيضا، فإذا كان مجهولا أيضا كانت الإفادة أكثر، وإذا عرفت ذلك فتعريفه لإفادة المخاطب أتم فائدة، وذلك لأن الغرض من الإخبار هو إفادة المخاطب الحكم أو لازمه، وهو أيضا حكم ؛ لأن المتكلم كما يحكم في الأول بوقوع النسبة بين الطرفين يحكم في الثاني بأنه عالم بوقوعها، ولا شك أن الحكم متى كان أبعد من الإبهام كانت الفائدة في الإعلام به أقوى، وكلما ازداد المسند أو المسند إليه تخصيصا ازداد الحكم بعدا من الإبهام كما ترى في قولك: شيء ما موجود، وزيد حافظ للتورية، فالحكم بالوجود على شيء ما متوغل في الإبهام لتوغل المحكوم عليه به فيه الذي هو شيء ما، لبعدهعن التخصيص لكونه أنكر النكرات، والحكم بحفظ التورية على زيد بعيد من الإبهام جدا، لبعد المحكوم عليه به منه، لكونه معرفا أتم تعريف، وإذا عرفت هذا فإفادته أتم فائدة مقام يقتضي أتم تخصيص وهو التعريف والنكرة، وإن أمكن أن تخصص بالوصف بحيث لا يشاركه فيه غيره، نحو اعبد إلها خلق السماء، لكنه لا يكون في قوة تخصيص المعرفة، فإنه وضعي، وتعيين النكرة ليس

بمعتبر في وضعها، فهذه الفائدة العامة في ترجيح مطلق التعريف .

وأما الخاصة فقد ابتدأ تفصيلها بقوله: وكونه معرفة إلخ يعنى أن المسند إليه يعرف بالإضمار إذا كان المقام إخبارا عن غائب أو حاضر من متكلم أو مخاطب، ولا مقتضى للعدول عنه[41] نحو:

ونحـن التـاركون لِمـا سَـخِطنا ... ونحـن الآخـذون لمـا رَضـينا

ونحو:

وأنـتَ الـذي أخلفتـني مـا وعـدتني ... وأشمـتَّ بي مَـن كـان فيـكَ يلـوم

إذا كان المقام مقام حضور .

ونحو:

هـو البحـرُ مـن أي النـواحي أتيتَـه ... فلُجَّتـه المعـروفُ والجُـودُ سـاحلُهْ[1]

إذا كان المقام مقام غيبة، لتقدم ذكر مرجع الضمير المسند إليه، وإلا فكون الشيء غائبا لا يستدعي الضمير ؛ لأن الأسماء الظاهرة للغيبة .

وتقرير البيت: وكونه أي المسند إليه معرفة كائن بمضمر أي بتعريفه بإضمار، ومضمر مصدر ميمي من غير الثلاثي، إذا كان المقام مقام غائب، أي مقام إخبار عنه، أو مقام حاضر .

قوله: وكونُه مبتدأ خبره بمضمر، وقوله: مقام غائب إلخ خبر كان محذوفة هي واسمها .

وَالْأَصْـلُ فِي الْخِطَـابِ أَنْ يُعَيَّنَـا ... مُخَاطَـبٌ وفَقْـدُ ذَاكَ يُعْتَـنَى

يعنى أن الأصل في الخطاب أن يعين فيه مخاطب، أي أن يكون لمعين واحدا كان أو أكثر لأن وضع المعارف على أن تستعمل في معين مع أن الخطاب توجيه الكلام إلى حاضر فيكون معينا .

قوله: وفقد ذاك يعتنى يعنى أن فقد تعيين المخاطب بالخطاب يُعتنيأي يقصد عدم تعيين مخاطب به، فيؤتى بالخطأ على سبيل العموم من إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، بل هو في الحقيقة من وضع المضمر مكان المظهر .

كَقَوْلِـهِ سُـبْحَانَهُ ولَـوْ تَـرَى ... لِكَـيْ يَعُـمَّ كُـلَّ شَـخْصٍ قَـدْ يَـرَى

---

[1] . البيت في ديوان دعبل بن علي الخزاعي، شرحه حسن حمد، ص210، ، دار الكتاب العربي، وينسب كذلك إلى أبي تمام، وقد نص على ذلك صاحب نهاية الأرب في فنون الأدب ج3 ص184، ط1 دار الكتب والوثائق القومية.

أيْ كقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾[1] أخرج الكلام في صورة الخطاب لكي يعم كل شخص قد يرى، أي لكي يعم كل شخص تصح منه الرؤية، إذ المراد أن حالتهم تناهت في الظهور بحيث لا يختص برؤيتها راء دون آخر، فلا يختص بالخطاب مخاطب دون مخاطب، بل كل من تتأتى منه الرؤية فله مدخل فيه .

تنبيـــه

اعلم أن الخطاب العام يكون عمومُه صلاحيّا إذا كان لفظه غير جمع، بأن كان مفردا أو مثني، ومعنى كونه صلاحيا أنه صالح لأن يخاطب به كل واحد أو اثنين على سبيل البدل نحو ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ﴾[2] وكقولك: فلان لئيم إن أحسنت إليه أساء إليك، ويكون عمومه شموليا يستغرق جميع أفراد المخاطبين دفعة إذا كان جمعا نحو ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[3] ولا يُشكل بأن هذا يجعل الضمير شائعا ؛ لأن هذا أمرٌ عارضٌ في الاستعمال ليس بحسب الوضْع، ونظائرُهُ كثيرةٌ .

وَعَلَـــمٌ لِأَجْـــلِ أَنْ يَحْضُـــرَ فِي ذِهْـــنٍ بِعَيْنِـــهِ بِاِسْمِـــهِ الْـــوَفِي
فِي الِابْتِـــدَا كَقُـــلْ هُـــوَ اللهُ أَحَـــدْ

يعني أن المسند إليه يعرف بعلم أي بإيراده علما، وهو ما وضع لشيء مع جميع مشخصاته التي يتميز بها عن غيره، كالطول والعمق، وكونه أبيض أو أسود ونحو ذلك من الفوارض الذاتية، وإنما يورد علما [42] لأجل إحضاره بعينه، أي بشخصه في ذهن السامع بحيث يكون مميزا عما عداه باسمه الوفي، أي باسمه الوافي بتمييزه في الابتداء، أي أول مرة، وإذا كان عند أول فلا بد أن يكون باسم مختص به أي بالمسند إليه بحيث لا يطلق على غيره باعتبار هذا الوضع، ك ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ 1 ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ 2﴾[4] فاحترز بقوله بعينه أي شخصه عن إحضاره باسم جنسه، وبقوله باسمه الوفي بتمييزه

(1) – سورة الأنعام، الآية: 27

(2) – سورة السجدة، الآية: 12

(3) – سورة البقرة، الآية: 43، والنور، الآية: 56

(4) – سورة الصمد، الآية: 2.1

أي المختص به عن إحضاره ببقية المعارف، فإنه يمكن إحضاره بعينه بكل واحد منها، لكن ليس شيء منها بمختص بمسند إليه معين ؛ لأن التحقيق فيها أنها كلية وضعا جزئية استعمالا .

وقولي: باعتبار هذا الوضع يدخل العلم المشترك، فإن تناول زيد مثلا لشخص آخر باعتبار وضع آخر لا يخرجه عن العلمية انتهى .

قوله: وعلم بالجر معطوف على قوله بمضمر .

أَوْ لِكِنايَةٍ يعنى أنه يُوردُ علماً لأجل كناية عن معنى يدل عليه العلم نحو أبو لهب فعل كذا كناية عن كونه جهنميا، بالنظر إلى الوضع في أبي لهب ؛ لأن معناه ملازم النار وملابسها، كما يقال هو أبو الخير وأبو الحرب، لمن يلابس ذلك، واللهب الحقيقي لهب جهنم، فالانتقال من أبي لهب إلى كونه جهنميا انتقال من الملزوم إلى اللازم، أو من اللازم إلى الملزوم على اختلاف الرأيين في الكناية ؛ لأن هذا اللزوم ليس بحسب الوضع العلمي فقط، بل مع ملاحظة الوضع الإضافي، إذ يفهم عند استعمال اللفظ في المعنى العلمي المعنى الإضافي، لأنه يلتفت إلى المعاني الأصلية عند الاستعمال في المعاني الخالية ثم ينتقل منه أي من الأصلي وهو ملازم اللهب إلى الجهنمي انتهى .

قوله: أو لكناية معطوف على قوله لأجل أن يحضر انتهى .

وَرِفْعَةٍ وضِدْ يعنى أن المسند إليه يورد علما للدلالة على رفعته وتعظيمه إذا كان العلم صالحا لذلك، نحو زين العابدين فعل كذا، وكذا يورد علما للدلالة على ضد الرفعة وهو التحقير إذا كان صالحا لذلك، نحو كليب فعل كذا، وأنف الناقة فعل كذا .

قوله: ورفعةٌ وضد معطوف على قوله كناية .

أَوْ لِتبَرُّكٍ ولَذَّةٍ يعنى أن المسند إليه يورد علما للتبرك به إذا كان يتبرك به نحو الله الهادي، عند تقدم ذكر الله تعالى، فإنه يكفى أن يقول: هو الهادي، لكن ذكر اسمه العلم للتبرك بذكره، وكذا يورد أيضا علما للتلذذ به إذا كان صالحا لذلك، كقول قيس:

بالله يا ظبيـاتِ القـاعِ قُلـنَ لنـا ... لـيْلايَ مـنكنَّ أم ليلَـى مـنَ البشـرِ

ولم يقل أمْ هي من البشر، إعلاما بالاستلذاذ باسمها العلم .

تنبيه

من نُكَتِ التَّعْرِيفِ بِالْعِلْمِيَّةِ التَّفَاؤُلُ نَحْوَ سَعْدٌ فِي دَارِكَ، والتَّطَيُّر، نَحْوَ حَرْبٌ فِي دَارِكَ، والسَّفَّاحُ عِنْدَكَ .

ومَـــــا يُوصَـــلُ لِلتَّقْرِيـــرِ أَوْ أَنْ فُخِّمَـــا .

هَذَا شُرُوعٌ فِي مَقَامَاتِ تَعْرِيفِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ بِالصِّلَةِ، ومَقَامُ الْمَوْصُولِيَّةِ هُوَ أَنْ يَصِحَّ إِحْضَارُ الشَّيْءِ بَوَاسِطَةِ جُمْلَةٍ مَعْلُومَةٍ لِلْإِنْتِسَابِ إِلَى مُشَارٍ إِلَيْهِ بِحَسَبِ الذِّهْنِ ؛ لأن وضْعَ الْمَوْصُولِ عَلَى أَنْ يُطْلِقَهُ الْمُتَكَلِّمُ [43] عَلَى مَا يَعْتَقِدُ أَنَّ الْمُخَاطَبَ يَعْرِفُهُ بِكَوْنِهِ مَحْكُومًا عَلَيْهِ بِحُكْمٍ حَاصِلٍ لَهُ، ولِذَا كَانَتِ الْمَوْصُولَاتُ مَعَارِفَ بِخِلَافِ النَّكِرَاتِ الْمَوْصُوفَةِ الْمُخْتَصَّةِ بِوَاحِدٍ، فَإِنَّ تَخْصِيصَهَا لَيْسَ بِحَسَبِ الْوَضْعِ، فَقَوْلُكَ: لَقِيتُ مَنْ ضَرَبْتَهُ، إِذَا كَانَتْ مَوْصُولَةً مَعْنَاهُ لَقِيتُ الْإِنْسَانَ الْمَعْهُودَ بِكَوْنِهِ مضروبا لَكَ، وإِنْ جَعَلْتَهَا مَوْصُوفَةً فَكَأَنَّكَ قُلْتَ: لَقِيتُ إِنْسَانًا مضروبا لَكَ، فَتَخْصِيصُهُ بِكَوْنِهِ مضروبا لَكَ لَيْسَ بِالْوَضْعِ لِإِنْسَانٍ لَا تَخْصِيصَ فيه، وإِنْ تَخَصَّصَ بِحَسَبِ الْعارِضِ كَمَا فِي الصُّورَةِ الْمَذْكُورَة، انتهى . [1]

يعني أن المسند إليه يكون معرفة بما يوصل أي يعرف بالصلة للتقرير أي لزيادة التقرير للغرض المسوق له الكلام، أو لزيادة تقرير المسند أو المسند إليه، كقوله تعالى: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ**﴾[2] والمراودة عبارة عن التحيل لمواقعته إياها، فالكلام مسوق لبيان عفة يوسف عليه السلام، وذلك أي تعريف المسند إليه بالصلة أدل عليه من تعريفه بالإضافة والعلمية كأن يقول: وراودته امرأة العزيز، أو زليخا لأن كونه في بيتها ومولى لها يوجب تمكنها من المراودة ونيل المراد، فإباؤه عليها يوجب غاية نزاهته عن الفحشاء، وقيل إنه تقرير للمسند لأن في كونه في بيتها زيادة تقرير للمراودة لما فيه من فرط الاختلاط والألفة، وقيل تقرير للمسند إليه، وذلك لِإمْكَانِ وقوعِ الاشتراك في زليخا وامرأةِ العزيز، فلا يَتعين كتعيُّنه في التي هو في بيتها لأنها واحدة مشخصة .

قولُه: أو إن فُخِّما بتشديد الخاء والبناء للنائب، يعنى أن المسند إليه يعرف بالصلة لتفخيمه أي

(1) - فيض الفتاح م س ج1 ص84

(2) - سورة يوسف، الآية: 23

لتعظيمه وتهويله، نحو ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[1] فإن في هذا الإبهام غاية التفخيم، أي غشيهم من اليم شيءٌ بلغَ في عظمته حدا لا يكتنه كنهه حتى يعبر عنه، ومنه قوله:

وكانَ ما كانَ ممَّا لستُ أذكره فَظُنَّ خيراً ولا تَسْألْ عنِ الخَبر[2]

وقوله:

تَمْضي بما قدْ مَضى مِنْ عَقْلِ شارِبِها وفي الزُّجاجَةِ باقٍ يَطلُبُ الْباقِي[3]

والضميرُ المؤنثُ للخمر، وقوله: وما يوصل مجرور معطوف على قوله وعلم

قولُهُ: أو إن فخما معطوف على قوله: للتقرير، أي وكون المسند إليه معرفة كائن بمضمر أي بالإضمار، وبعلم أي بالعلمية، وبما يوصل أي بالذي يوصل أي الصلة، وتعريفه بالصلة للتقرير أو إن فخما أي أو التفخيم بسبب إن وصلتها بمصدر .

أَوْ فَقْدِ عِلْمِ سَامِعٍ غَيْرَ الصِّلَةْ نَحْوُ الَّذِي أَهْدِيْ إِلَيْكَ يَعْمَلَه

يعنى أن المسند إليه يعرف بالصلة، لأجل فقد علم السامع غير الصلة أي لعدم علمه بما عداها من الأحوال المختصة به، كأنما أهدى إليك يعمله أي أن التي أهدى إليك يعمله، وكذا إذا لم يكن للمتكلم أو لكليهما علم بغير الصلة، نحو الذين كانوا في بلاد المشرق لا أعرفهم .

قوله: أو فقد علم بالجر معطوف على قوله أو إن فخما، وقوله غير الصلة بنصب غير مفعول قوله علم انتهى .

أَوْ هُجْنَةِ التَّصْرِيحِ بِالْإِسْمِ كَذَا تَنْبِيهُهُ عَلَى الْخَطَا ونَحْوُ ذَا

يعنى أن المسند إليه يعرف بالصلة، لأجل هجنة التصريح بالاسم أي باسم المسند إليه، أي استهجان التصريح باسمه وقبحه، كقولك في فقيه اسمه فقير: الذي يعلم الفقه رجل نبيه ومنه ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ فإن في لفظ زليخا استهجانا .

---

(1) – سورة طه، الآية: 78

(2) . ينسب إلى عبد الله بن المعتز، انظر زهر الأكم في الأمثال والحكم لليوسي، ج3 ص98، تحقيق الدكتوران محمد حجي ومحمد الأخضر، ط1 1401هـ الشركة الجديدة دار الثقافة، الدار البيضاء . المغرب.

(3) – البيت لأبي نواس، والضمير للخمر، ويطلب الباقي أي من عقله، وقوله بها أي معها، ويُنسب لعبد الله بن العباس الربيعي. الإيضاح للقزويني 15/2 ت محمد ع المنعم خفاجي، ط3 دار الجيل بيروت.

قال الفنري: إن قلتَ ليسَ في لفظ زليخا استهجانٌ فكيف يصح جعل الآية مثالا له ؟ قلتُ المستهجن تصريح اسم المرأة في الحكم بالمراودة والاحتيال في طلب الموافقة، والعدول عن التصريح من باب البلاغة، وكذا يكون المسند إليه معرفة بالصلة لتنبيه المخاطب على خطأه، كقول عبدة بن الطيب[1]:

إنَّ الَّــــذِينَ تَــــرَوْنَهُمْ إِخْــــوَانَكم يَشْــفِي غَلِيــلِ صُــدُورهم أَنْ تُصْــرَعُوا

ففيه من التنبيه على خطاهم في هذا الظن ما ليس في أن القوم الفلانيين أعداء لكم .

قوله: أو هجنة بالجر معطوف على قوله أو فقد انتهى .

أَوْ لِإِشَــــارَةٍ إِلَى وجْـــهِ الْبِنَــــا لِخَــــــــــــبَرٍ .

يعنى أن المسند إليه يكون معرفة بالصلة، لأجل الإشارة إلى وجه البناء للخبر أي لأجل الإشارة بالصلة إلى الجهة المبني منها الخبر، أيْ جهةِ المسند أي من أي طريق من الثواب والعقاب والمدح والذم وغير ذلك .

وحاصلُه أن تأتي بالجهة على وجه ينبه الفطن على الخاتمة، كالإرصاد في البديع، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾[2] أي صاغرين ذليلين، ففي التعريف بالصلة وهي الاستكبار إيماءٌ إلى الجهة المبني منها الخبر، وهي أنه من جنس العذاب، بخلاف ما لو ذكرهم بأعلامهم .

. . وقَـــدْ يكُــــونُ ذَا هُنَــــا

أيْ وقد يكونُ ذا أي تعريف المسند إليه بالصلة هنا أي للإشارة إلى وجه الخبر، ذريعة أي وسيلة لرفع شأن المسند، ويحتمل أن يكون المشار إليه بذا في البيت، الإشارة إلى جنس الخبر، والمشار إليه بهنا مقام التعريف بالصلة، أي وقد تكون الإشارة إلى جنس الخبر في مقام التعريف بالصلة ذريعة لرفع شأن المسند،

---

(1) - البيت لعبدة بن الطيب التميمي، وهو شاعر مخضرم، التبيان (1/ 156)، المفضليات (147)، شرح عقود الجمان ص 67، معاهد التنصيص (1/ 100)

(2) - سورة غافر، الآية: 60

كقول الفرزدق:

إنَّ الــذي سَمــكَ السّــماءَ بَــنَى لَنــا   بيتــاً دَعائِمُــه أعــزُّ وأطْــولُ

فالمراد بالبيت بيت الشرف والمجد، ففي قوله: إن الذي سمك السماء إشارة إلى أن المسند من جنس الرفعة والبناء، يدرك ذلك ذو الذوق السليم، وذلك ذريعة لتعظيم شأن المسند الذي هو البناء، بخلاف ما لو قال: إن الله، أو الرحمن .

أَوْ غَيْرِهِ يعنى أن تعريفه بالصلة للإشارة إلى وجه الخبر يكون ذريعة أي وسيلة لرفع شأن غير المسند أي لتعظيم غيره، كقوله تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ** ٩١﴾[1] ففي الصلة إشارة إلى أن الخبر من جنس الخيبة والخسران ؛ لأن ذلك حظ مكذب الأنبياء، وكون تكذيب شعيب [45] يجلب الخسران أعاذنا الله منه ذريعة أي وسيلة إلى التعريض بتعظيم شعيب، حيث كان مكذبه خاسرا .

أَوْ لِسِواهُ يعنى أن الإشارة بتعريف المسند إليه بالصلة إلى وجه الخبر قد تكون ذريعة لسوى تعظيم المسند أي لتحقيره، نحو الذي لا يعرف الفقه قد صنف فيه، ففي الصلة إشارة إلى أن الخبر من جنس التأليف والتعليم، وذلك فيه تعريض بتحقير التصنيف لكونه صدر ممن لا يعرف الفقه، وقد يكون الإيماء ذريعة إلى تحقير شأن غير المسند، كمفعول الصلة في قولك: الذي يتبع الشيطان خاسر ؛ لأن الشيطان لما كان اتباعه أمرا قبيحا علم أنما يترتب عليه أمر قبيح، فهو حقير .

قال ياسين: قد يقال تفهم إهانته من العلم بقباحة اتباعه، مع قطع النظر عن جنس الخبر، إلا أن يقال يحصل بواسطة الإيماء إلى جنس الخبر إهانة أتم مما يحصل به أولا انتهى .

قوله أو لسواه معطوف على قوله لرفع شأن .

وَزِدِ، ذَرِيعَةً لأَجْلِ تَحْقِيقِ الْخَبَرْ أي وزد كون الإيماء المذكور ذريعة أي وسيلة لأجل تحقيق الخبر أي إلى أن الخبر محقق أي ثابت مقطوع به،

كقوله:

(1) - سورة الأعراف، الآية: 92

إنَّ الـــتِي ضَـــربتْ بيتـــا مهـــاجرةً   بكُوفـــة الجُنـــدِ غالـــت ودُهـــا غُـــول

ففي الصلة وهي ضرب البيت بالكوفة إيماء إلى أن الخبر من جنس انقطاع المحبة، وفى ذلك الإيماء ذريعة إلى تحقيق زوال المحبة، حتى كأنه برهان عليه .

قال ياسين: حاصله أن ضرب البيت بالكوفة علة لانقطاع المحبة في الظاهر وقد تحقق، فيتحقق الانقطاع به، لأنه إذا تحققت العلة تحقق المعلول وتقرر، وضرب البيت بالكوفة يدل على الانقطاع مع قطع النظر عن كونه علة، ومع النظر لكونه علة يتقرر ويتحقق، وإنما كان ضرب البيت بالكوفة علة في الظاهر لانقطاع المحبة ؛ لأن ما هو بعيد من العين بعيد من القلب[1] .

وقَـــالَ فِي الإِيضَـــاحِ فِي هَـــذَا نَظَـــرْ

أيْ في جعل الإيماء المذكور ذريعة إلى تحقيق الخبر نظر، لأنه لا يظهر فرق بين الإيماء إلى وجه الخبر وبين الإيماء إلى تحقيق الخبر .

وأجاب ابن السبكي عنه بأن الفرق واضح، فإن الإيماء إلى وجه بناء الخبر أن يذكر ما يناسبه، والإيماء إلى تحقيقه أن يذكر ما يحقق وقوعه بأي وجه كان، والفرق بين بناء الشيء على غيره وتحقيقه واضح انتهى .

وقد يجعل الإيماء ذريعة إلى التسلية كقوله:

إن الـــــذي الوحشـــــيةَ في داره   تؤنّســـــه الرحمـــــةُ في لحْـــــده

ففي الصلة إيماء إلى أن الخبر من جنس الأنس في الآخرة، وذلك الإيماء ذريعة إلى تسلية الذي الوحشية في داره .

وَاسْـــمُ إِشَـــارَةٍ لِكَـــيْ يُمَيَّـــزَا   أَكْمَـــلَ تَمْيِيـــزٍ كَهَـــذَا مَـــنْ غَـــزَا

هذا شروع في إيراد المسند إليه اسم إشارة، وذلك لأمرين:

أحدهما: إذا صلح المقام له بأن يصح إحضاره في ذهن السامع بواسطة الإشارة إليه حسا، [46] وفسر في الأطول الإشارة الحسية بإشارة الجوارح، وذلك بأن يكون المسند إليه مبصرا ليهما أي المتكلم والمخاطب، ويكون للمتكلم إشارة حسية، فاستعمال اسم الإشارة في كلامه تعالى سواء

(1) - ليس هذا على إطلاقه، فلربماكان الشيء بعيدا عن العين، لكنه قريب من القلب، إذا خلص الود وصفا.

كان إلى المبصر أو غيره مجاز لتنزيهه سبحانه عن الإشارة بالجوارح، وكذا استعماله أيضا في غير المبصر أي المشاهد، فأصل أسماء الإشارة أن يشار بها إلى محسوس مشاهد، فإن أشير بها إلى غيره، فلتصييره كالمشاهد، وتنزيل الإشارة العقلية كالحسية .

الثاني: الغرض الموجب له أي لاسم الإشارة، أو المرجح له، وهو الذي تكلم عليه الناظم، وبدأ ببيان الغرض المرجح له أي بتفصيله، فقال: واسم إشارة إلخ يعنى أن يكون المسند إليه معرفة كائن بتعريفه باسم الإشارة، لكي يميز أكمل تمييز، أي لأجل أن يميز المسند إليه أكمل تمييز، لنكتة كزيادة المدح أو الذم لأنهما مع كمال التمييز أكمل، ومثل له بقوله كهذا ومنه قول الفرزدق في زين العابدين:

هَـذَا الَّـذِي تَعْـرِفُ الْبَطْحَـاءُ وطْأَتَـهُ   وَالْبَيْـتُ يَعْرِفُـهُ والْحِـلُّ والْحَـرَمُ

وقول ابن الرومي(1):

هَـذَا أَبُـو الصَّـقْرِ فَـرْداً فِـيْ مَحَاسِـنِهِ .. مِنْ نَسْلِ شَيْبَانَ بَيْنَ الضَّالِ والسَّلَمِ(2)

كناية عن كونهم من خلص العرب وفصحائهم، أو من سادات العرب الذين لهم مرعى لا يشاركهم فيه غيرهم، أو من أعزة الناس، ومن شواهد تمييزه أكمل تمييز قوله:

وإذا تأملَ شخصَ ضيفٍ مُقبلٍ   متسربلٍ سربالَ ليلٍ أغبرِ
أو ما إلى الكوماءِ هذا طارقٌ   نَحرتنىَ الأعداءُ إن لم تنحَري(3)

وقوله:

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا   وإن عاهدوا أوفوا، وإن عقدوا شدوا .

ومن تمييزه أكمل تمييز لزيادة الذم قوله:

وَلا يُقِيمُ عَلَى ضَيْم يُرَادُ بِهِ   إلا الأَذَلانِ عِيرُ الْحَيِّ والْوَتَدُ
هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَعْكُوسٌ برُمَّتِهِ   وَذَا يُشَجُّ فَلا يَبْكِي لَهُ أَحَدُ(4)

---

(1) علي بن العباس بن جورجس الرومي. شاعر فحل من طينة بشار والبحتري وأبي تمام والمتنبي (ت 283هـ). ترجمته في: معجم الشعراء (ص289)، وتاريخ بغداد (13/472-475)، والمنتظم (12/364-368). ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين ناصر، دار الكتب، القاهرة، ط: 3، 1423هـ، 2003م (1/231)، واللفظ في عجز البيت الأول

(2) – البيت لابن الرومى، وسقط عجزه في بعض النسخ، وبلا نسبة في مفتاح العلوم ص 276، والإيضاح ج2 ص 18

(3) – البيتان من غير نسبة في أمالى القالي ج1 ص43

(4) – للمتلمّس الضُّبَعيّ في ديوانه ص 208، وبلا نسبة في مفتاح العلوم ص 276.

انتهى . [1]

قلت: ولا يقتضي قوله لكي يميز إلخ أن اسم الإشارة أعرف المعارف ؛ لأن الأكملية بالنسبة لما دونه في التعريف ؛ لأن الكمال والنقص من الأمور النسبية، قاله عصام وياسين .

فأعرف المعارف على الصحيح الضمير ثم العلم ثم اسم الإشارة، فهو أكمل تمييز من العلم لأنه بطريق المحسوسية التي لا استثناء معها أصلا ؛ لأن فيها وضع اليد، والعلم قد يكون مشتركا فيه لفظا ويكون معناه غير معلوم للسامع، ولا يحصل التمييز فضلا عن كماله، والعلم أعرف لأن مدلوله مشخص وضعا واستعمالا بخلاف اسم الإشارة، فالتحقيق أنه كغيره من المعارف كلي وضعا جزئي استعمالا انتهى .

قوله: واسمُ إشارة بالجر عطف على قوله وما يوصل انتهى .

كَــذَا لِتَعْــرِيضٍ بِأَنَّ السَّــامِعْ　　مُسْــتَبْلِدٌ كَالْبَيْــتِ ذِي الْمَجَــامِعْ

أي كتعريف المسند إليه باسم الإشارة، لتمييزه أكمل تمييز، لزيادة المدح أو الذم، تعريفه به كذلك لأجل التعريض بأن السامع [47] مستبلد أي لأجل التعريض ببلادة السامع، كالبيت ذي المجامع، أي صاحب المجامع، أي المذكور فيه لفظ المجامع، وهو بيت الفرزدق يخاطب جريرا:

أُولَئِــكَ آبَــائِي فَجِئْنِــي بِمِــثْلِهِمْ　..　إِذَا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ[2]

انتهى .

فالحاصل أن المتكلم قد يقتصر على أن يقصد باسم الإشارة إكمال التمييز للمسند إليه ليتضح عند السامع غاية الإيضاح، وقد يتوصل بإكمال التمييز إلى معنى آخر يناسبه كزيادة المدح أو الذم كما قدمنا، وكالتنبيه على غباوة السامع وأنه في عدد الحيوانات، فما لم يجعل الشيء متميزا غاية التمييز، بحيث يشاهده لم يدركه كما في هذا البيت .

أَوْ لِبَيَــانِ حَالِــهِ مِــنْ قُــرْبِ　　أَوْ بُعْـــــــدٍ . .

يعنى أن المسند إليه يعرف باسم الإشارة لأجل بيان حال المسند إليه من قرب أو بعد أو توسط،

---

(1) - فيض الفتاح م س ج1 ص91

(2) - ديوان الفرزدق ج1 ص418 (طبعة دار بيروت)

نحو ذا وذلك، وذاك .

اوْ تَحْقِيرِهِ بِالْقُرْبِ يعنى أن المسند إليه يعرف باسم الإشارة القريب أي الدال على قرب المشار إليه لتحقيره أي المسند إليه بسبب الإشارة إليه بما يدل على القرب، وليس المراد ببيان حاله من قرب كقوله تعالى حكاية عن الكفار ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا 41﴾[1] ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾[2]

ومنه: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾[3] قالوا ذلك تنبيها على انحطاط المشار إليه وقرب رتبته، أو لتعظيمه كقوله تعالي: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[4]

والنكتة في مجيء القريب للتعظيم، هي التنبيه على مخالطته النفس وأنه لا يغيب عنها .

قوله: أو تحقيره معطوف على قوله بيان حاله المجرور باللام .

أَوْ رِفْعَـــــةٍ بِالْبُعْـــــدِ أَوْ تَحَقُّـــــرِ

يعنى أنه يعرف باسم الإشارة البعيد لأجل رفعه أي تعظيمه بسبب الإشارة إليه بما يدل على البعد، وليس المراد بيان حاله من بعد، نحو ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾[5] تنزيلا لبعد درجته ورفعة محله منزلة بعد المسافة، ومنه ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾[6] لم تقل فهذا، ويوسف حاضر، رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق وجوب الفتنة واستبعادا لمحله، ومنه ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا﴾[7] وقد يقصد به تعظيم شأن المشير كقول الأمير لبعض حاضريه ذلك فعل كذا .

أو لأجل تحقيره أي تحقيره بالإشارة بما يدل على البعد، وليس البعد مرادا كقولك: ذلك اللئيم فعل كذا، تنزيلا لبعده عن ساحة الحضور، وسفالة محله منزلة بعد المسافة، ومنه ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ

---

(1) – سورة الفرقان، الآية: 41

(2) – سورة الأنبياء، الآية: 36

(3) – سورة العنكبوت، الآية: 64

(4) – سورة الإسراء، الآية: 9

(5) – سورة البقرة، الآية: 1

(6) – سورة يوسف، الآية: 32

(7) – سورة الزخرف، الآية: 72

ٱلْيَتِيمَ 2﴾[1]

أَوْ كَوْنِـــهِ بِالْوَصْـــفِ بَعْـــدَهُ حَـــرِي

يعنى أن المسند إليه يعرف باسم الإشارة، لأجل كونه أي المشار إليه حريا أي جديرا بالحكم ومستحقا له بسبب الوصف المذكور بعده أي بعد المشار إليه نحو﴿**هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ 1 ٱلذِينَ يُومِنُونَ بِالْغَيْبِ ويُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ومِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَۖ 2 والذِينَ يُومِنُونَ بِمَآ اُنزِلَ إِلَيْكَ ومَآ اُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وبِالَٰاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ 3 اُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدىً مِّن رَّبِّهِمْۖ واُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَۖ 4**﴾[2] عقب المشار إليه وهم المتقون بأوصاف هي الإيمان بالغيب وإقام الصلاة والإنفاق، [48] ثم عرف المسند إليه باسم الإشارة فقال: أولئك تنبيها على أن المشار إليهم أحقاء بما يرد بعد أولئك، وهو كونهم على الهدى عاجلا، والفوز بالفلاح آجلا، من أجل اتصافهم بالأوصاف المذكورة انتهى .

قَوْلُهُ: أو كونه بالجر معطوف على المجرورات قبله، والباء في قوله بالوصف سببية، وحرى بتسكين الياء خبر كان، واسمها الضمير المجرور بالإضافة، ولم يظهر النصب في حري للضرورة، كقوله:

ولوْ أنَّ واشٍ باليمامة دارُهُ . [3]

تنبيـــــه

من النُّكت المرجحة لتعريف المسند إليه باسم الإشارة، الدلالةُ على قرب وقت حصول المشار إليه نحو: هذه القيامة قد قامت، والدلالة على شدة ذكاء المخاطب وقوة إدراكه كقولك في مسألة تتحير فيها العقول هذه المسألة محققة عندك كالمحسوس المشاهد عنده .

أَوْ لَمْ كَوْنِـــــهِ بِغَـــــيْرِ ذَا لاَ يُعْـــــرَفُ   قَـــدْ زَادَهُ عَلَـــى الْمَوَاضِـــي يُوسُـــفُ[4]

هذا شروع في الغرض الموجب للتعريف باسم الإشارة، يعنى أن المسند إليه يعرف باسم الإشارة

---

(1) – سورة الماعون، الآية: 2

(2) – سورة البقرة الآيات 5.4.3

(3) – هذا صدر بيت، وعجزه: وَدارِي بِأَعْلَى حَضْرَ مَوتَ اهْتَدَى لِيا، وهو لمجنون بنى عامر.، انظره في ديوانه ص294

(4) – وقفت عليه بصيغة أخرى، هي:

أَوْ لَمْ يَكُـــــنْ بِغَـــــيْرِ ذَاكَ يُعْـــــرَفُ   قَـــدْ زَادَهُ عَلَـــى التَّرَاضِـــي يُوسُـــفُ

أي يجب تعريفه به، لأجل كونه أي المسند إليه لا يعرف بغير ذا أي اسم الإشارة أي لا طريق إلى إحضاره في ذهن السامع بغير اسم الإشارة، لكون المتكلم والسامع جاهلين أحواله وهو حاضر، قوله: قد زاده إلخ، يعنى أن هذه النكتة زادها على النكت المواضي في تعريف المسند إليه باسم الإشارة يوسف السكاكي .

تنبيـــــه

اعلم أن التعريف بالإشارة يكون لنكت غير هذه كثيرة لا تنحصر .

قال في المفتاح: " ولطائف هذا الباب لا تكاد تنضبط "(1) وكذلك نكت التعريف بالعلمية والصلة وأداة التعريف، فالأحوال التي يذكرونها في جل الأبواب ليست على طريق الحصر ؛ لأن الإحاطة بالأحوال من غير علام الغيوب ممتنعة، ومما يجب التنبيه عليه أن ما يورد في أمثال هذه المقامات من الآيات والأبيات أمثلة لا شواهد، فصح احتمال الغير، وأنه لا مانع من جمع مثال واحد بين كثير من اللطائف والأغراض، فإن مبنى تلك الاقتضاءات على مجرد المناسبات، وإلا فمن أين للبشر أن مقصود المتكلم ما نسب إليه من الاعتبارات، فليحافظ على هذه النكت .

ثُمَّ بِأَلْ إِشَـــارَةً لِمَـــا عُهِـــدْ

يعنى أن المسند إليه يعرف بأل، لأجل إشارة بها لما عهد أي لمعهود أي لحصة من الحقيقة معهودة فردا كان أو فردين أو أكثر، والفرد هو المركب من الحقيقة الكلية وما ينضم إليها من التشخص، والعهد في الحصة يكون لتقدم ذكره صريحا أو كناية كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ﴾(2) أي ليس الذكر الذي طلبت امرأة عمران كالأنثى التي وهبت لها في خدمة المساجد ؛ لأنها [49] لا تكون إلا من الذكور، فالأنثى سبق ذكرها صريحا، والذكر سبق ذكره كناية في قوله: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً﴾(3) فلفظة ما وإن كانت تعم الذكور

(1) – مفتاح العلوم للسكاكي، ص184، تعليق نعيم زورزور، ط2 1407، دار الكتب العلمية، بيروت.

(2) – سورة آل عمران، الآية: 36

(3) – سورة آل عمران، الآية: 35

وغيرهم، لكن التحرير وهو أن يعتق الولد لخدمة بيت المقدس إنما كان للذكور .

قوله: ثم بأل معطوف على قوله السابق بمضمر .

أَوْ لِحَقِيقَةٍ يعني أن المسند إليه يعرف بأل لأجل إشارة بها إلى نفس الحقيقة من غير اعتبار لما صدقت عليه من الإفراد لحضور تلك الحقيقة في ذهن السامع، ومنه اللام الداخلة على المعرفات نحو الإنسان حيوان ناطق، وكقولك: الماء مبدأ كل حي، لقوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ﴾[1]

ومنه قول المَعَرِّي:

والخِــلُ كالمــاءِ يُبْــدي لي ضَــمائِرُهُ ... مَــعَ الصَّــفاء ويُخْفيهــا مَــعَ الكــدَرِ

أي جنس الخل كجنس الماء، وقوله يبدي بيان لوجه الشبه انتهى .

قوله: أو لحقيقة بالجر معطوف على قوله لما عهد

وَرُبَّمَا تَرِدْ .

لِوَاحِـــدٍ لِعَهْـــدِهِ فِي الـــذِّهْنِ ... نَحْـوُ ادْخُـلِ السُّـوقَ ولا عَهْـدَ عُـنِي

أي وربما يرد التعريف بأل، لأجل إشارة بها لواحد أي إلى واحد من أفراد الحقيقة، بسبب عهده في الذهن لمطابقة ذلك الواحد للحقيقة، ومعنى المطابقة حمل تلك الحقيقة على ذلك الواحد، وعند ابن الحاجب اشتماله عليها .

قال ياسين: وعلى الوجهين فالفرد المبهم باعتبار مطابقته للماهية المعلومة صار كأنه معهود أي معلوم، فله عهدية بهذا الاعتبار فسمي معهودا ذهنيا باعتبار عهدية جنسه، وذلك عند قرينة امتناع الحقيقة من حيث هي كقولك: ادخل السوق، والحال لا عهد في الخارجعنى أي قصد، والحقيقة لا تدخل لأنها معنى ملازم للذهن لا يخرج عنه، فالمراد سوق من الأسواق .

وكقوله:

وَلَقَــدْ أمــرُّ علــى اللَّئِــيم يَسُــبُّنِي ... فــأعفُّ ثــمَّ أقــولُ مَــا يَعْنينــي[1]

---

(1) - سورة الأنبياء، الآية: 30

أي على لئيم .

كَالنُّكْرِ مَعْنًى يعنى أن المعهود الذهني كالنكر معنى أي كالنكرة في المعنى كما فسرنا، وإن كانت تجرى عليه في اللفظ أحكام المعرفة من وقوعه مبتدأ أو ذا حال ووصفا لمعرفة وموصوفا بها ونحو ذلك كعلم الجنس، ولكونه في المعنى كالنكرة يعامل معاملتها كثيرا، فيوصف بالجملة كما في البيت .

وفى التنزيل: ﴿**كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**﴾[2] على أن يحمل صفة للحمار، والباء في قوله بعهده سببية، وقوله في الذهن متعلق بقوله بعهده لأنه مصدر، وقوله نحو خبر مبتدأ محذوف أي هو نحو، وقوله ولا عهد عني جملة حالية، وقوله كالنكر إلخ صفة لقوله لواحد، وقوله معنى تمييز انتهى .

. . **وِلِلَافْـــرَادِ تَعُــــمّْ حَقِيقَـــةً كَعَـــالِمِ الْغَيْـــبِ قَـــدُمْ**

يعني أن المعرف بلام الحقيقة قد يفيد العموم واستغراق الأفراد استغراقا حقيقيا، بأن يراد به كل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب اللغة نحو عالم الغيب [50] قدُم بضم الدال، أي قديم، أي عالم كل غيب قديم، ومنه قوله تعالى: ﴿**عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ**﴾[3] أي كل غيب وكل شهادة .

﴿**وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ٦٩**﴾[4] أيْ كلُّ ساحرٍ انتهى .

قوله وللأفراد متعلق بقوله تعم، والواو استئنافية، وقولُه حقيقةً مفعول مطلق نائب عن مصدر من قوله تعم، أي تعم الأفراد عموما حقيقيا، واللام في قوله وللأفراد زائدة لتقوية العامل لضعفه بالتأخير .

وَمِنْهُ عُرْفِي أي من العموم عموم عرفي بأن يراد به كل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب العرف كان العرف عاما أو خاصا، نحو جمع الأمير الصاغة، أي كل صائغ من صاغة بلده أو مملكته، لأنه

---

(1) – للبيت رواية أخرى، هي: ولقد أمر على اللئيم يسبني --- فمضيت ثمت قلت لا يعنيني، وهو لرجل من سلول من بحر الكامل، الكتاب لسيبويه ج3 ص24

(2) – سورة الجمعة، الآية: 5

(3) – سورة المؤمنون، الآية: 92 والممتحنة، الآية: 22

(4) – سورة طه، الآية: 69

المفهوم عرفا لا صاغة الدنيا .

والضمير في قوله منه عائد إلى العموم المفهوم من قوله تعم، وتسكين الياء في قوله عرفي لضرورة الوزن .

وَعُمُومُ الْمُفْرَدِ، أَشْمَلُ من عموم المثنى والمجموع، يعنى أن الاستغراق والعموم في المفرد سواء كان بحرف التعريف أم لا أشمل من الاستغراق في المثنى والمجموع ؛ لأن استغراق المفرد يعم ويتناول كل واحد من الأفراد، واستغراق المثنى إنما يتناول كل اثنين ولا ينافى خروج الواحد، واستغراق الجمع إنما يتناول كل جماعة ولا ينافى خروج الاثنين والواحد

. إِذْ صَـــحَّ وجُـــودُ مُفْـــرَدِ

وَرَجُلَـــيْنِ مَـــعَ قَـــوْلِ لا رِجَـــالْ فِي الـــدَّارِ دُونَ مَـــا إِذَا فَـــرْدٌ يُقَـــالْ

أي لأجل صحة وجود مفرد أي رجل واحد ورجلين مع قولك: لا رجال في الدار، دون ما فرد يقال، أي دون ما إذا أدخلت أداة الاستغراق على المفرد نحو لا رجل في الدار فلا يصح وجود فرد ولا مثنى ولا مجموع انتهى .

قوله: إذ صح إذ حرف تعليل أو ظرف فيه معنى التعليل، معللة لقوله وعموم المفرد إلخ وقوله: ورجلين معطوف على قوله مفرد، وقوله مع متعلق بقوله صح أيضا، وما زائدة، وقوله فرد نائب فعل محذوف دل عليه قوله يقال .

تنبيـــــه

محل كون استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع إذا كان الاستغراق في الجمع بغير اللام، وأما الجمع المحلى باللام فليس كذلك، لأنه يشمل الأفراد كلها كالمفرد عند الجمهور من أئمة الأصول والنحو، وصرح به أئمة التفسير في كل ما وقع منه في التنزيل نحو ﴿عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ والأَرۡضِۚ﴾[1] ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾[2] أيْ كلَّ سماء، وكل اسْمٍ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ 134﴾[3] أي

(1) - سورة فاطر، الآية: 38

(2) - سورة البقرة، الآية: 31

(3) - سورة آل عمران، الآية: 134

كلَّ مُحْسنٍ .

وَلا تَنَافِيَ بَيْنَ الِاسْتِغْرَاقِ ... وبَيْنَ الِافْرَادِ بِالِاتِّفَاقِ
لِأَنَّهُ يَدْخُلُ مَعْ قَطْعِ النَّظَرْ ... عَنْ وحْدَةٍ

ولما كان إدخال لام الاستغراق في المفرد متناقضا ومتنافيا في الظاهر وذلك مشكل، أزال ذلك الإشكال بقوله ولا تنافي إلخ يعنى أنه لا تنافي بين الاستغراق وبين الإفراد[51] بالاتفاق من البلغاء، لأنه أي حرف الاستغراق يدخل بالبناء للمفعول مع قطع النظر عن الوحدة، أي لأنه يدخل على المفرد عند إرادة الاستغراق مع قطع النظر عن اعتبار الوحدة كما أنه مجرد عن الدلالة على التعدد، بل أطلق على الماهية من حيث هي على سبيل المجاز ؛ لأن المفرد استعمل في جزء ما وضع له .

قال السيد في حواشيه على المطول: " الاستغراقُ المنافي لإفراد الاسم هو شمولُ المجموع من حيث هو مجموع، إذْ ليس فيه ملاحقَة وحدة وفردية أصلا، بخلاف شمول كل فرد فإنه لا ينافيه ؛ لأن إفراد الاسم يقتضي اعتبار الفردية مع الجنس، فإذا لم يكن هناك أمر آخر اقتصر على ما هو أقل المراتب أعني فردية واحدة، وإن وجد ما يقتضي اعتبار ما هو زائد كأداة الاستغراق عمل بمقتضاه، ولم يكن منافيا لمقتضى الإفراد، لأنه يقتضى اعتبار الفردية ولا يمنع من اعتبار فردية أخرى" . [1]

قوله: ولا تنافي بتسكين الياء لضرورة الوزن .

وَبِالْإِضَافَةِ اسْتَقَرّ، لِلِاخْتِصَارِ يعنى أن تعريف المسند إليه استقر بالإضافة لأجل الاختصار أي إذا كانت الإضافة أخصر طريق إلى تصوره في ذهن السامع، والمقام مقام اختصار كقول جعفر بن علية:

هـوايَ مـع الرَّكْـبِ اليمـانيّ مُصْـعِدٌ ... حثيـثٌ وجُثمـاني بمكـةَ موثَـقُ[2]

فقوله: هواي بمعنى مهويتي ومحبوبتي، وهي أخصر من الذي أهواه، أو الذي قلبي إليه مائل، والاختصار مطلوب لضيق المقام لكونه في السجن وحبيبه على الرحيل .

. **أَوْ لِتَعْظِيمِ الْمُضَافْ ... إِلَيْهِ أَوْ مُضَافٍ هَذَا** .

يعنى أن المسند إليه يعرف بالإضافة تعظيما لشأن المضاف إليه المسند إليه نحو عبدي حضر،

(1) - فيض الفتاح م س ج1 ص99

(2) - البيت لجعفر بن علية، انظر شرح ديوان الحماسة ج1 ص51

تعظيما لك بأن لك عبدا، أو تعظيما لشأن المسند إليه المضاف نحو عبد الخليفة ركب، تعظيما لشأن العبد بأنه عبد الخليفة، ومنه ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[1] تعظيما لشأن العباد بكونهم عباد الله، وهذا معنى قوله أو مضاف هذا أي لتعظيم مضاف المضاف إليه وهو المشار إليه بهذا، ومضاف المضاف إليه هو المسند .

أَوْ خِلَافْ، هَذَيْنِ يعنى أنه يعرف بالإضافة لتعظيم خلاف هذين أي لتعظيم غير هذين أي غير المسند إليه المضاف والمضاف إليه .

أَوْ إِهَانَةٍ يعنى أنه يعرف بالإضافة لأجل إهانة أي تحقير المسند إليه المضاف، نحو ولد الحَجَّام حاضرٌ، تحقيرا له بأنه ولد الحجام، أو المضاف إليه نحو ضاربُ زيدٍ حاضرٌ، تحقيرا لزيد بأن ضاربه حاضر، أو غيرهما أي لأجل تحقير غيرهما نحو: ولد الحجام يجالس زيدا، تحقيرا لزيد بكونه جليس ولد الحجام .

مِثالُ تعريفه بالإضافة لتعظيم المضاف إليه: **كَعَبْدِي** حاضر تعظيما للمضاف إليه وهو المتكلم بأن له عبدا، [52] ومثال تعريفه بها لتعظيم خلاف هذين أي غير المسند إليه المضاف والمضاف إليه **عَبْدُ إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ عِنْدِي** تعظيما للمتكلم وهو غير المسند إليه المضاف وغير المضاف إليه بكون عبد السلطان عنده .

قُلْتُ والِاسْتِغْرَاقُ لَكِنْ سَكَتُوا عَنْهُ ومِنْ أَلْ ذَا بِهَذِي أَثْبَتُ

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: ومن نكت تعريف المسند إليه وغيره بالإضافة، الاستغراق أي العموم، لكن البيانيون سكتوا عنه في الإضافة، وتكلموا عليه في أل، ومن الاستغراق في أل ذا أي الاستغراق في هذا أي في الإضافة أثبت وأبلغ، يعنى أن الاستغراق في الإضافة أبلغ وأثبت من الاستغراق في أل .

قال ابن السبكي: " عجبت من أهل هذا الشأن كيف لم يذكروا إفادة الاستغراق من الإضافة وهي من أدوات العموم، كما أن أداة التعريف كذلك، بل عموم الإضافة أبلغ " .

(1) - سورة الحجر، الآية: 42، والإسراء، الآية: 65

قوله: ذا مبتدأ والمشار إليه به الاستغراق، وخبره اسم التفضيل وهو قوله أثبت، وقوله بهذا متعلق باسم التفضيل، والمشار إليه به الإضافة والمفضول، قوله من أل وهو على حذف مضاف أي من استغراق أل انتهى .

مثال تعريفه بالإضافة للعموم نحو أهل البلد فعلوا كذا، أي جميع أهل البلد، ومنه قوله:

بَنــو مَطَــرٍ يَــوْمَ اللقــاءِ كــأَنَّهُمْ أُسُــودٌ لَهَــا فِي غِيْــلِ خَفّــانَ أَشْــبُلُ[1]

أي كل بني مطر .

وَيُوسُــــفٌ ولإِشَـــارَةٍ إِلَـــى نَــوْع مَجَــازِ ولِتَوْقِيــفٍ جَــلا[2]

أي وقال يوسف السكاكي أن المسند إليه يعرف بالإضافة، لأجل إشارة بها إلى نوع مجاز أي لدلالتها على اعتبار لطيف مجازي، وهو الإضافة بأدنى ملابسة من غير تملك أو اختصاص كقوله:

إِذا كوكَــبُ الخَرْقــاء لَاحَ بسُــحْرَةٍ سُــهيلٌ أذاعــت غزلَهــا فِي القرائــبِ

أضاف الكوكب إلى الخرقاء لأدنى ملابسة، وهي تنبهها للشتاء عند طلوعه وإذاعتها لغزلها بين قربائها استعدادا له، وهُو وجه المجاز في هذه الإضافة .

قال السيد في شرح المفتاح:

" إن الهيئة التركيبية في الإضافة اللامية موضوعة للاختصاص الكامل المصحح لأن يخبر عن المضاف بأنه للمضاف إليه، فإذا استعملت فيها لأدنى ملابسة كانت مجازا لغويا لا حكميا كما توهم ؛ لأن المجاز في الحكم إنما يكون بصرف النسبة عن محلها الأصلي إلى محل آخر لأجل ملابسته بين المحلين، وظاهر أنه لم يقصد صرف نسبة الكوكب عن شيء إلى الخرقاء بواسطة ملابسة بينهما، بل نسب الكوكب إليها لظهور جدها في تهيئة ملابس الشتاء في زمان طلوعه، فجعل هذه الملابسة بمنزلة الاختصاص الكامل وفيه لطف " .[3]

قلت: والذي يظهر لي وأرتضيه أن ليس في هذا التركيب مجاز لغوي ولا حكمي ؛ لأن نسبة

---

(1) . ديوان مروان بن أبي حفصة، ص95 حققه محمد أسعد طلس، ط ونشر دار صادر بيروت.

(2) - وللبيت رواية أخرى في المطبوع، وهي أنسب للمعنى

ويُوسُــــفٌ ولإِشَــــارَةٍ إِلَى نَــــوْعِ مجَــازٍ وتَرَفُّــقٍ جَــلا

(3) - فيض الفتاح م س ج1 ص102

الكوكب إلى الخرقاء لا توصف بحقيقة عقلية[53] ولا مجاز عقلي ؛ لأن المنسوب هنا الذي هو الكوكب ليس بفعل ولا شبهه، وتقدم في النسبة الإسنادية أن الحقيقة والمجاز، إنما يدخلان في نسبة الفعل أو شبهه إلى ملابسه، وتقدم أن النسبة التقييدية كهذه النسبة، أي نسبة الكوكب إلى الخرقاء كالإسنادية، فلا توصف بالحقيقة أو المجاز، إلا إذا كان المنسوب فيها فعلا أو شبهه، والكوكب ليس فيه رائحة الفعل، وليس في الطرفين أيضا اللذين هما الكوكب والخرقاء مجاز لغوي، كما زعم بعضهم ؛ لأن كلا منهما مستعمل فيما وضع له، والمجاز اللغوي لا يدخل في النسبة التي توصف بالحقيقة والمجاز كالإسنادية، فأحرى النسبة التي لا توصف بهما كهذه النسبة أي نسبة الكوكب إلى الخرقاء انتهى .

قوله: ولتوقيف جلا، يعنى أن المسند إليه يعرف بالإضافة لأجل توقيف المخاطب على معنى يحمل على الإكرام أو الإذلال أو العطف أو الشفقة .

مثال الأول: " صديقك بالباب "

ومثال الثاني: " عدوك بالباب "

ومثال الثالث: " ولدك بالباب "

ومنه في غير المسند إليه ﴿لاَ تُضَآرَّ وٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا ولاَ مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾[1]

لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف الولد إليها استعطافا لها عليه، وكذلك الوالد أي لا يضر الوالدان بالولد بأن يفرطا في تعهده ويقصرا فيما ينبغي له .

تنبيـــــه

من نكت التعريف بالإضافة التهكم والاستهزاء نحو ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلذِےٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ 26﴾[2]

وخوفِ مَلل السامع أو المتكلم نحو حضر أهل السوق، إذْ لوْ عدَّدهُمْ لحَصَل الملل، ويعرف بها

(1) – سورة البقرة، الآية: 233

(2) – سورة الشعراء، الآية: 27

أيضا لأجل مانع من البيان أي التفصيل كتقديم بعض على بعض من غير مرجح فيورث عداوة نحو حضر اليوم علماء البلد، وكالتصريح بذمهم نحو علماء البلد فعلوا كذا .

ومنه قول حسان:

أولادُ جفنةَ حولَ قبرِ أبيهمُ ... قبرِ بنِ ماريةَ الكريمِ المُفضِلِ

إذ المراد أشخاص معدودون، ترك التفصيل احترازا عن تقديم بعض على بعض، وعن التصريح بأسماء الإناث .

وَكَوْنُهُ نَكِرَةً لِوَحْدَتِهْ كَرَجُلٍ . .

هذا شروعٌ في تنكير المسند إليه، وقدم التنكير على التوابع والفصل، ليلا يفصل بين التعريف والتنكير لشدة تناسبهما .

يعنى أن كون المسند إليه نكرة كائن لأجل وحدته أي لأجل القصد إلى فرد مما يصدق عليه اسم الجنس .

قال السيد: فإن كان اسم الجنس موضوعا للماهية بقيد الوحدة فإطلاقه على الواحد ظاهر، وإن كان موضوعا للماهية من حيث هي فالإفراد مستفاد من القرائن، واعلم أن قوله لوحدته يشمل المثنى والمجموع ؛ لأن الوحدة في المثني القصد إلى فرد معناه، وهو اثنان، وفى الجمع القصد إلى فرد معناه، وهو جماعة قاله ياسين .

ومن مجيء التنكير لقصد الإفراد قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾[1] أي فرد واحد من أفراد الرجال . [54]

نَوْعِيَّةٍ أَوْ رِفْعَتِهْ يعنى أنه ينكر لأجل نوعية أي للدلالة على نوعية أي على الإفراد النوعي، بأن يراد بالمسند إليه نوع واحد من الأنواع التي يصدق عليها اسم الجنس، كقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾[2] أيْ نوعٌ من الغشاوات غير ما يتعارفه الناس، وهو غشاء التعامي عن آيات الله، أي تكلف العمى عنها وإن لم يكن عمى حقيقة، بل يعرفون الآيات لكن يظهرون أنهم لا يعرفونها عنادا .

(1) - سورة القصص، الآية: 20

(2) - سورة البقرة، الآية: 7

قولُه: أو رفعته يعنى أنه ينكر للدلالة على تعظيمه، أي أنه بلغ في ارتفاع شأنه مبلغا لا يمكن تعريفه، إذ لا يحاط به حتى يعرف، كقوله:

لَـهُ حاجِـبٌ عَـنْ كُـلِّ أمْـر يشِـيْنُهُ وَلَـيْسَ لَـهُ عَـنْ طالِـب العُـرْفِ

فقوله: حاجب أي مانع عظيم .

قال في الإتقان: الثالث من نكت التنكير التعظيم[2] بمعنى أنه أعظم من أن يعين ويعرف نحو ﴿فَاذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ ورَسُولِهِۦ﴾[3]﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4]﴿وَسَلَمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وِلِدَ﴾[5]﴿سَلَمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ 109﴾[6]﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّتٍ﴾[7]

أَوْ ضِدِّهَا يعنى أنه ينكر للدلالة على ضد الرفعة وهو التحقير، أي للدلالة على أنه بلغ في انحطاط شأنه مبلغا لا يمكن تعريفه، كقوله:

وليس له عن طالب العرف حاجب، أي حاجب حقير .

قوله: نوعية بالجر معطوف بحذف العاطف على قوله لوحدته .

وقوله: أو رفعته بالجر معطوف على قوله نوعية، والضمير فيه عائد إلى المسند إليه، وقوله: أو ضدها بالجر معطوف على قوله أو رفعته، والضمير فيه عائد إلى الرفعة .

أَوْ كَثْـــــــــرَةٍ أَوْ قِلَّتِـــــــــهْ .

يعنى أن المسند إليه ينكر للدلالة على تكثيره أو تقليله، فمن الأول قوله تعالي: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً﴾ [8] وقولهم: إن له لإبلا، وإن له لغنما، أي أجرا كثيرا بالغا مبلغا لا يحاط بقدره، أو إبلا كثيرة

---

(1) – البيت من شواهد " التلخيص " ويُنسب لابن أبي السمط.

(2) – الإتقان للسيوطي م س ج2 ص347، وقد اقتصر السيوطي في، الآية: من هذه الأمثلة على قوله تعالى: " فَاذَنُوا بِحَرْبٍ "

(3) – سورة البقرة، الآية: 279

(4) – سورة البقرة، الآية: 10

(5) – سورة مريم، الآية: 15

(6) – سورة الصافات، الآية: 109

(7) – سورة البقرة، الآية: 25

(8) – سورة ن، الآية: 3

بالغة مبلغا لا يحاط بقدره، ومن التقليل قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [1] أي شيء قليل من رضوان أكبر مما تقدم في الآية، أعني وعد الله المؤمنين إلى جنات عدن ؛ لأن رضا الله تعالى سبب كل سعادة وفلاح، ولأن العبد إذا علم رضا مولاه فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعيم .

ورجَّح الفنري وياسين أن التنكير في رضوان للتعظيم، وهو مبتدأ وأكبر نعت له، والخبر محذوف، أي لهم رضوان من الله أكبر، والجملة عطف على جملة وعد الله إلخ .

قال الفنري: " وذلك لأن فيه دلالة على حصول الرضوان لهم صريحا بخلاف ما ذهبوا إليه ولأن المقام مقام تعدد النعم وبيان عظم نعيم الجنة وجودة أماكنها، فترجيح شيء من الأشياء عليها بطريق القصد لا يناسب المقام، وإن كان رضوان قليل من الله تعالى أكبر من ذلك كله في نفس الأمر، وأما الترجيح المستفاد من الوصف فهو بطريق التبعية " .

قال في الإتقان: " وجعل منه الزمخشري ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [2] أي ليلا قليلا أي بعض ليل، [55] وأورد عليه أن التقليل رد الجنس إلى فرد من أفراده، لا تنقيص فرد إلى جزء من أجزائه، وأجاب في عروس الأفراح بأنا لا نُسَلّمُ أنَّ الليلَ حقيقة في جميع الليلة، بل كل جزء من أجزائها يسمى ليلا " انتهى . [3]

قوله: أو كثرة بالجر عطف على قوله أو ضدها، وقوله أو قلته عطف على قوله أو كثرة، والضمير فيها عائد إلى المسند إليه .

وقَـــدْ أَتَـــى لِرِفْعَـــةٍ وَكَثْرَتِـــهْ

يعنى أن تنكير المسند إليه قد أتى للدلالة على رفعته أي تعظيمه وكثرته معا كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾[4] أي عِظَامٌ[5] ذوو عدد كثير، فَافْهَمِ أي فافهم أيها السامع ما بينت لك من

(1) – سورة التوبة، الآية: 72

(2) – سورة الإسراء، الآية: 1

(3) – الإتقان في علوم القرآن م س ج2 ص348

(4) – سورة الأنعام، الآية: 34

(5) – في المطبوع " مِثالٌ "

نكت تنكير المسند إليه، قوله رسل في البيت بتخفيف السين لضرورة الوزن، وقوله عظام بيان لأحد الوصفين المحذوفين وهما: العظمة والكثرة، وقد ينكر للدلالة على تحقيره وتقليله معا نحو قولك: حصل لي شيء أي شيء قليل حقير .

تنبيـه

قد ينكر المسند إليه لأجل مانع من التعريف كإرادة الإبهام على السامع، وتأتى الإنكار لدى الحاجة إليه، والاحتراز عن التطير باسمه أو عن ثقل فيه، فتقول في ذلك كله: حضر رجل، أو عندي رجل، ومنه قوله:

إذا سَئِمَتْ مُهنَّدَهُ يَمِينٌ ... لِطُولِ الحَمْلِ أبدلَه شِمَالا

لم يقل يمينه احترازا عن التصريح بنسبة السآمة إلى يمين الممدوح .

وغَيْرُهُ نُكِّرَ قَصْدَ الْعِظَمِ

نَحْوُ بِحَرْبٍ يعنى أن غير المسند إليه ينكر للأحوال التي ذكروها في تنكير المسند إليه، فينكر لأجل قصد العظم أي التعظيم نحو ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[1]

قوله: وغيره نكر مبتدأ وخبره، ونكر فعل ماض مبني للمفعول، وقوله قصدَ الْعِظم مفعول لأجله، أي لأجل قصد العظم، وقوله نحو بالرفع خبر مبتدأ محذوف .

وَلِضِدٍّ ظَنًّا أي ولضد العظم وهو التحقير ظنا مثال من قوله تعالى: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنّاً﴾ أي ظنا حقيرا لا يعبأ به، وإلا لاتبعوه لأن ذلك ديدنهم بدليل: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ﴾[2] قاله في الإتقان .[3]

قوله: ولضد ظنا مبتدأ وخبر، أي ولضد العظم ظنا، مثال .

والنَّوْعُ والإِفْرَادُ حَقًّا عَنَّا
فِي دَابَةٍ مِنْ مَاءٍ الَّذِي تُلِي

يعنى أن النوع والإفراد عنا حقا أي عرضا، نكتة في تنكير غير المسند إليه في دابة أي قرئ في سورة

(1) - سورة البقرة، الآية: 279

(2) - سورة الطور، الآية: 23. و28

(3) - الإتقان للسيوطي ج2 ص347

النور بعض آية وهي ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾[1] أي كل فرد من أفراد الدواب من نوع من أنواع المياه وهو النطفة .

أَوْ قُصِـــدَ العُمُـــومُ إِنْ نَفْيًـــا وِلِي

يعنى أن المسند إليه وغيره ينكر لقصد العموم أي عموم جميع أفراد ما يصدق عليه اللفظ، إن نفيا ولى أي إن ولي المنكر نفيا ؛ لأن النكرة في سياق النفي تعم سواء كان النفي بما أو إن أو لا أو لن أو لم أو ليس، باشرها النفي نحو ما أحد قائم، أو باشر عاملها نحو ما قام أحد، وكذا في سياق النهي نحو لا تضرب رجلا، فإنه نهي عن ضرب[56] كل رجل، وكذا تعم في سياق الاستفهام الإنكاري كما نقله ابن أبي شريف في حواشيه على المحلى عن البرماوي كقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيّاً ٦٥﴾[2] ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنَ أحد أو تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً ٩٩﴾[3]قال ابن أبي شريف: لا يقال الاستفهام الإنكاري راجع إلى النفي فيغنى ذكر النكرة في سياق النفي، لأنا نقول سياق الاستفهام غير سياق النفي، وإن كان معناه يرجع إلى معناه " انتهى .

قال في الإتقان: " وعد غيره يعنى السكاكي منها قصد العموم بأن كانت في سياق النفي نحو ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[4] ﴿فَلَا رَفَثَ﴾[5] الآية، أو الشرط نحو ﴿وَإِنَ اَحَدٌ مِّنَ اَلْمُشْرِكِينَ اَسْتَجَارَكَ﴾ [6] أو الامتنان نحو ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ اَلسَّمَآءِ مَآءً طَهُوراً ٤٨﴾ [7] انتهى . "

أَوْ لِتَجَاهُـــــــلٍ أَوَ إلَّا يُـــــدْرِكَا ... ذُو القَـــوْلِ والسَّـــامِعُ غَـــيْرُ ذَلِكَـــا

(1) – سورة النور، الآية: 45
(2) – سورة مريم، الآية: 65
(3) – سورة مريم، الآية: 98
(4)– ولا فسوق ولا جدال في الحد،
(4) – سورة البقرة الآية2
(5) – البقرة، الآية: 197
(6) – سورة التوبة، الآية6
(7) – سورة الفرقان الآية48

يعنى أن التنكير يقصد لأجل التجاهل وهو إظهار الجهل من غير الجاهل، إذا كان المقام لا يصلح للتعريف، فيظهر أنه لا يعرف منه إلا القدر الذي يعبر عنه بالنكرة، ومنه في غير المسند إليه قوله تعالى: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ﴾الآية[1]، إظهارا أنهم لا يعرفون منه إلا أنه رجل .

قوله: وأن لا يدركا إلخ يعنى أن التنكير يقصد لأجل عدم إدراك ذي القول وهو المتكلم والسامع من المنكر مسندا إليه أو غيره، غير ذلك أي غير اسم جنسه نحو عندي رجل، أو مررت برجل، إذا كان المتكلم والسامع لا يعرفان منه إلا أنه رجل، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾[2] أي أرضا بعيدة مجهولة .

قوله: أو لتجاهل معطوف على المجرورات قبله باللام، وقوله وأن لا يدركا معطوف على قوله أو لتجاهل، والواو بمعنى أو، وقوله ذو القول فاعل يدركا، وقوله والسامع عطف على الفاعل وقوله غير مفعول يدرك، والمشار إليه بقوله ذلك التنكير .

ثُمَّ مِـــنَ الْقَوَاعِـــدِ الْمُشْـــتَهِرَهْ　　　إِذَا أَتَـــتْ نَكِـــرَةٌ مُكَـــرَّرَهْ

يعنى أن من القواعد المشتهرة عند أهل البيان، إذا أتت نكرة مكررة تغايرا أي كان الثاني غير الأول، نحو بعت عبدا، واشتريت عبدا، فالمشتَرَى غيرُ المُبَاَع .

قال في الإتقان: " إذا ذكر الاسم مرتين فله أربعة أحوال، لأنه إما أن يكونا معرفتين أو نكرتين إلى أن قال فإن كانا نكرتين، فالثاني غير الأول غالبا، وإلا لكان المناسب هو التعريف بناء على كونه معهودا سابقا، نحو ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾[3] فإن المراد بالضعف الأول النطفة وبالثاني الطفولية، وبالثالث الشيخوخة . "

---

(1) - سورة سبأ، الآية: 7

(2) - سورة يوسف، الآية: 9

(3) - سورة الروم، الآية: 54

وقال ابن الحاجب[1] في قوله تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾[2]" الفائدة في إعادة لفظ الشهر الإعلام بمقدار زمن الغدو وزمن الرواح وهو شهران، والألفاظ التي تأتي مبينة[57] للمقادير لا يحسن فيها الإضمار، ولو أضمر فالضمير إنما يكون لما تقدم باعتبار خصوصيته، فإذا لم يكن له وجب العدول عن المضمر إلى الظاهر " . [3]

وَإِنْ يُعَرَّفْ ثَانِي، تَوافَقَا أي وإن يعرف الثاني من الاسمين ويبقى الأول على تنكيره توافقا أي ترادفا معنى، بأن يكون الثاني عين الأول، بناء على كونه معهودا في الذكر ؛ لأن العهد هو الأصل في التعريف باللام والإضافة، والتعريف هنا لا يكون إلا بواحد منهما نحو ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا 14 فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾[4] أي الرسول المعهود في الذكر .

قال في الإتقان: وإن كان الأول نكرة والثاني معرفة، فالثاني هو الأول حملا على العهد، نحو ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا 14 فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾[5] ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ﴾[6] وقوله ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ 49 صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾[7]

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ 38 إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾[8]

كَذَا الْمُعَرَّفَانِ أي كتنكير الأول وتعريف الثاني المعرفان، أي تعريفهما أي الاسمين المكررين في كون الثاني منهما عين الأول غالبا، حملا له على المعهود الذي هو الأصل في الألف واللام، أو

---

(1) – هو أبو عمر جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر يونس، المعروف بابن الحاجب المصري ثم الدمشقي، الفقيه المالكي والأصولي المتكلم، ولد سنة 570هـ، له تصانيف في غاية التحقيق والإجادة منها: "منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل"، و"مختصره الفرعي". توفي سنة 636هـ. انظر "الديباج المذهب"، ج1 ص86-89، "شجرة النور الزكية"، ج1 ص167-168.

(2) – سورة سبأ، الآية: 12

(3) – الإتقان في علوم القرآن م س ج2 ص352

(4) – سورة المزمل، الآية: 16

(5) – سورة المزمل: 15-16

(6) – سورة النور، الآية: 35

(7) – سورة الشورى، الآية: 53

(8) – سورة الشورى، الآية: 41.42

الإضافة نحو ﴿إِهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ 5 صِرَٰطَ ٱلذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ 6﴾[1] ﴿فَاعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ ٱلدِّينَ 2 أَلَا لِلهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[2] ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَباً ولَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ﴾[3]﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ومَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[4]﴿لَّعَلِّيَ أَبْلُغُ ٱلَاسْبَٰبَ 36 أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[5]

فالثاني في هذه الآيات كلها هو عين الأول .

قوله: كذا المعرفان مبتدأ وخبر، والمشار إليه بذا تنكير الأول وتعريف الثاني، وهو المشبه به، والمشبه تعريفهما، ووجه التشبيه بينهما كون الثاني منهما عين الأول فيهما .

وَإِنْ يُعَــــرَّفْ أَوَّلٌ ونُكِّــــرَا ... تَالِيــهِ فَــالْخِلافُ فِيــهِ قَــدْ جَــرَى

يعنى أنه إذا عرف أول الاسمين ونكر تاليه أي تابعه وهو الثاني، فالخلاف فيه أي الثاني هل هو الأول أو غيره ؟ قد جرى عند البيانيين على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه غيره، إذ لو أريد العهد لعرف باللام أو الإضافة، لأنهما الموضوعتان للعهد .

والثاني: أنه هو .

والثالث: فصل، فقال إن قامت قرينة على التغاير عمل بها، نحو﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾[6] ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰباً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[7] فالمراد بالساعة الأولى القيامة وبالثانية مدتهم في القبور، وبالكتاب الأول التورية وبالثاني كتابا آخر سأله اليهود من النبي ﷺ أن ينزله عليهم جملة، ونحو ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ هُدىً وذِكْرَىٰ﴾[8]

---

(1) – الفاتحة، الآية: 7.6

(2) – سورة الزمر، الآية: 3.2

(3) – سورة الصافات، الآية: 158

(4) – سورة غافر، الآية: 9

(5) – سورة غافر، الآية: 37.36

(6) – سورة الروم، الآية: 55

(7) – سورة النساء، الآية: 153

(8) – سورة غافر، الآية: 54.53

قال الزمخشري: " المراد بالهدى الأول جميع ما آتاه من الدين والمعجزات والشرائع، وبالثاني الإرشاد، وإن قامت قرينة على الاتحاد عمل بها نحو﴿وَلَقَد ضَّرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ 26 قُرْءَانًا﴾ [1] فالمراد بالثاني الأول إذ هو عينه ؛ لأن القرآن واحد " . [2]

شَـــاهِدُهَا الَّـــذِي رَوَيْنَـــا مُسْـــنَدَا لَـــنْ يَغْلِـــبَ الْيُسْـــرَيْنِ عُسْـــرٌ أَبَـــدَا

أيْ شاهدُ هذهِ القاعدةِ الأغلبية الحديثُ [58] الذي روينا مسندا إلى النبي ﷺ لما نزلت ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً 5 إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً 6﴾[3] أنه خرج ذات يوم وهو يضحك فقال: ((لَنْ يَغْلبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ)) [4]

قال الشمني[5] في حواشيه على المغني: " لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذي وعد الله المؤمنين فيها، واليسر الذي وعدهم في الآخرة، وإنما يغلب أحدهما وهو يسر الدنيا، فأما يسر الآخرة فدائم غير زائل، أي لا يجمعهما في الغلبة والحديث شاهد للقاعدة، لأنه ﷺ فسر الآية باتحاد العسرين المعرفين وتغاير اليسرين المنكرين "[6] .

تنبيه:

قال في الإتقان: " فائدة، سئل في الحكمة عن تنكير " أحد" وتعريف " الصمد" من قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ 1 ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ 2﴾ فأجيب بأجوبة:

أحدها: أنه نكر للتعظيم والإشارة إلى أن مدلوله وهو الذات المقدسة غير ممكن تعريفها

---

(1) – سورة الزمر، الآية: 28.27

2. تفسير الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج4 ص173، ط3 1407 هـ ، دار الكتاب العربي بيروت.

(3) – سورة الانشراح، الآية: 6.5

(4) – شعب الإيمان للبيهقي، باب في الصبر على المصائب وعن ما تنزع إليه النفس من لذة أو شهوة، باب في ذكر ما في الأوجاع والأمراض والمصيبات من الكفارات، الحديث رقم 9541 ج12 ص361

(5) – «الشُّمُنِّي (801 – 872 هـ = 1399 – 1468 م)

أحمد بن محمد بن محمد بن حسن ابن علي الشمني القُسَنْطيني الأصل، الإسكندري. أبو العباس، تقي الدين: محدّث مفسر نحوي. ولد بالإسكندرية، وتعلم ومات في القاهرة. من كتبه (شرح المغني لابن هشام – ط) و(مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا – ط) و(كمال الدراية في شرح النقاية – خ) في فقه الحنفية» «الأعلام للزركلي» م س. ج1 ص 230.

(6). حاشية العلامة تقي الدين أحمد بن محمد الشمني على مغني اللبيب، ج1 ص148، ط1 2009 ، ميراث النبوة للنشر والتوزيع.

والإحاطة بها .

الثاني: أنه لا يجوز إدخال أل عليه كغير وكل وبعض، وهو فاسد، فقد قرئ شاذا ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾

الثالث: وهو مما خطر لي أن هومبتدأ والله خبر، وكلاهما معرفة، فاقتضى الحصر، فعرف الجزآن في الله الصمدلإفادة الحصر، ليطابق الجملة الأولى، واستغنى عن تعريف أحد فيها لإفادة الحصر بدونه، فأتى به على أصله من التنكير على أنه خبر ثان، وإن جعل الاسم الكريم مبتدأ وأحد خبره، ففيه من ضمير الشأن ما فيه من التفخيم والتعظيم، فأتى بالجملة الثانية على نحو الأولى بتعريف الجزئين للحصر تفخيما وتعظيما . "[1]

وَنَقَـــضَ السُّـــبْكِيُّ ذِي بِأَمْثِلَـــهْ وقَـــالَ ذِي قَاعِـــدَةٌ مُسْتَشْـــكِلَهْ

يعنى أنَّ السُّبكي نقض ذا أي هذا الضابط بأمثلة، وقال: ذي قاعدة مستشكلة، أي غير محررة لانتقاضها بآيات كثيرة .

منها في القسم الأول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِے فِے اِ۬لسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِے اِ۬لْأَرْضِ إِلَٰهٞ﴾[2]﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ اِ۬لشَّهْرِ اِ۬لْحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلْ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ﴾[3]

فإن الثاني فيهما عين الأول، وهما نكرتان .

ومنها في القسم الثاني: ﴿أَنْ يَّصَّلَحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاٗۖ وَالصُّلْحُ خَيْرٞۖ﴾[4]﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِے فَضْلٖ فَضْلَهُۥۖ﴾[5]﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً اِلَيٰ قُوَّتِكُمْ﴾[6]﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمُۥٓ إِلَّا ظَنّاًۖ اِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِے﴾ فإن الثاني فيهما غير الأول، والأول نكرة، والثاني معرفة .

(1) – الإتقان للسيوطي م س ج2 ص351

(2) – سورة الزخرف، الآية: 84

(3) – سورة البقرة، الآية: 217

(4) – سورة النساء، الآية: 128

(5) – سورة يونس، الآية: 3

(6) – سورة هود، الآية: 52

ومنها في القسم الثالث: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٥٩﴾[1] فإنهما معرفتان، والثاني غير الأول، فإن الأول العمل، والثاني الثواب، ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ [2] أي القاتلة بالمقتولة .

قال السيوطي في الإتقان: " لا انتقاض بشيء من ذلك عند التأمل، فإن اللام في الإحسان للجنس فيما يظهر، والمعنى هل جزاء جنس الإحسان إلا جنس الإحسان، وكذا آية الحر والنفس بخلاف آية العسر، فإن أل فيها إما للعهد أو للاستغراق كما يفيده الحديث، وكذا آية الظن لا نسلم أن الثاني فيها غير الأول، [59] بل هو عينه قطعا، إذ ليس كل ظن مذموما، كيف وأحكام الشريعة ظنية، وكذا آية الصلح لا مانع من أن يكون المراد منها الصلح المذكور وهو الذي بين الزوجين، واستحباب الصلح في سائر الأمور مأخوذ من السنة أو من الآية بطريق القياس، ولا يجوز القول بعموم الآية، وأن كل صلح خير ؛ لأن ما أحل حراما من الصلح أو حرم حلالا فهو ممنوع، وكذا آية القتال لا نسلم أن الثاني فيها عين الأول ؛ لأن المراد بالأول المسؤول عنه القتال الذي وقع في سرية ابن الحضرمي[3] سنة اثنين من الهجرة لأنه سبب نزول الآية، والمراد بالثاني جنس القتال لا ذاك بعينه .

وأما آية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٤﴾[4] فقد أجاب عنها الطيبي بأنها من باب التكرير لإناطة أمر زائد، بدليل تكرير الرب فيما قبلها في قوله: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ﴾[5] ووجه الإطناب في تنزيهه تعالى عن نسبة الولد، وشرط القاعدة أن لا يقصد التكرير، وقد ذكر الشيخ بهاء الدين في آخر كلامه أن المراد بذكر الاسم مرتين، كونه مذكورا في كلام واحد أو كلامين بينهما تواصل، بأن يكون أحدهما معطوفا على الآخر، أو له به تعلق واضح، وتناسب ظاهر، وأن يكونا من متكلم واحد، ودفع بذلك إيراد آية القتال ؛ لأن الأول فيها محكي من

---

(1) – سورة الرحمن، الآية: 60

(2) – سورة المائدة، الآية: 45

(3) – العلاء ابن الحَضْرَمي العلاء بن عبد الله الحضرميّ: صحابي، من رجال الفتوح في صدر الإسلام. أصله من حضرموت. سكن أبوه مكة، فولد بها العلاء ونشأ. وولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم . السيرة النبوية لابن كثير (292/4)

(4) – سورة الزخرف: 84

(5) – سورة الزخرف، الآية: 82

قول السائل، والثاني محكي من كلام النبي ﷺ" .[1]

قلت: ويجاب أيضا بأن القاعدة أغلبية .

وَوَصْفُهُ لِلْكَشْفِ والتَّخْصِيصِ أَوْ   تَأَكُّدِ والمَدْحَ والذَّمَّ رَأَوْا

هذا شروع في توابع المسند إليه، وقدم الوصف على غيره من التوابع، لكثرة وقوعه واعتباراته، والوصف يطلق معنى على التابع، وعلى المعنى المصدري، والمراد بالوصف هنا الوصف المعنوي، لا خصوص النعت النحوي، يعنى أن المسند إليه يوصف أي يتبع بوصف لأجل الكشف عن معناه، أي تفسير معناه اللغوي أو الاصطلاحي .

فالأول: كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلإنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعاً 19 إذا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعاً 20 وإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعاً 21﴾[2] فسر الهلوع بقوله إذا مسه إلخ، ومنه قوله ﴿هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ 1﴾[3] فسر المتقي بأنه الذي يفعل جميع الواجبات ويجتنب جميع المنهيات .

والثاني: كقولك: " الجسم الطويل العريض العميق يحتاج إلى فراغ يشغله" فالطويل وما بعده حد وتعريف للجسم على رأي الفلاسفة والمعتزلة .

قال السيد: الوصف الكاشف مجموع هذه الصفات ؛ لأنها كصفة واحدة، ومن الكشف لغير المسند إليه:

إنّ الّذِي جَمَعَ السَّمَاحَة والـ   نَّجْدَةَ والبِرَّ والتُّقَى جُمَعَا
الأَلْمَعِيَّ الّذِي يَظُنُّ بكَ الظَّـ   نَّ كأنْ قدْ رَأى وقَدْ سَمِعَا(4)

فالألمعي منصوب صفة لاسم إن أو [59] بتقرير أعني وخبر إن .

قوله بعد أبيات:

كما أودي فلا تنفع الإشاحة من   أمر لَمَن قد يحاولُ البدعا

(1) - الإتقان للسيوطي م س ج2 ص355

(2) - سورة المعارج، الآية: 20.19

(3) - سورة البقرة، الآية: 2

(4) - البيتان لأوس بن حجر في ديوانه ص53 من قصيدة له في رثاء فضالة بن كلدة الأسدي، وهو في الإيضاح ص55.

قوله: الذي يظن بك الظن إلخ، وصف للألمعي كاشف له، كما حكي عن الأصمعي أنه سئل عن الألمعي فأنشد البيت ولم يزد عليه .

قوله: والتخصيص أو تأكيد يعنى أن المسند إليه يوصف لأجل التخصيص والتأكد، والمراد بالتخصيص ما يعم تقليل الاشتراك ورفع الاحتمال، والمراد بالتأكيد تأكيد مضمون الموصوف بالوصف، إذا كان الموصوف متضمنا لمعنى الوصف .

فالأول: نحو جاء رجل عالم، فإنه كان بحسب الوضع محتملا لكل فرد من أفراد الرجال، فلما قلت عالم قللت ذلك الاشتراك وخصصته بفرد من الأفراد المتصفة بالعلم .

والثاني: نحو أمس الدابر كان يوما عظيما، فإن لفظ أمس يدل على الدبور، فليس المراد التوكيد الاصطلاحي لا اللفظي ولا المعنوي، بل المراد المقرر، قوله والمدحَ والذم رأوا بنصب المدح على أنها مفعول مقدم لقوله رأوا، يعنى أن البيانيين رأوا المدح والذم نكتتين من النكت اللاتي يوصف المسند إليه لأجل إرادتهما، وذلك حيث يتعين المسند إليه قبل ذلك الوصف، نحو جاء زيد العالم أو الجاهل، ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾[1]

وَكَوْنُـــهُ أُكِّـــدَ لِلتَّقْرِيـــر مَـــعْ رَفْـعِ لِسَـهْوٍ ومَجَـازٍ قَـدْ يَقَـعْ[2]

وعدم الشمول هذا شروع في بيان نكت تأكيد المسند إليه الاصطلاحي، لفظيا كان أو معنويا، فمنها التقرير أي جعله مستقرا ثابتا في الذهن، بحيث لا يظن ولا يتوهم به غيره، نحو جاءني زيد زيدٌ، إذا ظن المتكلم غفلة السامع عن حمله المسند إليه على معناه، أو ظن المتكلم غفلة السامع عن سماع لفظ زيد المسند إليه، ومنها صدور السهو من المتكلم نحو جاء زيد زيد، ليلا يتوهم السامع أن الجائي عمْرو، وإنما ذكر زيدا سهوا، ومنها رفع توهم المجاز نحو: قطع اللص الأمير القاطع، أو نفسه، أو عينه، ليلا يتوهم السامع أن إسناد القطع إلى الأمير مجاز، وإنما القاطع بعض غلمانه، ولا يعترض على هذا بأن التأكيد هنا إنما يفيد دفع توهم التجوز في المسند إليه، بأن يراد بالأمير بعض

---

(1) – سورة الممتحنة، الآية: 24

(2) – في المطبوع: «عقود الجمان في علم المعاني والبيان» (ص38):

وَكَوْنُـــهُ أُكِّـــدَ لِلتَّقْرِيـــرِ مَـــعْ تَـــوَهُّمِ المجَـــازِ والسَّـــهْوِ انْـــدَفَعْ

غلمانه مثلا، وهذا لا يستلزم دفع توهم التجوز في الإسناد، لأنا نقول دفع توهم التجوز في الإسناد يفهم من ذلك عرفا قاله ياسين .[1]

فالمجاز المرفوع توهمه شامل للمجاز اللغوي والعقلي، ولمجاز الزيادة والنقصان، قاله ياسين .

ولا يقال جعل دفع توهم التجوز مقابلا للتقرير يدل على أنه لا تقرير في هذه الصورة، مع أن التأكيد تابع يقرر أمر المتبوع في النسبة والشمول ؛ لأن التقرير وإن كان لازما في التأكيد، لكن القصد إلى مجرد التقرير مفارق للقصد إلى الأمور المذكورة [61] قاله الفنري وياسين .

وتقرير البيت: وكونه أي المسند إليه أكد كائنا لأجل التقرير مع رفع للسهو أي لتوهم سهو المتكلم، أو توهم مجاز من السامع، قد يقع ذلك التوهم .

قوله: أَوْ عَدَمِ الشُّمُولِ يعنى أنه يؤكد لرفع توهم السامع عدم الشمول نحو جاء القوم كلهم، أو أجمعون، ليلا يتوهم السامع أن بعضهم لم يجئ، وأن المتكلم لم يعتد به، أو أنه جعل الفعل الواقع من البعض كالواقع من الكل، بناء على أنهم في حكم شخص واحد، كما يقال: بنو فلان قتلوا زيدا، وإنما قتله واحد منهم، وربما يجمع بين كل وأجمعين بحسب اقتضاء المقام، كقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ٣٠﴾[2] لكثرة الملائكة واستبعاد سجود جميعهم مع تفرقهم واشتغال كل منهم بشأن، وبهذا يزداد التعيير على إبليس، واعلم أن ذكر دفع توهم عدم الشمول إنما هو زيادة إيضاح، وإلا فهو من قبيل دفع توهم التجوز، أو يقال هذا بناء على أن هذا حقيقة، فإن بعضهم يجعله حقيقة ويسميه حقيقة قاصرة .

قوله: وعدم الشمول بالجر عطف على قوله ومجاز بالجر لأنه معطوف على قوله لسهو وهو على حذف مضاف، يعنى أنه يؤكد لرفع أي لأجل رفع لتوهم السامع للسهو من المتكلم، أو توهمه إرادة المتكلم للمجاز، أو لعدم الشمول .

. . **والبَيَـــــانُ قَـــــــرّْ ‌ ‌ ‌ ‌ لِكَشْـفِهِ نَحْـوُ أَبُـو حَفْـصٍ عُمَـرْ**

هذا شروعٌ في بيان نكت تعقيب المسند إليه بعطف البيان، يعنى أن البيان أي عطف البيان، أي

(1) – فيض الفتاح للعلوي، م س ص111

(2) – الزر، الآية: 73

تعقيب المسند إليه به قر بسكون الراء لضرورة الوزن، أي ثبت لأجل كشفه أي المسند إليه وإيضاحه باسم مختص به نحو جاء أبو حفص عمر، إذا كان مختصا بالعلم، وله شركاء في الكنية .

قال في فيض الفتاح: " ولا يشترط كون الثاني أوضح لجواز حصول الإيضاح من اجتماعهما "[1]

قال ياسين: كما إذا سمي ثلاثون شخصا بعمر ويكنى واحد منهم مع عشرين من غيرهم بأبي حفص، فلا شك أن أبا حفص أوضح من عمر حال الإيراد، وإذا قيل: جاءني أبو حفص عمر، كان موضحا له قطعا، وقد يكون عطف البيان بغير اسم مختص به على الإطلاق، وأما الاختصاص بوجه فلا بد منه، وهو أن يكون بالقياس إلى ما يطلق عليه لفظ المتبوع، إما تقريرا إن قصد به دفع إيهام مقرر، وإما تحقيقا إن قصد به دفع إيهام محقق، كقول النابغة:

وَالْمُـؤْمِنِ الْعَائِـذَاتِ الطَّيْر يَمْسَـحُهَا ... رُكْبَـانُ مَكَّـةَ بَـيْنَ الْغِيـل والسَّـعَدِ[2]

فإن العائذات يشمل كل وحش يعوذ بالحرم طيرا كان أو غيره، وأخرج بالطير ما سواه من العائذات التي ليست بطير، فهو مختص بالعائذات المرادة التي هي عائذات الطير باعتبار ما أريد إخراجه عنها من عائذات غير الطير، وإن لم يختص الطير في الأصل بالعائذات لصدقه على غيرها .

قال السيد: " نعم [63] إذا قصد به المدح لم يجب الاختصاص أصلا، لا مطلقا ولا من وجه " .[3]

وَالْعَطْـفُ لِلتَّفْصِـيل بالإيجَـاز فِـى ... هَـذَا ومُسْـنَدٍ ورَدٍّ قَـدْ نُفِـى[4]

بِهِ الْخَطَا يعنى أن العطف أي جعل الشيء معطوفا على المسند إليه يكون لتفصيل المسند إليه مع الاختصار، نحو جاء زيد وعمرو، فإنه يفيد تفصيلا للفاعل بأنه زيد وعمرو، من غير دلالة على تفصيل الفعل بأن المجيئين كانا معا مرتبين بلا مهلة أو مع مهلة، واحترز بقيد الإيجاز عن نحو جاء

---

(1) - فيض الفتاح م س ج1 ص113

(2) - ديوان النابغة الذبياني ص 25، تحقيق محمد الطاهر ابن عاشور، ط الشركة التونسية للتوزيع، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر 1976م

(3) - هذا كله مأخوذ من فيض الفتاح ج1 ص113

(4) - في المطبوع «عقود الجمان في علم المعاني والبيان» (ص39):

وَالْعَطْـفُ لِلتَّفْصِـيلِ بِالْإِيجَـازِ فِي ... ذَا الْبَـابِ والْمُسْـنَدِ أَوْ رَدٍّ نُفِـي

زيد وجاء عمر، لتفصيل المسند بأنه قد حصل من أحد المذكورين أولا، ومن الآخر بعده، متراخيا أو غير متراخ، وذلك التفصيل مع قصد الإيجاز أي الاختصار نحو جاء زيد فعمرو، أو ثم عمرو، أو جاء القوم حتى خالد .

فهذه الثلاثة لتفصيل المسند ؛ لأن الفاء للتعقيب، وثم للمهلة وحتى مثل ثم إلا أنها تدل على أن ما قبلها ينقضي شيئا فشيئا حتى يبلغ ما بعدها .

فقوله بالإيجاز احترازا عن نحو جاء زيد وعمر بعده بيوم، ولا يقال إن قولك جاء زيد فعمرو أو ثم عمرو، فيه تفصيل للمسند إليه أيضا، فالأولى أن يقال لتفصيلهما، لأنه نقل في المطول عن دلائل الإعجاز أن النفي إذا دخل على كلام فيه تقييد بوجه ما، يتوجه إلى ذلك التقييد، وكذلك الإثبات، وجملة الأمر أنه ما من كلام فيه أمر زائد على مجرد إثبات الشيء للشيء أو نفيه إلا وهو الغرض الخاص والمقصود من الكلام، وهذا مما لا سبيل إلى الشك فيه انتهى كلام دلائل الإعجاز .

والقيد هنا الترتيب بين المجيئين مثلا بمهلة أو لا .

قال في المطول: " ففي نحو جاء زيد فعمرو يكون الغرض إثبات مجيء عمرو بعد مجيء زيد بلا مهلة، حتى كأنه معلوم أن الجائي زيد وعمرو، والشك إنما وقع في الترتيب والتعقيب، فيكون العطف لإفادة تفصيل المسند لا غير " . [1]

قوله: ورد قد نفي إلخ، يعنى أن من نكت العطف رد السامع عن الخطأ في الحكم إلى الصواب في نحو:

جَــاءَ أَبُــوكَ لا الأَجَــلْ .

لمن اعتقد أو ظن أن الأجل جاء دون الأب، فيكون قصر قلب، أو أنهما جاءا معا فيكون قصر إفراد، وهذا بناء على أن لا تستعمل في قصر الإفراد والقلب، وفى دلائل الإعجاز أنها تستعمل في قصر القلب فقط، ولم يذكر السعد قصر التعيين ؛ لأن المخاطب فيه لا حكم عنده من اعتقاد أو ظن حتى يرد إلى الصواب ؛ لأن الخطأ والصواب إنما يقالان في الأحكام، وإن كانا قد يطلقان قليلا على غير

(1) – المطول شرح تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، لسعد الدين مسعود بن عمر التفتزاني ت792 هـ، ج1 ص214، تحقيق الدكتوران ع العزيز بن محمد السالم وأحمد بن صالح السديس، ط مكتبة الرشد ناشرون.

الأحكام .

وقال الشهاب ابن القاسم: " يفهم من كلام الشارح في بحث القصر أنه يخاطب به من اعتقد مجيء أحدهما من غير تعيين، لكنه حينئذ ليس لرد السامع إلى الصواب، بل لحفظه عن الخطأ، فلتكن هذه نكتة أخرى " . [63]

تنبيــه

اعلم أن " لكن" ك " لا" تأتي لرد السامع عن الخطأ في الحكم إلى الصواب، لكن في قصر القلب فقط، فقولك: ما جاءني زيد لكن عمرو، لمن اعتقد أن زيدا جاءك دون عمرو لا لمن اعتقد أنهما جاءاك معا فيكون قصر إفراد .

وفى كلام النحاة ما يشعر بأنه إنما يقال لمن اعتقد انتفاء المجيء عنهما معا، فيكون قصر إفراد، لأنهم قالوا: " الاستدراك رفع ما يتوهم من الكلام السابق رفعا شبيها بالاستثناء " كما في نحو ما جاء زيد، فيتوهم عدم مجيء عمرو أيضا لما بينهما من الاشتراك والاصطحاب، فيقال لكن عمرو، فهذا يدل على أن المتوهم الاشتراك في النفي، وجمع بعض النحويين بين كلام أهل الفن وكلام النحاة بأن كلام أهل الفن في صورة الإثبات وكلام النحاة في صورة النفي، وقصر الإفراد لم يستعمل في النفي وإن كان جائزا، فلذا لم يتعرض له المفتاح والإيضاح .

أَوْ صَرْفِ حُكْمٍ لِلسِّوَى فِي عَطْفِ بَلْ

يعنى أن العطف قد يكون لصرف الحكم عن محكوم عليه للسوى أي إلى محكوم عليه آخر سوى الأول، نحو جاء زيد بل عمرو، وما جاء زيد بل عمرو، فإن بل للإضراب عن المتبوع وصرف الحكم إلى التابع، ومعنى الإضراب أن يجعل المتبوع في حكم المسكوت عنه أي لا يثبت له الحكم ولا ينفى عنه، بل يحتمل الوجهين على السواء .

وتقرير البيتين: والعطف للتفصيل أي عطف شيء على المسند إليه كائن لأجل التفصيل بالإيجاز أي مع الإيجاز أي الاختصار في هذا أي المسند إليه ومسند، ولأجل رد قد نفي به الخطأ عن السامع في عطف لا، نحو جاء أبوك لا الأجل، ولأجل صرف حكم عن محكوم عليه للسوى أي إلى سواه بعطف بل أي في عطفها .

والباء في قوله بالإيجاز بمعنى مع، وقوله ومسند بالجر معطوف على قوله في هذا وهو متعلق بقوله للتفصيل، وقوله ورد بالجر معطوف على قوله للتفصيل، وقوله نفي به الخطأ في محل صفة لقوله ردونفي مبني للمفعول ونائبه الخطأ بالتخفيف في البيت للوزن، وقوله في جا إلخ بالقصر للوزن .

وقوله: وصرف بالجر عطف على قوله ورد، واللام في قوله للسِّوَى بمعنى إلى، وتعريف سوى شاذ لضرورة الوزن .

وقوله: بعطف متعلق بقوله صرف .

وَالشَّـكِّ والتَّشْـكِيكِ قُلْـتُ أَوْ سِـوَى ... ذَلِكَ مِمَّا حَرْفَ عَطْفٍ قَدْ حَوَى وبَدَلُ

يعنى أن العطف أي عطف شيء على المسند إليه للشك أي لشك المتكلم والتشكيك أي ولتشكيك السامع أي قصد إيقاعه في الشك، ويكون لسوى ذلك، أي لغير ما ذكرنا من النكت، مما حرف عطف قد حوى، أي من النكت التي حواها سائر حروف العطف المقررة في النحو، كالإباحة والتخيير وكالإبهام نحو قوله تعالى: **﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ 24﴾**[1] [64] والفرق بين الإبهام والتشكيك، أن المقصود في التشكيك إيقاع المخاطب في الشك، والمقصود في الإبهام عدم مواجهة المخاطب بالتصريح والتعيين لمصلحة اقتضت ذلك، لإيقاعه في الشك، وإن لزم منه ذلك، والفرق بين المقصود والحاصل بلا قصد واضح .

قوله: والشك بالجر عطف على قوله وصرف حكم في البيت قبله، وقوله والتشكيك معطوف على قوله والشك، والمشار إليه بقوله ذلك النكت المذكورة هنا، ومن في قوله مما مبينة لقوله سوى، وما اسم موصول صلته الجملة بعده، والعائد إليه ضمير محذوف مفعول لقوله حوى أي من النكت التي حرف عطف قد حواها .

وَبَـدَلُ الْكُـلِّ وبَعْـض واشْـتِمَالْ ... لِزَيْـدِ تَقْرِيـر وإيضَـاح يُقَـالْ[2]

---

(1) – سورة سبأ، الآية: 24

(2) – في المطبوع: «عقود الجمان في علم المعاني والبيان» (ص39):

وَبَـدَلُ الشَّـيْءِ وبَعْـضٍ واشْـتِمَالْ ... لِزَيْـدِ تَقْرِيـرٍ وإِيضَـاحٍ يُقَـالْ

هذا شروع في الإبدال من المسند إليه يعنى أن المسند إليه يبدل منه بدل كل من كل، وبدل بعض من كل، وبدل اشتمال، لأجل زيادة التقرير بمعنى المسند إليه، لما فيه من التكرار له وتقرير النسبة والحكم لأنه في حكم تكرير العامل، فنكتة البدل التقريران وإعطاء النسبة للثاني الذي يلزم عليه التقريران والإيضاح أي إيضاح معنى المسند، والإيضاح ملازم للتقريرين، وبذل النسبة للبدل دائما في كل أنواع البدل الثلاثة .

مثال الكل من الكل: جاء زيد أخوك، وهو أن يكون المراد منه نفس المراد من الأول، وإن كان مفهوما هما متغايرين، والمفهوم هنا ما وضع له اللفظ، فقد قررت زيدا بتكريره والنسبة بتكريرها، وأوضحت زيدا بذكر البدل لاشتراك زيد بينه وبين غيره .

ومثال بدل البعض من الكل: جاء القوم أكثرهم، وهو الذي تكون ذاته بعضا من ذات المبدل منه، وفيه من النكت ما في بدل المطابقة .

ومثال بدل الاشتمال: سُلب عُمَرُ ثوبَه "، وهو الذي لا يكون عين المبدل منه ولا بعضه، ويكون المبدل منه مشتملا عليه، ولا يشترط أن يكون اشتماله عليه كاشتمال الظرف على المظروف، بل أعم من ذلك، بأن يشتمل عليه من حيث كونه دالا عليه بوجه ما بحيث تكون النفس عند ذكر المبدل منه متشوفة إلى ذكر البدل، فيجيء هو مبينا لما أجمل أولا ومقررا .

وتقرير البيت: وبدل الكل من الكل وبدل البعض من الكل وبدل الاشتمال في المسند إليه يقال أي يذكر لأجل زيد تقرير أي زيادة تقرير لمعنى المسند إليه والنسبة وإيضاح لمعنى المسند إليه أيضا، فقوله وبدل الكل مبتدأ وقوله وبعض بالجر عطف على قوله الكل، وقوله واشتمال بالجر عطف على قوله الكل، وجملة يقال بالبناء للمفعول خبر المبتدأ، ونائبها ضمير عائد على المبتدأ الذي هو بدل، واللام في قوله لزيد تقرير لام العلة، وهي متعلقة بقوله يقال، وقوله وإيضاح بالجر عطف على قوله تقرير . [65]

وَالْفَصْـــلُ لِاخْتِصَاصِـــهِ بِالْمُسْـــنَدِ   والْمَيْـــزُ مِـــنْ نَعْـــتٍ ولِلتَّأَكُّـــدِ(1)

---

(1) - في المطبوع: «عقود الجمان في علم المعاني والبيان» (ص39):

وَالْفَصْـــلُ تَخْصِيصًـــا لَـــهُ بِالْمُسْـــنَدِ   والْمَيْـــزُ مِـــنْ نَعْـــتٍ ولِلتَّأَكُّـــدِ

هذا شروع في تعقيب المسند إليه بضمير الفصل، وهو لفظ صيغته صيغة الضمير المرفوع مطابق للمبتدأ متوسط بينه وبين الخبر قبل دخول العوامل وبعده إذا كان الخبر معرفة أو اسم تفضيل أو فعلا مضارعا، وإنما جعل من أحوال المسند إليه دون المسند لأنه يقترن به أولا أي قبل الإتيان بالمسند، ولأنه في اللفظ مطابق له، لأنه يتبعه في الإفراد وفرعيه، ولا يطابق المسند، لأنه قد يكون مضارعا واسم تفضيل، يعنى أن ضمير الفصل يأتي للدلالة على اختصاصه أي المسند إليه بالمسند أي قصر المسند على المسند إليه، بحيث لا يتجاوزه إلى غيره، فقولك: زيد هو القائم، القيام فيه مقصور على زيد ولا يتعداه إلى عمرو، ولهذا يقال في تأكيده للعهد، وقد يأتي لقصر المسند إليه على المسند أي اختصاص المسند بالمسند إليه، نحو الكرم هو التقوى، والحسب هو المال، أي لا كرم إلا بالتقوى، ولا حسب إلا المال، فالكرم مقصور على التقوى والتقوى مختص به، وكذلك الحسب .

ويأتي للميز من نعت أي لتمييز الخبر من النعت عند أول وهلة ؛ لأن قولك: زيد الفاضل يحتمل عند أول السماع أن الفاضل نعت، والخبر يذكر بعد ذلك، فإذا أتي بعد الفصل لم يحتمل إلا الخبرية .

ويأتي للتأكد أي لمجرد التأكيد أي تأكيد ثبوت المسند للمسند إليه، أو تأكيد التخصيص والحصر، إذا كان التخصيص حاصلا بدونه، نحو ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾[1] فالرزاق مقصور على الله أي لا رازق إلا الله، وأكد القصر بضمير الفصل .

قال في الإتقان: " وله ثلاث فوائد، الإعلام بأن ما بعده خبر لا تابع، والتأكيد، ولهذا سماه الكوفيون دعامة لأنه يدعم به الكلام أي يقوى ويؤكد، وبنى عليه بعضهم أنه لا يجمع بينه وبينه، فلا يقال: " زيد نفسه هو الفاضل والاختصاص .

وذكر الزمخشريُّ[2] الثلاثةَ في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ 4﴾ [البقرة: 5] [1]

(1) – الذاريات، الآية: 58

(2) – «الزَّمَخْشَرِي (467 – 538 هـ = 1075 – 1144 م)

محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشريّ، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها.

قَوْلُهُ: والفصل مبتدأ خبره الجار والمجرور بعده أي والفصل أي تعقيب المسند إليه بضمير الفصل كائن لأجل اختصاصه أي المسند إليه بالمسند .

وقوله: بالمسند متعلق بقوله اختصاصه، والباء للتعدية .

وقوله: والميز بالجر عطف على قوله لاختصاصه .

وقوله: من نعت متعلق بقوله الميز، وقوله وللتأكد عطف على قوله لاختصاصه، واللام فيهما لام العلة .

وَكَوْنُـــــهُ مُـــــؤَخَّرًا لِمُقْتَضَـــــى تَقَـــدُّمِ الْمُسْـــنَدِ أَمْـــرٌ مُرْتَضَـــى[2]

هذا شروع في بيان نكت تأخير المسند إليه وتقديمه، وإنما قدم الناظم ﷺ الكلام على تأخيره على الكلام على تقديمه لأمرين:

أحدهما: أن الكلام في التقديم [66] يطول ويستتبع أشياء تتعلق به .

الثاني: أنه قاسه على تقديم الحذف على الذكر ؛ لأن كلا منهما خلاف الأصل، فالنكتة فيه أشد من الأصل انتهى .

يعنى أن كونه أي المسند إليه مؤخرا عن المسند لمقتضى تقدم المسند، أي لأجل اقتضاء المقام تقديم المسند أمر مرتضى عند البيانيين، ومما يقتضي تأخيره اقتضاء المقام تقديم متعلق المسند نحو

أشهر كتبه (الكشاف – ط) في تفسير القرآن، و(أساس البلاغة – ط) و(المفصل – ط) ومن كتبه (المقامات – ط) و(الجبال والأمكنة والمياه – ط) و(المقدمة – ط) معجم عربي فارسي، مجلدان، و(مقدمة الأدب – خ) في اللغة، و(الفائق – ط) في غريب الحديث، و(المستقصى – ط) في الأمثال، مجلدان، و(رؤوس المسائل – خ) في شستربتي (3600) و(نوابغ الكلم – ط) رسالة، و(ربيع الأبرار – ط) الجزء الأول منه، و(المنتقى من شرح شعر المتنبي، للواحدي – خ) منه نسخة في مكتبة شيخ الإسلام، بالمدينة، رقم 795 كتبت سنة 633 في 136 ورقة (كما في مذكرات الميمني) و(القسطاس – خ) في العروض، و(نكت الأعراب في غريب الإعراب – خ) رسالة، و(الأنموذج – ط) اقتضبه من المفصل، و(أطواق الذهب – ط) و(أعجب العجب في شرح لامية العرب – ط) وله (ديوان شعر – خ) .

وكان معتزلي المذهب، مجاهرا، شديد الإنكار على المتصوفة، أكثر من التشنيع عليهم في الكشاف وغيره» «الأعلام للزركلي» م س. ج7 ص178.

(1) – نقلا عن الإتقان في علوم القرآن م س ج2 ص340

(2) – في المطبوع: «عقود الجمان في علم المعاني والبيان» (ص39):

وَكَوْنُـــــهُ مُـــــؤَخَّرًا فَلاقْتِضَـــــا تَقَـــدُّمِ الْمُسْـــنَدِ أَمْـــرٌ مُرْتَضَـــى

على الله عبده متوكل .

فقوله: وكونه مبتدأ وقوله مؤخرا خبر لكون لأنه مصدر كان، واسمها الضمير المضاف إلى الكون، وقوله لمقتضى متعلق بقوله مؤخرا واللام لام العلة، والمقتضى مصدر ميمي من غير الثلاثي على زنة المفعول، وقوله تقدم بالجر مفعول المصدر مضاف إليه، وقوله المسند فاعل لقوله تقدم مضاف إليه وقوله أمر مرتضى بالرفع خبر المبتدأ الذي هو الكون .

وَكَوْنُــــهُ مُقَـــدَّمًا إِذْ هُــــوْ الْمُهِـــمُّ ... لِأَنَّـــهُ الْأَصْــلَ ومَخْــرَجٌ عُـــدِمْ[1]

يعنى أن كون المسند إليه مقدما، إذ هو المهم، أي لأنه هو المهم، حاصل لأجل أنه أي التقديم الأصل، لأنه محكوم عليه، والأصل في المحكوم عليه التقديم، ومخرج له عن الأصل، قد عدم، أي والحال قد عدم ما يخرجه عن أصله، فظهر من هذا أن مجرد الأصالة لا يكون سببا للتقديم، بل لا بد معه من انعدام ما يقتضي النقل عن الأصل كما في الجملة الفعلية، فإن كون المسند هو العامل، يقتضي العدول عن تقديم المسند إليه، وإنما كان الأصل تقديمه لأنه محكوم عليه قبل المسند لأنه محكوم به ؛ لأن المحكوم عليه موصوف، والمحكوم به صفة، وثبوت الصفة فرع عن ثبوت الموصوف .

قوله: وكونه مبتدأ خبره قوله لأنه الأصل، أي كونه مقدما كائن لأنه الأصل، وإذْ في قوله إذ هو المهم حرف تعليل معللة لما قبلها، وقوله هو المهم مبتدأ وخبر، وتسكين الواو في قوله هو لضرورة الوزن، وهو عائد إلى المسند إليه، والضمير في قوله لأنه الأصل، عائد إلى التقديم، المفهوم من قوله مقدما، والواو في قوله ومخرج عدم واو الحال، والجملة حال من ضمير التقديم المنصوب بأن .

أَوْ لِـــتَمَكُّنْ خَـــبَرٍ فِي الـــذِّهْنِ إِذْ ... فِي الْمُبْتَـــدَا تَشَـــوُّقٌ لَـــهُ أُخِـــذْ

يعنى أنه يقدم ليمكن خبر في الذهن أي لأجل أن يمكن أي تمكين الخبر في ذهن السامع إذ أخذ في المبتدأ تشوق له أي الخبر، أي لأجل ما في المبتدأ من التشويق إلى الخبر، وذلك بأن يوصف المبتدأ بأمر غريب مشوق إلى معرفة خبره، كقول المعري:

---

(1) - في المطبوع: «عقود الجمان في علم المعاني والبيان» (ص39):

وَكَوْنُــــهُ مُقَـــدَّمًا إِذْ هُــــوْ الْمُهِـــمّْ ... لِكَوْنِــــهِ الْأَصْــــلَ ومَخْـــرَجٌ عُـــدِمْ

والــذي حـــارتِ البريَّـــة فيـــهِ ... حَيـــوانٌ مُســـتحدَثٌ مـــن جَمـــاد

فالمبتدأ موصوف بأمر غريب، وهو حيرة البرية فيه، وذلك الوصف مشوق إلى معرفة خبره، وكذا إذا كان في المبتدأ طول، وإن لم يشتمل على أمر عجيب، ويطول بالصلة والصفة، ونحو ذلك، نحو صديقك زيد، الفاعل، الصانع، رجل صدوق، ونحو قولك: [67] الذي سرني خبر قدومك، ففي المبتدأ الأول طول، وهو وصفه بالفاعل والصانع، وذلك مشوق إلى معرفة الخبر، وفى الثاني طول بالصلة وهي سرني وذلك مشوق إلى معرفة خبره .

قوله: أو ليمكن بالبناء للمفعول وتسكين النون أي آخره لضرورة الوزن، لأنه منصوب بأن مضمرة بعد اللام معطوف على قوله لأنه الأصل في البيت قبله، وقوله خبر بالرفع نائبه، وقوله في الذهن متعلق بقوله ليمكن .

وقوله: تشوق له مبتدأ وله متعلق به، وخبره قوله فيالمبتدأ مقدم عليه، وقوله أخذ بالبناء للمفعول نائبه ضمير عائد إلى قوله تشوق، والجملة في محل صفة له .

أَوْ سُـــرْعَةِ الشُّـــرُورِ لِلتَّفَـــاؤُلِ ... أَوْ لِمَسَـــاءَةِ الْعَـــدُوِّ الْعَـــاذِلِ

يعنى أن المسند إليه يقدم لأجل سرعة السرور، أي لأجل تعجيل سرور السامع، للتفاؤل أي لما في المسند إليه من التفاؤل، ولأجل تعجيل مساءة العدو العاذل، أي العائب، لما في المسند إليه من التطير .

فالأول نحو سعد في دارك، والثاني نحو جمرة في دارك، نظرا لمعناهما الأصلي، وأما مطلق التفاؤل والتطير دون قصد سرعة السرور أو سرعة المساءة، فحاصلان مع التأخير لقول المعري:

ســـألن فقلـــنَ مَقصِـــدنا سَـــعيد ... فكـــان اســـمُ الأمـــير لهـــنَّ فـــالا

حيث جعل اسم سعيد تفاؤلا مع تأخره .

قوله: أو سرعة السرور بالجر عطف على قوله أو ليمكن في البيت قبله، وقوله أو لمساءة بالجر عطف على قوله أو سرعة .

أَوْ كَوْنِـــهِ يُـــوهِمُ الِاسْـــتِلْذَاذَ بِـــهْ ... أَوْ لازِمَ الخَـــاطِرِ والَّـــذِي شَـــبَهْ

يعنى أن المسند إليه يقدم لكونه أي التقديم يوهم السامع الاستلذاذ به، أي استلذاذ المتكلم

بالمسند إليه، لكونه محبوبا له، ومن استلذ شيئا قدم ذكره، أو لازم الخاطر، أي أو لكون التقديم يوهم السامع أن المسند إليه ملازم لخاطر المتكلم، لكونه مطلوبا له ومحبوبا له .

نحو: لَيْلى يُسَرُّ القلبُ بذكْرِها، وهذا المثال للأمرين .

قوله: والذي شبه يعنى أنه يقدم للذي شبه ما ذكرنا من النكت كالتعظيم نحو ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1] والتحقير نحو رجل جاهل في دارك، والدلالة على أن المطلوب إنما هو اتصاف المسند إليه بالمسند على الاستمرار لا مجرد صدوره عنه، كقولك في جواب كيف الزاهد ؟ الزاهد يشرب ويطرب، فتقدم المسند إليه للدلالة على استمرار اتصافه بالمسند، بخلاف لو قلت يشرب الزاهد، فإنه يدل على مجرد صدوره منه في الحال أو الاستقبال كذا في المطول، جاعلا له معنى كلام المفتاح، وبحث فيه السيد بأن الاستمرار ليس مستفادا من التقديم، بل من المضارع، فإنه يفيد استمرارا تجدديا إذا كان هناك قرينة، لما في قوله تعالى: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾[2]

وههُنا قرينةٌ دالة على أن المضارع للاستمرار، وهي أن كيف إنما يسأل بها [68] عن الحالات[68] المستمرة في أكثر الأوقات، وقيل أراد أنَّ موصوفية المسند إليه بمضمون الخبر هو المطلوب، دون وصفية الخبر له، وهما اعتباران متلازمان، لكنه قد يقصد الأول، كما إذا كان الكلام في الزاهد، وأنه هل يتصف بالشرب أم لا ؟ فيقال الزاهد يشرب، وقد يقصد الثاني كما إذا كان الكلام في الشرب، وأنه هل يقع وصفا للزاهد، فيقال يشرب الزاهد، وهذا الوجه الأول هو الأولى في تفسير كلام المفتاح، قاله في فيض الفتاح .[3]

قوله: أو كونه بالجر عطف على قوله أو لمساءة في البيت قبله، والضمير فيه عائد إلى التقديم، وقوله يوهم بالبناء للفاعل وفاعله عائد إلى التقديم المفهوم من المقام، والضمير في قوله به عائد إلى المسند إليه المفهوم من المقام أيضا .

(1) – النور، الآية: 35

(2) – الحجرات، الآية: 7

(3) – فيض الفتاح للعلوي، م س. ج1 ص122

وقوله: أو لازم الخاطر فعل ماض مبني للفاعل وفاعله ضمير عائد إلى المسند إليه أيضا، والخاطر بالنصب مفعوله، وهو معطوف على قوله الاستلذاذ به من عطف الفعل على الاسم في محل نصب، لأنه معطوف على مفعول قوله يوهم .

والمعنى: أو لكونه يوهم الاستلذاذ به، أو ملازمته للخاطر، والذي سبق عطف على قوله أو كونه .

قِيــلَ ولِلتَّخْصِـيصِ بِالْفِعْــلِ الْخَــبَرْ تَالِيَ نَفْـــيٍ نَحْـــوُ مَـــا أَنَا أُضَـــرّْ
أَيْ بَــلْ سِـــوَايَ ولِهَــذَا لَمْ يَصِـــحّْ ولا سِـــوَايَ والقِيَـــاسُ مُتَّضِـــحْ

أي قال عبد القاهر الجرجاني[1] في دلائل الإعجاز: إنه يقدم لأجل إفادة التخصيص، أي تخصيص المسند إليه بالفعل الخبر أي بالخبر الفعلي حال كون المسند إليه تالي نفي أي حرف نفي متصلا به بلا فاصل، نحو ما أنا أضر أي ما أضر، بل يضر سواي أي غيري، فالتقديم يفيد نفي الفعل المذكور وثبوته لغيره على الوجه الذي نفي عنه من العموم والخصوص، فلا يقال هذا إلا في شيء ثبت أنه وقع، وأنت تريد نفي كونك الفاعل له، لا نفي الفعل بالكلية، ولا يلزم ثبوته لجميع من سواك ؛ لأن التخصيص إنما هو بالنسبة إلى من توهم المخاطب اشتراكك معه في الفعل أو انفرادك به دونه، أو بالنسبة إلى من يتردد فيه معك، ولهذا لم يصح ولا سواي، أي ولأجل أن التقديم يفيد نفي الفعل عن المذكور مع ثبوته لغيره، لم يصح ما أنا أضر ولا سواي ؛ لأن مفهوم ما أنا أضر ثبوت الضر لغير المتكلم، ومنطوق ولا سواي نفيه عن غير المتكلم أيضا، وهذا تناقض، بل يجب عند قصد هذا المعنى تأخير المسند إليه، ويقال ما أضر ولا غيرى، وهذا إن لم يقم دليل على أن التقديم لغرض غير التخصيص، والأصح عطف ولا سواي، ويمكن أن يجعل من الدليل قوله ولا سواي، ومجيئه لغير التخصيص كما إذا ظن المخاطب بك ظنين فاسدين، أحدهما أنك فعلت هذا الفعل، والآخر

---

(1) - عَبْد القَاهِر الجُرْجَاني (000 - 471 هـ = 000 - 1078 م)

عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر: واضع أصول البلاغة. كان من أئمة اللغمة. من أهل جرجان (بين طبرسات وخراسان) له شعر رقيق. من كتبه " أسرار البلاغة – ط " و" دلائل الإعجاز – ط " و" الجمل – خ " في النحو، و" التتمة – خ " نحو، و" المغني " في شرح الإيضاح، ثلاثون جزءا، اختصره في شرح آخر سماه " المقتصد – خ " في الظاهرية، و" إعجاز القرآن – ط " و" العمدة في تصريف الأفعال، و" العوامل المئة – ط " «الأعلام للزركلي» م س. ج4 ص49.48.

أنك تعتقد أن فاعله غيرك، فيقول لك أنت فعلت كذا لا غيرك، فتقول له ما أنا فعلته ولا أحد غيرى، قصدا إلى إنكار نفس الفعل، [69] فتقدم المسند إليه، ليطابق كلامه .

قولُه: والقياس متضح يعنى أن قياس غير هذا المثال على هذا المثال متضح أي واضح .

وقال صاحبُ المفتاح: لا يشترط كون الخبر فعلا، بل التقديم المذكور يفيد الحصر، إذا كان الخبر مشتقا فعلا أو غيره، [1] نحو ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ٩١﴾[2]

وَلا كَمَـــا أَنَا رَأَيْــــتُ أَحَــــدَا ... ولا أَنَا ضَـــرَبْتُ إِلَّا مَــــنْ عَــــدَا

وَمَــا سِــوَى التَّــالِي لِتَخْصِـيصٍ ورَدْ ... عَلَــى الَّــذِي يَــزْعُمُ غَــيْرُهُ انْفَــرَدْ

أَوْ شَــارَكُوا نَحْــوُ أَنَا الَّــذِي عَــلا

أي وكما لا يصح أن يقال: ما أنا فعلت كذا ولا غيري، لا يجوز نحوما أنا رأيت أحدا، ولا نحوما أنا ضربت إلا من عدا، لأنه يقتضى في الأول أن يكون إنسان غير المتكلم قد رأى كل أحد من الناس، لأنه قد نفى الرؤية عن المتكلم على جهة العموم في المفعول، فيجب أن يثبتها لغيره على وجه العموم فيه أيضا، ليتحقق تخصيص المتكلم بهذا النفي، ويقتضي في الثاني أن يكون إنسان غير المتكلم قد ضرب كل أحد غير من عدا ؛ لأن المستثنى منه مقدر عام .

وعبر الناظم بعدم الصحة تبعا للتلخيص بناء على ما يتبادر منه وهو الاستغراق الحقيقي، وإن أمكن تصحيحه بحمل النكرة الواقعة في سياق النفي على الاستغراق العرفي، ولذا ذكره في المفتاح بلفظ الاستهجان .

قوله: وما سوى التالي إلخ [70] يعنى أن تقديم المسند إليه غير التالي لحرف النفي أي غير التابع له، بأن لم يكن في الكلام نفيٌ أصلا، أو فيه لكنه متأخر [70] عن المسند إليه، يكون لتخصيص المسند إليه بالمسند، والرد على الذي يزعم أنَّ غيرَه أي المسند إليه انفرد بالحكم أو شاركه فيه، نحو: أنا الذي علا وأنا ما سعيتُ في حاجتك .

بِنَحْــــوِ لا غَــــيْرِيَ أَكِّــــدْ أَوَّلا

(1) - هذه الفقرات مأخوذة من فيض الفتاح م س ص122

(2) - سورة هود، الآية: 91

وَنَحْوِ وحْدِي ثَانِيًا أي أكد الأول، وهو التقديم الذي للرد على من يزعم انفراد غير المتكلم بالحكم بنحو لا غيري، فتقول لمن زعم انفراد غيرك بالحكم كالعلو مثلا: أنا الذي علا لا غيري، وأكد ثانيا، وهو التقديم الذي للرد على من يزعم مشاركة المتكلم للمتكلم في الحكم بنحو وحدي، فتقول لمن زعم مشاركة غيرك معك في الحكم كالعلو مثلا: أنا الذي علا وحدي، أو أنا سعيت في حاجتك وحدي، لمن زعم مشاركة غيرك معك في السعي، والأول يسمى قصر القلب، والثاني قصر الإفراد، وكذا إذا كان المخاطب مترددا في الحكم هل هو لك أو لغيرك ؟ كالعلو مثلا، فتقول له: أنا الذي علا، فيكون قصر تعيين، والغرض من التأكيد رفع شبهة وقعت في قلب السامع، والشبهة في الأول صدور الفعل من غيرك، وفى الثاني مشاركة غيرك معك فيه .

ومثال الثلاثة في النفي: أنت ما سعيت في حاجتي، لمن زعم انفراد غيره بعدم السعي، أو مشاركة غيره له فيه، أو تردد في ذلك .

. . وورَدَا ... تَقْوِيَـةُ الْحُكْـمِ كَـذَا يُـولِي النَّـدَا
وَلَـوْ نَفَـى الْفِعْـلَ كَأَنْـتَ لا تَـذُمّْ ... فَـذَا عَـلا عَـنْ لا تَـذُمّْ ولَـوْ تَضُـمّْ
أَنْـتَ إِذِ التَّأكِيـدُ لِلمَحْكُـومِ لا ... لِلحُكْـمِ . .

يعنى أن تقديم المسند إليه غير التالي لحرف النفي، نحو أنا سعيت في حاجتك، وأنا ما سعيت في حاجتك، ورد لأجل تقوية الحكم، وتقريره في ذهن السامع دون تخصيص المسند إليه به كقولك: ذا يولى الندى، قصدا إلى أن تقرر وتقوي في ذهن السامع إيلاء المسند إليه للندى، لا إلى أن غيره لا يولى الندى، وسبب تقويته تكرير الإسناد، إذ الفعل أسند أولا للمبتدأ الذي هو اسم الإشارة، ثم أسند ثانيا إلى ضميره هذا، إذا كان الفعل مثبتا، كالمثال، بل ولو نفي الفعل كقولك: أنت لا تذم، قصدا إلى أن تقوي وتقرر في ذهن السامع عدم ذم المخاطب، بتكرير الإسناد، لا إلى أن غير المخاطب يذم، فذا أي تقديم المسند إليه عَلا أي ارتفع عن عدم تقديمه، كلا تذم، لتكرر الإسناد في الأول دون الثاني، إذ الفعل في الثاني إنما أسند مرة واحدة إلى ضمير المخاطب، هذا إذا لم تضم أنت لقولك لا تذم، بل ولو تضم أنت إليه، فإن قلت لا تذم أنت، إذ التأكيد في قولك لا تذم أنت للمحكوم عليه الذي هو المخاطب، لا للحكم الذي هو عدم الذم، وفى قولك " أنت لا تذم" للحكم ؛ لأن سببه

تكرير الإسناد لا للمحكوم الذي هو المخاطب، وتأكيد الحكم أبلغ في تقويته وتقريره في ذهن السامع من تأكيد المحكوم عليه .

قوله: تقويةَ الحُكم بالنصب مفعول لأجله، وقوله ولو نفى الفعل بسكون الياء لضرورة الوزن، وقوله لا تذم بالبناء للمفعول، والمشار إليه بقوله فذا تقديم المسند إليه، أو المثال السابق قريبا، وقوله تضم بالبناء للفاعل، وقوله إذ حرف تعليل معللة لعلو قولك: أنت لا تذم، عن قولك لا تذم أنت، وهذا التفصيل كله محله إذا بني الفعل على معرف، بأن جعل الفعل خبرا عن معرف، ظاهرا كان أم مضمرا، والتفصيل هو كونه في نحو أنا ما سعيت في حاجتك، وأنا سعيت في حاجتك، تارة للتخصيص وتارة لتوكيد الحكم وتقويته، وأما إذا بني على منكر فهو ما أشار إليه بقوله:

. . والفِعْـــلُ إِذِ النُّكْـــرَ تَـــلا

فَهْــوَ لِفَـــرْدٍ أَوْ لِجِـــنْسٍ حَصَـــرَهْ كَرَجُـــلٍ جَـــا لا رِجَـــالٍ أَوْ مَـــرَهْ

يعنى أن الفعل إن تلا نكرة، بأن أخبر به عنها، فهو أي التقديم حصره أي الفعل لجنس أو لفرد أي على الجنس أو على الفرد، كرجل جاء لا رجال ولا رجلان، فيكون تخصيص المفرد أو رجل جاء لا امرأة، فيكون تخصيص الجنس، والمثال في البيت راجع إلى الحكم على اللف والنشر المعكس، إذ قوله لا رجال راجع إلى حصر الفعل على المفرد، وقوله أومره راجع إلى قوله أو لجنس، فإن المخاطب إذا عرف أن قد أتاك آت ولم يدر جنسه أرجل أم امرأة، أو اعتقد أنه امرأة، كان تقديم النكرة هنا مفيدا لتخصيص الجنس، فعلى الأول يكون قصر تعيين، وعلى الثاني قصر قلب، وإذا عرف أن قد أتاك آت من جنس الرجال ولم يدر أرجل أم رجلان، أو اعتقد أنه رجلان كان تقديمها مفيدا لتخصيص الواحد، فعلى الأول يكون قصر تعيين، وعلى الثاني قصر إفراد .

قال في المطول: " ولفظ دلائل الإعجاز مفصح عن أنه يدخل في تخصيص الجنس تخصيص النوع، نحو رجل طويل جاءني، على معنى أن الجائي من جنس طوال الرجال، لا من جنس قصارهم " انتهي، قاله في فيض الفتاح . [1]

قوله: إِذِ النُّكْرَ تلا بنصب النكر على المفعولية لقوله تلا، والضَّميرُ في قوله فهو عائد إلى التقديم

(1) - فيض الفتاح م س. ج1 ص124

المفهوم من المقام، واللام في قوله لجنس ولفرد بمعنى على، وقوله أو مره بحذف همزة الوصل، وفتح الميم لغة في امرأة، وقوله جا بالقصر لضرورة الوزن .

وَقَـــالَ يُوسُـــفٌ كَـــذَا إنْ قُـــدِّرَا فَاعِلُـــهُ مَعْـــنًى فَقَـــطْ مُـــؤَخَّرَا

يعنى أن يوسف السكاكي قال كذا، والمشار إليه ما تقدم من مذهب عبد القاهر، أي قال قولا كذا أي كما قال الجرجاني من أن التقديم يفيد التخصيص والتقوى، لكن خالفه في شروط وتفاصيل، فقال إن التقديم يفيد التخصيص بالخبر الفعلي، بشرط أن يقدر كونه أي المسند إليه فاعله أي الخبر الفعلي في المعنى فقط، أي لا في اللفظ مؤخرا، أي شرط في إفادة تقديم المعرف المسند إليه التخصيص، أن يكون المعرف فاعلا في المعنى فقط لا في اللفظ والمعنى معا، وأن يكون جائزا تقدير تأخيره في الأصل مع كونه فاعلا في المعنى فقط، نحو أنا قمت، وهو قائم، وأنت قمت، يجوز أن يقدر أن أصله قمت أنا، فيكون أنا فاعلا معنى تأكيدا لفظا، وشرط أيضا أن ينوي ويقدر كونه في الأصل مؤخرا على أنه فاعل معنى فقط، وسكت الناظم عن هذا الشرط الثالث .

والكاف في قوله كذا مفعول مطلق نائب عن مصدر من قال أي قال قولا مثل ذا، وقوله إن قدر بالبناء للمفعول نائبه ضمير راجع إلى المسند إليه المقدم المفهوم من المقام .

وقوله: فاعله بالنصب مفعول قدر الثاني، والضمير فيه عائد إلى الخبر الفعلي .

وقوله: معنى تمييز أو ظرف مكان، وقوله مؤخرا حال من نائب قدر .

وَإِنْ يَجُـــزْ وَلَمْ يُقَـــدَّرْ أَوْ مُنِـــعْ لَمْ يُسْـــتَفَدْ غَـــيْرُ التَّقَـــوِّي فَاسْـــتَمِعْ

أي وإن يجز التأخير كما في أنا قمت، ولم يقدر أي لم يقدره المتكلم متأخرا فاعلا معنى فقط، أو منع التأخير أصلا نحو زيد قام، فإنه لا يجوز أن يقدر أن أصله قام زيد، فقدم لأن زيدا حينئذ فاعل لفظا ومعنى، وهو لا يجوز تقديمه على الفعل، لم يستفد من التقديم غير التقوى أي غير تقوي الحكم وتقريره في ذهن السامع، فاستمع ما أفصل لك .

قوله: وإن يجز بالبناء للفاعل، وفاعله عائد إلى التقديم، وقوله أو منع بالبناء للمفعول ونائبه ضمير عائد إلى التقديم أيضا، وقوله لم يستفد ببناء المضارع للمفعول ونائبه غير بالرفع، ثم استثنى من قوله أو منع إذ الممنوع تأخيره على أنه فاعل معنى فقط وهو المسند إليه المظهر إذا كان معرفة،

وذلك يوهم أن المسند إليه المظهر المنكر المذكور كذلك، فيكون لو قدر مؤخرا كان فاعلا لفظا، فيكون غير مفيد للتخصيص، فلا يفيد إلا التقوي[72] كالمظهر المعرفة فقال:

إِلَّا مُنَكَّـــــرًا ولَـــــوْ إِنْ أُخِّـــــرَا   فَفَـاعِلاً فِي الْمَعْنَـى[1] أَيْضًـا قُـدِّرَا

بِجَعْلِـــهِ مِـــنَ الضَّـــمِيرِ مُبْـــدَلا

أي فإذا منع التأخير أصلا لم يستفد من تقديم المسند إليه المظهر المعرفة غير التقوي أي إلا المسند إليه المظهر المنكر، فلو ذا أي المنكر أخر أي قدر مؤخرا عن الخبر الفعلي لقدر فاعلا في المعنى بسبب جعله من الضمير الذي في الفعل الخبر مبدلا، وإنما قدر فاعلا في المعنى لأن البدل على نية تكرار العامل، وكان تقديمه مفيدا لتخصيص الجنس أو الوحدة، وإنما ارتكب السكاكي في النكرة ما ارتكب .

خَشْـيَةَ فَقْـدِ لِلْخُصُـوصِ إِذْ خَـلا

مِـــنْ سَـــبَبٍ سِـــوَاهُ فَـــالمَنْعُ لَـــزِمْ   مَـــنِ ابْتِـــدَاءٍ[2] لا مُعَـــرَّفٍ وسِـــمْ

أي لأجل خشية أي خوف فقد التخصيص من النكرة، إذ خلا التخصيص من سبب سواه، أي لأجل خلو التخصيص من سبب سوى تقدير كونه مؤخرا في الأصل على أنه بدل من الضمير الذي في الخبر الفعلي، فالمنع لزم من ابتدائه أي وإذا فقد التخصيص من المنكر فالمنع لزم من ابتدائه أي لزم المنع من الابتداء به إذ لا مسوغ له سوى التخصيص .

قوله: لا معرف وسم يعنى أن المعرف الذي وسم بالتعريف نحو زيد قام، لم يرتكب فيه ما ارتكب في النكرة، بل قال فيه إنه لا يفيد التخصيص وإنما يفيد التقوي، لكونه يجوز الابتداء به بلا مسوغ من تخصيص وغيره .

(1) – في المطبوع: «عقود الجمان في علم المعاني والبيان» (ص40):

إِلَّا مُنَكَّـــــرًا ولَـــــوْ إِنْ أُخِّـــــرَا   فَفَـــاعِلاً فِي اللَّفْـــظِ أَيْضًـــا قُـــدِّرَا

166 – بِجَعْلِهِ مِنَ الضَّمِيرِ مُبْدَلا»

(2) – في المطبوع: مَنِ ابْتَدَاهُ

قولُه: إلا المُنكرا[1] منصوب على الاستثناء، وقوله فلو ذالو حرف شرط، وذا مبتدأ خبره جملة آخر بالبناء للنائب، واللام في قوله لفاعلا داخلة على معمول جواب لو، أي لقدر فاعلا في المعنى .

وقوله: من الضمير متعلق بقوله مبدلا بالنصب، ومبدلا مفعول لقوله جعله لأنه مصدر والباء في قوله بجعلهسببية، وقوله خشية بالنصب مفعول له عامله قدر في البيت قبله، والفاء في قوله فالمنعلزم جواب لشرط محذوف، أي فإن فقد التخصيص من النكرة فالمنع لزم، وقوله لا معرف بالجر معطوف على الضمير المجرور بالإضافة في قوله من ابتداء أي فالمنع لزم من ابتداء المنكر لا من ابتداء معرف وسم بالتعريف، إذ لا يحتاج لمسوغ للابتداء به من تخصيص وغيره، وقوله من ابتداء بالقصر لضرورة الوزن .

بِشَــرْطِ فَقْــدِ مَــانِعِ التَّخْصِــيصِ لا	**شَــرٌّ أَهَــرَّ ذَا أَذًى أَمَّــا عَلَــى**
جِــنْسٍ فَلِامْتِنَــاعِ أَنْ يُــرَادَ مَــا	**أَهَــرَّ شَــرٌّ غَــيْرُ خَــيْرٍ وأَمَــا**
عَلَــى انْفِــرَادٍ فَهْــوَ لَــيْسَ يَجْــنَحُ	**لِقَصْــــــــــــدِهِمْ . .**

قولُه: بشرط إلخ من تمام قوله إلا منكرا البيتين قبله، يعنى أن جعل السكاكي تقديم النكرة مفيدا للتخصيص مشروط بشرط وهو فقد المانع من التخصيص نحو رجل جاءني، أيْ لا رجلان أوْ لا امرأة، ولأجل شرط فقد المانع لا يكون تقديم النكرة في قوله: شَرٌّ أَهَرَّ ذَا أذىً أيْ صاحبَ أذى مفيدا للتخصيص، لعدم فقدِ المانع من التخصيص فيه، لأنه إذا كان محمولا على تخصيص الجنس امتنع أن يراد ما أَهَرَّ ذا أذى إلا شرٌّ لا خير ؛ لأن [73] الْهَرَّ لا يكون إلا شرا، والشيء إنما ينفى عن الشيء إذا أمكن ثبوته له، وإن حمل على تخصيص الواحد امتنع أن يراد ما أهر ذا أذى إلا شر واحد لنبو تخصيص الواحد عن مواضع استعمال هذا الكلام .

وتقرير الكلام: وجَعْلُ السّكاكيِّ تقديمَ النكرةِ مُفيدا لتخصيص الجنس أو الوحدة مشروط بشرط فقدِ، أيْ عدم مانع من التخصيص، ولأجل الشرط المذكور لا يكون تقديم النكرة في قوله شرٌّ أهر ذا أذى مفيدا لتخصيص الجنس ولا تخصيص الوحدة، لوجود المانع من تخصيصهما فيه، أما إن حملناه على تخصيص الجنس فلأجل امتناع أن يراد ما أهر ذا أذى إلا شر لا خير ؛ لأن المهر لا

(1) - لعل الأصح " إِلَّا مُنَكَّراً "

يكون إلا شرا، والشيء إنما ينفى عن الشيء إذا أمكن ثبوته له، وأما إن حملناه على تخصيص الانفراد أي الوحدة، فهو أي هذا المعنى وهو تخصيص الواحد ليس ينجح لقصدهم أي العرب لنبو تخصيص الواحد عن مواضع استعمال هذا الكلام، لأنه لا يقصد به أن المهر شرٌّ لا شَرَّان .

. . وإِذْ هُـــمُ قَـــدْ صَـــرَّحُوا

تَخْصِيصَـــهُ إِذْ أَوَّلُـــوا بِمَـــا أَهَـــرُّ   إلاَّ فَبِـــالتَّنْكِيرِ قَطِّـــعْ شَـــانَ شَـــرُّ

أي ولأجل أنهم أي الأئمة قد صرحوا بتخصيصه، أي بإفادة التقديم للنكرة هنا للتخصيص، حين أولوا شَرٌّ أَهَرَّ ذَا نَابٍ، بمَا أَهَرَّ ذا نابٍ إلا شَرٌّ، وجب الجمع بين هذا الكلام وكلامهم، بأن يفظع شأن الشر بالتنكير أي بسبب تنكيره، بأن يكون التنكير في شر لفظاعة شأنه، فيقال " ما أَهَرَّ ذا نَابٍ إلا شرٌّ عَظيمٌ فَظيعٌ " فيكون تقديم النكرة مفيدا لتخصيص النوع، والمانع إنما يمنع من تخصيص الجنس أو الواحد، أي ما أهر ذا ناب إلا نوع من الشر فظيع عظيم .

قوله: تخصيصَه منصوب بنزع الخافض، وقوله إذْ ظرف متعلق بقوله صرحوا .

وقوله: قَطِّعْ مبتدأ خبره بالتنكير قبله، والباء فيه سببية، وقوله إذ أولوا بما أهر إلا، أي إلا شر، ففيه الاكتفاء الآتي في البديع .

وَفِي جَمِيـــعِ قَوْلِـــهِ هَـــذَا نَظَـــرْ

يعنى أن في جميع ما قاله السكاكي وذهب إليه نظرا عند أهل البيان، أما ما ذهب إليه من جواز تقديم الفاعل المعنوي كالتأكيد والبدل دون اللفظي، فهذا فيه نظر، لاستوائهما في امتناع التقديم ما بقيا على حالهما، أي ما دام الفاعل فاعلا والتابع تابعا، بل امتناع تقديم التابع أولى، لأنه إذا قدم بدون الفاعل فقد تقدم على متبوعه وعلى ما يمتنع تقديم متبوعه عليه، وهو الفعل، فلامتناعه جهتان، وتقديم الفاعل ممتنع من جهة واحدة، فتجويزه تقديم المعنوي دون اللفظي تحكم، أي ترجيح من غير مرجح، وأيضا الفاعل اللفظي يجوز تقديمه عند الكوفيين على عامله، والتابع لم يقل أحد بجواز تقديمه على عامله ومتبوعه، إلا في ضرورة الشعر، وإن قال السكاكي: [74] إن الفاعل لا يتقدم بوجه، والتابع يتقدم على سبيل النسخ عن التابعية، كما في جرد قطيفة، فإنه جعل مضافا للموصوف بعد أن كان وصفا، فالجواب أنا لا نسلم ذلك، فكما اعتبر في التابع التقديم على سبيل النسخ عن

التابعية إلى غيرها، كما في جرد قطيفة، فليعتبر في الفاعل اللفظي التقديم على سبيل النسخ عن الفاعلية إلى غيرها كالابتداء كما في زيد قام، وما احتج به لانتفاء التخصيص في المنكر فلا نسلمه لحصول التخصيص بغير تقدير التأخير من التهويل والتعظيم والتحقير والتقليل والتكثير وغير ذلك، ولا نسلم أيضا امتناع المهر شر لا خير، كيف وقد قال عبد القاهر قدم شر لأن المعنى الذي أهره من جنس الشر لا من جنس الخير .

قَـــالَ وزَيْـــدٌ قَـــائِمٌ إِذَا اسْـــتَتَرْ

فِيـــهِ ضَـــمِيرٌ فِي التَّقَـــوِّي يَقْـــرُبُ   مِـــنْ قَـــامَ لا كَمِثْلِـــهِ إِذْ يُنْسَـــبُ

لِشِـــبْهِ خَـــالٍ صِـــفَةً ومِـــنْ هُنَـــا   لَمْ يَـــكُ جُمْلَـــةً ولا كَهِـــيْ بِنَـــا

أي وقال السكاكي: إن قولك: زيد قائم لما استتر فيه ضمير راجع إلى زيد، يقرب من قولك زيد قامفي تقوية الحكم لأجل الضمير المستتر فيه، فيتكرر الإسناد ويتأكد الحكم لا كمثله أي وليس مثله في التقوي، إذ ينسب أي حين ينسب إلى الضمير المستتر فيه ؛ لأن نسبته إليه غير مقصودة، بخلاف نسبة الأول إليه، فإنها مقصودة، كما يدل عليه التعبير بالقرب، إذ القريب من الشيء ليس مثله، وإنما لم تكن نسبة اسم الفاعل إلى الضمير فيه مقصودة، لأجل شبهه بالخالي من الضمير في الصيغة، إذ لا يتفاوت في التكلم والخطاب والغيبة، بل يبقى على حالة واحدة، كالخالي من الضمير، فتقول أنا قائم، وأنت قائم، وهو قائم، كما تقول: أنا رجل، وأنت رجل، وهو رجل، ومن هنا لم يك جملة أصلا ولا كهي بناء، أي ومن أجل شبهه بالخالي لم يكن مع مرفوعه جملة، إلا إذا كان صلة لموصول، لكونه فيها فعلا عدل به إلى صورة الاسم، كراهة دخول ما هو في صورة لام التعريف على صريح الفعل، أو مبتدأ وفاعله أغنى عن خبره، نحو أقائم زيد، فهو من قبيل الجملة، ولم يكن كالجملة بناء أيضا ؛ لأنها إنما بنيت لتضمنها النسبة المقصودة، بخلاف اسم الفاعل، فإن نسبته إلى مرفوعه غير مقصودة كما قدمنا، فلذلك لم يكن كالجملة في البناء فأحرى في نحو هذا رجل قائم، ورأيت رجلا قائما، ومررت برجل قائم .

قال في فيض الفتاح: " وحمل عليه نحو زيد قائم أبوه في الإفراد والإعراب، وإن كان كالفعل بعينه، إذ الفعل لا يتفاوت عند الإسناد إلى الظاهر، وما ذكر من أن نحو زيد قائم أبوه في حكم المفرد،

عليه ابن هشام، لمشابهته للشيء الواحد من ثلاثة أوجه:

كونهما لمسمى واحد، وأن الفاعل أبدا مع رافعه كالشيء الواحد، [75] وأن فاعل الوصف في بعض الأحيان معه كالشيء الواحد، لأنه إذا كان ضميرا لم يكن له لفظه ما لم ينفصل " .[1]

قوله: صيغة بالنصب على التمييز، وقوله لم يك بحذف مضارع كان، لأنه مجزوم ولم يتصل به ساكن، وقوله كَهِى بتسكين الهاء وتخفيف الياء للوزن، وقوله بنا بالقصر للوزن أيضا .

مِمَّـــا يُـــرَى تَقْدِيمُـــهُ كَـــالَّلازِمِ ... مِثْلُـــكَ لا يَبْخَـــلُ يَا بْـــنَ العَـــالِمِ

وَمِثْلُـــــهُ غَـــــيْرُكَ لا يَجُـــــودُ أَيْ ... أَنْـــتَ إِذَا لَمْ يَـــكُ تَعْـــرِيضٌ بِشَـــيْ

يعنى أنَّ مما يُرى تقديمُه كاللازم من المسند إليه لفظ مثل وغيرُ إذا استعملا على سبيل الكناية، سواء كانا في الإيجاب نحو مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب، وقوله:

غَـــيْرِي بأكْثـــرِ هـــذا النـــاسِ يَنخَـــدعُ ... إنْ قـــاتَلوا جَبُنـــوا أوْ حَـــدَّثوا شَـــجعوا

أو في النفي كمثال الناظم: مثلك لا يبخل يابن العام، وغيرك لا يجود .

فمعنى الأولين: الأمير يحمل على الأدهم والأشهب، وأنا لا أنخدع، ومعنى الأخيرين أشار إليه الناظم بقوله أي أنت لا تبخل، وأنت تجود، إذا لم يك لفظ مثل وغيرتعريضا بشيء آخر غير ما أضيف له مثل وغير، فلفظ المثل في حالة الإثبات أو النفي كناية عن ثبوت الفعل لمن أضيف إليه مثل، وهو المخاطب، أو نفيه عنه، لأنه إذا أثبت الفعل لمن هو على أخص أوصافه، أو نفي عنه، وأريد أن من كان على الصفة التي هو عليها كان من مقتضى القياس أن يفعل كذا أو لا يفعل كذا، لزم الثبوت لذاته أو النفي عنها، وفى هذا المعنى قول القائل:

ولمْ أقُـــلْ مثلـــك أعـــني بـــه ... ســـواك يا فـــرداً بـــلا مُشَـــبَّه

والثاني كناية عن ثبوت الفعل لمن أضيف له غير في النفي، وعن سلبه في الإيجاب ؛ لأن نفي الجود عن غير المخاطب مثلا يثبته للمخاطب ؛ لأن الجود موجود ولا بد له من محل يقوم به، ولأن إثبات الانخداع للغير من غير قصد إلى إنسان معين غير المتكلم يتصف بالانخداع، ولا شك في ثبوت عدم الانخداع لأحد في الجملة يلزم منه سلب الانخداع عن المتكلم، فقد استعملا على سبيل

(1) - فيض الفتاح م س. ج1 ص128

الكناية، ولم يقصد ثبوت الفعل أو نفيه لإنسان مماثل أو مغاير لمن أضيفا إليه، كما في مثلك لا يجود، وقوله:

غَـــيْرِي جَـــنَى وأَنَا الْمُعَاقَـــبُ فِـــيكُمُ   فكَـــــأَنَّنِي سَـــــبَّابَةُ الْمُتَنَـــــدِّمِ[1]

فالتقديم ليس كاللازم، إذ ليس في الكلام حينئذ كناية في الحكم، لأنه مصرح به، بل في المحكوم عليه، وإلى هذا أشار بقوله إذا لم يك تعريضا بشي، وإنما كان التقديم كاللازم لأنه أعون على إثبات الحكم لأجل الكناية التي هي أبلغ، ولأن التقديم لكونه مفيدا للتقوى أعون على ثبوت الحكم بطريق المبالغة، ومعنى كون التقديم كاللازم .

قال في دلائل الإعجاز: " معناه أن مقتضى القياس أن يجوز أيضا التأخير لحصول المبالغة بالكناية، لكن لم يقم الاستعمال إلا على خلافه " .

قوله بشي بحذف الهمزة للوزن .

وَرُبَّمَـــا قُـــدِّمَ إِذْ عَـــمَّ كَكُـــلّْ   لَمْ   يَاتِ   .

يعنى أن المسند إليه المُسَوَّر بكل قد يقدم على المسند المقرون [76] بحرف النفي، إذْ عمَّ أيْ لأجل إفادة التقديم عمومَ النفي، أيْ نفيَ الحكم عن كل فرد من أفراد ما أضيف إليه، ككل إنسان لم يأت .

. . إِذْ تَاخِـــيرُهُ هُنَـــا يَـــدُلّْ
عَلَـى انْتِفَـا الْحُكْـمِ عَـنِ الْمَجْمُـوعِ لا   عَـنْ كُـلِّ فَـرْدٍ وهْـوَ حُكْـمٌ قُـبِلا

أي لأجل أن تأخيره أي المسند إليه هنا، أي حالة تسويره بكل، واقتران المسند بحرف النفي نحو لم يقم كل إنسان، يدل على انتفاء الحكم عن المجموع، أي مجموع الأفراد، لا عن كل فرد، وهو أي إفادة التقديم نفي الحكم عن كل فرد، وإفادة التأخير نفيه عن مجموع الأفراد، حكم قبلا، أي حكم مقبول عند البلغاء .

قوله: قدم بالبناء للمفعول ضمير عائد للمسند إليه، وقوله انتفا بالقصر للوزن .

[1] - وفي هذا البيت قصة حصلت بين ابن شرف وبلديِّه ابن رشيق القيرواني الذي اتهمه بأخذ البيت من النابغة الذبياني وإفساده. انظر: القزويني: الإيضاح، ص 171 – 172

قال السيوطي في شرحه: " ووقع في التلخيص تعليله أي هذا الحكم على طريقة أهل المنطق ورده، فربما توهم الناظر أنه رد لقول، وليس كذلك، كما نبه عليه السبكي، وقد نبهت على ذلك من زيادتي بقولي وهو حكم قبلا، وأسقطت التعليل ورده، لأنا معاشر أهل السنة لا ننجس تصانيفنا بقذر المنطق الذي اتفق أكثر المعتبرين خصوصا المحدثين والفقهاء من كل المذاهب، خصوصا الشافعية وأهل المغرب على تحريمه، والتغليظ على المشتغلين به وإهانتهم وعقوبتهم، وقد نص أئمة الحديث كالسلفي والذهبي وابن رشيد على عدم قبول رواية المشتغل به، وقد تركت الأخذ عن جماعة لذلك " انتهى كلام السيوطي باختصار . [1]

الشَّيْخُ إِنْ فِي حَيِّزِ النَّفْيِ أَتَتْ ... كُلٌّ بِأَنْ أَدَاتُهُ تَقَدَّمَتْ
كَقَوْلِهِ مَا كُلُّ مَا تَمَنَّى ... أَوْ عَمَلُ الْمَنْفِيِّ فِيهَا عَنَّا
كَمَا أَتَى الرِّجَالُ كُلُّهُمْ ولَنْ ... آخُذَ كُلَّ الْمَالِ أَوْ ذَا قَدِّمَنْ
تَوَجُّهَ النَّفْيِ إِلَى الشُّمُولِ ثُمّْ ... أُثْبِتَ لِلْبَعْضِ . .

يعني أن الشيخ عبد القاهر الجرجاني قال في ضابط كون كل تارة لشمول النفي، وتارة لنفي الشمول: أنها إن أتت، أي ثبتت في حيز النفي، بأن قدمت عليها أداته لفظا، كقوله:

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الَمَرْءُ يُدْرِكُهُ ... تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لا تَشْتَهِي السُّفُنُ[2]

أو رتبة تقدمت لفظا أو تأخرت، بأن عمل فيها المنفي فعلا كان أو اسما، كقولك: ما أتى الرجال كلهم، ولن آخذ كل المال .

قوله: أو ذا قدمن، يعنى أنه سواء في ذلك تقدم العامل على كل، كهذين المثالين المتقدمين أو تأخر عنها مع بقاء معموليتها، نحو كل المال لم آخذ، وكل الرجال لم أضرب، والمشار إليه بقوله أو ذا قدمن معمول المنفي الذي هو كل توجه النفي إلى الشمول، أي إلى مجموع الأفراد، ثم أثبت الحكم لبعض ما أضيف إليه كل في الفاعل، وأثبت التعلق بالحكم لبعض ما أضيف إليه كل في

(1) . شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي م س ص 76.

(2) - البيت من البسيط وهو للمتنبي في ديوانه ج4 ص236

المفعول غالبا، ومن غير الغالب ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ 22﴾[1] ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ 275﴾[2] ﴿وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلَّفٍ مَّهِينٍ 10﴾[3]

قوله: الشيخُ فاعل فعل محذوف، أي قال الشيخ، وقوله توجه النفي إلى الشمول جواب الشرط، وقوله ثم بتخفيف الميم [77] لضرورة الوزن، وإِلاَّ تأت كل في حيز النفي، بأن ثبتت في غير حيزه، بأن قدمت على النفي لفظا، ولم تقع معمولة للمنفي، فَلْيَعُمْ النفي كل فرد مما أضيف إليه كل، كَ قول أبي النجم:

قَــد أَصْــبَحَتْ أُمُّ الخِيَــارِ تَــدَّعِي عَلَــيَّ ذَنْبًــا كُلُّــهُ لَمْ أَصْــنَعِ

برفع كلُّه، على معنى لم أصنع شيئا مما تدعيه علي من الذنوب، وقوله ﷺ لما قال له ذو اليدين أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟: ((كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ)) [4] أي لم يقع واحد منهما، لا القصر ولا النسيان .

أما الاحتجاج في البيت فلأن قائله فصيح، والشائع في الفعل إذا لم يشتغل بالضمير أن ينصب الاسم على المفعولية، فلو كان النصب مفيدا للعموم والرفع غير مفيد له لم يعدل الشاعر عن النصب الشائع إلى الرفع المحتاج إلى تقدير الضمير من غير ضرورة .

وأما الاحتجاج بالحديث فإِنَّ السُّؤالَ بِأَمْ عن تعيين أحدِ الأمرين بعد ثبوته مبهما عند السائل، فجوابه إما بالتعيين، أو بنفي كل منهما، تخطئة له في اعتقاده ثبوت أحدهما، لا بنفي الجمع بينهما، لأنه لم يعتقد ثبوتهما جميعا انتهى . [5]

مسألــــة:

قَــدْ يَخْــرُجُ الْكَــلامُ عَمَّــا ذُكِــرَا مِــنْ ذَلِــكَ الْمُضْــمَرُ عَمَّــا أَظْهَــرَا

يعنى أن جميع ما ذكر في هذا الباب من الحذف والذكر وما بعدهما هو مقتضى الظاهر من الحال

---

(1) – الحديد: الآية22
(2) – البقرة:275
(3) – القلم، الآية: 10
(4) – صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، الحديث رقم 573، ج 1 ص 403
(5) – فيض الفتاح م س. ج1 ص131

في غالبها، ومن غير الغالب التعميم في الخطاب كما تقدم، وقد يخرج الكلام عما ذكر من مقتضيات أحوال المسند إليه، الذي هو مقتضى الظاهر، لأمر معتبر اقتضاه الحال، من ذلك المضمر عما أظهرا، أي من خروج الكلام عن مقتضى الظاهر وضع المضمر موضع المظهر .

كَنِعْمَ عَبْداً مرزوقٌ، مكان نعم العبد مرزوق، الذي هو مقتضى الحال، لعدم تقدم المرجع وعدم القرينة الدالة عليه، وهذا الضمير عائد إلى متعقل معهود في ذهن المتكلم مبهم باعتبار الخارج، كالمظهر في نعم الرجل، فإن كلا منهما للإبهام، ثم التفسير المناسب لوضع هذا الباب الذي هو للمدح العام أو الذم العام، أعني من غير تعيين خصلة، ووجه المناسبة أن المراد هنا بعموم المدح أو الذم المبالغة، فلما أرادوا زيادة المبالغة أبهموا للفاعل، لتشتاق النفس إليه وترغب في طلبه، وهذا بناء على أن اللام في الرجل للعهد الذهني كما اختاره بعضهم، ورد كونها للجنس لفوات الإبهام المقصود في ذا الباب، ولجواز تفسيره بزيد مثلا، ولجواز تثنيته وجمعه .

السيد: " وأجيب بأن المراد هو الجنس ادعاء لا حقيقة، أي لأنك لم تقصد إلا مدح معين، لكن جعلته جميع الجنس مبالغة، والإبهام موجود كما في المعهود، وصح تفسيره بمخصوص أيضا، وأما نعم الرجلان ونعم الرجال، فالمراد به جنس التثنية والجمع فلا إشكال " . [78]

وفى الحمل على الجنس زيادة مبالغة تناسب المقام، وعلى هذا فالضمير في نعم رجلا عائد إلى الجنس، وعلى أن اللام للعهد الخارجي، فالإبهام واضح، وإنما يكون نعم رجلا زيد من باب الإضمار مكان الظاهر إذا كان المخصوص بدلا من الفاعل، أو مبتدأ حذف خبره، أو خبر مبتدأ محذوف، وأما إن كان مبتدأ خبره الجملة قبله فليس منه .

أَوْ ضَمِيرِ الشَّانِ أيوفى ضمير الشأن نحو هي أو هو زيد عالم مكان القصة أو الشأن، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيا﴾[1]،قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ 1﴾ [الإخلاص: 1] أي القصة والشأن، وإنما يفعل ذلك، أي وضع المضمر مكان المظهر .

لِيَثْبُـــتَ التاليـــة فِي الْأَذْهَـــانِ

(1) - سورة الأنعام، الآية: 29

أَيْ لِيتَمَكَّنَ التَّالي له أي التابع للضمير الموضوع مكان الظاهر في الأذهان، أَيْ في أذهانِ السامعين ؛ لأن السّامع إذا لم يفهم من الضمير معنى انتظره، فيتمكن بعد وروده ؛ لأن الحاصل بعد الطلب أعز من المنساق بلا تعب .

قال الفنري: " إن قلتَ هلا يحصل التمكن الحاصل من ضمير الشأن في قولك: الشأن زيد عالم، من غير التزام خلاف الظاهر، قلتُ: لأن السامع يفهم من المظهر مفهومه المطلق بخلاف ضمير الغائب، فإنه لا يفهم منه إلا أن له مرجعا في ذهن المتكلم، وإما أن ذلك المرجع هو الحكم أو غيره، فلا يفهم من نفس هذا الضمير بحسب الوضع، فيكون أعم تناولا من الشأن وأبهم منه، فيحصل فيه فضل تمكن لا يحصل من الشأن " . [1]

قال في فيض الفتاح: واعلم أن نعم رجلا مَثَّل به في التلخيص معللا بأن السامع إذا لم يفهم من الضمير معنى انتظره، واعترَضَهُ السعد في شرحيه بأن هذا لا يحسن في باب نعم لأن السامع ما لم يسمع المفسر لم يعلم أن فيه ضميرا، فلا يتحقق فيه التشوق والانتظار انتهى . [2]

قلتُ: ومثله ضمير الشأن في نحو كان زيد قائم، وأجيب بجواز أن يعلم بقرينة أن فيه ضميرا، ولم يعلم لأي شيء انتهى .

وعن في قوله عما أظهرا بمعنى بدل، أي من ذلك وضع المضمر بدل ما أظهر، وقوله: وضمير الشأن بالجر معطوف على محذوف، أي من ذلك وضع المضمر بدل المظهر في نعم، كنعم عبدا وفى ضمير الشأن .

تنبيـــه

من مواضع الإضمار مكانَ الإظهار بابُ تنازع العمل، نحو:

جَفَـــوني ولم أَجْـــفُ الأخِـــلّاءَ إنَّـــني لغـــيرِ جميـــلٍ مِـــن خليلَـــي مُهْمِـــلُ[3]

وباب رب، نحو ربه رجلا، وباب التعجب، نحو يا له رجلا، ويا لها قصة، والبدل نحو زره خالدا

(1) - فيض الفتاح م س. ج1 ص133

(2) - فيض الفتاح م س. ج1 ص134

(3) - قال العيني: أنشده الفراء ولم يعزه إلى أحد، وبالبحث لم أعثر على قائله، وهو من الطويل.

واعتذر السعدُ عمن لم يعد هذه الكلمات بأنها غير التنازع ليست من باب المسند إليه،

وَعَكْسُــــهُ إِشَـــــارَةً لِلاعْتِنَـــــا   بِكَوْنِـــــهِ مُمَيَّــــزًا إِذْ ضُـــــمِّنَا
حُكْمًا بَدِيعًا . .

يعني أن عكس وضع المضمر [79] مكان المظهر، والعكس وضع الظاهر مكان الضمير مستعمل، فإذا كان هذا الظاهر الموضوع مكان الضمير اسم إشارة، فلكمال اعتناء المتكلم بالمسند إليه، أي بتمييزه في ذهن السامع عن غيره، إذ ضمن المسند إليه حكما بديعا، أي لأجل اختصاصه بحكم بديع، بأن يكون على ضد ما ينبغي، والمتصف بالشيء البديع لا يغيب عن الخاطر، فيكون حاضرا، فيشار إليه، كقول ابن الراوندي[1]:

كَـمْ عَاقِـلٍ عَاقِـلٍ أَعْيَـتْ مَذَاهِبُـهُ   وَجَاهِـلٍ جَاهِـلٍ تَلْقَـاهُ مَرْزُوقَـا[2]
هَـذَا الَّـذِي تَـرَكَ الأَوهَـامَ حَـائِرَةً   وصَـيَّرَ العَـالِمَ النِّحْرِيـرَ زِنْـدِيقا [3]

فعاقل الثاني نعت لعاقل الأول، وكذا جاهل الثاني أي كامل فيهما، فهذا إشارة إلى سابق غير محسوس، وهو حرمان العاقل، ورزق الجاهل، فعدل عن القياس الذي هو الإضمار إلى اسم الإشارة لما ذكر، والحكم الثابت للمسند إليه هو جعل الأوهام حائرة، والنحرير زنديقا، فالعاقل في البيت المراد قائله، وكذا الزنديق، وهذه الحيرة مبنية على أن الحكم الطبيعية تجب رعايتها من الحكيم، وهو مذهب فاسد ؛ لأن حرمان ذاك ورزق ذاك إنما هو من العزيز العليم .

وتقرير البيت: وعكسه أي وضع المضمر مكان المظهر وضع إشارة أي اسم إشارة مكان المضمر، لأجل كمال اعتناء بكونه أي المسند إليه مميزا أي بتمييزه أكمل تمييز في ذهن السامع عن

---

(1) هو أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق البغدادي المعروف بابن الراوندي، (205هـ- 298هـ)، صنف التصانيف في الحط على ملة الإسلام؛ فصنف: التاج في الرد على الموحدين، والدامغ في الرد على القرآن، والفريد في الرد على الأنبياء، وله: الأسماء والأحكام، خلق القرآن، فضائح المعتزلة، ترجم له في: رسالة الغفران: 168، الإمتاع والمؤانسة: 172، الفهرست: (215- 216)، النجوم الزاهرة: (3/175- 176).

(2) - جاء في معاهد التنصيص، ص 278 أنّ البيتين لابن الراوندي، وقبلهما:

سُـبحان مَـنْ وضـع الأشـياء مَوضِـعَها   وفَـرقَ العـزَّ والإذْلال تفريقـا

(3) - النحرير بكسر النون هو المُتْقِن، كأنه ينحر العلوم، والزنديق بكسر الزاي النافي للصانع المنكر للآخرة.

غيره، إذ ضمن حكما بديعا، لأجل تضمينه أي المسند إليه حكما بديعا .

قوله: وعكسه مبتدأ خبره إشارة بالرفع، واللام في قوله للاعتنا تعليلية، والاعتنا بالقصر لضرورة الوزن، والباء في قوله بكونه سببية متعلقة بقوله الاعتنا، وإذ في قوله إذ ضمنا تعليلية، وضمنا بالبناء للنائب، ونائبه عائد إلى المسند إليه، وألفه للإطلاق، وقوله حكما مفعول ضمن الثاني .

وَادِّعَاءِ الشُّهْرَةِ يعنى أنه يؤتى بالإشارة مكان الضمير لادعاء المتكلم الشهرة، أي شهرة معنى المسند إليه عند المتكلم، وكمال ظهوره عنده، حتى صار كالمحسوس بالبصر الذي يشار إليه باسم الإشارة، والادعاء المذكور إنما هو علة فاعلية، أي حصل بسببها الإظهار المذكور، لا غائية بأن فعل لأجلها، وعليه من غير باب المسند إليه قول ابن الدهينة كجهينة:

تعاللْتِ كيْ أُشجى وما بكِ علَّةٌ ... تُريدينَ قتلِي قدْ ظفرتِ بذلكِ[1]

بذلك، أي بقتلي، ولم يقل به، وإن كان مقتضى الظاهر لأجل الادعاء المذكور .

قوله: وادعاء الشهرة بالجر معطوف على قوله للاعتنا في البيت قبله .

حُكْمًا بَدِيعًا وادِّعَاءَ الشُّهْرَةِ ... أَوِ النِّدَا عَلَى كَمَالِ الْفِطْنَةِ

لِسَامِعٍ .

لِسَامِعٍ يعنى أنه يؤتى بالإشارة مكان المضمر للنداء أي التنبيه على كمال الفطنة لسامع، أي للتنبيه على أن السامع ذو فطنة كاملة، [80] فتنبه باسم الإشارة على أنه فطن، وأن غير المحسوس عنده كالمحسوس، كما تقول في مسألة علم تقدم ذكرها: هذا كذا، إشارة إلى أن المخاطب لقوة ذكائه، غير المحسوس عنده كالمحسوس المشاهد .

قوله: أو الندا بالقصر للوزن معطوف على قوله وادعاء .

وَالضِّدِّ يعنى أنه يؤتى بالإشارة مكان الضمير للتنبيه على كمال الضد في السامع أي ضد الفطنة، وهو البله، أي يؤتى باسم الإشارة للتنبيه على كمال بلادة السامع، وأنه لا يدرك إلا المحسوس المشاهد، كما إذا قيل لك من عالم البلد ؟ ـ وهو مشهور ـ فتقول ذلك فلان، إشارة إلى أنه لا يدرك غير المحسوس، ومنه قوله:

(1) . الأبيات لابن الدمينة في ديوانه، والأغاني ج17 ص96 انظر دلائل الإعجاز ت هنداوي ص66.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم . .

قوله: والضد بالجر عطف علي قوله الفطنة .

. . والتَّهَكُّمِ   بِهِ كَمِثْلِ مَا إِذَا كَانَ عَمِي

يعني أنه يُؤتى بالإشارة مكان الضمير للتهكم بالمخاطب أي الاستهزاء به والسخرية، وذلك مثل ما إذا كان المخاطب عميا أي فاقد البصر، ولا هناك مشار إليه محسوس، كما إذا قيل أتشهد أن زيدا ضربني ؟ فتقول: هذا ضاربك، مكان هو ضربك، تَهكُّما به .

قوله والتهكم بالجر معطوف على قوله أو الندا في البيت قبله، وقوله: عمى بسكون الياء لضرورة الوزن .

وَغَيْرُهَا زِيَادَةُ التَّمْكِينِ قَدْ   مَثَّلَهُ بِقَوْلِهِ اللهُ الصَّمَدْ

أي وعكس وضع المضمر مكان المظهر، وضع اسم الإشارة مكان المضمر، كما قدمنا ووضع اسم ظاهر غيرها أي الإشارة موضع المضمر، لأجل زيادة التمكين، أي تمكين معنى المسند إليه في ذهن السامع، وقد مثله في التلخيص بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ 2﴾[1] بعد قوله ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ 1﴾ [الإخلاص: 1] لم يقل: هو الصمد الذي هو مقتضى الظاهر، لتمكين معنى المسند إليه في ذهن السامع، وسبب التمكين إما لما في ذلك الظاهر من تقليل الاحتمال، وإما لأن الظاهر لما وقع في غير موقعه كان كحدوث غير متوقع، فأثر في النفس تأثيرا بليغا، وإما لما في الإظهار من الفخامة والتعظيم، قاله في الأطول .

قَوْلُهُ: زيادة بالنصب مفعول له .

أَوْ لِيُقَوِّيْ دَاعِيَ الْمَأمُورِ

يعنى أنه يؤتى بالظاهر غير الإشارة مكان الضمير، لأجل إفادة الظاهر تقوي الداعي للمأمور، أي الذي يدعو المأمور إلى الامتثال، أي الإتيان بالمأمور به، كقول الخليفة: أمير المؤمنين يأمرك بكذا، مكان أنا آمرك، فذات الخليفة مثلا داع للمأمور إلى الامتثال، ولفظ أمير المؤمنين الدال على السلاطة والتمكن من الفعل بالمأمور لو خالف يقوي ذلك الداعي .

(1) - سورة الإخلاص، الآية: 2

قال في الأطول: " ويمكن أن يكون، أي المثال المذكور، النكتة فيه إظهار النصفة، أي فإني لا أطلب منك مطاوعتي، بل مطاوعة أمير المؤمنين " .[1]

قوله: أو لتقوي عطف [81] على محل .

قوله: زيادة التمكين أي لزيادة التمكين، ولتقوي الداعي إلخ .

أَوْ يُـدْخِلَ الـرَّوْعَ عَلَـى الضَّـمِيرِ

أَوِ الْمَهَابَةِ يعنى أنه يُؤتي بالظاهر مكان الضمير، لأجل إدخال المتكلم الروع على الضمير، أي على ضمير السامع، أي قلبه .

أو المهابة أي ولأجل تربية المهابة، والفرق بين تربية المهابة وإدخال الروع، أن تربية المهابة إدخال الروع في قلب السامع بعد وجوده، وإدخال الروع إدخاله ابتداء .

ونقل ياسين عن بعضهم أن المهابة الإجلال، ومثالهما قول الخليفة: أمير المؤمنين يأمرك بكذا، مكان أنا آمرك بكذا .

قولُه: أو يدخل ببناء المضارع للنائب، ونصبه بأن مضمرة بعد أو، لأنه معطوف على اسم خالص، وهو قوله أو لتقوي، والروع بالرفع نائب المضارع المذكور .

وقوله: أو المهابة بالجر عطف على محل .

قوله: أو يدخل أي أو لإدخال الروع على الضمير، أو للمهابة .

أَوِ اسْتِعْطَافِ يعنى أنه يؤتى بالظاهر مكان الضمير للاستعطاف، أي لطلب المتكلم العطف من السامع، كقوله:

إلهـي عبـدُك الْعاصـي أتاكـا ... مُقِـرّا بالـذُّنوبِ وقـدْ دَعاكـا
فـإن تغفـرْ فأنـتَ لـذاكَ أهْـلٌ ... وإن تَطْـرُدْ فمـن يـرحَمْ سِـواكا[2]

بسكون ميم يرحم للوزن، لم يقل أنا أتيتك ؛ لأن في عبدك مِنِ استحقاق العطف والرحمة والشفقة ما ليس في غيره، ومنه قول القائل: أسيرك يتضرع إليك، مكان أنا أتضرع إليك .

---

(1) . الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ج1 ص180، تحقيق ع الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت.

(2) - البيتان لإبراهيم بن أدهم، وهما في الإيضاح ص77 والمفتاح بتحقيق ع الحميد هنداوي ص95

قوله: أوِ استعطاف بالجر عطف على ما ليس في غيره، قوله أو المهابة .

قُلْتُ كَذَا الْوُصْلَةُ لِلْأَوْصَافِ

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: كذا أي كالإتيان بالمظهر مكان المضمر للاستعطاف الإتيان به مكانه للوصل بالأوصاف، أي لوصل الظاهر بالأوصاف، ومنه في غير باب المسند إليه ﴿فَـَامِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾[1] لم يقل فآمنوا بالله وبي، ليتمكن من إجراء الصفات المذكورة عليه، ويشعر بأن الذي يجب الإيمان به بعد الإيمان بالله هو الرسول الموصوف بتلك الصفات، أنا أو غيري، إظهارا للنصفة وبعدا عن التعصب .

وَعِظَمِ الْأَمْرِ يعنى أنه يؤتى بالظاهر موضع المضمر للدلالة على عظم الأمر لقول الخليفة: أمير المؤمنين يأمرك بكذا، مكان أنا، وعليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا 63﴾[2] لم يقل واستغفرتَ لهم، وإن كان مقتضي الظاهر تعظيما له، وفيه أيضا تقوية الداعي للامتثال والتنبيه على أن من اسمه رسول الله حري بالشفاعة[3] .

قوله: وعظم الأمر بالجر عطف على قوله للوصل في البيت قبله .

وَتَنْبِيهٍ عَلَى، [82] عِلِّيَّةٍ يعنى أن يؤتي بالظاهر مكان المضمر لأجل التنبيه على علية الوصف للحكم، كقوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا﴾[4] لم يقل فأنزلنا عليهم، لبيان أن الظلم علة الحكم الذي هو إنزال الرجز عليهم أي العذاب، فتبديلهم قولهم حنطة، وروي أنهم قالوا حبة في شعيرة، والرجز الطاعون .

قال في ضياء التأويل: " فأنزلنا على الذين ظلموا فيه وضع الظاهر موضع المضمر، مبالغة في تقبيح أمرهم، وإشعارا بأن الإنزال عليهم لظلمهم، ولا يقال إن العلة التبديل كما هو ظاهر، لأنا نقول

(1) – سورة الأعراف، الآية: 158

(2) – سورة النساء، الآية: 64

(3) الشفاعة: هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه. (التعريفات 1/127)

(4) – البقرة، الآية: 59

التبديل جزئية من جزئيات الظلم " .[1]

قوله: وتنبيه بالجر عطف على قوله وعظم الأمر .

وَعَوْدِ مَعْنَاهُ عَلَى يعني أن عود معنى الظاهر الموضوع موضع المضمر، بأن يؤتي برديف الأول، علا أي ارتفع عن عود لفظه، كقوله:

إِذَا الْمَــرْءُ لَمْ يَغْــشَ الْمَكَــارِهَ أَوْشَــكَتْ   حِبَـــالُ الْهُـــوَيْنَى بِالْفَـــتَى أَنْ تقَطَّعَـــا

لم يقل به، لتمكين معنى المرء في ذهن السامع، مع الإتيان بالمرادف الذي هو الفتى، ولا يقال إن الفتى غير مرادف للمرء ؛ لأن المرء الرجل والفتى الشاب، لأنا نقول مرادف له، بحسب اعتبار المعنى المراد منهما هنا، بأن يقصد المتكلم بهما نفسه، أو يقصد بالكلام العموم، ومنه قوله تعالى: **﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ 1 ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ 2﴾**[2] لم يقل به، لتمكين معنى الله في ذهن السامع، والإتيان بالمرادف وهو الرب مبالغة في تقبيح فعلهم، وهو تسويتهم الأصنام به، إذ الأليق بالمربوب أن لا يسوي بربه ربا حقيقيا غيره، فأحرى أن يسوي به مربوبا لا ينفع ولا يضر .

قوله: وعود معناه مبتدأ خبره جملة علا من الفعل والفاعل .

وَقال السكاكيُّ **فِي الْمِفْتاحِ** تأليفٌ لهُ **كُلُّ مَا ذُكِرْ** من نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة

لَــيْسَ بِمُخْــتَصٍّ بِــذَا الَّــذِي قُــدِرْ

أي ليس بمختص بالمسند إليه، ولا بذا الذي قُدرَ أي ولا بهذا القدر .

بَـــلْ غَيْبَـــةٌ وأَخَواهَـــا قَـــدْ نُقِـــلْ   كُـــلٌّ لِآخَـــرَ الْتِفَـــاتٌ مُسْـــتَقِلّْ

يعنى أن نقل كل من الغيبة والخطاب والتكلم لآخر منها التفات مستقل، أي يسمى التفاتا مستقلا عند السكاكي سواء كان المنقول عنه واردا في الكلام، فعدل عنه إلى غيره، أو كان مقتضى الحال إيراده، فعدل عنه، كقول الخليفة: أمير المؤمنين يأمرك بكذا، مكان أنا آمرك، وقول الشاعر:

---

(1) . تفسير القرآن العظيم المسمى ضياء التأويل في معاني التنزيل للعلامة أبي محمد عبد الله بن محمد بن عثمان الملقب بفودى ج1 ص195، مطبعة الاستقامة بالقاهرة 1380هـ، ، دار إحياء الكتب العربية.

(2) – الأنعام، الآية: 1

تطاول ليلك بالإثمد[1]

فإنَّ السكاكي صرح بأن في قوله ليلُك التفاتا، لأنه خطابٌ لنفسه، ومقتضى الظاهر ليلى بالتكلم، ولم يرد في الكلام قبل، واستشهد أيضا في المفتاح للالتفات بقوله:

بانَـتْ سعادُ فأَمْسَى القَلْبُ مَعْمُودَا   وأَخْلَفَتْــكَ ابنَــةُ الحُــرِّ المَوَاعِيــدَا[2]

قال فالتفتَ كما ترى حيث لم يقل وأخلفتني .

قال السيد على مذهبه: حيث لا يشترط سبقُ الطريق الملتفت منه، بل يكتفي بمجرد [83] اقتضاء الظاهر التعبير به، والمراد بالغيبة ضمير الغائب، أو الاسم الظاهر، لأنه من ألفاظ الغيبة، ورُدَّ حَدُّ السكاكيِّ للالتفات بما ذكر، **فَالأَشْهَرُ** وهو مذهب الجمهور **أَنَّهُ** أيْ الالتفات **أَخَصُّ** مما حده به السكاكي، **لِأَنَّهُ** أيْ الالتفاتُ **التَّعْبِيرُ عَن مَعْنىً بِنَصّ، مِنَ الثَّلَاثِ** أي التعبير عن معنى بلفظ ناص عليه من أحد الطرق الثلاث أي التكلم أو الخطاب أو الغيبة **بَعْدَ ذِكْرٍ بِسِوَاهُ مِنْهَا،** أيْبعد ذكرِ ذلك المعنى بلفظ ناص عليه، سوى ذلك اللفظ المعبر به ثانيا، منها أي الطرق الثلاث، بشرط أن يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه الظاهر ويرتقبه السامع، فالالتفات بتفسير الجمهور أخص منه بتفسير السكاكي ؛ لأن مثل تطاول ليلك التفات عنده دون الجمهور، فقولنا بشرط أن يكون التعبير الثاني إلخ، يخرج مثل ﴿**وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[3] و﴿**اِهْدِنَا**﴾[4] و﴿**أَنْعَمْتَ**﴾[5]

فإنَّ الالتفاتَ إنما هو في ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ والباقي جار على أسلوبه، وإن كان يصدق على كل منها أنه التعبير عن معنى بطريق بعد التعبير عنه بطريق آخر ؛ لأن المراد بخلاف ما يقتضيه الظاهر هنا ظاهر الكلام، لا المقام والظاهر فيما بعد ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ الخطاب، لأنه لما خاطب في ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ كان مقتضى الظاهر أن يكون الكلام على طريق الخطاب، وهو الذي ينتظره السامع، بخلاف ﴿**إِيَّاكَ**

---

[1] . البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه بتحقيق المصطاوي ص87، وتمام البيت: ونَامَ الخَلِيُّ، ولَمْ تَرْقُدِ.

[2] - البيت لربيعة بن مقروم الضبي، وهو مطلع المفضلية رقم 42، وهو في الاغاني ج19 ص91

(3) - الفاتحة، الآية: 5

(4) - الفاتحة، الآية: 6

(5) - الفاتحة، الآية: 7

﴿نَعْبُدُ﴾ فإن ما قبله سبق للغيبة، إذ الظاهر من ألفاظ الغيبة، ولذا صرح البيضاوي على وفق إشارة صاحب الكشاف بوجود الالتفات في قولُهُ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ 3﴾[1] فإن العدول فيه عن مقتضى ظاهر الكلام حيث كان سياقه، وهو قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ 1 أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ 2﴾[2] على صيغة الغيبة، لا عن مقتضى ظاهر المقام، فإن مقتضاه الخطاب في الموضعين .

ونكتة العدول عن مقتضى الظاهر التعظيم للنبي ﷺ في مقام العتاب بالعدول عن المواجهة بالعتاب .

مثال الالتفات من التكلم إلى الخطاب ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ 21﴾[3] مكان ارجع، ولا يقال ترجعون ليس خطابا لنفسه حتى يكون المعبر عنه واحدا، لأنا نقول: المتكلم بهذا الكلام هو حبيب بن إسرائيل النجار، وكان من أولياء الله تعالى، فليس المراد ب ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ﴾ مفهومه الظاهر، بل المراد المخاطبون المعرض بهم، أي ما لكم لا تعبدون، فقد اتحد المعبر عنه، لكن أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه، وهو يريد مناصحتهم على سبيل التعريض، ليتلطف لهم ويداريهم، والفائدة المخصوصة بهذا الالتفات التعريض والإعلام بأن المراد من أول الكلام المخاطبون، قاله الفنري وغيره .

وإلى الغيبة ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ 1 فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ 2﴾[4] مكان لنا . [84]

ومثاله من الخطاب إلى التكلم قول علقمة:

طَحَا بِـكَ قَلْـبٌ في الحِسَـانِ طَـرُوبُ ... بُعَيْـدَ الشَّـبَابِ عَصْـرَ حـانَ مَشِـيبُ

يُكَلِّفُـــنِي لَيْلَـــى وقـــد شَـــطَّ وَلْيُهـــا ... وعـــادَتْ عَـــوَادٍ بيننـــا وخُطُـــوبُ[5]

فقوله: يكلفني، فيه التفات من الخطاب في بِكَ إلى التكلم، وفاعل يكلفني ضمير راجع إلى

(1) – عبس، الآية: 3

(2) – عبس، الآية: 1

(3) – يس، الآية: 22

(4) – الكوثر، الآية: 2.1

(5) – «المفضليات» للمفضل الضبي ص391، ت أحمد محمد شاكر وع السلام محمد هارون، ط6 دار المعارف.

القلب .

ومن الخطاب إلى الغيبة قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾[1] مكان بكم، ومثال الالتفات من الغيبة إلى التكلم قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ﴾[2] مكان فساقه، وإلى الخطاب قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ 1 ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ 2 مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ 3 إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾[3]

قولُه: ورُدَّ ببناء الماضي للنائب، وقوله فالأشهر بالرفع مبتدأ خبره أن وصلتها، وإنما يلتفت من طريق من الطرق الثلاث إلى طريق أخرى غيرها، **لِيَرْفُلَ الْكَلَامُ فِي حُلاهْ** أي ليتبختر الكلامُ في حُلْيه .

لِأَنَّ نَقْـــلَ الْقَـــوْلِ فِي الْمَهَـــايعِ أَنْشَـــطُ لِلْإِصْـــغَاءِ والْمَسَـــامِعِ

أي لأن نقل القول أي الكلام في المهايع أي الطرق، جمع مهيع، أي نقله من طريق إلى طريق أنشط للإصغاء والمسامع، أي يزيد في نشاط السامع، ويكثر إصغاؤه أي استماعه، كما يزيد نشاط الآكل عند تنوع المأكولات، وهذا لا ينطبق على مادة يكون السامع فيها الله تعالى، لتعاليه عن إنشاط وإصغاء، فلو ذكر شيء يصح في حقه تعالى كان أحسن .

قال ياسين: " وقد يقال إن المراد أن الكلام الالتفاتي أينما وقع صالح لأن يراد به هذه الفائدة، بالنظر إليه نفسه مع قطع النظر عن الموانع الخارجية " .

وتقرير البيت: لأن نقل القول أي الكلام في المهايع أي الطرق أنشط للإصغاء من السامع وأنشط لمسامعه، أي أزيد نشاطا لإصغائه ومسامعه، ونسبة النشاط إلى إصغائه ومسامعه مجازية، إذ النشاط في الحقيقة للسامع، وإذ أنشط كثر استماعه وإصغاؤه، فهذه هي النكتة العامة في كل التفات .

وَقَـــدْ يَخُـــصُّ كُـــلَّ مَوْضِـــعٍ نُكَـــتْ

وَقَدْ يَخُصُّ كُلَّ مَوْضِعٍ نُكَتْ أي وقد يختص كل موقع منه بلطائف ونكت

كَمِثْـلِ مَـا أُمُّ الكِتَـابِ قَـدْ حَـوَتْ

(1) – يونس، الآية: 22

(2) – فاطر، الآية: 9

(3) – الفاتحة، الآية: 4.3.2.1

أي كمثل الذي حوته أم الكتاب، أي الفاتحة من اللطائف والنكت .

فَالْعَبْدُ إِذْ يَحْمَدُ مَنْ يَحِقُّ لَهْ ... ثُمَّ يَجِيءُ بِالسُّمَى المُبَجَّلَهْ
فَكُلُّهَا مُحَرِّكُ الْإِقْبَالِ ... لِمَالِكِ الْأُمُورِ فِي الْمَآلِ
فَيُوجِبُ الْإِقْبَالَ والْخِطَابَا ... بِغَايَةِ الْخُضُوعِ والتَّطْلابَا
لِلْعَوْنِ فِي كُلِّ مُهِمٍّ يُقْصَدُ ... وقِسْ عَلَيْهِ كُلَّ مَا قَدْ يَرِدُ

يعنى أن العبد إذ يحمد من يحق له الحمد، أي حين يحمد الحقيق بالحمد عن قلب حاضر، ثم يجيء بالسمي المبجلة، أي ثم يذكر الأسماء أي الصفات المعظمة لذلك الحقيق بالحمد، وكلها محرك الإقبال، أي وكل من تلك الصفات محرك للإقبال على ذلك الحقيق [85] بالحمد، ويذكر الأخيرة منها وهي مالك الأمور في المآل، أي المرجع، وهو يوم الدين، أي يوم القيامة المفيدة أنه مالك الأمر كله في يوم الجزاء، يجد ذلك العبد من نفسه محركا للإقبال على ذلك الحقيق بالحمد، وكلما أجرى عليه صفة من تلك الصفات قوي ذلك المحرك عنده، إلى أن يؤول الأمر إلى خاتمة تلك الصفات المفيدة، إن ذلك الحقيق بالحمد مالك للأمر كله في يوم الجزاء، فحينئذ يوجب ذلك المحرك لتناهيه في القوة الإقبال على ذلك الحقيق بالحمد والخطاب له، بغاية الخضوع له بتخصيصه بالعبادة والتطلاب للعون، أي طلب العون منه في كل مهم يقصد، وقس على ذا الذي ذكرنا لك من النكت في الفاتحة كل ما قد يرد من الالتفات .

قوله: ومالك الأمور في المآل بجر مالك عطف على قوله بالسمي المبجلة، من عطف الخاص على العام ؛ لأنها أبلغ الصفات وأعظمها، وقوله: والتطلاب بالنصب عطف على قوله بالسمي، الإقبال، وهو مصدر من طلب بتشديد اللام تطلابا، كطوف تطوافا، وكر تكرارا .

وَلَمْ يَكُنْ فِي جُمْلَةٍ كَمَا فِي ... عَرُوسِ الَافْرَاحِ وفِي الكَشَّافِ

يعنى أن الالتفات لا يكون في جملة واحدة، كما صرح به ابن السبكي في شرحه **عروس الأفراح**، وصرح به الزمخشري في الكشاف، بل لا بد له من جملتين، فليس في قولك: أنت صديقي التفات .

وَمِنْ خِلافِ الْمُقْتَضَى أَنْ جَاوَبَا ... مُخَاطَبًا بِغَيْرِ مَا تَرَقَّبَا
بِحَمْلِهِ عَلَى خِلافِ قَصْدِهِ ... لأَنَّهُ أَوْلَى بِهِ مِنْ ضِدِّهِ

يعنى أن من خلاف مقتضى الظاهر مجاوبة المتكلم المخاطب بغير ما يترقبه المخاطب وينتظره،

بحمله على خلاف قصده، أي بسبب حمل المتكلم كلام المخاطب على خلاف ما قصد به المخاطب، وذلك الحمل لأجل أنه أي ذلك الغير أولى وأليق به، أي بإرادته وقصده من المعنى الذي أراد المخاطب، وهو المراد بقوله ضده، كما يحكى أن جماعة من الأدباء كانوا في بستان أوان الحصرم، فذكر الحجاج فقال القبعثري: " اللهم سود وجهه واقطع عنقه واسقني من دمه " فأخبر الحجاج فأحضر القبعثري، فقال أردت بذلك الحصرم، فقال له الحجاج: " لأحملنك على الأدهم " يعنى القيد، فقال القبعثري: " مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب " أبرز وعيد الحجاج في معرض الوعد، وتلقاه بغير ما ينتظر، بأن حمل الأدهم في كلامه على الفرس، وضم إليه الأشهب، ليكون قرينة معينة لأحد معني المشترك، تنبيها على أن حمل الأدهم على الفرس هو الأولى بأن يقصده الأمير، أي من كان مثل الأمير في الغلبة والتكرم والمال، فجدير أن يُصفد بضم الياء أي يعطى، لا أن يَصفد بفتحها أي بقيد، فقال له الحجاج: " إنه لحديد " فحمل القبعثري الحديد على [86] غير ما أراد الحجاج، فقال: " لأن يكون حديدا خير من أن يكون بليدا " فخلى سبيله وأحسن إليه .

وهذا النوع هو القول بالموجب الآتي في البديع، وسماه السكاكي الأسلوب الحكيم، أي ذا الحكمة، لاشتماله عليها، ولأن صاحبه متصف بها، فسمي باسم صاحبه .

قوله: أنْ جاوبا مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله، وأن مصدرية، والباء في قوله بحمله سببية، وضمير الغائب فيه عائد إلى المتكلم، من إضافة المصدر إلى فاعله، والضمير المجرور بالإضافة في قوله قصده عائد إلى المخاطب، من إضافة المصدر إلى فاعله أيضا، والضمير في قوله لأنه عائد إلى الغير في قوله بغير ما ترقبا، والضمير المجرور بالباء في قوله أولى به عائد إلى المخاطب أيضا .

أَوْ سَائِلاً بِغَيْرِ مَا قَدْ سَأَلَهْ لأَنَّهُ الأَوْلَى أَوِ الْمُهِمُّ لَهْ

قوله: أو سائلا بالنصب معطوف على قوله مخاطبا، أي ومن خلاف مقتضى الظاهر مجاوبة المتكلم السائل بغير ما قد سأله عنه، أي بغير ما طلب بسؤاله، بتنزيل سؤاله منزلة سؤال آخر، فكأنه سأل سؤالا آخر، وإنما يفعل ذلك لأنه، أي ذلك الغير، وهو السؤال الذي هو غير سؤاله الأولى، أي أولى من السؤال الوارد بالكلام، أي بالسؤال نظرا إلى حال السؤال، أو يفعل ذلك لأجل أن هذا

السؤال هو الأهم له ؛ لأن للسائل سؤالين أحدهما سأل عنه، ولم يجب عنه، والآخر لم يسأل عنه، وأجيب عنه، وله اهتمام بالأول، لكن اهتمامه بالثاني أقوى، ولا يقال الجواب تجب مطابقته للسؤال، لأنا نقول: الجواب ضربان: جدلي تجب مطابقته، وتعليمي يبنى فيه الأمر على حال السائل، كالطبيب يبنى علاجه على حال المريض دون سؤاله، فتجوز المخالفة فيه، وما نحن فيه من هذا القبيل، قاله ياسين .

فالأول: كقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾(1)

قالوا: ((**يا رسولَ اللهِ مَا بالُ الهِلالِ يَبدُو دَقيقًا كالخَيْطِ ثمَّ يتزايدُ قليلا قليلا حتى يَمتلئَ ويستوِى، ثُم لا يزالُ يَنقصُ حتى يَعود كما بدأ، ولا يكونُ على حالةٍ واحدةٍ**)) (2) فنزلت الآية مجيبة لهم ببيان حكمة ذلك الاختلاف وفائدته، وهي توقيت الناس به أمورهم من المزارع والمتاجر، ومحال الديون والصوم وغير ذلك، ومعالم الحج يعرف بها وقته، وإن كان الجواب المطابق في الظاهر هو: قل إن سبب ذلك أن نور القمر مستفاد من نور الشمس، فبحسب قرب القمر من الشمس وبعده تختلف أشكاله في نظر الناظر إليه من العالم السفلي " وإنما أجيبوا ببيان الفائدة تنبيها على أن الأليق بحالهم السؤال عن الحكمة والفائدة لا عن السبب .

قال في الإتقان: " واسترسل التفتازاني [87] في الكلام إلى أن قال: " لأنهم ليسوا ممن يطلع على دقائق الهيئة بسهولة " وأقول: ليت شعري من أين لهم أن السؤال وقع عن غير ما حصل الجواب به، وما المانع من أن يكون إنما وقع عن حكمة ذلك ليعلموها، فإن نظم الآية محتمل لذلك، كما أنه محتمل لما قالوه، والجواب ببيان الحكمة يرجح الاحتمال الذي قلناه، وقرينة(3) ترشد إليه، إذ الأصل في الجواب المطابقة للسؤال، والخروج عن الأصل يحتاج إلى دليل، ولم يرد بإسناد لا صحيح ولا غيره أن السؤال وقع عما ذكروه، بل ورد ما يؤيد ما قلناه، فأخرج ابن جرير عن أبي

---

(1) – سورة البقرة، الآية: 189

(2) – قال العراقي: " لم أقف له على إسناد" وضعفه السيوطي في الدر المنثور، والكلام فيه من جهة إسناده ففيه رجال ضعاف. انظر الدر المنثور للسيوطي 490/1

(3) – والقرينة على الأصح

العالية قال: بلغنا أنهم قالوا: يا رسول الله لم خلقت الأهلة ؟ فأنزل الله ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ فهذا صريح في أنهم سألوا عن حكمة ذلك، لا عن كيفيته من جهة الهيئة، ولا يظن ذو دين بالصحابة، الذين هم أدق فهما، وأغزر علما، أنهم ليسوا ممن يطلع على دقائق الهيئة بسهولة، وقد اطلع عليها آحاد العجم، الذين أطبق الناس على أنهم أبلد أذهانا من العرب بكثير " انتهى .[1]

ولو كان السؤال وقع عما ذكروه لم يمتنع أن يجابوا عنه بلفظ يصل إلى أفهامهم، كما وقع ذلك عن المجرة وغيرها من الملكوتيات، نعم المثال الصحيح لهذا القسم جواب موسى لفرعون حيث قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ 22 قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾[2] لأنَّ ما سؤال عن الماهية أو الجنس، ولما كان هذا السؤال في حق الباري تعالى خطأ، لأنه لا جنس له فيذكر ولا تدرك ذاته، عدل إلى الجواب بالصواب، ببيان الوصف المرشد إلى معرفته، ولهذا تعجب فرعون من عدم مطابقته للسؤال، فقال لمن حوله ألا تستمعون جوابه الذي لم يطابق السؤال ؟

ومثال الثاني: قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[3] سألوا عن بيان جنس ما ينفق أو قدره، فأجيبوا ببيان المصارف، وللسائلين اهتمام بكل منهما، لكن اهتمامهم ببيان المصرف أقوى ؛ لأن النفقة لا يعتد بها إلا إذا وقعت في موقعها، بخلاف المنفق، فإنه يعتد به إذا وقع في موقعه، قليلا كان أو كثيرا، من أي جنس كان، إذ الصواب أن المراد بالنفقة في الآية التطوع .

قال في الإتقان: " ومثال الزيادة في الجواب على السؤال قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾[4] في جواب ﴿مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[5] وقول موسى: ﴿هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا

(1) – الإتقان للسيوطي م س ج2 ص370
(2) – سورة الشعراء، الآية: 24.23
(3) – سورة البقرة، الآية: 215
(4) – سورة الأنعام، الآية: 64
(5) – سورة الأنعام، الآية: 63

﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾[1] في جواب ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ 16﴾[2]، زاد في الجواب استلذاذا بخطاب الله تعالى، وقول قوم إبراهيم:

﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ 71﴾[3] في جواب ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾[4] [88] زادوا في الجواب إظهارا للابتهاج بعبادتها والاستمرار على مواظبتها، ليزداد غيظ السائل، ومثال النقص منه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآءِ نَفْسِيٓ﴾[5] في جواب: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾[6] فأجاب عن التبديل دون الاختراع .

قال الزمخشري: " لأن التبديل في إمكان البشر دون الاختراع، فطُوي ذكره للتنبيه على أنه سؤال محال"

وقال غيره: التبديل أسهل من الاختراع، وقد نفي إمكانه، فالاختراع أولى " . [7]

تنبيــه

قد يعدل عن الجواب أصلا، إذا كان السائل قصده التعنت، نحو ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[8]

قال صاحب الإفصاح: " إنما سأل اليهود عن الروح تعجيزا وتغليظا، إذ كان الروح يقال بالاشتراك على روح الإنسان، والقرآن، وعيسى، وجبريل، وملك آخر، وصنف من الملائكة، فقصد اليهود أن يسألوه، فبأي مسمى أجابهم قالوا: ليس هو، فجاءهم الجواب مجملا، وكان هذا الإجمال

(1) – سورة طه، الآية: 18
(2) – سورة طه، الآية: 17
(3) – سورة الشعراء، الآية: 71
(4) – سورة الشعراء، الآية: 70
(5) – سورة يونس، الآية: 15
(6) – سورة يونس، الآية: 15
(7) – الإتقان للسيوطي م س ج2 ص371
(8) – سورة الإسراء، الآية: 85

كيدا يرد كيدهم " . [1]

قاعـــدة

قيل أصل الجواب أن يعاد فيه نفس السؤال ليكون وفقه، نحو ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ﴾[2] فأنا في جوابه هو أنت في سؤالهم، وكذا: ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا﴾[3] فهذا أصله، ثم إنهم أتوا عوض ذلك بحروف الجواب اختصارا وتركا للتكرار .

قاعـــدة

الأصل في الجواب أن يكون مُشاكِلا للسؤال، فإن كان في جملة اسمية، فينبغي أن يكون الجواب كذلك، ويجيء كذلك في الجواب المقدر، إلا أن ابن مالك قال في قولك: زيد في جواب من قرأ ؟ أنه من باب حذف الفعل على جعل الجواب جملة فعلية .

قال: وإنما قدرته كذلك لا مبتدأ مع احتماله، جريا على الغالب على عادتهم في الأجوبة، إذا قصدوا إتمامها .

قال تعالى: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ 77 قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[4] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ 8﴾[5] ﴿مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أحل لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾[6] فلما أتى بالفعلية مع فوات مشاكلة السؤال علم أن تقدير الفعل أولا أولى .

وقال ابن الزملكاني في البرهان: " أطلق النحويون القول بأن زيدا في جواب من قام ؟ فاعل على تقدير قام زيد، والذي توجبه صناعة علم البيان أنه مبتدأ لوجهين:

أحدهما: أنه يطابق الجملة المسؤول بها في الإسمية، كما وقع التطابق في قوله: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟

(1) – السيرة الحلبية، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون لأبي الفرج الحلبي، ج2 ص151، ط2 دار الكتب العلمية.

(2) – سورة يوسف، الآية: 90

(3) – سورة آل عمران، الآية: 81

(4) – سورة يس، الآية: 79.78

(5) – سورة الزخرف، الآية: 9

(6) – سورة المائدة، الآية: 4

مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا﴾[1] في الفعلية، وإنما لم يقع التطابق في قوله:

﴿مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ 24﴾[2] لأنهم لو طابقوا لكانوا مقرين بالإنزال، وهم من الإذعان به على مفاوز . [89]

الثاني: أن اللبس لم يقع عند السائل إلا من فعل الفاعل، فعل الفعل فوجب أن يقدم الفاعل في المعنى، لأنه متعلق غرض السائل، وأما الفعل فمعلوم عنده، ولا حاجة إلى السؤال عنه، فجرى أن يقع في الأواخر التي هي محل التكملات والفضلات، وأشكل على هذا: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[3] في جواب ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا﴾[4] فإن السؤال وقع عن الفاعل لا عن الفعل فإنهم لم يستفهموه عن الكسر، بل عن الكاسر، ومع ذلك صدر الجواب بالفعل، وأجيب بأن الجواب مقدر دل عليه السياق، إذ بل لا يصلح أن يصدر بها الكلام .

والتقدير: ما فعلته بل فعله كبيرهم " .[5]

قال الشيخ عبد القاهر: " وحيث كان السؤال ملفوظا به فالأكثر ترك الفعل في الجواب، والاقتصار على الاسم وحده، وحيث كان مضمرا فالأكثر التصريح به، لضعف الدلالة عليه، ومن غير الغالب: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ﴾[6]"[7]

وَمِنْـهُ مَـاضٍ عَـنْ مُضَـارِعٍ وضِـعْ   لِكَوْنِـهِ مُحَقَّقًـا نَحْـوُ فَـزِعْ

يعنى أن من خلاف مقتضى وضع الماضي مكان المضارع أي المستقبل، لكونه أي المستقبل

(1) – سورة النحل، الآية: 30

(2) – سورة النحل، الآية: 24

(3) – سورة الأنبياء، الآية: 63

(4) – سورة الأنبياء، الآية: 62

(5) . البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، لكمال الدين ع الواحد بن ع الكريم الزملكاني ت651 هـ، تحقيق الدكتوران أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، ط1 1974، ، مديرية الأوقاف بالعراق.

(6) – سورة النور، الآية: 37.36

(7) . دلائل الإعجاز للشيخ ع القاهر الجرجاني ت471 هـ، ت محمود محمد شاكر ج1ص239، ط3 1413هـ، ، مطبعة المدني بالقاهرة.

محققا وقوعه، نحو ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ﴾[1] أي فيفزع، عبر عنه بالماضي، لتحقق وقوعه، وأنه من الأمور الحاصلة التي من حقها أن يعبر عنها بالماضي .

قال في الإتقان: " ومنها يعنى من أنواع المجاز إطلاق الماضي على المستقبل، لتحقق وقوعه نحو ﴿أَتَىٰ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾[2] أي الساعة، بدليل ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[3] ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ 118﴾[4]

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾[5]﴿وَنَادَىٰ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ﴾[6]"

وعن في قوله عن مضارع بمعنى بدل، أي ومن خلاف مقتضى الظاهر وضع ماض بدل مضارع، وقوله: نحو بالرفع خبر مبتدأ محذوف .

قُلْتُ وللإِشْرَافِ أَوْ إِبْرَازِكَا ۞ فِي مَعْرِضِ الحَاصِلِ غَيْرَ ذَلِكَا

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: ومن خلاف مقتضى الظاهر وضع الماضي مكان المستقبل، للدلالة على إشراف وقوعه، أي مشارفته وقربه، أو لأجل إبرازك أيها المتكلم غير ذلك، أي غير الحاصل في معرض الحاصل، لقوة الأسباب المتسببة في حصوله، فالأول: نحو ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً 9﴾[7] أي لو شارفوا أن يتركوا .

ومثله الطيبي بنحو قولك: مت .

---

(1) – سورة القصص، الآية: 87

(2) – سورة النحل، الآية: 1

(3) – سورة الزمر، الآية: 68

(4) – سورة الأنعام، الآية: 116

(5) – سورة إبراهيم، الآية: 21

(6) – سورة الأعراف، الآية: 48

(7) – سورة النساء، الآية: 9

ومثال الثاني: قول المشتري اشتريت حال انعقاد أسبابه، ذكره الطيبي .

قال في الإتقان: الثامن عشر من أنواع المجاز إطلاق الفعل، والمراد مشارفته ومقاربته وإرادته نحو ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾[1] أي قاربن بلوغ الأجل، أي انقضاء العدة ؛ لأن الإمساك لا يكون بعده، [90] وهو في قوله: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾[2] حقيقة،

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ 32﴾[3] أي فإذا قرب مجيئه، وبه يندفع السؤال المشهور فيها، أن عند مجيء الأجل لا يتصور تقديم ولا تأخير، ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا﴾ الآية، أي لو قاربوا أن يتركوا خافوا ؛ لأن الخطاب للأوصياء، وإنما يتوجه إليهم قبل الترك، لأنهم بعده أموات، ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾[4] أي أردتم القيام .

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ 98﴾[5] أي أردت القراءة، لتكون الاستفادة قبلها، ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾[6] أي أردنا إهلاكها، وإلا لم يصح العطف بالفاء .

وجعل منه بعضهم قوله: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾[7] أي من يرد الله هدايته، وهو حسن جدا، ليلا يتحد الشرط والجزاء، ومن خلاف مقتضى الظاهر أيضا التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل، ليدل على أن ذلك المعنى نصب العين واجب المشاهدة، كقوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ﴾[8] أي تلته ."[9]

(1) – سورة الطلاق، الآية: 2
(2) – سورة البقرة، الآية: 232
(3) – سورة النحل، الآية: 61
(4) – سورة النساء، الآية: 6
(5) – سورة النحل، الآية: 98
(6) – سورة الأعراف، الآية: 4
(7) – سورة الأعراف، الآية: 178
(8) – سورة البقرة، الآية: 102
(9) – الإتقان للسيوطي م س ج3 ص127/128

قال في ضياء التأويل: " وإطلاق المضارع على الماضي لإفادة الدوام " .[1]

قال في الإتقان: " وعكسُه أي عكس وضع الماضي موضع المستقبل، وهو التعبير بالمضارع عن الماضي لإفادة الدوام والاستمرار، فكأنه وقع واستمر، نحو ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[2]﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ أي تلت .

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ﴾[3] أي علمنا، ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾[4] أي علم، ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ أي قتلتم، وكذا ﴿فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ٨٦﴾[5] أي قتلتم، ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً﴾[6] أي قالوا " .[7]

فَالتَّعْبِير عَنْ الْمُسْتَقْبَلِ بِالْمَاضِي كَعَكْسِهِ فِي كَوْنِ كُلٍّ مِنْهُمَا مَجَازًا مُرْسَلًا، والْعَلَاقَة الْمُضَادَّة، وقِيل اسْتِعَارَةٌ تَبَعِيَّة، ووَجْهُ الشَّبَهِ فِي الْأَوَّلِ تَحَقُّقُ الْوُقُوعِ، وفِي الثَّانِي كَوْنُهُ نَصْبَ الْعَيْنِ واجِبٌ الْمُشَاهَدَ، ولَا يُقَالُ الْمَعْنَى الْمَصْدَرِيُّ مَوْجُودٌ حَقِيقَةً فِي كُلٍّ مِنْ الْمَاضِي والْمُسْتَقْبَل، فَكَيْف يُسْتَعَار أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ، لِأَنَّا نَقُولُ فَزِع الدَّالَّ عَلَى الْفَزَعِ الْوَاقِعِ فِي الْمَاضِي مُسْتَعْمَلٌ فِي مَعْنَى مَجَازِيٍّ، وهُو الْفَزَعِ الَّذِي لَمْ يَقَعْ، وقِسْ عَلَى ذَلِكَ .

قَالَ السُّيُوطِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى هَذَا النَّظْمِ: " ولَيْسَ مِنْ خِلَافِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ التَّعْبِيرُ بِلَفْظِ اسْمِ الْفَاعِلِ والْمَفْعُولِ عَنْ الْمُضَارِعِ، نَحْو ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ٦﴾[8] ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾[9]

(1). ضياء التأويل في معاني التنزيل لفودى، م س، ج1 ص152

(2) – سورة البقرة، الآية: 44

(3) – سورة النحل، الآية: 103

(4) – سورة النور، الآية: 64

(5) – سورة البقرة، الآية: 87

(6) – سورة الرعد، الآية: 43

(7) – الإتقان للسيوطي م س ج3 ص131.132

(8) – سورة الذاريات، الآية: 6

(9) – سورة هود، الآية: 103

لِأَنَّهُمَا صَالِحَانِ لِلْمُسْتَقْبَلِ حَقِيقَة، خِلَافًا لِصَاحِبِ التَّلْخِيصِ الْقَائِلِ بِأَنَّهُ مِنْه ؛ لأن الْوَصْفَ حَقِيقَةٌ فِي الْحَالِ مَجَازٌ فِي الِاسْتِقْبَالِ، وكَذَا فِي الْمَاضِي عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ " .

وَاعْلَمْ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ حَقِيقَةٌ فِي الْحَالِ أَيْ فِي الْحَدَثِ [91] الْمُتَحَقِّقِ الْحُصُولِ بِالْفِعْلِ، وقَوْلُهُ مَجَازٌ فِي الِاسْتِقْبَالِ أَيْ فِي الْحَدَثِ غَيْرُ الْحَاصِلِ بِالْفِعْلِ، بَل سَيَحْصُل بَعْدَ ذَلِكَ، فَإِذَا كَانَ مُتَحَقِّقًا حَاصِلًا بِالْفِعْل، كَانَ الْوَصْفُ حَقِيقَةً، لَا لِأَنَّ الزَّمَانَ حَاضِرٌ، بَلْ لِأَنَّ الْحَدَثَ مُتَحَقِّقٌ، وإِنْ لَزِمَهُ حُضُور الزَّمَان، وإِذَا لَمْ يَكُنْ الْحَدَث حَاصِلًا بِالْفِعْل كَانَ الْوَصْفُ مَجَازًا، لَا لِكَوْنِ الزَّمَانُ مُسْتَقْبَلًا، بَلْ لِعَدَمِ تَحَقُّقِ الْحَدَثَ وحُصُولُه بِالْفِعْلِ فِي الْحَالِ، وإِنْ لَزِمَهُ اسْتِقْبَال الزَّمَان، فَظَهَرَ الْفَرْقُ بَيْنَ الزَّمَانِ الْمُعْتَبَرِ فِي الْمَفْهُومِ، كَمَا فِي الْفِعْلِ، وبَيْنَ الزَّمَانِ اللَّازِم لِلْمَفْهُوم، كَمَا فِي الْوَصْفِ، قَالَه يَاسِين .

قَال الْعَلَوِيُّ فِي فَيْضِ الْفَتَّاحِ: " وكَوْن التَّعْبِيرِ بِالْوَصْفِ عَنْ الْمُسْتَقْبَلِ مَجَازًا صَحِيحٌ، وقَدْ ذَكَرَهُ فِي التَّلْخِيصِ مِنْ خِلَافِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ، وارْتَضَاه الْمُحَقِّق السَّعْد " . [1]

وَقَالَ السُّيُوطِيُّ: ومَن لَوَاحِق ذَلِكَ التَّعْبِيرِ عَنْ الْمُسْتَقْبَلِ بِاسْمِ الْفَاعِلِ أَوْ الْمَفْعُول، لِأَنَّهُ حَقِيقَةٌ فِي الْحَالِ لَا فِي الِاسْتِقْبَالِ، نَحْو ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ٦﴾ أَيْ يَقَعُ، إذَا أُرِيدَ بِالدِّيْن الْجَزَاء يَوْمَ الْبَعْثِ، أَمَّا إذَا أُرِيدَ بِهِ الْجَزَاءَ مُطْلَقًا، فَاللهُ تَعَالَى يُجَازِي الْعِبَادِ فِي كُلِّ وقْتٍ، فَلَيْسَ مِنْ التَّعْبِيرِ عَن الْمُسْتَقْبَلِ بِاسْمِ الْفَاعِلِ، ونَحْو ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ أَيْ يَجْمَعُ النَّاسُ لِمَا فِيهِ مِنْ الثَّوَابِ والْعِقَابِ والْحِسَاب .

قَالَ فِي فَيْضِ الْفَتَّاح: " ويَرِدُ عَلَى كَوْنِ الْأَمْثِلَةِ الْمَذْكُورَةِ مِنْ خِلَافِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ، أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَجَازٍ كَذَلِك، قَال الْفَنَرِيّ ويَاسِين: ولَيْسَ بِظَاهِرٍ، ولَمْ أَرَ مَنْ أَجَابَ عَنْهُ " . [2]

قَوْلُه: وللشراف بِالْجَرِّ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ لِكَوْنِهِ فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ، وقَوْلُهُ أَوْ إبرازك بِالْجَرِّ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ للشراف، والْمُشَارُ إلَيْهِ بِقَوْلِهِ ذَلِكَ الْحَاصِلُ الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ فِي مَعْرِضِ الْحَاصِل، وغَيْر بِالنَّصْبِ مَفْعُول قَوْلُه إبرازك، لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ مُضَافٌ إلَى فَاعِلِهِ، وقَوْلُهُ فِي مَعْرِضِ الْحَاصِل مُتَعَلِّقٌ

(1) – فيض الفتاح م س. ج1 ص146

(2) – فيض الفتاح م س. ج1 ص146

بِالْمَصْدَرِ أَيْضًا .

وَمِنْـــهُ قَلْـــبٌ كَعَرَضْـــتُ الْإِبِـــلا   عَلَـــى الْحِيَـــاضِ ثُمَّ هَـــلْ ذَا قُـــبِلا
ثَالِثُهَـــا الْأَصَـــحُّ إِنْ لَمْ يَقْـــتَضِ   مَعْـــنًى لَطِيفًـــا لا وإِلَّا فَارْتُضِـــي
كَمَهْمَـــــهِ مُغْـــــبَرَّةٍ أَرْجَـــــاؤُهُ   كَـــأَنَّ لَـــوْنَ أَرْضِـــهِ سَمَـــاؤُهُ

يَعْنى أَنَّ مَنْ خِلَافِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ الْقَلْبُ، وهُوَ أَنْ تَثْبُتَ لِأَحَد الْجُزْءَيْن حُكْمُ الْآخَرِ وعَكْسَهُ كَمَا فِي عَكْسِ الْقَضِيَّةِ، لَا مُجَرَّدُ تَبْدِيل الْمَكَان، كعرضت الْإِبِلِ عَلَى الْحِيَاضِ، فَالْإِبِل والْحِيَاض يَشْتَرِكَانِ فِي مُطْلَقِ الْعَرْض، إِلَّا أَنْ الْحُكْمَ الثَّابِتِ للحياض هُوَ الْعَرْضُ بِلَا واسِطَةِ حَرْفِ الْجَرِّ، فَيَكُون مَعْرُوضًا، وللإبل هُوَ الْعَرْضُ بِوَاسِطَة حَرْفِ الْجَرِّ، فَتَكُون مَعْرُوضًا عَلَيْهَا، وقَدْ غَلَبَ ذَلِكَ فَصَارَ مَا حُكْمُهُ الْعَرْض بِلَا واسِطَةٍ الْعَرْض بِالْوَاسِطَة، وبِالْعَكْس، وإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ الْمِثَالَ الْمَذْكُورِ مَقْلُوبًا ؛ [92] لأن الْمَعْرُوض عَلَيْهِ مَا يَكُونُ، لَهُ إِدْرَاكُ يَمِيلُ بِهِ إِلَى الْمَعْرُوض أَو يُرْغَبُ عَنْهُ .

قَالَ فِي فَيْضِ الْفَتَّاحِ: " فَهَذَا الَّذِي عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ الْجَوْهَرِيّ[(1)] والْكِسَائِيّ والزَّمَخْشَرِيّ " . [(2)]

وَفَى كِتَابِ التَّوْسِعَة لِيَعْقُوب بْنِ السّكّيتِ أَن عَكْس الْمِثَال وهُو عُرِضَت الْحِيَاض عَلَى الْإِبِلِ مَقْلُوبٌ، وقِيلَ لَا قَلْبَ فِي واحِدٍ مِنْهُمَا، واخْتَارَهُ أَبُو حَيَّانَ .

وَحَمَلْنَا الْكَلَامِ عَلَى الْقَلْبِ لِأَمْرَيْن:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَتَوَقَّفَ صِحَّةُ الْمَعْنَى عَلَى اعْتِبَارِهِ، كَمَا فِي الْمِثَالِ الْمَذْكُورِ، وقَوْلُهُم: أَدْخَلْت الْقَلَنْسُوَةَ فِي الرَّأْسِ والْخَاتَم فِي الْإِصْبَع .

وَالثَّانِي: أَنْ يَتَوَقَّفَ صِحَّةُ اللَّفْظِ عَلَى اعْتِبَارِهِ، كَمَا إِذَا وقَعَ فِي مَوْقِع الْمُبْتَدَأ نكِرَة مَحْضَة أَوْ مُخَصِّصَةٌ، وفِى مَوْضِع الْخَبَرِ مَعْرِفَةً، كَقَوْل الْقَطَامِي:

قَفِـــي قَبْـــلَ التَّفَـــرُّقِ يَا ضُـــباعا   وَلَا يَـــك مَوْقِـــفٌ مِنْـــك الوداعـــا[3]

أَيْ لَا يَكُنْ مَوْقِفُ الْوَدَاع مِنْك مَوْقِفًا، والْمُرَادُ الدُّعَاءُ بِأَنْ لَا يَكُونُ ودَاع فِرَاق، فَإِنَّ كَوْنَ الْمُبْتَدَإِ

(1)- هو العلامة أبو الفضل الجوهري عبد الله بن الحسين المصري، واعظ عصره، حدث عن أبي سعد الماليني، وروى عنه الحميدي وجماعة، وكان أبوه من العلماء العاملين .توفي سنة 480هـ. انظر "**سير أعلام النبلاء**" ج18 ص495.

(2) - فيض الفتاح م س. ج1 ص147

(3) . البيت للقطامي وهو مطلع عينيته المشهورة انظر ديوانه، ص27، طبعة ليدن سنة 1902.

نكِرَة مَحْضَة أَوْ مُخَصِّصَةٌ، مَعَ كَوْنِ الْخَبَرِ مَعْرِفَةً، لَمْ يَقَعْ فِي الْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، بِخِلَاف الْإِنْشَائِيَّة، نَحْو مَنْ أَبُوكَ، فَقَدْ جوَّزَ سِيبَوَيْهِ أَنَّ يَكُونَ من مُبْتَدَأٌ وعِنْدَ غَيْرِهِ بِالْعَكْس .

قَوْلُه: ثُمَّ هَلْ إلَخ، يُعْنَى أَنَّ الْقَلْبَ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ، فَقِيل يُقْبَلُ مُطْلَقًا، تَضَمَّن اعْتِبَارًا لَطِيفًا أَمْ لَا، وهُوَ مَذْهَبُ السَّكَّاكِيّ، قَال: لِأَنَّهُ يُورِثُ الْكَلَامَ مِلَاحَةً ويشجع عَلَيْهِ كَمَالُ الْبَلَاغَة وآمَن اللُّبْس، وقِيل يَرِد مُطْلَقًا، لِأَنَّهُ عَكْسُ الْمَطْلُوب، ونَقِيض الْمَقْصُود، وهَذَانِ الْقَوْلَانِ مطويان فِي النَّظْمِ، ثَالِثُهَا أَيِّ الْأَقْوَالِ، وهُوَ الْقَوْلُ الْأَصَحِّ، إنْ لَمْ يَقْتَضِ أَيْ إنْ لَمْ يَتَضَمَّنْ مَعْنَى لَطِيفًا أَيْ اعْتِبَارًا لَطِيفًا، لَا أَيْ لَا يَقْبَلُ، وإِلَّا يَنْتَفِي اقْتِضَاؤُه، بِأَن تَضَمَّنَه، فارتضي، وهُوَ مَذْهَبُ صَاحِبِ التَّلْخِيصِ، وهُوَ الصَّوَابُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾(1)

فالداعي إلَى الْقَلْبِ مَا تَقَرَّرَ مِنْ أَنَّ الْمَعْرُوض عَلَيْه، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ إدْرَاكٌ يَمِيلُ بِهِ إلَى الْمَعْرُوض ويَرْغَب عَنْه، والِاعْتِبَار اللَّطِيف فِي الْآيَةِ أَنَّ الْكُفَّارَ مَقْهُورُون، فَكَأَنَّهُم لَا اخْتِيَارَ لَهُمْ، والنَّار مُتَصَرِّفَةٌ فِيهِم، وهُو كَالْمَتَاعِ الَّذِي يَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ يَعْرِضُ عَلَيْهِ، وكَقَوْل رُؤْبَة:

ومَهْمَـــــهٍ مُقْـــــبَرَة أرجـــــاؤه ... كَـــأنَّ لَــــوْنَ أَرْضِــــه سَمَــــاؤُه[2]

أَيْ كَانَ لَوْنُ أَرْضِه لَوْن سَمَائِه، فالمصراع الْأَخِيرِ مِنْ بَابِ الْقَلْبِ، والِاعْتِبَار اللَّطِيف هُوَ الْمُبَالَغَةُ فِي وصْفِ لَوْن السَّمَاء بالغبرة حَتَّى صَارَ يُشْبِهُ بِهِ لَوْنٌ الْأَرْضِ فِي ذَلِكَ لغبرتها، مَعَ أَنَّ لَوْنَ الْأَرْضِ أَصْلٌ فِي الْغُبْرَة، (3) ومِثْل النَّاظِمُ فِي شَرْحِهِ لَمَّا لَمْ يَتَضَمَّنْ اعْتِبَارًا لَطِيفًا بِقَوْل الْقَطَامِي يَصِف نَاقَتِه بِالسَّمْن:

فَلَمَّـــا أَنْ جَـــرَى سمَــــنٌ عَلَيْهَـــا ... كَمَـــا بَطَّنْـــتَ بِالفَـــدَنِ السّـــيَاعَا[4]

(1) – سورة الأحقاف، الآية: 20 و34

(2) – انظر ديوان رؤبة م س، ص3، وخزانة الأدب ج6 ص 458، وشرح شواهد المغني ج2 ص971

(3) – واعترض بعضهم بأن هذا لا ينبغي إجراء الخلاف فيه، لأنه على هذا الاعتبار يكون من التشبيه المقلوب، وقلب التشبيه متفق عليه، فكأن الأولى التشبيه بقول الشاعر: ورأين شيخا قد تحنى صلبه == يمشي فيقعس أو يكب فيعثر

لأن الأصل أو يعثر فيكب، أي يسقط على وجهه، والاعتبار اللطيف أن في القلب تخييل أنه من غاية ضعفه يسقط على وجهه قبل عثاره.

(4) – . ديوانه م س، ص44.

تَبَعًا لِصَاحِبِ التَّلْخِيص، [93] والفدَنُ بِالتَّحْرِيك الْقَصْر، والسياع بِكَسْرِ السِّينِ[1] الطِّين الْمَخْلُوط بِالتِّبْن، أَوْ الطِّينُ فَقَط، والْأَصْلُ كَمَا طينت الْفَدَن بالسياع، والْأَقْرَب أَنَّ الْقَلْبَ فِيهِ مُتَضَمِّنٌ لِاعْتِبَار لَطِيفٌ، وهُوَ الْمُبَالَغَةُ فِي وصْفِ النَّاقَة بِالسَّمْن، لِأَنَّهُ جَعَلَ السَّيَاع أَصْلًا، والفدن تَابِعًا لَهُ، بِإِدْخَالِ الْبَاءِ عَلَيْهِ، ويَلْزَمُ مِنْهُ جَعْلُ السَّمْنَ فِي النَّاقَةِ أَصْلًا، والنَّاقَة فَرْعًا، والْمِثَال الصَّحِيحُ فِي ذَلِكَ:

ثُمَّ انْصَرَفْتُ وقَدْ أَصِيبَتْ ولَمْ أُصَبْ ... جَذَعَ الْبَصِيرَة قَارِحَ الْإِقْدَام[2]

عَلَى أَنَّ جِذْعَ الْبَصِيرَة قارِحَ الْإِقْدَام حَالَانِ مِنَ الضَّمِيرِ فِي انْصَرَفْتُ، فَالْمُنَاسِب وصْفُ الرَّأْيِ والْبَصِيرَةِ بالقروح الَّذِي هُوَ قِدَمُ السِّنّ، ووَصْفُ الْأَقْدَامِ فِي الْمَعَارِكِ بالجذوعية، كَمَا يُقَالُ " إِقْدَامُ غِرٍّ واعْتِزَامُ مُجَرِّبِ" فَلَيْسَ فِي هَذَا الْقَلْبِ اعْتِبَار لَطِيفٌ، بَلْ فِيهِ إِيهَامُ خِلَافِ الْمَقْصُودِ، وقِيلَ لَيْسَ مِنْ الْقَلْبِ ؛ لأن جذعَ الْبَصِيرَة قارِح الْإِقْدامِ حَالَانِ مِنَ الضَّمِيرِ فِي أُصَبْ بِمَعْنَى أُلْفِى أَيْ لَمْ أُوجَدْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، بَل بِخِلَافِهَا جَذَعَ الْإِقْدَام قارِح الْبَصِيرَة .

قال في الإتقان: " التاسعُ عشر من أنواع المجاز، القلبُ، إما قلبُ إسْناد، نحو ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِالْعُصْبَةِ﴾[3] أي لتنوءُ العُصبةُ بها، ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ 39﴾[4] أي لكل كتاب أجل .

﴿۞وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾[5] أي حرمناه على المراضع، ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾[6] أي تعرض النار عليهم ؛ لأن المعروض عليه هو الذي له الاختيار، ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ 8﴾[7] أي وإنَّ حُبه للخير لشديدٌ، ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾[8] أيْ يُرد بك الخير، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾[9]

(1) – وروي فيه الفتح أيضا.

(2). البيت لقطري بن الفُجاءة المازني، انظر شرح ديوان الحماسة للتبريزي ج1 ص36، ط ونشر دار القلم ببيروت.

(3) – سورة القصص، الآية: 76

(4) – سورة الرعد، الآية: 38

(5) – سورة القصص، الآية: 12

(6) – سورة الأحقاف، الآية: 34.20

(7) – سورة العاديات، الآية: 8

(8) – سورة يونس، الآية: 107

(9) – سورة البقرة، الآية: 37

بنصب آدم ورفع كلمات ؛ لأن المتلقي حقيقة هو آدم، كما قُرِئ[1] بذلك أيضا، وقلب عطف، نحو ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ﴾[2] أي فانظرُهم، فتول، ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ 8﴾[3] أي تدلى فدنا، لأنه بالتدلي مال إلى الدنو، أو قلب تشبيه، وسيأتي في نوعه " انتهى .[4]

وَمِنْــــهُ ذِكْـــــرُ جَمْــــعٍ أو مُثَـــنَّى　　　أَوْ مُفْـــرَدٍ عَـــنْ آخَـــرٍ قَـــدْ عَنَّـــا

يَعْنِي أَنَّهُ قَدْ عَنَّ أَيْ عَرَضَ مِنْ خِلَافِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ ذُكِرَ أَيْ اسْتِعْمَالُ جَمْعٍ أَوْ مُثَنَّي أَو مُفْرَدٍ عَنْ آخَرَ أَيْ بَدَلٍ مِنْهُا .

مِثَالُ الْمُفْرَدِ الْمُرَادِ بِهِ الْمُثَنَّى:

فَرَجِّـــــي الْخَـــيْرَ وانتظـــري إيابي　　　إذَا مَـــــا الْقَـــــارِظِيّ الْعَنَـــــزِيّ أَبَا

وَإِنَّمَا هُمَا القارظان كَمَا فِي الْمِثَالِ، ومِثَال الْمُفْرَدِ الْمُرَادِ بِهِ الْجَمْعُ، قَوْلُه:

تـــداركتما الْأَحْـــلَاف قَـــد ثَـــل عرشـــها　　　وَذُبْيَـــان قَـــدْ زَلَّـــتْ بِأَقْـــدَامِهَا النَّعْـــل

أَي النِّعَال، ومِثَال الْمُثَنَّي الْمُرَادِ بِهِ الْوَاحِدُ: " قِفَا نَبْكِ " ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾[5] عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ .

وَمِثَال الْمُثَنَّي الْمُرَادِ بِهِ الْجَمْعُ: حَنَانَيْك وأَخَوَاتِه .

وَمِثَال الْجَمْع الْمُرَادِ بِهِ الْمُفْرَد، ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ 100﴾[6] أَي ارجعني .

وَمِثَال الْجَمْع الْمُرَادُ بِهِ الْمُثَنَّي: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[7] " أَزَجُّ الْحَوَاجِبِ عَرِيضُ الْمَنَاكِب " أَيْ قَلْبَاكُمَا، والْحَاجِبَيْن والْمَنْكِبَيْن .

قَالَ فِي الْإِتْقَانِ: ومِنْهَا أَيْ أَنْوَاعُ الْمَجَازِ إطْلَاق واحِدٍ مِنْ الْمُفْرَدِ والمثني [94] والْجَمْع عَلَى آخَرَ مِنْهَا .

---

(1) – قرأه ابن كثير بنصب آدمَ ورفعِ كلمات، وقرأه الباقون برفع آدم، ونصب الكلمات، والتاء مكسورة في حال النصب، على سنن العربية.

(2) – سورة النمل، الآية: 28

(3) – سورة النجم، الآية: 8

(4) – الإتقان م س ج3 ص12

(5) – سورة ق، الآية: 24

(6) – سورة المؤمنون، الآية: 99

(7) – سورة التحريم، الآية: 4

مِثَال إطْلَاق الْمُفْرَدِ عَلَى الْمُثَنَّي: ﴿وَاللَّهُ ورَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾[1] أَيْ إنْ يرضوهما، فَأَفْرَد لِتَلَازُم الرضيين، وعَلَى الْجَمْعِ: ﴿إِنَّ ٱلِانسَٰنَ لَفِے خُسْرٍ 1﴾[2] أي الْأَنَاسِيّ، بِدَلِيلِ الِاسْتِثْنَاءِ مِنْهُ، ﴿إِنَّ ٱلِانسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعاً 19﴾[3] أَيْ الْأَنَاسِيّ، بِدَلِيل ﴿اِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ 22﴾[4] ومِثَال إطْلَاق الْمُثَنَّي عَلَى الْمُفْرَدِ، ﴿أَلْقِيَا فِے جَهَنَّمَ﴾ أَيْ أَلْقِ، ومِنْه كُلُّ فِعْلٍ نُسِبَ إلَى شَيْئَيْنِ، وهُو لِأَحَدِهِمَا فَقَطْ، نَحْو ﴿يُخْرَجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ والْمَرْجَانُ 20﴾[5] وإِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ أَحَدِهِمَا، وهُوَ الْمِلْحُ دُون الْعَذْب، ونَظِيرُه ﴿وَمِن كُلٍّ تَاكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَاۖ﴾[6] وإِنَّمَا يُخْرِجُ الْحِلْيَةَ مِنَ الْمِلْحِ، ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً﴾[7] أَيْ فِي إحْدَاهُنَّ .

﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾[8] والناسي يوشع، بدليل قوله لموسى ﴿فَإِنِّے نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾[9] وإنما أضيف النسيان إليهما معا لسكوت موسى عنه، ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِے يَوْمَيْنِ﴾[10] والتعجيل في اليوم الثاني، ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍۖ 30﴾[11] الفارسي أي من إحدى القريتين .

ومثال إطلاقه على الجمع ﴿اِرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾[12] أي كرات ؛ لأن البصر لا يحسر إلا بها، وجعل

(1) – سورة التوبة، الآية: 62
(2) – سورة العصر، الآية: 2
(3) – المعارج، الآية: 19
(4) – المعارج، الآية: 22
(5) – الرحمن، الآية: 22
(6) – فاطر، الآية: 12
(7) – سورة نوح، الآية: 16
(8) – سورة الكهف، الآية: 61
(9) – سورة الكهف، الآية: 63
(10) – سورة البقرة، الآية: 203
(11) – سورة الزخرف، الآية: 31
(12) – سورة الملك، الآية: 4

منه بعضهم ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾[1] أي مرات، ومثال إطلاق الجمع على المفرد ﴿قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ١٠٠﴾ أي ارجعني، وجعل منه ابن فارس ﴿فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣٥﴾[2] والرسول واحد، بدليل ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ﴾[3] وفيه نظر، لأنه يحتمل أنه خاطب رئيسهم، لا سيما وعادة الملوك أن لا يرسلوا واحدا، وجعل منه ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾[4] ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾[5] أي جبريل، ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ﴾[6] القاتل واحد .

ومثال إطلاقه على المثني: ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾[7] أي طائعتين، ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ﴾[8] أي قالا، ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ﴾[9] أي أخوان،

﴿فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ أي قلباكما انتهى .

وعن في قوله عن آخر بمعنى بدل .

وَالِانْتِقَالُ مِنْ خِطَابِ بَعْضِ ذِي ... إِلَى خِطَابِ آخَرٍ نَوْعٌ شَذِي

يعنى أن الانتقال عن خطاب بعض ذي الثلاثة المذكورة في البيت قبل هذا، وهي المفرد والمثني والجمع، إلى خطاب آخر منها، نوع من خلاف مقتضى الظاهر شذي أي حسن، فالانتقال من خطاب المفرد إلى خطاب المثني أو الجمع، ومن المثني إلى الجمع أو المفرد، ومن الجمع إلى المفرد أو المثني، أقسامه ثلاثة:

---

(1) – سورة البقرة، الآية: 229
(2) – سورة النمل، الآية: 35
(3) – سورة النمل، الآية: 37
(4) – سورة آل عمران، الآية: 39
(5) – سورة النحل، الآية: 2
(6) – سورة البقرة، الآية: 72
(7) – سورة فصلت، الآية: 11
(8) – سورة ص، الآية: 22
(9) – سورة النساء، الآية: 11

فالأول: كقوله تعالى ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وتَكُونَ لَكُمَا اُ۬لْكِبْرِيَآءُ فِے اِ۬لْاَرْضِ﴾[1] ﴿يَٰٓأَيُّهَا اَ۬لنَّبِےٓءُ إذا طَلَّقْتُمُ اُ۬لنِّسَآءَ﴾[2]

والثاني: كقوله تعالى ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسيٰ 48﴾[3]﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً واجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾[4]

والثالث: كقوله تعالى ﴿وَأَقِيمُواْ اُ۬لصَّلَوٰةَ وبَشِّرِ اِ۬لْمُومِنِينَ 87﴾[5]﴿يَٰمَعْشَرَ اَ۬لْجِنِّ والاِنسِ إِنِ إِسْتَطَعْتُمُۥٓ أَن تَنفُذُواْ مِنَ اَقْطارِ اِ۬لسَّمَٰوَٰتِ والاَرْضِ فَانفُذُواْ لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَٰنٍ 31 فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ 32﴾[6]

قال ياسين: [95] " ووجه حسن هذه ما ذكر في الالتفات ؛ لأنها قرينة، والفرق بين ما ذكر في هذا البيت وما ذكر في البيت قبله، أن ما ذكر في هذا فيه استعمال كل في معناه، وما ذكر في البيت الأول فيه استعمال كل في غير معناه " انتهي، قاله في فيض الفتاح .[7]

أحوال المسند:

فَتَرْكُهُ لِمَا مَضَى يعنى أن المسند يترك ذكره لما مضى في باب المسند إليه من تخييل العدول إلى أقوى الدليلين، واجتناب العبث إلى غير ذلك مما رأيت، وإنما قال في المسند إليه يحذف، وهنا تركه ؛ لأن المسند إليه أعظم ركن في الكلام، والاحتياج إليه فوق الاحتياج إلى المسند، لأنه كالمعروض، والخبر كالعارض، فحيث لم يذكر لفظا فكأنه أتى به لفرط الاحتياج إليه، ثم أسقط لغرض، بخلاف المسند، فإنه ليس بهذه المثابة، فيجوز أن يترك ولا يؤتى به لغرض، فلذلك عبر عن إسقاط المسند إليه بالحذف ؛ لأن الحذف إسقاط بعد ذكر، وعن إسقاط المسند بالترك ؛ لأن الترك لا يوذن بالذكر

(1) – سورة يونس، الآية: 78
(2) – سورة الطلاق، الآية: 1
(3) – سورة طه، الآية: 49
(4) – سورة يونس، الآية: 87
(5) – سورة يونس، الآية: 87
(6) – سورة الرحمن، الآية: 33
(7) – فيض الفتاح م س. ج1 ص147

قبله .

مثال تركه قول الشاعر:

فمن يك أمسى بالمدينة رَحْلُه ... فإني وقيّار بها لغريب[1]

الرحل المنزل، وقيار اسم غلام، [2] وهو مبتدأ حذف خبره، وقوله لغريب خبر إن، والمعنى إني لغريب، وغيار أيضا غريب حذف لقصد الاختصار، والاحتراز عن العبث في الظاهر مع ضيق المقام، بسبب التحسر ومحافظة الوزن، فالبيت لفظه خبر ومعناه التحسر على الغربة والتوجع من الكربة .

. . ويَحْتَمِل ... كِلَيْهِمَا صَبْرٌ جَمِيلٌ قَدْ نُقِلْ

يعنى أنه قد نقل عن البلغاء محتمل أي احتمال قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[3] لكليهما، أي لحذف المسند إليه، فيكون التقدير، أمري صبر جميل، ولحذف المسند، فيكون التقدير فصبر جميل، أي أجمل .

قال الشيخ سعد الدين: ففي الحذف تكثير للفائدة، بإمكان حمل الكلام على كل من المعنيين، بخلاف ما لو ذكر، فإنه يكون نصا في أحدهما .

قلت: الظاهر أن الحمل هنا لضيق المقام والضجر ؛ لأن يعقوب حينئذ متحسر ومتوجع على فقدان ابنه يوسف، ومن حذفه لضيق المقام قول أبي الطيب:

قالت وقد رأتِ اصْفِراري مَنْ بِهِ ... وَتَنَهَّدَتْ فأجَبْتُها المُتَنَهِّدُ

أي المتنهد هو الذي بي .

ومن حذفه للاحتراز عن العبث، قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾[4] تقديره تملكون تملكون، فحذف تملكون الأول، وانفصل الضمير، لسقوط ما يتصل به، فالمسند المحذوف هنا فعل للاحتراز عن العبث، لوجود المفسر، ومنه خرجت فإذا زيد، أي حاضر انتهى .

---

(1) - البيت لضابئ بن الحارث البُرجُمي، وهو من شواهد سيبويه ج1 ص75، والكامل للمبرد 416

(2) - وقيل اسم فرس أو جمل. فيض الفتاح ص150

(3) - سورة يوسف، الآية: 18 و83

(4) - سورة الإسراء، الآية: 100

قوله: ومحتمل مصدر ميمي من غير الثلاثي، وهو مبتدأ خبره جملة قد نقل .

وقوله: كليهما مفعوله، وقوله صبر جميل فاعله مضاف إليه، وفصل بين المصدر وفاعله المضاف إليه بمفعوله، وذلك سائغ .

قال في الفريدة:

مفعولٌ أو ظَرْفٌ أجِزْ إن يُفصلا عامِلُهُ المُضافُ عن ثانٍ تلا
وَشَرْطُهُ قَرِينَةٌ كَذِكْرِ سُؤَالٍ أو تَقْدِيرِهِ لِخُبْرِ

يعني أنه يشترط في حذف المسند قرينة دالة عليه، أي على المحذوف، قاله الجربي .

لكن الظاهر أن المشترط قرينة الحذف، وأما المحذوف فقد تترك القرينة الدالة عليه لتذهب نفس السامع إلى أشياء، وتلك القرينة كذكر سؤال بأن يكون السؤال والجواب ثابتين بالفعل، كما إذا قلت: من عندك ؟ فقيل لك زيد أي عندي زيد، [96] أو مفروضين، كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[1] أي خلقهن الله ؛ لأن القضية الشرطية هنا لا تستدعي الوقوع ولا عدمه .

وقال في عروس الأفراح: " واختاروا الذي في جواب الاستفهام، نحو زيد، في جواب من عندك ؟ أنه مفرد لا مركب، ولا يقدر له مبتدأ ولا خبر، بل بمنزلة حيوان ناطق، في جواب ما الإنسان ؟ وهو خبر يفيد التصور فقط، وعلى ذلك قوله تعالي: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ وجاء في الآية الأخرى ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ٩﴾[2] هذا ابتداء كلام، ليس جوابا، بل متضمن للجواب، بخلاف الآية الأولى، وإنما رفع لأنه لمّا لم يكن ما يعمل فيه أعطي حركة الرفع لتجرده " .[3]

قلت: فعلى هذا يكون واسطة بين المعرب والمبني، والسؤال مفروض، والجواب ثابت، وهذا معنى قوله: أو تقديره، أي السؤال لخُبر بضم الخاء، أي للعلم به، نحو:

---

(1) - سورة العنكبوت، الآية: 61 ولقمان، الآية: 25

(2) - سورة الزخرف، الآية: 9

(3) - عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للسبكي، ت ع الحميد هنداوي، ج1 ص311 ط1 المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصومةٍ   ومُخْتَبِطٌ مِمّا تُطِيحُ الطّوائِحُ[1]

والضّارع الذليلُ . .

فقوله: ليبك مجزوم بلام الأمر، مبني للمفعول، وقوله يزيد نائبه، فكأنه قيل من يبكيه ؟ فقال يبكيه ضارع لخصومة إلخ فضارع فاعل فعل محذوف، دل عليه ذلك السؤال المقدر، والمحذوف هو المسند، وإنما بنى ليبك للمفعول، ولم يبنه للفاعل ؛ لأن بناءه للمفعول أبلغ من بنائه للفاعل، من أجل تكرار الإسناد في الأول، إذ قد أسند أولا الفعل إجمالا، ثم تفصيلا، لأنه لما بناه للمفعول علم أن له باكيا يسند إليه البكاء، لكنه مجمل، فلما قال ضارع، أي يبكيه ضارع أسنده إلى مفصل، ولا شك أن الإسناد مرتين أوْكد، وأن الإجمال ثم التفصيل أوقع في النفس، ومن أجل أن فيه نيل ما لا طمع في نيله، فيكون معرفة الفاعل كحصول نعمة غير مرتقبة ؛ لأن أول الكلام غير مطمع في ذكره، لأنه إذا بني للمفعول انقطع طمع السامع من معرفة الباكي، وفى خلافه يطمع في ذكر الفاعل، والرزق المَسُوق من حيث لا يحتسب أَلَذُّ انتهى .[2]

وقَدْ يَجِي مِنْ أَوَّلٍ أَوْ آخِرِ   وصَالِحًا لِذَيْنِ عِنْدَ السَّابِرِ

يعنى أن الحذف قد يجيء من الأول، لدلالة الثاني عليه، كقوله:

نحنُ بما عِندنا وأنتَ بما   عندكَ راضٍ والرَّأيُ مُخْتلِف

لأي نحن راضون بما عندنا، وأنت راضٍ بما عندك، أو آخرٍ أي وقد يجيء الحذف من الآخر أي الثاني، لدلالة الأول عليه، كقوله:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله   فإني وقيّار بها لغريب

فقوله لغريب خبر أن، بدليل دخول اللام عليه، وغيار مبتدأ خبره محذوف، لدلالة خبر إن عليه، أي إني لغريب بها وغيار أيضا غريب، وصالحا لذين عند السائر أي وقد يجيء الحذف صالحا لذين، أي لأن يكون من الأول، ومن الثاني عند السائر في علم البلاغة، نحو زيد وعمرو قائم، فقائم صالح لأن يكون خبر زيد وخبر عمرو محذوف، ولأن يكون خبر عمرو، وزيد خبره محذوف، دل عليه

---

(1) - هذا من أبيات لنهشل بن حري في رثاء يزيد بن نهشل. والبيت في الكتاب 1/ 145 منسوبًا إلى الحارث بن نهيك.

(2) - فيض الفتاح م س. ج1 ص153

المذكور على المحذوف على كلا الاحتمالين، فالتقدير على الأول زيد قائم وعمرو كذلك، [97] وعلى الثاني زيد قائم وعمرو قائم .

وَخَـــــبَرًا لِمُبْتَـــــدَا أَوْ إِنَّ أَوْ كَـانَ عَلَـى قُـبْحٍ وفِعْـلاً بَعْـدَ لَـوْ

يعني أن المسند المحذوف قد يجيء خبرا لمبتدأ كما قدمنا، أو خبرا لإن، كقوله: إن محلا وإن مرتحلا، وإن في السفر إذا مضوا مهلا، أي إن لنا حلولا في الدنيا، وإن لنا عنها إلى الآخرة ارتحالا، فحذف المسند، وهو لنا للعدول إلى أقوى الدليلين، مع اتباع الاستعمال، لاطراد الحذف، في نحو إن مالا وإن ولدا، وإن زيدا وإن عمرا .

قال عبد القاهر: لو أسقطت لم يحسن الحذف، أو لم يجز، فعدم الحسن عند وجود القرينة، وعدم الجواز عند نفيها، أو لكان على قبح عند النحاة، نحو إن خير فخير، برفعهما، أي إن كان في عمله خير، فجزاؤه خير، فالمسند والمسند إليه حذفا لقصد الاختصار، وقد يجيء المحذوف فعلا بعد لو، نحو ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ﴾[1] تقديره تملكون تملكون، فحذف الأول وانفصل الضمير، لسقوط ما يتصل، فالمسند المحذوف هنا فعل للاحتراز عن العبث، لوجود المفسر .

قوله: وخبرا بالنصب عطف على قوله صالحا لذين في البيت قبله، وقوله أو إن عطف على قوله لمبتدأ، وقوله أو كان عطف على قوله أو إن، وقوله وفعلا بالنصب عطف على قوله خبرا لمبتدأ .

وَذِكْـــرُهُ لِمَـــا مَضَـــى أَوْ حَـــتْمِ مَجِيئِـــهِ بِالفِعْـــلِ أَوْ بِالِاسْـــمِ

يعني أن المسند يذكر لما مضى بذكر المسند إليه، من أن الذكر هو الأصل، ولا مقتضى للحذف، نحو زيد قائم، ومن الاحتياط لضعف التعويل على القرينة، ونحو ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٩﴾[2]، من التعريض بغباوة السامع، نحو: محمد نبينا في جواب من قال من نبيكم ؟ ومنه قوله تعالى: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا﴾[3] بعد قوله ﴿ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا

(1) - سورة الإسراء، الآية: 100

(2) - سورة الزخرف، الآية: 9

(3) - سورة الأنبياء، الآية: 63

بِـَٔالِهَتِنَا﴾[1] إلى غير ذلك، وكذا يذكر لحتم أي وجوب مجيئه بالفعل، ليفيد التجدد، أو بالاسم ليفيد الثبوت والدوام، ولا يدرى لو حذف هل هو اسم أو فعل، نحو قام زيد، أو زيد قائم، إذا كنت مريدا في الأول تجدد القيام له، وفى الثاني ثبوته له ودوامه .

قوله: وذكره مبتدأ خبره لما مضى، أي ذكره أي المسند كائن لما مضى في المسند إليه، وقوله: أوحتم بالجر عطف على قوله ما من قوله لما مضى .

قُلْـتُ ولِلتَّعْجِيـبِ فِي الْمِفْتَـاحِ قَـدْ زَادَ وفِي الْإِيضَـــاحِ رَدَّ وانْفَـــرَدْ

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص، ويذكر المسند إذا كان مرادا به التعجيب، أي إدخال العجب على السامع، قد زاد هذه النكتة السكاكي في المفتاح والطيبي .

وفى الإيضاح رد، أي رد هذا القول صاحب الإيضاح، قال وفيه نظر ؛ لأن التعجيب يحصل مع الحذف بالقرينة .

قوله: رُد بالبناء للنائب .

وَانْفَرَدْ،

لِكَوْنِــهِ لا سَــبَبِيًّا مَــعْ عَــدَمْ إِفَــادَةِ القُــوَّةِ لِلحُكْــمِ المُــتَمّْ

يعنى أن المسند ينفرد، أي يؤتي به مفردا، إذا كان غير سببي، مع عدم إفادة تقوية الحكم المتم، أي مع عدم إفادة تقوية [98] النسبة التامة التي هي ثبوت المسند للمسند إليه بنفس التركيب، أي الكلام المركب، فسبب كونه جملة أحد الأمرين، كونه سببيا أو كونه مفيدا للتقوي بنفس التركيب، وسبب الانفراد انتفاؤهما جميعا، فيدخل ما يفيد التقوي، لكن لا بنفس التركيب، بل بالتكرير، نحو عرفت أو بحرف التأكيد، ونحو ذلك، وإنما لم يقل مع عدم قصد القوة إلخ، ليشمل صورة التخصيص، نحو أنا سعيت في حاجتك، ورجل جاءني وما أنا قلت هذا، فعدم إفادة التقوي أعمُّ من عدم قصد التقوي .

وَالسَّــبَبِيُّ مَــا جَــرَى لِغَــيْرِ مَــا هُــــــوَ لَــــــهُ[2] . . "

يعنى أن السببي هو المسند الذي جرى على غير ما هو له، بأن يكون جملة علقت على مبتدأ بعائد

(1) – سورة الأنبياء، الآية: 62

(2) – في المطبوع: يَسْبِقُهُ

غير مسند إليه في تلك الجملة، فخرج عنها لمسند، في نحو زيد قائم أبوه، لأنه مفرد، كما تقدم، وزيد قام، وزيد هو قائم ؛ لأن العائد فيهما مسند إليه، ونحو ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ 1﴾ لأن تعليقها على المبتدأ ليس بعائد، ودخل فيه زيد أبوه قائم، وزيد قام أبوه، وزيد مررت به، وزيد ضربت عمرا في داره، وزيد ضربته، ونحو ذلك .

كَـ" **هِنْدُ عَبْدُهَا انْتَمَى**" أي انتَسبَ، فهذه الجمل سببيات ؛ لأن كل واحدة منها معلقة على مبتدأ بعائد غير مسند إليه في تلك الجملة، ولا يقال إن الجملة الواقعة خبر ضمير الشأن، نحو ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ 1﴾ غير سببي، ولا مفيد للتقوي، فيدخل في ضابط الإفراد مع أنه جملة، لأنا نقول: هو مفرد معنى، لكونه عبارة عن المبتدأ، ولهذا لا يحتاج إلى عائد .

وَكَوْنُـــــهُ فِعْـــــلاً لأَنْ يُقَيَّـــــدَا بِوَقْتِـــــهِ ويُفْهِـــــمُ التَّجَـــدُّدَا

يعنى أن المسند يورد فعلا، لأجل تقييده بوقته الذي وقع فيه، أي لتقييده بأحد الأزمنة الثلاثة: الماضي، وهو الزمان المتقدم على الزمان الذي أنت فيه، والمستقبل، وهو الزمان المتأخر وجوده، والحال، وهو أجزاء من أواخر الماضي، وأوائل المستقبل، متعاقبة من غير مهلة وتراخ، كما يقال: زيد يصلي، والحال أن بعض صلاته ماض، وبعضها باق، وتعيين مقدار الحال مفوض إلى العرف بحسب الأفعال، ولا يتعين له مقدار مخصوص، فإنه يقال: زيد يأكل ويمشي ويحج ويكتب القرآن، أو يعد كل ذلك حالا، ولا شك في اختلاف مقادير أزمنتها، وهذا على مذهب المتكلمين القائلين إن الزمان موهوم محض، لا وجود له .

وأما عند الحكماء القائلين إن الزمان موجود متصل، فالحال عندهم وهو الآن، عرض موجود، حال في زمن موجود، لا جزء منه، وما ذكر من تفسير الحال لا يستقيم في ابتداء الزمان ولا في انتهائه، إلا أن يقال: الوقوع في الأجزاء المذكورة، ولو في واحد منها، وقوع في الحال، ويكون التقييد بأحد الأزمنة الثلاثة مع الاختصار ؛ لأن الفعل يدل بصيغته على أحد الأزمنة من غير احتياج إلى قرينة، بخلاف الاسم، [99] فإنما يدل عليه بقرينة خارجة نحو زيد قائم أمس أو الآن أو غدا، ولا يقال اسم الفاعل حقيقة في الحدث الحالي، ومن لازم كونه حقيقة فيه دلالته على الزمن الحالي، فلا يحتاج في

الدلالة عليه إلى قرينة، لأنا نقول: المراد أنه يحتاج للقرينة في الدلالة عليه صريحا، لا في مطلق الدلالة، ويؤتى بالمسند فعلا لما ذكر، وليفهم التجدد، أي ليفيده، لأنه لما كان الزمان الذي هو كم غير قار الذات، أي لا تجتمع أجزاؤه في الوجود، جزءا من مفهوم الفعل، كان الفعل مع إفادته التقييد بأحد الأزمنة مفيدا للتجدد، إذ لم يقصد بالفعل مجرد اقتران الحدث بالزمان، بل حدوثه فيه، والتجدد هو الحصول بعد العدم، وهو بهذا المعنى ملازم لمعنى الفعل، بحسب الوضع .

وأما التجدد بمعنى التقضي شيئا فشيئا، فغير ملازم لمعنى الفعل، ولا معتبر في مفهومه، حتى إذا أريد وجبت القرينة له، كقول طريف:

أوَ كُلّما وردتْ عُكاظَ قبيلةٌ ... بَعثوا إليَّ عَريفَهم يتوَسَّمُ[1]

أي يتأمل الوجوه، يحدث منه ذلك التأمل مرة بعد مرة، والقرينة على هذا التكرر هي أن الشاعر ساق البيت في بيان فخر نفسه، فالمقصود بالمضارع الدلالة على كثرة فضائله .

والمعنى: إن لي على كل قبيلة جناية، فمتى وردوا عكاظ، طلبني القيم بأمرهم، ليعرفني في الحرب بعد ذلك، انتهى .

قال في الإتقان: المراد بالتجدد في الماضي الحصول، وفي المضارع أنه من شأنه أن يتكرر ويقع مرة بعد أخرى، صرح بذلك جماعة منهم الزمخشري، في قوله تعالى: ﴿أَللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[2]

قال الشيخ بهاء الدين السبكي: " وبهذا يتضح الجواب عما يورد من نحو علم الله كذا، بأن علم الله لا يتجدد، وكذا سائر الصفات الدائمة التي يستعمل فيها الفعل، وجوابه أن معنى علم الله كذا، وقع علمه في الزمن الماضي، ولا يلزم أنه لم يكن قبل ذلك، فإن العلم في زمن ماض أعم من المستمر على الدوام، قبل ذلك الزمن، وبعده، وغيره، ولهذا قال تعالى حكايةً عن إبراهيم: ﴿أَلذِے خَلَقَنِے فَهُوَ يَهْدِينِۖ 78 والذِے هُوَ يُطْعِمُنِے ويَسْقِينِ 79 وإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِۖ 80﴾[3] فأتى بالماضي في الخلق، لأنه مفروغ منه، وبالمضارع في الهداية والإطعام والإسقاء والشفاء ؛ لأنها متكررة متجددة، تقع مرة بعد

(1) ـ البيت لطريف بن تميم العنبري، انظر ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ج1 ص436. ت د نعمان محمد أمين طه، ط3 دار المعارف.

(2) – سورة البقرة، الآية: 15

(3) – سورة الشعراء الآيات 81.78

أخرى، واعلم أن مضمر الفعل فيما ذكر كمظهره، ولهذا كان سلام الخليل أبلغ من سلام الملائكة، حيث ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۚ﴾[1] فإن نصبَ " سلاما" إنما يكون على إرادة الفعل، أي سلمنا سلاما، وهذه العبارة موذنة بحدوث التسليم منهم، إذ الفعل متأخر عن وجود الفاعل، بخلاف سلام إبراهيم، فإنه مرتفع بالابتداء، فاقتضى الثبوت[100] على الإطلاق، وهو أولى مما يعرض له الثبوت، فكأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به "[2]

وتقرير البيت: وكونه أي المسند فعلا كائن، لأجل أن يقيدا، أي لأجل تقييده بوقته، أي زمنه الذي وقع فيه، مع اختصار، ولأن يفهم التجددا، أي ولأجل إفهامه، أي إفادته التجدد .

قوله: أو يفهم بالنصب عطف على قوله لأن يُقيِّدا، وهو بضم الياء وكسر الهاء مضارع من أفهم إفهاما، وقوله التجدد بالنصب مفعوله .

وَاسْمًــا لِفَقْــدِ قَيْــدِهِ مَــا ذُكِــرَا

أي وكون المسند اسما كائن، لفقد أي لأجل عدم فيه، أي إفادته ما ذكر في كونه فعلا من التقييد بأحد الأزمنة والتجدد، بل لإفادته الثبوت والدوام، أما الثبوت ـ والمراد به تحقق المسند للمسند إليه ـ فبحسب الوضع، وأما الدوام فبالقرائن الخارجة لا بحسب الوضع، والثبوت والدوام يقصدان لأغراض تتعلق بهما، كالمبالغة في المدح والذم، والاحتراز عن أن يطلع السامع على وقت وقوع المسند إلى غير ذلك مما يناسبه الثبوت والدوام .

أما المدح فقوله:

لا يألَــفُ الــدِّرهَم الْمَضْــروبُ صُــرَّتَنا   لكــنْ يمُــرُّ عليهــا وهُــوَ مُنطلِــقُ[3]

يعنى أن الانطلاق من الصرة ثابت للدرهم دائما، ولو قال: وهو ينطلق أفاد تجدد الانطلاق المفيد سبق الاستقرار المنافي لغرضه، إذ غرضه الوصف بغاية الجود .

واعلم أن المراد بالاسم هنا ما يشمل الصفة وغيرها، وما تقرر من إفادة الاسم الثبوت من غير

---

(1) - سورة هود، الآية: 69

(2) - الإتقان للسيوطي م س ج2 ص378

(3) - قائله النضر بن جؤية، انظر شرح الواحدي على ديوان المتنبي ص157

تعرض لحدوث ولا دوام، هو ما اقتضاه كلام السبكي وعبد القاهر، ويوافقه جعل الميداني الصفة المشبهة مندرجة في اسم الفاعل، لأنه ظاهر في أن ما هو اسم فاعل عند القوم لا يدل على الحدوث، ويؤيده فرق النحاة بين الفعل والاسم المشتق بدلالة الفعل على الزمان بجوهره أي بلفظه، ودلالة المشتق عليه بواسطة أن الحدث لا بد له من زمان، فلا يدل الاسم على الحدوث المستفاد من الزمان أي لفظه .

قال ياسين: " وحينئذ لا يعتد بما ذكره ابن الحاجب من دلالة اسم الفاعل على الحدوث دون الصفة المشبهة "

فإن قلت: فرق النحاة برمتهم بين حسن وحاسن، وضيف وضائف، يقوى جانبه، قلت لا وذلك لأن اسم الفاعل لما كان جاريا في اللفظ على الفعل، جاز أن يقصد به الحدوث بمعونة القرائن، وهل هو حقيقة أو مجاز محل نظر، دون الصفة المشبهة، إذ لا يقصد بها وضعا إلا مجرد الثبوت أو الدوام معه، باقتضاء المقام، ومثله للسيد المحقق .

وقال الأستاذ الصفوي[1]: " يحتمل أن ابن الحاجب والشيخين مختلفون في فهم معناه، وأن أحد الفريقين بين معناه الوضعي، والآخر الاستعمالي، لكن التحقيق أن اسم الفاعل إذا استعمل في المستقبل مجاز كما تقدم " قاله في فيض الفتاح .[2][101]

قال في الإتقان: " قاعدة في الخطاب بالاسم والخطاب بالفعل، الاسم يدل على الثبوت والاستمرار، والفعل يدل على التجدد والحدوث، ولا يحسن وضع أحدهما موضع الآخر .

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾[3] لو قيل: يبسط، لم يرد الغرض، لأنه يوذن بمزاولة الكلب البسط، وأنه يتجدد له شيئا بعد شيء، فباسط أشعر بثبوت الصفة .

وقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم﴾[4] لو قيل رازقكم، لفات ما أفاده الفعل من تجدد الرزق

(1) – تقدمت ترجمته

(2) – فيض الفتاح م س. ج1 ص155

(3) – سورة الكهف، الآية: 18

(4) – سورة فاطر، الآية: 3

شيئا بعد شيء، وهو المسمى حكاية الحال الماضية، وهذا هو سد الاعراض عن اسم الفاعل والمفعول، ولهذا عبر بالذين ينفقون، ولم يقل المنفقون، كما قيل المومنون والمتقون ؛ لأن النفقة أمر فعلي شأنه الانقطاع والتجدد، بخلاف الإيمان، فإن له حقيقة تقوم بالقلب يدوم بمقتضاها، وكذلك التقوى والإسلام والصبر والشكر والهدى والعمى والضلال، كلها لها مسميات حقيقة أو مجازية تستمر، وآثار تتجدد وتنقطع، فجاءت بالاستعمالين .

وقال تعالى في آية الأنعام: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾[1]

قال الإمام فخر الدين: لما كان الاعتناء بشأن إخراج الحي من الميت أشر، أتى فيه بالمضارع ليدل على التجدد، كما في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ "[2]

وما ذكرناه من دلالة الاسم على الثبوت والدوام، والفعل على التجدد والحدوث هو المشهور عند أهل البيان .

وقد أنكره أبو المطرف بن عميرة في كتاب التمويهات على التبيان لابن الزملكاني، وقال عنه غريب لا مستند له، فإن الاسم إنما يدل على معناه فقط، أما كونه يثبت المعنى للشيء فلا، ثم أورد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ 15 ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ 16﴾[3]

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ 58 وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُومِنُونَ 59﴾[4]

وقال ابن المنير: " طريقة العربية تلوين الكلام، ومجيء الفعلية تارة، والاسمية أخرى، من غير تكلف لما ذكروه، وقد رأينا الجملة الفعلية تصدر من الأقوياء الخلص، اعتمادا على أن المقصود حاصل بدون التأكيد، نحو ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾[5]،لا شيء بعد ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾[6]

(1) – سورة الأنعام، الآية: 98

(2) – الإتقان للسيوطي م س ج2 ص377

(3) – سورة المؤمنون، الآية: 16.15

(4) – سورة المؤمنون، الآية: 58.57

(5) – سورة آل عمران، الآية: 53

(6) – سورة البقرة، الآية: 285

وقد جاء التأكيد في كلام المنافقين، فقالوا: [1]﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ 10﴾[2]

قُلْتُ وقَالَ بَعْضُ مَنْ تَأَخَّرَا
إِفَادَةُ الثُّبُوتِ لِلْإِسْمِ فُقِدْ ... إِنْ كَانَ مَا يَتْلُوهُ فِعْلاً وانْتُقِدْ

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص، قال بعض من تأخرا، أي بعض المتأخرين، وهو الكواشي في شرح المفتاح: إن إفادة الثبوت في الاسم فقد أي مفقودة، إن كان ما يتلوه أي الاسم فعلا، ونص كلامه لا تكون الجملة الاسمية [102] للثبوت إلا إذا كان خبرها اسما، فإن كان فعلا فلا تفيد الثبوت، ليلا يقع التناقض في مثل زيد قام، فإنها تقتضي الثبوت من حيث صدرها والتجدد من حيث عجزها، وانتقد هذا القول أي رده ابن السبكي، قال: فيما قاله الكواشي نظر، بل ما قالوه من أن الجملة الاسمية للثبوت والدوام على عمومه، سواء كان الخبر اسما أو فعلا، ولا تناقض إذا كان فعلا ؛ لأن قولك: زيد قام، دال على ثبوت نسبة القيام المتجدد إلى زيد، فالقيام متجدد حصوله لزيد، ووصفه به ثابت مستقر .

قوله: فقد للبناء للمفعول، وقوله وانتقد بالبناء له أيضا .

وَكَوْنُهُ مُقَيَّدًا بِقَيْدِ ... كَنَحْوِ مَفْعُولٍ لِزَيْدِ الفَيْدِ

يعنى أن كونه أي المسند الفعل وما يشبه الفعل، من اسم الفاعل والمفعول ونحوهما، مقيدا بقيد، كنحو مفعول كائن، لأجل زيادة الفيد، أي الفائدة، أي تربيتها وتكثيرها ؛ لأن ازدياد التقييد يوجب ازدياد الخصوص، وهو يوجب ازدياد البعد الموجب لتقوية الفائدة، كما مر في مقام تعريف المسند إليه، فالمراد بالمفعول هنا المطلق، أو به أو فيه أو له أو معه، والمراد بقوله بقيد ما يعم المفعول والحال والتمييز والاستثناء .

قال ياسين: " إن قلت هذا يشكل في المفعول به ؛ لأن الفعل المتعدي يتوقف تعقله على تعقل المفعول به، فالتقييد به لأصل الفائدة، لا لزيادتها، وأي فرق بينه وبين الفاعل، فإن تعقل الفعل

(1) – سورة البقرة، الآية: 11

(2) – البرهان في علوم القرآن للزمخشري، فصل في أنواع علوم القرآن، النوع46 في ذكر ما تيسر من أساليب القرآن وفنونه البليغة، ، تنبيه حول دلالة الاسم على الثبوت والفعل على التجدد والحدوث

يتوقف على تعقل كل منهما، قلت: الفعل المتعدي يتوقف تعقله على تعقل مفعول ما، وهو معقول لكل أحد، لا على تعقل مفعول مخصوص، بخلاف الفاعل، فإن تعقل الفعل يقتضي تعقل خصوصه، لأنه اعتبر في مفهومه النسبة إلى الفاعل الخاص " انتهى " .

ولا يخفى أن تقييد المسند بمفعول ونحوه من مباحث متعلقات الفعل، وإنما بحث عنه هنا استطرادا .

قوله: وكونه مبتدأ خبره لزيد الفيد، وقوله كنحو مفعول صفة لقوله بقيد .

وَنَحْــوُ كُنْــتُ قَائِمًــا كَــانَ الَّــذِي قَيَّدَتِ الْمَنْصُوبَ لا العَكْسَ احْتُذِي

لما كان هنا مظنة سؤال، وهو أن خبر كأن يشبه المفعول، وتقييد كأن به لا لتربية الفائدة، إذ لا فائدة بدونه، بين أنه مستثنى من هذا الحكم، فقال ونحو إلخ، يعنى أن الخبر في نحو كان زيد قائما، مقيد بكان لا العكس، أي ليس كان مقيدا بالمسند ؛ لأن المسند الذي هو قائما في المثال، هو الدال على الحدث، إذ المسند إنما هو الحدث بخلاف كان فإنها إنما تدل على الزمن دون الحدث، كما قال السيد وغيره، فكما إذا قلت: زيد منطلق في الزمن الماضي بمعنى كان هو قولك في الزمن الماضي، وهذا خلاف ما اختاره الرضي من دلالة كان على الحدث، وإنها مسندة إلى زيد، حتى أن معنى كان زيد، شيء حصل لزيد .

وقوله: بعد منطلقا تفصيل وتبيين لذلك الشيء .

وما اختاره الرضي اختاره ابن مالك، وأيده بعشر أمور أقواها مجيء المصدر، نحو: وكونك إياه عليك يسير انتهى . [103]

وَالــــتَّرْكُ لِلمَــــانِعِ كَانْتِهَــــازِ لِفُرْصَــــةٍ تُغْــــنَمُ والْإِيجَــــازِ

يعنى أن الترك للتقييد المذكور كائن لأجل مانع من تربية الفائدة، كالجهل بالقيد، أي بزمان الفعل الذي وقع فيه أو مكانه، أو بمن وقع عليه الفعل أو معه، وكانتهاز الفرصة التي تغنم خوف فواتها بالتقييد، كقول الصائد: صدت، من غير أن يبين المصيد، بأن يقول: غزالا أو غيره، وكالإيجاز أي الاختصار بترك التقييد، وكقصد أن لا يطلع المخاطب ولا غيره على زمان الفعل، أو مكانه، أو غير ذلك، لأغراض تتعلق به، أو خوف أن يتصور المخاطب أن للمتكلم مكثا .

قوله: والإيجاز بالجر عطف على قوله كانتهاز، وقوله والترك مبتدأ خبره للمانع .

وَكَوْنُـــــهُ قُيِّـــــدَ بِالشَّـــــرْطِ لأَنْ   يُفِيـــدَ مَعْـــنَى الْأَدَوَاتِ كَيْـــفَ عَـــنّْ
وَكُلُّهَـــــا مَبْسُـــــوطَةٌ فِي النَّحْـــــوِ   وابْحَـــثْ هُنَـــا فِي إِنْ إِذَا ولَـــــوِّ[1]

الأحسن أن يقدم هذا على ترك التقييد، لتجري القيود على سنن واحد، مع أن التقييد بالشرط في قوة التقييد بالمفعول فيه ؛ لأن قولك: إن جئتني أكرمك، بمنزلة أكرمك وقت مجيئك إياي كما قاله السعد .

والضمير في كونه للمسند، يعنى أن كون المسند الفعل وما يشبهه مقيدا بالشرط كائن لأجل إفادة معنى الأدوات، أي أدوات الشرط، حيث عن أي عرض التقييد به، وذلك لا يعرف إلا بمعرفة ما بين أدوات الشرط من تفصيل معانيها في أصل الوضع، حتى يعرف منها أية حالة يقيد الفعل فيها بأن، وأية حالة يقيد الفعل فيها بإذا، وكذا البواقي، وكلها أي كل معاني أدوات الشرط مبسوطة في علم النحو، أي مبينة فيه، وإن لم يكن بيانها في النحو من مسائله .

واعلم أن الحال المقتضية تقييد المسند بالشرط، هي تعليق حصول مضمون جملة بحصول مضمون جملة أخرى، إما في الماضي كما في " لو " وإما في الاستقبال، إما مع الجزم بوقوع الشرط، كما في " إذا " أو مع الشك فيه، كما في " إن " وغير ما ذكر من أدوات الشرط، واعلم أن الجزاء إن كان خبرا، فالجملة الشرطية خبرية، نحو " إن جئتني أكرمك " لأن المعنى " أكرمك وقت مجيئك إياي " وإن كان إنشائيا فإنشائية، نحو " إن جاء زيد فأكرمه " وأما نفس الشرط فقد أخرجته الأداة عن الخبرية، واحتمال الصدق والكذب، لأنه ليس كلاما، وأما نحو " إن ضربتك تضربني " فلا يقال على ما ذكرتم يكون الجزاء خبرا، مع أن الجملة الشرطية إنشائية، لأنا نقول حرف الاستفهام داخل في الحقيقة على الجزاء، فليس بخبر كما صرح به الرضي، وما يقال من أن كلا من الشرط والجزاء خارج عن الخبرية، أعني احتمال الصدق والكذب، وإنما الخبر هو مجموع الشرط والجزاء المحكوم فيه بلزوم الثاني للأول، فإنما هو اعتبار أهل المنطق، فمفهوم قولك: " إن كانت الشمس طالعة فالنهار موجود " عند أهل العربية، الحكمُ بوجود النهار في كل وقت من أوقات طلوع الشمس،

(1) - تشديد واو "لو" لضرورة الوزن

[104] فالمحكوم عليه هو النهار، والمحكوم به هو الوجود، ومفهومه عند أهل المنطق لزوم وجود النهار لطلوع الشمس، فالمحكوم عليه هو طلوع الشمس، والمحكوم به وجود النهار، فعلى هذا إن كان ارتباط المسند بالشرط صحيحا، يصدق الكلام، ولو لم يقع واحد منهما .(1)

قولهُ فابحث هنا في إن إلخ، يعنى أن الباحث في علم المعاني يبحث هنا أي في تقييد المسند بالشرط في إن وإذا ولو لكثرة مباحثها الشريفة المهملة في علم النحو، وليترك البواقي من أدوات الشرط ؛ لأنها مبسوطة في علم النحو .

قوله: إذا عطف على قوله إن بحذف العاطف، وقوله ولو بكسر الواو وتشديدها لضرورة القافية، وقوله عن بتخفيف العين لضرورة القافية أيضا، فعل ماض بمعنى عرض .

فَغَـــيْرُ لَـــوْ لِلشَّـــرْطِ فِي اسْـــتِقْبَالِ

يعنى أن غَيْرَ لو وهو " إن" و" إذا" للشرط في الاستقبال، أي لتعليق حصول مضمون الجزاء بحصول مضمون الشرط في الاستقبال، وليس قوله في الاستقبال ظرفا للتعليق، لأنه في الحال، بل لحصول، فمضمون المعلق عليه، وهو الشرط مستقبل، ويلزمه استقبال حصول مضمون الجزاء ؛ لأن الحصول المعلق بحصول أمر مستقبل، يلزم أن يكون مستقبلا .

لَكِـــنَّ إِنْ تَخْـــتَصُّ بِالْمُحَـــالِ

لِكَوْنِهَـــا فِي الْأَصْـــلِ لِلَّـــذِي عَـــدِمْ جَزْمًـــا . .

يعنى أن إن تختص بالدخول على الفعل النادر وقوعه، أو المشكوك في وقوعه، وكذا غيرها من أدوات الشرط الجازمة، فلا تستعمل إلا في المعاني المشكوكة لا المجزومة ولا المستحيلة، كما مشى عليه الناظم، بقوله تختص بالمحال، إلا لنكتة، وكون بقية الأدوات كإِنْ، ذَكَرَهُ الجافي تبعا للرضي، وذلك لكونها أي إن في الأصل للذي عدم جزما أي للشرط الذي ليس مجزوما بوقوعه .

قوله: عدم بالبناء للفاعل، وفاعله ضمير عائد إلى الموصول، وقوله جزما تمييز محول عن فاعل أي عدم جزم به، أي بوقوعه، أو مفعول لعدم بتضمينه معنى فقد .

وَعَكْسُها إِذَا، يعنى أن إذا عكس إن في كونها للجزم بوقوع الشرط، فالأصل في مدلول شرطها أن

(1) - فيض الفتاح م س. ج1 ص159

يكون مجزوما به، ومعنى الأصالة أنه حقيقة إذا اللغوية، فتلخص أن إن وأخواتها وإذا يشتركن في عدم الدخول على المستحيل، إلا لنكتة، نحو ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾[1] وتنفرد إنْ وأخواتها بالمشكوك والنادر، وتنفرد إذا بالمجزوم، وهل تدخل على المظنون خلاف .

قال ياسين: " ومحصل كلام السيد أن المراد بالمجزوم به الراجح ولو مظنونا " انتهى .

فلا تستعمل إن وأخواتها في كلام الله تعالى على الأصل .[2]

مِنْ ثَمَّ عَمَّ، الْمَاضِ فِيهَا، أي ولأجل أن الأصل في إذا الجزم عم أي غلب، وكثر لفظ الماضي معها ؛ لأن الماضي أقرب إلى القطع بالوقوع، [105] نظرا إلى لفظه الموضوع لتحقق الوقوع، وإن لم يدل على ذلك بالنظر إلى ما يصيره في معنى الاستقبال كإذا، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ﴾[3]

فالحسنة الخصب والرخاء، والسيئة الجدب والبلاء، جيء في جانب الحسنة بلفظ الماضي مع إذا ؛ لأن المراد بالحسنة المطلقة أي من أي نوع كانت، من خصب أو غيره، ولم يرد به نوع من الحسنة مخصوص، ولهذا عرفت الحسنة تعريف الجنس، أي الحقيقة لا الاستغراق، وإن كان تعريف الجنس يطلق عليهما، ووقوع الجنس كالواجب لكثرته، بخلاف نوع الحسنة، فإنه لا يكثر كثرة جنسها، وجيء في جانب السيئة بلفظ المضارع، مع أن لها ذكر ؛ لأن السيئة نادرة بالنسبة إلى الحسنة المطلقة، ولهذا نكرت ليدل على التقليل ؛ لأن قلة الشيء تناسب قلة وقوعه، والمراد بتعريف الجنس تعريف الجنس العهدي، بأن يكون المراد تعريف الحقيقة في ضمن فرد ما، والأفراد توصف بالمجيء، وليس المراد به الجنس الذي هو نفس الماهية إذ لا توصف بالمجيء، وما ذكر من أن تعريف الحسنة للجنس هو رأي صاحب التلخيص، وقد جعله صاحب المفتاح للعهد .[4]

قال في المطول: " ومعنى كونها معهودة أنها عبارة عن حصة معينة من الحسنة، وهي الخصب

(1) – سورة الزخرف، الآية: 81

(2) – فيض الفتاح م س. ج1 ص160

(3) – سورة الأعراف، الآية: 131

(4) – منقول من فيض الفتاح بنصه م س، ص161

والرخاء، ومعنى كونها مطلقة أن المراد بها مطلق الخصب والرخاء من غير تعيين بعض، وما قاله صاحب المفتاح من الاحتمال الأول، قال إنه أقضى لحق المبالغة، لكونه أدل على فضل الله وعنايته، حيث جعل الحسنة المعهودة التي حقها أن يشك في وقوعها كثيرة الوقوع قطيعة الحصول مع جعل السيئة القليلة غير قطعية الحصول " . [1]

قال في ضياء التأويل: " وإنما عرف الحسنة وذكرها مع أداة التحقيق، لكثرة وقوعها وتعلق الإرادة بأحداثها بالذات، ونكر السيئة وأتى بها مع حرف الشك، لندورها وعدم القصد لها إلا بالتبع، وإنما أوردوا آية من كلام الله تعالى، تحقيقا وتوضيحا لاستعمال إذا في المقطوع وإن في المحتمل، والمراد بالقطع والاحتمال بالنظر إلى حال الشيء في نفسه، وفرض الكلام على لسان من يجوز عليه الشك والتردد، وإلا فبالنظر إلى علم الله تعالى ليس إلا العلم بالوقوع أو عدمه "[2]

قال في الإتقان: " تختص إذا بدخولها على المتيقن والمظنون والكثير الوقوع، بخلاف إن فإنها تستعمل في المشكوك والموهوم والنادر، ولهذا قال تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ﴾[3] ثم قال: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾[4] فأتى بإذا في الوضوء لتكرره وكثرة أسبابه، وبإن في الجنابة لندرة وقوعها [106] بالنسبة إلى الحدث، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ﴾ ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ 35﴾[5] أتى في جانب الحسنة بإذا ؛ لأن نعم الله على عباده كثيرة ومقطوع بها، وبإن في جانب السيئة ؛ لأنها نادرة الوقوع ومشكوك فيها .

---

(1) – مطول التفتزاني م س، ج1 ص131.

(2) – ضياء التأويل في معاني التنزيل لأبي محمد عبد الله بن محمد الملقب بفودي الهوصي المالكي، ت1245 هـ، ج2 ص185، ط مكتبة الاستقامة . القاهرة سنة 1380 هـ.

(3) – سورة المائدة، الآية: 6

(4) – سورة المائدة، الآية: 6

(5) – سورة الروم، الآية: 36

نعم أشكل على هذه القاعدة إتيان إن في قوله: ﴿وَلَئِن مِّتُّمْ﴾[1] ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾[2] فأتى بأن مع أن الموت محقق الوقوع، وإذا في قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾[3] فأتى بإذا في الطرفين .

وأجاب الزمخشري عن الأولى بأن الموت لما كان مجهول الوقت، أجري مجرى غير المجزوم بوقوعه، وأجاب السكاكي عن الثانية بأنه قصد التوبيخ والتقريع، فأتى بإذا لتكون تخويفا لهم وإخبارا بأنهم لا بد أن يمسهم شيء من العذاب، واستفيد التقليل من لفظ المس، وتنكير ضر .

وأما قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾[4]

فأجيب عنه بأن الضمير في مسه للمُعْرض المتكبر، لا لمطلق الإنسان ويكون لفظ إذا للتنبيه على أن مثل هذا المعرض يكون ابتلاؤه بالشر مقطوعا به .

وقال الْخُوَيِيُّ: الذي أظنه أن إذا يجوز دخولها على المتيقن والمشكوك ؛ لأنها ظرف وشرط، فبالنظر إلى الشرط تدخل على المشكوك، وبالنظر إلى الظرف تدخل على المتيقن كسائر الظروف " [5] .

فائـدة: أخرج ابن أبي حاتم من طريق السدي عن أبي مالك، قال ما كان في القرآن إن فلم يكن، وما كان إذا فقد كان . [6]

تنبيـــــه

خالفت إذا إن أيضا في إفادة العموم .

قال ابن عصفور: فإذا قلت: إذا قام زيد قام عمرو أفادت أن كلما قام زيد قام عمرو، وقال هذا هو

(1) – سورة آل عمران، الآية:

(2) – سورة آل عمران، الآية: 144

(3) – سورة الروم، الآية: 33

(4) – سورة فصلت، الآية: 51

(5) – الإتقان للسيوطي م س ج2 ص180.178

(6) – نفس المصدر ج2 ص181.

الصحيح انتهى .

وَلِجَزْمٍ إِنْ تُرِدْ .. تَجَاهُلاً يعنى أنَّ إن تردُ للجزم، للتجاهل، أي تستعمل في مقام جزم المتكلم بوقوع الشرط، لأجل التجاهل، أي إظهار الجهل من غير الجاهل، لاقتضاء المقام له، كما إذا سئل العبد عن سيده، هل هو في الدار ؟ ـ وهو يعلم أنه فيها ـ فيقول إن كان فيها أخبرتك، فيتجاهل خوفا من السيد .

قوله: إن مبتدأ خبره جملة ترد، وقوله ولجزم متعلق بقوله ترد، وقوله تجاهلا مفعول لأجله عامله ترد .

وَلِمُخَاطَبٍ فَقَدْ، جَزْمًا يعنى أن إن تستعمل في مقام الجزم بوقوع الشرط، لأجل فقد المخاطب الجزم بوقوع الشرط، أو عدم وقوعه، كقولك لمن يشك في صدقك: إن صدقت فماذا تفعل ؟ [107] فتجري الكلام على سنن ما عنده، وإن كنت جازما بصدقك .

قوله: ولمخاطب بفتح الطاء عطف على محل قوله تجاهلا ؛ لأن محله الجر باللام، وفقد بالبناء للفاعل فاعله ضمير عائد إلى المخاطب، وقوله جزما مفعول به لفقد، والجملة صفة لمخاطب .

وَلِلتَّوْبِيخِ، يعنى أن إن تستعمل في مقام الجزم للتوبيخ، أي تعبير المخطاب على الشرط، أو تعبير غير المخاطب، إما لعدم المخاطب، أو لعدم صلاحيته للتعبير، ويحصل التوبيخ بإفهام المتكلم المخاطب المتحقق وقوع الشرط منه، أن المقام مشتمل على ما ينفي الشرط بالكلية، فلا يصلح المقام إلا لفرض الشرط وتقديره، كما يفرض المحال لغرض من الأغراض، كتبكيت المخاطب أي إفحامه، نحو قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحاً إن كنتم قَوْماً مُّسْرِفِينَ 4﴾[1] في مَنْ قرأ إنْ بالكسر، أي أنهملكم فنضرب عنكم القرآن وما فيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد صفحا، أي إعراضا، أو للإعراض أو معرضين ؟ فإسرافهم مقطوع به، لكن جيء بإن للتوبيخ، بسبب إفهامهم أن الإسراف من العاقل في هذا المقام، يجب أن لا يكون إلا على سبيل الفرض والتقدير، كما يفرض المحال، لاشتمال المقام على الآيات الدالة على أن الإسراف لا ينبغي أن يصدر من العاقل، فهو

(1) – سورة الزخرف، الآية: 5

بمنزلة المحال، والأصل في المحال أن لا تستعمل فيه إن لأنها يشترط فيها عدم الجزم بوقوع الشرط، وعدم الجزم بعدم وقوعه، والمحال مقطوع بعدم وقوعه، لكنهم يستعملون إن فيه، تنزيلا له منزلة المشكوك، على سبيل إرخاء العنان للخصم، قصدا إلى إفحامه، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ 81﴾[1] على أن إن شرطية لا نافية، أي إن ثبت ببرهان يقيني أن له ولدا، فأنا أول من يعظم ذلك الولد، كما يعظم الرجل ولد الملك، لتعظيم أبيه على حد التأويلات، وقيل فأنا أول العابدين أي الجاحدين لذلك الولد .

قال ياسين: فإن قلت ما الفائدة في أنه ينزل أولا منزلة المحال، ثم ينزل منزلة ما لا قطع بعدمه، ولم ينزل ابتداء منزلة ما لا قطع بعدمه ولا وجوده ؟

قلتُ[2]: لأن التدريج أبلغ، فلأنه لو ترك ابتداء كذاك فات اعتبار محاليته، وهي نكتة مطلوبة .[3]

. . والَّـــــذِي يُـــــرَى ... كَجَاهِـلٍ إِذْ مَـا عَلَـى الْعِلْـمِ جَـرَى

يعنى أن إن قد تستعمل في مقام الجزم بوقوع الشرط، لاقتضاء المقام ذلك، لأجل خطاب الذي يرى، كجاهل إذ ما على العلم جرى، أي لأجل خطاب العالم الذي يرى كجاهل، أي المنزل منزلة الجاهل، لأجل عدم الجري على ما يوجبه العلم، وهذا من إخراج الكلام على غير مقتضى الظاهر، كقولك لمن يؤذى أباه: إن كان أباك فلا تُوذِهِ، مع علمه بأنه أبوه، لأنه لما آذاه [108] فكأنه لا يعلم أنه أبوه، لعدم جريه على موجب العلم من الطاعة والتوقير .

قال في فيض الفتاح: " بحث الحفيد في هذا المثال بأن علم المخاطب أو جهله لا مدخل له في إن، بل عدم جزم المتكلم أو جزمه هو المعتبر فيها، اللهم إلا أن يقال هذا على التجوز، أو عدم صحة اعتبار المتكلم على الحقيقة، فغير الجاهل الذي جعل كالجاهل هو المخاطب كما رأيت، لكن الأولى أن يكون المتكلم " .

قال ياسين والفنري: " لكَ أن تعتبر في هذه الصورة تنزيل المتكلم منزلة الشاك ؛ لأن فعل

---

(1) – سورة الزخرف، الآية: 81

(2) – أي صاحب فيض الفتاح سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي رحمه الله تعالى.

(3) – فيض الفتاح م س. ج1 ص164

المخاطب من إيذائه أباه، كأنه أوقعه في الشك والاعتبار ملاحظة المتكلم كما هو الأصل في إن " انتهى . [1]

كَـذَا لِتَغْلِيـبِ الَّـذِي لَمْ يَتَّصِـفْ   بِـهِ عَلَـى الْمَوْصُـوفِ ثُمَّ ذَا عُـرِفْ

أي كاستعمال إن في مقام الجزم بوقوع الشرط، لأجل خطاب الذي يرى، كجاهل، لعدم جريه على موجب العلم استعمالها فيه، لأجل تغليب الذي لم يتصف به أي الشرط، أي المشكوك في اتصافه به على الموصوف به أي بالشرط أي المقطوع باتصافه به، وظاهر كلام الناظم أن إن تستعمل في مقام الجزم، لأجل تغليب غير المتصف بالشرط جزما على المتصف به جزما، وإن ليست موضوعة للشرط المجزوم بعدم وقوعه حتى يغلب على المجزوم بوقوعه، بل هي موضوعة للمشكوك في وقوعه وعدم وقوعه، فلو قال:

كَـذَا لِتَغْلِيـبِ الَّـذِي لَمْ يَتَّصِـفْ   شكا على الموصوف ثم ذا عرف

لكان أحسن وأوفى بالمراد .

كقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾[2] غلب المشكوك في ارتيابهم على المقطوع بارتيابهم، وحقيقة التغليب كلا من الصنفين بلفظ أحدهما، كقولك: الزيدون والهندات خرجوا، فالواو عمت الزيدون والهندات، تغليبا للمذكر .

ثُمَّ ذَا عُرِفْ، فِي غَيْرِ مَا فَنٍّ، [3] يعنى أن التغليب عرف في غير فن واحد، بل هو باب يجرى في فنون كثيرة،

. كَمِثْـلِ الْعُمَـرَيْنْ   الْقَـانِتَيْنِ الْخَـافِقَيْنِ الْقَمَـرَيْنْ

قال في المطول: " وجميع باب التغليب من المجاز ؛ لأن اللفظ لم يستعمل في ما وضع له ؛ لأن

(1) – هاتان الفقرتان من كتاب فيض الفتاح م س. ج1 ص165

(2) – سورة البقرة، الآية: 23

(3) – في المطبوع: في غَيْرِ مَا مَرَّ

القانتين في قوله تعالى: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ 12﴾[1] موضوعٌ للذكور الموصوفين بالقنوت، فإطلاقه على الذكور والإناث إطلاق على غير ما وضع له، فهو مجاز لغوي، وعلاقته المناسبة أو الاختلاط أو المصاحبة أو المشابهة " . [2]

قال ياسين: " وكلها ترجع إلى المجاورة، وقرينة هذا المجاز تختلف بحسب المقامات، ومنها الاستحالة كما في القمرين، ولا يخفى أن في التغليب جمعا بين الحقيقة والمجاز " .

وأجاب السيد في حاشية الكشاف بأن الجمع الممتنع إذا كان كل منهما مرادا باللفظ، [109] لا إن أريد مجموعهما كما في التغليب، لارتباطه بجعلهما معنى واحدا . [3]

والتغليب يكون لنكت، منها الخفة كالعمرين في أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما، ومنها التذكير نحو القمرين في الشمس والقمر، وإذا تعارض التذكير والخفة، رجح التذكير كما في القمرين، فإن الشمس مؤنث، لكنها أخف، ومنها الكثرة بأن ينسب إلى الجمع وصف مختص بالأكثر، كقوله تعالى حكاية عن قوم شعيب: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَالذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ﴾[4] أدخلوا شعيبا في العود تغليبا، مع أنه لم يكن في ملتهم، حتى يعود إليها، وإنما كان في ملتهم أتباعه، وكذا تغليب الجنس الكثير الأفراد على فرد من غيره، كقوله تعالى: ﴿۞وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اِسْجُدُواْ لِأدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ 33﴾[5]،منها الفضل فيغلب المخاطب على الغائب، والعاقل على غيره، واجتمعا في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنَ اَنفُسِكُمُۥٓ أَزْوَٰجاً وَمِنَ ٱلْاَنْعَٰمِ أَزْوَٰجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۖ﴾[6] أي يكثركم في هذا التدبير لما فيه من التناسل، فهُوَ كَالْمَنبَعِ والْمَعْدنِ، ففي لفظ كم تغليبان، تغليب

(1) – سورة التحريم، الآية: 12

(2) – مطول السعد م س، ج1 ص145

(3) – حاشية السيد الشريف الجرجاني أبي الحسن ت816 على كشاف الزمخشري ص163، ت الدكتور رشيد بن عمر أعرضي، ط دار الكتب العلمية ببيروت، سنة النشر 2016م.

(4) – سورة الأعراف، الآية: 88

(5) – سورة البقرة، الآية: 34 والإسراء، الآية: 61

(6) – سورة الشورى، الآية: 11

المخاطبين وهم الناس على الغائب، أعني الأنعام، وتغليب العقلاء على غيرهم، إلى غير ذلك، قاله في فيض الفتاح . [1]

قُلْتُ ومَنْ يَشْرُطُ أَنْ يُغَلَّبَا أَعْلَى أَوِ الْأَدْنَى فَلا تُصَوِّبَا

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص، ومن شرط أن يغلب الأعلى، أي ومن شرط تغليب الأعلى على الأدنى، وهو الطيبي، أو الأدنى أي ومن شرط تغليب الأدنى على الأعلى، وهو ابن الحاجب، فلا تصوبا، أي لا تصوب مقالته، بل المختار أن التغليب قد يكون للفضل والخفة والتذكير .

قوله: إن يغلب بالبناء للمفعول، وقوله أَعْلَى نائبه، وقوله أو الأدنى عطف على قوله أَعْلَى وقوله فلا تُصوِّبا مضارع مبني على الفتح، موكد بنون التوكيد الخفيفة، وقد قلبت ألفا لوقوعها بعد فتح .

تنبيه

ذكروا مقابل الأصل في إن، ولم يذكروا مقابله في إذا، والظاهر أنها تستعمل في مقام الشك، لنظير ما استعملت له إنفي مقام الجزم، مع أن قول المفتاح ومثله في التلخيص، والأصل فيها أي إذا القطع، يدل على أنها قد تستعمل في غير الجزم، وإلا فلا يتجه ذلك الأصل .

قال ياسين: وحينئذ فينبغي أن يقال إنها قد تستعمل في الشك، لما يناسب ذلك من الأغراض، كالإشارة إلى أن مثل ذلك الشرط لا ينبغي أن يكون مشكوكا، بل لا ينبغي إلا أن يكون مجزوما به، ولعدم شك المخاطب، وكتنزيله منزلة الجازم، وكتغليب الجازم على غيره .

وَاخْتُصَّتَا بِالْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ مُسْتَقْبَلاً وَتَرْكُهُ لِنُكْتَةِ
كَمِثْلِ إِبْرَازِ الَّذِي لَمْ يَحْصُلِ فِي صُورَةِ الْحَاصِلِ . .

يعنى أن إن وإذا مختصتان بالجملة الفعلية الاستقبالية لفظا، أي بالدخول عليها ؛ لأن كلا من جملتي الشرط والجزاء فيهما فعلية استقبالية، أما الشرط [110] فإنه مفروض الحصول في الاستقبال، فيمتنع ثبوته ومضيه، وأما الجزاء فإن حصوله معلق على حصول الشرط في المستقبل، والاستقبال هو الغالب فيهما، ولا يخالف ذلك لفظا تطبيقا بين اللفظ والمعنى، وتحاميا عن مخالفة

(1) - فيض الفتاح م س. ج1 ص163

مقتضى الظاهر، إلا لنكتة تقتضي ذلك، لامتناع مخالفة مقتضى الظاهر من غير فائدة، وقولنا لفظا إشارة إلى أن الجملتين إن جعلتا ماضويتين، أو جعلت جملة الجزاء اسمية، فالمعنى على الاستقبال، فقولك: " إن أكرمتني الآن فقد أكرمتك أمس " معناه أن تعتد بإكرامك إياي الآن، فاعتد بإكرامي إياك أمس، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ﴾(1) أي فلا تحزن فقد كذبت رسل، وقوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾(2) معناه ينصره من نصره قبل ذلك، وقس على هذا بحسب ما يناسب المقام، وقد تستعمل إن في غير المستقبل معنى قياسا، إذا كان لفظ الشرط كان، كقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾(3)﴿إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ﴾(4)

قال المحجوبي في الشهدة الصريحة: " ونص المبرد والزجاج على أنَّ إن لا تغلب كان إلى معنى الاستقبال، لقوة دلالة كان على المضي، وفي غير كان قليلا، كقول المعري:

فَيَا وطَنِي إنْ فَاتَني بِك سَابِقٌ ... مِنَ الدَّهْرِ فَلْيَنْعَمْ لِسَاكِنِك الْبَالُ(5)

فمراده التحزن والتحسر على تزحزحه من وطنه، وليس المعنى أنه سيقع في المستقبل"(6) وقد تستعمل إذا في الماضي، كقوله تعالى: ﴿إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾(7)﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾(8)﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾ [الكهف: 96]

قوله: وتركه لنكتة إلخ، يعنى أنه يترك دخولهما على المستقبل لفظا، فيدخلان على الماضي لفظا، وذلك إنما يكون لنكتة، كمثل إبراز الذي لم يحصل، أي الشرط الذي لم يحصل في صورة الحاصل بالفعل، وإنما يفعل ذلك لأجل قوة السبب المحصل للشرط، نحو إن اشترينا كان كذا،

(1) – سورة فاطر، الآية: 4
(2) – سورة التوبة، الآية: 40
(3) – سورة البقرة، الآية: 23
(4) – سورة يونس االآية 104
(5) – . ديوان سقط الزند لأبي العلاء المعري، ص150 ط دار بيروت/ ودار صادر للطباعة والنشر 1376/1957
(6) – انتهى كلام المحجوبي هنا.
(7) – سورة الكهف، الآية: 93
(8) – سورة الكهف، الآية: 96

حال انعقاد أسباب الشراء، ولم يقل إن نشتر .

وَالتَّفاؤُلِ

وَالْقَصْــــدِ لِلرَّغْبَـــةِ فِي وقُوعِـــهِ

يعنى أن غير الحاصل من الشرط يبرز في صورة الحاصل، لأجل التفاؤل، وإظهار الرغبة في وقوعه أي الشرط، مثالهما: " إن ظفرت بحسن الخاتمة فذلك المراد " والتفاؤل بترك المتكلم بوقوع الشرط .

قال ياسين: " قيل التفاؤل من السامع، وإظهار الرغبة من المتكلم، وبيان كون إظهار الرغبة يقتضى إبراز غير الحاصل في موضع الحاصل، أن الطالب إذا عظمت رغبته في حصول أمر، يكثر تصوره إياه، فكثيرا ما يقع في خياله أن ذلك الأمر حاصل، فيعبر عنه بلفظ الماضي، وهذا البيان لا يأتي في حق الله تعالى، مع أن هذه النكتة تقع في كلامه، فلا بد من التسامح، أي التجوز وإرادة معنى يناسب في حقه تعالى، وعلى إظهار الرغبة في الوقوع قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ اِنْ اَرَدْنَ تَحَصُّنا﴾[1] ولم يقل إن يردن .

ولا يقال: [111] مفهوم المخالفة هنا أنهن إذا لم يردن التحصن يجوز إكراههن، لأنا نقول: إذا لم يردن التحصن لا يتصور الإكراه "

قوله: والتفاؤل بالجر عطف على محذوف، أي كمثل إبراز الذي لم يحصل في صورة الحاصل، لقوة السبب المحصل للشرط وللتفاؤل إلخ .

وقِيــلَ والتَّعْــرِيضُ مِــنْ فُرُوعِــهِ

أي وقال بعض البيانيين: والتعريض من فروع إبراز غير الحاصل من شركه في صورة الحاصل أي من نكته، والتعريض هو أن ينسب الفعل إلى أحد، والمراد غيره، ولا بد أن تكون تلك النسبة على وجه يفهم منه المقصود، وإلا فقولك: جاءني زيد تريد ابنه، ليس من التعريض في شيء، **نَحْوُ** ﴿لَئِنَ اَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[2] فالمخاطب هو النبي ﷺ، وعدم إشراكه مقطوع به، لكن جيء بلفظ

---

(1) - سورة النور، الآية: 33

(2) - سورة الزمر، الآية: 65

الماضي إبرازا للإشراك في صورة الحاصل على سبيل الفرض والتقدير، تعريضا بمن صدر منهم الإشراك بأنهم قد حبطت أعمالهم، كما إذا شتمك أحد، فتقول: " واللهِ إن شتمني الأميرُ ضربته " فالتعريض مستفاد من لفظ الماضي لا من التاء، لأنه تعريض بجماعة صدر منهم الشرك في الماضي، ولا يستفاد التعريض من المضارع، لأنه إنما يفهم مما خالف مقتضى الظاهر، وذلك في صورة الماضي الدال على وقوع مدلوله بحسب أصل الوضع، مع القطع بأنه لا يقع ممن أسند له، فطلب له وجه، وناسب أن يكون هو التعريض، بخلاف ما إذا تلفظ بلفظ المضارع على ما هو الأصل في الشرط .

وفى هذا التعريض فائدتان: الأولى أن من كان أعلى مرتبة عند الله، إذا كان الإشراك محبطا لعمله، فما حال غيره .

والثانية: أن الكفار لا يستحقون الخطاب كالبهائم، ففي ذلك غاية الإذلال لهم، ومن التعريض قوله: ﴿وَلَئِنِ اِتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلذِے جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ 119﴾[1] كما في المفتاح .

قال السيد: فأمر اتباع النبي ﷺ لأهواء اليهود والنصارى في صورة الحاصل، أعني صيغة الماضي، مع القطع بأنه لا يقع منه، تعريضا بمن صدر منه اتباعهما ويتعلق الجزاء بهم أي كونهم لا ولي لهم من الله ولا نصير، ومن أمثلته أيضا

﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ 207﴾[2]

قال السيد: تعريضا بمن زلوا، وبلحوق الوعيد العظيم بهم، أعني ما دل عليه قوله: ﴿فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ 207﴾

. . والتَّعْـــــرِيضَ سَــــمّْ ... بِمُنْصِفِ الْكَلامِ مِمَّـنْ قَـدْ حَكَـمْ
وَمِنْــهُ مَــالِي تِلْــوُهُ لا أَعْبُــدُ

يعنى أن التعريض يسمى بمنصف الكلام، ممن قد حكم، أي من الحكيم، أي ذي الحكمة من

(1) - سورة البقرة، الآية: 120

(2) - سورة البقرة، الآية: 209

الناس، أي يسميه الحكيم الكلام المنصف، ومنه في غير استعمال الماضي مقام المضارع في الشرط ما لي الذي في تلوه أي بعده لا أعبد، أي ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ 21﴾(1)[112] أي وما لكم لا تعبدون الذي فطركم، بدليل وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، إذ لولا التعريض لكان المناسب أن يقول: وإليه أرجع، على ما هو الموافق للسياق .

قوله: والتعريضَ مفعول به مقدم لقوله سم، وهو فعل أمر، وقوله بمنصف الكلام من إضافة الصفة للموصوف، أي بالكلام المنصف .

وحُسْنُهُ إِسْمَاعُ مَنْ قَدْ يَقْصِدُ

خِطَابَهُ الحَقَّ عَلَى وجْهٍ مَنَعْ ... غَضَبَهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا صَنَعْ

نِسْبَتُهُ لِلذَّمِّ والإِعَانَهْ ... عَلَى قَبُولِهِ لِمَا أَبَانَهْ

مِنْ نُصْحِهِ إِذْ لَمْ يَرِدْ لَهُ سِوَى ... مُرَادِهِ لِنَفْسِهِ كَمَا نَوَى

يعنى أن حسن التعريض إسماع من يقصد خطابه أي المخاطب الحق على وجه يمنع غضبه، إذ لم يكن فيما صنع أي فيما قال نسبته أي المخاطب للذم أي القبيح والإعانة على قبوله، لأجل ما أبانه أي أظهره من نصحه، إذ لم يرد له سوى مراده لنفسه، أي سوى ما أراد لنفسه، كما نوى أي كما هو نيته .

وَلَوْ بِشَرْطِ الْمَاضِ وانْتِفَائِهِ ... لَا لِانْتِفَا المَشْرُوطِ أَوْ بَقَائِهِ

يعنى أن لو وضعت للشرط في الماضي، أي لتعليق حصول مضمون الجزاء بحصول مضمون الشرط في الزمن الماضي، بأن يفرض أنه لو حصل الشرط في الماضي لترتب عليه حصول الجزاء أي بانتفائه، أي مع انتفاء الشرط، أي أنها بحسب الوضع دالة على الشرط في الماضي مع انتفاء فعل الشرط، لا لانتفاء المشروط أو بقائه، أي وليست موضوعة لانتفاء المشروط أي الجزاء ولا لبقائه .

قوله: لا لانتفا بالقصر لضرورة الوزن .

فَذَاكَ بِاللُّزُوم(2) هَكَذَا ذَكَرْ ... جَمَاعَةٌ وشَيْخُنَا لَهُ نَصَرْ

(1) – سورة يس، الآية: 22

(2) – في المطبوع: باللازم

يعنى أن انتفاء الجزاء وقع باللزوم أي بدلالة الالتزام هكذا، ذكره جماعة من البيانيين منهم صاحب التلخيص، وشيخ الناظم، له أي للقول بأن لو دالة بالوضع على نفي الشرط، وبالالتزام على نفي الجزاء، نصر أي نصر هذا القول، واللام في له زائدة لتقوية العامل، لضعفه بالتأخير، فإذا قلت: لو جئتني أكرمتك كان الإكرام معلقا بالمجيء، مع القطع بانتفاء المجيء، فيلزم انتفاء الإكرام، فهي حرف امتناع لامتناع، فدلالتها على الجزاء انتفاء الجزاء، إنما هي بسبب انتفاء الشرط، وإنما يلزم انتفاء الجزاء على انتفاء الشرط، حيث لزم الجزاء الشرط عقلا أو عادة أو شرعا، ولا سبب للجزاء غير الشرط، إذ يجوز أن يكون للجزاء أسباب متعددة، كل واحد منها كاف في وجوده، بناء على جواز تعدد العلل لمعلول واحد، فإذا كان للجزاء سبب غير الشرط فلا ينتفى عند انتفائه، كقولك: لو كان هذا إنسانا كان حيوانا ؛ لأن الحيوانية لها سبب غير الإنسانية كالفرسية[1] والبغلية والحمارية إلى غير ذلك .

وقال الشلوبين[2]: " إن لو لمجرد الربط كإِنْ، فلا تدل إلا على التعليق في الماضي، كما أن إن لا تدل إلا على التعليق في المستقبل، واستفادة الامتناع من لو إنما هو أمر خارج، وعليه المنطقيون . [113][3]"

قال في الإتقان: " واخْتُلِفَ فِي إِفَادَتِهَا الِامْتِنَاعَ وكَيْفِيَّةِ إِفَادَتِهَا إِيَّاهُ عَلَى أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا لَا تُفِيدُهُ بِوَجْهٍ ولَا تَدُلُّ عَلَى امْتِنَاعِ الشَّرْطِ ولَا امْتِنَاعِ الْجَوَابِ بَلْ هِيَ لِمُجَرَّدِ رَبْطِ

---

(1) – أي الانتساب إلى جنس الأفراس أي الخيول

(2) – «الشَّلَوْبِيني (562 – 645 هـ = 1166 – 1247 م)

عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله الأَزْدي، أبو علي، الشلوبيني أو الشلوبين: من كبار العلماء بالنحو واللغة. مولده ووفاته بإشبيليّة. من كتبه " القوانين " في علم العربية، ومختصره " التوطئة " و" شرح المقدمة الجزولية " في النحو، كبير وصغير، و" حواش على كتاب المفصَّل للزمخشري – خ " في شستربتي (5026) و" تعليق على كتاب سيبويه " نحو. والشلوبيني نسبة إلى حصن " الشلوبين " أو " شلوبينية " بجنوب الأندلس ويسميه الإسبان Salobrena وفي المؤرخين من يقول إن لقب صاحب الترجمة " الشلوبين " بغير نسبة، ويفسره بأن معنى هذه الكلمة: الأبيض الأشقر. وفي اختصار القدح أنه " ينسب إلى شلوبينة، من حصون غرناطة الساحلية " وأنه اشتهر بحدة المزاج، وكان يسب من يمر بذكره من أئمة النحو وغيرهم.

وتروى عنه حكايات في الغفلة. وكان أبوه خبازا بإشبيليّة» «الأعلام للزركلي» م س. ج5 ص65.

(3) – عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، م س، ج1 ص339

الْجَوَابِ بِالشَّرْطِ دَالَّةٌ عَلَى التَّعْلِيقِ فِي الْمَاضِي كَمَا دَلَّتْ " إِنْ " عَلَى التَّعْلِيقِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ولَمْ تَدُلَّ بِالْإِجْمَاعِ عَلَى امْتِنَاعٍ ولَا ثُبُوتٍ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ[1]: وهَذَا الْقَوْلُ كَإِنْكَارِ الضَّرُورِيَّاتِ، إِذْ فَهْمُ الِامْتِنَاعِ مِنْهَا كَالْبَدِيهِيِّ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ سَمِعَ لَوْ فَعَلَ فَهِمَ عَدَمَ وقُوعِ الْفِعْلِ مِنْ غَيْرِ تَرَدُّدٍ، ولِهَذَا جَازَ اسْتِدْرَاكُهُ، فَتَقُولُ لَوْ جَاءَ زَيْدٌ أَكْرَمْتُهُ لَكِنَّهُ لَمْ يَجِئْ .

الثَّانِي: وهُوَ لِسِيبَوَيْهِ: قَالَ: إِنَّهَا حَرْفٌ لِمَا كَانَ سَيَقَعُ لِوُقُوعِ غَيْرِهِ، أَيْ أَنَّهَا تَقْتَضِي فِعْلًا مَاضِيًا كَانَ يُتَوَقَّعُ ثُبُوتُهُ لِثُبُوتِ غَيْرِهِ والْمُتَوَقَّعُ غَيْرُ واقِعٍ فَكَأَنَّهُ قَالَ: حَرْفٌ يَقْتَضِي فِعْلًا امْتَنَعَ لِامْتِنَاعِ مَا كَانَ يَثْبُتُ لِثُبُوتِهِ .

الثَّالِثُ: وهُوَ الْمَشْهُورُ عَلَى أَلْسِنَةِ النُّحَاةِ ومَشَى عَلَيْهِ الْمُعْرِبُونَ: أَنَّهَا حَرْفُ امْتِنَاعٍ لِامْتِنَاعٍ أَيْ يَدُلُّ عَلَى امْتِنَاعِ الْجَوَابِ لِامْتِنَاعِ الشَّرْطِ فَقَوْلُكَ: لَوْ جِئْتَ لَأَكْرَمْتُكَ، دَالٌّ عَلَى امْتِنَاعِ الْإِكْرَامِ، لِامْتِنَاعِ الْمَجِيءِ، واعْتُرِضَ بِعَدَمِ امْتِنَاعِ الْجَوَابِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ﴾**[2] **﴿وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ﴾**[3] فَإِنَّ عَدَمَ النَّفَادِ عِنْدَ فَقْدِ مَا ذُكِرَ والتَّوَلِّي عِنْدَ عَدَمِ الْإِسْمَاعِ أَوْلَى .

وَالرَّابِعُ: وهُوَ لِابْنِ مَالِكٍ: أَنَّهَا حَرْفٌ يَقْتَضِي امْتِنَاعَ مَا يَلِيهِ، واسْتِلْزَامَهُ لِتَالِيهِ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِنَفْيِ التَّالِي، قَالَ: فَقِيَامُ زِيدٍ مِنْ قَوْلِكَ: لَوْ قَامَ زَيْدٌ قَامَ عَمْرٌو مَحْكُومٌ بِانْتِفَائِهِ وبِكَوْنِهِ مُسْتَلْزِمًا ثُبُوتُهُ لِثُبُوتِ قِيَامٍ مِنْ عَمْرٍو وهَلْ وقَعَ لِعَمْرٍو قِيَامٌ آخَرُ غَيْرُ اللَّازِمِ عَنْ قِيَامِ زَيْدٍ أَوْ لَيْسَ لَهُ ؟ لَا تَعَرُّضَ لِذَلِكَ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وهَذِهِ أَجْوَدُ الْعِبَارَاتِ .

---

(1) - «ابن هِشَام (788 - 835 هـ = 1386 - 1432 م)

أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يوسف، شهاب الدين الأنصاري، المعروف كسلفه بابن هشام: نحوي، من أهل القاهرة. سكن دمشق وتوفي بها. كتب (حواشي) على (توضيح الألفية) لجده جمال الدين ابن هشام، جردت في كتاب مستقل غزير الفائدة، مخطوط في الظاهرية (كما في تعليقات عبيد) انظر الأعلام للزركلي م س. ج1 ص147.

(2) - سورة لقمان، الآية: 27

(3) - سورة الأنفال، الآية: 23

فَائِدَةٌ

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ الضَّحَّاكِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ " لَوْ " فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ أَبَدًا .

مِــــنْ ثَمَّ غَالِبًــا تَلِــــي الْفِعْلِيَّـــهْ

أي من أجل أن لو تدل على التعليق في الماضي، لزم عدم الثبوت في جملتيها، إذ الثبوت ينافي التعليق، والحصول الفرضي، وإيلاؤها الجملة الفعلية غالبا، فلا تكون جملة شرطها وجوابها إلا فعلية، وما ورد بخلافه فهو نادر، أو مؤول على إضمار فعل يفسره ما بعده، كقوله تعالى: ﴿**قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ**﴾[1]

وقولهم: لو ذات سوار لطمتني،[2] وقول الشاعر:

أخِـلَّايَ لـو غَـيْرُ الحِمـامِ أصـابكم عَتَبْتُ ولكـن لـيس للـدهر مَعْتَـبُ[3]

قال في الإتقان: " تَخْتَصُّ لَوِ الْمَذْكُورَةُ بِالْفِعْلِ وأَمَّا نَحْوُ: ﴿**قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ**﴾ فَعَلَى تَقْدِيرِهِ . قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ وإِذَا وقَعَتْ أَنَّ بَعْدَهَا وجَبَ كَوْنُ خَبَرِهَا فِعْلًا لِيَكُونَ عِوَضًا عَنِ الْفِعْلِ الْمَحْذُوفِ ورَدَّهُ ابْنُ الْحَاجِبِ بِآيَةِ ولو أن ما في الأرض وقَالَ إِنَّمَا ذَاكَ إِذَا كَانَ مُشْتَقًّا لَا جَامِدًا ورَدَّهُ ابْنُ مَالِكٍ بِقَوْلِهِ:

لَــوْ أَنَّ حَيًّــا مُــدْرِكُ الْفَــلَاحِ أَدْرَكَــهُ مُلَاعِــبُ الرِّمَــاحِ[4]

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: [114] وقَدْ وجِدَتْ آيَةٌ فِي التَّنْزِيلِ وقَعَ فِيهَا الْخَبَرُ اسْمًا مُشْتَقًّا، ولَمْ يَتَنَبَّهْ لَهَا الزَّمَخْشَرِيُّ، كَمَا لَمْ يَتَنَبَّهْ لِآيَةِ لُقْمَانَ، ولَا ابْنُ الْحَاجِبِ، وإِلَّا لَمَا مَنَعَ مِنْ ذَلِكَ، ولَا ابْنُ مَالِكٍ، وإِلَّا

(1) – سورة الإسراء، الآية: 100

(2) – قاله حاتم الطائي عندما لطمته أمة ببلاد عنزة، انظر الميداني في مجمع الأمثال ج2 ص174، ت محمد محي الدين ع الحميد، ط دار المعرفة، بيروت لبنان.

(3) – البيت للغطمش الضبي، وقبله قوله: إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني =أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب، انظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ص631. ت غريد الشيخ، ط1 1424 هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(4) – ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص29. ت حمدو طمّاس، ط1 1425 هـ، دار المعرفة.

لَمَا اسْتَدَلَّ بِالشِّعْرِ وهِيَ قَوْلُهُ: ﴿يَوَدُّواْ لَوَ اَنَّهُم بَادُونَ فِي اِ۬لَاعْرَابِ﴾ ووُجِدَتْ آيَةُ الْخَبَرِ فِيهَا ظَرْفٌ: ﴿لَوَ اَنَّ عِندَنَا ذِكْراً مِّنَ اَ۬لَاوَّلِينَ 168﴾ .

وَرَدَّ ذَلِكَ الزَّرْكَشِيُّ فِي الْبُرْهَانِ وابْنُ الدَّمَامِينِيِّ: بِأَنَّ لَوْ فِي الْآيَةِ الْأُولَى لِلتَّمَنِّي والْكَلَامُ فِي الْامْتِنَاعِيَّةِ .

فائـــدة:

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: الْفَرْقُ بَيْنَ قَوْلِكَ: لَوْ جَاءَنِي زِيدٌ لَكَسَوْتُهُ، ولَوْ زَيْدٌ جَاءَنِي لَكَسَوْتُهُ، ولَوْ أَنَّ زَيْدًا جَاءَنِي لَكَسَوْتُهُ، أَنَّ الْقَصْدَ فِي الْأَوَّلِ مُجَرَّدُ رَبْطِ الْفِعْلَيْنِ، وتَعْلِيقُ أَحَدِهِمَا بِصَاحِبِهِ لَا غَيْرَ، مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِمَعْنًى زَائِدٍ عَلَى التَّعَلُّقِ السَّاذَجِ، وفِي الثَّانِي انْضَمَّ إِلَى التَّعْلِيقِ أَحَدُ مَعْنَيَيْنِ، إِمَّا نَفْيُ الشَّكِّ والشُّبْهَةِ، وأَنَّ الْمَذْكُورَ مَكْسُوٌّ لَا مَحَالَةَ، وإِمَّا بَيَانُ أَنَّهُ هُوَ الْمُخْتَصُّ بِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ، وتُخَرَّجَ عَلَيْهِ آيَةُ: ﴿قُل لَّوَ اَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ وفِي الثَّالِثِ مَعَ مَا فِي الثَّانِي زِيَادَةُ التَّأْكِيدِ الَّذِي تُعْطِيهِ " أَنَّ " وإِشْعَارٌ بِأَنَّ زَيْدًا كَانَ حَقُّهُ أَنْ يَجِيءَ، وأَنَّهُ بِتَرْكِهِ الْمَجِيءَ قَدْ أَغْفَلَ حَظَّهُ ويُخَرَّجُ عَلَيْهِ: ﴿وَلَوَ اَنَّهُمْ صَبَرُواْ﴾ ونَحْوُهُ فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ . (1)

وفِعْـــلُ جُزْأَيْهَـــا الْـــزَمَنْ مُضِـــيَّهْ

أي الزم أي أوجب مضي فعل جزئي، لو أي كونه ماضيا لفظا ومعنى، وجزآها الشرط والجزاء، ووجوب كونهما ماضيين، لما تقدم من أنها لتعليق حصول مضمون الجزاء بحصول مضمون الشرط في الزمن الماضي .

وقد يجيء مضارعا لنكت أشار لها بقوله:

وَلِانْحِتَـــامِ كَـــوْنِ ذَاكَ واقِعَـــا وقَصْـــدِ الِاسْـــتِمْرَارِ جَـــا مُضَـــارِعَا

أي ولانحتام، أي وجوب كون ذاك، أي فعل جزآ " لو" واقعا، أي ولأجل انحتام أي تحقق وقوع مدلول فعلها، لصدوره عمن لا خلف في إخباره، والمستقبل عنده بمنزلة الماضي في تحقق الوقوع، ولأجل قصد الاستمرار أي استمرار الفعل فيما مضى وقتا فوقتا، فالمراد الاستمرار التجددي الذي

(1) – كل الفقرات السابقة من الإتقان للسيوطي م س ج2 ص281.283

تتجدد الأمثال فيه إلى زمان الحال، جاء مضارعا أي جاء فعل " لو" مضارعا، فالأول كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾[1] والجواب محذوف، أي لرأيت أمرا فظيعا، والخطاب لمحمد ﷺ، أو لكل من تأتي منه الرؤية، نزل ترى منزلة اللازم مبالغة في مزيد أمرهم الفظيع، بحيث إذا اتصف الرائي بمطلق الرؤية حين وقوفهم على النار رأى أمرا فظيعا، فهذا الكلام مستقبل في التحقيق ماض بحسب التأويل، فلذا دخلت عليه لو وإذا المختصتان بالماضي، كأنه قيل: " قد انقضى هذا الأمر وما رأيته، ولو رأيته لرأيت أمرا فظيعا "

قال الناظم في شرحه: " وقد يجيء [115] مضارعا لنكت منها:

ـ تحقق وقوعه، نحو ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟﴾ عبر فيه، وهو مستقبل قطعا بلو وإذ، وهما للمضي لتحقق وقوعه، فالتجوز حينئذ في لولا في الفعل، وقرره الشيخ بهاء الدين بأن المعنى لو رأيت في الماضي، وإنما أخبر عنها ماضيا، وإن كان مستقبلا ؛ لأن من خبره لا يخلف، يجعل المخبر به كالذي وقع، فلذلك أتى برأيت، ثم عبر بترى .

والثاني: كقوله تعالى: ﴿يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾[2] أي وقعتم في المشقة والهلاك، لم يقل لو أطاعكم للدلالة على أنهم كانوا يريدون طاعته ﷺ في كل أمر استصوبوه، فالفعل هو الإطاعة، يعنى أن امتناع عنتكم بسبب امتناع استمراره على طاعتكم، فالمضارع يفيد الاستمرار، ودخول " لو" يفيد امتناع الاستمرار، بخلاف الماضي، وإن كان يدل على التجدد، لكنه ينقطع عن الاستقبال، عكس المضارع، فإن زمان الاستقبال فيه لا ينقطع إلى الأبد، وإنما كان المضارع مع " لو" يفيد امتناع الاستمرار، لأنه إذا كان المضارع المثبت يفيد استمرار ثبوت معناه، فكذلك المنفي يفيد استمرار نفيه وامتناعه، والمضارع الذي دخلت عليه " لو" منفي في المعنى، فيفيد امتناع الاستمرار . "[3]

قوله: ولانحتام متعلق بقوله جا بالقصر للوزن، وقوله وقصد الاستمرار عطف على قوله

(1) – سورة الأنعام، الآية: 27

(2) – سورة الحجرات، الآية: 7

(3) – شرح عقود الجمان للسيوطي، م س، ص52.

ولانحتام، وقوله مضارعا حال من فاعل جاء، وهو ضمير عائد إلى فعلي " لو" .

وَقَصْدِ الِاسْتِحْضَارِ مِثْلُ مَا أَتَى فِي غَيْرِ ذَا وقَدْ تَقَضَّى ضِدُّ تَا

يعنى أن فعل لو قد يجيء مضارعا، لأجل قصد الاستحضار، أي إحضار الصورة في الحال وجعلها مشاهدة، فإن المضارع دال على الزمان الحاضر الذي من شأنه أن يشاهد ما هو واقع فيه، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾

قال الناظم في شرحه على هذا المحل: ومنها قصد استحضار الصورة، كما في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ قصد استحضار صورة رؤية الكافرين موقوفين على النار ؛ لأن المضارع مما يدل على الحاضر الذي من شأنه أن يشاهد كأنه يستحضر بلفظ المضارع تلك الصورة، ليشاهدها السامعون، ولا يفعل ذلك إلا بأمر يهتم بمشاهدته، لغرابته أو فظاعته، وكقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ 12﴾[1] قصدَ إحضار صورة المجرمين ناكسي الرؤوس، قائلين لما يقولون .

قوله: مثل ما أتى في غير ذا، يعنى أن الإتيان بالمضارع مع لو لقصد الاستمرار والاستحضار مثل ما أتى في غير ذا أي مثل الإتيان به لذلك في غير لو فمن الإتيان به للاستمرار في غير لو قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ لم يقل الله مستهزئ بهم بصيغة اسم الفاعل، قصدا إلى استمرار الاستهزاء بهم وتجدده وقتا فوقتا .

قال في فيض الفتاح: " والاستهزاء السخرية والاستخفاف، قال السعد: ومعناه إنزال الهوان والحقارة بهم "[116]

قال السيد: أي معناه المقصود هاهنا، فيكون من إطلاق الشيء على غايته لعلاقة السببية والمسببية ؛ لأن غرض المستهزئ من استهزائه إدخال الهوان على المستهزئ به .

قال ياسين: وعلى هذا فيستهزئ مجاز مرسل، ويحتمل أن يكون استعارة تبعية، بأن شبه الهوان

(1) - سورة السجدة، الآية: 12

بالاستهزاء واشتق منه يستهزئ، ويحتمل أنه من باب المشاكلة .[1]

قلت: وهذا الأخير هو الأحسن عندي، وقد خطر لي قبل، انتهى .

ومن الإتيان به في غير لو للاستحضار، قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[2] على رأي من قال إن الفعل بعد رب المكفوفة بما يجب أن يكون ماضيا ؛ لأنها للتقليل في الماضي وهو إنما يكون فيما عرف حده، والمستقبل مجهول الحد، لم يقل ربما ودَّ لأجل استحضار صورة وداد الكافرين لو أسلموا بلفظ المضارع، ليشاهدها السامعون، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾[3]

قال الناظم في شرحه على هذا المحل: " أتى بالمضارع بعد الماضي، لقصد استحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة . "[4]

قال في ضياء التأويل عند قوله تعالى: رُبمَا يَوَدُّ " وحقه أن يدخل ربما على الماضي، لكن المترقب في كلامه تعالى كالماضي المحقق، وقيل " ما" نكرة موصوفة، ورب للتقليل أو للتكثير . "[5]

قوله: وقد تقضى ضد تا، يعنى أنه قد تقدم في باب المسند إليه ضد تا أي عكس وقوع المضارع موقع الماضي، وهو وقوع الماضي موقع المضارع، ونكته في أواخر باب المسند إليه .

قوله: تا اسم إشارة مشار به إلى وقوع المضارع موقع الماضي، وقوله تقضّى بتشديد الضاد بمعنى تقدم، فعل ماض، وقوله وقصدِ الاستحضار بالجر عطف على قوله وقصدِ الاستمرار في البيت قبله، وقوله مثل بالنصب حال من قوله قصد الاستحضار، وما في قوله ما أتى مصدرية .

قُلْـــتُ وأَمَّــا نَفْيُـــهُ فَـــالأَحْرُفُ   سِـــتٌّ لِمَعْـــنَى كُـــلُّ حَـــرْفٍ يُؤْلَـــفُ

---

(1) – فيض الفتاح م س. ج1 ص170

(2) – سورة الحجر، الآية: 2

(3) – سورة فاطر، الآية: 9

(4) – شرح عقود الجمان للسيوطي، م س، ص53.

(5) – ضياء التأويل في معاني التنزيل لفودى، م س، ج2 ص212.

هذا شروع منه في تقييد المسند بحروف النفي، ولم يذكره في التلخيص، ولا بد منه لبيان ما بين الأحرف من الفرق، وما يختص به كل حرف من اللطائف، فأحرف النفي ستة: ما وإن ولا، وهي تنفي الاسم والفعل، ولن ولم ولما، وهي تختص بالفعل، يعنى أن الناظم قال من زيادته على التلخيص: وأما نفيه أي المسند أي تقييده بحرف من حروف النفي، ففيه من اللطائف والنكت ما لا يحصى، فالأحرف أي حروف النفي ستة: " ما" و" إن" و" لا" و" لن" و" لم" و" لما" .

فالثلاثة الأول: تنفي الاسم والفعل، والثلاثة الأخيرة تختص بالفعل، وكل حرف من تلك الحروف الستة يولف، أي يوجد لمعنى، أي يفيد معنى[117] لا يفيده غيره من سائر حروف النفي

فَمَـــا وإِنْ كَلَـــيْسَ نَفْـــيَ الحَـــالِ

يعنى أن " ما" و" إن" لنفي الحال كليس، أي لنفي مضمون الجملة في الزمن الحالي، كما أن ليس كذلك، وقيل: إن ليس لنفي الحال وغيره، وقواه ابن الحاجب بقوله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾[1] فإنه نفي للمستقبل .

قال في الإتقان: " قَالَ ابْنُ الْحَاجِبِ: وهِيَ لِنَفْيِ الْحَالِ ومُقْتَضَى كَلَامِ سِيبَوَيْهِ أَنَّ فِيهَا مَعْنَى التَّأْكِيدِ لِأَنَّهُ جَعَلَهَا فِي النَّفْيِ جَوَابًا لِقَدْ فِي الْإِثْبَاتِ فَكَمَا أَنَّ " قَدْ " فِيهَا مَعْنَى التَّأْكِيدِ فَكَذَلِكَ مَا جُعِلَ جَوَابًا لَهَا" انتهى . [2]

ومعنى كونها جوابا لِقد أنك تقول لمن قال: قد قام زيد، ما قام زيد، وقال فيه أيضا في إن وتكون إن نافية، وتدخل على الإسمية والفعلية، نحو ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ 21﴾[3] ﴿إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾[4] ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾[5] ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا﴾[6]

(1) – سورة هود، الآية: 8

(2) – الإتقان للسيوطي م س ج2 ص289

(3) – سورة الملك، الآية: 20

(4) – سورة المجادلة، الآية: 2

(5) – سورة التوبة 107

(6) – سورة النساء، الآية: 117

قوله: فما مبتدأ خبره قوله نفي الحال، وقوله وإن عطف على قوله فما، والفاء استئنافية .

ولا ولَـــنْ لِنَفْـــيِ الِاسْـــتِقْبَالِ

يعنى أنَّ لا ولن لنفي الاستقبال، أي لنفي مضمون الجملة في الزمن المستقبل، نحو ﴿فَلاَ رَفَثَ ولاَ فُسُوقَ ولاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[1] ﴿وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ ولاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ 61﴾[2] فلا في الآية الأولى لنفي الجنس في الخبر المستقبل على سبيل التنصيص، وفى الثانية لنفي الوجدة في المستقبل، ونحو ﴿لاَّ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ﴾[3] ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً﴾[4] فلا لنفي حب الجهر بالسوء، وطلب الأجر في الآيتين في الزمن المستقبل، ومثال لن﴿لَن تَرَانِي﴾[5] و﴿لَنْ يَخْلُقُواْ ذُبَاباً﴾[6] فلن لنفي مضمون الجملة في المستقبل .

فَـــإِنْ أَدَقُّ ثُمَّ لِلتَّأَكِيـــدِ لَـــنْ ... ونَفْـــيِ مَـــا كَـــانَ حُصُـــولُهُ يُظَـــنّْ

يعنى أن نفي إن أدق، أي أبلغ من نفي ما فإن لنفي إن زيدا فعل كذا، وما لنفي قد فعل زيد كذا، ومعنى كون إن لنفي إن زيدا فعل كذا أنك تقول لمن قال: إن زيدا قام إن زيدا لا قاعد .

قوله: ثم للتأكيد لن إلخ، يعنى أن لن لتأكيد النفي، ونفي ما كان حصوله يظن، أي نفي الشيء الذي يظن حصوله، فهي آكد في النفي من لا لأن لا لنفي المشكوك في حصوله .

قال في الإتقان: والنَّفْيُ بِهَا أَبْلَغُ مِنَ النَّفْيِ بِلَا، فَهِيَ لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ، كَمَا ذَكَرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ، وابْنُ الْخَبَّازِ، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: وإِنْ مَنَعَهُ مُكَابَرَةً فَهِيَ لِنَفْيِ إِنِّي أفعل ولا لِنَفْيِ أَفْعَلُ كَمَا فِي " لَمْ " " ولما " .

قَالَ بَعْضُهُمْ: الْعَرَبُ تَنْفِي الْمَظْنُونَ بِلَنْ والْمَشْكُوكَ بِلَا، ذَكَرَهُ ابْنُ الزَّمْلَكَانِيِّ فِي التِّبْيَانِ . [7]

---

(1) – سورة البقرة، الآية: 197

(2) – سورة يونس، الآية: 61 وسورة سبأ، الآية: 3

(3) – سورة النساء، الآية: 148

(4) – سورة الشورى، الآية: 23

(5) – سورة الأعراف، الآية: 143

(6) – سورة الحج، الآية: 73

(7) – الإتقان م س ج2 ص278

قِيلَ وللتَّأبِيدِ لكِنْ تُرِكَا

أيْ قال الزمخشري: إن لن تفيد تأبيد النفي مع توكيده، ذكره في الكشاف، [1] نحو ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً﴾ ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ أَللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾[2] بقي عليه مذهبه الفاسد في ﴿لَن تَرىٰنِي﴾ لكن تُرِك قوْلُهُ [118]، أي طُرِح، ورُدَّ .

قال في الإتقان: " وادعى الزمخشري أيضا أنها لتأبيد النفي، كقوله: ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً﴾ ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾[3]

قال ابن مالك: وحمله على ذلك اعتقاده في لَن تَرَىٰنِي أن الله لا يرى، ورده غيره بأنها لو كانت للتأبيد لم يقيد منفيها باليوم في: ﴿فَلَنْ اُكَلِّمَ اَلْيَوْمَ إِنسِيّاًۖ 25﴾[4] ولم يصح التوقيت في: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسيٰٓ 90﴾[5] ولكان ذكر الأبد في: ﴿وَلَنْ يَّتَمَنَّوْهُ أَبَداً﴾[6] تكرارا، والأصل عدمه، واستفادة التأبيد في﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً﴾ ونحوه من خارج .

ووافقه على إفادتها التأبيد ابن عطية[7] ، وقال في قوله تعالى: ﴿لَن تَرىٰنِي﴾ لو بقينا على هذا النفي لتضمن أن موسى لا يراه أبدا، ولا في الآخرة، لكن ثبت التواتر في الحديث المتواتر أن أهل الجنة يرونه " . [8]

---

(1) – . تفسير الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، م س، ج3 ص171.

(2) – سورة الحج، الآية: 47

(3) – سورة البقرة، الآية: 24

(4) – سورة مريم، الآية: 26

(5) – سورة طه، الآية: 91

(6) – سورة البقرة، الآية: 95

(7) - ابن عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكرم المحاربي يكنى أبا محمد ولد سنة 481 ه، من أكابر علماء غرناطة، تلقى العلم من أبيه الحافظ أبو بكر غالب، والحافظ أبو علي الغساني، وابن البياز وغيرهم، توفي سنة 546. انظر: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (المتوفى: 578 هـ)، تح: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، الطبعة: الثانية، 1374 هـ – 1955 م، (367/1). والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (57/2)

(8) – الإتقان م س ج2 ص279

وخَصَّهُ لا ابْنُ خَطِيبٍ زَمْلَكَا
قَالَ ولَنْ لِنَفْيِ مَا قَدْ قَرُبَا   والاِرْتِشَافُ فِيهِ هَذَا قَدْ أَبَى

يعنى أن عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني خصه أي التأبيد بلا، أي خص لا بإفادة تأبيد النفي دون لن، فقال إن لن لنفي ما قرب، وعدم امتداد النفي فيه، أي لا يمتد معها النفي، بخلاف لا، فإنها يمتد معها النفي، قال والسر في ذلك أن الألفاظ مشاكلة للمعاني، ولا آخرها الألف، والألف يمكن امتداد الصوت بها، ولن آخرها النون، والنون لا يمكن امتداد الصوت معها، فطابق كل لفظ معناه، قال ولذلك أتى بلن حيث لم يرد النفي مطلقا، بل في الدنيا فقط، حيث قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ لأن نفي رؤية الله إنما هو في الدنيا، وبلا حيث أريد النفي مطلقا، أي في الدنيا والآخرة، حيث قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[1] لأن المراد نفي إدراك الله، أي الإحاطة به، ونفي ذلك متأبد في الدنيا والآخرة .

قوله: والارتشاف إلخ، يعنى أن صاحب الارتشاف، وهو أبو حيان، نقل عن بعض البيانيين أن لن لنفي ما قرب، وأباه أي لم يرتضه .

وتقرير البيت: وخص ابن الخطيب الزملكاني لا بإفادة التأبيد، فقال إن لن موضوعة لنفي ما قرب، وعدم امتداد النفي فيه، وصاحب الارتشاف أبى فيه هذا القول، انتهى .

قوله: وخصه لا فيه قلب، إذ الأصل وخص لا به، وقوله فيه هذا قد أبى، فيه متعلقة بقوله أبى، وهذا مفعول لقوله أبى .

وَلَمْ ولَمَّا نَفْيُ مَاضٍ وانْفَرَدْ   لَمَّا بِالِاسْتِغْرَاقِ مَعْ مَدْخُولِ قَدْ

يعنى أن لما ولم لنفي الماضي، أي لنفي مضمون الجملة في الزمن الماضي، نحو لم يقم زيد، ولما يأت بكر، فالمنفي في المثال الأول نسبة القيام إلى زيد في الزمن الماضي وفي الثاني نسبة الإتيان إلى بكر فيه أيضا، لكن يفترقان بوجوه أشار لها بقوله: وانفرد إلخ، يعنى أن لما انفردت أي اختصت عن لم بالاستغراق، أي باستغراق النفي أي اتصاله بالزمن الحالي دائما وغالبا، كقوله:

(1) - سورة الأعراف، الآية: 103

فلإنْ كُنْتُ مَأكُولاً فَكُنْ خَيْرَ آكُلٍ وإلاّ فأدْرِكْني ولَّما أُمَزَّقِ[1]

فنفيُ التمزيق مستغرق للزمن الماضي، إلى أن اتصل بالحال، لكن ثبوته متوقع، بخلاف لم فإن منفيها [119] يحتمل الاتصال، نحو ﴿وَلَمَ اَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّاٗ 3﴾[2] فعدمُ كونِه شقيا بدعاء ربه مستغرق للزمن الماضي إلى الآن، أي إلى الزمن الحالي، أي إلى أن اتصل به، ويحتمل الانقطاع، نحو ﴿لَمْ يَكُن شَيْـٔاٗ مَّذْكُوراً 1﴾[3] أي لم يكن شيئا مذكورا، وقد كان شيئا مذكورا، فعدم كونه شيئا مذكورا كان في الزمن الماضي وانقطع، لأنه كان شيئا مذكورا، ولهذا جاز لم يكن ثم كان، ولم يجز لما يكن ثم كان، بل يقال: لما يكن وقد يكون، وانفرد أيضا عن لم بأنها في النفي جواب لمدخول قد في الإثبات، ومعنى كونها في النفي جوابا لمدخول قد في الإثبات أنك تقول لمن قال: قد قام زيد، لما يقم، فهي لتأكيد النفي، ونشأ عن ذلك أن منفيها لا يكون إلا قريبا من الحال، فلا يقال: " لما يجيء زيد في العام الماضي" وأن منفيها متوقع ثبوته، نحو ﴿لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِّ 7﴾[4] أي لم يذوقوه إلى الآن، وذوقه لهم متوقع، بخلاف لم، فليست تفيد تأكيد النفي ؛ لأنها في النفي جواب فعل في الإثبات بدون قيد، ومعنى ذلك أنك تقول لمن قال: قام زيد، لم يقم، وليس منفيها بمتوقع ثبوته، ولهذا أجازوا لم يقض ما لا يكون، دون لما يقض ما لا يكون .

قال في الإتقان: قال الزمخشري في ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ اِ۬لِايمَٰنُ فِے قُلُوبِكُمْۖ﴾ ما في لما من معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد .

وتقرير البيت: لما ولم لنفي مضمون الجملة في الماضي، وافردت لما بإفادة الاستغراق، أي استغراق الزمن الماضي، إلى أن يتصل منفيها بالزمن الحالي، مع مقابلتها في النفي لمدخول قد في الإثبات .

---

[1] . البيت للممزق العبدي، وهو شأس بن نهار بن أسود، انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلّام، ج1 ص274، ت محمود محمد شاكر، ط دار المدني جدة.

(2) – سورة مريم، الآية: 4

(3) – سورة الإنسان، الآية: 1

(4) – سورة ص، الآية: 8

قال الزمخشري في الفائق تبعا لابن جني[1]: " إن العلة في كون النفي بلما آكد من بلم أنها مركبة من لم وما، لأنهم لما زادوا في الإثبات قد، زادوا في النفي ما "[2]

قال في الإتقان: " مِنْ أَقْسَامِ الْخَبَرِ النَّفْيُ، بَلْ هُوَ شَطْرُ الْكَلَامِ كُلِّهِ، والْفَرْقُ بَيْنَهُ وبَيْنَ الْجَحْدِ، أَنَّ النَّافِيَ إِنْ كَانَ صَادِقًا سُمِّيَ كَلَامُهُ نَفْيًا، ولَا يُسَمَّى جَحْدًا، وإِنْ كَانَ كَاذِبًا، سُمِّي جَحْدًا ونَفْيًا أَيْضًا، فَكَلُّ جَحْدٍ نَفْيٌ، ولَيْسَ كُلُّ نَفْيٍ جَحْدًا، ذَكَرَهُ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ وابْنُ الشَّجَرِيِّ وغَيْرُهُما .

مِثَالُ النَّفْيِ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾[3]

وَمِثَالُ الْجَحْدِ نَفْيُ فِرْعَوْنَ وقَوْمِهِ آيَاتِ مُوسَى قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ 13﴾[4] ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا واسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾[5]

قَالَ الْخُوَيِّيُّ[6]: أَصْلُ أَدَوَاتِ النَّفْيِ لَا وما لِأَنَّ النَّفْيَ إِمَّا فِي الْمَاضِي وإِمَّا فِي الْمُسْتَقْبَلِ والِاسْتِقْبَالُ أَكْثَرُ من الماضي أبدا ولا أَخَفَّ مِنْ مَا فَوَضَعُوا الْأَخَفَّ لِلْأَكْثَرِ .

ثُمَّ إِنَّ النَّفْيَ فِي الْمَاضِي إِمَّا أَنْ يَكُونَ نَفْيًا واحِدًا مُسْتَمِرًّا، أَوْ نَفْيًا فِيهِ أَحْكَامٌ مُتَعَدِّدَةٌ، وكَذَلِكَ النَّفْيُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، فَصَارَ النَّفْيُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ، واخْتَارُوا لَهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، مَا، ولَمْ، ولَنْ، ولَا، وأَمَّا إِنْ ولَمَّا، فَلَيْسَا بِأَصْلَيْنِ فَمَا ولَا فِي الْمَاضِي[120] والْمُسْتَقْبَلِ مُتَقَابِلَانِ، ولَمْ كَأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْ لَا ومَا ؛

---

(1) – هو أبو الفتح عثمان بن جني النحوي، الموصلي، من أئمة الأدب والنحو، صنف: المحتسب في شواذ القراءات، سر الإعراب، الخصائص، اللمع، وغيرها. توفي سنة 392هـ. ترجمته في: نزهة الألباء 244. إنباه الرواة 335/2. بغية الوعاة 132/2. الأعلام 204/4. إشارة التعيين 200.

(2) – الفائق في غريب الحديث للزمخشري جار الله ت538هـ، ت علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ج1 ص424، ط2 دار المعرفة لبنان.

(3) – سورة [الأحزاب، الآية: 40

(4) – سورة [النمل، الآية: 13

(5) – سورة [النمل، الآية: 14

(6) – «الخُوَيّي (000 - 508 هـ = 000 - 1114 م)

ناصر بن أحمد بن بكران الخويي، أبو القاسم: قاض، كان شيخ الأدب في ديار أذربيجان.

نسبته إلى خوي (بضم الخاء وفتح الواو وتشديد الياء) من مدنها. زار بغداد. وولي القضاء في بلاده مدة، كأبيه. له (ديوان شعر) ومصنفات، منها (شرح اللمع) لابن جني، في النحو» «الأعلام للزركلي» م س. ج7 ص347.

لأن لَمْ نَفْيٌ لِلاِسْتِقْبَالِ لَفْظًا والْمُضِيِّ مَعْنًى، فَأَخَذَ اللَّامَ مِنْ لَا الَّتِي هِيَ لِنَفْيِ الْمُسْتَقْبَلِ، والْمِيمِ مِنْ مَا الَّتِي هِيَ لِنَفْيِ الْمَاضِي، وجَمَعَ بَيْنَهُمَا إِشَارَةً إِلَى أَنَّ فِي لَمْ إِشَارَةً إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ والْمَاضِي، وقَدَّمَ اللَّامَ عَلَى الْمِيمِ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّ لَا هِيَ أَصْلُ النَّفْيِ، ولِهَذَا يُنْفَى بِهَا فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ، فيُقَالُ لَمْ يَفْعَلْ زَيْدٌ ولَا عَمْرٌو، وأَمَّا لَمَّا فتَرْكِيبٌ بَعْدَ تَرْكِيبٍ، كَأَنَّهُ قَالَ لَمْ ومَا لِتَوْكِيدِ مَعْنَى النَّفْيِ فِي الْمَاضِي، وتُفِيدُ الِاسْتِقْبَالَ أَيْضًا، ولِهَذَا تُفِيدُ لَمَّا الِاسْتِمْرَارَ .

تَنْبِيه

الْأَوَّلُ: زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ شَرْطَ صِحَّةِ النَّفْيِ عَنِ الشيء، صحة اتصاف الْمَنْفِيِّ عَنْهُ بِذَلِكَ الشَّيْءِ، وهُوَ مَرْدُودٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ١٣٣﴾[1] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ٦٤﴾[2] ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[3] ونَظَائِرُهُ .

والصَّوَابُ أَنَّ انْتِفَاءَ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ، قَدْ يَكُونُ لِكَوْنِهِ لَا يُمْكِنُ مِنْهُ عَقْلًا، وقَدْ يَكُونُ لِكَوْنِهِ لَا يَقَعُ مِنْهُ مَعَ إِمْكَانِهِ .

وَكَوْنُ مَا أُسْنِدَ ذَا تَنَكُّرِ ... لِقَصْدِ أَنْ لا عَهْدَ أَوْ لَمْ يُحْصَرِ

هذا شروع منه في تنكير المسند، وتخصيصه، وتعريفه، يعنى أن كون ما أسند، أي المسند ذا تنكر، أي صاحب تنكير، أي كونه نكرة كائن لأجل قصد عدم العهد، أي عهد المسند، أو لأجل عدم الحصر، أي حصر المسند في المسند إليه، بأن يكون المراد بالمسند وصفا غير معهود ولا مقصود اختصاصه بالمسند إليه، مثالهما: " زيد كاتب، وعمرو شاعر " فإنه إذا قصد بنفس إلى إفادة الحصر، أو إلى أمر معهود، وجب تعريفه، فحين ترك التعريف وجب أن لا يكون قصد بنفسه إلى ذلك انتهى .

قَوْلُهُ: وكونُ ما أُسْند مبتدأ، وما اسم موصول مجرور بالإضافة إلى المبتدأ الذي هو كون، وهو مصدر من كان الناقصة، والمجرور بالإضافة إليه اسم كان، وخبرها قوله ذا تنكر، وخبر المبتدأ قوله لأجل أن لا عهد .

(1) - سورة الأنعام، الآية: 132

(2) - سورة مريم، الآية: 64

(3) - سورة البقرة، الآية: 255

كَـــذَاكَ لِلتَّفْخِـــيمِ أَوْ لِلضَّـــعْفِ

أي كما ينكر المسند لأجل قصد عدم العهد وعدم الحصر، ينكر لأجل قصد التفخيم والضعف، وهو التحقير .

فالأول: نحو ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ١﴾[1] على أنه خبر مبتدأ محذوف، أو خبر ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾[2] فتنكيره يقتضي أنه بلغ في الهداية مبلغا لا يمكن تعريفه والإحاطة به، حتى جعل نفس الهدى، وذلك يقتضي تفخيمه .

والثاني: نحو" ما زيد شيئا " أي ما زيد شيئا حقير، فأحرى أن يكون شيئا عظيما .

وَكَوْنُـــهُ مُخَصَّصًـــا بِالْوَصْـــفِ

أَوْ بِإِضَـــافَةٍ لِكَوْنِـــهِ أَتَمَّ فَائِـــدَةً . .

يعنى أن كون المسند مخصصا بالوصف، أي بإجراء وصف عليه، أو بإضافة إلى نكرة، كائن لأجل كونه أي التخصيص أتمَّ فائدة من عدمه، لما مر من أن ازدياد الخصوص يوجب أتمِّية الفائدة .

قال في الشهدة الصريحة: " واعلم أن جعل معمولات الفعل كالحال ونحوه من المفيدات، وجعل الإضافة والوصف من المخصصات، إنما هو مجرد اصطلاح " .

قلت: ليس ذلك مجرد اصطلاح، بل تقييد المسند بالمعمولات، وتخصيصه بالوصف والإضافة متغايران، لأنه إنما يقيد بالمعمولات [121] إذا كان فعلا أو شبهه، وتقييده حينئذ لا يسمى تخصيصا ؛ لأن التخصيص عبارة عن تقليل الاشتراك ونفي الشيوع، ولا شيوع في الفعل ولا اشتراك، لأنه إنما يدل على مجرد المفهوم، كحدوث الضرب مثلا من زيد، وإنما يخصص بالوصف والإضافة إذا كان اسما، نحو " زيد رجل عالم " و" زيد غلام رجل " فتقييده حينئذ يسمى تخصيصا لأنه في حال الوصف خص الرجل العالم دون غيره من كاتب وتاجر وشاعر، وفى حال الإضافة خص غلام الرجل دون غلام المرأة .

قوله: وكونه مبتدأ خبره قوله لكونه أتم فائدة .

(1) - سورة البقرة، الآية: 2

(2) - سورة البقرة، الآية: 2

وَتَرْكُهُ لِلْفَقْدِ عَمْ يعنى أن ترك تخصيص المسند بوصف أو إضافة للفقد، أي لفقد أي عدم الأسباب المقتضية لتخصيصه، عَمَّ أي كَثُرَ لذلك .

قوله: عم بتخفيف الميم ماض، وقوله تركه مبتدأ خبره جملة عمأي كثر ترك التخصيص للمسند بالوصف والإضافة، لأجل فقد الأسباب المقتضية للتخصيص .

وَكَوْنُــــهُ مُعَرَّفًـــــا لِيَفْهَمَــــــا مُخَاطَــبٌ حُكْمًــا عَلَــى مَــا عَلِمَــا
بِـــبَعْضِ مَــا عُـــرِّفَ بِالَّـــذِي جَهِــلْ

يعنى أن كون المسند معرفا كائن، لأجل إفهام المخاطب حكما، على ما علم، أي على مسند إليه، علمه السامع بطريق من طرق التعريف، كالعلمية والإضمار مثلا ببعض ما عرف المخاطب، أي بمسند عرفه المخاطب أيضا بطريق أخرى من طرق التعريف بالذي جهل المخاطب، وهو إثبات المسند للمسند إليه، يعنى أن المسند إليه والمسند كل منهما معلوم عند السامع بإحدى طرق التعريف، وإنما يجهل السامع اتصاف أحدهما بالآخر، اتحد الطريقان نحو " الراكب المنطلق " أو اختلفا نحو " زيد هو المنطلق "

قوله: وكونه مبتدأ خبره ليفهما بالبناء للنائب، وقوله مخاطب نائب ليفهما، وقوله ببعض ما عرف متعلق بقوله حكما، وقوله بالذي جهل متعلق بقوله ليفهما، وحكما مفعول ثان ليفهم عديت إليه بالهمزة .

وتقرير كلامه: وكون المسند معرفا كائن، لأجل إفهام المخاطب بالذي جهل من إثبات المسند للمسند إليه حكما، بمسند عرفه المخاطب بطريق من طرق التعريف، على مسند إليه علمه بطريق أخرى منها .

أَوْ لازِمًــا كَـــذَا أَخِـــي أَوِ الْأَجَـــلْ

يعنى أنه يعرف لأجل إفهام المخاطب أيضا لازما للحكم، وهو كون المتكلم يعلم إثبات المسند للمسند إليه، كقولك: " ذا أخي أو ذا هو الأجل " إذا كان المخاطب عالما أنه أخوك، لكنك عرفت المسند بأنه أخوك لإفهامك المخاطب أنك عالم بأنه أخوك، وذلك هو لازم الحكم كما قدمنا .

عَهْدًا أَوِ الجِنْسَ أَرِدْ أي اقصد بتعريفك المسند باللام في قولك: " الراكب المنطلق " أو " زيد

المنطلق " عهدا كما ذكر أو جنسا كما إذا عرف السامع إنسانا بعينه وهو يعلم جنس المنطلق، فإن أردت أن تعرفه اتصاف الإنسان الذي [122] بعينه بالمنطلق الذي يعرف جنسه، قلتَ: " زيد المنطلق "

قوله: عهدا مفعول به لقوله أرد، وهو فعل أمر من الإرادة، وقوله أو الجنس عطف على قوله عهدا .

كَعَكْسِ، ذَيْنِ يعنى أن عكس هذين المثالين المذكورين في النظم في تعريف المسند لإفهام المخاطب بالذي جهل حكما بمسند عرفه المخاطب بطريق من طرق التعريف على مسند إليه كذلك والعكس، نحو " أخي زيد، والأجل زيد "

عَهْـدًا أَوِ الجِـنْسَ أَرِدْ كَعَكْـسِ . وقَـدْ يُفِيـدُ قَصْـرَ الجِـنْسِ
ذُو الـلَّامِ تَحْقِيقًـا عَلَـى شَـيْءٍ كَـذَا

يعنى أنه قد يفيد ذو اللام أي صاحب اللام أي المعرف بها من مسند إليه ومسند قصر الجنس تحقيقا أي قصرا حقيقيا على شيء مسند إليه أو مسند، فالمعرف بأل منهما مقصور على غيره، **كَذَا** .. **مُبَالَغًا** أيْ كما يفيد قصر الجنس أيضا قصرا مبالغا أي مبالغة، أي غير حقيقي على شيء مسند إليه أو مسند ؛ لأن كمل ذلك الشيء في ذلك الجنس أو بالعكس، فالأول وهو الحقيقي **كَقولك هُوَ الأَمِيرُ،** والأمير هو إذا لم يكن أمير سواه، أي لا أمير سواه .

فالمسند في مثال الناظم مقصور على المسند إليه الغائب، لأنه المعرف بأل .

والمسند إليه في مثالي مقصور على المسند ؛ لأن المعرف بها أيضا، فالتعريف بأل الجنسية في المثالين أفاد أن جنس الإمارة مقصور على زيد، والثاني وهو غير الحقيقي، كقولك زيد **الأذَى** وزيد الشجاع، والأذى زيد، والشجاع زيد، أي الكامل في الإذاية والشجاعة، فالتعريف بأل أفاد قصر جنس الأذى والشجاعة على زيد مبالغة، لأنه غير مطابق للواقع، فالمسند في المثال الأول مقصور على المسند إليه، لأنه المعرف بأل، والمسند إليه في الثاني مقصور على المسند، لأنه المعرف بها أيضا .

قَوْلُهُ: مبالغا بفتح اللام مصدر ميمي من غير الثلاثي بزنة المفعول .

وَمَـنْ يَقُـلْ مُعَـيَّنٌ لِلابْتِـدَا اسْـمٌ ولِلْإِخْبَـارِ وصْـفٌ فَـارْدُدَا

يعنى أن من قال: إن الاسم متعين للابتداء، تقدم أو تأخر، لدلالته على الذات، والوصف متعين للإخبار تقدم أو تأخر، لدلالته على أمر نسبي، وهو الإمام الرازي، فاردد قوله بأن الوصف كالمنطلق مثلا في قولك: " المنطلق عمرو " لا يجعل مبتدأ إلا بمعنى الشخص الذي له الانطلاق، وهو بهذا المعنى لا يكون خبرا، لأنه دال على الذات، والاسم كعمرو لا يجعل خبرا إلا بمعنى صاحب اسم عمرو، وهو بهذا المعنى لا يحسن مبتدأ، لدلالته على أمر نسبي .

قولُهُ: اسم مبتدأ خبره معين، للابتدا بالقصر لضرورة الوزن .

وَجُمْلَــــةٌ تَجِـــــيءُ لِلتَّقْوِيَــــةِ أَوْ سَـــــــبَبِيًّا كَـــــــانَ . .

يعنى أن المسند يجيء جملة، لأجل التقوية، أي تقوي الحكم بنفس التركيب، لا بالتكرير ولا بالأداة، نحو " زيد قام " أو لكونه أي المسند سببيا نحو " زيد قام أبوه " و" زيد أبوه قائم " وسبب إفادة التقوي في مثل " زيد قام " على ما في المفتاح هو أن المبتدأ لكونه مبتدأ يستدعي أن يسند إليه شيء، فإذا جاء بعده ما يصلح أن يسند إلى ذلك المبتدأ صرفه المبتدأ إلى نفسه، سواء كان خاليا من الضمير، أو متضمنا له، فينعقد بينهما [123] حكم، ثم إذا كان متضمنا لغيره، لضميره المعتد به، بأن لا يكون مشابها للخالي من الضمير، كما في " زيد قائم " صرفه ذلك الضمير إلى المبتدأ ثانيا، فيكسى الحكم قوة، فعلى هذا يختص التقوي بما يكون مسندا إلى ضمير المبتدأ ويخرج عنه، نحو " زيد ضربته " ويجب أن يكون سببيا، وأما على ما للشيخ في دلائل الإعجاز " وهو أن الاسم لا يؤتى به معرى عن العوامل إلا لحديث قد نُوِيَ إسناده إليه، فإذا قلت " زيد " فقد أشعرت قلب السامع بأنك تريد الإخبار عنه، فإذا قلت " قام " دخل في قلبه دخول المأنوس به " .[1]

وبالجملة: ليس الإعلام بشيء بغتة مثل الإعلام به بعد التنبيه عليه، فإن ذلك يجرى مجرى تأكيد الإعلام في التقوي والإحكام، فيدخل نحو " زيد ضربته " و" زيد مررت به " وقد يكون المسند جملة لا للسببية ولا للتقوي، كخبر ضمير الشأن، وإنما لم يتعرض له لشهرة أمره .

وأما صورة التخصيص نحو " أنا سعيت في حاجتك " و" رجل جاءني " فمما يدخل في التقوي

---

1 . دلائل الإعجاز ت شاكر، م س، ج1 ص132.

على ما مر، انتهي، قاله في الشهدة الصريحة .

فَالإِسْمِيَّةُ،

فِعْلِيَّـــةٌ شَـــرْطِيَّةٌ لِمَـــا مَضَـــى ظَرْفِيَّـــةٌ تَقْـــدِيرُهَا الْفِعْـــلُ رِضَـــا
فَلِاخْتِصَارِهَا .

يعنى أن اسمية الجملة وفعليتها وشرطيتها كائن لما مضى من أن الاسمية من الدوام والثبوت، والفعلية للتجدد وللحدوث، والدلالة على أحد الأزمنة باختصار، والشرطية، للاعتبارات المختلفة الحاصلة من أدوات الشرط .

قوله: ظرفية تقديرها إلخ، يعنى أن الجملة تكون ظرفية تقديرها بالفعل مرضي عند البيانيين والنحويين، لأجل اختصارها أي الجملة الفعلية، إذ الظرف فيها مقدر بالفعل، فيقدر كان أو استقر ؛ لأن الفعل هو الأصل في العمل، وقيل باسم الفاعل ؛ لأن الأصل في الخبر أن يكون مفردا، وبسط الكلام في هذا الخلاف في كتب النحو .

قوله: فالاسمية مبتدأ خبره لما مضى، وقوله فعلية عطف على قوله فالاسمية بحذف العاطف، وكذا قوله شرطية، وقوله ظرفية مبتدأ وقوله تقديرها مبتدأ خبره قوله رضى، والجملة خبر قوله ظرفية، وقوله الفعل منصوب بنزع الخافض .

. . **وفِي تَاخِـــــــــــــيرِهِ النُّكْتَـــةُ اهْتِمَـــامُ شَـــانِ غَـــيْرِهِ**

يعنى أن النكتة في تأخير المسند الاهتمام بشأن غيره، وهو المسند إليه، أي هي كون ذكر المسند إليه أهم من ذكر المسند، كما مر بيانه في تقديم المسند إليه .

وَعَكْسُـــهُ لِكَوْنِـــهِ بِالْمُسْـــنَدِ إِلَيْـــهِ مَخْصُوصًـــا كَمَـــا فِيهَـــا عَـــدِ

يعنى أن عكس تأخير المسند وهو تقديمه لأجل كونه أي المسند مخصوصا بالمسند إليه، أي مقصورا عليه، كقولك: " ما فيها عَدِي " و" فاضل زيد " و﴿**لاَ فِيهَا غَوْلٌ**﴾[1] فنفي الاستقرار في الدار مقصور على عدي، والفضل مقصور على زيد، ونفي استقرار الغول في الخمر مقصور على خمر الجنة .

(1) – سورة الصافات، الآية: 47

قوله: عدي بتخفيف الياء أصله عدي بتشديدها وخفف لضرورة الوزن .

مِـــنْ ثَمَّ فِي لا رَيْـــبَ فِيـــهِ أُخِّـــرَا   كَـيْ لا يُفِيـدَ الرَّيْـبَ فِيمَـا غبـــرَا[1]

[124]أي ولأجل أن تقديم المسند يفيد قصره على المسند إليه، واختصاصه به، أخر المسند في قوله تعالى: ﴿لَاَ رَيْبَۛ فِيهِۛ﴾ كي لا يفيد تقديمه لو قال: لا فيه ريب، اختصاص نفي الريب بالقرآن، فيلزم من ذلك ثبوت الريب فيما غبر أي تقدم من كتاب الله، وذلك محال .

أَوْ فَهْـــمِ الَاخْبَـــارِ بِـــهِ مِـــنْ أَوَّلِ   أَوْ لِتَشَـــــوُّقٍ أَوِ التَّفَـــــــاؤُلِ

يعنى أن المسند يقدم لأجل إفهام السامع الإخبار به من أول وهلة، وأنه ليس بنعت، إذ النعت لا يتقدم على المنعوت، وإنما قال من أول وهلة لأنه ربما يعلم أنه خبر لا نعت بعدم ورود خبر للمبتدأ في الكلام، وبكونه لا يصلح للنعت، لكونه نكرة، والجزء الآخر معرفة، ولتشوق أي تشويق السامع إلى ذكر المسند إليه، بأن يكون في المسند طول، أو يشتمل على أمر غريب، وللتفاؤل .

فالأول: كقول حسان رضي الله في مدح النبي ﷺ:

لَــــهُ همــــمٌ لَا مُنْتَهـــى لكبارهـــا   وهمتــه الصُّــغْرَى أجــل مــن الــدَّهْر[2]

حيث لم يقل " همم له "

قال الجربي ما نصه: " قيل البحث عن تقديم المسند في نحو قوله: " له همم " من علم النحو ؛ لأن التقديم في مثل هذا واجب، لتأدية أصل المعنى، لأنه لا يصح وقوع المنكر الصرف مبتدأ بدون التقديم، قلنا التقديم باعتبار كونه لتلك التأدية من علم النحو وباعتبار التنبيه المذكور من علم المعاني " .

والثاني: نحو قوله:

ثَلاثَـــةٌ تشـــرقُ الـــدُّنيا بِبَهجِتهـــا   شَمْـسُ الضـحَى وأبـو إسـحقَ والقمـرُ[3]

فثلاثة هو المسند، وقد قدم لتشويق السامع إلى المسند إليه، لما في المسند من طول، ولاشتماله

(1) – في المطبوع: فيما غُبِّرَا

(2) – البيت أورده القزويني في الإيضاح ص107 ومحمد بن علي الجرجاني في الإشارات ص78

والبيت قيل: إنه لحسان، والصحيح: أنه لبكر بن النطاح في أبي دلف العجلي.

(3) – أورده محمد بن على الجرجانى في الإشارات ص 79. والبيت لمحمد بن وهيب في مدح المعتصم

على أمر غريب، وهو إشراق الدنيا ببهجته، والمسند إليه شمس الضحى إلخ .

والثالث: كقوله:

سَعِدَتْ بغُرَّةِ وجْهِكَ الأَيَّامُ ... وتَزَيَّنَتْ بِلقَائِكَ الأَعْوَامُ

لم يقل الأيام سعدت بغرة وجهك للتفاؤل .

قوله: أو فهم بالجر عطف على قوله لكونه، وقوله أو التشوف بالجر عطف على قوله: أوفهم، وقوله أو التفاؤل عطف على قوله أو التشوف .

قُلْتُ ولِلمَفْعُولِ إِنَّمَا بُنِي ... لِكَوْنِهِ فِي الذِّكْرِ نُصْبَ الْأَعْيُنِ
أَوِ السِّيَاقِ دَلَّ أَوْ لا يَصْدُرُ ... عَنْ غَيْرِهِ أَوْ كَوْنِهِ يُحَقَّرُ

أي قال السيوطي من زيادته على التلخيص، إنما بني المسند الفعل للمفعول لنكت منها:

ـ العلم به، وله صور: منها كونه أي المسند إليه نصب الأعين لا يغيب عنها أي منصوبا قدمها لا يزال عن الخاطر ساعة .

قال الفنري: " نصب العين بفتح النون وضمها كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾[1] أي سقط الندم في قلوبهم " .

قال في ضياء التأويل: " هنا وأصل التركيب سقط أفواههم في أيديهم حتى كأنهم لم يتمالكوا بل عضوا الأيدي من غير اختيار منهم، فالكلام كناية إيمائية، وهي التي توجد في زبدة الكلام لا من مفرداته " .[2] [125]

ومنها دلالة السياق عليه .

ومنها كون الفعل لا يصدر عن غيره، أي الفاعل، أي لا يمكن صدوره من غيره، نحو قوله تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾[3] أي غاضه الله .

ومن النكت كونه أي الفاعل يحقر أي من نكت حذف الفاعل وبناء الفعل للمفعول، تحقير

---

(1) - سورة الأعراف، الآية: 149

(2) - ضياء التأويل لفودي، م س، ج2 ص158.

(3) - سورة يونس، الآية: 44

الفاعل، نحو " سرق المتاع " إذا كان السارق معلوما، وإنما حذف لقصد تحقيره .

كَذَاكَ لِلْجَهْلِ والِاخْتِصَار   والسَّجْعِ والرَّوِيّ والْإِيثَار

قَوْلُهُ: كذاك للجهل أي كذا يحذف الفاعل ويبنى الفعل للمفعول، لأجل الجهل بالفاعل، نحو " قتل زيد " إذا كان القاتل مجهولا، وهذا هو الأصل في بناء الفعل للمفعول .

قوله: والاختصار إلخ، يعنى أنه يحذف الفاعل ويبنى الفعل للمفعول، لأجل قصد الاختصار، وإصلاح السجع، وموافقة الروي، وإيثار غرض السامع .

فالأول نحو " ضرب زيد " إذا كان الضارب معلوما، ولكن حذفته اختصارا، لضيق المقام .

والثاني: نحو " كثر النضال " و" قتل الرجال " إذا كان القاتل معروفا، ولكن حذفته لإصلاح السجع .

والثالث: كقوله:

ومَا المالُ والأَهْلُونَ إِلَاّ وديعَةٌ   وَلابُدَّ يَوْماً أنْ تُرَدَّ الوَدائِعُ

فالراد معروف، ولكن حذف لأجل موافقة الروي ؛ لأن القافية مرفوعة .

والرابع: نحو " شتم فلان " و" قتل فلان " إذا كان الشاتم والقاتل معروفين، ولكن حذفتهما وبنيت الفعلين للمفعول، لأجل إيثار غرض السامع ؛ لأن غرضه إنما هو أن يشتم فلان أو يقتل، ولا حاجة له في معرفة الشاتم أو القاتل .

غَالِبُ هَذَا البَابِ والَّذِي خَلا   يَجِيءُ فِي سِوَاهُمَا تَأَمَّلا

يعنى أن غالب هذا الباب أي كثيرا مما ذكر فيه يعنى باب المسند، وكثيرا مما ذكر في الباب الذي خلا أي الذي تقدم قبله، وهو باب المسند إليه، من مقتضيات الأحوال، كالذكر والحذف وغيرهما مما تقدم، غير مختص بهما، بل يجيء في سواهما، أي في غيرهما من المفاعيل والملحقات والمضاف إليه، وإنما قال غالب هذا الباب، ولم يقل وكل هذا الباب ؛ لأن بعض الأحوال مختص بالبابين، كضمير الفصل المختص بما بين المسند إليه والمسند، وككون المسند المفرد فعلا، فإنه يختص بالمسند ؛ لأن كل فعل مسند دائما انتهى .

أحوال متعلقات الفعل وما يعمل عمله

قد أشار إجمالا إلى أن كثيرا من الاعتبارات السابقة في البابين، يجرى في متعلقات الفعل، وأراد تفصيل بعض ذلك، لاختصاصه بمزيد بحث ليس في البابين، ومهد لذلك بابا فقال:

الفِعْـــــلُ أَوْ بَقِيَّـــــةُ العَوَامِــــــلِ مَـعَ اسْمِهَـا المَنْصُـوبِ مِثْـلُ الفَاعِـلِ
فِي ذِكْـــــرِهِ لِــــــيُفْهِمَ التَّعَلُّقَـــــا دُونَ إِفَـــــادَةِ الْوُقُـــــوعِ مُطْلَقَـــــا

يعنى أن الفعل وبقية العوامل أي الفعل وما يعمل عمله، مع اسمها المنصوب من مفعول به وفيه وله ومعه، لكن خص البحث بالمفعول به، لقربه من الفاعل، [127] ولكثرة حذفه كثرة شائعة، مع أن سائر المتعلقات تعلم بالمقايسة، كالفعل مع الفاعل في ذكره أي الفاعل، ليفهم التعلقا أي ليفيد ذكره التعلق، أي التلبس بالفعل، دون إفادة الوقوع مطلقا، أي من غير أن يقصد بذكرهما مع الفعل إفادة الوقوع، أي وقوع الفعل مطلقا، أي من غير أن يعلم ممن وقع وعلى من وقع، إذ لو كان الغرض ذلك لقيل: وقع ضرب أو وجد أو ثبت من غير ذكر الفاعل والمفعول، لكونه عبثا من البليغ ؛ لأن قضية البلاغة عدم الزيادة على المطلوب .

والمعنى أن الفعل وبقية العوامل من اسم فاعل ومفعول ومصدر مع اسمها المنصوب من مفعول به أو له أو فيه أو معه مثل الفعل مع الفاعل في أن القصد بذكر كل من الفاعل والاسم المنصوب إفادة التعلق أي التلبس بالفعل، لا قصد إفادة الوقوع أي وقوع الفعل مطلقا أي من غير أن يعلم ممن وقع وعلى من وقع، لكن الفاعل والاسم المنصوب يفترقان بأن تلبس الفعل بالفاعل من جهة وقوعه منه، وتلبسه بالاسم المنصوب من جهة وقوعه عليه أو فيه أو لأجله أو معه .

قوله: الفعل مبتدأ خبره مثل الفاعل، وقوله أو بقية العوامل عطف على المبتدأ، وأو بمعنى الواو، والضمير في قوله مع اسمها عائد إلى العوامل، والضمير في قوله في ذكره عائد إلى الفاعل، وقوله ليفهم بضم الياء وكسر الهاء مبني للفاعل، وفاعله ضمير عائد إلى ذكر الفاعل، وقوله التعلقا مفعوله، وقوله دون مفعول فيه لقوله ليفهم .

فَحَذْفُـــهُ إِنْ أُطْلِـــقَ الْإِثْبَـــاتُ لَـــهْ أَوْ نَفْيُـــهُ لِلاسْـــمِ أَعْـــنِي فَاعِلَـــهْ
لِكَوْنِـــــهِ نُـــــزِّلَ كَـــــالَّلازِمِ لا مُقَـــــــدَّرٌ فِيــــــــهِ . .

يعنى أن حذف المفعول به إن أطلق إثبات الفعل أو نفيه، أي إذا كان الغرض مطلق إثبات ذلك

الفعل لفاعله، أو نفيه عنه من غير اعتبار تعلقه بمن وقع عليه، وهذا هو معنى قوله للاسم، أعني فاعله كائن، لكونه أي لأجل كونه أي الفعل نزل كاللازم، أي نزل منزلة الفعل اللازم، لا منزلة فعل مقدر فيه ؛ لأن المقدر كالمذكور في أن السامع يفهم من تقديره والتصريح به أن الغرض الإخبار بوقوع الفعل من الفاعل باعتبار تعلقه بمن وقع عليه، فإذا قدر انتقض غرض المتكلم، وهو إثبات الفعل أو نفيه مطلقا، فإن قولنا: " فلان يعطى الدنانير " لبيان جنس المعطى، لا لبيان كونه معطيا .

قوله: فحذفه مبتدأ خبره لكونه نزل كاللازم، واللام في قوله الإثبات له معدية للمصدر، والضمير عائد إلى الفعل، واللام في قوله للاسم بمعنى عن إن كانت متعلقة بقوله نفيه، وللتعدية إن كانت متعلقة بقوله الإثبات، والضمير في قوله فحذفه عائد إلى المفعول به .

والمعنى: فحذفه أي المفعول به إن كان الغرض مطلق إثبات الفعل للفاعل أو نفيه عنه، كائن لأجل كونه أي الفعل نزل منزلة اللازم ؛ لأن المقدر في حكم المذكور، وقوله لا مقدر فيه بالجر [127] معطوف على قوله كاللازم، أي لكونه نزل منزلة اللازم، لا منزلة المقدر فيه مفعوله .

ثم هذا ضربان، لأنه إما أن يجعل إطلاق الفعل كناية عن فعل متعلق بمخصوص أي بمفعول مخصوص دلت عليه القرينة أم لا، وإلى الأول أشار بقوله:

فَإِمَّا جُعِلا

الفِعْـــلُ كَانِيًــا عَـــنِ الفِعْــلِ يُخَــصُّ ... مَعْمُولُـــهُ دَلَّ عَلَيْـــهِ نَـــوْعُ نَــصُّ
كَشَــجْوِ حُسَّـــادِكَ أَنْ يَـــرَى بَصَــرْ ... أَيْ أَنْ يَكُـــونَ مُبْصِـــرًا لِمَـــا ظَهَــرْ

أي فإما أن يجعل الفعل المنزل كاللازم كناية عن فعل مماثل له غير مذكور، حال كون الفعل المماثل المكنى عنه يخص مفعوله، أي متعلقا بمفعول مخصوص دل على ذلك المفعول المخصوص أو الفعل المتعلق بمفعول نص مخصوص المماثل للمذكور المكنى عنه نوع نص، أي قرينة نص، أي ناصة على الدلالة عليه، كجشو حسادك أن يرى بصر، أن يثبت مطلق الرؤية لأحد، فيكون ببصره مبصرا أي مدركا لما أي الذي ظهر من محاسنك الظاهرة الدالة على استحقاقك الحمد .

فالحاصل أنه نزل يرى منزلة اللازم، أي شجو حسادك أن تصدر رؤية من أحد من غير تعلق

بمفعول مخصوص، ثم جعله كناية عن الرؤية المتعلقة بمفعول مخصوص، وهو محاسنه بادعاء الملازمة بين مطلق الرؤية ورؤية محاسنه، فذكر الملزوم وهو مطلق الرؤية وأراد اللازم، وهو رؤية محاسنه، كما هو طريق الكناية .

وهذا المثال أخذه الناظم من قول البحتري في مدح المعتز بالله تعريضا بالمستعين بالله، وهو ضر له في منازعته الخلافة:

شَـــجْوُ حسَّـــادِهِ وغَـــيْظُ عِـــداهُ   أن يَـــرى مُبْصِـــرٌ ويسْـــمَعَ واعِ[1]

أي أن يثبت مطلق الرؤية والسمع لأحد، فيدرك بالبصر محاسنه، وبالسمع أخباره الظاهرة الدالة على استحقاقه الإمامة دون المستعين بالله، فلا يجد إلى منازعته سبيلا .

فإنه نزل يرى ويسمع منزلة اللازم، أي من يصدر عنه الرؤية والسماع المتعلقين بمفعول مخصوص، وهو محاسنه وأخباره بادعاء الملازمة بين مطلق الرؤية، ورؤية محاسنه، وبين مطلق السماع، وسماع أخباره الجملية، للدلالة على أن محسانه وأخباره لشهرتهما لا يخفيان على كل راء وكل سامع، بل لا يرى الرائي إلا تلك الآثار، ولا يسمع السامع إلا تلك الأخبار، فذكر الملزوم وهو مطلق الرؤية والسماع، وأراد اللازم، وهو رؤية محاسنه وسماع أخباره، كما هو طريق الكناية، ولو قال أن يرى مبصر محاسنه، ويسمع سامع محامده، لم يفد أنهما بلغا من الكثرة والظهور إلى أن لا يسمع في الدنيا ولا يرى إلا هما، حتى يعلم انفراده بالفضائل .

قال في فيض الفتاح: " واعلم أن جعل المطلق كناية عن المقيد، مع أن الكناية الانتقال من الملزوم إلى اللازم، بناء على أن مطلق اللزوم، ولو بحسب الادعاء ـ كاف فيها، [128] قاله الشيخ ياسين " .[2]

وما في قوله: فأما جعلا زائدة، وجعل مبني للنائب، ونائبه قوله الفعل، وكانيا مفعوله الثاني، وهو اسم فاعل من كنى بتخفيف النون، وقوله عن الفعل متعلق بقوله كانيا، وقوله يخص مفعوله، ببناء يخص للنائب، ونائبه قوله مفعوله، والجملة حال من الفعل المجرور بعن، وإلى الثاني أشار بقوله :

---

(1) - البحتري وهو في ديوانه ج2 ص105 بتحقيق حسن كامل الصيرفي، ط دار المعارف مصر.

(2) - فيض الفتاح م س. ج1 ص178

أَوْ لا يَكُـــــــــــونُ .

الفعل المنزل منزلة اللازم كناية عن فعل مماثل له متعلق بمفعول مخصوص، بل يكون الغرض منه مطلق إثبات الفعل للفاعل أو نفيه عنه من غير اعتبار تعلقه بمفعول به عام أو خاص، ومن غير قصد التكنية به عن فعل مماثل له متعلق بمفعول مخصوص

. مِثْـــــلَ مَـــــا تَلَـــــوْنَا هَـــلْ يَسْـــتَوِي الَّـــذِينَ يَعْلَمُـــونَا

مِثْلَ مَا تَلَوْنَا في كتاب الله، وهو قوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] فالغرض إثبات العلم لهم ونفيه عنهم، من غير اعتبار تعلقه بمعلوم عام أو خاص، والمعنى: لا يستوي من وجدت له حقيقة العلم، ومن لا توجد له، ومع هذا لم يجعل مطلق العلم كناية عن العلم بمعلوم مخصوص، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى 42 وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا 43﴾[2]﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى 47﴾[3] أي هو الذي منه الإضحاك والإبكاء والإماتة والإحياء والإغناء والإقناء، فالغرض إثبات كل من الإضحاك وما بعده لله تعالى، من غير اعتبار تعلقه بمفعول مخصوص، ومن غير قصد التكنية به عن مماثل متعلق بمفعول مخصوص .

أَمَّــا الَّــذِي يُحْــذَفُ وهْــوَ مَــا رُفِــضْ فَلائِقًــا قَـــدِّرْ وفِي هَـــذَا الغَـــرَضْ

يعنى أن المفعول الذي يحذف، وهو ما رفض أي والحال أنه ما رفض أي لم يقطع النظر عنه، أي لم يقصد بحذفه مطلق ثبوت الفعل للفاعل أو نفيه عنه، بل قصد تعلقه بمفعول غير مذكور، فلائقا قدر، أي فيقدر المفعول الذي قصد تعلق الفعل به، بلائق أي بمفعول لائق بالمقام أي مناسب له، بحسب القرائن الدالة على تعيينه، إن عامة فعام، وإن خاصة فخاص .

واعلم أن الحذف لا بد له من نكتة أشار إلى تعدادها بقوله:

وَفِي هَذَا الغَرَضْ، مِنْ بَعْدِ الإِبْهَامِ البَيَانُ: يعنى أن الغرض في هذا الحذف أمور منها:

ـ البيان بعد الإبهام، وذلك أوقع في النفس ؛ لأن ذكر الشيء مرتين مبهما ثم مبينا أوكد من ذكره مرة

(1) – سورة الزمر، الآية: 9

(2) – سورة النجم، الآية: 43.44

(3) – سورة النجم، الآية: 48

وألذ ؛ لأن الحاصل بعد الطلب أعز من المنساق بلا تعب، ولأن علمين خير من علم واحد ؛ لأن السامع علم به أولا مبهما ثم علم به مبينا .

وذلك الحذف **مِثْلُ** حذف مفعول **شَا** وأراد، أي مثل حذف مفعول المشيئة والإرادة ونحوهما، إذا وقع شرطا ؛ لأن الجواب يبينه، نحو قوله تعالى: ﴿**فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ** 150﴾[1] أي لو شاء هدايتكم لهداكم، فإنه لما قيل: فلو شاء علم السامع أن هناك شيئا علقت المشيئة عليه، لكنه مبهم عنده، فإذا جيء بجواب الشرط صار مبينا، كقول الشاعر:

وإنْ شِـئتُ لم تُرْقِـلْ وإن شـئتُ أرقَلَـتْ   مَخافَـةَ مَلْـوِيٍّ مِـنَ القَـدِّ مُحصَـدِ[2]

الإرقال: الإسراع، والملوي: المفتول، والقد: سير غير مدبوغ، والمحصد: المحكم، أي فإن شئت عدم الإرقال [129] لم ترقل، وإن شئت الإرقال أرفلت .

وقوله:

لـو شـئتَ عُـدتَّ بـلادَ نجـد عـودةً   فحلَلْتَبـين عَقيقـة وزرودِه[3]

أي لو شئت العود عدت .

مَــالَمْ يَــكُ الْتِبَاسُــهُ مُسْتَوْحَشَــا

يعنى أن مفعول فعل المشيئة، يجوز حذفه لما ذكر، ما لم يك التباسه، أي تعلق فعل المشيئة بذلك المفعول مستوحشا، أي نادرا مخالفا للعادة وإلا فلا يجوز حذفه، كقول الخريمي يرثي ابنه، ويصف نفسه بشدة الحزن والصبر عليه:

فلــو شــئتُ أن أبكــي دمــا لبكيتُــه   عليـك ولكـن سـاحة الصـبر أوسـع[4]

فإن تعلق فعل المشيئة ببكاء الدم غريب، فلا بد من ذكر المفعول، ليتقرر في نفس السامع ويانس به، حيث يتكرر عليه، وأما قوله:

---

(1) - سورة الأنعام 149

(2) - البيت لطرفة بن العبد، وهو في ديوانه ص23، ت مهدي محمد ناصر الدين، ط3 دار الكتب العلمية.

(3) - البيت للبحتري في ديوانه، وهو في مفتاح العلوم (334)، والإيضاح (111). العقيق وزرود: موضعان، والمخاطب في البيت السحاب.

(4) - لابن يعقوب إسحاق بن حسان الخذيمى، يرثى أبا الهيذام عامر بن عمار أمير عرب الشام.

فلــم يبــق مـــني الشـــوق إلا تفكـــرا ... فلـو شـئت أن أبكـي بكيـت تفكـرا[1]

فليس من فعل المشيئة الذي يحذف مفعوله للبيان بعد الإبهام ؛ لأن البيان بعد الإبهام إنما يتصور إذا كان المبين عين المبين، وما في البيت ليس كذلك ؛ لأن البكاء الأول مطلق، والثاني مقيد، فلا يصح تفسيرا للأول وبيانا له .

قال الشيخ ياسين: فلا يرد على قولهم أن مفعول المشيئة يحذف للبيان بعد الإبهام، هذا البيت فإن المفعول غير غريب ولم يحذف، وعلى هذا فاللائق بهذا الكلام ذكره في شرح قوله مثل شا .

قلتُ[2]: وفيه نظر أيضا ؛ لأن حذف مفعول المشيئة ليس بواجب حتى يجاب عن ذكره إلا أن يقال إنه مستحسن، والمستحسن في باب البلاغة كالواجب، وقد وجه السعد البيت بأنه ليس مما ذكر فيه مفعول المشيئة لغرابته، وأن الأصل: لو شئت أن أبكي تفكرا، بكيت تفكرا كما زعمه صدر الأفاضل، بل المراد بالبكاء الأول الحقيقي، وبالثاني الفكري .

والمعني: " أفناني النحول حتى لو شئت البكاء الحقيقي، فمريت جفوني ليسيل دمعها لم أجد ذلك وحصل مكان الدمع التفكر " قاله في فيض الفتاح .[3]

قوله: شا بالقصر لضرورة الوزن .

أَوْ دَفْـــعِ أَنْ يَبْتَـــدِرَ الـــذِّهْنُ إِلَى ... غَـــــيْرِ المُـــــــــرَادِ . .

يعنى أن من نكت حذف المفعول دفع أن يبتدر الذهن إلى غير المراد، إذا كان ذكره يوهم غير المراد ابتداء، أي قبل أن يسمع ما بعده، فيزول التوهم المذكور، كقول البحتري:

وَكَـمْ ذُدْتَ عَـنِّي مِـنْ تَحَامُـلِ حـادِثٍ ... وسَـــوْرةِ أيام حَـــزَزْنَ إلى العَظْـــم[4]

فمفعول حززن محذوف أي اللحم، إذ لو ذكر اللحم ربما توهم قبل ذكر ما بعده أن الحز لم يصل إلى العظم، بل كان في بعض اللحم، فترك ذكر اللحم، ليدفع عن السامع هذا الوهم ويصور في نفسه

(1) – البيت في الدلائل ص128

(2) – أي قال صاحب فيض الفتاح

(3) – فيض الفتاح م س. ج1 ص185

(4) – البيت للبحتري في ديوانه، م س، ج2 ص215، وأورده القزويني في الإيضاح ص112، وأورده محمد بن علي الجرجاني في الإشارات ص82، وأورده في دلائل الإعجاز ت هنداوي ص116.

من أول الأمر أن الحز مضى في اللحم إلى العظم والسورة بالفتح الشدة .

قوله: أو دفع بالرفع عطف على قوله البيان في البيت قبله .

وَاعْتِنَاءٍ كَمُلا

بِقَصْـــدِ[1] الإِيقـــاعِ لَــهُ بَعْــدُ عَلَــى صَـــــــــــــــــرِيحِهِ . .

لَهُ بَعْدُ عَلَى .. صَرِيحِهِ

يعنى أن من نكت حذف المفعول إظهار كمال العناية به، بقصد الإيقاع له أي الفعل بعد أي بعد حذفه المفعول أولا من فعل آخر على صريحه أي المفعول المحذوف أولا من الفعل الأولأي على لفظه، كقول البحتري:

قــد طَلَبْنـا فلـم نَجِـدْ لـكَ في السُّــؤْ دُدِ والمَجْـــد والمَكَـــارِمِ مِـــثْلا[2]

فحذف مثلا من الفعل الأول، إذ لو ذكر لكان المناسب فلم نجده، فيفوت الغرض من إيقاع نفي الوجدان على صريح لفظ المثل، وفيه أيضا تفصيل بعد إبهام، [130] لأنه أولا أبهم المطلوب ثم بين أنه المثل، ولأجل هذا المعنى عكس ذو الرمة في قوله:

ولم أَمـــدَحْ لأرضــيهِ بِشـــعري لَئِيمـــاً، أَنْ يكـــونَ أصـــابَ مـــالا[3]

لأنه أعمل الفعل الأول في صريح لفظ اللئيم، والثاني في ضميره ؛ لأن الغرض إيقاع نفي المدح على اللئيم صريحا، لكمال العناية بذلك، بخلاف الإرضاء .

قوله: واعتناء بالرفع عطف على قوله أو دفع أن يبتدر، والضمير في قوله له عائد إلى الفعل، وفي قوله صريحه عائد إلى المفعول .

أَوْ أَدَبٍ مَعْ ذِي العُلا[4] يعنى أنه من نكت حذف المفعول الأدب أي التأدب مع المخاطب ذي العلا أي ذي المراتب العلية والقدر العالي، ومثاله البيت المتقدم ذكره قريبا، وهو:

قــد طلبنـا فلـم نجـد لـك في السـؤ دد والمجـــد والمكـــارم مـــثلا ،

---

(1) – في المطبوع: بِذِكْرٍ بدل قصدِ.

(2) – في ديوانه كذلك ج2 ص 263، وأورده في دلائل الإعجاز ت شاكر ج1 ص168.

(3) ديوان ذي الرمة شرح الباهلي ج3 ص1534، ت ع القدوس أبو صالح، ط1 مؤسسة الإيمان بجده.

(4) – في المطبوع: مَعَ الْعُلا بدون ذي.

للتأدب مع المخاطب بأن لا يصرح له بأنه طلب له مثلا، فحذف المفعول من طلبنا ؛ لأن طلب المثل صريحا يدل على تجويزه، إذ العاقل لا يطلب إلا ما يجوز وجوده .

قال الناظم في شرحه: " وما أحسن قولي في شيخي الإمام تقي الدين الشمني ﷺ، من جملة قصيدة أمدحه بها، آخذا معنى هذا البيت على طريق أبلغ منه:

مــا طلبنــا لِعلمنــا أنــهُ مالــكٌ   في الْمَجْــدِ والمكــارمِ مِــثلا[1]

قوله: أو أدب عطف على قوله واعتناء .

أَوِ اخْتِصَــارٍ مَــعْ دَلِيــلٍ قَــامَ لَــهْ

يعنى أن من نكت حذف المفعول الاختصار، أي قصد الاختصار مع قيام دليل دال على قصده، من غير اعتبار فائدة أخرى من التعميم وغيره، نحو أصغيت إليه، أي أذني، وعليه قوله تعالى: ﴿**رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ**﴾[2] أي أرني ذاتك، بدليل أنظر إليك .

أَوْ هُجْنَةٍ، يعنى أن من نكت حذف المفعول هجنة ذكره، أي قبحه .

كقول عائشة ﵂: ((**مَا رَأَيْتُ مِنهُ، أيْ النبيُّ ﷺ، ولا رَأَى مِنِّي**)) [3] فالمفعول محذوف، أي العورة، استهجانا لذكرها .

قال ياسين: الأحسن أن يقال، لتأكيد ستر العورة، حتى أنه يستر لفظها عن السامع .

قلتُ: الظاهر الأول مع أنه لا منافاة بين إرادتهما .

أَوْ أَنْ تُرَاعَى الفَاصِلَهْ يعنى أن من نكت حذف المفعول مراعاة الفاصلة، أي المحافظة عليها، كقوله تعالى: ﴿**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ** ٣﴾[4] لم يقل ما قلاك ؛ لأن فواصل الآي على الألف .

قوله: أو أن تراعى عطف على قوله أو هجنة بالرفع .

كَــذَا إِفَــادَةُ الْعُمُــومِ بِالْكَــلامْ

(1) – . شرح عقود الجمان للسيوطي، م س. ص62.

(2) – سورة الأعراف، الآية: 143

(3) – حديث ضعيف بدليل ثبوت اغتسالهما جميعا في الصحيحين.

(4) – سورة الضحى، الآية: 3

يعنى أن من نكت حذف المفعول إفادة العموم في المفعول مع الاختصار بالكلام، كقولك: " قد كان منك ما يؤلم " أي كل أحد، والقرينة أن المقام مقام مبالغة، ومثله " فلان يهب ويمنع ويصل ويقطع ويبني ويهدم ويغنى ويعدم " بقرينة المبالغة .

كَقَوْلِـــهِ يَـــدْعُو إِلَى دَارِ السَّـــلامْ

أي كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾[1] أي يدعو كل أحد ؛ لأن الدعوة إلى الجنة تعم الناس كلهم، [2] لكن الهداية الموصلة إليها تختص بمن يشاء سبحانه .

قال الفنري: فإن المتبادر إلى الذهن أن المقصود تعميم الدعوة للكل، وتخصيص الهداية بالبعض . [131]

قال في المطول: " ومما يحتمل الحذف للعموم في غير المفعول به قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ 4﴾ أي على كل أمر يستعان فيه، ويحتمل أن يراد على أداء العبادة ليتلاءم الكلام، فإن قلت لا بد من قرينة تدل على المفعول المتروك العام، فيكون الحذف لمجرد الاختصار والعموم مستفاد من ذلك اللفظ المقدر لا من الحذف .

فالجواب ما ذكره السيد في شرح المفتاح، ونصه " إفادة تعميم المفعول مع حذفه على وجهين:

الأول: أن تدل قرينة على مفعول عام، كأن يذكر في الكلام مثلا كل أحد ثم يقال: " قد كان منك ما يؤلم " أي كل أحد، فإن الحذف هاهنا لمجرد الاختصار والعموم مستفاد من المقدر، الثاني: أن لا يكون هناك قرينة غير الحذف تدل على تعيين أمر خاص أو عام من العموميات، فيتوصل بعدم ذكر المفعول في المقام الخطابي إلى تقديره عاما، بناء على أن تقدير خاص دون خاص ترجيح بلا مرجح، فللحذف على هذا الوجه مدخل في تقديره عاما، فلذلك قالوا: قد يحذف المفعول للقصد إلى التعميم مع الاقتصار، فمن لم يتميز عنده أحد الوجهين عن الآخر أشكل الأمر عليه، وأنت تعلم أن العام المقدر على الوجه الأول يتعين لفظه ومعناه، وعلى الثاني يتعين معناه فقط، ويتساوى تقدير

(1) – سورة يونس، الآية: 25

(2) – ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: 221]

جميع الألفاظ الدالة على ذلك المعنى، قاله في فيض الفتاح .[1]

وَنَحْوِ ذَا أي ومن نكت حذف المفعول به نحو ذا أي كل ما أشبه ما ذكرنا، كتأتي الإنكار أي قصده إذا أراده المتكلم عند احتياجه إليه، ونحو ذلك .

قوله: ونحو ذا بالرفع عطف على قوله إفادة في البيت قبله .

. . **وَكَوْنُهُ مُقَدَّمَا لِرَدِّ تَعْيِينِ الخَطَا** . .

يعنى أن كون المفعول به مقدما على الفعل، كائن لأجل رد السامع عن الخطأ في التعيين أي في تعيين المفعول إلى الصواب، وذلك في قصر القلب والإفراد، لا في قصر التعيين ؛ لأن السامع لم يعتقد خطأ حتى يرد إلى الصواب .

مثاله في قصر القلب قولك: " زيدا عرفت " لمن اعتقد أنك عرفت إنسانا غير زيد .

ومثاله في قصر الإفراد قولك: " زيدا ضربت " لمن اعتقد أنك ضربت زيدا وعمرا جميعا فتقدم له المفعول ليفيد تقديمه إفراد أي تخصيص أحدهما بالضرب دون الآخر في قصر الإفراد، وفى قصر القلب يفيد تقديمه اختصاص غير الذي اعتقد السامع وقوع الضرب عليه بالضرب، فيقلب اعتقاده ويؤكد قصر القلب بنحو لا غيره، فتقول زيدا عرفت لا غيره، ويؤكد قصر الإفراد بنحو وحده، فتقول زيدا عرفت وحده .

مِنْ ثَمَّ مَا

يُقَالُ مَا أَبُو البَقَاءِ لُمْتُهُ ولا سِوَاهُ لا ولَكِنْ عُنْتُهُ[2]

أي ولأجل أن التقديم لرد السامع عن الخطأ، في تعيين المفعول، لا يقال ما أبو البقاء لمته ولا سواه ؛ لأن التقديم يفيد اختصاص أبى البقاء بعدم اللوم، وذلك يستلزم ثبوته لغيره، فإذا قيل ولا سواه انتفى اللوم عن غيره، أي فيتناقض الكلام ؛ لأن أوله أفاد اختصاص أبي البقاء بعدم اللوم بمنطوقه، وثبوت اللوم لغير أبي البقاء بمفهومه، وآخره أفاد نفي اللوم عن غير أبي البقاء بمنطوقه، فتناقض منطوق آخره مع مفهوم أوله .

---

(1) - فيض الفتاح م س. ج1 ص188

(2) - في المطبوع: عِبْتُهُ

قوله: ولكن عنته أي ولا يقال أيضا " ما زيدا خذلت ولكن عنته " أن مبنى الكلام ليس على أن الخطأ واقع في الفعل بأنه الخذلان [132]حتى يرد إلى الصواب بأنه الإعانة، وإنما الخطأ في تعيين المخذول ؛ لأن هذا الكلام إنما يخاطب به من اعتقد أنك خذلت زيدا، فتقول له " ما زيدا خذلت بل عمرا " فتقدم المفعول ليفيد تقديمه اختصاص زيد بعدم الخذلان وثبوته لعمر .

أَمَّــا فِي الِاشْــتِغَالِ فَالتَّاكِيــدُ إِنْ قُــدِّرَ مَــا فُسِّــرَ قَبْلَــهُ يَعِــنُّ

وَبَعْدَ تَخْصِيصٍ=أي أما التقديم أي تقديم المفعول في باب الاشتغال، نحو " زيدا عرفته " فالتأكيد إن قدر ما فسر أي إن قدر الفعل المحذوف العامل في الاسم المشتغل عنه المفسر بالفعل المذكور المشتغل بالضمير قبله، أي قبل الاسم المشتغل عنه، أي يكون التأكيد هو فائدة التقديم، لأنه حينئذ من باب تكرير الجملة، فكأنك قلت: " عرفت زيدا عرفته "

قوله: وبعد تخصيص أي وإن قدر الفعل المحذوف العامل في الاسم المشتغل عنه المفسَّر بالفعل المذكور المشتغل بعد أي بعد الاسم المشتغل عنه وقبل المفسر بكسر السين، يعن تخصيص أي يكون التخصيص هو فائدة التقديم، فكأنك قلت: " زيدا عرفت عرفته " فتقديره مؤخرا يفيد اختصاص زيد بمعرفتك إياه دون غيره، وقولك بعد ذلك " عرفته " يفيد تأكيد الحكم عليه بالمعرفة، بسبب تكرير الجملة .

وَهَذَا يَغْلِبُ فِيهِ: يعنى أن التخصيص وهو المشار إليه بهذا يغلب استفادته في باب تقديم ما حقه التأخير كقولك: **يَا رَبِّ إِلَيْكَ أَرْغَبُ**أي لا إلى غيرك، فتقديم المعمول المجرور بإلى أفاد اختصاص الرب بالرغبة إليه دون غيره، وكقوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ 4﴾ أي نخصك بالعبادة والاستعانة بين الموجودين، لا نعبد ولا نستعين غيرك .

ودليل إفادة التقديم التخصيصَ قول علماء التفسير وذوق علماء المعاني الذين هم أهل الذوق السليم والطبع المستقيم، والمراد بالتخصيص إثبات الحكم سواء كان الحكم مثبتا أو منفيا للمقدم ونفيه عما يقابله، والتخصيص والاختصاص والقصر والحصر والعناية مترادفة .

وَقَــدْ يُفِيــدُ فِي الجَمِيــعِ الِاهْتِمَــامْ بِــــــــــــــهِ . .

يعنى أن التقديم قد يفيد في جميع الأمثلة المتقدمة، مع التخصيص نكتة أخرى، هي الاهتمام به،

أي بالمعمول المقدم، والاهتمام فسره السيد في شرح المفتاح بذكره، إما لتعظيمه أو التبرك به أو الاستلذاذ به، أو كونه نصب العين .

وقال الفنري: إنه الأخير فقط ؛ لأن مطلق الاهتمام به ينصرف إليه، كما يقال: " ذِكْرُ اللهِ أَهَمُّ"

. . وَمِـــنْ ثَمَّ الصَّـــوَابُ فِي الْمَقَـــامْ
تَقْـــدِيرُ مَـــا عُلِّـــقَ بِاسْـــمِ اللهِ بِـــهْ مُـــــــــــــــــــــؤَخَّرًا . .

أي ولأجل أن التقديم قد يفيد مع الاختصاص الاهتمام بالمعمول المقدم الصواب في المقام، أي المطابق لمقتضى المقام، تقدير الفعل الذي علق باسم الله الرحمن الرحيم به مؤخرا، فيقدر في حال القراءة، باسم الله أقرأ، وفى حال الأكل باسم الله آكل، ليفيد تقديره مؤخرا اختصاص اسم الله بالقراءة أو الأكل، أي لا أقرأ إلا مستعينا على [133]قراءتي باسم الله، ولا آكل إلا مستعينا على أكلي باسم الله، والاهتمام به بتقديمه .

قوله: الصواب مبتدأ خبره تقدير ما علق، وقوله علق مبني للمفعول نائبه قوله باسم الله، وقوله به متعلق بقوله على، وقوله مؤخرا حال من ما الموصولة .

. . فَـــإِنْ يَـــرِدْ بِسَـــبَبِهْ
تَقْدِيمُـــهُ فِي سُـــورَةِ اقْـــرَا فَهُنَـــا كَـــانَ الْقِـــرَاءَةُ الأَهَـــمَّ الْمُعْتَـــنَى

أي فإن رد كون الصواب تقدير الفعل الذي علق باسم الله به مؤخرا، ليفيد ذلك التقدير الاختصاص والاهتمام بالمقدم ؛ لأن الاختصاص والاهتمام مستفادان بدون التقديم، بسبب تقديمه أي الفعل الذي علقت البسملة به في سورة اقرأ في قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [1] فالجواب أن ذكر القراءة هنا أي في هذه السورة أي في زمن نزولها هو الأهم المعتني به ؛ لأنها أول سورة نزلت .

قوله: فإن يرد ببناء يرد للنائب وتخفيف دال يرد لضرورة الوزن ؛ لأنها مضارع من رد بالتضعيف، والنائب ضمير عائد إلى كون الصواب ما ذكر في البيت قبل هذا، أو إلى إفادة التقديم الاختصاص والاهتمام، وقوله تقديمه بالجر مجرور بالإضافة إلى قوله بسببه، والهاء في بسببه هاء السكت، أتي بها لإصلاح القافية .

(1) - سورة العلق، الآية: 1

قُلْتُ وشَرْطُ الِاخْتِصَاصِ مَنْعُ أَنْ ... يَسْتَوْجِبَ التَّقْدِيمَ أَوْ بِالْوَضْعِ عَنْ
أَوْ كَانَ مُصْلِحًا لأَنْ يُرَكَّبَا

يعنى أنه يشترط في إفادة التقديم لما حقه التأخير للاختصاص أن لا يستوجب التقديم في نفسه، بأن كان له صدر الكلام كأسماء الشروط والاستفهام المقدمة على عاملها، فتقديمها لا يفيد الاختصاص، وأن لا يكون بالوضع، أي سمع عن العرب مقدما، بأن كان مثلا، والمثل لا يغير نحو " الصيف ضيعت اللبن " وأن لا يكون التقديم مصلحا لأن يركب الكلام، أي سببا في إصلاحه، أي لا يصلح نظم الكلام إلا بالتقديم، وإلا بأن كان التركيب لا يصلح عربيته دون التقديم لم يفد التقديم الاختصاص نحو " على التمرة مثلها زبدا " إذ تأخير الخبر في نحو هذا لا يجوز عند الجمهور، لأنه يلزم عليه رجوع الضمير إلى متأخر لفظا ورتبة .

وتقرير الكلام: قال الناظم من زيادته على التلخيص، وشرط إفادة تقديم ما حقه التأخير للاختصاص منع أي عدم وجوب تقديمه بسبب استحقاقه صدر الكلام، أو بسبب الوضع أي سماعه عن العرب مقدما كالمثل، أو بسبب كون تقديمه مصلحا لتركيب الكلام .

وبَعْضُهُمْ لِلاخْتِصَاصِ قَدْ أَبَى

يعنى أن بعض البيانيين كابن الحاجب أبى أن يكون التقديم مفيدا للاختصاص، ووهم من ظن ذلك، واستدل بقوله تعالى: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[1] وبقوله: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾[2] وتابعه أبو حيان، وصاحب الفلك الدائر، واستدلا بقوله تعالى: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾[3] الذي أوقعهم في ذلك ظنهم أن الاختصاص هو الحصر وليس هو هو، بل بينهما تغاير أشار إليه بقوله:

وَيَرْفَعُ الخِلافَ [134] قَوْلُ السُّبْكِي ... لَيْسَ رَدِيفُ الْحَصْرِ غَيْرَ شَكِّ

يعنى أن الخلاف بين البيانيين في تقديم ما حقه التأخير، هل يفيد الاختصاص أم لا ؟ يرفعه قول ابن السبكي في تأليف له في المسألة: " ليس الاختصاص رديف الحصر بلا شك، بل هما متغايران،

(1) - سورة غافر، الآية: 14
(2) - سورة الزمر، الآية: 66
(3) - سورة الأنعام، الآية: 84

فالحصر نفي غير المذكور وإثبات المذكور، والاختصاص قصد الخاص من جهة خصوصه، فيقدم للاهتمام به من غير تعرض لنفي غيره .

قال: وإنما جاء النفي في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ للعلم بأن قائليه لا يعبدون غير الله، ولذا لم يطرد ذلك في بقية الآيات، فإن قوله: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾[1] لو جعل في معنى ما يبغون إلا غير دين الله، وهمزة الإنكار داخلة على الحصر، لزم أن يكون المنكر الحصر، أي حصر بغيهم على غير دين الله، لا مجرد بغيهم غير دين الله، وليس ذلك المراد، بل المراد إنكار مجرد بغيهم غير دين الله مع دينه أو لا مع دينه، وكذا قوله: ﴿ءَالِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ 86﴾[2] لو جعل في معنى ما يردون إلا آلهة دون الله أي غير الله، وهمزة الإنكار داخلة على الحصر، لزم أن يكون المنكر حصر إرادتهم على آلهة دون الله، وليس كذلك، بل المراد إنكار مجرد إرادتهم آلهة دون الله أو مع الله "

قلتُ: الصواب كون التقديم يفيد الاختصاص، وأن الاختصاص مرادف للحصر، ويجاب عما استدل به ابن الحاجب من قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ 2﴾[3] وقوله: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾[4] بأنه لا اختصاص في الآيتين ؛ لأن المعمول فيهما متعلق بجملة إنشائية، والاختصاص لا يدخل في الإنشاء، بل إنما يدخل في الخبر ؛ لأن معنى الاختصاص إثبات الحكم الذي تضمنه العامل للمعمول ونفيه عما عداه، والإنشاء لا حكم فيه حتى يختص بالمعمول، ولا يقال: إن الإنشاء يستلزم حكما، لأنه يستلزم الخبر، فقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ﴾ وقوله: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ يستلزم خبرا هو: الله مأمور بعبادته، فيكون المعنى: " العبادة المأمور بها مختصة بالله " وقد استوى في إفادة الكلام اختصاصها بالله تقديم المعمول وتأخيره، لأنا نقول: اختصاص الله بالعبادة المأمور بها مستفاد من دليل خارج،

(1) – سورة آل عمران، الآية: 83

(2) – سورة الصافات، الآية: 86

(3) – سورة الزمر، الآية: 2

(4) – سورة الزمر، الآية: 66

لا من هذا الكلام، كقوله تعالى: ﴿لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ ٱللَّهَ﴾[1] وقوله: ﴿۞وَاعْبُدُواْ ٱللَّهَ ولاَ تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْئاً﴾[2] أو مستفاد من قوله تعالى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[3]

قال في الإتقان: " ورُدَّ هَذَا الِاسْتِدْلَالَ بِأَنَّ " مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ" أَغْنَى عَنْ إِفَادَةِ الْحَصْرِ فِي الْآيَةِ الْأُولَى، ولَوْ لَمْ يَكُنْ فَمَا الْمَانِعُ مِنْ ذِكْرِ الْمَحْصُورِ فِي مَحَلٍّ بِغَيْرِ صِيغَةِ الْحَصْرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾[4] وقَالَ: ﴿أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[5] بَلْ قَوْلُهُ: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ مِنْ أَقْوَى أَدِلَّةِ الِاخْتِصَاصِ فَإِنَّ قَبْلَهَا: ﴿لَئِنَ اَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[6] فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلِاخْتِصَاصِ، وكَانَ مَعْنَاهَا اعْبُدِ اللهَ، لَمَا حَصَلَ الْإِضْرَابُ الَّذِي هُوَ مَعْنَى " بَلْ " "[7]

أيْ قلتُ: [8] ويجاب عما استدل به أبو حيان وصاحب الفلك من قوله تعالى: ﴿كُلّاً هَدَيْنَاۚ وَنُوحاً هَدَيْنَا﴾ بأنا لا نسلم عدم إفادة تقديم المعمول هنا للاختصاص، بل هو مفيد له ؛ لأن المراد اختصاص كل من إسحاق ويعقوب ونوح بالهداية، دون من في زمنهم من أممهم الذين امتنعوا من اتباعهم وكفروا بهم . [135]

ويجاب عما قال ابن السبكي في قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ تَبْغُونَ﴾ من أن التقديم لو كان مفيدا للاختصاص، والاختصاص مرادف للحصر، وهمزة الإنكار داخلة عليه، لزم أن يكون المنكر اختصاص بغيهم لغير دين الله، لا مجرد بغيهم غير دين الله، بأنه يشترط في إفادة التقديم للاختصاص أن لا يكون التقديم واجبا، فإن كان واجبا فلا يفيد الاختصاص، كأسماء الاستفهام والشرط،

(1) – سورة البقرة، الآية: 83
(2) – سورة النساء، الآية: 36
(3) – [الأعراف: 29]
(4) – سورة [الحج: 77]
(5) – سورة يوسف، الآية: 40
(6) – سورة الزمر: 65]
(7) – الإتقان للسيوطي م س ج3 ص175
(8) – أي قال صاحب فيض الفتاح

والمعمول المقدم هنا هو مدخول همزة الاستفهام، وهي مستحقة لصدر الكلام، فكذلك مدخولها ؛ لأن مدخول همزة الاستفهام يكتسب استحقاق صدر الكلام من الهمزة، كما أن المضاف إلى اسم الاستفهام يكتسب استحقاق الصدر من المضاف إليه الذي هو اسم الاستفهام .[1]

وَبَعْــــضُ مَعْمُولاتِـــــهِ يُقَـــــدَّمُ عَلَـــى السِّـــوَى إذْ أَصْـــلُهُ التَّقَـــدُّمُ

وَلا اقْتِضَا لِمَعْدِلِ . يعنى أن بعض معمولات الفعل يقدم على بعض، لكون أصل ذلك البعض المقدم التقديم على البعض الآخر، ولا مقتضى للعدول عن ذلك الأصل، **كَأَوَّلِ** مفعولي **أَعْطَي** لما فيه من معنى الفاعلية، لأنه آخذ والثاني مأخوذ، نحو " أعطيت زيدا درهما " **وكَالْفَاعِلِ** فإن أصله التقديم على المفعول، لأنه عمدة يفتقر إليه في الكلام، والمفعول فضلة يستغنى عنه، والعمدة أحق بالتقديم، ولأنه كالجزء من الفعل، فينبغي أن لا يفصل بينهما .

وتقرير كلامه: وبعض معمولاته، أي الفعل يقدم على السّوى، أي على سوى ذلك المعمول المقدم من معمولاته الآخر، إذ أصله التقدم، أي لأجل كون المعمول المقدم أصله التقدم على المعمول المؤخر، ولا اقتضا بالقصر لضرورة الوزن لمعدل، أي والحال أنه لا مقتضى للعدول عن ذلك الأصل، والمعدل مصدر ميمي، كتقديم أول مفعولي أعطي على الثاني، وكتقديم الفاعل على المفعول به، وأما ترتيب المفاعيل، فقيل الأصل تقديم المفعول المطلق، لأنه جزء مدلول الفعل، ثم المفعول به بلا واسطة حرف الجر ؛ لأن طلب الفعل المتعدي له أشبه من طلبه لغيره، ثم الذي بواسطة الحرف، ثم المفعول فيه الزماني، لدلالة الفعل عليه بصيغته، ثم المكاني ؛ لأن الاحتياج إليه أشد، بخلاف العلة والمصاحبة، ثم المفعول له، ثم المفعول معه، وتقديم الأول ظاهر، وقيل تقديم المفعول به على المطلق أولى .

قال الفنري: " وكأنه نظر إلى قلة الفائدة في المفعول المطلق، والأصل أن يذكر الحال عقب ذي الحال، والتابع عقب المتبوع من غير فاصل " .

قال في المطول: " عند اجتماع التوابع الأصل تقديم النعت، ثم التأكيد، ثم البدل ، [136] ثم

(1) - فيض الفتاح م س. ج1 ص193

البيان، ووجه الفنري تقديم النعت على ما بعده ؛ لأن النعت مع المنعوت كشيء واحد، والتأكيد لكونه أرسخ في التابعية من البدل، إذ هو مقصود بالنسبة دون متبوعه، فإنه في حكم المطروح " .[1]

قال الفنري: " وإنما أدخل " أو" في قوله أو البيان، تنبيها على أن عطف البيان مع البدل من واد واحد، حتى أن بعض النحاة لم يميزه من بدل الكل، وبقي العطف بالحرف المتأخر عن الكل " .

قلتُ: ما في المطول خلاف لما مشى عليه الناظم في الفريدة، من أنه يقدم عند الاجتماع النعت، ثم البيان، ثم التوكيد، ثم البدل، ثم النسق، قال:

يَتْبَـعُ في الإعْـرابِ الأسمـاءِ الأُوَلْ　　نَعْـتٌ وتَوْكِيـدٌ وعَطْـفٌ وبَـدَلْ
وَنَسَـقٌ وعنـدَ الاجْتمـاعِ　　كَـذا تَرَتُّـبٌ بِـلا نِـزاعِ2

ومفهوم قوله: ولا اقتضا لمعدل أنه إذا وجد ما يقتضي العدول عن الأصل، أنه يعدل عنه، كتلبس الفاعل بضمير المفعول المقتضي تقديم المفعول، نحو " زان الشجر نوره " و" خاف ربه عمر "

أَوْ لِخَلَلٍ، يَحْصُلُ فِي مَعْنَاهُ بِالتَّأخِيرِ يعنى أنه يقدم بعض معمولات الفعل على بعض، إذا كان ذلك البعض المقدم يحصل في معنى الكلام بتأخيره خللٌ أي فسادٌ للمعنى، كقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلآخرة وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ٣٣**﴾[3] بتقديم الحال أعني من قومه على الوصف أعني الذين كفروا، إذ لو أخر عن الدنيا لتوهم أنه من صلتها ؛ لأنها ها هنا اسم تفضيل من الدنو، وليست اسما، والدنو يتعدى بمن، والمعنى: نعمناهم في الحياة التي دنت من حياة قوم نوح، وكذا قوله جل وعز: ﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ**﴾[4] فإنه لو أخر ﴿**مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ**﴾ عن ﴿**يَكْتُمُ**﴾ لتوهم أنه متعلق بيكتم، فلا يفهم منه أن ذلك الرجل من آل فرعون .

قال في عروس الأفراح: " الوصف بالجملة أصله التأخير عن الوصف بالجار والمجرور، فتأخير

(1) - . المطول للسعد، م س، ج2 ص98.
(2) - . المطالع السعيدة في شرح الفريدة للسيوطي، م س، ج1 ص233.
(3) - سورة المؤمنون، الآية: 33
(4) - سورة غافر، الآية: 28

يكتم إيمانه عن قوله: ﴿مِّنَ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ ماش على الأصل، فلا حاجة لتعليله، ولا يسمى تقديما ؛ لأن التقديم نقل الشيء عن محله، وهو ظاهر ؛ لأن المعروف في النحو إذا وصف بمفرد وظرف ونحوه، وجملة تقديم المفرد ثم الظرف ثم الجملة غالبا .

أَوْ تَنَاسُبٍ، يعنى أن بعض معمولات الفعل يقدم على بعض، لأجل التناسب، أي رعاية الفاصلة، كقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ 66﴾[1] بتقديم الجار والمجرور والمفعول على الفاعل ؛ لأن فواصل الآي على الألف، ومنه قوله تعالى: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ 69﴾[2] إذ موسى أحق بالتقديم، لأنه متبوع . "[3]

وَلاخْتِصَاصٍ قَدْ حَكَوْا يعنى أن البيانيين حكوا أن الاختصاص من أسباب تقديم بعض معمولات الفعل الذي حقه التأخير على البعض الذي حقه التقديم، وهذا من زيادة الناظم على التلخيص، ومثله في شرحه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ 25﴾[4]

قلتُ: ليس هذان المعمولان اللذان قدم الأحق بالتأخير منهما على الأحق بالتقديم، من معمولات الفعل، بل هما معمولا إنَّ .

قوله: والاختصاص بالنصب مفعول مقدم لقوله: حكوا .

وَقَـدْ يَجِـي عَـنْ مَصْـدَرٍ سِـوَاهُ ... لِنُكْتَـةٍ يُـدْرِكُ مَـنْ حَـوَاهُ[5]

يعنى أنه قد ينوب عن المصدر سواه أي غيره من مصدر آخر أو غيره، لأجل نكتة يدركها من حواه أي عرفه، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً 17﴾[6] فقوله: ﴿نَبَاتاً﴾ نائب عن مصدر من

(1) – سورة طه، الآية: 67

(2) – سورة طه، الآية: 70

(3) – عروس الأفراح للسبكي م س ج1 ص389

(4) – سورة الغاشية، الآية: 25

(5) – وللبيت رواية أخرى، هي:
وقد يجي عن مصدر سواه =لنكتة تدرك من فحواه

(6) – سورة نوح، الآية: 17

قوله: ﴿أَنۢبَتَكُم﴾ إذ مصدرها الحقيقي إنباتا، وفائدة ذلك التنبيه على تحتم القدرة وسرعة إنفاذها حتى كأن إنبات الله نفس النبات .

وَنُكْتَـــةُ التَّمْيِيـــزِ حِـــينَ حُـــوِّلا فَخَامَـةٌ مَـعَ الشُّـمُولِ وجَـلا[1]

يعنى أن نكتة التمييز المحول عن الفاعل والمحول عن المفعول، الفخامةُ أي التعظيم، مع الشمول، والجلا أيْ الوضوح والبيان .

مثالُ إفادةِ الأولِ للشمول والوضوحِ قولُه تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً﴾[2] فإنه أدل على شمول الاشتعال للرأس من " اشتعل شَيْبُ رَأسي "[137]

قال في المفتاح: " إذْ وزان اشتعل شيب رأسي، واشتعل رأسي شيبا، وزان اشتعل النار في بيتي، واشتعل بيتي نارا، والفرق ظاهر يشهد به كل ذي ذوق سليم، وأوضح أيضا في عموم الشيب للرأس من " اشتعل شيب رأسي "

ومثال إفادته للتعظيم: " طاب محمد نفسا " فإنه أدل على التعظيم من " طابت نفس محمد " أي في الأول بولغ في طيب النفس حتى أسند إلى جملة الذات، وفى الثاني أسند إلى جزء منها، وهو النفس .

ومثال إفادة الثاني للشمول والوضوح قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرض عُيُوناً﴾[3] فإنه أدل على شمول العيون للأرض من وفجرنا عيون الأرض، وأوضح أيضا في شمول العيون لكل الأرض، من وفجرنا عيون الأرض .

ومثال إفادته للتعظيم " أطاب الله محمدا نفسا " فإنه أدل على التعظيم من " أطاب الله نفس محمد " إذ في الأول بولغ في طيب النفس حتى أسند إلى جملة الذات، بخلاف الثاني .

الباب الخامس القصر:

(1) – في المطبوع: «عقود الجمان في علم المعاني والبيان» (ص50):
«فَخَامَةٌ تُدْرَكُ حِينَ يُجْتَلَى»

(2) – سورة مريم، الآية: 4

(3) – سورة القمر، الآية: 12

القصر في اللغة الحبس، قال بعضهم من قصرت الشيء على كذا إذا لم تتجاوز به إلى غيره، لا من قصرت الشيء حبسته، بدليل تعديته بعلى .

وفى الاصطلاح، قال السيد في شرح المفتاح: " جعل أحد طرفي النسبة في الكلام، سواء كانت إسنادية أو غيرها ـ مقصورا على الآخر بحيث لا يتجاوزه، إما على الإطلاق أو بالإضافة بطريق معهودة "

فكلا معنيي القصر حقيقة اصطلاحية، وإن كان إطلاق التخصيص على الإضافي مجازا لغويا، فقولك " اختص القيام بزيد " وزيد مقصور على القيام لا يسمى قصرا اصطلاحيا، قاله السيد " . [1]

قال في الإتقان: " أما الحصر ويقال له القصر فهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص، ويقال أيضا إثبات الحكم المذكور ونفيه عما عداه " . [2]

الباب الخامس القصر

فَالْقَصْرُ لِلْمَوْصُوفِ والْوَصْفِ اللَّذَا إِمَّا حَقِيقِيٌّ وإِمَّا غَيْرُ ذَا أَعَمُّ مَعْنًى .

يعنى أن القصر ينقسم إلى قسمين: حقيقي وغير حقيقي وهو الإضافي، أي هذا مقصور على هذا بحسب الإضافة إلى شيء آخر، بأن لا يتجاوزه إلى ذلك الشيء، وإن أمكن أن يتجاوزه إلى غيره، ولا ينافى هذا كون الحقيقي إضافيا ؛ لأن الإضافة فيه إلى جميع ما عدى المقصور عليه، والإضافي بالنسبة إلى معين، فقولنا: وإن أمكن إلخ، إشارة إلى أنه قد لا يمكن، فإذا اعتبر التخصيص بالنسبة إلى جميع الصفات الباقية، سواء وجد الجميع أو لم يوجد منه شيء، فهو حقيقي، أو إلى بعضها فهو إضافي، وإن لم يوجد إلا ذلك البعض، قاله ياسين .

قوله: فالقصر إلخ، يعنى أن القصر حقيقيا كان أو إضافيا له نوعان: قصر الموصوف على الصفة، وقصر الصفة على الموصوف، فقصر الموصوف على الصفة، لا يمتنع فيه أن يشاركه غيره في الصفة ؛ لأن معناه أن هذا الموصوف ليس له غير تلك الصفة، ويجوز أن تكون تلك الصفة حاصلة

(1) – الفقرات الثلاث من فيض الفتاح م س. ج1 ص195

(2) – الإتقان للسيوطي م س ج3 ص166.

لموصوف آخر، وقصر الصفة على الموصوف تمنع فيه تلك المشاركة ؛ لأن معناه ليست تلك الصفة، إلا لذلك الموصوف، ويجوز أن يكون لذلك الموصوف صفة أخرى، أو صفات، والمراد بالوصف[138] هنا الصفة المعنوية، وهي معنى قائم بالغير، وهي أعم من النعت النحوي .

وتقرير كلامه: القصر على قسمين، إما حقيقي، وإما غير ذا، أي غير حقيقي، وهو الإضافي، فالقصر المذكور بقسميه، كائن للموصوف على الوصف، أو الوصف الذي هو أعم من النعت النحوي من جهة المعنى على الموصوف .

قوله: فالقصر مبتدأ خبره قوله للموصوف، وقوله اللذا لغة في الذي .

أَوَّلُ الْحَقِيقِي يعنى أن أول قسمي القصر الحقيقي وهو قصر الموصوف على الصفة حقيقيا، **كَ**قولك: **إِنَّمَا مُحَمَّدٌ صَدِيقِي** أي ما محمد إلا صديقي، **أَيْ مَا لَهُ وصْفٌ سِوَاهُ،** أي سوى هذا الوصف، الذي هو الصداقة، **يُورَدُ** .. **وهُوَ**أي هذا القصر أي قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا، **عَزِيزٌ لا يَكَادُ يُوجَدُ،** لتعذر الإحاطة بصفات الشيء، حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداه بالكلية، ولذا لم يقع في التنزيل، بل هو محال ؛ لأن للصفة المنفية نقيضا، وهو لا يمكن نفيه ضرورة امتناع رفع النقيضين، مثلا إذا قلنا: " ما زيد إلا كاتب " وأردنا أنه لا يتصف بغيرها، لزم أن لا يتصف بالقيام ولا بنقيضه، وهو محال، كذا للسعد في شرحيه .

قال في المطول: " اللهم إلا أن يراد الصفات الوجودية، وفيه كما قال الفنري بحث، إذ من الصفات الوجودية ما يستلزم نقيض إحداها عين الأخرى، كحركة جسم وسكونه، فيلزم من ذلك المحال قطعا " . [1]

واعترض بعضهم على السيد، بأن دليله لا يجرى في جميع أفراد النوع المذكور من القصر، بل هو متخلف فيما إذا قصر الموصوف على صفة سلبية، كما إذا قيل: " ما زيد إلا ليس بكاتب " فالمحال غير لازم، ودليله على ارتفاع النقيضين متخلف، وذلك أن مفاد الحصر في المثال إثبات عدم الكتابة

(1) - . مطول السعد م س، ج2 ص158.

لزيد، ونفي ما عداها بالكلية عنه، وما عدى عدم الكتابة منحصر في الكتابة، قاله في فيض الفتاح .[1]

وَالثَّانِ مِنْهُ غَالِبٌ يعنى أن الثاني من قسمي القصر الحقيقي، وهو قصر الصفة على الموصوف غالب، أي كثير، كقولك: **كَلَيْسَ فِي .. ذِي الدَّارِ إِلاَّ ذَا**، وقولك: " ما كاتب إلا زيد " فالاستقرار في الدار مقصور على المشار إليه في مثال الناظم قصرا حقيقيا، وكذا الكتابة في المثال الثاني، فإنها مقصورة أيضا على زيد قصرا حقيقيا، أي لا تتعداه إلى غيره .

وَرُبَّمَا يَفِي،

مُبَالِغًـــا إِذْ غَـــيْرُهُ مَـــا اعْتُـــدَّ بِـــهْ

يعنى أن القصر الحقيقي، قد يفي، أي يجيء على سبيل المبالغة والادعاء، لأجل عدم الاعتداد بغير المذكور، لإرادة مدح، أو بيان نهاية كمال، سواء كان في قصر الصفة على الموصوف، نحو " ما جواد إلا حاتم " نزل غير حاتم منزلة العدم، وإن كان الوصف الذي هو الجود حاصلا له، لكنه لم يعتد به، فهو عنده كالعدم، وذلك في مقام تنقص جود غير حاتم، أو تفخيم جود حاتم، أو كان في قصر الموصوف على الصفة، نحو " ما حاتم إلا جواد " نزل غير صفة الجود من حاتم منزلة العدم، وإن كان حاصلا له أيضا مبالغة في مدح جوده، أو تنقيصا لغيره من الصفات، فما في المثالين قصر حقيقي ادعائي .

والفرق بين الحقيقي الادعائي [139]والإضافي أن قصر الموصوف على الصفة مثلا، إذا كان حقيقيا ادعائيا اعتبر في مفهومه سلب سائر الصفات، ولا يشترط فيه اعتقاد المخاطب أحد الأمور المعتبرة في قصر القلب والإفراد والتعيين، وذلك السلب يقتضي عدم الاعتداد بسائر الصفات، وإذا كان غير حقيقي اعتبر فيه سلب بعض ما عدى تلك الصفة عنه، ويشترط فيه اعتقاد المخاطب أحد الأمور المعتبرة في الإضافي، وليس فيه عدم الاعتداد بسائر الصفات، ويشتركان معا في جواز اتصاف الموصوف بصفات مغايرة للصفة التي قصر الموصوف عليها، قاله السيد في حواشيه على المطول .[2]

(1) - فيض الفتاح م س. ج1 ص197

(2) - فيض الفتاح م س. ج1 ص198

تنبيـــه

اعلم أن القصر الحقيقي ادعائيا كان أم لا، لا يكون لرد اعتقاد المخاطب، فقصر الإفراد والقلب والتعيين لا تجرى في الحقيقي، إذ العاقل لا يعتقد اتصاف موصوف بجميع الصفات، ولا بجميعها غير صفة واحدة، ولا يتردد بين ذلك، كيف وفيها ما هي متقابلات، وكذا قصرها على هذا المنوال، أما ترى أن القصر في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ليس واحدا من الثلاثة ؛ لأن المخاطب بإياك هو الله تعالى .

قوله: مبالغا بفتح اللام مفعول له عامله قوله يفي، أو حال من ضمير يفي، وهو مصدر ميمي من غير الثلاثي على زنة المفعول، وقوله إذ حرف تعليل، وقوله غيره مبتدأ وما في قوله ما اعتد به نافية، واعتد مبني للنائب، نائبه المجرور بعده، والجملة خبر المبتدأ والرابط بين المبتدأ والخبر الضمير المجرور بالباء .

وَأَوَّلُ الْمَجَازِ خُذْ لا يَشْتَبِهْ هذا هو القسم الثاني من قسمي القصر، يعنى أن القسم الأول من قسمي القصر المجازي، وهو القصر الإضافي، خذ أيها السامع ما يقال لك فيه، لا يشتبه أي لا يلتبس على أحد، وهو الذي يكون لرد السامع، إما عن الخطأ إلى الصواب، أو عن الشك إلى الاعتقادكما في قصر التعيين .

وفى المطول أنه لرد السامع عن الخطأ إلى الصواب مطلقا، وبيانه في التعيين أن الصواب كون الاعتقاد لأحد الأمرين، والخطأ تجويز كل منهما على التساوي .

قلت: وهذا القول حسن جدا .

قوله: وأول مبتدأ خبره جملة لا يشتبه، وجملة خذ اعتراضية .

تَخْصِيصُ أَمْرٍ صِفَةً دُونَ صِفَهْ ... أَوْ وضِعَتْ عَنْهَا . .

تخصيص خبر مبتدأ محذوف ضمير عائد إلى قوله وأول المجاز، أي وهو أي أول قسمي القصر المجازي، تخصيص أمر بصفة دون صفة، أو تخصيصه بصفة وضعت عن صفة، أي بدل صفة، وهو قصر الموصوف على الصفة .

قوله: صفة بالنصب منصوب بنزع الخافض الذي هو الباء، وعن في قوله أو وضعت عنها بمعنى

بدل، **وَثَانِي ذُو الصِّفَهْ** يعنى أن الثاني من قسمي القصر المجازي أي الإضافي هو القصر ذو الصفة أي المنسوب إلى الصفة، أي هو قصر الصفة على الموصوف .

تَخْصِيصُكَ الْوَصْفَ بِأَمْرٍ دُونَ مَا ... سِوَاهُ أَوْ مَكَانَ ذَاكَ .

يعنى أن الثاني من قسمي القصر المجازي، وهو قصر الصفة على الموصوف، هو تخصيصك أيها المتكلم الوصف بأمر دون غيره، أي قصرك الوصف [140] على أمر دون غيره، أو تخصيصك الوصف بأمر مكان أمر، وهذا هو معنى قوله أو مكان ذاك، أي مكان أمر، فالمشار إليه الأمر .

قوله: تخصيصك خبر مبتدأ محذوف عائد إلى الثاني من قسمي القصر المجازي، وقوله الوصف بالنصب مفعول للمصدر المضاف إلى فاعله، وهو تخصيصك، وما في قوله دون ما سواه زائدة .

فَهُمَا، ضَرْبَانِ يعنى أن كلا من قسمي القصر المجازي أي الإضافي ضربان أي نوعان ؛ لأن الأول الذي هو قصر الموصوف على الصفة، إما أن يكون تخصيص أمر بصفة دون صفة، أو تخصيصه بصفة مكان صفة، والثاني الذي هو قصر الصفة على الموصوف، إما أن يكون تخصيص صفة بأمر دون أمر أو تخصيصها بأمر مكان أمر .

. . فَالخِطَابُ بِالأَوَّلِ مِنْ ... ضَرْبَيْهِمَا كَمَنْ لِشِرْكَةٍ يَظُنّ
فَقَصْرُ إِفْرَادٍ لِقَطْعِ الشِّرْكَةِ ... والثَّانِ مَنْ يَعْتَقِدُ الْعَكْسَ الَّتِي

يعنى أن الخطاب بالضرب الأول من ضربي[141] كل من قسمي القصر المجازي، وهو تخصيص أمر بصفة دون صفة، أو تخصيص صفة بأمر دون أمر، كائن لمن لشركة يظن، أي لمن يعتقد شركة الصفتين في الموصوف، أو الموصوفين في الصفة، كقولك لمن يعتقد شركة صفتي الكتابة والشعر في زيد: " ما زيد إلا شاعر " أو " إنما زيد شاعر " وقولك لمن يعتقد شركة زيد وعمرو في صفة الشعر " ما شاعر إلا زيد " أو " إنما شاعر زيد "

قوله: فقصر إفراد إلخ، يعنى أن الضرب الأول من كل من قسمي القصر المجازي، الذي يخاطب به من يعتقد شركة صفتين في موصوف واحد، أو شركة موصوفين في صفة واحدة، يسمى ذلك الضرب قصر إفراد، لأجل قطع الشركة التي كان المخاطب يعتقدها، وإنما سمي قصر إفراد، لأنك أفردت الموصوف بإحدى الصفتين اللتين كان المخاطب يعتقد شركتهما فيه، أو أفردت الصفة بأحد

الموصوفين اللذين كان المخاطب يعتقد شركتهما فيها .

قوله: فالخطاب مبتدأ خبره قوله لمن لشركة يظن، واللام في قوله لشركة زائدة، لتقوية العامل بضعفه بالتأخير، وقوله فقصر إفراد خبر مبتدأ محذوف، أي فهو قصر إفراد، والفاء تفريعية .

وَالثَّانِ مَنْ يَعْتَقِدُ الْعَكْسَ الَّتِي يعنى أن الخطاب بالثاني من كل من قسمي القصر المجازي، كائن لمن يعتقد العكس للحكم، الذي أثبته المتكلم، ولو في اعتقاد المتكلم، بأن كان يعتقد اتصاف زيد بالشعر دون الكتابة، فيقول له المتكلم " ما زيد إلا كاتب " أو " إنما زيد كاتب " أو يعتقد اتصاف زيد بالشعر مثلا دون عمرو، فيقول له المتكلم " ما شاعر إلا عمرو " أو " إنما شاعر عمرو "

وتقرير الكلام: والخطاب بالضرب الثاني من كل من قسمي القصر المجازي، كائن لمن يعتقد العكس للحكم، الذي أثبته المتكلم، وهو المشار إليه بقوله التي، وإنما أشار إليه بإشارة المؤنث باعتبار النسبة ؛ لأن الحكم والنسبة مترادفان، واللام في قوله التي زائدة لتقوية العامل الذي هو قوله العكس، لضعفه بالفرعية .

فَقَصْرُ قَلْبٍ أي فهو قصر قلب، يعنى أن الضرب الثاني من كل من قسمي القصر المجازي يسمى قصر قلب، وإنما سمي بذلك لقلب حكم المخاطب الذي كان يعتقد .

. . **أَوْ تَسَاوَيَا لَدَى مُخَاطَبٍ فَقَصْرُ تَعْيِينٍ بَدَا**

يعنى أنه إذا تساوى الأمران عند المخاطب أعني الاتصاف بالصفة المذكورة، وغيرها في قصر الموصوف، أو اتصاف الأمر وغيره بالصفة في قصرها عليه، فقصر أحد الموصوفين على إحدى تلك الصفات دون الأخرى، أو قصر إحدى تلك الصفات على أحد الموصوفين دون الآخر، يسمى قصر تعيين، كقولك لمن يعتقد اتصاف زيد بالقيام أو القعود من غير علم بالتعيين " ما زيد إلا قائم " ولمن يعتقد أن الشاعر زيد أو عمرو من غير تعيين " ما شاعر إلا زيد "

فالحاصل أن القصر الإضافي ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- قصر القلب، وهو: أن يعتقد المخاطب عكس الحكم الذي أثبته المتكلم .
- وقصر الإفراد، وهو: أن يعتقد المخاطب شركة موصوفين في صفة، أو شركة صفتين في موصوف .

ـ وقصر التعيين، وهو: أن يعتقد المخاطب اتصاف موصوف بإحدى صفتين معينتين من غير علم بتعيين الصفة المتصف بها، أو اتصاف أحد موصوفين معينين بصفة من غير علم بتعيين من هي له .

قوله: فقصرَ بالنصب حال من فاعل بدا، أي بدا ذلك القصر، حال كونه قصر تعيين، هذا هو مذهب صاحب التلخيص، [1] وأما مذهب السكاكي[2] فالتعيين من أفراد قصر الإفراد لا قسيم له ؛ لأن الإفراد عنده عبارة عن قطع الشركة، كانت بطريق الاحتمال، أو الاعتقاد، وعند صاحب التلخيص قطع الشركة الاعتقادية، ولا يتناول التعيين، لأنه قطع الشركة الاحتمالية، لاشتراك الصفتين، أو الموصوفين، في أن كلا منهما يحتمل أن يكون ثابتا بدل الآخر، قاله في فيض الفتاح . [3]

تنبيـــه

قال في فيض الفتاح: اعلم أن التردد قد يكون في صفة واحدة، أو في موصوف واحد، كما إذا علم المخاطب أن زيدا موصوف بالشاعرية، وتردد في كونه منجما، أو علم أن الشعر صفة زيد، وتردد في كونه صفة عمرو، فإذا قلت " ما زيد إلا شاعر " أو " ما شاعر إلا زيد " كان قصر تعيين، لأنه قطع التردد، واعلم أن التردد الذي يقصد قطعه بالقصر قد يكون ترددا يزعمه المخاطب في المتكلم، فيقطعه المتكلم عن نفسه، وسيجيء مثاله في قوله تعالى في قصة رسل عيسى عليه السلام ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾[4] وأن قصر القلب قد يكون بين صفتين إحداهما ثابتة بين المتكلم والمخاطب، وإنما النزاع في الأخرى، وسيجيء مثاله في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ﴾[5] نقل هذا كله الشيخ ياسين عن بعض المحققين . [6]

وَالشَّـرْطُ فِي الْمَوْصُـوفِ إِذْ مَـا يُفْـرَدُ ... أَنْ لا تَنَـافِيْ فِي الصِّـفَاتِ يُوجَـدُ

(1) – . الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، م س، ج3 ص16.

(2) – . مفتاح العلوم للسكاكي، م س، ص166.

(3) – فيض الفتاح م س. ج1 ص200

(4) – سورة إبراهيم، الآية: 10

(5) – سورة آل عمران، الآية: 144

(6) – فيض الفتاح م س. ج1 ص200

يعنى أنه يشترط في قصر الموصوف على الصفة إفرادا، أن لا يوجد تناف في الوصفين، ليصح اعتقاد المخاطب اجتماعهما في الموصوف، حتى يكون المنفي في قولنا: " ما زيد إلا شاعر " كونه كاتبا أو منجما ؛ لأن كونه مفحما على وزن مكرم، [142] أي عييا لا يقدر أن يقول الشعر، إذ يكفي في نفي ذلك أن يقول " زيد شاعر ".

قال في فيض الفتاح: " وكذا يشترط في قصرها عليه إفرادا عدم تنافي الاتصافين، إذ لو كان الوصف لا يصح قيامه بمحلين لم يتأت اعتقاد المخاطب ثبوته لموصوفين، نحو قولك: " لا أب لزيد إلا عمرو " ونحو " ما أفضل البلد إلا زيد " لأنه لا يجتمع الموصوفان في وصف الأبوة، إذا لم يرد الأب الأعلى ولا في وصف الأفضلية، فلا يتأتى فيهما قصر الإفراد، بخلاف قولك: " لا جواد إلا حاتم " في قصر الإفراد فيصح ؛ لأن الجود يمكن أن يتصف به اثنان " قاله ياسين . (1)

قوله: والشرط في الموصوف مبتدأ خبره قوله أن لا تناف إلخ، وما في قوله إذ ما يفرد زائدة .

وَالْقَلْبُ أَنْ يُوجَدَ يعنى أنه يشترط في قصر الموصوف على الصفة قصر قلب، إن يوجد التنافي بين الوصفين، حتى يكون المنفي في قولنا: " ما زيد إلا قائم " كونه قاعدا أو مضطجعا أو نحو ذلك مما ينافي القيام .

قلت: ولقد أحسن صاحب المفتاح حيث لم يشترط التنافي بين الوصفين في قصر القلب، حيث مثل له بقوله: " ما زيد إلا شاعر " خطابا لمن يعتقد اتصاف زيد بالكتابة دون الشعر مع عدم تنافي الشعر والكتابة، والناظم تبع ما في التلخيص من اشتراط هذا الشرط المنتقد عليه بما يطول جلبه، فانظره في المطول . (2)

وَالتَّعْيِينُ عَمّْ يعنى أن قصر التعيين أعم من أن يكون الوصفان فيه متنافيين أم لا، فكل مثال يصلح لقصر الإفراد والقلب يصلح لقصر التعيين من غير عكس .

قوله: والتعيين عم إما أن يكون أفعل تفضيل حذفت منه الهمزة أي أعم، كقوله: " وأحب شيء

---

(1) - فيض الفتاح م س. ج1 ص200

(2) - . مطول السعد، م س، ج2 ص264.

على الإنسان ما منعا " أو فعلا ماضيا أي عم الأمرين على حد قول ابن مالك: " والقول عم "[1]

وطُـــرُقُ الْقَصْــرِ كَثِـــيرَةٌ تَضُـــمُّ

يعنى أن طرق القصر كثيرة تضم أي يُضم بعضها إلى بعض في النظم .

كَـــالْعَطْفِ زَيْـــدٌ قَـــائِمٌ لا قَاعِـــدُ ۞ ولَـيْسَ عَمْـرٌو شَـاعِرًا بَـلْ حَامِـدُ

يعنى أن الأول من طرق القصر العطف بلا أو بل، كقولك في قصر الموصوف على الصفة قلبا " زيد قائم لا قاعد " و" ما زيد قائما بل قاعد " وفى قصره عليها إفرادا " زيد كاتب لا شاعر " و" ما زيد شاعرا بل كاتب " وفى قصر الصفة على الموصوف إفرادا أو قلبا بحسب المقام، نحو " شاعر زيد لا عمرو " و" ليس عمرو شاعرا بل جامد " فأتى الناظم في النظم بمثالين أحدهما لقصر الموصوف على الصفة بلا، والثاني لقصر الصفة على الموصوف ببل .

قال في الإتقان: " الرَّابِعُ: الْعَطْفُ بِلَا أَوْ بَلْ ذَكَرَهُ أَهْلُ الْبَيَانِ، ولَمْ يَحْكُوا فِيهِ خلافا، ونازع فِيهِ الشَّيْخُ بَهَاءُ الدِّينِ فِي عَرُوسِ الْأَفْرَاحِ، فَقَالَ أَيُّ قَصْرٍ فِي الْعَطْفِ بِلَا إِنَّمَا فِيهِ نَفْيٌ وإِثْبَاتٌ، فَقَوْلُكَ زَيْدٌ شَاعِرٌ لَا كَاتِبٌ، لَا تَعَرُّضَ فِيهِ لِنَفْيِ صِفَةٍ ثَالِثَةٍ، والْقَصْرُ إِنَّمَا يَكُونُ بِنَفْيِ جَمِيعِ الصِّفَاتِ غَيْرِ الْمُثْبَتِ حَقِيقَةً أَوْ مَجَازًا، ولَيْسَ هُوَ خَاصًّا بِنَفْيِ الصِّفَةِ الَّتِي يَعْتَقِدُهَا الْمُخَاطَبُ، وأَمَّا الْعَطْفُ بِبَلْ فَأَبْعَدُ مِنْهُ لِأَنَّهُ[143] لَا يَسْتَمِرُّ فِيهَا النَّفْيُ والْإِثْبَاتُ " .[2]

قال في فيض الفتاح: " وتقديم العطف على غيره ؛ لأن الإثبات والنفي فيه مصرح بهما، بخلاف غيره، فإن النفي فيه ضمني، ثم النفي والاستثناء أصرح من إنما، وأخر التقديم عن الجميع ؛ لأن دلالته على النفي أي على نفي الحكم عن غير المذكور ذوقية لا وضعية " قاله الفنري .

وَالنَّفْـــيِ مَـــعْ إِلَّا كَمَـــا مُحَمَّـــدُ ۞ إِلَّا رَسُـــولٌ مَـــا الحِمَـــى إِلَّا الْيَـــدُ

يعنى أن من طرق القصر النفي مع إلا، أي النفي مع الاستثناء، لا الاستثناء مطلقا، إذ الاستثناء من الإيجاب ليس القصد فيه إلى الحصر، بل إلى تصحيح الحكم الإيجابي، فهو بمنزلة تقييد طرف

---

(1) - «ألفية ابن مالك» ص9 ط التعاون

واحـــده كلمـــة والقـــول عـــم ۞ وكلمـــة بهـــا كـــلام قـــد يـــؤم

(2) - «الإتقان في علوم القرآن» ج3 ص170م س

الحكم، فكما أن " جاءني الرجال العلماء " ليس قصرا، كذلك " جاءني الرجال إلا الجهال " ليس قصرا، بخلاف الاستثناء من النفي، فإن المقصود من نحو " ما جاءني إلا زيد " قصر الحكم على زيد، لا تحصيل الحكم، وإلا " لقيل جاءني زيد " كقولك في قصر الموصوف على الصفة ﴿**مُحَمَّدٌ إلاّ رَسُولٌ**﴾ و" ما زيد إلا شاعر " وفي قصرها عليه ما الحمى إلا اليد، و" ما شاعر إلا زيد " والكل يصلح مثالا للقلب وغيره، والتفاوت إنما هو بحسب اعتقاد المخاطب .

قلتُ: لا نسلم كون الاستثناء من الإيجاب لا يفيد الحصر، بل يفيده ؛ لأن قولك: " قام القوم إلا زيدا " يفيد قصر الحكم الذي هو القيام على القوم المعهودين دون واحد منهم هو زيد، فهو من القصر الإضافي المصرح فيه بالإثبات والنفي، أو يقال إن قولك: " قام القوم إلا زيدا " يفيد قصر الحكم الذي هو عدم القيام على زيد دون باقي القوم المعهودين .

وَإِنَّمَـــا ومَـــا أَصَـــابَ الجَاحِـــدُ ... كَأَنَّمَـــا اللهُ إِلَـــهٌ واحِـــدُ

يعنى أن من طرق القصر إنما كقولك في قصر الموصوف على الصفة " إنما زيد كاتب "[144] و" إنما الله إله واحد " وفي قصرها عليه " إنما كاتب زيد " والكل يصلح مثالا للقلب وغيره، والتفاوت إنما هو بحسب اعتقاد المخاطب، وإنما كان إنما للقصر لتضمنه معنى ما وإلا قوله: وما أصاب الجاحد، يعنى أن من جحد كون إنما للقصر لم يصب، بل أخطأ، فهو حقيق بأن ترد مقالته، ومن الجاحدين له الآمدي وأبو حيان وأبو حنيفة، فلا تفيد عندهم القصر ؛ لأنها إن المؤكدة وما الزائدة الكافة، فلا تفيد النفي المشتمل عليه الحصر، أي لا تفيد نفي الحكم عن غير المذكور المشتمل عليه القصر، وعلى ذلك حديث مسلم ((**إِنَّمَا الرِّبَا فِي النَّسِيئَةِ**)) (1) إذ ربا الفضل ثابت إجماعا، وتَقَدُّمُ الخلاف من ابن عباس وغيره قبل الإجماع لا يضر، ويرد قول من قال إنها لا تجي للحصر بصحة انفصال الضمير معها، نحو " إنما يقوم أنا " كما تقول: " لا يقوم إلا أنا " إذ تقرر في النحو

أنه لا يصح الانفصال إلا إذا تعذر الاتصال، ووجوه التعذر هنا منتفية، غير أن يقدر فيه الفصل

(1) – صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب بيع الطعام مثلا بمثل، حديث رقم 1596، ج 3 ص 1218.

لغرض، وهو أن يكون المعنى ما يقوم إلا أنا .

قال الفرزدق:

أَنَا الذائدُ الحامي الذِّمارَ، وإنَّما … يُدافِعُ عَنْ أحسابِهِم أنا أوْ مِثْلِي[1]

ويرده أيضا أن الذوق السليم أن معنى " إنما قام زيد " ما قام إلا زيد، ويرده أيضا ما ذكره علماء التفسير في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾[2] بالنصب، من أن معناه ما حرم عليكم إلا الميتة، ويرده أيضا قول النحاة: " إنما لإثبات ما يذكر بعدها ونفي ما سواه، إما في قصره، فنحو " إنما زيد قائم " فهو لإثبات القيام لزيد ونفي ما سواه من القعود ونحوه، وإما في قصرها فنحو " إنما قائم زيد " فهي لإثبات قيام زيد ونفي ما سواه من قيام عمرو وبكر ونحوهما" .

تنبيهان:

الأول، قال في فيض الفتاح: استدل ابن دقيق العيد وغيره من أئمة الأصول على إفادة إنما للحصر بأن ابن عباس فهِمَهُ مِنْ حديث ((إِنَّمَا الرِّبَا فِي النَّسِيئَةِ)) [3] ولم يعارض في فهمه الحصر، بل عورض بحديث أبي سعيد وهو نص في تحريم ربا الفضل، وقد حاول الشافعي الجمع بين الحديثين بجعل الحصر خاصا، فقال يحتمل أن النبي ﷺ سئل عن الربا في صنفين مختلفين ذهب بورق أو تمر بحنطة، فقال: ((إِنَّمَا الرِّبَا فِي النَّسِيئَةِ)) فأداه الراوي ولم يؤد المسألة .

قال ابن أبي شريف في حواشيه على المحلى: وهذا من الشافعي تسليم لإفادة الحصر، وحمل على أنه حصر إضافي لا حقيقي .

الثاني: قال فيه أيضا انفصال الضمير بعد " إنما" فيه ثلاثة أقوال .

قال سيبويه: لا يجوز إلا للضرورة، وقال الزجاج يجوز الفصل والوصل، وقال ابن مالك يجب

---

(1) - . البيت من الطويل، وهو للفرزدق في ديوانه ج2 ص153. انظر المفصل في شواهد العربية، للدكتور إميل بديع يعقوب، ج6 ص468، ط1 1417 هـ، دار الكتب العلمية.

(2) - سورة البقرة، الآية: 173

(3) - صحيح مسلم ت ع الباقي، ج3 ص 1218 رقم الحديث 1596 م س.

الفصل، ونقض أبو حيان قول ابن مالك بآيات كثيرة منها: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1]، ليس بصواب ؛ لأن الفاعل في الآية ليس مقصورا عليه، بل المراد أن شكايته الحزن مقصورة على الله لا تتجاوزه إلى غيره، فلقد أصاب صاحب عروس الأفراح حيث قال: " لسان حال ابن مالك يتلو ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ مع أن ابن مالك لم ينفرد به، ولقد بناه على قاعدتين إحداهما: أن إنما للحصر وهو الذي عليه الأكثر، والثانية أن المقصور عليه فيها هو الأخير لفظا، وهو الذي أجمع عليه البيانيون، وعليه غالب الاستعمال، وإذا ثبت هذا صح ما عداه، لأنك لو قلت: " إنما قمت " كان معناه لم يقع إلا القيام، ولو أردت به " ما قام إلا أنا " لم يفهم ذلك، إلا إذا قلت " إنما قام أنا " كما تقول: " ما قام إلا أنا "[2]

قال ياسين: وبهذا يعلم أنه لا يرد على ابن مالك ما ذكره أبو حيان من الآيات ؛ لأنها لم يقصد فيها كون الفاعل مقصورا عليه، بل المقصور عليه هو الأخير، وقول سيبويه بناه على أنها ليست للحصر، وقول الزجاج بناه على أنه ليس من شرط المقصور عليه أن يكون هو الأخير، بل يجوز أن يفصل ليكون قرينة على كون الفاعل مقصورا عليه، وأن يتصل ويراد ذلك بقرينة بينة، فمن خالف ابن مالك في المسألة، فلم يخالفه في الحكم، وإنما خالفه فيما يبنى عليه من القاعدتين . " انتهى كلام صاحب فيض الفتاح .[3]

قال في الإتقان: " إِنَّمَا الْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهَا لِلْحَصْرِ، فَقِيلَ بِالْمَنْطُوقِ، وقِيلَ بِالْمَفْهُومِ، وأَنْكَرَ قَوْمٌ إفادتها إياه مِنْهُمْ أَبُو حَيَّانَ واسْتَدَلَّ مُثْبِتُوهُ بِأُمُورٍ:

مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ﴾[4] بِالنَّصْبِ، فَإِنَّ مَعْنَاهُ " مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا الْمِيتَةَ" لِأَنَّهُ الْمُطَابِقُ فِي الْمَعْنَى لِقِرَاءَةِ الرَّفْعِ، فَإِنَّهَا لِلْقَصْرِ، فَكَذَا قِرَاءَةُ النَّصْبِ، والْأَصْلُ اسْتِوَاءُ مَعْنَى الْقِرَاءَتَيْنِ . وَمِنْهَا أَنَّ " إن" للإثبات و" ما" لِلنَّفْيِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَحْصُلَ الْقَصْرُ لِلْجَمْعِ بَيْنَ النَّفْيِ والْإِثْبَاتِ، لَكِنْ

(1) – سورة يوسف، الآية: 86

(2) – عروس الأفراح م س ج1 ص404

(3) – فيض الفتاح م س ص 204

(4) – سورة البقرة، الآية: 173

تُعُقِّبَ بِأَنَّ " مَا" زَائِدَةً كَافَّةً لَا نَافِيَةً، ومِنْهَا أَنَّ إِنَّ لِلتَّأْكِيدِ، ومَا كَذَلِكَ، فاجتمع تأكيدان، فأفادا الْحَصْرَ[145] قَالَهُ السَّكَّاكِي .

وتُعُقِّبَ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ اجْتِمَاعُ تَأْكِيدَيْنِ يُفِيدُ الحصر لأفاده، نحو " إن زيدا لقائم " وأجيب بأن مراده لا يجتمع حرفا تأكيد متواليان إلا للحصر، ومنها قوله تعالى: ﴿قُلِ إنمّا اُلْعِلْمُ عِندَ اَ۬للَّهِ﴾[1] ﴿قَالَ إِنَّمَا يَاتِيكُم بِهِ اِ۬للَّهُ﴾[2] ﴿قُلِ إنمّا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّيۖ﴾[3] فإن إنما تحصل مطابقة الجواب إذا كانت إنما للحصر، ليكون معناها لا يأتيكم به، إنما يأتيكم به الله، ولا أعلمها إنما يعلمها الله، وكذا قوله: ﴿وَلَمَنِ إِنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍۖ 38 ۞اِنَّمَا اَ۬لسَّبِيلُ عَلَى اَ۬لذِينَ يَظْلِمُونَ اَ۬لنَّاسَ﴾[4] ﴿مَا عَلَى اَ۬لْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۖ واللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌۖ 92 ولاَ عَلَى اَ۬لذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ اَ۬لدَّمْعِ حَزَناً اِلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَۖ 93 ۞إِنَّمَا اَ۬لسَّبِيلُ عَلَى اَ۬لذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمُۥٓ أَغْنِيَآءُۖ﴾[5] ﴿وَإِذَا لَمْ تَاتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلاَ اَ۪جْتَبَيْتَهَاۖ قُلِ اِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحِيٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۖ﴾[6] ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ اَ۬لْبَلَٰغُ﴾[7] إذ لا يستقيم المعنى في هذه الآيات ونحوها إلا بالحصر . "[8]

كَذَا إِذَا قَدَّمْتَهُ نَحْوُ بِنَا مَرَّ وفِي الوَصْفِ تَمِيمِيٌّ أَنَا

أي كإنما والنفي والاستثناء والعطف في إفادة الحصر، تقديمُ ما حقُّه التأخيرُ وهو الطريق الرابع من طرق الحصر، كتقديم الخبر على المبتدأ والمعمولات على الفعل .

مثال الأول في الموصوف " تميمي أنا " أي لا قيسي .

ومثال الثاني في الوصف " بنا مر " مثال الناظم أي لا بغيرنا، وقد تقدم بسط الكلام عليه في باب

(1) – الملك، الآية: 26

(2) – هود، الآية: 33

(3) – الأعراف، الآية: 187

(4) – الشورى، الآية: 42.41

(5) – التوبة، الآية: 93.91

(6) – سورة الأعراف، الآية: 203

(7) – سورة النحل، الآية: 82

(8) – الإتقان م س ج3 ص179.178

تعلقات الفعل .

قُلْتُ وقِيلَ أَنَّ بِالفَتْحِ ومَا كَأَنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص، وقيل إلخ أي قال بعض البيانيين: من طرق الحصر أن بالفتح، وما كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[1] أي ما يوحى إلي إلا ما إلهكم إلا إله واحد .

قال في الإتقان: " الثَّالِثُ: أَنَّمَا بِالْفَتْحِ، عَدَّهَا مِنْ طُرُقِ الْحَصْرِ الزَّمَخْشَرِيُّ والْبَيْضَاوِيُّ، فَقَالَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[2] إِنَّمَا لِقَصْرِ الْحُكْمِ عَلَى شَيْءٍ، أَوْ لِقَصْرِ الشَّيْءِ عَلَى حُكْمٍ، نَحْوُ " إِنَّمَا زَيْدٌ قَائِمٌ" وإنما يَقُومُ زَيْدٌ، وقَدِ اجْتَمَعَ الْأَمْرَانِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ؛ لأن " إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ" مَعَ فَاعِلِهِ بِمَنْزِلَةِ إِنَّمَا يَقُومُ زَيْدٌ، و" أَنَّمَا إِلَهُكُمْ" بِمَنْزِلَةِ إِنَّمَا زِيدٌ قَائِمٌ، وفَائِدَةُ اجْتِمَاعِهِمَا الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ الْوَحْيَ إِلَى الرَّسُولِ الله ﷺ مَقْصُورٌ عَلَى اسْتِئْثَارِ اللهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ .

وَصَرَّحَ التَّنُوخِيُّ فِي الْأَقْصَى الْقَرِيبِ بِكَوْنِهَا لِلْحَصْرِ، فَقَالَ كُلَّمَا أَوْجَبَ أَنَّ " إِنَّمَا" بالكسر للحصر، أَوْجَبَ أَنَّ " إِنَّمَا" بِالْفَتْحِ لِلْحَصْرِ ؛ لأنها فَرْعٌ عَنْهَا، ومَا ثَبَتَ لِلْأَصْلِ ثَبَتَ لِلْفَرْعِ، مَا لَمْ يَثْبُتْ مَانِعٌ مِنْهُ، والْأَصْلُ عَدَمُهُ، ورَدَّ أَبُو حَيَّانَ عَلَى الزَّمَخْشَرِيِّ مَا زَعَمَهُ، بِأَنَّهُ يَلْزَمُهُ انْحِصَارُ الْوَحْيِ فِي الْوَحْدَانِيَّةِ، وأُجِيبُ بِأَنَّهُ حَصْرٌ مَجَازِيٌّ بِاعْتِبَارِ الْمَقَامِ .[3] "

وَسَبْقُ[4] مُسْنَدٍ إِلَيْهِ وكَذَا تَعْرِيفُهُ ومُسْنَدٍ وغَيْرُ ذَا

يعنى أن من طرق الحصر سبق المسند إليه أي تقديمه، نحو " أنا سعيت في حاجتك" و" رجل جاءني "

وكذا تعريفه ومسند، أي وكتقديمه في إفادة الحصر، تعريفه أي المسند إليه والمسند، أي مع تعريف المسند أي تعريفهما معا، فالواو في قوله ومسند بمعنى مع، نحو " زيد المنطلق " وتقدم بسط

(1) - سورة الأنبياء، الآية: 108

(2) - [الأنبياء: 108]

(3) - الإتقان في علوم القرآن للسيوطي م س ج3 ص170-171

(4) - في المطبوع: وذِكْرُ بدل وسبق.

الكلام على هذا كله في باب المسند إليه . [146]

قوله: وغير ذا يعنى أن من طرق الحصر غير ما ذكر، فقيل إن من طرقه التوكيد بالنفس والعين وغير مع النفي، نحو " لم يقم غير زيد " وضمير الفصل نحو " زيد هو القائم " وقلب بعض حروف الكلمات، نقله في الكشاف في قوله تعالى: ﴿وَالذِينَ اجْتَنَبُواْ الطَّٰغُوتَ﴾[1] فإنه فعلوت من الطغيان كملكوت ورحموت، قلب بتقديم اللام على العين، فوزنه فلعوت، ففيه مبالغات التسمية بالمصدر، والبناء بناء مبالغة، والقلب وهو للاختصاص، إذ لا تطلق على غير الشيطان .

ومنها ذكر المسند إليه، ذكر السكاكي أنه قد يذكر ليفيد الحصر، وتعقبه صاحب الإيضاح، وصرح الزمخشري بأنه أفاده في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾[2] في سورة الرعد،

وفي قوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾[3] وفي قوله ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ 4﴾[4] ويحتمل أنه أراد أن تقديمه هو الذي أفاده .

تنبيـــه:

قال السُّيُوطِيُّ فِي الْإِتْقَانِ: " كَادَ أَهْلُ الْبَيَانِ يُطْبِقُونَ عَلَى أَنَّ تَقْدِيمَ الْمَعْمُولِ يُفِيدُ الْحَصْرَ، سَوَاءٌ كَانَ مَفْعُولًا أَوْ ظَرْفًا، أَوْ مَجْرُورًا، ولِهَذَا قِيلَ فِي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ 4﴾ مَعْنَاهُ: نَخُصُّكَ بِالْعِبَادَةِ والِاسْتِعَانَةِ، وفِي: ﴿لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ 158﴾ مَعْنَاهُ: إِلَيْهِ لَا إِلَى غَيْرِهِ، وفِي: ﴿لِتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ سورة البقرة الآية 143، أُخِّرَتِ الصِّلَةُ فِي الشَّهَادَةِ الْأُولَى، وقُدِّمَتْ فِي الثَّانِيَةِ ؛ لأن الْغَرَضَ فِي الْأَوَّلِ إِثْبَاتُ شَهَادَتِهِمْ، وفِي الثَّانِي إِثْبَاتُ اخْتِصَاصِهِمْ بِشَهَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَيْهِمْ "[5]

وَاخْتَلَفَـتْ مِـنْ أَوْجُـهٍ فَالْوَضْـعُ قَـلْ لِلْكُـلِّ فالتَّقْـدِيمُ بِالْفَحْـوَى يَـدُلّْ

(1) – سورة الزمر، الآية: 17

(2) – سورة الرعد، الآية: 26

(3) – سورة الزمر، الآية: 23

(4) – سورة الأحزاب، الآية: 4

(5) – الإتقان في علوم القرآن ج3 ص174.

يعنى أن طرق الحصر تختلف من أوجه، وإن اتفقت في الدلالة على القصر، منها أن دلالة جميع الطرق سوى التقديم والتعريف والتأكيد على القصر كائنة بالوضع ؛ لأنها وضعت لمعان، إذا نظر العاقل إليها جزم بإفادة القصر بواسطة تلك المعاني، فإن حرف النفي مثلا وضع للنفي، وحرف الاستثناء وضع للإخراج عن حكم النفي، ويلزم من اجتماعهما القصر، وهكذا غيره، إلا أن أحوال القصر من كونه قلبا، أو إفرادا، أوتعيينا، إنما تستفاد منها بمعونة المقام، وهي المقصودة من هذا الفن، دون ما استفيد منها بالوضع، قاله عصام وياسين .

ودلالة التقديم على القصر، إنما هي بالفحوى وحكم الذوق، فالقصر فيه إنما يفهم من فحوى الكلام أي معناه، فليس المراد بالفحوى هنا الاصطلاح الأصولي، فإن من له ذوق سليم، أي قوة إدراكية لدقائق تراكيب البلغاء ولطائف اعتباراتهم فيها، إذا نظر في فحوى الكلام المشتمل على التقديم، فهم منه التخصيص من جهة أن المخاطب إذا أخطأ في قيد من قيود الكلام يقتضى الاهتمام يرد الخطأ فيه تقديمه، بذا وجهه عصام في الأطول إلا أنه لا يتناول القصر الحقيقي .

قال السيد في شرح المفتاح: " وأما من ليس له هذه القوة، فربما أنكره مع كمال قوته الإدراكية في المعقولات والمنقولات، روي عن بعض العلماء أنه إذا سئل عن فائدة تقديم [147] في التنزيل، أجاب بأن الله فاعل مختار يفعل ما يشاء " .

وقال ابن الحاجب: " وما يقال إنه للحصر فلا دليل عليه "

وكون دلالة التقديم على القصر بالفحوى، إنما هو في مبادئ الاستعمال، وإلا فقد شاع قصد القصر في مقام التقديم، بحيث صار موضوعا بالغلبة للقصر، كذا في الأطول، وكذا نحو زيد المنطلق، والتأكيد غير الشمولي، نحو جاء زيد نفسه من الطرق، فإنهما يدلان عليه بالفحوى، قاله ياسين " انتهى . قاله في فيض الفتاح . [1]

وتقرير البيت: واختلفت طرق القصر من أوجه بالوضع، قل أي قل بدلالة الوضع في الكل أي في كل طرق الحصر لا التقديم أي إلا التقديم، فإنه يدل على القصر بالفحوى .

(1) - فيض الفتاح م س. ج1 ص206-207

قوله: لا التقديم بالجر عطف على قوله في الكل .

وأشار إلى الثاني من وجوه الاختلاف بقوله:

وَالأَصْلُ ذِكْرُ مُثْبَتٍ والْمَنْفِي   فِي أَوَّلٍ يُعْنَى بِهِ فِي الْعَطْفِ

وَرُبَّمَا لِكُرْهِ الإِطْنَابِ سَقَطْ

يعنى أن الأصل ذكر المثبت والمنفي في الطريق الأول من طرق الحصر، وهو طريق العطف، أي الأصل فيه التصريح بالأمرين جميعا، نحو " زيد كاتب لا شاعر "

قوله: وربما إلخ، يعنى أنه ربما سقط ذكر المنفي لكره الإطناب، إذا كان المقام مقام اختصار أو كراهة المساواة، كما إذا قيل: " زيد يعلم النحو والتصريف والعروض " فتقول: " زيد يعلم النحو لا غير، أو لا سواه " ونحو ذلك، فهذا قصره عليها إفرادا، عدل عن أن يقول: " زيد يعلم النحو لا التصريف ولا العروض " إلى ما رأيت، لأجل كراهة الإطناب، فهذا التركيب وإن كان مساويا بالنظر إلى ذاته، لكنه مطنب بالنظر إلى قولك: " لا غير " فقولنا: " لا غير " إيجاز حذف بالنسبة إلى قولك: " لا غيره " لحذف هاء الغائب فيه، وليس هذا هو المراد، وإيجاز نسبي بالنسبة إلى قولنا: " لا العروض ولا التصريف " وإن كان هو في نفسه مساويا، وهذا هو المراد، ويصح أن يقال عدل عن المساوي، وهو أن يقول: " لا التصريف ولا العروض " إلى الموجز وهو لا غير، ويصح أن يراد الإطناب اللغوي وهو كثرة الكلام، وتقول في قصرها عليه أي قصر الصفة على الموصوف " زيد يعلم النحو لا غير " إن قيل: " زيد يعلم النحو وبكر وخالد "

وتقرير كلامه: والأصل ذكر المثبت والمنفي في الطريق الأول من طرق القصر، أعني به أي بالطريق الأول من طرق القصر، الطريق الذي في العطف، وربما لكره الإطناب سقط، أي ربما سقط ذكر المنفي، لأجل كراهة الإطناب في مقام الاختصار .

وفِي الْبَوَاقِي ذِكْرُ مُثْبَتٍ فَقَطْ

يعنى أن الأصل في الطرق البواقي من طرق القصر، ذكر المثبت فقط دون المنفي، كقولك: " ما أنا إلا تميمي " و" إنما أنا تميمي " و" تميمي أنا " في قصر الموصوف على الصفة، فإنك تثبت كونك تميميا صريحا وتنفي عنه كونك قيسيا ضمنا، وفى قصر الصفة على الموصوف " ما يجيء إلا زيد "

و" إنما يجيء زيد " و" هو يجيء " و" زيد الجائي " فقولنا: " ما يجيء إلا زيد " منطوقه ثبوتنا لمجيء زيد، وهو الدال عليه الكلام بالصراحة، ومفهومه نفي المجيء عن غيره .

وقال عيسى الصوفي: " يلزم منه أن يكون نحو " ما جاء القوم إلا زيد " [148] على خلاف الأصل، لأنه نص فيه على المثبت والمنفي جميعا، ولم يقل بذلك أحد، إلا أن يمنع أنه نص فيه على المنفي، لأنه القوم، ولم ينص فيه على الإفراد واحدا واحدا "

وهذا خلاف ما هو المشهور عند الأصوليين، من أن المنطوق في نحو " ما قام إلا زيد " " ولا عالم إلا زيد " نفي القيام والعلم عن غير زيد، والمفهوم إثبات العلم والقيام لزيد، كما نص عليه جلال الدين المحلى عند قول السبكي في المفاهيم، ومثل " لا عالم إلا زيد "

وقيل إن المفهوم فيه منطوق صراحة، لسرعة تبادره إلى الذهن، فعلى هذا يكون المنفي والمثبت منصوصين له، لكنه عند بعض الأصوليين .

وممن قال منهم بذلك أبو الحسين بن الْقَطّانْ، وأبو إسحاق الشيرازي، ورجحه القرافي في قواعده، والبرماوي في شرح ألفيته، قال: بِدَلِيلِ أنه لو قال: " ما له علي إلا دينار " كان إقرارا له بالدينار، ولو كان بالمفهوم لم يؤاخذ به، لعدم اعتبار المفهوم في الأقارير، وهو الذي ينشرح له الصدر، كيف يقال في لا إله إلا الله إن دلالتها على إثبات الْإِلهية لله بالمفهوم، انظر ابن أبي شريف .

قال في فيض الفتاح: " كما ترك الأصل في طريق العطف كراهة الإطناب، كذلك ترك هذا الأصل في مثل " ما زيدا ضربت " و" ما أنا قلت هذا " إذ القصد قصر الفعل على غير المذكور كما هو الحق، لا قصر عدم الفعل على المذكور، فيكون النص لما ينفى دون ما يثبت " . [1]

قلتُ: الصواب عندي كون النفي والاستثناء مما صرح فيه بالمثبت والمنفي جميعا، فكلاهما منطوق ؛ لأن في قولك: " ما قام أحد " تصريح بنفي القيام عن كل أحد، وفى قولك: " إلا زيد " تصريح بإثباته لزيد .

وأشار إلى الوجه الثاني من الوجوه التي تختلف الطرق من أجلها بقوله:

(1) - فيض الفتاح م س. ج1 ص209

وَالنَّفْيُ لا يُجَامِعُ الثَّانِي فَلا ... لا تَنْفِ إنْ نَفْيٌ بِغَيْرِهَا خَلا

يعنى أن النفي بلا العاطفة، لا يجامع الثاني، أي لا يجتمع مع الطريق الثاني من طرق القصر، وهي النفي والاستثناء، وإنما امتنعت مجامعته لها ؛ لأن شرط المنفي بلا العاطفة، أن لا يكون منفيا قبلها بغيرها من أدوات النفي، الدالة على النفي صريحا، كليس وما وإن ونحوها، لا الدالة عليه التزاما، نحو كُفَّ، وذَرْ، وإنما امتنع لأن لا وضعت لأن ينفي بها ما أوجب للمتبوع، لا لأن يعاد بها النفي في شيء قد نفي، فلا يقال: " ما زيد إلا قائم لا قاعد " لأنك قد نفيت عنه كل صفة وقع فيها النزاع، حتى كأنك قلت: " ليس بقاعد ولا قائم ولا مضطجع " ونحو ذلك، فإذا قلت: " لا قاعد " فقد نفيت بلا العاطفة شيئا هو منفي قبلها بما النافية، فكان فيه تحصيل الحاصل .

وتقرير البيت: والنفي لا يجامع الطريق الثاني من طرق الحصر، فلا يقال: " ما قام إلا زيد لا عمرو " لأن عمرا قد نفي عنه القيام صريحا بما، لأنه داخل في عموم نفي القيام عن كل أحد غير زيد، وإذا كان كذلك فلا العاطفة النافية لا تنفي شيئا، [149] إن نفي لذلك الشيء، خلا أي تقدم بغيرها من أدوات النفي الدالة عليه صريحا كما وليس وإن، لأنه تحصيل الحاصل، وذلك عبث .

قوله: فلا مبتدأ خبره جملة لا تنف، وقوله إن نفي فاعل فعل محذوف دل عليه قوله خلا، موافق له لفظا ومعنى، يقدر بعد إن، أي فلا النافية لا تنفي إن خلا نفي بغيرها .

وَلِلْأَخِيرَيْنِ فَقَدْ يُجَامِعُ ... كَإِنَّمَا أَنَا النَّدَى لا اللَّامِعُ

يعنى أن النفي بلا العاطفة قد يجامع الطريقين الأخيرين من طرق الحصر وهما إنما، والتقديم نحو " إنما أنا تميمي لا قيسي " و" إنما أنا الندى لا اللامع " و" تميمي أنا لا قيسي " في قصر الموصوف على الصفة، " وإنما يأتيني زيد لا عمرو "" وهو يأتيني لا عمرو " في قصر الصفة على الموصوف .

قال السيد: وهذا المثال يعنى الأخير يحتمل التخصيص والتقوِّي على السواء، والأولى أن يمثل بنحو " زيدا ضربتُ لا عمرا " لأن الأول يحتمل التقوى فقط، وعليه فلا يكون القصر مستفادا إلا من طريق العطف وحده، إلا أن احتماله التقوى فقط مرجوح ؛ لأن قوله: لا عمرو، يدل على أن المقام مقام التخصيص، فكان التمثيل به حسنا، إلا أن التمثيل بما ليس فيه احتمال أحسن، ووجه صحة

مجامعة لا العاطفة لإنما، والتقديم أن النفي فيهما غير مصرح به، بل ضمني، ولا العاطفة تجامع النفي الضمني دون الصريح، فيجوز " امتنع من المجيء زيد لا عمرو " ولا يجوز " ما جاء زيد لا عمرو " فإن الأول يدل على نفي المجيء عن زيد، لكن لا صراحة ومطابقة بل تضمنا والتزاما، فإن معناه المطابق إيجاب امتناع المجيء له، فيكون لا في قولك: " لا عمرو " نافية عن الثاني ما أوجب للأول، بخلاف المثال الثاني فإنه صريح في النفي، فيكون لا نفيا للمنفي .

وَقِيلَ شَرْطُ جَمْعِهِ مَعْ إِنَّمَا   أَنْ لا يُخَصَّ الْوَصْفُ بِالَّذِي انْتَمَى

أي وقال السكاكي: يشترط في صحة مجامعة لا العاطفة لإنما، أن لا يخص الوصف بالموصوف الذي انتمي، أي انتسب الوصف إليه، أي أن لا يكون الوصف مختصا بالموصوف المذكور، ويقاس على قصر الصفة على الموصوف قصر الموصوف على الصفة، كما قاله السيد، فيشترط في صحة مجامعة النفي بلا العاطفة لطريق إنما، أن لا يكون الموصوف في نفسه مختصا بتلك الصفة، لعدم الفائدة في ذلك عند الاختصاص .

مثال اختصاص الوصف بالموصوف، قوله جل وعز: ﴿۞إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾[1] فلا يجوز عند السّكاكي لا الذين يسمعون ؛ لأن الاستجابة لا تكون إلا ممن يسمع ويعقل، فلا فائدة في نفيه عمن لا يسمع، لأنه لا يصح ثبوت له، والعرب لا تنفي الشيء عن المحل إلا إذا صح ثبوته له، وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ٤٤﴾[2]

قال في المفتاح: " فلا يخفى على أحد ممن له معرفة أن الإنذار إنما يكون إنذارا ويكون له تأثيرا إذا كان مع من يؤمن بالله وبالبعث والقيامة وأهوالها ويخشى عقابها " .[3]

ومثال اختصاص الموصوف بالصفة: " إنما المتقي يسلك مسالك السنة " أي لا مسالك البدعة .

قال السيد في شرح المفتاح: " وإنما لم يعتبر في مجامعة لا العاطفة للتقديم هذا الشرط أصلا لا وجوبا ولا استحسانا، لكون دلالته على الاختصاص [150] أضعف من دلالة " إنما" عليه " .

(1) - سورة الأنعام، الآية: 36

(2) - سورة النازعات، الآية: 45

(3) - . مفتاح العلوم، م س، ص294.

قال في فيض الفتاح، " قال الفنري: واعترض عليه يعنى السيد في قوله: إن التقديم أضعف في الدلالة على الاختصاص من إنما، بأنه مناقض لما ذكره في المفتاح، من أن دلالة التقديم على القصر، أقوى من دلالة إنما، حيث حكم بأن المفيد له في قولنا: " إنما زيدا ضربت " هو التقديم، وقد يلفق بين الكلامين، بأن في كل منهما ضعفا من وجه، وقوة من آخر، فالقوة في إنما باعتبار أن دلالته على القصر بحسب الوضع، بخلاف التقديم، والقوة في التقديم، باعتبار أن القصر يفهم منه بالذوق السليم، وهو أدخل في البلاغة، أو لعدم احتياجه إلى تأويل بخلاف إنما، فإنه يؤول بما وإلا، وأنت خبير بأن كلا منهما إذا اشتمل على قوة وضعف لم يثبت، بما ذكر ما ادعاه، أعني تعيين إسناد القصر في نحو " إنما زيدا ضربت " إلى التقديم، فإن قلت: قوة التقديم باعتبارين، فيصح وجها للترجيح استناده إليه، قلت: فلا يتم ما ذكره هنا، على أن جعل الاستناد إلى الذوق سببا للقوة تارة، والاستناد إلى الوضع سببا لها أخرى، لا يخلو عن تعسف " انتهى . [1]

وَقِيلَ شَرْطُ الحُسْنِ وهْوَ أَقْرَبُ   وأَصْلُ ثَانٍ جَهْلُ مَنْ يُخَاطَبُ
وَجَحْدُهُ لِمَا لَهُ يُسْتَعْمَلُ

يعنى أن الشيخ عبد القاهر الجرجاني قال: " عدم مجامعة لا العاطفة لإنما في الوصف المختص بالموصوف، شرط في الحسن، أي في حسن الكلام، فلا تحسن مجامعة لا العاطفة لإنما في الوصف المختص بالموصوف، كما تحسن في غيره " . [2]

قال صاحب التلخيص والسيد: " وهو أي قول الشيخ هذا أقرب إلى الصواب من قول السكاكي ؛ لأن الوثوق بقول الشيخ أكثر " . [3]

وقال السعدي: إذ لا دليل على الامتناع عند قصد زيادة التحقيق والتأكيد، نحو ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾[4]، ﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾[1] مبالغة في تكذيب ما قالوا وما كتبوا، وتحقيقا له وتأكيدا،

(1) – فيض الفتاح م س. ج1 ص213

(2) – . انظر عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، م س، ج1 ص410.

(3) – . انظر الإيضاح في علوم البلاغة، م س، ج3 ص34.

(4) – سورة آل عمران، الآية: 167

مع أن القول وصف مختص بالأفواه، والكتابة وصف مختص بالأيدي عند كل من يتصف بالإدراك " . [2]

قال في فيض الفتاح: " غاية ما في الباب أنه يلزم من استعمالها في غير المختص مزيد فائدة لا توجد في المختص، وقول عبد القاهر " لا يحسن " يحتمل أن المراد نفي أصل الحسن، فيكون غير بليغ، وعلى هذا فلا خلاف بينه مع السكاكي، ويحتمل أن المراد نفي حسن كالحسن في الغير، وهذا أنسب لقوله كما يحسن في غيره "[3]

ثم أشار إلى الوجه الرابع من وجوه الاختلاف بين طرق القصر بقوله: وأصل ثان إلخ، يعنى أن الأصل في الثاني من طرق القصر، وهو النفي والاستثناء، إن يستعمل في حكم يجهله المخاطب ويجحده، أي ينكره الإنكار التام، فالمدار على هذا القيد، وأما جهل المخاطب للحكم فلا بد منه في جميع الطرق، فلا يختص بالنفي والاستثناء .

قال في فيض الفتاح: " وإذا كان لا بد من الإنكار، فاستعمال النفي والاستثناء في قصر التعيين على خلاف الأصل، إذ لا إنكار فيه، قاله في المطول " . [4]

وقال السيد في حواشيه على المطول: " ففي قصر القلب يكون الجهل والإنكار في كل [151] من النفي والإثبات، وفى قصر الإفراد يكونان معا في النفي فقط، وأما قصر التعيين، ففيه الجهل في الإثبات والنفي معا، وليس هناك إنكار أصلا، فإذا رفع لك شبح بالتحريك أي شخص من بعيد تقول لصاحبك: " ما هو إلا زيد " لا تقول له ذلك إلا إذا كان يعتقده غير زيد ويصر على إنكار أن يكون إياه فهذا هو الأصل في الطريق الثاني من طرق القصر، فإخراج الكلام عليه إخراج على مقتضى الظاهر، وقد يخرج على خلاف الظاهر، وإليه أشار بقوله:

وَيُجْعَلُ الْمَعْلُومُ كَاللَّذْ يُجْهَلُ

---

(1) – سورة البقرة، الآية: 79

(2) – . حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، م س. ج2 ص277.

(3) – فيض الفتاح م س. ج1 ص213.214

(4) – فيض الفتاح م س. ج1 ص216

فَخُذْ لَهُ الثَّانِيْ لِأَمْرٍ نَاسَبَا ... واسْتَعْمِلَنْهُ مُفْرِدًا أَوْ قَالِبَا
كَمِثْلِ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولْ ... إِذْ أَعْظَمُوا مَمَاتَهُ مِثْلَ الْجَهُولْ
أَيْ هُوَ مَقْصُورٌ عَلَيْهَا مَا عَدَا ... إِلَى التَّبَرِّي مِنْ هَلاكٍ ورَدَى
وَقَوْلِهِ إِنْ أَنْتُمُ إِلَّا بَشَرْ ... لِزَاعِمِ الرُّسْلِ سِوَاهُ وأَصَرّْ
مُخَاطَبٌ عَلَى ادِّعَا الرِّسَالَهْ ... وقَوْلُهُمْ إِنْ نَحْنُ مِثْلَ الْقَالَهْ
مِنَ الْمُجَارَاةِ لِخَصْمٍ كَيْ عَثَرْ ... إِرَادَةَ التَّبْكِيتِ لا الْمَنْفِيُّ قَرّْ

يعنى أن الحكم المعلوم، يجعل كالحكم الذي يجهل، أي ينزل الحكم المعلوم منزلة الحكم المجهول، وإذا نزل منزلته فخذ له الطريق الثاني من طرق القصر، الذي هو النفي والاستثناء، لأمر ناسبا، أي لأجل اعتبار مناسب لذلك التنزيل، واستعملنه أي الطريق الثاني فيه، أي في الحكم المعلوم المنزل منزلة المجهول، مفردا، أي في قصر الإفراد، أو قالبا، أي أو في قصر القلب، فاستعماله في قصر الإفراد كمثل ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾ أي كقوله ﷻ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[1] إذ عظموا مماته مثل الجهول، أي قال الله ذلك حين عظم الصحابة ﷺ موت النبي ﷺ تعظيما مثل تعظيم الجهول بموته، فنزل استعظامهم لموته منزلة إنكارهم إياه، فلزم من تنزيل استعظامهم له منزلة الإنكار تنزيل علمهم بموته بمنزلة الجهل بها، فخوطبوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾ أي هو مقصور عليها أي الرسالة ما عدا إلى التبري من هلاك وردى، أي لا يتجاوز الرسالة إلى التبري من الهلاك، أي ليس هو بجامع بينهما، فلا يرد أن الملائم لدعوى تنزيل المعلوم منزلة المجهول، تنزيل عليهم منزلة الجهل، لا تنزيل استعظامهم منزلة الإنكار، فكأنهم أثبتوا له ﷺ الرسالة وعدم الموت، فقيل لهم: لمحمد ﷺ صفة واحدة وهي الرسالة فقط، لا يجمعها مع التبري عن الموت، فكان قصر إفراد، والاعتبار المناسب لتنزيل المعلوم منزلة المجهول، هو الإشعار بعظمه ﷺ في نفوسهم، وشدة حرصهم على بقائه، حتى كأنهم لا يخطرون موته بالبال .

وفي عروس الأفراح: " أن المعنى يحتمل غير ما ذكر، بأن يقال نزل استعظامهم موته منزلة من يجهل رسالته ؛ لأن كل رسول فلا بد من موته، فمن استبعد موته فكأنما استبعد رسالته، وعلى هذا

(1) - سورة آل عمران، الآية: 144

فهو قصر قلب لا إفراد، فإن اعتقاد الرسالة وعدم الموت لا يجتمعان، وإنكارهم للموت ينفي أن يجتمع معه الإقرار بالرسالة حتى يكون قصر إفراد "[1]

وجعله في الأطول قصر قلب بقيد هذا الطريق، فقال: " ونحن نقول الاعتبار المناسب التنبيه على فساد الاستعظام حتى لحق بالجهل في الفساد، [152] وتحذيرهم عنه كما يحذر عن الجهل " . [2]

والأقرب عندي: أنه قصر قلب، أي وما محمد إلا رسول لا إله، فنزل استعظامهم موته منزلة دعوى ألوهيته، لأنه قد نزل عليهم في القرآن أن البقاء يخص الإله و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُۥ﴾ [3] واعتقاد الألوهية ينافى اعتقاد الرسالة، قاله في فيض الفتاح . [4]

واستعماله أي الطريق الثاني من طرق الحصر في الحكم المعلوم المنزل منزلة المجهول في قصر القلب كقوله تعالى: ﴿إِنَ اَنتُمُۥٓ إِلاَّ بَشَرٞ مِّثْلُنَا﴾ أي لا رسل، خطابا لزاعم أن الرسل سواه أي سوى البشر وهم الكفار، لاعتقادهم أن الرسول لا يكون بشرا، وأصر مخاطب بكسر الطاء على ادعاء الرسالة، أي والحال أنه أي الأمر والشأن أصر الرسول المخاطب لهم على ادعاء الرسالة، فالمخاطبون بكسر الطاء وهم الرسل مقرون بكونهم بشرا، لكنهم نزلهم القائلون لهذا الكلام وهم الكفار منزلة المنكرين لكونهم بشرا، حيث ادعوا الرسالة لاعتقاد الكفار أن الرسول لا يكون بشرا، فالرسالة عندهم تنافي البشرية، فلذلك الاعتقاد الفاسد قلبوا هذا الحكم وقالوا ﴿إِنَ اَنتُمُۥٓ إِلاَّ بَشَرٞ﴾ وقولهم إن نحن مثل [153] القاله، يعنى أن قول الرسل: ﴿إِنَ اَنتُمُۥٓ إِلاَّ بَشَرٞ﴾[5] مثل القالة، أي مثل القائلين لنا ﴿إِنَ اَنتُمُۥٓ إِلاَّ بَشَرٞ مِّثْلُنَا﴾ وهم الكفار، فالقالة في البيت جمع تكسير مفرده قائل كبائع

---

(1) – عروس الأفراح م س ج1 ص410

(2) – . الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، لعصام الدين الحنفي ت943، ج1 ص559، ت ع الحميد هنداوي، ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

(3) – سورة القصص، الآية: 88

(4) – فيض الفتاح م س. ج1 ص219

(5) – سورة إبراهيم، الآية: 11

وباعة، أو معناه ﴿إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[1] القالة المعهودة أي القولة المعهودة، أي التي تتلى في القرآن مع قولة الكفار ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ أي قول الرسول هذا الكلام ليس فيه اعتراف بكونهم مقصورين على البشرية، ولا تسليم لانتفاء الرسالة، بل هو من باب المجاراة للخصم أي التماشي معه، وإرخاء العنان إليه، والمساهلة معه بتسليم بعض مقدماته، كي عثرأي ليعثر الخصم أي يزلق، لأجل إرادة تبكيته أي إسكاته لا للنفي، قرْ أي لا لنفي الرسالة ثبت قولهم: ﴿إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ حتى يكون قصر قلب، فكأنهم قالوا ما ادعيتم من كوننا بشرا حق لا ننكره، ولكن لا يمنع ذلك من أن يمن الله علينا بالرسالة، فهذا جواب إثبات الرسل البشرية لأنفسهم وأما إثباتها بطريق القصر فلموافقة كلام الخصم، إذ شأن من يدعى عليه خصمه الخلاف في أمر لا يخالف فيه أن يفيد كلام خصمه على صيغته ليعثر الخصم، لأجل إرادة تبكيته .

قوله: كاللذْ يُجهل بالبناء للمفعول، وقوله مفرِدا بكسر الراء حال من فاعل استعملنه، وقوله أو قالبا عطف عليه، وقوله مثل الجهول بنصب مثل مفعول مطلق نائب عن مصدر من قوله عظموا، أي عظموا مماته تعظيما مثل تعظيم الجهول بها، وقوله: إن أنتم إلا بشر، بجر قوله عطف على قوله، كمثل ما محمد إلا رسول، أي وكمثل قوله إن أنتم إلخ، وقوله سواه مفعول به لقوله لزاعم، وقوله وأصر بسكون الراء لضرورة الوزن فعل ماض من الإصرار والواو واو الحال، وقوله مخاطب فاعل أصر والجملة حالية، وقوله على ادعا بالقصر لضرورة الوزن، وقوله القاله بسكون التاء، وجعلها هاء للقافية أصله القالة بالنصب مفعول به منصوب بأعني مقدرا أي وقولهم إن نحن مثل أعني القاله، إشارة إلى القولة المعهودة بمنزلة قولك: إن نحن الآية، أي أعني الآية، إشارة إلى الآية المعهودة، ويحتمل أن يكون قوله القالة مجرورا بالإضافة إلى قوله مثل، ويكون جمع تكسير مفرده قائل على حد بائع وباعة وصائغ وصاغة أصله قولة بفتح القاف والواو فترحك حرف العلة الذي هو الواو وانفتح ما قبله فوجب قلبه ألفا، وكذلك باعة وصاغة، أصلهما بيعة وصوغة ككامل وكملة، ويكون قوله القالة واقعا موقع ضمير المخاطبين القائلين: إن أنتم إلا بشر مثلنا ؛ لأن القالة والضمير

(1) - سورة إبراهيم، الآية: 11

المذكور الذي كان مجرورا بالإضافة إلى مثل مترادفان في المعنى ؛ لأن القالة أي القائلين: إن نحن إلا بشر مثلكم، هم المخاطبون بضمير كم المجرور بالإضافة إلى مثل، وقوله وقولهم مبتدأ خبره قوله من المجاراة، وقوله إرادة التبكيت بنصب إرادة مفعول له، وقوله لا للنفي بالجر عطف على قوله التبكيت، أي إرادة للتبكيت لا إرادة للنفي للرسالة .

وَإِنَّمَا بِعَكْسِهِ كَإِنَّمَا هَذَا أَخُوكَ أَيْ فَرُقَّ وارْحَمَا

يعنى أن إنما كائن بعكس الطريق الثاني من طرق الحصر الذي هو النفي والاستثناء، فالأصل فيه أن يستعمل في حكم شأنه أن لا يجهله المخاطب ولا ينكره، حتى أن إنكاره يزول بأدنى تنبيه، لعدم إصراره عليه، نحو ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [1] فإن كونه تعالى إلها واحدا شأنه أن لا يجهل لما عليه من الأدلة الواضحة، وكقولك لمن يؤذي أخاه ويضربه: " إنما هذا أخوك " أي فرق عليه وارحمه ؛ لأن في قولك ترقيقا له عليه .

وَرُبَّمَا يُنَزَّلُ الْمَجْهُولُ فِي دَعْوَى الظُّهُورِ كَسِوَاهُ فَيَفِي

يعنى أنه قد ينزل الحكم المجهول في دعوى الظهور، أي لأجل ادعاء ظهوره أي المجهول وأنه مكشوف لا ستر عليه كسواه، أي منزلة الحكم المعلوم، فيفي أي فيجيء إنما الذي شأنه أن يستعمل في أمر ظاهر شأنه أن لا يجهل مستعملا فيه، كقوله تعالى حكاية عن اليهود: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١٠﴾[2] ادعوا أن كونهم أمر ظاهر شأنه أن لا يجهل يجهله المخاطب ولا ينكره، ولأجل ادعاء ظهور إصلاحهم رد الله عليهم بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ﴾[3] فقوله: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١٠﴾ قصر إفراد ؛ لأن نهيهم عن الإفساد يشعر بأن فيهم إفسادا، فنفوا ذلك بادعاء أنهم مقصورون على الإصلاح من غير شائبة إفساد، وآثروا إنما دلالة على أن ذلك ظاهر لا ينبغي لأحد أن يشك فيه، فرد الله تعالى ذلك بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ﴾ قصر قلب أي هم مقصورون على الإفساد لا ينتظمون في جملة المصلحين أصلا، وأكد ﷻ ذلك بالجملة الإسمية الدالة على الثبوت والدوام المقصود بها تمكين

(1) – سورة النساء، الآية: 171

(2) – سورة البقرة، الآية: 11

(3) – سورة البقرة، الآية: 12

الحكم في ذهن السامع فضل تمكن، وأكده أيضا بحرف التنبيه المقصود به تنبيه السامع على الحكم وتقرره عنده بحيث لا مجال للريب فيه، وبأن وبتوسيط ضمير الفصل المؤكد للحصر بتعريف الجزئين، وفي قوله في دعوى الظهور تعليل .

ثُمَّ عَلَى الْعَطْفِ لَهَا مَزِيَّهْ   إِذْ يُعْلَمُ الْحُكْمَانِ بِالْمَعِيَّهْ

يعنى أن إنما لها مزية أي درجة على العطف بلا أو بل ؛ لأنها يعلم الحكمان أي[154] إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عن غيره منها بالمعية، أي جميعا أي في وقت واحد، بخلاف العطف، فإنه يعلم منه أولا الإثبات، ثم النفي، أو عكسه .

قوله: يعلم بالبناء للمفعول نائبه قوله الحكمان .

وَمِثْلُهَا التَّقْدِيمُ فِي التَّعْرِيضِ   وخَيْرُ مَا تُورَدُ فِي التَّعْرِيض

يعنى أن التقديم مثل إنما في إفادة التعريض، كقوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤﴾[1]

قال الزمخشري: " في تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض بأهل الكتاب، وما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على غير حقيقته، وتعريض بأن قولهم ليس صادرا عن إيقان، وأن اليقين ما عليه من آمن ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾[2] وهذا الذي قاله الزمخشري في غاية الحسن " قاله في الإتقان[3] .

وفي أنه يعلم منه الحكمان أي الإثبات والنفي معا .

قوله: وخير ما تورد إلخ، يعنى أن التعريض هو أحسن مواقع إنما عند أهل البلاغة، والتعريض لفظ استعمل في معناه ليلوح بغيره، وسيأتي إن شاء الله في بحث الكناية .

مثال استعمال إنما في التعريض قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٢١﴾[4] فإنه تعريض بأن الكفار من فرط جهلهم كالبهائم، وليسوا من العقلاء، فإنا نعلم قطعا أن ليس المراد أن يعلم

(1) – سورة البقرة، الآية: 4
(2) – سورة البقرة، الآية: 4
(3) – الإتقان للسيوطي م س ج3 ص176
(4) – سورة الزمر، الآية: 9

السامعون ظاهر معناه، ولكن المراد ذم الكفار بأنهم كالبهائم لا عقول لهم، ومثله: " وإنما يعذر العشاق من عشقا " تعريض بأن الواشي لو ابتلي ببلوى العاشق لعذره .

قال في فيض الفتاح، " قال الفنري: قيل وجه الأحسنية أن إنما تستعمل في حكم يعلمه المخاطب، ويقر به على ما فهم من ظاهر كلام الشيخ، يعنى في دلائل الإعجاز، فلا فائدة إذا في القصر بالنسبة إلى مدلول الجملة، والمعنى التعريضي فائدة جديدة، فحسن موقع الكلام بمكانه حسنا لا يوجد بدونه " (1) .

مسألة:

يَجِــــيءُ بَـــــيْنَ مُبْتَـــــدًا وخَــــبَرِ ... والْفِعْـــلِ مَــعْ تَعَلُّــقٍ لا الْمَصْــدَر

يعنى أن القصر يجيء أي يقع بين المبتدأ والخبر، ويقع بين الفعل وجميع متعلقاته ما خلا المصدر المؤكد لعامله والمفعول معه، وأما ﴿**إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنّاً**﴾ فما أول بالنوعي أي ظنا ضعيفا، قوله: لا المصدر بالجر عطف على قوله تعلق .

وَأَخِّــرَنَّ مَــا عَلَيْــهِ قَــدْ قُصِــرْ ... مُسْــــــتَثْنِيًا مَــــــعَ الْأَدَاةِ .

أي أخر وجوبا الشيء الذي قد قصر عليه الحكم مع الأداة القاصرة له عليه عن المقصور حال كونك مستثنيا أي في طريق الاستثناء .

قال في فيض الفتاح: " يعنى أن المقصور عليه يؤخر مع أداة الاستثناء عن المقصور غالبا، سواء كان القصر بإلا أو إحدى أخواتها، فإذا أريد القصر على الفاعل قيل: " ما ضرب عمرا إلا زيد " ولو أريد القصر على المفعول لقيل: " ما ضرب زيد إلا عمرا " ومثله بين المبتدأ والخبر، وكذا يقع القصر بين المفعولين نحو " ما أعطيت زيدا إلا درهما " و" ما أعطيت درهما إلا زيدا " وكذا بين ذي الحال والحال، نحو " ما جاءني زيد إلا راكبا " و" ما جاءني راكبا إلا زيد " ومعنى قصر الفاعل على المفعول قصر الفعل المسند إلى الفاعل على المفعول، وعلى هذا قياس البواقي .

فمعنى " ما ضرب عمرا إلا زيد " مضروبية عمرو مقصورة على زيد لا تتجاوزه [155] إلى مفعول آخر، سواء كان لعمرو ضارب غير زيد أم لا، فيرجع في الحقيقة إلى قصر الصفة على

(1) - فيض الفتاح م س. ج1 ص217

الموصوف، أو قصر الموصوف على الصفة، فنحو " ما جاءني زيد إلا راكبا " من قصر الموصوف على الصفة .

قال ياسين: إذ معناه المتبادر أن زيدا في زمان المجيء لم يكن إلا على صفة الركوب، ونحو " ما جاءني راكبا إلا زيد " من قصر الصفة على الموصوف ؛ لأن معناه الظاهر أن صفة المجيء على هيئة الركوب لم تثبت إلا لزيد " . [1]

وَنَدَرْ،

تَقْــــدِيمُ هَــــذَيْنِ لِــــئَلَّا يَلْزَمَــــا   قَصْــرُ الصِّــفَاتِ قَبْــلَ أَنْ تُتَمَّمَــا

يعنى أنه يندر أي يقل تقديم هذين، أي المقصور عليه والأداة بحالتيهما على المقصور، وإنما قل تقديمهما عليه ليلا يلزم من تقديمهما قصر الصفة على الموصوف قبل أن تتمما أي قبل تمامها .

قال في الشهدة الصريحة: " ومعنى تقديمهما بحالتيهما كون الأداة متقدمة على المقصور عليه، والمقصور عليه يليها، نحو " ما ضرب إلا عمرا زيد " في قصر الفاعل على المفعول و" ما ضرب إلا زيد عمرا " في قصر المفعول على الفاعل، ومنه قول الشاعر:

لا أشــــتهي يا قــــومُ إلا كارهــــاً   بابَ الأمــــير ولا دفــــاعَ الحاجــــب[2]

وقوله:

كــأن لم يمُــتْ حــيٌّ سِــواكَ ولم تَقُــمْ   علــى أحــدٍ إلا عليــكَ النــوائحُ[3]

وإنما قلت بحالتيهما، احترازا عن تقديمهما مع إزالتهما عن حالتيهما، بأن تؤخر الأداة عن المقصور عليه، كقولك في " ما ضرب زيد إلا عمرا " " ما ضرب عمرا إلا زيد " فإن ذلك لا يجوز، لما فيه من اختلال المعنى وانعكاس المقصود، وإنما قل تقديمهما بحالتيهما على المقصور، لاستلزامه قصر الصفة قبل إتمامها ؛ لأن الصفة المقصورة على الفاعل مثلا هي الفعل الواقع على المفعول، لا مطلق الفعل، فلا يتم المقصود قبل ذكر المفعول، فلا يحسن قصره، وعلى هذا فقس،

---

(1) – فيض الفتاح م س ص. ج1 ص218

(2) – . البيت لموسى بن جابر الحنفيّ، انظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، م س، ص 263.

(3) – . البيت لأشجع السلمي، وهو في ديوان الحماسة (شرح المرزوقي)، م س، ص608.

وإنما جاز تقديمهما على قلة، نظرا إلى أنها في حكم التام، باعتبار ذكر التعلق في الآخر " .

قال في الإتقان: " ووَجْهُ إفادةِ النَّفْيِ مَعَ الاسْتثناءِ لِلْحَصْرِ، أَنَّ الاستثناءَ الْمُفْرَغَ لَا بُدَّ أَنْ يَتَوَجَّهَ النَّفْيُ فِيهِ إِلَى مُقَدَّرٍ، وهُوَ مُسْتَثْنًى مِنْهُ ؛ لأن الِاسْتِثْنَاءَ إِخْرَاجٌ، فَيَحْتَاجُ إِلَى مَخْرَجٍ مِنْهُ، والْمُرَادُ التَّقْدِيرُ الْمَعْنَوِيُّ لَا الصِّنَاعِيُّ، ولَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَامًّا ؛ لأن الْإِخْرَاجَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ عَامٍّ، ولَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُنَاسِبًا لِلْمُسْتَثْنَى فِي جِنْسِهِ، مِثْلُ: مَا قَامَ إِلَّا زَيْدٌ أَيْ أَحَدٌ، ومَا أَكَلْتُ إِلَّا تَمْرًا، أَيْ مَأْكُولًا، ولَا بُدَّ أَنْ يُوَافِقَهُ فِي صِفَتِهِ، أَيْ إِعْرَابِهِ، وحِينَئِذٍ يَجِبُ الْقَصْرُ إِذَا أُوجِبَ مِنْهُ شيءٌ بإلا، ضرورةً بِبَقَاءِ مَا عَدَاهُ عَلَى صِفَةِ الِانْتِفَاءِ "[(1)]

وَأَخِّـــــرَنْ فِي إِنَّمَــــــا لِــــــئَلَّا يَعْـــــــــــــــــــرِضَ . .

يعنى أنه يجب في إنما تأخير المقصور عليه، ولا يجوز تقديمه، ليلا يعرض لبس أي خوف التباس المقصور عليه بغيره، فلزم تأخير المقصور عليه ؛ لأن إنما لا علامة لها تميز المقصور عليه من غيره، فلزم طريقة واحدة من الترتيب في الكلام، ولا يمكن أن تكون تلك الطريقة بتوسيط إنما بين المقصور والمقصور عليه ؛ لأن إنمالا تجيء إلا في صدر الكلام، والترتيب الطبيعي أن يكون المقصور مقدما على المقصور عليه، كما في النفي والاستثناء، فتعين حينئذ أن تكون تلك الطريقة بأن يذكر المقصور بعد إنما، ويتأخر عنه المقصور عليه . [156]

قال في فيض الفتاح: " قال الجربي: ووجوب تأخير المقصور عليه في إنما مقيد بما إذا كان القصر مستفادا من إنما أما إذا كان القصر مستفادا من نفس التقديم فيجوز تقديم المقصور عليه على المقصور، نحو " إنما زيدا ضربت "[(2)]

غَيْرُ مِثْلُ إِلَّا،

فِي القَصْــرِ والمَنْــعِ عَــنِ الجَمْــعِ لِــلا

فِي القَصْرِ والمَنْعِ عَنِ الجَمْعِ لِلا يعنى أن غير مثل إلا الاستثنائية في إفادة القصر القلبي والإفرادي والتعييني صفة وموصوفا، فتقول عند إرادة قصر القيام مثلا على زيد " ما قام غير زيد " كما تقول "

(1) - الإتقان في علوم القرآن، م س. ج3 ص68

(2) - فيض الفتاح م س. ج1 ص219

ما قام إلا زيد " ومثلها أيضا في المنع من الجمع للا العاطفة، فلا يصح " ما زيد غير شاعر لا كاتب " ولا " ما شاعر غير زيد لا عمرو " كما لا يصح " ما زيد إلا شاعر لا كاتب " و" ما شاعر إلا زيد لا عمرو " لانتفاء شرطها، لكون منفيها منفيا قبلها بغيرها من كلمات النفي، وكذلك سوى فهي أيضا مثل إلا في إفادة القصر وعدم مجامعة لا العاطفة .

وإِنَّمَا جَا القَصْرُ فِي الَّذِي خَلا

لأَنَّ نَفْيَ فَارِغِ الْإِسْتِثْنا ... مُوَجَّهٌ إِلَى الَّذِي يُسْتَثْنَى

مِنْهُ مُقَدَّرًا وعَامًا نَاسَبَا ... تَالِيهِ جِنْسًا فَإِذَا مَا أَوْجَبَا

شَيْءٌ بِإِلَّا مِنْهُ جَاءَ قَطْعَا ... ووَضْعُ ذِي هُنَا أَتَمُّ صُنْعَا

يعنى أن القصر بإنما جاء في الفعل الذي خلا، أي فرغ من المستثنى منه، ويحتمل أن المعنى: وإنما جاء القصر في الطريق الذي خلا، أي تقدم وهو النفي والاستثناء ؛ لأن نفي فارغ الاستثناء، أي نفي الاستثناء المفرغ موجه فيه إلى الشيء الذي يستثنى منه، حال كون ذلك الشيء مقدرا ؛ لأن الاستثناء إخراج، فيحتاج إلى مخرج منه، والمراد التقدير المعنوي لا الصناعي، وحال كونه أيضا عاما ؛ لأن الإخراج لا يكون إلا من عام، ناسبا تاليه جنسا أي وحال كون ذلك الشيء المستثنى منه مناسبا لتاليه الذي هو المستثنى في جنسه، نحو " ما قام إلا زيد " أي أحد، و" ما أكلت إلا تمرا " أي مأكولا، ولا بد أن يوافقه في إعرابه، فإذا ما أوجبا شيء بإلا منه جاء قطعا، أي فإذا أوجب من ذلك الشيء المنفي المستثنى منه المقدر العام شيء بإلا، جاء القصر قطعا ضرورة ببقاء ما عداه على الصفة، أي صفة الانتفاء . قوله: ووضع إلخ، يعنى أن وضع هذه المسألة هنا أتم صنعا، أي أتم في الصناعة من وضع صاحب التلخيص لها بين تأخير المقصور عليه في إلا، وتأخيره في إنما، لأنه يوهم أنها علة للتأخير، لفصله بين بعض الكلام وبعض . قوله: تاليه مفعول به لقوله ناسبا منصوب بفتحة مقدرة فيه للضرورة، وقوله جنسا تمييز وقوله قطعا مفعول مطلق نائب عن مصدر من قوله جاء، أي جاء القصر مجيئا مقطوعا به، وقوله ذي إشارة إلى هذه المسألة، وقوله صنعا تمييز، وقوله في أول الأبيات لأن نفي فارغ الاستثنا بقصر الاستثناء لضرورة الوزن وإضافته إلى فارغ من إضافة الصفة إلى الموصوف، انتهى .

هذا مبحث الإنشاء

مبحث الإنشاء:

الإنشاء لغة الإبداع، وفى الاصطلاح يطلق على الكلام الذي ليس لنسبته خارج، تطابقه أو لا تطابقه، وقد يطلق على إلقاء الكلام[157] الإنشائي، كما أن الإخبار كذلك، أي يطلق على المعنيين، والمراد هنا بالإنشاء الثاني ؛ لأن المراد من الاستفهام والتمني وغيرهما التي هي من أنواع الطلب، وهو نوع من الإنشاء معانيها المصدرية، لا الكلام المشتمل عليها، بدليل ذكر اللفظ الدال عليها، كقوله: أنواعه منها التمني، ووضع ليت له، وقوله: وقد يجي بهل، فإن ليت مثلا موضوع لإفادة معنى التمني، لا للكلام الذي فيه التمني، واللام في قولنا لإفادة معنى التمني للغاية والتعليل، وليست صلة لوضع، لظهور أن ليت ليست موضوعة لإلقاء الكلام المخصوص .

وتحقيق ذلك كما في حواشي السيد على المطول: أن قولك " ليت زيدا قائم " يدل على نسبة القيام إلى زيد في النفس، وعلى هيئة نفسانية متعلقة بتلك النسبة على وجه يخرجها عن احتمال الصدق والكذب، والوجه هو الطلب على وجه المحبة، والهيئة هي طلب النفس تلك النسبة، فالمجموع المركب من هذه الألفاظ كلام لفظي إنشائي، والمجموع المركب من معانيها مدلول الكلام اللفظي الإنشائي، وظاهر أن ليت ليست موضوعة لذلك الكلام، ولا لمدلوله، ولا لإلغاء أحدهما، ولا لإحداث تلك الهيئة نفسها، بل هي موضوعة لتلك الهيئة نفسها، التي هي طلب الشيء على وجه المحبة، فالإنشاء المنقسم إلى التمني بمعنى تلك الهيئة لا يفسر بإلقاء الكلام الإنشائي .

نعم إذا أريد بالتمني إلقاء كلام إنشائي مخصوص، كان قسما من الإنشاء المفسر بالإلقاء، ولا يصح حينئذ أن يقال اللفظ الموضوع للتمني ليت ؛ لأنها لم توضع لإلقاء كلام إنشائي مخصوص، إلا بجعل اللام للغاية والتعليل، كما تقدم .

قال في فيض الفتاح: " لكن الأظهر أن يقصد بالإنشاء الكلام الذي ليس لنسبته خارج، تطابقه أو لا تطابقه، لا الإنشاء بالمعنى الثاني، لأنه تقدم حصر المعاني في ثمانية أبواب منهاالإنشاء، وقد جعل هناك عبارة عن نفس الكلام، فالمناسب أن يراد هنا أيضا بالإنشاء نفس الكلام، وكذا بأقسامه التي

هي التمني وغيره، ويكون حيث رجع الضمير إليه باعتبار الثاني، كقولنا: منه التمني ومنه الاستفهام استخداما " . [1]

وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ مِنْهُ الطَّلَبِي طَالِبُ مَا يُفْقَدُ وقْتَ الطَّلَبِ

يعنى أن المقصود في هذا الفن من الإنشاء بجميع أنواعه، إنما هو الإنشاء الطلبي، أي المنسوب إلى الطلب، لاختصاصه بمزيد أبحاث لم تذكر في بحث الخبر، ولا كثير من الإنشاءات الغير الطلبية؛ لأنها أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء، والمذكور من أنواع الطلب في النظم خمسة: التمني، والاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء .

قال في المطول: " لأنه إما أن يقتضي كونه مطلوبا ممكنا أَوْ لا، الثاني التمني، والأول إن كان المطلوب به حصول أمر في ذهن الطالب فهو الاستفهام، وإن كان المطلوب حصول أمر في الخارج، فإن كان ذلك الأمر انتفاء فعل فهو النهي، وإن كان ثبوته، فإن كان بأحد حروف النداءِ فهو النداء، وإلا فهو الأمر " . [2]

قال في فيض الفتاح: " وهذا على أن الترجي ليس بطلب، [158] وبعضهم جعل الترجي قسما سادسا، ومنهم من أخرج التمني والنداء من أقسام الطلب، بناء على أن العاقل لا يطلب ما يعلم استحالته، وإن طلب الإقبال خارج عن مفهوم النداء الذي هو صوت يهتف به الرجل وإن كان يلزمه " . [3]

تنبيـــــه

اعلم أن أنواع الإنشاء غير الطلبية كثيرة، منها: أفعال المقاربة، والمدح والذم، وصيغ العقود، كبعت، وأنا بائع، والفسوخ، كطلقت، والقسم، ولعل، ورُبَّ، وكَمْ الخبرية ونحو ذلك .

قال في فيض الفتاح: " وجعل السعد في مختصره أفعالَ المقاربة إنشاءً، وهو غير مسلم، إذ كاد زيد يخرج ـ كما في الأطول وغيره ـ يحتمل الصدق والكذب وكذا طفق زيد يخرج، بخلاف أفعال

(1) – يراجع في هذه التوطئة عن مبحث الإنشاء، فيضُ الفتاح للعلوي ص220

(2) – . مطول السعد، م س، ج2 ص287.

(3) – ينظر فيض الفتاح حول هذه الفقرات الثلاث ص222.223

الرجاء، كعسى، فتجعل الكلام إنشائيا ؛ لأنها لإنشاء الترجي، وأما رب فإنها لإنشاء التكثير أو التقليل، وكَذَا كمْ الخبرية لإنشاء التكثير، عدهما السعد من الإنشائيات، ووجهه السيد بقوله: ولا ينافي ذلك كون ما دخلا عليه كلاما محتملا الصدق والكذب، بحسب نسبة غير نسبة التقليل والتكثير، فإذا قلت: كم رجال عندي ؟ فهو باعتبار نسبة الظرف إلى الرجال كلام خبري يحتمل الصدق والكذب، وأما باعتبار استكثارك إياهم فلا يحتملهما، لأنك استكثرتهم ولم تخبر عن كثرتهم " . [1]

قلتُ: فعلى هذا يكتسب مضمون الجملة الذي نسبة الظرف إلى الرجال الإنشائية من توقفه بحسب اعتبار المتكلم وقصده على مضمون القيد الذي هو التكثير المتوقف وجوده على وجود لفظه الذي هو كم، فتكون الجملة الخبرية في الأصل إنشائية بالاكتساب المذكور، ويجرى هذا في الجملة الخبرية، المقيدة برب، أو لعل، وسائر أفعال الرجاء كعسى وأخواتها .

وقال ياسين: " هذا الكلام ضعيف، والذي يقطع به أن هذا خبر لأن التكثير ليس المعني به جعل القليل كثيرا، حتى يكون إنشاء، بل معناه اعتقاد الكثرة الواقع في النفس، والتعبير عن ذلك بكم إخبار عن أمر خارجي " . [2]

قال في فيض الفتاح: " والعجب مما وقع لهذا الشيخ هنا - أعني ياسين - من إنكار معنى الإنشاء، في نحو كم رجال عندك ؟ لأن التكثير فيه معنى الافتخار، أي إظهار الفخر، وهو معنى لا يوجد إلا بنفس اللفظ، أعني لفظ كم، وذلك إنشاء ؛ لأن الإنشاء لفظ وقع به معنى يقارنه في الوجود والافتخار، لا خارج له، بل كالطلاق والبيع، وقد ذهل هو هنا عن ذلك، وفسر التكثير باعتقاد الكثرة " . [3]

تنبيــه آخر

قال في الإتقان: "

وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ: الْإِنْشَاءُ مَا يَحْصُلُ مَدْلُولُهُ فِي الْخَارِجِ بِالْكَلَامِ، وَالْخَبَرُ خِلَافُهُ .

(1) - فيض الفتاح م س. ج1 ص221

(2) - نفس المصدر ص221

(3) - فيض الفتاح م س. ج1 ص222

وَقَالَ: بَعْضُ مَنْ جَعَلَ الْأَقْسَامَ ثَلَاثَةً: الْكَلَامُ إِنْ أَفَادَ بِالْوَضْعِ طَلَبًا، فَلَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِطَلَبِ ذِكْرِ الْمَاهِيَّةَ، أَوْ تَحْصِيلِهَا، أَوِ الْكَفِّ عَنْهَا، والْأَوَّلُ الِاسْتِفْهَامُ، والثَّانِي الْأَمْرُ، والثَّالِثُ النَّهْيُ، وإِنْ لَمْ يُفِدْ طَلَبًا بِالْوَضْعِ، فَإِنْ لَمْ يَحْتَمِلِ الصِّدْقَ والْكَذِبَ سُمِّيَ تَنْبِيهًا وإِنْشَاءً، لِأَنَّكَ نَبَّهْتَ بِهِ على مَقْصُودِكَ، وأَنْشَأْتَهُ أَيِ ابتكَرْتَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ مَوْجُودًا فِي الْخَارِجِ، سَوَاءٌ أَفَادَ طَلَبًا [159] بِاللَّازِمِ كالتمني، والتَّرَجِّي، والنِّدَاءِ، والْقَسَمِ، أَمْ لَا، كَأَنْتِ طَالِقٌ، وإِنِ احْتَمَلَهُمَا مِنْ حيث هو فهو الخبر "[1]

أَنْوَاعُــــهُ مِنْهَـــا التَّمَـــنِّي ووُضِـــعْ   لَيْــتَ لَــهُ ولَــوْ مُحَــالاً فَاسْــتَمِعْ

يعنى أن من الطلب التمني، وهو طلب حصول أمر على طريق يفهم المحبة، ولو على جهة النفي، ووضع ليت له أي للتمني فهي حقيقة فيه، وغيرها من الصيغ الدالة عليه مجازية .

قال في الإتقان: " وقال التنوخي: " إن ليت تفيد تأكيد التمني " . [2]

قوله: ولو محالا إلخ، يعنى أن ليت موضوعة لطلب الشيء على سبيل المحبة، ولو كان ذلك الشيء محالا عادة أو عقلا ؛ لأن الإنسان كثيرا ما يحب المحال ويهم ويطلبه .

قال في فيض الفتاح: " ولا يشترط إمكان المتمني، بل يكون تارة ممتنعا، **كَمِثْلِ يَا لَيْتَ الشَّبَابَ عَائِدْ** فإنه محال عادة، بناء على أن المراد به عود قوة الشبوبية[3] بالجنس أو النوع، فإن عود مثلها ممكن عقلا، لكنه محال عادة، وأما السن المعين فإن عوده محال عقلا، وكذا عود قوة الشبوبية بالشخص، وتارة يكون المتمني ممكنا الإمكان الخاص، فلا يستعمل في الواجب، فلا يقال: ليت الله عالم بكذا، ونحو ذلك من الواجبات الضروريات، لكن إذا أمكن المتمني وجب أن لا يكون توقع وطماعية في وقوعه، وإلا صار مرجيا، فيؤتي بلعل أو عسى .

قال في فيض الفتاح: " والترجي عند السعد ليس بطلب، ومحل استعمال لعل فيه، إذا كان فيه توقع، وإن كان مجرد طمع استعمل فيه عسى، والتوقع أقوى من الطماعية ؛ لأن التوقع انتظار وقوع الشيء، والطماعية عدم القنوط من حصول المطلوب، والطمع في حصوله مع عدم انتظاره، فهي أبعد

(1) – «الإتقان في علوم القرآن» م س. ج3 ص257

(2) – الإتقان م س ج2 ص286

(3) – أو الشبابية

من التوقع ؛ لأن في التوقع طمعا وزيادة، فكل متوقع مطموع به ولا عكس ؛ لأن مجرد الطمع لا يحصل معه إيقان بحصول المطلوب، بل يكون مشكوكا فيه، فإذا انضم إليه التوقع حصل اليقين بوجوده " .

قال في فيض الفتاح: " وأما صيغة الأمر والنهي والاستفهام والنداء فلا تستعمل إلا فيما كان ممكنا، قاله الجربي، قال ياسين ولعل مراده أن الأصل ذلك وإلا فالأمر بالمحال، بل التكليف به واقع . "[1]

تنبيــــه

قال في فيض الفتاح: " قال الفنري في حواشيه على المطول: قدم التمني لعمومه في الممكنات وغيرها، وعقبه بالاستفهام لكثرة مباحثه، ثم بالأمر لاقتضائه الوجود، ثم بالنهي لمناسبته له في الأحكام " . [2]

وقَـدْ يَجِي بِهَـلْ كَهَـلْ مِــنْ عَاضِــدْ، [3]

يعنى أن التمني قد يجيء بهل، أي قد يتمنى بها مجازا، كقولك هل من عَاضِدْ أي ناصر، لفقده علما أي عند فقده أي العاضد في علم المتمني، لأنه حينئذ يمتنع حمله على الاستفهام حقيقة، للجزم بانتفاء الحكم المستفهم عنه الذي هو وجود العاضد، والاستفهام يقتضي الجهل بالمستفهم عنه، والعلم هنا بعدم العاضد حاصل، وكقوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿**فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ**﴾[4] مع أنهم عالمون بأن لا شفيع لهم، والنكتة في التمني بهل، والعدول عن ليت إبراز المتمني لكمال العناية به في صورة الممكن الذي لا جزم بانتفائه، والعلاقة بين التمني والاستفهام الطلب، لأنهما يشتركان فيه .

قال في فيض الفتاح[5]: " ثم إن ذلك لا يختص بهل، بل الهمزة كذلك قد تجيء للتمني، كقوله:

---

(1) – أحال المؤلف إلى كتاب فيض الفتاح مرتين انظر ص224

(2) – فيض الفتاح م س ص224

(3) – في المطبوع: هَلْ مِنْ صَائِدْ

(4) – الأعراف، الآية: 53

(5) – فيض الفتاح ص 223

أَلا سَبِيلَ إِلَى خَمْرٍ فَأَشْرَبُهَا ... أَمْ لا سَبِيلَ إِلَى نَصْرِ بْنِ حَجَّاجِ[1]

وقوله:

أَلا عُمْرَ ولَّى مُسْتَطَاعٌ رُجُوعُهُ ... فَيَرْأَبَ مَا أَثَأَتْ يَدُ الغَفَلَاتِ[2]

واللام في قوله **لفقده** بمعنى عند .

وَهَكَذَا بِلَوْ يعنى أن لو كهل في أنها قد يتمنى بها، نحو لو تأتيني فتحدثني، بنصب تحدث على إضمار أن، فالنصب قرينة صارفة عن الحقيقة، أي قرينة على أن لو ليست مستعملة في معناها الحقيقي، إذ لا ينصب المضارع بعد لو المستعملة في معناها الحقيقي بإضمار أن ؛ لأن أن إنما تضمر في جواب الاستفهام، أو التمني، أو العرض، أو التحضيض، أو الأمر، أو النهي، أو النفي، والمناسب للمقام هنا التمني، فالنصب لجواب لو قرينة صارفة عن الحقيقة، وإشاعة استعارة لو للتمني قرينة معينة للتمني، والعلاقة بين مدلول لو والتمني هي كون كل منهما لتصوير غير الواقع واقعا .

قال الفنري: " ولا يحتاج لو حينئذ إلى الجزاء، لخروجها عن معنى التعليق، ولو رفع الفعل الذي هو الجواب لخرج المثال عن الباب، فحينئذ يجب أن يقدر الجزاء لبقاء لو على معناها، والهاء في قوله هكذا للتنبيه، والكاف للتشبيه " . [3]

ويُوسُفٌ كَأَنَّ مِنْهُمَا حَذَوْا

هَلَّا وأَلَّا بِانْقِلابِ الْهَاءِ مَعْ ... لَوْلا ولَوْمَا بِمَزِيدِ مَا وقَعْ

إِذْ أُشْرِبَا مَعْنَى التَّمَنِّي لِيَفِي ... فِي الْمَاضِ تَقْدِيمٌ كَذَا التَّحْضِيضُ فِي

مُسْتَقْبَلٍ هَلَّا أَتَيْتَ هَلَّا ... تَجِي . .

أي وقال يوسف السكاكي: كأن منهما، أي من هل ولو حذوا، أي البيانيون هلّا وألاّ بتشديد اللام فيهما، وبانقلاب الهاء من هل في ألا، همزا مع تشديد اللام مع لولا، ولوما، بمزيد لا في لولا، وما في لوما، إذ أشربا معنى التمني، أي لأجل أنهما أي هل، وهل قد أشربا أي ضمنا معنى التمني كما تقدم

(1) – . البيت لفريعه بنت همام، وتعرف بالذلفاء، انظر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي، ج4 ص80، ت ع السلام محمد هارون، ط4 1418، مكتبة الخانجي القاهرة.

(2) – . احتج بهذا البيت النحاة والبلاغيون، ولم ينسبه أحد إلى قائل، وبالبحث لم أعثر على قائله، وهو من بحر الطويل.

(3) – فيض الفتاح م س. ج1 ص225

بيانه، ثم ركبت لا مع هل، وأدغمت في لامها وقلبت هاء، وهاء همزة في ألا، وركبت لا مع لو في لولا، وما معها في لوما، ليفي في الماضي تقديم أي ليتولد منها في حال دخولها على الماضي التقديم، أي إدخال الندم على المخاطب، وفى حال دخولها على المستقبل التحضيض، أي طلب الفعل من المخاطب بحث وإزعاج، فالأول نحو" هلا أتيت، وألا مضيت " ولولا ركبت ولو ما نزلت " والثاني نحو " هلا تجيء وألا تذهب " " ولولا تأكل ولوما تشرب "

والمعنى قال يوسف: كأن هلا وألا بتشديد اللام فيهما، وانقلاب الهاء همزة في ألا، ولولا، ولولا بزيادة لا في الأولى وما في الثانية، أي كأن هذه الحروف الأربعة مأخوذة من هل ولو، لتضمنهما معنى التمني، وركبت هذه الحروف الأربعة منهما، ليفي في حال دخولها على الفعل الماضي تقديم المخاطب، وفى حال دخولها على الفعل المستقبل التحضيض عليه، فالأول نحو " هلا أتيت " والثاني نحو " هلا تجيء "

قال في الإتقان: " لَوْلا عَلَى أَوْجُهٍ، ثُمَّ قال: الثَّانِي: أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى هَلَّا، فَهِيَ لِلتَّحْضِيضِ والْعَرْضِ فِي الْمُضَارِعِ، أَوْ مَا فِي تَأْوِيلِهِ نَحْوَ: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾[1][161] ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾[2]

وَلِلتَّوْبِيخِ والتَّنْدِيمِ فِي الْمُضَارِعِ نَحْوَ: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾[3] ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[4]

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم﴾[5] ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾[6]

ثم قال: لَوْمَا بِمَنْزِلَةِ " لَوْلَا " فهي للتحضيض والعرض في المستقبل، وللتوبيخ والتنديم في

(1) – سورة النمل، الآية: 46

(2) – سورة المنافقون، الآية: 10

(3) – سورة النور، الآية: 13

(4) – سورة الأحقاف، الآية: 28

(5) – سورة النور، الآية: 16

(6) – سورة الأنعام، الآية: 43

الماضي، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[1]

وَقَالَ الْمَالِقِيُّ: لَمْ تَرِدْ إِلَّا لِلتَّحْضِيضِ " .[2]

قوله: هلا اسم كان خبرها قوله منهما حذوا، والضمير في قوله منهما عائد إلى " هل" و" لو" وكذلك الضمير في قوله أشربا، وقوله تنديم فاعل ليفي، وقوله تجي بحذف الهمزة لضرورة الوزن .

. . وخُـذْ تَمَنِّيًـا بِعَـلَّا

فَانْصِبْ جَوَابَهَا بِلَيْتَ . .

قوله: علّ بتشديد اللام وحذفها، أي بتشديد اللام الأخيرة، وحذف اللام الأولى لغة في لعل، يعنى أنه قد يتمنى بلعل فينصب جوابها بأن مضمرة بعد الفاء، كنصب جواب ليت، نحو " لعلي أحج فأزورك " بالنصب، ومنه قوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ 36 أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ﴾[3] بنصب أطلع بناء على مذهب البصريين، من أن الترجي لا يكون له جواب، وتأولوا النصب في الآية بأن لعل أشربت معنى التمني، وإنما يتمنى بلعل لبعد المرجو عن الحصول، فسبب بعده عنه أشبه المحال، والممكن البعيد الحصول انتهى .

قلت: والنكتة في التمني [160] بعل والعدول عن ليت، هي إبراز الممني لكمال العناية به في صورة الممكن المنتظر وقوعه ؛ لأن ذلك هو الأصل في مدخول لعل، والعلاقة بينهما طلب الشيء على وجه المحبة .

قال الناظم في شرحه: والفرق بين التمني والترجي، أن الأول في البعيد، والثاني في القريب، وأن الأول في المعشوق للنفس، والثاني في غيره، وأن الثاني في المتوقع والأول في غيره .

قال شيخنا العلامة الكافيجي: " والفرق بين التمني والعرض، هو الفرق بينه وبين الترجي " .

. . والخَبَرْ تَضْمِينُهُ لَفْظَ التَّمَنِّي مُسْتَطَرْ

يعنى أن تضمين الخبر في لفظ التمني مستطر عند البيانيين، أي مسطور ثابت عندهم، والمعنى أن

---

(1) - سورة الحجر، الآية: 7

(2) - «الإتقان في علوم القرآن»ج2 ص284.

(3) - سورة غافر، الآية: 36.37

التمني قد يتضمن معنى الخبر فيكون محتملا للصدق والكذب .

قال الناظم في الشرح: " قال في الكشاف، في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ﴾[1] يجوز أن يكون ولا نكذب معطوفا على نرد أو حالا، قال: ولا يدفعه قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ 29﴾ لأنه تمن قد تضمن معنى العدة فتعلق به التكذيب، فالحاصل أن قول الكفار ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ 28﴾ لفظ تمن متضمن لكلام خبري، هو الوعد بعدم التكذيب، والإيمان على تقدير الرد بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ 29﴾ أي في إخبارهم بالوعد بعدم التكذيب والإيمان، إذ لا يحتمل الصدق والكذب إلا الخبر . "[2]

وَمِنْهَـــا الاِسْـــتِفْهَامُ بَالهَمْـــزِ وهَـــلْ ... مَـــا مَـــنْ وأَيِّ كَـــمْ وأَيْـــنَ كَيْـــفَ دَلّْ
أَنَّى مَـــــــــــــــــتَى أَيَّانَ .

يعنى أن من أنواع الطلب الاستفهام، وهو طلب حصول صورة المستفهَم عنه بفتح الهاء في ذهن المستفهِم بكسرها، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين شيئين أو عدم وقوعها، فحصولها هو التصديق، وإن لم تكن تلك الصورة وقوع نسبة بين شيئين أو عدم وقوعها، فحصولها التصور، والفرق بين الطلب في الاستفهام، [162] والطلب في التمني، والأمر، والنهي، والنداء، أنه في الاستفهام، ليحصل في الذهن ما نقش في الخارج، وفى البواقي ليحصل في الخارج ما نقش في الذهن، والصيغ الموضوعة للدلالة على الاستفهام إحدى عشرة: الهمزة، وهل، وما، ومن، وأي، وكم، وكيف، وأين، وأنى، ومتى، وأيان، إلا أن بعضها مختص بطلب التصور، وبعضها بطلب التصديق، وبعضها يأتي لهما، وستسمع إن شاء الله تفصيل ذلك .

. . فَـــــالْهَمْزَ اذْكُـــــرِ ... لِطَلَـــبِ التَّصْـــدِيقِ والتَّصَـــوُّرِ

يعنى أن الهمز يجيء لطلب التصديق والتصور ؛ لأنها الأصل في الاستفهام، وباقي الأدوات نائب عنها، فالتصديق إدراك أن النسبة واقعة أو غير واقعة، وتفسير التصديق بهذا التفسير مبني على مذهب الحكماء من بساطة التصديق، لا على مذهب غيرهم من تركيبه من ثلاث تصورات، تصور المحكوم

(1) - سورة الأنعام، الآية: 27

(2) - شرح عقود الجمان للسيوطي، م س، ص210.

عليه وبه والحكم مع الإيجاب أو السلب، وطلب التصديق راجع إلى تفصيل مجمل، فإذا قلت: أقام زيد ؟ تعلم أن أحد الأمرين إما قيام زيد، أو عدم قيامه، لكن لا تدري أيهما الواقع على التعيين، فأنت عالم بالإجمال جاهل بالتفصيل .

وكذا في الجملة الإسمية، **نَحْوُ أَزَيْدٌ قَائِمٌ** إلا أن دخول الهمزة على الفعلية أكثر، واعلم أن المثالين سؤالان عن ثبوت القيام لزيد لا عن تصور زيد، ولا عن تصور القيام، ولا عن تصور نسبته إليه .

قال في فيض الفتاح: " ويحتمل أن يكون أقام زيد ؟ لطلب تصور المسند، بأن علمت وقوع القيام أو القعود من زيد، فتسأل عن تعيين الواقع منهما، ويحتمل أن يكون أزيد قائم ؟ لطلب تصور المسند إليه، بأن علمت حصول القيام لزيد أو عمرو، فتسأل عن تعيين القائم منهما، [163] والتصور إدراك غير النسبة وهو المفرد، وإنما يكون عند التردد في تعيين أحد الشيئين، قاله في عروس الأفراح " . [1]

مثال مجيء الهمزة لطلب التصور، أي إدراك غير النسبة التامة، فيشمل التقييدية، قولك في طلب تصور المسند: **أَذَاكَ خَلٌ، أَمْ عَسَلٌ** ؟ عالما بكون المشار إليه واحدا من الخل أو العسل، طالبا لتعيين ذلك، وكقولك: أفي الخابية دبسك أم في الزق ؟ عالما بكون الدبس في واحد من الخابية والزق طالبا لتعيين ذلك، والدبس بكسر الدال عسل التمر وعسل النحل، والزق السقاء، وفى طلب تصور المسند إليه: أدبس في الإناء أم عسل ؟ فإنك تعلم أن في الإناء شيئا وتطلب تعيينه .

. . **قُلْـتُ وذُو التَّصْـدِيقِ حَـل**
تَالِيـهِ أَمْ مُنْقَطِعًـا والثَّـانِي مُتَّصِـلاً . .

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: والهمز ذو التصديق أي المطلوب به التصديق، حل تاليه أم منقطعا، أي حل حال كونه يتلوه أم حال كون أم منقطعا، أي أن الهمزة التي يطلب بها التصديق يؤتى بعدها بأم المنقطعة، والهمزة التي يطلب بها تعيين أحد شيئين أحاط العلم بأحدهما تتلوها أم المتصلة .

قال في فيض الفتاح: " واعلم أن الفرق بين الاستفهام عن التصور، والاستفهام عن التصديق من وجهين:

(1) - فيض الفتاح م س. ج1 ص227

ـ لفظي: وهو ما صلَح أن يؤتي بعده بأم المتصلة دون المنقطعة، فهو استفهام عن التصور، وما صلح أن يؤتى بعده بأم المنقطعة دون المتصلة استفهام عن التصديق .

ـ ومعنوي: وهو أن الاستفهام عن التصديق يكون عن نسبة تردد الذهن فيها بين ثبوتها ونفيها، والاستفهام عن التصور يكون عند التردد في تعيين أحد الشيئين " . [1]

وتقرير البيت: قلتُ والهمز صاحب التصديق، حل حال كونه تاليه، أي حال كونه منقطعا، والهمز الثاني وهو صاحب التصور، حلَّ حال كونه تاليه، أي حال كونه متصلا .

فقوله: حل بسكون اللام لضرورة الوزن، فاعله ضمير عائد إلى قوله ذو، وقوله تاليه بتقدير الفتح في الياء في المنقوص، لضرورة الوزن، حال من فاعل حل، وقوله أم فاعل الحال، وقوله منقطعا حال من أم .

وقوله: والثاني مبتدأ خبره محذوف، لدلالة خبر المبتدأ الأول الذي هو ذو عليه، تقديره والهمز الثاني حل حال كونه تاليه أم متصلا، وقوله متصلا حال من فاعل الحال التي هي جزء من الخبر المحذوف .

. . ولَمْ يُقَبَّحْ بَانِي

نَحْوَ أَزَيْدٌ قَامَ، أَجْهُولا عَرَفْتَ . .

يعنى أنه لا يقبح قول بأني نحو أزيد قام ؟ الجهولا عرفت ؟ أزيد ضربت ؟ أي لا يعد قبيحا قول من بنا نحو هذا الكلام ؛ لأن الهمز لطلب التصور مع التصديق، بخلاف هل، فإنها لطلب التصديق فقط، فلذلك قبح معها بناء نحو هذا الكلام ؛ لأن هذا البناء إنما يقبح مع التصديق، فلا يقال عند البلغاء: هل زيد قام ؟ هل الجهول عرفت ؟ إذ التقديم يستدعي الاختصاص، أي اختصاص المعمول المقدم بالعامل، والاختصاص يقتضى العلم بثبوت العامل للمعمول، ويكون السؤال إنما هو عمن وقع عليه العامل، أهو الجهول أم غيره ؟ أو عمن وقع منه القيام أهو زيد أم غيره ؟ فيكون الاستفهام عن تعيين المفعول أو الفاعل، وبينه وبين هل تدافع ؛ لأن هل لا تجيء لطلب التصور على الصواب، فتعين كون هل في المثالين لطلب التصديق، فلزم تحصيل الحاصل، وهو محال، وإنما لم

(1) - فيض الفتاح م س. ج1 ص227

يمتنع عند البلغاء لاحتمال أن يكون التقديم لمجرد الاهتمام .

قوله: يقبَّح بتشديد الباء وضم الياء مبني للمجهول، وقوله بأني نائبه، وقوله نحو بالجر بالإضافة إلى قوله بأني، وهو اسم فاعل من بنى .

. . ثُمَّ أَوْلِهَـــــا الْمَسْــــــؤُولا
بِهَـــا كَفَاعِـــلٍ ومَفْعُـــولٍ بِمَـــا مَضَـــى وفِعْـلٍ فِي أَخِلْـتَ الْمُنْتَمَـى

أي أول الهمزة في الاستفهام المسؤول عنه بها، كفاعل ومفعول بما مضى، أي فيما مضى من المثالين المتقدمين في البيت قبله، وهما قوله: أزيد قام ؟ إذا كان الشك في الفاعل من هو ؟ مع العلم بوقوع قيام، وقوله الجهولا عرفت إذا كان الشك في المفعول مع العلم بوقوع عرفان من المخاطب، وكذا سائر المتعلقات مما يصح تقديمه، نحو أفي الدار صليت ؟

أيوم الجمعة صمت ؟ أتأديبا ضربت ؟ أراكبا جئت ؟ وكالفعل في نحو أضربت زيدا ؟ أخلت المنتمي زيدا ؟ وكالمسند في نحو أقائم أم قاعد عمرو ؟ والمسند إليه أزيد أم عمرو قائم ؟

قال في فيض الفتاح: " وأما نحو أقام زيد ؟ مما لم تذكر بعده أم المتصلة فيجوز ـ كما في عروس الأفراح ـ أن يكون لطلب التصديق أو تصور المسند [164] أو المسند إليه ؛ لأن ذلك يصدر من متردد في وقوع قيام زيد، ومن جازم به وشاك في المسند إليه، ومن جازم بوقوع فعل من زيد وشك في أنه القيام أم لا، فالمعنى على الأول أقام زيد أم لا ؟ وعلى الثاني أقام زيد أم عمرو ؟ وعلى الثالث أقام زيد أم قعد ؟ وكذلك أزيد قائم ؟ غير أن الظاهر الاستفهام عن التصديق ؛ لأن النسبة هي الجديرة بالاستفهام .

وأما صاحب الأطول فجزم بأن الاستفهام في أضربت زيدا ؟ عن التصديق، وهو مثل أقام زيد ؟ لكن إذا كان الاستفهام للتصديق، فليس التصديق لفظا واحدا حتى يلي الهمزة، بل معناه دائر بين المسند والمسند إليه، فلا يمكن أن يلي الهمزة، إلا أن يقال ـ كما في عروس الأفراح ـ المعتبر فيه هو الفعل، وقد لا يلي الهمزة من المستفهم عنه إلا بعضه، نحو أزيدا ضربت أم عمرا ؟ وهذا أحسن .

ويجوز التأخير نحو أضربت زيدا أم عمرا ؟ كما عزوه لكتاب سيبويه " انتهى . [(1)]

---

(1) – فيض الفتاح م س. ج1 ص247

تنبيـــه

قال في نور الأقاح[1]:

وَيُنْكَـــرُ الفِعْـــلُ الْتِزَامـــاً فِي بَقَـــرْ   رَكِبْـــتَ أَمْ حُمْـــراً وذَا قَـــدِ انْحَصَـــرْ

قال في فيض الفتاح: " يعنى أن الفعل ينكر التزاما لا مطابقة في قولك: أبقرا ركبت أم حمرا ؟ وذا أي الركوب قد انحصر عند المخاطب على البقر والحمير، بأن يعتقد أنه لا يركب غيرهما، فإذا أنكرت وقوع الركوب عليهما، فقد نفيته من أصله، إذ لا بد له من محل يتعلق به، فالمنكر وهو المتعلق لم يل الهمزة، وإنما وليها المتعلق به وهو المفعول، فهذا من الكناية .

قال ياسين: " وحينئذ فالمستعمل في المعنى الكنائي هو الهمزة، لكونها للإنكار، والمستعمل فيه مدخوله وهو المفعول، أو هما معا "

وكذا إذا وليها الفاعل، نحو أزيد ضربك أم عمرو ؟ أي لم تضرب أصلا، أو غير الفاعل، نحو أفي الليل كان هذا أم في النهار ؟ أي لم يكن، و: أفي السوق هذا أم في المسجد ؟ " أي لم يكن . "[2]

قُلْـتُ وذَا الحُكْـمُ لِغَيْرِهَـا اسْـتَقَرّْ   كَـذَاكَ فِي الْعَـرُوسِ والطِّيـبِي ذُكَـرْ

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص، وذا الحكم الذي هو وجوب إيلاء المسؤول عنه للهمز استقر لغيرها من أدوات الاستفهام، فيجب أن يلي كل أداة من أدوات الاستفهام المسؤول عنه بها، كقوله:

كذاك في العروس إلخ، يعنى أن الطيبي ذكر في التبيان، وصاحب عروس الأفراح ذكر في العروس أن غير الهمز من أدوات الاستفهام مثلها في هذا الحكم . [3]

قوله: ذكر مبني للمجهول، والكاف من قوله كذاك نائب عن مصدر من قوله ذكر، والمشار إليه استقرار الحكم لغير الهمز من أدوات الاستفهام .

(1) – وهو نظم في البلاغة للعلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي، وهي المنظومة التي شرحها بكتابه فيض الفتاح الذي اعتمده صاحبنا مصدرا من مصادره التي اعتمد في كتابه هذا " مرتع الجنان ".

(2) – فيض الفتاح م س. ج1 ص248

(3) – انظر عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، م س، ج1 ص441.

وَهَـلْ لِتَصْـدِيقٍ فَقَـطْ كَهَـلْ أَتَـى زَيْـدٌ وهَـلْ عَمْـرٌو أَبُـو هَـذَا الْفَـتَى

يعنى أن هل لطلب التصديق خاصة على الصواب دون التصور، وتدخل على الجملتين نحو هل أتى زيد، وهل عمرو أبو هذا الفتي، فالمطلوب التصديق بحصول الإتيان لزيد، وأبوة عمرو للفتى أو انتفاؤهما عنهما .

وقال السعد: هل لطلب التصديق الإيجابي فقط، وفيه نظر ظاهر، إذ هل لطلب التصديق الإيجابي أو السلبي، وإن كانت هل لا تدخل على منفي، كما صرح به الرضي وغيره، وكأنه فهم من عدم دخولها [165] على المنفي أنها لا يطلب بها التصديق السلبي .

وقد وقع هذا الفهم للسبكي في جمع الجوامع(1)، حيث قال: « هل لطلب التصديق الإيجابي لا للتصور ولا للتصديق السلبي »(2)، حكم عليه المحلى بالسهو وقال الغنيمي: إنها لطلب التصديق إيجابا أو سلبا، مع الاعتراف بأنها لا تدخل على منفي .

مِـنْ ثَمَّ لا يُعْطَـفُ بَعْـدَهَا بِأَمْ

أي ولأجل أن هل لطلب التصديق فقط، لا يجوز أن يعطف بعدها بأم المتصلة، فلا يقال: هل زيد قام أم عمرو ؟ لأن أم المتصلة إنما تستعمل عند طلب التصور وإرادة التعيين بعد العلم بالنسبة، والتصديق طلب النسبة، فيلزم طلبها وكونها حاصلة، وهما متنافيان، بخلاف المنقطعة، فيجوز أن تقول: هل قام زيد أم قعد عمرو ؟ قال:

ألا ليت شعري هل تغيّرت الرّحى رحى الحرب أم أضحت بفلج كما هيا(3)

---

(1) جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير»، جلال الدين السيوطي (849 - 911 هـ)، لمحقق: مختار إبراهيم الهائج - عبد الحميد محمد ندا - حسن عيسى عبد الظاهر، الأزهر الشريف، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الثانية، 2005 .

(2) - الغيث الهامع شرح جمع الجوامع، لولي الدين أحمد بن ع الرحيم العراقي ت826 تحقيق محمد تامر حجازي، ط1 دار الكتب العلمية ص230.

(3) - البيت من الطويل، وهو لمالك بن الريب في ديوانه ص 46، ت الدكتور نوري حمودي القيسي، ط1 مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد 15.

تنبيه

قال في فيض الفتاح: " خالف ابن مالك في هل فقال: إنها تجيء لطلب التصور كالهمزة، فيؤتى لها بمعادل معطوف بأم المتصلة، واستدل لذلك بقوله ﷺ:

((هَلْ تَزَوَّجْتَ بِكْراً أَمْ ثَيِّبًا)) (1) يعنى أنه علم بتزوجه، وسأل عن تعيين المتزوجة أهي من نوع البكر أو من نوع الثيب، وتأول بعضهم الحديث بأن تكون أم منقطعة، والمعنى: بل تزوجت ثيبا، فعلم أن امتناع قولنا مثلا: هل قام زيد أم عمرو ؟ عند غير ابن مالك، إذا لم تقدر أم منقطعة إذ هي تجامع هل، بل لا تقع إلا بعدها، ولأنه يشترط في اتصالها أن يكون قبلها استفهام بالهمزة أو لفظة سواء قاله ياسين " . (2)

وبين الهمزة وهل فرق آخر، وهو أن الهمزة لا يستفهم بها حتى يهجس في النفس إثبات ما يستفهم عنه، بخلاف هل، فإنه لما لا يترجح عنده نفي ولا إثبات، قاله الناظم في الإتقان . (3)

وَنَحْوُ هَلْ زَيْدًا ضَرَبْتَ الْقُبْحُ أَمْ

أي ولأجل أن هل أيضا لطلب التصديق فقط، أم أي قصد القبح، نحو هل زيدا ضربت ؟

إِذْ أَفْهَمَ التَّقْدِيمُ تَصْدِيقًا حَصَلْ بِالْفِعْلِ نَفْسِهِ . .

أي لأجل أن التقديم يفهم حصول التصديق بنفس الفعل، والمستفهم عنه لا بد أن يكون غير حاصل وقت الطلب، فقولك: هل زيدا ضربت ؟ لا يكون استفهاما عن التصديق، لأنه تحصيل الحاصل ؛ لأن التقديم يفيد الاختصاص، وذلك يلزم منه حصول التصديق، ولا عن التصور لأن هل لم توضع له، وإنما لم يمتنع لاحتمال أن يكون زيدا مفعول لفعل محذوف، أو يكون التقديم للاهتمام لا للاختصاص .

خِلافَ مَا اشْتَغَلْ أي خلاف الفعل المشتغل بالضمير عن الاسم الظاهر، فإنه يجوز دخول هل

(1) - صحيح البخاري من حديث جابر بن عبد الله، كتاب الجهاد والسير، باب استئذان الرجل الإمام، الحديث رقم 2967، ج 4 ص 51.

(2) - فيض الفتاح م س. ج1 ص229

(3) - الإتقان للسيوطي م س ج2 ص168

على الاسم المشتغل عنه بلا قبح ؛ لأن القبح في الأولى إنما كان لتحقق التقديم المقتضي للاختصاص المقتضي لحصول التصديق، وهنا يجوز أن يكون العامل في زيد متقدما عليه، فلا يكون فيه تقديم، فلا اختصاص، فلا مقتضى للتصديق، فصح الاستفهام بهل عن التصديق، نحو هل زيدا ضربته ؟ لاشتغال المفسر بالضمير عن العمل في الاسم الظاهر، فصار عامله فعلا محذوفا مقدرا بينه وبين هل يفسره الظاهر، أي هل ضربت زيدا ضربته ؟ وقوله خلاف ما اشتغل بالنصب حال من فاعل أم، وهو ضمير عائد على قوله نحو .

وَقَــالَ فِي الْمِفْتَــاحِ هَــلْ عَبْــدٌ عُـرِفْ   قُـــــــــبْحٌ لَـــــــــهُ .

[166] يعنى أن صاحب المفتاح قال فيه: " إن نحو هل عبد عرف قبح له، أي لأجل أن التقديم يفيد الاختصاص، والاختصاص يستلزم التصديق ؛ لأن الأصل عنده عرف عبد على أن عبد بدل من الضمير المستتر في الفعل، وقدم لأجل التخصيص، ولذلك ساغ الابتداء به من غير مسوغ غير التخصيص .

وَلازِمٌ عَمَّا وصِفْ، جَوَازُ هَلْ زَيْدٌ عرف أو قام، أي قال صاحب التلخيص: " ويلزم على ما وصف يوسف السكاكي من تعليل قبح هل عبد عرف بما تقدم، جوازُ هل زيد عرف أو قام بدون قبح ؛ لأن تقديم الاسم المظهر المعرفة ليس للتخصيص عنده، كما تقدم مع أنه قبيح بإجماع " .

. . وَبَعْـــــضٌ عَلَّـــــلا   قُبْحَهُمَـــا بِأَنَّ هَـــلْ تَأَصَّـــلا
رَدِيــفَ قَــدْ والهَمْــزُ قَبْــلُ حُــذِفَا   لِكَثْـــــرَةِ الْوُقُـــــوعِ . .

يعنى أن بعض البيانيين علل قبح هل زيد عرف ؟ وهل عبد عرف ؟ بأن هل في الأصل رديف قدفي المعنى، والهمز أي همزة الاستفهام، قبل هل حذف لكثرة الوقوع أي لكثرة وقوعها في الاستفهام، فالأصل أهل كقوله: أَهَلْ عَرَفْتَ الدارَ بالغَرِيَّيْنْ[1]

ومنه قوله:

---

(1) - هذا صدر بيت لخطام المُجاشعيُّ، والغَرِيَّانِ: خَيَالانِ مِن أَخْيِلَةِ حِمَى فَيْد يَطَؤُهُما طَرِيقُ الحاجّ بَيْنهما وبينَ فَيْد سِتَّةَ عَشَرَ مِيلاً، وقيل هُما قَبْرَا مَالِكٍ وعقِيل نَدِيما جَذِيْمَةَ الْأَبْرَشْ، انظر تاج العروس من جواهر القاموس، (39/ 157) لمحمد مرتضى الزبيدي، مادة غرو، ت جماعة من المختصين، إصدار وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت.

سَائِلْ فَوَارِسَ يَرْبُوعٍ بِشَدَّتِنا ... أَهلْ رأَوْنا بِسَفْحِ القُفِّ ذِي الأَكّمِ[1]

وتركت الهمزة قبلها لكثرة وقوعها في الاستفهام، فأقيمت هي مقام الهمزة بعدما تطفلت هي على الهمزة في الاستفهامية، وقدمن لوازم الفعل، فكذا ما هو بمعناها، فكما يقبحقد عبد عرف، يقبحهل عبد عرف .

قال في فيض الفتاح: " وهذه علة أخرى لقبح هل زيدا ضربت ؟

قال الجربي: لا يجوز[2] أن يقال: هل زيدا ضربت ؟ لا على أن يكون زيد منصوبا بما بعده، ولا بما قدر قبله، ولا يجوز أن يقال أيضا: هل زيد عرف ؟ اختيارا لا على كون زيد مبتدأ، ولا على كونه فاعلا لفعل مقدر، ولو جاء في كلامهم مثل هل زيد عرف ؟ على استكراه قدّر الفعل مراعاة لأصلها تصحيحا، للوجه القبيح البعيد، وإنما لم يقبح هل زيد قائم ؛ لأن هل إذا لم تر الفعل تسلت عنه، وإن رأته في حيزها لم ترض إلا بمعانقته "[3]

وقَبْلُ مبنيٌّ على الضم، والألف في قوله حُذفا للإطلاق .

قُلْتُ اخْتُلِفَا

فِي كَوْنِهَا تُفِيدُ ذَاكَ فَضْلا ... عَنْ كَوْنِهَا لِذَاكَ وضْعًا أَصْلا

وَإِنَّمَا الزَّمَخْشَرِيُّ قَالَهْ ... وكَمْ إِمَامٍ رَدَّ ذِي الْمَقَالَهْ

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: اختلف أي اختلف النحاة والبيانيون في كونها تفيد ذاك، أي معنى قد على سبيل المجاز، فضلا عن كونها موضوعة لمعنى قد وضعا أصليا، وإنما قاله أي هذا القول الزمخشري، وكم إمام رد ذي المقالة، أي مقالة الزمخشري هذه .

قلتُ: والذي وقع أوقع قائل هذا القول في ذلك، قول الزمخشري في المفصل، وعند سيبويه أن هل بمعنى قد، إلا أنهم تركوا الألف قبلها ؛ لأنها لا تقع إلا في الاستفهام، والذي أوقع الزمخشري في

(1) - البيت لزيد الخيل الطائي في ديوانه ق 56/ ج1 ص 100، ت الدكتور نوري حمودي القيسي، ط ونشر مطبعة النعمان العراق، وخزانة الأدب، م س، ج4 ص506.

(2) - الجواز والإباحة في كلام النحاة والبلاغيين مختلفان عنهما في علم الشريعة، فهما في الشريعة من أقسام الحكم الشرعي الذي يخاطب به المكلف ويترتب عليه الثواب والعقاب إيجابا وسلبا، وعند النحاة والبلاغيين موافقة أو مخالفة قانون العرب في تكلمهم.

(3) - فيض الفتاح م س. ج1 ص232

ذلك قول سيبويه، وكذا هل إنما هي بمنزلة قد، إلا أنهم تركوا الألف قبلها، إذا كانت لا تقع هل إلا في الاستفهام، وقد أول السيرافي كلام سيبويه على أن المراد أن هل يستقل بها الاستفهام، كما أن قد يستقل بها الخبر، قال: والرواية في البيت أم هل رأونا ؟ .

وقال ابن مالك: إن هل تتعين مرادفتها لقد مع الهمزة، ورده أبو حيان بأنها لا تقع مرادفة لها أصلا، وخرج البيت على الزيادة، وبالجملة فأكثر النحاة متفقون على أنها عند إرادة الاستفهام ليست بمعنى قد . [167]

وَخَصَّصَتْ مُضَارِعًا بِمَا يَجِي ... فَلا تَقُلْ هَلْ تَطْرُدِينَ الْمُرْتَجِي
كَمَا يَجِي فِي هَمْزَةٍ لأَجْلِ ... ذَيْنِ لَهَا تَخَصُّصٌ بِالْفِعْلِ

يعنى أن هل تخصص المضارع بما يجيء من الزمن أي بالزمن الجائي أي المستقبل، أي تخلص المضارع للاستقبال، فلا تقل لمن طردت مرتجيا، موبخا لها: هل تطردين المرتجي ؟ لأنه استفهام توبيخ، والتوبيخ إنما يكون على الحال أو الماضي، كما يجيء ذلك أي استفهام التوبيخ في همزة، فيصح أن تقول: أتضرب زيدا وهو أخوك ؟ موبخا له على ضرب واقع في الحال، والمراد بالحال هنا حال الضرب لا الحال الصناعية، ولأجل هذين أي كونها للتصديق، وتخصيص المضارع بالاستقبال، كان لها مزيد اختصاص بالفعل، وهذه العبارة أوضح من قول التلخيص بما كونه زمانيا أظهر كالفعل ؛ لأن مقتضى الكاف أن لنا شيئا آخر غير الفعل أظهر في الدلالة على الزمان من غيره .

قال التاج السبكي: ويحتاج إلى مثال، فإن دلالة الفعل على الزمان أظهر من دلالة الاسم عليه، وليست دلالة الاسم أظهر من غيرها، وغيرهما لا يدل عليه بالكلية، إما اقتضاء تخصيصها بالمضارع لذلك فظاهر ؛ لأنها إذا خصصته بالاستقبال صار لها فيه تأثير يوجب اختصاصها به، وإذا كان لها تأثير في المضارع وهو أخص من الفعل، صار لها تأثير في مطلق الفعل ضرورة، وأما اقتضاء كونها لطلب التصديق لذلك، ولم يعرج عليه في التبيان، فلأن التصديق هو الحكم بالثبوت أو بالانتفاء، والنفي والإثبات إنما يتوجهان إلى المعاني والأحداث التي هي مدلولات الأفعال، لا إلى الذوات التي هي مدلولات الأسماء .

مِنْ ثَمَّ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ بَعْدَ هَلْ ... مِنْ تَشْكُرُوا لِطَلَبِ الشُّكْرِ أَدَلّْ

لِأَنَّ إِبْرَازَ الَّذِي جُدِّدَ فِي ... مَعْرِضٍ ثَابِتٍ أَدَلُّ إِذْ يَفِي
عَلَى كَمَالِ الِاعْتِنَا بِأَنْ حَصَلْ ... وِمِنْ أَأَنْتُمْ وعَلَى الثُّبُوتِ دَلّْ
لِأَنَّ هَلْ لِلْفِعْلِ أَدْعَى مِنْهَا ... فَتَرْكُهُ مَعْهَا أَدَلُّ كُنْهَا

أي ولأجل كونها لها اختصاص بالفعل، كأن أنتم شاكرون الواقع بعد هل في قوله تعالى: ﴿فَهَلَ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ 79﴾[1] أدل على الإعلام بطلب حصول الشكر في الخارج من التعبير بالجملة الفعلية، أو التي عجزها فعل بعد هل، نحو ﴿فَهَلَ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ 79﴾ أو فهل تشكرون وإنما كان أدل على ما ذكر ؛ لأن إبراز الذي جدد أي ما سيتجدد زمانه وهو الفعل في معرض ثابت، أي في صورة الثابت الدائم، أعني الجملة الإسمية التي لا فعل فيها، أي التي المبتدأ والخبر فيها اسمان، أدل إذا يفي أي إذا يجي، كذلك على كمال الاعتناء، بأن حصل أي بحصوله في الخارج من إبقائه على أصله، بأن يؤتى به في صورة ما سيتجدد، أي ما يدل على الاستمرار التجددي، وهو الحدوث وقتا بعد وقت، وذلك لأن ترك الشيء مع ما يقتضيه اقتضاء أقوى، أدل على أن هناك ما يقتضى تركه، فترك الفعل مع هل أدخل في الإنباء عن اقتضاء المقام عدم التجدد، وعن كمال العناية بثبوت الفعل ودوامه، [180] وهذا من إخراج الكلام على غير مقتضى الظاهر، فإن مقتضى الظاهر هو إيراد الفعل مع هل، لتخصيصها له بالاستقبال واختصاصها به، لكن اقتضى المقام غير الظاهر، وهو كمال العناية بحصول الفعل في الخارج، وعدم التجدد والإتيان بما يدل على الثبوت والدوام، وهو الجملة الإسمية، واعلم أن التعبير بالجملة الإسمية التي لا فعل لها بعد هل في غير كلام الله، نحو فهل أنتم ضاربون مثلا، لا فرق فيه بين أن يكون لطلب حصول الفعل في الخارج كما ذكرنا، أو لحقيقة الاستفهام، أعني طلب الفهم، كما يدل عليه كلام السيد في شرح المفتاح وياسين، وإذا أريد بالاستفهام حقيقته، كان فائدة العدول إلى الاسمية التنبيه على أن ذلك الفعل، كالضرب مثلا في هل أنتم ضاربون، مظنة الاستمرار والدوام، قاله السيد في شرح المفتاح .

ويتعين الوجه الأول، وهو كون التعبير بالاسمية بعد هل للإعلام بطلب حصول الفعل في الخارج في كلام الله تعالى، إذ تستحيل حقيقة الاستفهام من علام الغيوب، فكل كلام وقع في كلامه تعالى

(1) - سورة الأنبياء، الآية: 80

بصيغة الاستفهام، يجب أن يحمل على ما يناسب المقام من مجازات الاستفهام، فتنبه لهذا المقام، فإنه خفي، كما قال عصام:

وقــدْ لَــوَوْا فيــهِ أَعِنَّــةَ الأَقْــلامِ وأَجْمَحُــوا في مَواضِــعِ الإِقْــدام

تنبيــــه

إن قيل: " هل أنتم تشكرون، في صورة الجملة الإسمية، فيوجد فيها إبراز ما سيتجدد في صورة الثابت الدائم، فلا يكون هل أنتم شاكرون أدل على طلب الشكر منه، فالجواب أن الجملة إذا كان خبرها فعلا، فلا تفيد إلا الاستمرار التجددي، ولو سلم أنها تفيد الثبوت فظاهر أنها إنما تفيد الثُّبُوتَ بحسب الصورة، فإفادتها له بحسب الصورة، والحقيقة معا أدل عليه من إفادة ما هو بحسب الصورة فقط، قاله ياسين . "[1]

قوله: ومن أأنتم وعلى الثبوت دل إلخ، يعنى أن قولنا: هل أنتم ضاربون مثلا أدل على كمال العناية بطلب حصول الضرب في الخارج، أو التنبيه على أن الضرب مظنة الاستمرار والدوام من قولنا: أأنتم ضاربون ؟ الذي يدل على الثبوت والدوام، مع أن كلا منهما جملة اسمية الجزئين، وإنما كان أدل على ذلك ؛ لأن هل أدعى للفعل من الهمزة، أي أشد اختصاصا به منها، فلذلك كان تركه أي الفعل معها أي هل أدل كنها أي حقيقة على كمال العناية لتحويله، بخلاف الهمزة، فإنها لها مزيد اختصاص بالفعل دون اختصاص هل به إذ لا تأثير لها فيه .

مِــنْ ثَمَّ لا يَحْسُــنُ هَــلْ مَلِيحِــي مُنْطَلِــقٌ إِلَّا مِــنَ الْفَصِــيح

أي ولأجل أن التعبير بالجملة الاسمية بعد هل أدل على كمال العناية بحصول الفعل من التعبير بالفعلية، لا يحسن هل مليحي منطلق، أي لا يحسن التعبير باسمية الجزئين بعد هل إلا من الفصيح البليغ، وإنما لا يحسن من غير البليغ الفصيح ؛ لأن البليغ هو الذي شأنه أن يقصد به الدلالة على الثبوت والدوام، وإبراز ما سيتجدد في صورة الثابت الدائم .

قال ياسين: ومثله في حواشي الجربي، [169] يعنى إذا صدر هذا القول من البليغ كان المنظور

(1) - فيض الفتاح م س. ج1 ص234

إليه معنى لطيفا، وهو الاستفهام عن استمرار انطلاق مليحي، وكان الكلام مخرجا على غير مقتضى الظاهر، وأنه فن من البلاغة، لإحاطة علمه بما تقتضيه هل من الفعل، بخلافه إذا صدر من غير البليغ ؛ لأن استعمال اللفظ في غير موضعه من غير البليغ إنما يكون عن جهل، لا عن نظر إلى معنى لطيف، فيكون هذا القول منه قبيحا .

قال في فيض الفتاح: " واعلم أن محل حسن هل زيد ضارب، إنما هو من البليغ مع البليغ، قاله في الأطول، وهو ظاهر ؛ لأن الاعتبارات اللطيفة لا يخاطب بها إلا أهل الذكاء، فإذا صدر من البليغ مع غير البليغ لم يحسن، لكن يتعين أن يكون المراد بالبليغ من قوله مع غير البليغ العالم بعلم البلاغة " [1].

تنبيــه

فكما لا يحسن هل زيد منطلق، من غير البليغ مع البليغ، كذلك لا يحسن أزيد منطلق ؟ لأن الهمزة لها اختصاص بالفعل، وإن كان دون اختصاص هل، إلا أن نقصان الحسن مع الهمزة أقل من نقصانه مع هل، قاله عصام، ومثله في المفتاح . [2]

وَهَــلْ بَسِــيطٌ لِلْوُجُــودِ يُطْلَــبُ ... ومَــا وجُــودُهُ لِشَــيْ مُرَكَّــبُ
فَــأَوَّلٌ كَهَــلْ سُــكُونُهُ وجِــدْ ... والثَّــانِ هَــلْ سُــكُونُهُ دَوْمٌ عُهِــدْ

يعنى أن هل قسمان، بسيطة ومركبة، فالبسيطة هي التي يطلب بها وجود شيء، أي يسأل بها عنه، والمركبة هي التي يطلب بها وجود شيء لشيء، فأول كهل سكونه وجد، أي فمثال الأولى وهي البسيطة كقولك: هل سكون زيد موجود أو لا موجود ؟ وهل حركته موجودة أو لا موجودة ؟ لأن السؤال وإن كان بلفظ الإيجاب فالمراد به طلب أحد الأمرين، والمراد بالوجود هنا تحقيق النسبة من وجودها أو عدمها، فهي في قولك: هل الحركة معدومة بسيطة ؟ والمراد بالشيء الموضوع .

ومثال القسم الثاني، وهو المركبة: هل سكون زيد دائم أو لا دائم ؟ وهل حركته دائمة أو لا دائمة ؟ فإن المطلوب وجود الدوام للسكون أو الحركة أو لا وجوده، فقد اعتبر في هذه شيآن غير الوجود،

(1) - فيض الفتاح م س. ج1 ص235

(2) - فيض الفتاح م س. ج1 ص235

وهما في المثالين السكون ودوامه، أو الحركة ودوامها، وهل البسيطة المعتبر فيها شيء واحد غير الوجود، وهو في المثالين المذكورين قبل السكون أو الحركة فقط، فكانت البسيطة بسيطة بالنسبة إلى المركبة، والمركبة مركبة بالنسبة إلى البسيطة ؛ لأن البساطة أمر نسبي تطلق على ما لا جزء له أصلا، كالباري ﷻ، وكالجوهر الفرد، وعلى ما يكون أقل أجزاء بالنسبة إلى غيره، وهذا هو المراد هنا، فالبسيطة في المثالين اعتبر فيها شيئان وهما الحركة والوجود، أو السكون والوجود، والمركبة اعتبر فيها ثلاثة أشياء: الحركة والوجود والدوام، أو السكون والوجود والدوام، فالبساطة والتركيب ليسا في هل بل في متعلقها .

وتقرير البيتين: وهل قسمان بسيطة تطلب الوجود لشيء، والشيء الذي يطلب وجوده لشيء آخر بهل مركب، وهل فيه تسمى [170] مركبة، فأطلق التركيب في النظم على موصوفه الحقيقي، وهو المتعلق ؛ لأن البساطة والتركيب وصفان لمتعلق هل، وإنما توصف هل بهما مجازا فأول، أي فالقسم الأول من قسمي هل مثاله كهل سكونه وجد، أي هل سكونه موجود، والقسم الثاني منهما عهد حال كونه كهل سكونه دام أي دائم .

مُسْـــتَفْهَمُ التَّصْـــدِيقِ يُوسُـــفٌ وفَى ... لِلْحُكْـــمِ بِالثُّبُـــوتِ أَوْ بِالِانْتِفَـــا

وَمَـــنْ يَفِـــي مُسْـــتَفْهَمَ النَّفْـــيِ بِهَـــلْ ... كَصَـــاحِبِ الْمِصْـبَاحِ والمُغْـــنِي وهَـــلْ

يعنى أن يوسف السكاكي قال: إن استفهام التصديق وفى أي جاء لطلب الحكم بالثبوت أو بالانتفاء ؛ لأن التصديق هو الحكم بالثبوت أو الانتفاء، واستفهام التصديق الاستفهام المطلوب فيه التصديق، ومن نفى الاستفهام عن النفي بهل، فقال إن هل لا يطلب بها إلا التصديق الإيجابي فقط كصاحب المفتاح، وهو بدر الدين بن مالك، وصاحب المغني وهو ابن هشام، وهل أي وهم وغلط كما صرح به الرضي وغيره، وكأنه فهم من عدم دخولها على المنفي أنها لا يطلب بها التصديق السلبي .

فقال بدر الدين[1] ابن مالك في المصباح: " الاستفهام طلب ما في الخارج، أن يحصل في الذهن من تصور، أو تصديق، موجب قيل، أو منفي، فحكى قولين في أن استفهام التصديق يستفهم به عن النفي أولا، وأشار إلى تضعيف الأول بلفظة قيل " . [2]

وقال ابن هشام في المغني: " هل لطلب التصديق الإيجابي لا للتصور ولا للتصديق السلبي "[3]

وكذا قال الشيخ تاج الدين السبكي في جمع الجوامع، قال: قال الشيخ جلال الدين المحلي في شرحه عليه: التقييد بالإيجابي ونفي السلبي على منواله أخذا من ابن هشام في المغني، وهو سرى له من أن هل لا تدخل على منفي، فهي لطلب التصديق أي الحكم بالثبوت أو الانتفاء، كما قاله السكاكي وغيره " . [4]

قلت: [5] يدلك على أنها للتصديق إيجابا أو سلبا أنك إذا قلت: هل قام زيد ؟ كان جوابك نعم أولا، بمعنى هل قام زيد، السؤال هل ثبت له القيام أو عدمه .

وأما الهمزة فتدخل على النفي المحض، كقوله:

أَلَا اصْـطِبَارَ لِسَـلْمَى أَمْ لَهَـا جَلَـدٌ ؟ إِذَا أُلَاقِـي الـذِي لَاقَـاهُ أَمْثَـالِي[6]

بِالْبَاقِيَـاتِ يُطْلَـبُ التَّصَـوُّرُ

يعنى أن الأدوات الباقيات من أدوات الاستفهام يطلب بها التصور فقط، وأدوات الاستفهام أسماء إلا الهمزة وهل، والحروف أدخل في الاستفهام من غيرها، والهمزة أعرف فيه من هلكما

---

(1) – هو محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك الطائي، أبو عبد الله، بدر الدين : نحوي : هو ابن ناظم «الألفية». من أهل دمشق مولدًا سنة 555هـ ووفاة. توفي سنة 686 سكن بعلبك مدة. «تاريخ الإسلام – ت تدمري» ج51 ص284، ط2 عام 1993، ، : دار الكتاب العربي . بيروت.

(2) – . قاله في عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح» م س، ج1 ص426.

(3) – انظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ت761، (ص456)، ت الدكتوران مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، ط6 1985م، ، دار الفكر بدمشق.

(4) – جمع الجوامع في أصول الفقه لتاج الدين السبكي، ص89، ت ع المنعم خليل إبراهيم، ط2 ، دار الكتب العلمية 1424.

(5) – أي قال صاحب فيض الفتاح، انظر ج1 ص228

(6) – البيت من البسيط، وهو لقيس بن الملوح في ديوانه ص 178؛ وجواهر الأدب ص 245؛ والدرر 2/ 229؛ وشرح التصريح 1/ 244؛ وشرح شواهد المغني 1/ 42، 213؛ والمقاصد النحوية 2/ 358 إلخ. انظر «المعجم المفصل في شواهد العربية» ج6 ص380.

رأيت، وتختلف الباقيات من أدوات الاستفهام من جهة أن المطلوب بكل واحدة منها تصور شيء غير الشيء المطلوب تصوره بالأخرى .

فَمَا لِشَرْحِ الِاسْمِ قَبْلُ تُذْكَرُ

يعنى أن ما تذكر، أي يسأل بها عن شرح الاسم، أي عن مدلوله لغة أو اصطلاحا قبل، أي قبل السؤال عن ثبوت ذلك الاسم، أي مدلوله بهل البسيطة ؛ لأن الاستفهام عن ثبوت شيء، فرع عن السؤال عن معرفة معنى ذلك الشيء، فتقول: ما العنقاء ؟ طالبا لأن يبين لك مفهومه، وما وضع له [171] في اللغة، فتجاب بلفظ أشهر عندك من العنقاء، سواء كان من تلك اللغة أو غيرها مرادفا كان أم لا، كأن يقال: طائر، ويقال في جواب ما العقار خمر، وهذا هو التعريف اللفظي، والمقصود منه تمييز المعنى الحاصل عن غيره، والتوجه إليه، فإن المعنى حاصل عند السائل، وكأن المعرف يقول للطالب المعني الذي تريده هو هذا الحاصل عندك، والمراد بالاسم في قوله: فما لشرح الاسم اللغوي، فيشمل الفعل والحرف، وليس المراد بطلب شرح الاسم إلا طلب مفهومه إجمالا لا تفصيلا، بأن تراد ذاتياته من الجنس والفصل على التفصيل، ولهذا إذا لم يوجد لفظ أشهر يؤتى بما يدل على التفصيل من غير قصد التفصيل .

أَوْ لِحَقِيقَةِ الْمُسَمَّى .

يعنى أن ما لشرح الاسم أو لحقيقة المسمي، أي يسأل بها عن شرح الاسم، أو عن حقيقة المسمي، والمسمي ما جعل اللفظ اسما له، والحقيقة هي المعنى الموجود، يعنى أن ما يطلب بها حقيقة المسمي، فيجاب بأن يراد ذاتياته من الجنس والفصل، كأن يقال في جواب ما الإنسان ؟ حيوان ناطق، وربما تذكر الرسوم مقام الحدود توسعا، فتلخص أن ما التي يطلب بها بيان الحقيقة، يكون الجواب فيها بالذاتيات على قصد التفصيل، وما التي لشرح الاسم المطلوب بها ما عدا ذلك، كما قدمته .

. . وهَلِ بَسِيطَةٌ رُتْبَتُهَا الْأُولَى تَلِي

يعنى أن هل البسيطة تلي رتبتها أي ما الأولى أي تلي رتبة ما الأولى طبعا، وهي التي لشرح الاسم، فإن مقتضى الترتيب الطبيعي أي العقلي أن يطلب أولا شرح الاسم، أي بيان مفهومه، ثم

وجود المفهوم في نفسه، أعني أنه يطلب بهل البسيطة، ثم يطلب بيان ماهيته وحقيقته، ثم يطلب بهل المركبة وجود شيء له، كأن تقول أولا مثلا: ما العنقاء ؟ ثم ثانيا هل هي موجودة، ثم ثالثا ما هي ؟ أي ما ماهية العنقاء وحقيقتها، فإذا عرفت حقيقتها قلت رابعا: هل العنقاء دائمة ؟

وإنما كان مقتضى الترتيب الطبيعي ؛ لأن من لا يعرف مفهوم اللفظ لا يحسن منه أن يطلب وجود ذلك المفهوم ومن لا يعرف أنه موجود لم يحسن منه أيضا أن يطلب حقيقته، إذ لا حقيقة للمعدوم، ولا ماهية له، وإنما كان المعدوم لا ماهية له ؛ لأن الماهية ما به الشيء هو هو، والمعدوم لا هوية له أي لا وجود له في الخارج . [1]

قوله: وهل مبتدأ، وقوله بسيطة بالنصب حال من المبتدأ، وخبر المبتدأ قوله تلي .

وقوله: رتبتها بالنصب مفعول مقدم لقوله تلي .

فتقدير الكلام: وهل تلي رتبة ما الأولى حال كونها بسيطة .

تنبيـــــه

لما كان السؤال بما التي لطلب بيان الحقيقة لإيجاب إلا بالذاتيات، أجاب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فرعون حين سأله عن حقيقة الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ 22﴾[2] بذكر بعض خواصه وصفاته، حيث قال: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ 23﴾[3] تنبيها على أن حقيقته تعالى لا تعلم ، [172] وأنه لا تركيب، ولما لم يتنبه فرعون وعد جوابه غير مطابق ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ 24﴾[4] سألته عن حقيقته فأجابني بصفاته، فلم يتعرض موسى لخطابه، بل ذكر صفة أبين حيث قال: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ 25﴾[5] لعله يتنبه فلم يتنبه، فنسب فرعون موسى للجنون، وقال استهزاء

(1) – فيض الفتاح م س. ج1 ص237

(2) – سورة الشعراء، الآية: 23

(3) – سورة الشعراء، الآية: 24

(4) – سورة الشعراء، الآية: 25

(5) – سورة الشعراء، الآية: 26

﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ 26﴾[1] فذكر موسى ثالثا صفة أبين بقوله: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ 27﴾[2] مشيرا إلى أن السؤال عن حقيقته تعالى لا يصدر من عاقل .

وَمَـــنْ بِهَـــا يَطْلُـــبُ أَنْ يُعَيَّنَـــا شَـخْصٌ بِـهِ يَعْلَـمُ نَحْـوُ مَـنْ هُنَـا

يعنى أن من يطلب بها تعيين شخص عاقل، نحو قولك: من هنا ؟ فتجاب بزيد، ونحوه من كل ما يفيد التشخيص، وأما الجواب بنحو رجل فاضل من قبيلة كذا، أو نحو ابن فلان أو أخو فلان، فإنما يصح ذلك من جهة أن المخاطب يفهم التشخص بحسب انحصار الأوصاف في الخارج في شخص واحد، وإن كانت تلك الأوصاف بالنظر إلى مفهوماتها كليات .

قوله: يطلب بالبناء للنائب، نائبه قوله أن يعينا، أي المصدر المسبوك من أن وصلتها، ويعين أيضا مبني للنائب ونائبه قوله مشخص، وقوله يعلم صفة لقوله مشخص انتهى .

والألف في قوله أن يعينا للإطلاق .

وَقِيــلَ مَــا لِلْجِــنْسِ والْوَصْــفِ تَعُــمّْ فَفِــي جَـوَابِ مَـا لَـدَيْكَ الثَّـوْبَ أُمّْ
وَفِي جَـــوَابِ مَـــا أَخُـــوكَ الْمُرْتَضَـــى

أي وقال السكاكي أن ما تعم الجنس والوصف، أي يسأل بها عنهما جميعا، ففي جواب قول من قال لك: ما لديك الثوب أم ؟ أي اقصد الثوب للجواب، أي اجعله جوابا، فتقول في جواب من قال لك: ما عندك ؟ أي أي أجناس الأشياء عندك ثوب ونحوه، وتقول في جواب من قال: ما أخوك ؟ ؟ أو ما زيد ؟ أي ما صفته المرتضى أو الكريم ؟ .

قال في فيض الفتاح: " فتحصل أنَّ ما يسأل بها عن الكليات الخمس " .[3]

واللام في قوله: للجنس زائدة لتقوية العامل، لضعفه بالتأخير، وقوله أم بالسكون لضرورة الوزن فعل أمر، وقوله الثوب بالنصب مفعوله .

(1) – سورة الشعراء، الآية: 27

(2) – سورة الشعراء، الآية: 28

(3) – فيض الفتاح م س. ج1 ص236

ومَـنْ لِجِـنْسِ عَـالِمٍ ومَـا ارْتَضَـى

لا وصْـــــــــفِهِ .

يعنى أن من يسأل بها عن جنس العالم أي العاقل، فتقول في جواب من جبريل ؟ أبشر هو أم ملك أم جني ؟: ملك، وما ارتضي هذا القول أي لا يُسَلَّم أنها يسأل بها عن الجنس، وأنه يصح في جواب من جبريل ؟ ملك، بل جوابه ملك يأتي بالوحي وكذا، وكذا مما يفيد تشخيصه .

قوله: لا وصفه بالجر عطف على قوله لجنس عالم

يعنى أن من لا يسأل بها عن وصف العاقل، وقد قال بعض الشارحين أنها يسأل بها عنه، كما يسأل عنه بما، إذ لا فرق بينهما، إلا أن ما لما لا يعقل عكس من .

قال الشيخ بهاء الدين: وهذا الفرق يُلجئُ إلى أنها لا يسأل بها عن الوصف ؛ لأن الوصف ليس بعاقل، فلا يسأل عنه بمن التي هي للعاقل .

. واسْـــــأَلْ بِأَيِّ عَمَّـــا يُمَيِّـــزُ الشِّـــرْكَةَ فِيمَـا عَمَّـــا

يعنى أن أيا يسأل بها عن عما يميز الشركة أي عما يميز أحد المتشاركين عن الآخر في أمر يعمهما، نحو ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَاماً﴾[1] أي نحن، أم أصحاب محمد ﷺ ؟ فالمؤمنون والكفار قد اشتركا[2] في مضمون ما أضيف إليه أي وهو الفريقية، وسألوا عما [173] يميز أحدهما عن الآخر، والأمر الذي يقع به التمييز هو الخيرية، والجواب بالتعيين .

وَاسْأَلْ بِكَمْ عَنْ عَدَدٍ يعنى أنه يسأل بكم عن العدد المجهول، نحو ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾[3] أيْ كم آية بينة آتيناهم، أعشرين أم ثلاثين أم غير ذلك ؟

قال في الشهدة الصريحة على النخبة المليحة: والغرض من هذا السؤال التقريع والتوبيخ .

وَكَيْفَ عَنْ .. حَالٍ أي ويسأل بكيف عن الحال أي عن حال المخاطب وغيره، نحو كيف أنت ؟ أي أصحيح أم سقيم، وكيف زيد ؟

---

(1) – سورة مريم، الآية: 73

(2) – لعل الأصوب " قد اشتركوا "

(3) – سورة البقرة، الآية: 211

قال في الإتقان: " ويُسْتَفْهَمُ بِهَا عَنْ حَالِ الشَّيْءِ لَا عَنْ ذَاتِهِ .

قَالَ الرَّاغِبُ: وإِنَّمَا يُسْأَلُ بِهَا عَمَّا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ فِيهِ شَبِيهٌ وغَيْرُ شَبِيهٍ، ولِهَذَا لَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ فِي اللهِ: كَيْفَ . قَالَ: وكُلَّمَا أَخْبَرَ اللهُ بِلَفْظِ " كَيْفَ " عَنْ نَفْسِهِ فَهُوَ اسْتِخْبَارٌ عَلَى طَرِيقِ التَّنْبِيهِ لِلْمُخَاطَبِ أَوِ التَّوْبِيخِ، نحو: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾[1] ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا﴾[2] "[3]

وَأَيْنَ لِلْمَكَانِ، يعنى أن أين يسأل بها عن المكان، نحو ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ 26﴾[4]

وَالزَّمَنْ مَتَى، أي ويستفهم بمتى عن الزمن ماضيا كان أو مستقبلا، نحو متى تحضر ؟ وجوابه اليوم أو غدا، ومتى حضرت ؟ وجوابه أمس أو أول من أمس .

وَأَيَّانَ لِذِي اسْتِقْبَالِ يعنى أن أيان للزمن ذي الاستقبال، أي يسأل بها عن الزمن المستقبل، نحو ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾[5]

قال في الإتقان: " أَيَّانَ اسْمُ اسْتِفْهَامٍ، وإِنَّمَا يُسْتَفْهَمُ بِهِ عَنِ الزَّمَانِ الْمُسْتَقْبَلِ، كَمَا جَزَمَ بِهِ ابْنُ مَالِكٍ وأَبُو حَيَّانَ ولَمْ يَذْكُرْ فِيهِ خِلَافًا .

وَذَكَرَ صَاحِبُ الْمَعَانِي مَجِيئَهَا لِلْمَاضِي "[6]

قِيلَ وللتَّفْخِيمِ فِي الْأَهْوَالِ

أي قال بعض أهل البيان إنها أي أيان للتفخيم أيضا في مواضع الأهوال، أي أنها لا تستعمل إلا في الأزمنة المفخمة الهائلة، نقله في الإيضاح عن عيسى الربعي .

قال في فيض الفتاح: " أيان عند أهل البيان مختصة بالأزمنة المفخمة أي المعظمة، ولا بد أن

(1) - سورة البقرة، الآية: 28

(2) - سورة آل عمران، الآية: 86

(3) - الإتقان م س ج2 ص264

(4) - سورة التكوير، الآية: 26

(5) - سورة النازعات، الآية: 42

(6) - «الإتقان في علوم القرآن» (2/ 214)

تكون تلك الأزمنة مستقبلة، نحو قوله تعالى: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾[1] ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ 12﴾[2] ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ 6﴾[3] ولا يقال: أيان قمت، والمشهور عند النحاة أنها كمتى، تستعمل في الزمان المفخم وغيره " .[4]

أَنَّى كَكَيْفَ تَارَةً كَأَنَّى شِئْتُمْ ومِنْ أَيْنَ كَثِيرًا عَنَّا

يعنى أن أنى عنَّ أي عرضَ تارة حال كونه مثل كيف في المعنى، ولا يليها حينئذ إلا فعل، كقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[5] أي كيف شئتم، وعلى أي حال ومن أي شيء، وتارة يعرض بمعنى من أين كثيرا، نحو ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾[6] أي من أين لك هذا الرزق الآتي كل يوم ؟

قال الشيخ بهاء الدين: الفرق بين " أين" و" من أين" أن " أين" سؤال عن المكان الذي حل فيه الشيء، ومن أين سؤال عن المكان الذي برز منه الشيء، وقد يستعمل بمعنى " متى" ومثل له بقوله ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ البقرة: 223

قوله: أنى مبتدأ خبره قوله عن من الفعل الماضي وفاعله وهو ضمير عائد على " أنى" والألف فيه للإطلاق، وقوله ككيف حال من فاعل عن، وتارة نائب عن مصدر من عن .

وَرُبَّمَا تُسْتَعْمَلُ الْأَدَاةُ فِي سِوَاهُ كَاسْتِبْطَائِهِ . .

يعنى أن أدوات الاستفهام قد تستعمل في سواه أي في غير الاستفهام مجازا، وذلك صادق بأن تستعمل في الخبر، وبأن تستعمل في الإنشاء الأول كما في التقرير، [174] والثاني كما في التعجب، والحاصل أن كلمة الاستفهام إذا امتنع حملها على الحقيقة تولد منها بمعونة القرائن ما يناسب المقام، ولا تنحصر التولدات فيما يذكر في النظم، بل الحاكم في ذلك سلامة الذوق وتتبع التراكيب،

(1) – سورة الأعراف، الآية: 187، والنازعات، الآية: 42

(2) – سورة الذاريات، الآية: 12

(3) – سورة القيامة، الآية: 6

(4) – فيض الفتاح م س. ج1 ص240

(5) – سورة البقرة، الآية: 223

(6) – سورة آل عمران، الآية: 37

فلا تقتصر على معنى سمعته أو مثال وجدته من غير أن تتخطاه بل عليك بالتصرف وإعمال الفكر فيما يناسب من مجاز أو كناية .

قال في الإتقان: " قَدْ تَوَسَّعَتِ الْعَرَبُ فَأَخْرَجَتِ الِاسْتِفْهَامَ عَنْ حَقِيقَتِهِ لِمَعَانٍ، أَوْ أَشْرَبَتْهُ تِلْكَ الْمَعَانِي، ولَا يُخْتَصُّ التَّجَوُّزُ فِي ذَلِكَ بِالْهَمْزَةِ خِلَافًا لِلصَّفَّارِ" . [1]

إذا تقرر هذا شرعنا لك في بيان جملة من تلك المعاني المجازية:

الأول منها: الاستبطاء نحو كم أدعوك ؟ فليس المراد حقيقة الاستفهام وأنه يسأله عن عدد دعواته، بل المراد الاستبطاء وأنه كثيرا من المرات دعاه فتأخر، وهو شكاية من البطو، قاله الجربي .

ولا يختص الاستبطاء بكم، فقد مثله في الإيضاح بقوله: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾[2]

وفى التبيان بقولك للغلام: هل أنت منطلق ؟ فإن الناس قد انطلقوا فما وقوفك ؟

قال في العروس: " الأحسن أن يجعل الفعل مضارعا، فيقال كم أدعوك ؟ لأنه أدل على بقاء الطلب والاستبطاء، بخلاف قول التلخيص: كم دعوتك ؟ فإنه قد يصدر من موبخ قد انقطع غرضه من إجابة دعائه، أو بعد تعذر الإجابة " . [3]

قال السيد: " الاستفهام عن عدد دعائه إياه يستلزم الجهل به المستلزم، لا استكثاره عادة أو ادعاء ؛ لأن القليل منه يكون معلوما، واستكثاره يستلزم الاستبطاء لذلك عادة أو ادعاء، فالاستفهام عن عدد دعائه إياه يستلزم الاستبطاء بهذه الوسائط، فاستعمل لفظه فيه، وكذا تقول في قوله تعالى: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ الاستفهام عن زمن النصر يستلزم الجهل بزمانه، والجهل به يستلزم استبعاده عادة أو ادعاء ؛ لأن الأنسب بما هو قريب أن يكون معلوما، إما بنفسه أو بأمارته، والأنسب بما هو بعيد أن يكون مجهولا، واستبعاده يستلزم استبطاءه، وقس على ما ذكرنا نظائره " .

قال ياسين: " ولا يكفى في تعيين علاقة المجاز مطلق اللزوم، بل حتى يظهر من أي أنواع العلاقة ؛

(1) - الإتقان في علوم القرآن، م س، ج3 ص268.

(2) - سورة البقرة، الآية: 214

(3) - عروس الأفراح م س، ج2 ص451

لأن مطلق اللزوم موجود في مطلق المجاز .

قلتُ[1]: وليس الأمر كما زعم ؛ لأن المكناسي نص على أنه يكفي بقوله عن ذكر ملزوم يعوض لازم، وكذا بعلته يعاض معلل، ونص عليه السيوطي في الإتقان، حيث قال بتعدد علاقات المجاز السابع إطلاق الملزوم على اللازم، الثامن عكسه، وظاهر صنيع السيد أنه يكفى، ومن قال كالفنري وياسين: لا يكتفى في علاقة المجاز بمطلق اللزوم ؛ لأن مطلق اللزوم معتبر في جميع أنواعه، قال:

العلاقة هنا السببية بأن استعمل ما هو للمسبب في السبب، إذ الاستفهام عن عدد دعائه مسبب عن تكرير الدعوة، وتكرير الدعوة مسبب عن الاستبطاء .

قلت: فعلى الأول يكون استعمال صيغة الاستفهام في الاستبطاء من باب الكناية، وعلى الثاني يكون من باب المجاز المرسل، [175] والعلاقة السببية، والضمير في قوله كاستبطائه عائد إلى المستفهم عنه المفهوم من الاستفهام . [2]

. . أَوْ أَنْ يَفِـــــــــــــــــي

تَعَجُّـــبٌ كَمِثْـــلِ مَـــا لِي لا أَرَى ‌ ‌ ‌ كَـذَا لِتَنْبِيـهِ الضَّـلالِ قَـدْ عَـرَى

يعنى أن أداة الاستفهام قد تستعمل في غير الاستفهام مجازا كاستنباط المستفهم عنه، أَوْ أَنْ يَفِي لِعُجْبٍ أي أو أن يجيء الاستفهام لعجب، كَمِثْلِ قوله تعالى: ﴿**مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ** 20﴾[3] لأنه كان لا يغيب عن سليمان إلا بإذنه، فلما لم يبصره تعجب من حال نفسه في عدم إبصاره، ولا يخفى أن العاقل لا يستفهم عن حال نفسه المعلومة له .

قال ياسين: " ولك أن تقول هذا المعنى لا يعين التعجب، بل جاز أن يكون الغرض منه السؤال عن تعيين سبب غيابه، وإلا فهو عالم بغيابه، وأن له سببا ما، لكن لا يعلم تعيينه، وعلى كلا الاحتمالين هو جازم بغيبته " .

قال الناظم في شرحه: " ويشارك التعجب الاستفهام في أن كلا منهما يكون عما خفي سببه" وقال

(1) - أي قال صاحب فيض الفتاح

(2) - وللوقوف على هذه الفقرات كلها انظر فيض الفتاح ج1 ص241

(3) - سورة النمل، الآية: 20

السيد في حواشي المطول: الاستفهام عن سبب عدم رؤيته للهدهد يستلزم الجهل به المناسب للتعجب من المسبب، لأنه أي التعجب كيفية نفسانية تابعة لإدراك الأمور القليلة الوقوع المجهولة الأسباب " . [1]

قلت: فعلى هذا يكون استعمال صيغة الاستفهام في التعجب من باب الكناية، وقال الزمخشري في الكشاف: الاستفهام في الآية على حقيقته ؛ لأن سليمان جاهز بحضور الهدهد، فقال: ﴿مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ وهو حاضر لساتر ستره عن رؤيته أو غير ذلك، كأن يكون خلفه ثم لاح له لا على وجه القطع أنه غائب، فأعرض عن ذلك وأخذ يقول: أهو غائب، كأنه سأل عن صحة ما لاح له، فالمسؤول عنه أولا عنده سبب منع الرؤية، والمسؤول عنه أخيرا غيبته، وليس ذلك حالا لنفسه، فسأل عنها .

قال السيد في شرح المفتاح: " وأما كلمة " أم " فهي منقطعة على الوجهين معا " .

قوله: أو أن يفي بتقدير الفتحة في المضارع المعتل بالياء لضرورة الوزن، والمصدر معطوف على قوله: كاستنباطه .

كَـذَا لِتَنْبِيـهِ الضَّـلالِ قَـدْ عَـرَى

أي قد عرض مجيء صيغة الاستفهام لتنبيه ذي الضلال على ضلاله، كهيئة مجيئها للتعجب أي على سبيل المجاز نحو ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ 26﴾ المراد تنبيههم على ضلالهم، كما يقال لتارك الجادة أين تذهب ؟ شبهت حالهم بحاله في ترك الصواب والعدول إلى الباطل، فإن الاستفهام عن الطريق يستلزم توجيه ذهن المخاطب إليه المستلزم للتنبيه على الضلال مع ما في الاستفهام من الاحتراز عن مواجهتهم بالتصريح بضلالهم .

قلت: يشترط في كون الاستفهام عن الطريق يستلزم التنبيه على الضلال، كون المخاطب عالما بأن السائل عالم بالطريق، وإلا فلا يكون مستلزما له، ومثله في الإتقان بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ

(1) - ينظر فيض الفتاح عن الفقرتين السابقتين ج1 ص245

﴿كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾[1] أي أنظر، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ الْارض مُخْضَرَّةً﴾[2] ذكره صاحب الكتاب عن سيبويه، ولذلك رفع الفعل في جوابه .

قلتُ: فاستعمال صيغة الاستفهام في التنبيه على الضلال من باب الكناية أو المجاز، والعلاقة الملازمة أو السببية . [177]

وَلِلْوَعِيـــــــــــدِ كَـــــــــأَلَمْ أُؤَدِّبِ   زَيْـــدًا لِمَـــنْ يُـــرَى مُسِـــيءَ الأَدَبِ

يعنى أن صيغة الاستفهام يجيء للوعيد مجازا، كقولك لمن يرى حالة كونه مسيئا للأدب معك: ألم أؤدب زيدا، إذا كان المخاطب عالما أنك أدبته فيفهم الوعيد .

قال في فيض الفتاح: " قال السيد هذا الاستفهام يستلزم تنبيه المخاطب على جزاء إساءة الأدب الصادرة عن غيره، وهذا التنبيه يستلزم وعيده على إساءة الأدب، وفي العدول عن الإثبات بأن يقول: أدبت فلانا إلى الاستفهام عن النفي إيهام أن المخاطب يعتقد نفي التأديب، فلذلك أقدم على الإساءة، وفيه من المبالغة ما لا يخفى " .[3]

قلت: فاستعمال صيغة الاستفهام في الوعيد من باب الكناية .

كَـــذَا لِتَقْرِيـــرٍ بِهَمْـــزٍ قَـــدْ سَـــبَقْ   مُقَـــــــــرَّرًا بِـــــــــهِ . .

يعنى أن صيغة الاستفهام تجيء للتقرير مجازا، والتقرير يكون بهمز قد سبق مقررا به أي قد سبق المقرر به .

قال في الإتقان: " التقريرُ هوَ حَمْلُ الْمُخَاطَبِ عَلَى الْإِقْرَارِ والِاعْتِرَافِ بِأَمْرٍ قَدِ اسْتَقَرَّ عِنْدَهُ، قَالَ ابْنُ جِنِّي ولَا يُسْتَعْمَلُ ذلك بهل، كَمَا يُسْتَعْمَلُ بِغَيْرِهَا مِنْ أَدَوَاتِ الِاسْتِفْهَامِ، وقَالَ الْكِنْدِيُّ ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ 72 أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾[4] إِلَى أَنَّ " هَلْ" تُشَارِكُ الْهَمْزَةَ فِي مَعْنَى التقرير والتوبيخ، إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ أَبَا عَلِيٍّ أَبَى ذَلِكَ وهُوَ مَعْذُورٌ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ قَبِيلِ الْإِنْكَارِ .

(1) – سورة الفرقان، الآية: 45

(2) – سورة الحج، الآية: 63

(3) – فيض الفتاح م س. ص244

(4) – سورة الشعراء، الآية: 72–73

وَنَقَلَ أَبُو حَيَّانَ عَنْ سِيبَوَيْهِ أَنَّ اسْتِفْهَامَ التقرير لا يكون بهل، إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ فِيهِ الْهَمْزَةُ، ثُمَّ نُقِلَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ هَلْ تَأْتِي تَقْرِيرًا كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ 5﴾[1]

وَالْكَلَامُ مَعَ التَّقْرِيرِ مُوجِبٌ، ولِذَلِكَ يُعْطَفُ عَلَيْهِ صَرِيحُ الْمُوجِبِ، ويُعْطَفُ عَلَى صَرِيحِ الْمُوجِبِ، فَالْأَوَّلُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ 1 وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ 2﴾[2] ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ 6﴾[3] ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ 2 وَأَرْسَلَ﴾[4]

وَالثَّانِي نَحْوُ: ﴿أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْماً﴾[5] عَلَى مَا قَرَّرَهُ الْجُرْجَانِيُّ مِنْ جَعْلِهَا مِثْلَ ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾[6]

وَحَقِيقَةُ اسْتِفْهَامِ التَّقْرِيرِ أَنَّهُ اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ ، [177] والْإِنْكَارُ نَفْيٌ، وقَدْ دَخَلَ عَلَى النَّفْيِ، ونَفْيُ النَّفْيِ إِثْبَاتٌ . "[7]

قال في فيض الفتاح: " ويجب إيلاء المقرر به للهمزة، مثال تقرير الفاعل قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَٰإِبْرَٰهِيمُ 62﴾[8] إذ ليس مراد الكفار حمله على الإقرار بحصول كسر الأصنام، بل على الإقرار بأنه منه، ويدل عليه قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[9] ولو كان التقرير بالفعل لقال: فعلت أو لم أفعل، والدليل على أن الاستفهام ليس على حقيقته قوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ

(1) – سورة الفجر، الآية: 5
(2) – سورة الشرح، الآية: 1-2
(3) – سورة الضحى، الآية: 6
(4) – سورة الفيل، الآية: 2-3
(5) – سورة النمل، الآية: 84
(6) – سورة النمل، الآية: 14
(7) – الإتقان للسيوطي م س ص ج3 ص270
(8) – سورة الأنبياء، الآية: 62
(9) – سورة الأنبياء، الآية: 63

﴿أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ 57﴾[1] ثم لما رأوا كسر الأصنام ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ 59 قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ 60﴾[2]

وفى المطول: " فالظاهر أنهم علموا ذلك من حلفه وذمه الأصنام " . [3]

ومثال تقرير الفعل: أضربت زيدا ؟ وتقرير المفعول نحو أزيدا ضربت ؟ والعلاقة في التقرير بينها السيد في حواشيه على المطول بقوله: " الاستفهام عن أمر معلوم للمخاطب يستلزم حمله على إقراره بما هو معلوم منه " .

قوله: مقررا بالنصب مفعول به لقوله قد سبق .

وَلِلإِنْكَارِ حَقّ يعنى أنه حق أي ثبت مجيء صيغة الاستفهام للإنكار، والإنكار هو التعبير عن الشيء بصيغة الاستفهام ومرادك إنكاره .

قال في الإتقان: " والْمَعْنَى فِيهِ عَلَى النَّفْيِ ومَا بَعْدَهُ مَنْفِيٌّ ولِذَلِكَ تَصْحَبُهُ إِلَّا كَقَوْلِهِ: ﴿فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ 34﴾[4] ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ 17﴾[5] وعطف عليه الْمَنْفِيّ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ 28﴾[6] أَيْ لَا يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللهُ أحدٌ " . [7]

وَذَا لِتَكْذِيبٍ يعنى أن الإنكار ورد لتكذيب، ويقال له الإنكار الإبطالي، وهو يقتضى أن ما بعد أداة الاستفهام غير واقع، وأن مدعيه كاذب، ويكون في الماضي نحو ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ﴾[8] [9] أي

(1) – سورة الأنبياء، الآية: 57

(2) – سورة الأنبياء، الآية: 60.59

(3) – مطول السعد م س ج2 ص243

(4) – سورة الأحقاف، الآية: 35

(5) – سورة سبأ، الآية: 17

(6) – سورة الروم، الآية: 29

(7) – الإتقان م س ج3 ص268

(8) – سورة الإسراء، الآية: 40

(9) – سورة الإسراء، الآية: 40

لم يفعل ذلك، خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله، أي لم يكن الله تعالى خصهم بأفضل الأولاد وهم البنون واتخذ لنفسه أدونهم وهم البنات، هذا خلاف ما عليه عادتكم، فإن العبيد لا يؤثرون بالأسنى والسادة بالأدنى، ويكون التكذيب في الحال أو في الاستقبال، نحو ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ 28﴾[1] أي لا يكون هذا الإلزام منا معاشر الأنبياء لا في الحال ولا في الاستقبال .

وَتَوْبِيخٍ يَرِدُ أي ويرد أيضا الإنكار لتوبيخ، والتوبيخ اللوم والعذل، فالإنكار التوبيخي يقتضي أن ما بعد الأداة واقع، وأن فاعله ملوم، بمعنى لا ينبغي أن يكون ذلك الأمر الذي كان في الماضي، نحو أعصيت ربك ؟ أو لا ينبغي أن يكون في الحال أو الاستقبال، نحو أتعصى ربك ؟ والغرض من التوبيخ الذم على ماض، والارتداع عن مستقبل، ومن الإنكار التوبيخي قوله تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ 95﴾[2]﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ تَبْغُونَ﴾[3]

﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ 86﴾[4]﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ 165﴾[5]

فالاستفهام التوبيخي فيه تقرير بمعنى التثبيت، وإنكار بمعنى أنه لا ينبغي أن يقع .

قال في الإتقان: " أَنَّ مَا بَعْدَهُ واقِعٌ، جَدِيرٌ بِأَنْ يُنْفَى، فَالنَّفْيُ هُنَا غَيْرُ قَصْدِيٍّ، والْإِثْبَاتُ قَصْدِيٌّ، عَكْسُ مَا تَقَدَّمَ "

وأكثر ما يقع التوبيخ في أمر ثابت وبخ على فعله، كما ذكر، ويقع على ترك فعل كان ينبغي أن يقع، كقوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾[6]﴿أَلَمْ تَكُنْ أرض ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾[7] "[8]

(1) – سورة هود، الآية: 28
(2) – سورة الصافات، الآية: 95
(3) – سورة آل عمران، الآية: 83
(4) – سورة الصافات، الآية: 86
(5) – سورة الشعراء، الآية: 165
(6) – سورة فاطر، الآية: 37
(7) – سورة النساء، الآية: 97
(8) – الإتقان م س ج3 ص268

قال في فيض الفتاح: " قال السيد في حواشي المطول: " إنكار الشيء بمعنى كراهته والنفرة عن وقوعه في أحد الأزمنة الثلاثة، وادعاء أنه مما لا ينبغي أن يقع يستلزم عدم توجه الذهن إليه المستلزم للجهل به المفضي إلى الاستفهام عنه، أو نقول الاستفهام عن الشيء يستلزم الجهل به المستلزم، لعدم توجه الذهن إليه المناسب لكراهته والنفرة عنه، وادعاء أنه مما لا ينبغي أن يكون واقعا، وقس على هذا حال الإنكار " . [1]

وَكَتَهَكُّمٍ عطف على قوله كاستبطائه، يعنى أن أداة الاستفهام قد تستعمل في غيره مجازا كاستبطاء المستفهم عنه، وكالتهكم أي الاستهزاء، نحو ﴿**أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ**﴾[2]

قال في فيض الفتاح: " قال في الأطول: فإن فيه تهكما به أو بالصلاة، وذلك أن شعيبا كان كثير الصلوات، وكان قومه إذا رأوه يصلى تضاحكوا، فقصدوا بقولهم: أصلواتك إلخ، الهزء والسخرية . [179]

قال السيد في حواشي المطول: " الاستفهام عن كون صلواته أمرته بذلك، يناسب ادعاء أن المخاطب معتقد له، وادعاء اعتقاده إياه يناسب الاستهزاء والتهكم، وبالجملة فاستعلام هذه الحال منه يستلزم التهكم به " . [3]

وتَهْوِيلٍ، عطف على كتهكم، يعنى أن أداة الاستفهام تستعمل في التهويل مجازا، والتهويل هو التخويف والتعظيم، كقراءة ابن عباس ﴿**وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ** 29 **مِن فِرۡعَوۡنَۚ**﴾[4] بفتح ميم من ورفع فرعون، فحقيقة الاستفهام مستحيلة في جانبه تعالى، بل المراد تهويل العذاب، فإنه لما وصف العذاب بالإهانة بقوله: ﴿**مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ** 29﴾ زاد المخاطبين تهويلا أي تخويفا وتعظيما لأمر العذاب بقوله: ﴿**مَّن فِرۡعَوۡنَ**﴾أي أتعرفون من هو في فرط عتوه وشدة شكيمته، فما ظنكم

(1) – فيض الفتاح م س. ج1 ص244

(2) – سورة هود، الآية: 87

(3) – فيض الفتاح م س. ج1 ص245

(4) – سورة الدخان، الآية: 31.30

بعذاب يكون المعذب به مثله، ولهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ 30﴾[1] يعنى أن فرعون تجاوز في الطغيان والعذاب هو المشار إليه بقوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾[2]، الغرض من التهويل إحضار شدة العذاب الذي نجاهم منه، تعظيما لنعمة النجاة وإيجابا لمزيد الشكر عليها، وقد بين السيد في حواشيه على المطول علاقة هذا المجاز بقوله: إن الاستفهام عن الشيء يستلزم الجهل به المناسب لتهوليه ؛ لأن الأمر الهائل لعظمته يأبى أن يحاط به علما .

قلتُ: ومثل الناظم التهويل في الإتقان بقوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ مَا ٱلْحَآقَّةُ 1﴾[3] ﴿ٱلْقَارِعَةُ مَا ٱلْقَارِعَةُ 1﴾[4]

وَضِدُّ أي ضد التهويل بمعنى التعظيم وهو التحقير، كقولك: من هذا ؟ احتقارا لشأنه، مع أنك تعرفه، ومنه قول الفرزدق:

فَلَيْسَ قَوْلُكَ " مَنْ هَذَا ؟ " بِضَائِرِهِ ... الْعُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ والْعَجَمُ[5]

قال الناظم في شرحه: " وجعل الشيخ شمس الدين بن الصائغ التهويل وضده، وهو التسهيل والتخفيف قسمين غير التعظيم والتحقير، ومثل للتهويل بقوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ مَا ٱلْحَآقَّةُ 1﴾وضده بقوله: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخر وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا 39﴾[6]والتعظيم بقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[7] وقول الشاعر:

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا ... كَفَى الْمَرْءُ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ

(1) – سورة الدخان، الآية: 31
(2) – سورة البقرة، الآية: 49
(3) – سورة الحاقة، الآية: 1
(4) – سورة القارعة، الآية: 1
(5) – ديوان الفرزدق، م س، ج1 ص185.
(6) – سورة النساء، الآية: 39
(7) – سورة البقرة، الآية: 255

التحقير بقوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا 41﴾[1] وقول الشاعر:

فَمَـــن أَنْـــتُمُ إنَّا نَسِـــيْنَا مَـــنَ أنْـــتُمُ   وَرِيحُكُـــمُ مِـــنْ أيِّ رِيـــحِ الأعَاصِـــرِ[2]

قال في فيض الفتاح: " قال السيد: الاستفهام عن الشيء يستلزم الجهل به المناسب لحقارته من وجه أن الحقير لا يلتفت إليه فلا يعلم . "[3]

كَذَا لِلِاسْتِبْعَادِ يعنى أن أداة الاستفهام تجيء للاستبعاد، كذا أي كهيئة مجيئهما لما تقدم من المعاني أي على سبيل المجاز، فتستعمل في استبعاد وقوع الشيء نحو ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ 12 ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ 13﴾[4] أي كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوا به من الإيمان عند كشف العذاب عنهم، وقد جاءهم ما هو أعظم من كشف الدخان، وهو ما ظهر على يده ﷺ من المعجزات فلم يتعظوا وأعرضوا عنه، وعلاقة الاستبعاد كما في حواشي السيد على المطول أن الاستفهام عن الشيء يستلزم الجهل به المناسب لاستبعاد وقوعه ؛ لأن ما هو قريب الوقوع فالأولى به أن يكون معلوما .

. . **قُلْـــــــتُ أُلِّفَـــــــا   فِيهَـا كِتَـابٌ قَـدْ مَحَـا عَنْهَـا الْخَفَـا**

أي قال الناظم: ألف فيها، أي أقسام الاستفهام المستعمل فيها، في غير معناه الحقيقي، كتاب، قد محا عنها الخفا، أي أوضحها فيه، ألفه ابن الصائغ سماه روض الأفهام، ذكر ثمانية وعشرين معنى من المعاني التي تستعمل فيها أدوات الاستفهام مجازا، لكن منها ما لم يسلم، وقد ذكر الناظم ما زاد منها على ما تقدم، فقال:

وَزِيـــدَ لِلتَّشْـــوِيقِ والتَّرْغِيـــبِ .   .

أي على ما تقدم من المعاني التي تستعمل فيها أدوات الاستفهام مجازا، مجيء أدوات الاستفهام

(1) – سورة الفرقان، الآية: 42

(2) – لزياد الأعجم. الدرر اللوامع: ج1 ص137

(3) – فيض الفتاح م س. ج1 ص245

(4) – سورة الدخان، الآية: 14.13

للتشويق والترغيب، كقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾[1] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠﴾[2] انتهى .

قلتُ: وعلاقةُ هذا المجاز هي أنَّ الاستفهامَ عن الشيء يستلزم الاهتمام به، وذلك يستلزم التشويق إليه والترغيب .

قوله: مَعْ، تَسْوِيَةٍ يعنى أن أداة الاستفهام تستعمل في التسوية مجازا .

قال في الإتقان: " وهُوَ الِاسْتِفْهَامُ الدَّاخِلُ عَلَى جُمْلَةٍ يَصِحُّ حُلُولُ الْمَصْدَرِ مَحَلَّهَا نَحْوُ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾"[3]

قال الناظم في شرحه: " وهذا المعنى نبه عليه الشيخ بهاء الدين، وذكر أنه مختص بالهمزة "

قلت: والعلاقة بين الاستفهام والتسوية هي أن الاستفهام عن تعيين أحد الشيئين، وهما إنذار النبي وعدمه للناس يستلزم تسويتهما عند المتكلم الذي هو الله في عدم إيمان المنذرين، وذلك يستلزم تسويتهما عند المنذرين .

وَالْعَرْضُ أي وتستعمل أداة الاستفهام في العرض، وهو طلب بلين ورفق، كقوله تعالى: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾[4] ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾[5]

قلت: والعلاقة بين الاستفهام والعرض هي كون كل منهما طلبا بلين ورفق .

وَالْأُنْسُ وقَعْ أي وقع الأنس من المعاني التي تستعمل فيها أداة الاستفهام مجازا كقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٦﴾[6] خاطبه بذلك ليؤنسه ويبسطه بالكلام ؛ لأن الاستفهام الحقيقي هنا محال، والعلاقة هي أن الاستفهام يستلزم الإيناس، فالمراد ذلك اللازم .

(1) – سورة البقرة، الآية: 245، وسورة الحديد، الآية: 11

(2) – سورة الصف، الآية: 10

(3) – الإتقان في علوم القرآن، م س. ج3 ص271

(4) – سورة التوبة، الآية: 12

(5) – سورة النور، الآية: 22

(6) – سورة طه، الآية: 17

وَالْأَمْرُ يعنى أن أداة الاستفهام تستعمل في الأمر مجازا، كقوله تعالى: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾[1] أي أسلِموا، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾[2] أي انتهوا، وعبر عنه الطيبي في هذه الآية بالاستقصار والتعبير .

قلتُ: والعلاقة بين الاستفهام والأمر هي كون كل منهما طلبا .

وَالنَّهْيُ يعنى أن أداة الاستفهام تستعمل في النهي مجازا، نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ٦﴾[3] أي لا تغترر، ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾[4] أي لا تخشوهم .

. . **وقَـــدْ يَجْتَمِعَــا   مِثْــلَ تَعَجُّــبٍ وتَــوْبِيخٍ مَعَــا**

يعنى أنه قد يجتمع أمران أي معنيان من هذه المعاني المذكورة مثل تعجب وتوبيخ معا أي جميعا أي دفعة واحدة في كلمة الاستفهام أي قد يراد بها أمران [180] فأكثر من المعاني المذكورة مثل التعجب والتوبيخ في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾[5] متعجبا من كفرهم بالله مع قيام الدلائل الدالة على وجوب الإيمان به، وموبخا لهم على كفرهم، وكالتقرير والتوبيخ والتعجب في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[6] مقررا لهم أي طالبا منهم الإقرار وموبخا لهم ومتعجبا من حالهم الفظيعة القبيحة .

قوله: وقد يجتمعا بحذف نون الرفع من المضارع للضرورة، والألف للتثنية .

وَهَـلْ يَـرَى المَعْـنَى الأَصِـيلَ يُسْـبَرُ   مَـعْ هَـــذِهِ أَوْ زَالَ فِيـــهِ نَظَـــرُ

أي وهل ترى المعنى الأصيل، أي الأصلي الذي هو الاستفهام يسبر، أي يقصد مع هذه المعاني في الأداة، أو زال المعنى الأصلي منها، وتجردت منه بالكلية، وتمحضت للمعنى المجازي، فيه نظر، أي في ذلك نظر .

(1) – سورة آل عمران، الآية: 20
(2) – سورة المائدة، الآية: 91
(3) – سورة الانفطار، الآية: 6
(4) – سورة التوبة، الآية: 13
(5) – سورة البقرة، الآية: 28
(6) – سورة البقرة، الآية: 44

قال في عروس الأفراح: " والظاهر الأول، قال ويساعده قول التنوخي في الأقصى الغريب إن لعل تكون للاستفهام مع بقاء الترجي " . [1]

قال في الإتقان: " ومِمَّا يُرَجِّحُهُ أَنَّ الِاسْتِبْطَاءَ فِي قَوْلِكَ كَمْ أَدْعُوكَ، مَعْنَاهُ أَنَّ الدُّعَاءَ وَصَلَ إِلَى حَدٍّ لَا أَعْلَمُ عَدَدَهُ، فَأَنَا أَطْلُبُ أن أعلم عدده، والعادة تقضي بِأَنَّ الشَّخْصَ إِنَّمَا يَسْتَفْهِمُ عَنْ عَدَدِ مَا صَدَرَ مِنْهُ إِذَا كَثُرَ، فَلَمْ يَعْلَمْهُ، وفِي طَلَبِ فَهْمِ عَدَدِهِ مَا يُشْعِرُ بِالِاسْتِبْطَاءِ، وأَمَّا التَّعَجُّبُ فَالِاسْتِفْهَامُ مَعَهُ مُسْتَمِرٌّ، فَمَنْ تَعَجَّبَ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ بِلِسَانِ الْحَالِ سَائِلٌ عَنْ سَبَبِهِ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ أَيُّ شَيْءٍ عُرِضَ لِي فِي حَالِ عَدَمِ رُؤْيَةِ الْهُدْهُدِ، وقَدْ صَرَّحَ فِي الْكَشَّافِ بِبَقَاءِ الِاسْتِفْهَامِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ .

وَأَمَّا التَّنْبِيهُ عَلَى الضَّلَالِ فَالِاسْتِفْهَامُ فِيهِ حَقِيقِيٌّ ؛ لأن مَعْنَى أَيْنَ تَذْهَبُ ؟ أَخْبِرْنِي إِلَى أَيِّ مَكَانٍ تَذْهَبُ، فَإِنِّي لَا أَعْرِفُ ذَلِكَ، وغَايَةُ الضَّلَالِ لَا يَشْعُرُ بِهَا إِلَى أَيْنَ تَنْتَهِي ؟

وَأَمَّا التَّقْرِيرُ فَإِنْ قُلْنَا الْمُرَادُ بِهِ الْحُكْمُ بِثُبُوتِهِ فَهُوَ خَبَرٌ، بِأَنَّ الْمَذْكُورَ عُقَيْبَ الْأَدَاةِ واقِعٌ، أَوْ طَلَبُ إِقْرَارِ المخاطب به من كَوْنِ السَّائِلِ يَعْلَمُ، فَهُوَ اسْتِفْهَامٌ، يُقَرِّرُ الْمُخَاطَبَ أَيْ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ مُقِرًّا بِهِ، وفِي كلام أهل الْفَنِّ مَا يَقْتَضِي الِاحْتِمَالَيْنِ، والثَّانِي أَظْهَرُ، وفِي الْإِيضَاحِ تَصْرِيحٌ بِهِ، ولَا بِدْعَ فِي صُدُورِ الِاسْتِفْهَامِ، مِمَّنْ يَعْلَمِ الْمُسْتَفْهَمُ عَنْهُ لِأَنَّهُ طَلَبُ الْفَهْمِ إِمَّا طَلَبُ فَهْمِ الْمُسْتَفْهَمِ، أَوْ وقُوعُ فَهْمٍ لِمَنْ لَمْ يَفْهَمْ كَائِنًا مَنْ كَانَ، وبِهَذَا تَنْحَلُّ إِشْكَالَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي مواضع الِاسْتِفْهَامِ، ويَظْهَرُ بِالتَّأَمُّلِ بَقَاءُ مَعْنَى الِاسْتِفْهَامِ مَعَ كُلِّ أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ الْمَذْكُورَةِ انْتَهَى مُلَخَّصًا . "[2]

قلت: فعلى أن معنى الاستفهام باق في الأداة، وانضم إليه معنى آخر هو المقصود، يكون استعمال الأداة في أخذ هذه المعاني المذكورة من باب الكناية، لا من باب المجاز ؛ لأن الكناية هي التي تجوز فيها إرادة المعنى الأصلي مع المعنى المجازي، بخلاف المجاز، فإنه لا بد فيه من قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي .

تنبيـه

(1) - عروس الأفراح م س ج1 ص459

(2) - الإتقان للسيوطي م س ج3 ص275.274

القاعدة: أن المنكر يجب أن يلي الهمزة، وأشكل عليها قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ﴾[1] فإن الذي يليها هنا الإصفاء بالبنين، وليس هو المنكر، بل المنكر قولهم: إنه اتخذ من الملائكة إناثا، وأجيب بأن لفظ الإصفاء يشعر [181] بزعم أن البنات لغيرهم، أو بأن المراد مجموع الجملتين وينحل منهما كلام واحد، والتقدير: أجمع بين الإصفاء لكم بالبنين واتخاذ البنات، وأشكل منه قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[2] ووجه الإشكال أنه لا جائز أن يكون المنكر أمر الناس بالبر فقط، كما تقتضيه القاعدة المذكورة ؛ لأن أمر الناس بالبر ليس مما ينكر، ولا نسيان النفس فقط، لأنه يصير ذكر أمر الناس بالبر لا مدخل له ولا مجموع الأمرين، لأنه يلزم عليه أن تكون العبادة جزء المنكر، ولا نسيان النفس بشرط الأمر ؛ لأن النسيان منكر مطلقا، ولا يكون نسيان النفس حال الأمر أشد منه حال عدم الأمر ؛ لأن المعصية لا تزداد بشاعتها بانضمامها إلى الطاعة ؛ لأن جمهور العلماء على أن الأمر بالبر واجب، وإن كان الإنسان ناسيا لنفسه وأمره بالبر، كيف يضاعف لمعصية نسيان النفس، ولا يأتي الخير بالشر .

قال في عروس الأفراح: " ويجاب بأن فعل المعصية مع النهي عنها أفحش منها مع الجهل، قال: ولكن الجواب عن الطاعة الصرفة، كيف تضاعف المعصية المقارنة لها من جنسها فيه دقة، قلت: لا إشكال في الآية، فقد ولي الهمزة المنكر فيها، لأنه مجموع الأمرين أي مخالفة القول للعمل، ومخالفة القول للعمل لا تحصل إلا بمجموع الأمرين، أي أمر الناس بالبر في حال نسيان النفس، ولا يلزم عليه أن تكون العبادة جزء المنكر، إذ الأمر بالبر في الآية ليس بعبادة ؛ لأن الآمر به علماء اليهود حين قالوا لأقربائهم من المسلمين: أثبتوا على دين محمد ﷺ فإنه حق، وهم كفار ؛ لأن العبادة الصادرة من الكافر لا تسمى عبادة، لأنه غير قاصد بها وجه الله، فهي منه معصية كسائر أفعاله، و((إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ)) [3] ولا تسمى العبادة عبادة إلا إذا صدرت من موحد قاصد بها وجه الله، فإذا

(1) – سورة الإسراء، الآية: 40

(2) – سورة البقرة، الآية: 44

(3) – صحيح البخارى، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، الحديث رقم 1، ج 1 ص 6.

تأملت هذا ظهر لك أن أمرهم للناس بالبر جزء المنكر، وأنه ليس بعبادة، بل هو معصية، وأن الأداة قد وليها المنكر في الآية . "[1]

فصل

وَالْأَمْرُ مِنْ أَنْوَاعِهِ ثُمَّ الْأَصَحّْ صِيغَتُهُ بِاللَّامِ أَوْ لا قَدْ وضَحْ
لِطَلَبِ الْفِعْلِ مَعَ اسْتِعْلاءِ

يعنى أن الأمر من أنواع الطلب، ثم الأصح عند أهل البيان، أنه وضح، أي ظهر، أنه لطلب الفعل من المخاطب، أي طلب فعل غير كف، مع استعلاء الأمر به أي بالأمر، سواء كان عاليا في نفس الأمر، أم لا .

قوله: صيغته باللام إلخ، أي سواء كانت صيغته أي الأمر باللام، نحو لتضرب زيدا لتقم أولا، نحو قم لتضرب زيدا، وكذا كل ما يؤدي معناه، نحو رويدا بكرا، وصه ومه، وضربا زيدا فقولنا غير كف، احترازا عن النهي، نحو " لا تزن ولا تسرق " وقولنا مع استعلاء، احترازا عما ليس كذلك، فإن كان التماسا أو دعاء، وسيأتيان قريبا .

قال في فيض الفتاح: " والاستعلاء طلب العلو بأن يكون الطلب بعظمة، وفسره بعضهم بالطلب بغلظة ورفع صوت، فلا يجرى في كلام الله على هذا، فلا يشترط في الأمر النفسي، واشتراط الاستعلاء في الأمر فيه خلاف [182] في جمع الجوامع، واعلم أن الأمر نفسي ولفظي، فالنفسي هو طلب فعل غير كف، واللفظي الدال على ذلك "[2]

وقال في الإتقان: " وهِيَ حَقِيقَةٌ فِي الْإِيجَابِ نَحْوُ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ ﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾[3] وتَرِدُ مَجَازًا لِمَعَانٍ أُخَرُ: مِنْهَا النَّدْبُ نَحْوُ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾[4] "[5]

---

(1) – عروس الأفراح بتصرف من المؤلف رحمه الله ج1 ص457

(2) – فيض الفتاح م س. ج1 ص248

(3) – سورة النساء، ، الآية: 10

(4) – سورة الأعراف، الآية: 204

(5) – الإتقان م س ج3 ص276

وَقَدْ تَجِي لِلْعَالِ كَالدُّعَاء أي وقد تجيء بصيغة الأمر من السافل للعالي للدعاء، وهو طلب الفعل على سبيل التضرع، نحو ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾[1]

وَلِلْمُسَاوِي فَالْتِمَاسٌ أي ومن المساوي للمساوي، فهي التماس ويسمى بالسؤال وهو الطلب على جهة التساوي، أي دون استعلاء أو تذلل، نحو " اسقني ماء " على وجه التساوي، سواء كان المتكلم عاليا في نفس الأمر أم لا .

قلت: استعمال صيغة الأمر في الندب أو الدعاء أو الالتماس من باب المجاز، والعلاقة هي كون كل منهما مطلوبا .

وَتَرِدْ .. إِبَاحَةً أي وترد صيغة الأمر للإباحة، كقوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾[2]،ومنه: " جالِس الحسنَ أو ابنَ سيرين " وقوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾[3] ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾[4] والعلاقة بين الوجوب والإباحة هي مطلق الإذن الشامل لهما، أي للواجب والمباح .

كَذَا لِتَهْدِيدٍ قُصِدْ أي قصد مجيء صيغة الأمر للتهديد، كهيئة مجيئها للإباحة، أي على سبيل المجاز، نحو ﴿اعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾[5] والقرينة استعمال الصيغة في عدم الرضا بالمأمور به والعلاقة المضادة، ولذلك لا يمكن إرادتها التهديد والإيجاب بصيغة واحدة، ويصدق التهديد مع الكراهة والتحريم .

قال ابن أبي شريف: تصور التهديد مع الكراهة باعتبار ما يفوت من الثواب على الترك امتثالا .

وقال السبكي في شرح المنهاج: وعندي أن المهدد عليه لا يكون إلا حراما، وكذلك الإنذار، كيف وهو مقترن بذكر الوعيد .

---

(1) – سورة إبراهيم، الآية: 41، وسورة نوح، الآية: 28

(2) – سورة المؤمنون، الآية: 51

(3) – سورة النور، الآية: 33

(4) – سورة المائدة، الآية: 2

(5) – سورة فصلت، الآية: 40

وَلِلْإِهَانَةِ يعنى أن صيغة الأمر ترد للإهانة، كقوله تعالى: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ 46﴾ (1)

قال في فيض الفتاح: " وضابطه أن يؤتى بكلام يدل على الخير والكرامة، يراد منه ضده، وبهذا فارق التسخير، قاله زكرياء في حواشيه على المحلى "(2)

وَلِلتَّسْخِيرِ أي وترد صيغة الأمر للتسخير، وهو الانتقال إلى حالة ممتهنة، إذ التسخير لغة التذليل والامتهان في العمل، ومنه قوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾(3) أي ذلَّلَهُ لنا لنركبه، نحو قوله تعالى: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ 64﴾(4) فليس مطلوبا منهم كونهم قردة، لعدم قدرتهم عليه .

قال في المطول: " لكن في التسخير يحصل الفعل وهو صيرورتهم قردة، ففيه دلالة على سرعة تكوينه تعالى إياهم قردة، وأنهم مسخرون له منقادون لأمره " . (5)

قال في عروس الأفراح: " إما أن يكون المراد أنه لم يصدر قول، ولكن حالهم حال من قيل له ذلك، أو المراد أنهم قيل لهم ذلك قولا لم يقصد به طلب، بل قصد به الإخبار عن هوانهم، وعلى كلا التقديرين يكون خبرا، والعلاقة فيه تحتم مقتضاه كتحتم وقوع الخبر عن الماضي، خلاف ما في [183] الأسنوي من قوله: وقد يقال العلاقة فيهما هي الطلب، فالتسخير أخص من التكوين، أي الإيجاد من العدم بسرعة، نحو ﴿كُن فَيَكُونُ 116﴾(6)"(7)

وَالخَبَرِ أي وترد صيغة الأمر للخبر، كما في حديث البخاري: ((إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ)) (8) أي صنعت ما شئت .

---

(1) – سورة الدخان، الآية: 49

(2) – فيض الفتاح م س. ج1 ص250

(3) – سورة الزخرف، الآية: 13

(4) – سورة البقرة، الآية: 65، وسورة الأعراف، الآية: 166

(5) – مطول السعد، م س، ج2 ص295.

(6) – سورة يس، الآية: 82

(7) – عروس الأفراح م س ج1 ص465

(8) – صحيح البخاري من حديث أبي مسعود عقبة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ج 4 ص 177

التَّعْجِيزِ معطوف بحذف العاطف على الخبر، أي وترد للتعجيز، وهو إظهار عجز من يدعى أمرا ليس في وسعه، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾[1] والعلاقة المضادة بين المعنى الحقيقي والمجازي ؛ لأن التعجيز إنما هو في الممتنعات، والطلب في الممكنات، ولا يقال التكليف بالمحال جائز، لأنا نقول: القرائن تفيد القطع بعدم إرادة هذا، فإنه غير مناسب لما هو المقصود .

ومن مجيئه للتعجيز قول الفرزدق:

أولئـك آبائـي فجئـني بمـثلهم إذا جمعتنـا يا جريـر المجـامع[2]

وَالتَّخْيِير يعنى أنها ترد للتخيير، نحو " تزوج هندا أو أختها " ويحرم الجمع فيه دون الإباحة، فذلك الفرق بينه وبينها، قاله في الشهدة الصريحة .

وَلِلتَّمَنِّي أي وترد صيغة الأمر للتمني، كقوله:

ألا أيُّهـا الليـلُ الطويـلُ ألا انْجَلـي بصُـبحٍ ومـا الإصْـباح فيـكَ بأمثـل[3]

الانجلاء: الانكشاف، فالليل لا يطلب منه الانجلاء، لأنه لا يقدر على ذلك، مع أنه لا يعقل، لكنه يتمنى ذلك تخلصا عما عرض له في الليل من تباريح الجوى، ولاستطالة تلك الليلة، كأنه لا طمع له في انجلائها، فصار تمنيا وترجيا، فالتمني وإن كان طلبا لكن ليس على طريق الاستعلاء، فلذا كانت صيغة أفعل فيه مجازا .

قال في فيض الفتاح: " ومعنى قوله: وما الإصباح فيك بأمثل، يعنى أن الصبح ليس بأفضل عنده من الليل، لأنه يقاسي الهموم في النهار كما يقاسيها في الليل . "[4]

وَامْتِنَانٍ يعنى أن صيغة الأمر ترد للامتنان، نحو ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾[5]

---

(1) – سورة البقرة، الآية: 23

(2) – ديوان الفرزدق، م س. ج1 ص418.

(3) – ديوان امرئ القيس ت المصطاوي، (ص49) ط2 1425 هـ ، دار المعرفة بيروت.

(4) – فيض الفتاح م س. ج1 ص251

(5) – سورة النحل، الآية: 114

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾[1] ويفارق الامتنان الإباحة بذكر ما يحتاج الخلق إليه، أي يضطر إليه، فإن الطيبات أي المستلذات غير مضطر إليها من حيث قيام البينة، بخلاف مطلق الرزق .

وَالْعَجَبْ أي تعجيب المخاطب، نحو قوله تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾[2]

تَسْوِيَةٍ العاطف محذوف، أي ويرد الأمر للتسوية، نحو ﴿فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ﴾[3] الصبر وعدمه، وقوله: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾[4]" والفرق بين التسوية والإباحة، كما في المطول ـ أن المخاطب في الإباحة كأنه توهم أن ليس يجوز له الإتيان بالفعل، فأبيح وأذن له فيه، مع عدم الحرج في الترك، وفى التسوية، كأنه توهم أن أحد الطرفين من الفعل والترك أنفع له وأرجح بالنسبة إليه، فرفع ذلك وسوى بينهما، والعلاقة فيها المضادة ؛ لأن التسوية بين الفعل والترك مضادة، لوجوب الفعل وترجيحه، قاله ياسين " قاله في فيض الفتاح .[5]

وَالِاحْتِقَارِ يعنى أن صيغة الأمر ترد للاحتقار، نحو قوله تعالى: ﴿أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ٨٠﴾[6] إذ ما يلقونه من السحر ـ وإن عظم ـ محتقر بالنظر إلى معجزة موسى عليه السلام . [184]

وَالْأَدَبْ أي التأديب، كقوله ﷺ لعمر بن سلمة هو دون البلوغ ويده تطيش في الصحفة: ((**كُلْ مِمَّا يَلِيكَ**))[7]

قال المحلي: " أما أكل المكلف مما يليه فمندوب، ومما يلي غيرَه فمكروه "[1]

---

(1) – سورة البقرة، الآية: 172

(2) – سورة الفرقان، الآية: 9

(3) – سورة الطور، الآية: 16

(4) – سورة التوبة، الآية: 80

(5) – فيض الفتاح م س. ج1 ص254

(6) – سورة يونس، الآية: 80، وسورة الشعراء، الآية: 43

(7) – صحيح البخاري من حديث عمر بن أبي سلمة، كتاب الأطعمة، باب الأكل مما يليه، الحديث رقم 5377ج 7 ص 68، وصحيح مسلم من حديث عمر بن أبي سلمة أيضا، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، ج 3 ص 1599.

وهذا ما لم يؤذ فيحرم .

وَقَالَ فِي الْمِفْتَاحِ لِلْفَوْرِ اقْتَضَى   قُلْتُ أَعَمُّ مِنْهُ فِي الْقَوْلِ الرِّضَى

أي وقال السكاكي في المفتاح: إن حقيقة الأمر تقتضي الفور، أي تدل عليه، واحتج بأنه الظاهر من الطلب، كما في الاستفهام والنداء فإنهما له اتفاقا، كقولك عند العطش: " اسقني ماء " ورد بأن ذلك لقرينة .

قال في الشهدة الصريحة: " قال السكاكي: حق الأمر للفور، لأنه الظاهر من الطلب، ولتبادر الفهم عند الأمر بشيء بعد الأمر بخلافه إلى تغيير الأمر الأول دون الجمع وإرادة التراخي، فإن المولى إذا قال لعبده: " قم" ثم قال له قبل أن يقوم: " اضطجع حتى المساء" تبادر الفهم إلى أنه غير الأمر بالقيام إلى الأمر بالاضطجاع، ولم يرد الجمع بين القيام والاضطجاع مع تراخي أحدهما، وفيه نظر، لأنا لا نسلم ذلك عند خلو المقام عن القرائن، وقيل للتراخي وعليه طائفة من الواقفية، والمراد من الفور وجوب تعجيل المأمور به في أول وقت الإمكان، ومن التراخي جواز تأخيره عنه لا وجوبه، وقيل معناه وجوب التأخير، وعليه لو بادر لا يكون ممتثلا، لكن الإجماع على كونه ممتثلا " .

قوله: قلت إلخ، يعنى أن الناظم قال زيادة على التلخيص: إن الأمر موضوع لأعم منه، أي من الفور ومن التراخي في القول الرضي، وهو قول الجمهور، بل ليس مفهومه إلا طلب الفعل استعلاء، والفور والتراخي مفوضان إلى القرينة، كالتكرار وعدمه، فإنه لا دلالة للأمر على شيء منها .

وَالنَّهْيُ فَاعْدُدْهُ مِنَ الْإِنْشَاءِ   وحَرْفُهُ لا وهْوَ ذُو اسْتِعْلاء

أي اعدد النهي من أنواع الطلب الذي هو من أنواع الإنشاء، وصيغته الموضوعة له لا الجازمة، إذ لا تكون إلا للنهي، وهو لطلب الكف عن الفعل، تحريما أو كراهة، لا بنحو دع وذر وكف على جهة الاستعلاء، أي طلب العلو، وعد الناهي نفسه عاليا، لأنه المتبادر إلى الفهم، وهو يقتضى الفور والتكرار، أي الدوام على الكف .

(1) – حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، ج1 ص470. ، دار الكتب العلمية.

قال السبكي: " وقضيته الدوام ما لم يقيد بالمرة "[1]

المحلى: " فإن قيد بها نحو لا تسافر اليوم، إذ السفر فيه مرة من السفر كانت قضيته، والأصح عند أهل الأصول أنه لا يعتبر في مسمى النهي علو ولا استعلاء، وكذلك الأمر . "[2]

وَقَـدْ يَجِـي طَالِـبَ غَـيْرِ الْكَـفِّ ... والـتَّرْكِ كَالتَّهْدِيـدِ لِلتَّشَـفِّي

يعنى أن النهي قد يجيء، أي ترد أداته، طالبا بها المتكلم غير الكف والترك، على سبيل المجاز، كالتهديد للتشفي، أي لأجل التشفي، بأن تستعمل الصيغة في عدم الرضا بالترك، كقولك لعبد: لا تمتثل أمري، فلا طلب في التهديد أصلا، إذ ليس المراد طلب كفه عن الامتثال، لأنه حاصل، بل المراد الإخبار عن إرادة الانتقام على الترك .

قوله: طالب بالنصب حال من فاعل يجيء العائد إلى النهي .

قُلْتُ ولِلتَّقْلِيلِ أي قال الناظم زيادة على التلخيص: [185] ويجيء النهي أي ترد أداته للتقليل والاحتقار، كقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجاً مِّنْهُمْ﴾[3] فهو قليل حقير بخلاف ما عند الله .

وَامْتِنَانِ أي والامتنان كقول الأمير لمن حمله على جواد: " لا تركب الْبرذَوْنَ " . [4]

وَلِلدُّعَا أي وتستعمل للدعاء أي على سبيل التضرع، كقول المتضرع إلى الله: رب لا تكلني إلى نفسي طرفة[71] عين﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾[5]

الْإِرْشادِ أي وللإرشاد كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَسْـَٔلُواْ عَنَ اَشْيَآءَ اِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[6]

---

(1) – تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، ج2 ص627، ت الدكتوران سيد ع العزيز وعبد الله ربيع، ط1 1418، ، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث.

(2) – حاشية العطار على شرح الجلال المحلى على جمع الجوامع ج1 ص497، دار الكتب العلمية.

(3) – سورة طه، الآية: 131

(4) – «القاموس المحيط» (ص1180)

«البِرْذَوْنُ، كجِرْدَحْلٍ: الدابَّةُ، وهي: بهاءٍ»

(5) – سورة آل عمران، الآية: 8

(6) – سورة المائدة، الآية: 101

فالمصلحة في الإرشاد دنيوية، وهي تجنبهم للسؤال عما يسوءهم، إذ أبين لهم .

وَالْبَيَان أي بيان العاقبة، نحو ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾(1) أي عاقبة الشهادة الحياة لا الموت .

وَهَـــذِهِ الْأَنْـــوَاعُ قَـــدْ تُقَـــدَّرُ   شَـــرْطٌ يَلِيهَـــا جَـــازِمٌ مَـــا يُـــذْكَرُ

يعنى أن هذه الأنواع الأربعة، وهي التمني، والاستفهام، والأمر، والنهي، قد يقدر شرط موال لها، حال كونه جازما لا يذكر أي محذوفا أبدا وجوبا، فيجزم الجواب بعدها بذلك الشرط المحذوف، ويحتمل أن تكون في قوله ما يذكر ومفعولا لقوله جازما أي جازما الفعل الذي يذكر بعدها جوابا .

فمثال تقديره بعد التمني:

كَلَيْـــتَ لِي مَـــالاً أَصَـــدَّقْ أَيْ إِنِ   أُرْزَقْــــــــــــــــــهُ . .

أصدق منه على الفقراء والمساكين .

ومثاله بعد الاستفهام: أين بيتك أزرك، أي إن تعرفنيه أزرك، ومثاله بعد الأمر **زُرْنِي أُشْفَ أَيْ إِنْ زُرْتَنِي أُشْفَ** من دائي، ومثاله بعد النهي: لا تشتم يكن خيرا، أي إن لا تشتم يكن خيرا لك .

وَوُلِّـــدَ الْعَـــرْضُ مِـــنِ اسْـــتِفْهَامِ   فَقُـــلْ أَلَا تَنْـــزِلُ بَعْـــدَ السَّـــامِي

يعنى أن العرض مولد من الاستفهام، فالاستفهام أصله، فلذلك يقدر شرط جازم بعده ويجزم جوابه بذلك الشرط المقدر، فقل لمن أتاك راكبا: " ألا تنزل يا فلان تعل السامي " أي إن تنزل تعل السامي .

وَلِـــدَلِيلٍ جَـــازَ أَنْ يُقَـــدَّرَا   فِي غَيْرِهَـــا فَـــاللهُ هُـــوْ لِمَـــنْ قَـــرَا

يعنى أنه يجوز تقدير الشرط في غير هذه المواضع الخمسة، لدليل يدل عليه، كقوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾(2) أي إن أرادوا وليا بحق فالله هو الولي، أي هو الذي يجب أن يتولى وحده، ويعتقد أنه المولى والسيد ؛ لأن قوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ﴾(3) إنكار لكل ولي سواه .

(1) – سورة آل عمران، الآية: 169

(2) – سورة الشورى، الآية: 9

(3) – سورة الشورى، الآية: 9

ثُمَّ النِّدَا مِنْهَا يعنى أن النداء من أنواع الطلب، والنداء هو طلب الإقبال من المخاطب، بحرف نائب مناب ادعوا لفظا، أوتقديرا .

قال في الإتقان: " ويَصْحَبُ فِي الْأَكْثَرِ الْأَمْرَ والنَّهْيَ، والْغَالِبُ تَقَدُّمُهُ، نَحْوُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾[1] ﴿يَٰعِبَادِ فَاتَّقُونِ ١٥﴾[2] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيْلَ﴾ [3]﴿وَيَٰقَوْمِ إِسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾[4] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تُقَدِّمُواْ﴾[5] وقد يتأخر نحو: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعاً ايُّهَ ٱلْمُومِنُونَ﴾[6]

وَقَدْ يَصْحَبُ الْجُمْلَةَ الْخَبَرِيَّةَ فَتَعْقُبُهَا جُمْلَةُ الْأَمْرِ، نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾[7] ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمُۥٓ ءَايَةً فَذَرُوهَا﴾[8] وقد لا تعقبها نحو: ﴿يَٰعِبَادِۦ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾[9] ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلى ٱللَّهِۖ﴾[10] ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَاوِيلُ رُءْيَٰيَ﴾[11] وقد تصحبه الاستفهامية ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ ولاَ يُبْصِرُ﴾[12] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيٓءُ لِمَ تُحَرِّمُ﴾[13] ﴿۞وَيَٰقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمُۥٓ﴾[14] »[15]

---

(1) - سورة البقرة، الآية: 21

(2) - سورة الزمر، الآية: 16

(3) - سورة المزمل، الآية: 1-2

(4) - سورة هود، الآية: 52

(5) - سورة الحجرات، الآية: 1

(6) - سورة النور، الآية: 31

(7) - سورة الحج، الآية: 73

(8) - سورة هود، الآية: 64

(9) - سورة الزخرف، الآية: 68

(10) - سورة فاطر، الآية: 15

(11) - سورة يوسف، الآية: 100

(12) - سورة مريم، الآية: 42

(13) - سورة التحريم، الآية: 1

(14) - سورة غافر، الآية: 41

(15) - «الإتقان في علوم القرآن» (3/ 281)

صِيغَتُهُ لِغَيْرِ مَا لَهُ قُصِدْ

يعنى أن [186] صيغة النداء قد ترد على سبيل المجاز لغير ما قصد له النداء، أي لغير المعنى الذي قصد له النداء على سبيل الوضع والحقيقة، وهو طلب المتكلم الإقبال من المخاطب، وهذا صادق بعدم الطلب بالكلية، وصادق بطلب ليس فيه إقبال، لكن لا بحرف نائب مناب ادعوا .

كَمِثْلِ الإِغْرَاءِ كَيَا مَظْلُومُ لِمَنْ شَكَا الظُّلْمَ وِيَا مَحْرُومُ

والإغراء هو طلب لزوم المخاطب العكوف على ما يحمد عليه، كقولك لمن أقبل يتظلم، أي يشتكي ظلم أحد له: " يا مظلوم " فإنه ليس لطلب الإقبال، لكونه حاصلا، وإنما المراد إغراؤه على زيادة التظلم، وبث الشكوى وترغيب له في ذلك، ولمن اشتكى الحرمان: " يا محروم "

وَالِاخْتِصَاصِ إِذَا أَيُّهَا الرَّجُلْ أَفْعَلُهُ أَيْ مُتَخَصِّصًا فَصَلْ

قوله: الاختصاص بالجر معطوف على الإغراء، يعنى أن صيغة النداء ترد للاختصاص مجازا، وهو في معنى مناداة الشخص نفسه تجريدا، فكأنه جرد نفسه عنه ثم خاطبها، نحو " أنا أفعله أيها الرجل " أي حال كون المتكلم مخصصا نفسه أي متخصصا بالفعل، فأيها مفعول بفعل محذوف، أي أخص أصله قبل إرادة الاختصاص تخصيص المنادى بطلب إقباله عليك، نحو " يأيها الرجل " ثم جعل أيها الرجل مجردا عن طلب الإقبال، ونقل إلى تخصيص مدلوله أي الرجل من بين أمثاله بما نسب إليه، فالاختصاص في الاصطلاح حكم علق بضمير ما تأخر عنه من اسم ظاهر معروف، والباعث عليه فخر أو تواضع أو زيادة بيان .

فالأول نحو " علي أيها الجواد يعتمد الفقير "

والثاني نحو " أنا أيها العبد فقير إلى عفو الله تعالى ورحمته "

والثالث نحو " نحن العرب أقرى الناس للضيف "

قُلْتُ وِلِاسْتِغَاثَةٍ أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: تجيء صيغة النداء لاستغاثة مجازا، والاستغاثة نداء من يخلص من شدة، أو يعين على مشقة، نحو " يا الله من ألم الفراق " وقول الشاعر:

يَا لَقَوْمِي ويَا لأَمْثَالِ قَوْمِي لأُنَاسٍ عُتُوُّهُمْ فِي ازْدِيَادِ[1]

تَعَجُّبِ معطوف بحذف العاطف على استغاثة، أي وترد للتعجب، وهو قسمان أحدهما أن يرى المتكلم أمرا عظيما فينادي جنسه، نحو " يا للماء، ويا للدواهي " إذا تعجب من كثرتهما، كأنه لقرابته ينادى ويطلب حضوره ليتعجب منه .

والثاني أن يرى أمرا عظيما فينادى من له مكنة فيه، كما إذا رأى مسألة مشكلة فيقول: " يا للعلماء " أي تعجبوا من إشكالها،

تَحَسُّرٍ كَيَا دِيَارَ الْعَرَبِ

قوله: تحسر بالجر عطف على قوله تعجب بحذف العاطف، والتحسر التوجع، كما في قولك: " يا ديارَ الْعَرَب " متوجعا على فقدها، " ويا مَعاهد الطَّربِ " أي الأماكن التي عهدت فيها الطرب واللهو، ومنه قوله:

فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتَ أَوَّلُ حُفْرَةٍ مِنَ الأَرْضِ خُطَّتْ لِلسَّمَاحَةِ مَضْجَعَا
وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وارَيْتَ جُودَهُ وقَدْ كَانَ مِنْهُ البَرُّ والبَحْرُ مُتْرَعَا[2]

كأنك تدعو قبر مَعْنٍ وتقول: أنا متوجع على فراقك .

تنبيه

قلت بقي على الناظم من المواضع التي تستعمل فيها أداة النداء مجازا [188] موضعان:

الأول: التدله أي ذهاب العقل، كما في نداء الأطلال والمنازل والمطايا .

والثاني: الندبة، كقولك " يا محمدا "

قال في المطول: كأنك تدعوه وتقول: " أنا مشتاق إليك " وأمثال هذه المعاني كثيرة في الكلام فتأمل في استخراج ما يناسب المقام .

وَأَصْلُ يَا لَدَى النِّدَاءِ لِلْبَعِيدْ

---

(1) - هذا بيتٌ من الخفيف، ولم أقف على قائله

(2) . البيتان للحسين بن مطير الأسدي، وقبلهما: ألما على معْنٍ وقولا لقبره...سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا، انظر البيان والتبيين، م س، ج3 ص160.

يعنى أن أصل يا أن تستعمل لدى النداء للمنادى البعيد حقيقة أو حكما كالنائم والساهي، بخلاف الهمزة وأي،

وقَـــدْ يَجِــي لِغَــيْرِهِ مِثْــلِ الْبَلِيــدْ

يعنى أن ياقد تجيء لنداء غيره أي غير المنادى البعيد، لنكت مثل كون المدعو بها بليدا، كقول الفرزدق:

فَــانْعَقْ بِضَــأْنِكَ يَا جَرِيــرُ فَإِنَّمَــا   مَنَّتْــكَ نَفْسُــكَ فِي الْخَــلَاءِ ضَــلَالَا

وَالْحِـــــرْصِ فِي وقُوعِـــــهِ .   أ

أي ومن النكت إظهار الحرص في وقوعه أي إقبال المدعو، كقوله تعالى: ﴿**يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ**﴾[1]

وَالِاعْتِنَا أي ومنها الاعتناء بالخطاب التالي للمنادى نحو ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ**﴾

أَوْ شَانِهِ عَظَّمَهُ أي أو عظم المتكلم شأن المدعو بندائه إياه بنداء البعيد، لتنزيله منزلة البعيد، لبعد درجته، تنزيلا لبعد درجته منزلة بعد المسافة، نحو يا رب، وقد قال تعالى: ﴿**وَإِنِّي قَرِيبٌۖ**﴾[2] وفى الصحيح: ((**أَنتَ أَعْلَمُ**)) [3] أي ربِّ .

أَوْ هَوَّنَا أي هون المتكلم شأن المدعو وحقره بندائه إياه بنداء البعيد، تنزيلا لسفالة محله وبعده عن ساحة الحضور منزلة بعد المسافة، نحو قول فرعون: ﴿**إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورٗا** 101﴾[4] مع أنه قريب منه، وقولك:

" يا هذا إنَّ الْبُغاث بأرضنا لا يَسْتنسر " .

قوله: والحرص بالجر عطف على قوله البليد، وقوله أو شأنه بالنصب منصوب على الاشتغال بفعل محذوف يفسره الظاهر الذي هو عظمه، وفاعل عظمه ضمير عائد إلى المتكلم، والضمير المجرور بالإضافة في قوله شأنه عائد إلى المدعو، وقوله أو هونا فعل ماض وفاعله ضمير عائد إلى

(1) – سورة القصص، الآية: 31

(2) – سورة البقرة، الآية: 186

(3) – مستدرك الحاكم.

(4) – سورة الإسراء، الآية: 101

المتكلم أيضا، والألف فيه للإطلاق .

تنبيــــه

قال في الإتقان: « فَائِدَةٌ قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ وغَيْرُهُ كَثُرَ فِي الْقُرْآنِ النِّدَاءُ بِ" يَا أَيُّهَا" دُونَ غَيْرِهِ لِأَنَّ فِيهِ أَوْجُهًا مِنَ التَّأْكِيدِ وأَسْبَابًا مِنَ الْمُبَالَغَةِ ومِنْهَا مَا فِي" يَا" مِنَ التَّأْكِيدِ والتَّنْبِيهِ ومَا فِي " هَا" مِنَ التَّنْبِيهِ ومَا فِي التَّدَرُّجِ مِنَ

الْإِبْهَامِ فِي" أَيُّ" إِلَى التَّوْضِيحِ والْمَقَامُ يُنَاسِبُ الْمُبَالَغَةُ والتَّأْكِيدُ لِأَنَّ كُلَّ مَا نَادَى لَهُ عِبَادَهُ مِنْ أَوَامِرِهِ ونَوَاهِيهِ وعِظَاتِهِ وزَوَاجِرِهِ ووَعْدِهِ ووَعِيدِهِ ومِنَ اقْتِصَاصِ أَخْبَارِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وغَيْرِ ذَلِكَ ومِمَّا أَنْطَقَ اللهُ بِهِ كِتَابَهُ أُمُورٌ عِظَامٌ وخُطُوبٌ جِسَامٌ ومَعَانٍ واجِبٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَيَقَّظُوا لَهَا ويَمِيلُوا بِقُلُوبِهِمْ وبَصَائِرِهِمْ إِلَيْهَا وهُمْ غَافِلُونَ فَاقْتَضَى الْحَالُ أَنْ يُنَادَوْا بالآكد الأبلغ »[1]

ثُمَّ التَّرَجِّــــي بِلَعَــــلَّ أُهْمِــــلا

أي ومن أنواع الطلب الترجي بعل وعسى، وقد أهمله في التلخيص .

قال الشيخ بهاء الدين: " ولاعذر له فيتركه، ونقل القرافي الإجماع على أنها إنشاء، نحو " لعل الله يأتينا بخير "

وقَــــدْ يَجِــــي تَوَقُّعًــــا تَعَلُّــــلا

يعني أن حرف الترجي قد يخرج عن معناه الأصلي فيجيء للتوقع أي توقع محذور، ويسمى إشفاقا، نحو ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ 15﴾[2][188]

وللتعليل عند السكاكي والأخفش[3] والكسائي، وحملوا عليه قوله تعالى: فَقُولَا لَهُۥفقولا له قولا

(1) – «الإتقان في علوم القرآن» (3/ 283)

(2) – سورة الشورى، الآية: 17

(3) – الأخفش: هو سعيد بن مسعدة أبو الحسن أوسط الأخافشة الثلاثة المشهورين، قرأ النحو على سيبويه وانتصر لسيبويه من الكساء في المناظرة التي راح سيبويه ضحيتها. وهو إمام الطبقة الخامسة البصرية، وعلم من أعلام النحو المشهورين، توفي سنة (221 هـ) على أصح الآراء. مصنفاته: أشهر كتاب له هو معاني القرآن وهو مطبوع في مجلدين. انظر ترجمته في: بغية الوعاة (1/590). والأعلام (3/101).

لينا لعله يتذكر أو يخشى [1]

ومن لم يثبت ذلك حمله على الرجاء بصرف هل لمخاطبين، أي اذهبا على رجائكما .

قوله: توقعا تعللا بالنصب بنزع الخافض أو على المفعولية .

كَذَاكَ لِلشَّكِّ يعنى أن الترجي تجيء أداته لشك أي للشك كهيئة مجيئها للتوقع والتعليل أي على سبيل المجاز عند الفراء وعبد الله الطوال .

وَالِاسْتِفْهَامِ أي وترد أداة الترجي للاستفهام مجازا .

قال في المغني: ولهذا علق عنها الفعل في نحو ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ١﴾[2]،نحو: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣﴾[3]

تنبيــــــه

لم يذكر الناظم القسم، لأنه ليس طلبا، وإن كان إنشاء، وإنما هو لتأكيد الخبر وتحقيقه، وإنما لم يذكره لأن المقصود من الإنشاء في هذا الفن إنما هو الإنشاء الطلبي، فلذلك ذكر منه نوعا يدل، وهو القسم الاستعطافي، لأنه خرج عن معناه الأصلي، فقال:

وَيَطْلُـــبُ الإِعْطَـــافَ بِالْأَقْسَـــام

أي يطلب به العطف والرحمة، فيصير من أنواع الطلب، نحو " برحمتك اعف عني وتب علي " ومنه قول الشاعر:

بالله يا ظبيــات القـــاع قلـــن لنـــا ليــلاي مـــنكن أم ليلـــى مـــن البشـــر

وَقَـــدْ يَجِـــي الْإِخْبَـــارُ مَوْضِـــعَ الطَّلَـــبْ تَحَـــرُّزًا عَـــنْ صُـــورَةِ الْأَمْـــرِ أَدَبْ

يعنى أن الإخبار قد يجيء في موضع الطلب أي في مكانه على خلاف الظاهر، لنكتة لا يدركها من لم يمارس هذا العلم، وذلك كالتحرز عن صورة الأمر أدبا، أي لأجل التأدب، كقول العبد لسيده إذا

(1) - سورة طه، الآية: 44

(2) - سورة الطلاق، الآية: 1

(3) - سورة عبس، الآية: 3

حول وجهه عنه: ينظر السيد إلي ساعة، مكان انظر إلي ؛ لأن انظر في صورة الأمر المشعر بالاستعلاء المنافي للأدب، وإنما قال عن صورة الأمر، لأنه دعاء في الحقيقة، لذم الاستعلاء المشترط في حد الأمر، فوجه حسن هذا اللفظ المخالف لمقتضى الظاهر رعاية الأدب .

قال في المفتاح: " ووجه حسنه إما نفس الكناية إن شئت، وإما الاحتراز عن صورة الأمر، وإما هما . "[1]

قال في فيض الفتاح: " قال السيد وذلك أن حصول النظر إليه من المولى في الاستقبال لازم لطلبه النظر منه، فعبر باللازم عن الملزوم كما هو طريق الكناية التي لها حسن في نفسها وقد انضم إليها ها هنا نكتة أخرى تزيد في حسنها وهي رعاية الأدب مع المولى بترك مواجهته بما هو في صورة الأمر، وفى المطول أن الخبر الوارد بمعنى الطلب في جميع الصور مجاز، لاستعماله في غير ما وضع له، ويحتمل أن يكون كناية في بعضها أعني ينظر المولى إلي ساعة، وتأتيني غدا . "[2]

قوله: موضع بالنصب على الظرفية، عامله تجي، وقوله تحرزا بالنصب [189] مفعول لأجله عامله تجيء، وقوله أدب بالوقف على السكون على لغة ربيعة مفعول لأجله أيضا عامله تحرزا، وقوله يجي بالتسكين لضرورة الوزن .

وَلِلتَّفَاؤُلِ يعنى أن الأخبار تجيء مكان الطلب للتفاؤل بالوقوع، كما إذا قيل لك في مقام الدعاء: " أعاذك الله من الشبهة، وعصمك من الحيرة، ووفقك للتقوى " ليتفاءل بلفظ الماضي على عدها من الأمور الحاصلة التي حقها الإخبار عنها بأفعال ماضية، والدعاء بلفظ الماضي يحتمل التفاؤل وإظهار الحرص إذا صدر ذلك من البليغ لا من غيره، فهو غافل عن هذه الاعتبارات، والمراد بالبليغ من له هذه المعرفة، وإن لم تكن له ملكة يقتدر بها على كلام بليغ .

تنبيـــــه

اعلم أن التفاؤل مستحسن عند البلغاء، فقد خلع هارون الرشيد على كاتب له إذ سأله عن شيء

(1) - مفتاح العلوم للسكاكي ص 325

(2) - فيض الفتاح م س. ج1 ص256

فقال: " لا وأيدك الله يا أمير المؤمنين " إذ لم يُسمِعه ما يقول الأغبياء من " لا أيدك الله " بترك الواو .

وقد خرج بعض الأمراء فتراءت له شجرة تسمى شجرة الخلاف، فسأل كاتبا له عنها، فقال له: شجرة الوفاق، تجنبا للفظ الخلاف، فكساه لأنه احترز عن التطير بلفظ الخلاف، وتفاءل بلفظ الوفاق، وقد غضب الداعي العلوي على شاعره لما افتتح بقوله: موعد أحبابك للفرقة غد، فقال له الداعي: موعد أحبابك يا أعمى ولك المثل السوء، ومنه تسمية العرب الفلاة المهلكة: مفازة أي منجاة، والعطشان ناهلا، واللديغ سليما .

. **وقَصْـــدِ الحِـــرْصِ فِي وقُوعِـــــــهِ** .

يعنى أن الخبر يجيء مكان الطلب، لأجل قصد الحرص في وقوعه أي وقوع معناه، نحو " أدخلني الله الجنة " لأن الطالب إذا كملت رغبته في الشيء ربما انتقشت في الخيال صورته، لكثرة ما يناجي به نفسه، فيخيل له غير الحاصل حاصلا حتى إذا حكم الحس بخلافه غلطه في الحكم، بخلاف ما خيل إليه، وعلى ما ذكر من أن الطالب إذا كملت رغبته في الشيء إلخ، قول الشاعر:

مَـا سِـرْتُ إلَّا وطيـفٌ مِنْـكَ يَطـرحُنِي ... سَـرْياً أمـامي وتأويبًـا علـى أثَـري

قال في المفتاح: " يقول لكثرة ما ناجيت نفسي بك حتى انتقشت في خيالي، فأعدك بين يدي مغلطا للبصر بعلة الظلام، إذ لم يدركك ليلا أمامي، وأعدك خلفي إذا لم يتيسر لي تغليطه حين لا يدركك بين يدي نهارا . "[1]

قال في فيض الفتاح: " فائدة من الاعتبارات المناسبة لإيقاع الخبر موقع الطلب، الاحتراز عن نسبة المخاطب، لما يكرهه من عدم اتصافه بالتقوى مثلا، فإذا قلت: " اللهم وفقه " كان ذلك فيه ذلك، بخلاف لفظ الماضي، فليس فيه هذه النسبة، نظرا لظاهر اللفظ، ومنها أن يقصد إظهار كون المطلوب قريب الوقوع لانعقاد الأسباب، كقولك: " اشتريت لي كذا " مكان " اشتر " أو إظهار حسن اعتقاد المتكلم بكمال [190] جود المخاطب، كقولك: " أعطيتني " موضع " اعطني " أو أن يقصد إدخال السرور في قلبه، كقولك: " أعطاك زيد " مكان " ليعطك " أو أن يقصد استعجال المخاطب في تحصيل المطلوب، ومنها القصد إلى المبالغة في الطلب حتى كأن المخاطب شارع في

(1) - مفتاح العلوم م س. ص325

الامتثال، فيخبر عنه، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[1] مكان لا تعبدوا، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾[2] مكان لا تسفكوا، والدليل على أن لا تعبدون ولا تسفكون بمعنى الطلب وكذا تؤمنون في قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ 10﴾[3] هو أن أخذ الميثاق والدلالة على طريق النجاة إنما يكونان في متعارف الناس بالأمر والنهي دون الاخبار، قاله السيد في شرحه على المفتاح إلى غير ذلك من الاعتبارات المناسبة . "[4]

وَاحْتَمَلا إِذَا تَفِي

مِـــنَ الْبَلِيـــغِ صِـــيغَةَ الْمَاضِـــي دُعَـــا

مِنَ الْبَلِيغِ صِيغَةَ الْمَاضِي دُعَا احتملا بالبناء للنائب نائبه ضمير التثنية العائد على التفاؤل وقصد الحرص، وقوله صيغة بالرفع فاعل تفي، وقوله دعا بالقصر لضرورة الوزن حال من فاعل تفي أو مفعول له .

يعنى أن الدعاء إذا صدر من البليغ بصيغة الماضي يحتمل التفاؤل، وقصد الحرص والرغبة في وقوع معناه .

وتقرير البيت: واحتملا أي التفاؤل، وقصد الحرص والرغبة في وقوع المطلوب، أي احتملهما الكلام إذا تفي صيغة الماضي دعاء من البليغ .

أَوْ حَمْلِـــهِ عَلَيْـــهِ مَـــنْ قَـــدْ سَمِعَـــا

أو حمله بالجر عطف على قوله وللتفاؤل، والضمير فيه عائد على المتكلم، والضمير المجرور بعلى عائد إلى المطلوب، ومن قد سمعا مفعول به للمصدر المضاف إلى فاعله الذي هو حمله، والألف في سمعا للإطلاق، يعنى أن الخبر يجيء مكان الطلب، لأجل حمل المتكلم السامع المخاطب على المطلوب، بأن يكون المخاطب لا يحب توهم كذب المتكلم من لم يفهم إرادة

(1) – سورة البقرة، الآية: 83

(2) – سورة البقرة، الآية: 84

(3) – سورة الصف، الآية: 9

(4) – فيض الفتاح م س. ج1 ص258

الطلب، فيقول المتكلم: " تأتيني غدا " مكان " إيتيني " فيحمله بألطف وجه على الإتيان، لأنه إن لم يأته غدا كان كاذبا من حيث الظاهر، لكون كلامه في صورة الخبر، أما من حيث نفس الأمر فلا كذب، لأنه إنشاء ولا كذب فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿**هَلَ اَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ اَلِيمٍ** 10﴾ وأما كونه بألطف وجه فلأنه يدل على أن المخاطب في محبة الطالب بهذه المنزلة، أعني أنه من حيث أنه لا يحب أن ينسب الطالب في كلامه إلى الكذب بحسب الظاهر، ومنه قوله تعالى: ﴿**۞وَالْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ**﴾[1]﴿**لاَّ يَمَسُّهُۥٓ إِلاَّ اَلْمُطَهَّرُونَ** 82﴾[2]

قال في الإتقان: " ونَازَعَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّ الْخَبَرَ يَرِدُ بِمَعْنَى الْأَمْرِ أَوِ النَّهْيِ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: فلا رفث لَيْسَ نَفْيًا لِوُجُودِ الرَّفَثِ بَلْ نَفْيٌ لِمَشْرُوعِيَّتِهِ فَإِنَّ الرَّفَثَ يُوجَدُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ [191] وأَخْبَارُ اللهِ تَعَالَى لَا يَجُوزُ أَنْ تَقَعَ بِخِلَافِ مُخْبَرِهِ وإِنَّمَا يَرْجِعُ النَّفْيُ إِلَى وجُودِهِ مَشْرُوعًا لَا إِلَى وجُودِهِ مَحْسُوسًا كَقَوْلِهِ: ﴿**۞وَالْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ**﴾ ومَعْنَاهُ مَشْرُوعًا لَا مَحْسُوسًا فَإِنَّا نَجِدُ مُطَلَّقَاتٍ لَا يَتَرَبَّصْنَ فَعَادَ النَّفْيُ إِلَى الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ لَا إِلَى الْوُجُودِ الْحِسِّيِّ وكَذَا ﴿**لاَّ يَمَسُّهُۥٓ إِلاَّ اَلْمُطَهَّرُونَ** 82﴾ أَيْ لَا يَمَسُّهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَرْعًا فَإِنْ وجِدَ الْمَسُّ فَعَلَى خِلَافِ حُكْمِ الشَّرْعِ .

قَالَ وهَذِهِ الدَّفِينَةُ الَّتِي فَاتَتِ الْعُلَمَاءَ فَقَالُوا: إِنَّ الْخَبَرَ يَكُونُ بِمَعْنَى النَّهْيِ ومَا وجِدَ ذَلِكَ قَطُّ ولَا يَصِحُّ أَنْ يُوجِدَ فَإِنَّهُمَا مُخْتَلِفَانِ حَقِيقَةً ويَتَبَايَنَانِ وضْعًا انْتَهَى .[3]

تنبيــــه

قال في الإتقان: " فَرْعٌ مِنْ أَقْسَامِهِ عَلَى الْأَصَحِّ التَّعَجُّبُ قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: وهُوَ تفصيل شَيْءٍ عَلَى أَضْرَابِهِ .

وَقَالَ ابْنُ الصَّائِغِ: اسْتِعْظَامُ صِفَةٍ خَرَجَ بِهَا الْمُتَعَجَّبُ مِنْهُ عَنْ نَظَائِرِهِ .

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: مَعْنَى التَّعَجُّبِ تَعْظِيمُ الْأَمْرِ فِي قُلُوبِ السَّامِعِينَ لِأَنَّ التَّعَجُّبَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ

---

(1) – سورة البقرة، الآية: 228

(2) – سورة الواقعة، الآية: 79

(3) – الإتقان للسيوطي م س ج3 ص259

شَيْءٍ خَارِجٍ عَنْ نَظَائِرِهِ وأَشْكَالِهِ .

وَقَالَ الرُّمَّانِيُّ: الْمَطْلُوبُ فِي التَّعَجُّبِ الْإِبْهَامُ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ النَّاسِ أَنْ يَتَعَجَّبُوا مِمَّا لَا يُعْرَفُ سَبَبُهُ، فَكُلَّمَا اسْتَبْهَمَ السَّبَبُ كَانَ التَّعَجُّبُ أَحْسَنَ قَالَ: وأَصْلُ التَّعَجُّبِ إِنَّمَا هُوَ لِلْمَعْنَى الْخَفِيِّ سَبَبُهُ والصِّيغَةُ الدَّالَّةُ عَلَيْهِ تُسَمَّى تَعَجُّبًا مَجَازًا قَالَ: ومِنْ أَجْلِ الْإِبْهَامِ لَمْ تَعْمَلْ نَعَمْ إِلَّا فِي الْجِنْسِ مِنْ أَجْلِ التَّفْخِيمِ لِيَقَعَ التَّفْسِيرُ عَلَى نَحْوِ التَّفْخِيمِ بِالْإِضْمَارِ قَبْلَ الذِّكْرِ .

ثُمَّ قَدْ وضَعُوا لِلتَّعَجُّبِ صِيَغًا مَنْ لَفْظِهِ وهِيَ مَا أَفْعَلَ وأَفْعِلْ بِهِ وصِيَغًا مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ نَحْوَ كَبُرَ كَقَوْلِهِ: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنَ أَفْوَاهِهِمْ﴾[1] ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِندَ ٱللَّهِ﴾[2] ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾[3]

قَاعِدَةٌ: قَالَ الْمُحَقِّقُونَ إِذَا ورَدَ التَّعَجُّبُ مِنَ اللهِ صُرِفَ إِلَى الْمُخَاطَبِ كَقَوْلِهِ: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ 174﴾[4] أَيْ هَؤُلَاءِ يَجِبُ أَنْ يُتَعَجَّبَ مِنْهُمْ، وإِنَّمَا لَا يُوصَفُ تَعَالَى بِالتَّعَجُّبِ لِأَنَّهُ اسْتِعْظَامٌ يَصْحَبُهُ الْجَهْلُ، وهُوَ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ، ولِهَذَا تعبر جماعة بالتعجيب بَدَلَهُ أَيْ أَنَّهُ تَعْجِيبٌ مِنَ اللهِ لِلْمُخَاطِبِينَ ونَظِيرُ هَذَا مَجِيءُ الدُّعَاءِ والتَّرَجِّي مِنْهُ تَعَالَى إِنَّمَا هُوَ بِالنَّظَرِ إِلَى مَا تَفْهَمُهُ الْعَرَبُ أي هؤلاء مما يَجِبُ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ: عِنْدَكُمْ هَذَا ولِذَلِكَ قَالَ سِيبَوَيْهِ فِي قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ 43﴾[5] الْمَعْنَى: اذْهَبَا عَلَى رَجَائِكُمَا وطَمَعِكُمَا وفِي قَوْلِهِ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ 1﴾[6] ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ 10﴾[7] لا نقول هَذَا دُعَاءٌ لِأَنَّ الْكَلَامَ بِذَلِكَ قَبِيحٌ، ولَكِنَّ الْعَرَبَ إِنَّمَا تَكَلَّمُوا بِكَلَامِهِمْ وجَاءَ الْقُرْآنُ عَلَى لُغَتِهِمْ وعَلَى مَا يَعْنُونَ فَكَأَنَّهُ قِيلَ لَهُمْ: وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ سجى أَيْ هَؤُلَاءِ مما وجب هذا الْقَوْلُ لَهُمْ لِأَنَّ هَذَا الْكَلَامَ إِنَّمَا يُقَالُ لِصَاحِبِ الشُّرُورِ والْهَلَكَةِ فَقِيلَ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ دَخَلَ فِي

(1) – سورة الكهف، الآية: 5

(2) – سورة غافر، الآية: 35

(3) – سورة البقرة، الآية: 28

(4) – سورة البقرة، الآية: 175

(5) – سورة طه، الآية: 44

(6) – سورة المطففين، الآية: 1

(7) – سورة الطور، الآية: 11

الْهَلَكَةِ "[1]

قُلْتُ وقَدْ يُعْكَسُ ذَا لِنُكْتَةِ   تُدْرَكُ فِي مَحَلِّهَا بِالْفِطْنَةِ

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص، وقد يعكس ذا الحكم، وهو الإتيان بالخبر [192] مكان الطلب، فيؤتى بالطلب مكان الخبر لنكتة تدرك في محلها، أي يدركها البليغ في محلها بالفطنة أي التأمل كإظهار الثبات في الفعل أو التسوية، وذلك كقوله تعالى: ﴿إِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ وقوله: ﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾[2][3] ولم يقل وإقامة وجوهكم تأكيدا لكمال العناية بالصلاة، ولا ينحصر العدول المذكور في النكت الثلاث بل يجرى في غيرها مما يهتدي إليه المتأمل في المناسبات .

ثُمَّتَ الإِنْشَاءُ كَمِثْلِ الْخَبَرِ   فِي غَالِبِ الَّذِي مَضَى فَاعْتَبِرِ

يعنى أن الإنشاء أي الإسناد الإنشائي كمثل الخبر، أي كمثل الإسناد الإخباري في غالب الذي مضى، أي في كثير من الذي مضى في الأبواب الخمسة السابقة التي هي أحوال الإسناد والمسند إليه، والمسند وتعلقات الفعل والقصر، فاعتبر أي فليعتبر الناظر ذلك، فإن الإسناد الإنشائي إما مؤكد وإما مجرد عن التأكيد، وكذا المسند إليه يجرى فيه ما سبق من ذكر وحذف وتقديم وتأخير إلى غير ذلك، وكذا المسند اسم أو فعل مطلق أو مقيد بمفعول أو شرط أو غيره، والمتعلقات إما متقدمة أو متأخرة مذكورة أو محذوفة، وإسناده وتعلقه إما بقصر أو بغير قصر، والاعتبارات في ذلك مثل ما مر في الخبر .

وقوله: في غالب الذي مضى إشارة إلى أنه قد لا يكون كالخبر في بعض الأحوال، فإن مسند الإنشاء مثلا لا يكون إلا منفردا بخلاف مسند الخبر فقد يكون جملة .

(1) - الإتقان للسيوطي م س ج3 ص260

(2) - سورة التوبة، الآية: 54

(3) - سورة الأعراف، الآية: 29

مبحث الوصل والفصل:

قدم الوصل هنا على الفصل لأنه وجودي والفصل عدمي، لأنه ترك العطف فيما من شأنه ذلك، فالوصل ملكة والفصل عدم، بناء على أن الترك ليس بفعل، وإنما تعقل الإعدام بعد ملكاتها .[1]

وأما تقديم الفصل على الوصل في التعريف فبالنظر إلى شيء آخر فيقدم عليه لأمرين:

أحدهما: [193] أنه الأصل والوصل طار عليه، وبيان ذلك أن الفصل حاصل بنفسه فلا يحتاج إلى شيء، والوصل حاصل بزيادة حرف فهو محتاج وغير المحتاج أولى بالأصالة .

والثاني: أن مدار الفصل على جهتين أعني الاتحاد والمباينة، ومدار الوصل على جهة واحدة وهي التوسط، الفنري .[2]. ولا يقدح في المدارية التخلف على جهة الندور كالوصل لدفع الإيهام مع المباينة والفصل للاحتياط مع التوسط .[3]

تَعَـــاطُفُ الجُمَـــلِ يُـــدْعَى الْوَصْـــلا وتَرْكُـــهُ الْفَصْـــلُ فَأَمَّـــا الأُولَى

هذا هو الباب السابع، وهو أعظم أبواب هذا العلم خطرا، وأصعبها مسلكا، وأدقها مأخذا، حتى قصر أبو علي الفارسي البلاغة على معرفة الوصل والفصل، نقله غير واحد .

يعنى أن تعاطف الجمل بعضها على بعض بأحد حروف العطف يدعى أي يسمى الوصل والفصل، تركه أي ترك التعاطف أي ترك عطف بعضها على بعض حين إمكانه فلا يعقل الفصل إلا بين أمرين، فخرجت الجملة المفردة، والمراد بالجمل مطلق الجمع، وإن كانت اثنتين بناء على أن أقل مسمى الجمع اثنان، والجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواء كان مقصودا لذاته أم لا، فهي أعم من الكلام . قال في فيض الفتاح: " قال في عروس الأفراح: لا يخفى أن الفصل والوصل يكونان بين المفردات كما يكونان بين الجمل، وقال: الظاهر أن القوم تركوا التعرض لذلك، لأنه في الغالب واضح، ولأنه يعلم حكمه من الجملتين، ثم قال: وإذا علمت حكم الفصل والوصل بالنسبة

---

(1) - فيض الفتاح على نور الأقاح للعلوي ج2 ص5.

(2) - يعني أن الكلام السابق للفنري، وهو أحد البلاغيين، وسنرى هذا النوع من العزو كثيرا عند المؤلف، حيث يذكر اسم صاحب الإحالة بعد نهاية كلامه كما فعل هنا. ولعل الفنري المذكور هو أحد أسرة الفناري بالألف التي منها محمد بن حمزة الفناري أو حفيده محمد بن محمد الفناري فهما ممن اشتهر بالبلاغة.

(3) - فيض الفتاح م س ج2 ص5

للجملتين والمردين فلا يخفى حالهما بالنسبة لمفرد وجملة، ونقل ياسين عن ابن الزملكاني ما نصه: الظاهر في الصفات أن لا يعطف بعضها على بعض، لاتحاد محلها، ولأن الصفة تجري مجرى الموصوف، وقلما تعطف صفات الله بعضها على بعض في كتاب الله تعالى، نحو ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿قُلْ أمر رَبِّى بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾[1] لأنها صفات وافقت الذات المقدسة القديمة، فجرت مجرى الأسماء المترادفة، وأما قوله سبحانه: ﴿هُوَ الأول والآخِرُ والظَّٰهِرُ والْبَاطِنُ﴾[2] فلأنها أسماء متضادة المعاني في أصل موضوعها، فرفع الوهم بالعطف عمن يستبعد ذلك في ذات واحدة، فإن الشيء الواحد لا يكون ظاهرا وباطنا من وجه واحد، فكان العطف ها هنا أحسن، ومن ثم جرى العرف لأنه إذا قصد تناقض أحوال الشخص قيل: هذا قائم قاعد، بغير واو، وبخلاف ما تقدم من الصفات في حكم الصفة الواحدة، لانتفاء المضادة بينها، ومن ثم ترك العطف في قوله تعالى: ﴿عَسىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُّبَدِّلَهُۥٓ أَزْوَٰجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّومِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَاراً 5﴾[3] لأنَّ الثُّيُوبَةَ والبكارة متضادتان لا يجتمعان في محل واحد، فلذلك كان العطف، بخلاف الإسلام وما بعده ونظيره قوله تعالى: [194] ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[4]

عطف الناهون على الآمرون ؛ لأن النهي يراد به منع الفعل وإبقاؤه على العدم، والآمر يراد به إيجاد الفعل، والعدم والوجود متضادان .

وليس قول من قال: إن هذه واو الثمانية، أي التي تجيء بعد سبعة متقدمة حقها أن تعطف فأسقط العاطف ثم جاءت في الثامن في شيء من التحقيق والمقاصد المعنوية، انتهى قوله .[5] "

(1) – سورة الحشر، الآية: 23

(2) – سورة الحديد، الآية: 3

(3) – سورة التحريم، الآية: 5

(4) – سورة التوبة، الآية: 112

(5) – فيض الفتاح م س ج2 ص7.6

فرفع الوهم أي بسبب أن الواو لمطلق الجمع، ولذا قال ابن جزي[1] عند قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَولُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾

" ودخلت الواو بين هذه الصفات لتدل على أنه تعالى جامع لها مع اختلاف معانيها، وقوله هذا قائم قاعد، كقولهم: الرمان حلو حامض، فهما بمعنى خبر واحد أي جامع للقيام والقعود، وقد يكون بعض الصفات مقاربا لمعنى صفة أخرى قبله، فلا يعطف لذلك وتجيء الأخرى معطوفة لمغايرتها لما قبلها معنى، وإن كان ليس بينهما المضادة، كقوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِ﴾[2] " ياسين .[3]

لأن غافرا وقابلا يشعران بحدوث المغفرة والقبول، وهما من صفات الأفعال، وفعله في غيره لا في نفسه، فيدخل حرف العطف للمغايرة بين المعنيين .

وأما شديد العقاب فمن باب الصفة المشبهة، وهي مشعرة بالدوام والاستمرار مع أن شدة العقاب دالة على القوة والقدرة التامة، فشابهت صفة الذات، وقوله ذي الطول المراد به ذاته، فلذا جاء العطف في بعضها دون بعض .

ومنه قوله:

لا يَبعــــدُنْ قَــــوْمي الـــــذين هـــــمُ ... سُــــم العُــــداة وآفــــةُ الجــــزُر

النــــــازلون بكـــــل معـــــترك ... والطيبـــــــون معاقـــــــد الأزُر[4]

فإنه لم يعطف النازلون، لأنه في معنى سم العداة، وعطف الطيبون لأن المراد به العفاف، والعفاف يغاير الشجاعة لفظا ومعنى، وتعين العطف في قوله " وآفة الجزر " لأن المراد به الكرم،

(1) – أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى ابن عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن جزيّ الكلبي من أهل غرناطة (ت: 741هـ). الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين ابن الخطيب، تح: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، 2014 (52/1). أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، أبو العباس المقري التلمساني (المتوفى: 1041هـ)، المحقق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة، 1358 هـ – 1939 م، (184/3).

(2) – سورة غافر، الآية: 3

(3) – هذه إحالة أخرى إلى كلام ياسين، وهي الطريقة التي أشرنا إليها في الهامش السابق عندما أحال إلى الفنري.

(4)- هذا الشعر لخرنق بنت هفان القيسمية وهي أخت طرفة بن العبد المالكي لأمه، من شعر رثت به زوجها بشر بن عمرو بن مرثد، ومن قتل معه من بنيه وقومه، المصدر الحلل في شرح أبيات الجمل للبطليوسي.

وذلك يغاير وصف الشجاعة .

فَأَمَّا الأُولَى

فَـإِنْ يَكُـنْ لَهَـا مَحَـلٌّ وقُصِـدْ   تَشْـرِيكُ تَالِيهَـا بِهَـا فِيمَـا وجِـدْ

فَاعْطِفْ أي فأما الجملة الأولى فإن يكن لها محل من الإعراب وقصد تشريك تاليها أي تابعها من جملة لها أي معها فيما وجد من حكم الإعراب الذي وجب للأولى أي في المعنى الذي يترتب عليه الإعراب، وذلك المعنى كالفاعلية والمفعولية والخبرية والصفة والإعراب، كالرفع مثلا، فاعطف الثانية على الأولى، وإنما عطفت عليها عند قصد التشريك قياسا على عطف المفرد على المفرد، فإنه إذا قصد تشريكه لمفرد قبله في حكم إعرابه من كونه فاعلا مثلا، وجب عطفه عليه، وأما إن لم يقصد تشريكه فلا يجب العطف، وإن وجدت الشركة في نفس الأمر، كما في الخبر بعد الخبر والصفة بعد الصفة، وتخيير النحاة في جواز تعدد الخبر المفرد بعطف أو غيره إنما هو عند عدم قصد التشريك .

وقال الصفوي: إن الوجوب في عطف الجمل على حقيقته، وفى المفرد بمعنى الاستحسان ؛ لأن المفرد معرب لفظا غالبا، والإعراب يدل على التشريك [195] فلم يتحتم العطف، بخلاف الجمل، وأيضا هي مستقلة فلا يدل على تعلقها بما قبلها غالبا إلا العطف، إلا أن ما درجوا عليه من وجوب عطف المفردات عند قصد التشريك، كما صرح به السعد، أو استحسانه كما للصفوي يخالف إطلاقه ما استظهره ابن الزملكاني في الصفات أنها لا يعطف بعضها على بعض، لاتحاد محلها، ما لم يكن تغاير ما .

ويمكن أن يقال إن الصفات إذا لم يكن بينها تغاير ما لا يقصد تعاطفها لما بينها من كمال الاتصال كالجمل، وقصد التشريك إنما هو عند التغاير بينها، ووجه إلحاق الجملة بالمفرد أن الجملة ذات المحل لا تكون واقعة موقعا إلا والأصل وقوع المفرد فيه، وإن لم تكن هذه الجملة في تأويل المفرد فلا ينقض بالمفسرة لضمير الشأن ولا بالحالية الخالية عن الضمير، نحو " أتيتك والسلطان قادم " الفنري .

إذ قد تقرر أن الأصل في كل من الحال والخبر الإفراد . قاله في فيض الفتاح .[1]

وَشَرْطُ كَوْنِهِ مَقْبُولا، تَنَاسُبٌ يعنى أن شرط كون العطف الواقع بين الجملتين ذاتي المحل أو المفردين أو المفردات مقبولا في البلاغة تناسب، أي جهة جامعة بين المتعاطفين إذا كان العطف بالواو أو بما هو بمعنى الواو كأو إذا كان بمعنى الواو، بخلاف غير الواو وما هو بمعناها كالفاء وثم وحتى، فلا يشترط فيه وجه جامع ؛ لأن لكل من حروف العطف معنى غير التشريك معينا مقصودا في نفسه، إذا وجد كان العطف مقبولا، وجد جامع أو لا، والواو لا يزيد على التشريك إلا معنى مبهما هو مطلق الجمع من غير تعيين لمعية ولا تعقيب ولا مهلة، ولا بد أن يكون الجامع بين المسندين في الجملة والمسند إليهما، لكن يستفاد من كلام السيد أن مجرد الاتحاد والتناسب في الغرض المسوق له الجملة يكفي لصحة العطف، اتحد المسند إليه فيهما أم لا .

مثال الجامع في المفردات، نحو " زيد كاتب وشاعر " لأن الكتابة والشعر كل منهما تأليف الكلام ؛ لأن المراد بالكتابة إنشاء النثر، كما أن المراد بالشعر إنشاء النظم، وفى الجملتين نحو " زيد يعطي ويمنع " لما بين الإعطاء والمنع من التضاد، ولاشتراط التناسب بين الجملتين في العطف بالواو عيب على أبي تمام قوله:

زَعمَتْ هَـوَاك عَفـا الغـداةَ كَمَـا عفَـا ... مِنْهَـــا طُلـــولٌ باللـــوى ورســـوم
لا والـــذي هـــو عـــالم أن النـــوى ... صَـــبِرٌ وأن أبا الحســـين كـــريمُ
مَـا حُلْـتُ عَـن سـنَن الوفـاءِ ولَا غَـدَتْ ... نَفسِـي علـى إلـفٍ سـواكِ تَحُـومُ

إذ لا مناسبة بين مرارة النوى وكرم أبي الحسين، سواء جعل عطف مفرد على مفرد، كما هو الظاهر، أو عطف جملة على جملة لوقوعه موقع مفعولي العلم، ويجوز أن يكون الجامع بينهما خياليا: بأن يكون اجتمع في خياله مرارة النوى وكرم أبي الحسين .[2]

لِلْفَقْدِ جَا مَفْصُولا أي جاء الكلام مفصولا أي غير معطوف بالواو على ما قبله عند فقد قصد التشريك، أي تشريك [196] الجملة الثانية للأولى في حكم إعرابها لمانع، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص9

(2) - فيض الفتاح م س. ج2 ص9

﴿خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ 13 ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾[1] لم يعطف الله يستهزئ بهم، على إنا معكم، وإن كان له محل، ليلا يتوهم أنه من مقول المنافقين، وذلك باطل، وكذا لم يعطف على إنما نحن مستهزئون، لأنه من مقولهم أيضا، وجملة إنما نحن مستهزئون، تأكيد لإنا معكم أو بدل أو استئناف بياني .

قال في فيض الفتاح: " ووجّه ياسينُ التأكيدَ بأن الاستهزاء بهذا الدين رفض له، ورفضه إثبات نقيضه، فيكون مؤكدا للمعية في نقيضه، ووجه البدل أيضا بأن من حقر الإسلام فقد عظم الكفر، وكون إنا معكم له محل مع أنه جزء المقول، إذ المقول مجموع إنا معكم إنما نحن مستهزئونهو ما عليه السعد والسيد، ووجه الشريف عيسى الصوفي بأن كل جزء مقول أيضا ؛ لأن الفعل يتعلق بكل منهما فيكون في محل نصب أيضا " .[2]

قوله: جا بالقصر لضرورة الوزن فاعله ضمير عائد إلى الكلام المفهوم من المقام، وقوله مفصولا حال من فاعل جاء، واللام في قوله للفقد بمعنى عند .

أَوْ لا مَحَلَّ وارْتِبَاطٌ يُحْتَذَى ... بِعَاطِفٍ بِالْوَاوِ فَاعْطِفْهَا بِذَا
كَرَاحَ زَيْدٌ ثُمَّ جَاءَ أَوْ فَجَا ... عَمْرٌو لِمُهْلَةٍ وفَوْرٌ نُهِجَا

أي أو لا محل للجملة الأولى من الإعراب، والحال ارتباط يحتذي أي يقصد بينهما مع الثانية بعاطف لا الواو أي على معنى حرف عطف غير الواو، فاعطفها أي الجملة الثانية على الأولى أيها المتكلم بذا أي بذلك العاطف، سواء وجد جامع بينهما أم لا، كان بينهما كمال الانقطاع أو شبهه أو كمال الاتصال أو شبهه أم لا، فلا يمنع بحال، فلا فصل في غير الواو، وذلك كثم في قولك: راح زيد ثم جاء عمرو، أو الفاء في قولك: راح زيد فجاء عمرو لأجل مهلة، وفور نهجا أي سلكا وقصد أي قصدهما المتكلم بالعطف بثم في الأولى، والعطف بالفاء في الثانية .

قال في فيض الفتاح: " والفرق بين الواو وغير الواو أن غير الواو يفيد مع الاشتراك معاني مفصلة في النحو، فتستدعى تلك المعاني نسبة مخصوصة بين الجملتين، كالتعقيب والتراخي والاستدراك،

(1) - سورة البقرة، الآية: 15.14

(2) - فيض الفتاح م س ج2 ص10

بخلاف الواو فإنه لا يفيد إلا مجرد الاشتراك الذي لا يظهر إلا فيما له محل، وإن عدم المحل لم يكن في قوة المفرد، فلم يعلم موضع الواو حينئذ بالقواعد النحوية إلا إذا انضم إليها أدنى تنبيه في هذا العلم، فإن قلت: الواو أيضا تفيد الجمع بين معنى الجملتين في الحصول نصا، لأنك إذا قلت: يضر زيد ينفع، دون واو احتمل أن يكون قولك: ينفع إبطالا لقولك يضر، فالجواب كما في حواشي السيد أن ذلك الاحتمال إنما يجرى في بعض الصور .

قال السيد: الأحسن أن يقال الجملتان إذا لم تعطف إحداهما على الأخرى فهم اجتماعهما في الحصول بدلالة العقل ضرورة أن الأمور الواقعة في نفس الأمر تكون مجتمعة فيه، وربما لا تكون هذه الدلالة مقصودة للمتكلم ، [197] وإذا عطفت بالواو فقد دل على الاجتماع بدلالة لفظية مقصودة، ثم إن هذه الدلالة لا تحسن بين كل جملتين في الواقع، بل بين جملتين متوسطتين بين غايتي الاتحاد والتباين ومعرفة ذلك فيما بين الجمل متعسرة تسكب فيه العبارات لإشكاله " . (1)

وتقرير البيتين: أو لا محل للجملة الأولى من الإعراب، والحال ارتباط يحتذي أي يقصد بين الجملتين بعاطف غير الواو أي على معناه، فاعطفها أي الجملة الثانية أيها المتكلم على الأولى بذا العاطف، كثم في قولك: راح زيد ثم جاء عمرو، أو الفاء في راح زيد فجاء عمرو، لأجل مهلة وفور نهجا، أي سلكا وقصدا، أي قصدهما المتكلم بالعطف بثم في الأولى والعطف بالفاء في الثانية .

قوله: يحتذي بالبناء للنائب نائبه ضمير عائد على ارتباط، والواو في قوله وارتباط واو الحال والجملة حالية والألف في قوله نهجا بالبناء للنائب للتثنية والضمير عائد على المهلة والفور .

أَوْ لا ولَمْ تُعْطِ الَّذِي لِلْأُولَى لَهَا وفَصْلٌ . . .

أي أو لا يقصد ارتباط الثانية بالأولى على معنى عاطف غير الواو، بل يقصد ارتباطها بها على معنى الواو، والحال لم يعطه الحكم الذي ثبت للأولى من تقييد بظرف أو حال أو غير ذلك لها أي للجملة الثانية، أو لم يعط الحكم الذي ثبت للثانية للأولى، ففصل أي فالواجب فصل، ليلا يلزم من الوصل التشريك في ذلك الحكم، ويسمى هذا الفصل قطعا، كما في المفتاح والإيضاح .

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص12

قال في فيض الفتاح: " ومحل الوجوب إذا لم يسبق على الأولى التي لا يصح العطف عليها ما يصح العطف عليه .

مثال ما إذا كان للأولى شيء يمتنع إعطاؤه للثانية قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ 13 ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾لم يعطف الله يستهزئ بهم على قالوا، ليلا يشاركه في القيد أي في الاختصاص بالظرف، لما تقدم من أن تقديم المعمول يفيد الاختصاص، أعني بالظرف وهو إذا خلوا ؛ لأن استهزاء الله تعالى بهم ليس مقيدا بحال خلوهم إلى شياطينهم، بل هو مستمر لا ينقطع، خلوا إلى شياطينهم أم لا، ومثال ما إذا كان للثانية حكم لم يعط للأولى قولك مثلا: الإسلام حقٌّ، الكفارُ في النار إن لم يتوبوا، لم يعطف الكفار في النار على الإسلام حق، ليلا يشاركه في القيد الذي هو اشتراط عدم التوبة . "

قال في فيض الفتاح: فإن قلت لا نسلم أن العطف على مقيد بشيء يوجب تقييد المعطوف بذلك الشيء، فالجواب كما في المطول أن الظاهر تقييد المعطوف به لأنه السابق إلى الفهم في الخطابيات، وليس بقطعي، كقولنا: يوم الجمعة سرت وضربت زيدا، أي يوم الجمعة وقولك: إن جئتني أعطك وأكسك، والجملة في ذلك والمفرد سواء، نحو جاء يوم الجمعة، أو راكبا زيدا أوعمرو .

قال السعد في حواشي الكشاف: ولا يجوز في الاستعمال خلافه، وأما إذا تأخر القيد عن المعطوف عليه نحو قولك: ضربت زيدا يوم الجمعة وعمرا، [198] فقد ذكر ابن الحاجب في المختصر فيه احتمالين، هل يلزم أن يكون ضرب عمرا يوم الجمعة أم لا ؟

قال ياسين: وإذا احتمل ذلك في المفردات فالجمل أولى بأن تتقيد الثانية منها بظرف الأولى، وإنما كان محل الوجوب إذا لم يسبق ما يصح العطف عليه، لأنه لو سبق كلام لا مانع من العطف عليه لم يجب الفصل، وسيأتي إن شاء الله عند قوله وشبه الانقطاع إلخ . " [1]

وَكَذَا إِنْ تُولَى

مَــعَ كَمَـــالِ الِاتِّصَـــالِ أَوْ سِــوَاهْ مِـــنْ غَــيْرِ إِيهَــامٍ كِلاهُمَـــا حَـــوَاهْ

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص13

أَوْ شِبْهِ هَذَيْنِ بِهِ والْأَفْضَلُ

أي وكعدم إعطاء حكم الأولى للثانية في وجوب الفصل إيلاء الجملة الثانية للأولى حيث لم يكن للأولى حكم يقصد إعطاؤه للثانية، بأن لم يكن أصلا، أو كان وقصد إعطاؤه للثانية مع كمال الاتصال، أي الاتصال الكامل بين الجملتين من إضافة الصفة للموصوف، أو سواه أي غيره، وهو الانقطاع الكامل بينهما، من غير إيهام حواه كل منهما أي من غير أن يوهم الفصل خلاف المقصود في كل منهما أي من الاتصال الكامل، والانقطاع الكامل .

أو شبه هذين، أي أو مع شبه أحد هذين، أي شبه كمال الاتصال، وشبه كمال الانقطاع، فيجب الفصل في الصور الأربع ؛ لأن الواو للجمع، والجمع بين الشيئين يقتضى مناسبة بينهما ومغايرة، ليلا يعطف الشيء على نفسه، فالعطف في كمال الانقطاع يقتضى مناسبة بينهما، والمناسبة تنافي كمال الانقطاع، وفى كمال الاتصال يقتضى مغايرة بينهما، وذلك ينافيه، لأنه يكون كعطف الشيء على نفسه، وكذا يمتنع في شبههما ؛ لأن شبه الشيء له حكم ذلك الشيء، وبحث الفنري في اقتضاء العطف المغايرة بأنه يلزم عليه أن لا يصح أو لا يحسن العطف التفسيري بالواو في المفرد، مع أنه شائع حسن، ثم قال: اللهم إلا أن يقال: حسنه ممتنع عند البلغاء وشيوعه في عبارات المصنفين لا في كلامهم .

وأجاب الصفوي بأن الواو في العطف التفسيري غير مستعملة في العطف، بل هي لمجرد معنى حرف التفسير مجازا، وهذا حسن .

تنبيـــــه

استشكل وجوب الفصل مع كمال الانقطاع، حيث كان للأولى حكم قصد إعطاؤه للثانية، لأنه يلزم منه فوات المقصود، فلم روعي كمال الانقطاع دون قصد إعطاء الحكم .

ياسين: إلا أن يقال المراد أنه يجب مراعاة الأمرين، وفيه نظر ؛ لأن الانقطاع الكامل من موجبات الفصل، بخلاف قصد إعطاء حكم الأولى للثانية فليس من موجبات الوصل .

قوله: إن تولى مضارع مبني للنائب منصوب بأن المصدرية ونائبه ضمير عائد إلى الجملة المفهومة من المقام والمصدر المسبوك من أن وصلتها مبتدأ خبره قوله كذا، وإلا يكن بين الجملة

الأولى والثانية [199] كمال الاتصال أو كمال الانقطاع بلا إيهام في أحدهما ولا شبه أحدهما بأن كانتا متوسطتين بين الكمالين أو بينهما أحد الكمالين مع أن الفصل يوهم خلاف المقصود فصل الجملة الثانية بالأولى .

قال في الشهدة الصريحة: " والحاصل أن للجملتين ـ اللتين لا محل لهما من الإعراب ولم يكن للأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية، ستة أحوال:

الأول: كمال الانقطاع بلا إيهام

الثاني: كمال الاتصال بلا إيهام

الثالث: شبه كمال الانقطاع

الرابع: شبه كمال الاتصال

الخامس: كمال الانقطاع مع الإيهام

السادس: التوسط بين الكمالين

فحكم الأخيرين الوصل، وحكم الأربعة السابقة الفصل .

أما في الأول والثالث فلعدم المناسبة، وأما في الثاني والرابع فلعدم المغايرة المفتقرة إلى الربط بالعاطف " .

ثم أخذ الناظم في تحقيق المقامات الستة فقال:

أَمَّــا كَمَــالُ الِانْقِطَــاعِ الْمُكْمِــلُ

فَــلا اخْــتِلافَ بَــيْنَ إِنْشَــا وخَــبَرْ   لَفْظًــا ومَعْــنًى أَوْ بِمَعْــنًى مُسْــتَقِرّْ

كَمَــاتَ زَيْــدٌ غَفَــرَ الــرَّحْمَنُ لَــهْ   أَوْ فَقْــدِ جَــامِعٍ هُنَــاكَ شَمِلَــهْ

أي أما كمال الانقطاع بين الجملتين فلأجل اختلافهما إنشاء وخبرا أي في الإنشاء والخبر لفظا ومعنى أي في لفظ ومعنى بأن كانت الأولى إنشائية لفظا ومعنى، والثانية خبرية لفظا ومعنى كقوله:

وَقَــالَ رائِــدُهُمْ أَرْسُــوا نُزاوِلُهــا   فَكُــلُّ حَتْــفِ امْــرِئٍ يَجْـرِى بمقــدار[1]

فلما كان أرسوا إنشاء لفظا ومعنى، ونزاولها خبر لفظا ومعنى لم يعطف بالواو للانقطاع الكامل

[1] - البيت للأخطل، ن شرح ديوانه بشرح راجي الأسمر ص215، ط1 1994 ، : دار الكتاب العربي بيروت ـ لبنان.

ولا بغير الواو لعدم قصد معناه، ولم يجزم نزاولها لأن الغرض تعليل الأمر بالإرساء بالمزاولة، والأمر في حالة الجزم بالعكس، أعني يصير الإرساء علة للمزاولة، كما في أسلم تدخل الجنة، ولا يقال الكلام في الجمل التي لا محل لها من الإعراب، وأرسوا في محل نصب على أنه مفعول به أو مطلق، لأنا نقول المقصود بالتمثيل ما وقع في كلام الرائد، والجملتان في كلامه ليس لهما محل، وكذا إذا قصد به ما في كلام الحاكي ؛ لأن أرسو جزء المحكي، إذ المحكي هو مجموع الجملتين وذو المحل هو المحكي لا جزؤه على قول ابن هشام .

قوله: أو بمعنى مستقر أي أو لاختلافهما في المعنى فقط، بأن تكون الجملة الأولى خبرية لفظا ومعنى، والثانية خبرية لفظا إنشائية معنى، كمات زيد غفر الرحمن له، لم يعطف غفر الرحمن له على مات زيد للانقطاع الكامل بينهما، وهو اختلافهما في الإنشاء والخبر في المعنى، ومنه قوله:

وقَالَ إني في الْهَوى كاذبٌ　　　انتقمَ اللهُ مِنَ الْكاذبِ[1]

قوله: أو فقد جامع إلخ، يعنى أن الانقطاع الكامل بين الجملتين اللتين لا محل لهما من الإعراب يكون باختلافهما خبرا وإنشاء في اللفظ والمعنى أو في المعنى فقط، والفصل غير موهم خلاف المقصود، ويكون لأجل [200] فقد الجامع بينهما، وهذا لا يكون سببا للانقطاع الكامل إلا عند اتفاق الجملتين في الخبرية أو الإنشائية ؛ لأن عدم الجامع بينهما إنما يعد سببا للانقطاع أي الفصل على تقدير هذا الاتفاق، وإلا فالاختلاف سبب مستقل لكمال الانقطاع بحيث إذا جامعه عدم الجامع لم يعتد به، ولا يقال اجتمع هناك سببان .

وفى بعض حواشي التلخيص: أن كمال الانقطاع تارة يكون لأمر يرجع إلى نفس الإسناد وهو اختلافهما خبرا وإنشاء، وتارة يكون راجعا إلى طرفي الإسناد، بأن لا يكون جامع، فعلى هذا يكون كل منهما علة مستقلة .

مثال الفصل عند عدم الجامع: زيد طويل، عمرو قاعد، على تقدير أن لا يكون بين زيد وعمرو

---

(1). وقبله قوله:

مَلَّكْتُهُ حَبْلي ولكنَّهُ　　　أَلْقاهُ من زُهْدٍ عَلى غارِبي.

وهما لليزيدي، وهو أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي، والبيتان غير منسوبين في الأغاني.

مناسبة من نحو صداقة أو عداوة، والطول والقعود لا مناسبة بينهما .

قوله: إنشا بالقصر لضرورة الوزن، وقوله لفظا منصوب على التمييز، والباء في قوله بمعنى في، وقوله أو فقد جامع بالجر عطف على قوله فلاختلاف، وقوله شمله في محل صفة لقوله جامع، والهاء فيه للسكت، أو ضمير عائد على الكلام المفهوم من المقام .

ثُمَّ كَمَالُ الِاتِّصَالِ مِثْلُ أَنْ — تَكُونَ تَاكِيدًا لِلاوْلَى فَادْفَعَنْ
تَوَهُّمَ الْمَجَازِ والسَّهْوِ ولا — رَيْبَ فَلَمَّا بِنِهَايَةِ الْعُلا
بُولِغَ فِي وصْفِ الْكِتَابِ إِذْ جُعِلْ — الْمُبْتَدَا ذَلِكَ والَّامُ دَخَلْ
فِي خَبَرٍ جَازَ تَوَهُّمُ الْمَجَازْ — قَبْلَ تَأَمُّلٍ فَدَفْعُهُ يُحَازْ
فَهْوَ وزَانُ نَفْسِهِ مُؤَكِّدَا — زَيْدًا . .

يعنى أن كمال الاتصال أي الاتصال الكامل بين الجملتين بدون إيهام خلاف المقصود، هو مثل أن تكون الجملة الثانية تأكيدا للجملة الأولى، بأن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد المعنوي من متبوعه في إفادة التقرير مع الاختلاف في المعنى، وليس المراد التوكيد المعنوي عند النحاة، وكون الثانية توكيدا للأولى لأحد أمرين أشار لأولهما بقوله:

فادفعن أيها المتكلم بها أي بالثانية توهم المجاز والسهو عن الجملة الأولى، كقوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ بالنسبة إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ لا بالنسبة إلى ﴿الٓمٓ﴾ إذا جعلنا ألم جملة مستقلة مبتدأ حذف خبره أو العكس، أيألم هذا، أو هذا ألم، وهذا هو اسم السورة أو القرآن، ويصح أن يكون اسم طائفة من حروف المعجم، أي أسماء مدلولها حروف المعجم أشار إلى أن الكتاب المتحدي به من جنس هذه الحروف، وعلى هذا لا تكون مسندة ولا مسندا إليها، فإنه لما بولغ في وصف الكتاب بنهاية العلا، أي ببلوغ النهاية في العلا أي ببلوغ الدرجة القصوى في الكمال، حين جعل المبتدأ ذلك اسم إشارة موضوع للبعيد، إشارة إلى بعد درجته، [201]واللام دخل في خبر أي، ودخل اللام في الخبر للدلالة على انحصار الكتب العربية عليه مبالغة حتى كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص، جاز بسبب هذه المبالغة توهم السامع المجاز، أي التجوز قبل تأمل أي قبل التأمل في كمالات الكتاب، فدفعه أي ذلك التوهم يجاز أي يسلك ويقصد، فدفعه بقوله: لا ريب فيه، فهو وزان نفسه

مؤكدا زيدا أي فقوله لا ريب فيه بالنسبة إلى قوله ذلك الكتاب منزل منزلة نفسه، حال كونه مؤكدا زيدا في قولك: جاء زيد نفسه، في دفع توهم التجوز .

وأشار إلى الثاني بقوله:

. كَـذَاكَ قَوْلُـهُ بَعْـدَ هُـدَى

فَـإِنَّ مَعْنَـاهُ بُلُوغُـهُ إِلَى ... دَرَجَـةٍ نَحْـوَ الهُـدَى لَـنْ تُوصَـلا

حَـتَّى كَأَنَّـهُ هُـدًى مَحْـضٌ وذَا ... مِـنْ ذَلِـكَ الكِتَـابُ قَطْعًـا أُخِـذَا

لأَنَّ مَعْنَـاهُ الْكِتَـابُ الْكَامِـلُ ... أَيْ فِي الهُـدَى إِذْ لا سِـوَاهُ حَامِـلُ

فَهْـوَ وِزَانُ زَيْـدٍ الثَّـانِي إِذَا ... كَرَّرْتَـهُ فَقِـسْ عَلَيْـهِ وخُـذَا

أي كقوله: لا ريب فيه، في وجوب الفصل .

قوله: بعد أي بعد قوله: ﴿لَا رَيْبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ 1﴾ يعنى أن ككون الجملة الثانية تأكيدا للأولى تأكيدا معنويا، لرفع توهم المجاز كونها مؤكدة لها تأكيدا لفظيا، لرفع توهم سهو المتكلم أو غلطه في وجوب الفصل، كقوله تعالى: هدى للمتقين، بالنسبة إلى قوله: ذلك الكتاب، أي الصائرين إلى التقوى مجاز من تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه، فإن معناه بلوغه أي الكتاب إلى درجة نحو الهدى أي في جهة الهدى، لن توصلا أي لا تدرك نهايتها، لما في تنكير هدى من الإبهام والتعظيم، حتى كأنه أي الكتاب هدى محض، حيث جعل الخبر مصدرا أي هو هدى، ولم يقل هاد، وذا أي هذا المعنى قد أخذ من ذلك الكتاب بالقطع ؛ لأن معناه أي معنى ذلك الكتاب الكامل أي في الهدى، أي والمراد بكماله كماله في الهداية، إذ لا سواه حامل أي إذ لا سوى الهدى حامل أي باعث على الإنزال، لأنه المقصود منه، إذ الكتب السماوية على قدر الهداية تتفاوت في درجات الكمال، فهو أي قوله: هدى للمتقين، بالنسبة إلى قوله ذلك الكتاب .

وزان زيد الثاني إذا كررته في قولك: جاء زيد زيد، أي منزل منزلته في التأكيد اللفظي، ودفع توهم غلط المتكلم أو سهوه لكونه مقررا لذلك الكتاب مع الاتفاق في المعنى، بخلاف لا ريب فيه، فإنه وإن كان مؤكدا لذلك الكتاب، لكنهما مختلفان معنى، فلذا نزل منزلة التأكيد المعنوي، هذا مذهب صاحب التلخيص ومن تبعه، وهو موافق لما في المفتاح .

وفي دلائل الإعجاز أن لا ريب فيه بمنزلة التأكيد اللفظي لذلك الكتاب .

وفي الكشاف أن لا ريب فيه توكيد لذلك الكتاب، وهدى للمتقين تأكيد للا ريب فيه .

قال السيد: " وهذا واضح لا إشكال فيه، واستشكل مذهب التلخيص بأن الأنسب حينئذ أن يعطف هدى للمتقين على لا ريب فيه، لاشتراكهما في التأكيد لذلك الكتاب، ولا امتناع فيه " .

قال السيد: " إنما الممتنع عطف التأكيد على المؤكد، لا عطف أحد التأكيدين على الآخر " .

وأجاب السيد بأن يقال[202]: لما كان لا ريب فيه مؤكدا للجملة الأولى اتحد بها وصار من تتمتها، فالجملة السابقة التي يتوهم العطف عليها هي ذلك الكتاب مقيدا بما هو من تتمته، ولا مجال للعطف هناك ؛ لأن هدى للمتقين مؤكد لها .

قلتُ: وأما على مذهب دلائل الإعجاز فالفصل بين التأكيدين للاتصال الكامل، لاتحادهما عنده في المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ 30﴾[1][2]

قوله: نحو الهدى بالنصب ظرف متعلق بمحذوف أي درجة كائنة في جهة الهدى، وقوله لن توصل بالبناء للنائب نائبه ضمير عائد إلى الدرجة، والألف فيه للإطلاق، والضمير في كأنه عائد إلى الكتاب، والمشار إليه بقوله وذا إلخ المعنى المذكور، والضمير المجرور بالإضافة في قوله: لأن معناه عائد إلى قوله: ذلك الكتاب، والضمير في قوله لا سواه عائد إلى الهدى .

أَوْ بَدَلاً مِنْ تِلْكَ غَيْرَ وافِيَهْ ... بِمَا يُرَادُ أَوْ كَغَيْرِ الْوَافِيَهْ
وَيَقْتَضِي الْمَقَامُ الِاعْتِنَاءَ ... بِشَانِهِ لِنُكْتَةٍ تَرَاءَى
لِكَوْنِهِ فِي نَفْسِهِ مَطْلُوبَا ... فَظِيعًا أو لَطِيفًا أو عَجِيبَا
كَقَوْلِهِ جَلَّ أَمَدَّكُمْ بِمَا ... ثُمَّ أَمَدَّكُمْ وعَدَّ الْأَنْعُمَا
فَالقَصْدُ ذِكْرُ نِعَمٍ والثَّانِي ... أَوْفَى بِهِ إِذْ فَصَّلَ المَعَانِي
وَلَمْ يُحِلْ فَهْوَ وِزَانُ الْوَجْهِ فِي ... أَعْجَبَ زَيْدٌ وجْهُهُ الْبَدْرُ الْوَفِي
كَذَلِكَ ارْحَلْ لا تُقِيمَنْ عِنْدَنَا ... فَقَصْدُهُ إِظْهَارُ كُرْهٍ واعْتِنَا
وَلا تُقِمْ أَوْفَى بِهِ إِذْ دَلَّا ... مُطَابِقًا وأَكَّدَ الْمَحَلَّا

(1) – سورة الحجر، الآية: 30، وص، الآية: 73

(2) – فيض الفتاح م س ج2 ص 21.19

فَهْــوَ وزَانُ الحُسْـــنِ فِي أَعْجَبَنَـــا وجْـــهُ حَبِيـــبٍ حُسْـــنُهُ حِـــينَ دَنَا

يعنى أن كمال الاتصال هو أن تكون الجملة الثانية تأكيدا للأولى، أو بدلا منها، وهذا هو القسم الثاني من كمال الاتصال، وهو أن تكون الثانية بدلا من الأولى أي كبدل البعض أو الاشتمال، وذلك لكون الأولى غير وافية بتمام المراد، أو كغير الوافية، أو مشابهة لغير الوافية، بأن كان في الوفاء خفاء أو قصور ما، بخلاف الثانية فإنها كاملة الوفاء .

وقال الجربي: غير الوافية كما في بدل البعض والاشتمال وشبههما كما في بدل الكل، وإنما تبدل الثانية من الأولى والحالة هذه، لكون المقام يقتضى الاعتناء بشأن المراد، لنكتة تراءى أي تتراءى أي تبدو وتنكشف للمتكلم البليغ، وتلك النكتة ككونه أي المراد في نفسه مطلوبا أي مطلوبا في نفسه، أي بالنظر لذاته لا بالنظر إلى صفاته كقرابته، فإن الاعتناء بشأن الأول فوق الاعتناء بشأن الثاني، فيفيد المتكلم المراد بنظم أوفى من الأولى، ليظهر في مجموع القصدين إليه مزيد الاعتناء بشأن المراد، فتنزل الثانية من الأولى منزلة بدل البعض أو الاشتمال، أو كأن المراد غير مطلوب في نفسه، وإنما أبدلت الثانية من الأولى، لكونه أي المراد فظيعا أو لطيفا أو عجيبا .

مثال تنزيل الثانية من الأولى منزلة بدل البعض لكون المراد مطلوبا في نفسه قوله ﷺ: ﴿**أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ** 132﴾[1] ثم قال: أمدكم، وعد الأنعم أي النعم، أي قال: ﴿**أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٖ وَبَنِينَ** 133 **وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ** 134﴾[2] فالقصد ذكر نعم أي فالمراد بالآية [203]التنبيه على نعم الله تعالى، لكونه مطلوبا في نفسه وذريعة إلى الإيمان، والثاني أوفى به، أي والكلام الثاني وهو قوله: أمدكم بأنعام إلخ، أوفى به أي بذلك المعنى المراد، لأجل دلالته عليه بالتفصيل، ولم يحل المراد على علم المخاطبين المعاندين، فهو كبدل البعض، فوزانه وزان الوجه في قولك: " أعجبني زيد وجهه البدر الوفي " لدخول الثاني في الأول ؛ لأن ما تعلمون يشمل الأنعام والبنين والجنات وغيرها، وأشار إلى تنزيل الثانية من الأولى منزلة بدل الاشتمال بقوله: كذلك ارحل لا تقيمن عندنا أي كتنزيل الثانية من الأولى منزلة بدل

(1) – سورة النمل، الآية: 132

(2) – سورة النمل، الآية: 133

البعض تنزيلها منها منزلة بدل الاشتمال في قول الشاعر:

أَقُولُ لَهُ ارحَلْ لَا تُقِيمَنَّ عِنْدَنَا   وإلا فَكُنْ فِي السِّرِّ والجهْر مُسْلِمًا[1]

فقصده أي فمراد المتكلم إظهار كره أي كراهة إقامة المخاطب، لإضماره الكفر وإظهار كمال الاعتناء بشأن المراد، لكونه مطلوبا في نفسه، وقوله ارحل كغير الوافية لدلالتها على ذلك المراد بالالتزام بقرينة، وإلا فكن في السر إلخ، ودلالة الالتزام قاصرة .

وقوله: لا تقم أي لا تقيمن عندنا أوفى به أي بتأدية المراد، إذ لا مطلقا أي لدلالته عليه بالمطابقة، وأكد المحلا أي مع تأكيد المحل أي محل المعنى وهو الفعل، والتأكيد حاصل بالنون الثقيلة، ولا يقال لا تقيمن عندنا إنما يدل بالمطابقة على النهي عن الإقامة، وأما إظهار كراهة الإقامة فإنما يدل عليه بالالتزام، لأنا نقول: لا تقيمن عندنا حقيقة عرفية في إظهار كراهة إقامته، والتأكيد بالنون دال على كمال المعنى، فهو أي قوله لا تقيمن عندنا كبدل الاشتمال من قوله ارحل، فوزانه وزان الحسن في قولك: أعجبنا وجه الحبيب حسنه حين رنا أي أدام النظر ؛ لأن عدم الإقامة مغاير للارتحال، فلا يكون لا تقيمن عندنا تأكيدا لارحل، ولا بدل كل، وغير داخل فيه، فلا يكون بدل بعض، مع ما بينهما من الملابسة وهي غير البعضية والكلية، فيكون كبدل الاشتمال، والكلام في كون جملة ارحل منصوبة المحل مثل الكلام في " أرسوا نزاولها "

ومثال كون الثانية منزلة من الأولى منزلة البدل، لكون المراد مطلوبا لغيره لا لنفسه، لكونه فظيعا أي شنيعا قولك لزانية متصدقة: " لا تجمعي بين هذين، لا تزني وتتصدقي " منزلا " لا تزني ولا تتصدقي " من الأولى منزلة بدل الكل .

ومثال كونها منزلة منها منزلة البدل، لكون المراد مطلوبا لغيره، لكونه عجيبا أي يتعجب منه لخفاء سببه قوله تعالى: **﴿بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ 82 قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وكُنَّا تُرَاباً وعِظَٰماً إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ 83﴾**[2] لأن بعث الشيء بعد ما كان ترابا يتعجب منه عند الجهلة .

ومثال تنزيلها منزلة البدل، لكون المراد مطلوبا لغيره، لكونه لطيفا أي دقيقا، قولك مثلا:

---

(1) - البيت بلا نسبة في خزانة الأدب 207/5، 463/8، وشرح التصريح 162/2، ومجالس ثعلب ص 96، والمقاصد النحوية 200/4

(2) - سورة المؤمنون، الآية: 82.81

" بيسَ ما تصنعْ، تُعطي وتَمنعْ "

قال في فيض الفتاح: " قال السعد إن الثانية لا تكون كبدل الكل من الأولى ؛ لأن البدل لا يتميز عن التأكيد إلا [204]بما أن لفظه غير لفظ متبوعه، وأنه المقصود بالنسبة، بخلاف التأكيد والتمييز بمجموع الأمرين، لا يجرى في الجمل، لا سيما التي لا محل لها من الاعراب، لكن هذا مخالف لما تقدم عن السيد وما قدمنا في قوله تعالى: بل قالوا مثل إلخ "[1]

وفى شرح الفوائد الغياثية ما يشهد لما قال السيد أعني في الجمل التي لا محل لها من الإعراب .

قوله: أو بدلا بالنصب عطف على تأكيدا من قوله قبل مثل أن تكون تأكيدا، والمشار إليه بقوله تلك الجملة الأولى، وقوله غير وافيه بنصب غير حال من اسم الإشارة، والواو في قوله ويقتضي المقام الاعتناء واو الحال، والجملة حالية وقوله تراءى بحذف إحدى التاءين فعل مضارع فاعله ضمير عائد إلى نكتة أصله تتراءى، والجملة صفة لنكتة، وقوله فظيعا بالنصب عطف على قوله مطلوبا بحذف العاطف، وإذ في قوله إذ فصل المعاني ظرف فيه معنى التعليل، وقوله المعاني بسكون الياء وتقدير النصب في المنقوص للضرورة، وقوله ولم يحل مضارع مبني للفاعل وفاعله ضمير عائد إلى الله ﷻ، والضمير في قوله فهو وزان إلخ عائد إلى قوله تعالى: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٖ وَبَنِينَ 133﴾ [الشعراء: 133]

وقوله: لا تقيمن عندنا بسكون النون لضرورة الوزن، وإذ في قوله إذ دلا ظرف فيه معنى التعليل، وفاعل دل ضمير عائد إلى قوله لا تقم أي لا تقيمن عندنا، والألف فيه للإطلاق، وقوله: مطابقا حال من فاعل دل .

أَوْ كَوْنُهَا عَطْفَ بَيَانٍ لِلْخَفَا ... مَعَ اقْتِضَا إِزَالَةٍ لَهُ وفَى
كَوَسْوَسَ الَّذِي تَلاهُ قَالَ يَا ... آدَمُ فَهْوَ قَدْ أَبَانَ الْخَافِيَا
فَهْوَ وزَانُ عُمَرٍ فِيمَنْ شَعَرْ ... أَقْسَمَ بِاللهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرْ

يعنى أن كمال الاتصال مثل أن تكون الجملة الثانية مؤكدة للجملة الأولى، أو بدلا منها أي مثل كونها كذلك كما تقدم، أو مثل كونها أي الجملة الثانية عطف بيان للجملة الأولى، لأجل الخفا أي

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص23

خفاء المراد الحاصل في الأولى، مع اقتضاء المقام إزالة ذلك الخفاء بذي وفا أي بكلام صاحب وفاء بالمراد أي واف به، ولك أن تقول: إن الجملة الأولى في البدل فيها خفاء فوجود الخفاء في الأولى مشترك بين البدل والبيان، وإذا كان المقام المقتضي للبيان إزالة الخفاء فالأولى غير وافية أو كغير الوافية، فأي فرق بين البدل والبيان .

قال أناس: والجواب أن المقصود في البدل هو الثاني لا الأول، فلهذا كان الأول غير واف أو كغير واف، والمقصود في البيان هو الأول، والثاني يوضح له، كقوله تعالى:

فوسوس الذي تلاه قوله: قال يا آدم ، [205] أي ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ 117﴾[1] أي لا يتطرق إليه نقصان فضلا عن الزوال، وأضاف الشجرة للخلد، لادعائه أن الأكل منها سبب لخلود الآكل، والوسوسة التكلم بالكلام الخفي يكرر ويدعى به إلى شر، وهذا أي قوله: فوسوس إليه الشيطان، فيه خفاء، فأزاله بقوله: قال يا آدم إلخ، فهو أي قوله: قال يا آدم قد أبان أي أظهر المراد الخافيا في الجملة الأولى وهو تفسير الوسوسة، فهو أي قوله: قال يا آدم إلخ، منزل منزلة عطف البيان لقوله: فوسوس إلخ، فوزانه وزان عمر في قول من شعر أي قول الشاعر:

أقسم أَقْسَم باللَّهِ أبو حفصٍ عُمَرْ ما إنْ من نقَبٍ ولا دَبَرْ[2]

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ الآخر وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ 7 يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾[3]

قال في الإيضاح: " فصل يخدعون لكونه موضحا للأول " .

قال السيد في شرح المفتاح: " وذلك أن قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر، كلام كاذب يوهم السامعين أنهم آمنوا، فيحتمل أن يكون على وجه الخداع لأغراض لهم في ذلك، وأن لا يكون فأزيل

(1) - سورة طه، الآية: 120

(2) - البيت من الرجز المشطور، وبعده قوله: فاغفر له اللهم إن كان فجر، وهو لأعرابي وفد على عمر بن الخطاب رضي الله، ومعه ناقة عجفاء نقباء دبراء، وطلب منه أن يحمله على ناقة تبلغه أهله، فرده وقال له ما أرى بناقتك من نقب ولا دبر، فمضى إلى ناقته وهو يقول هذه الأبيات، فناداه سيدنا عمر وأعطاه ما طلب، انظر خزانة الأدب، وشذور الذهب وغيرهما.

(3) - سورة البقرة، الآية: 8.7

هذا الخفاء بيخادعون، وبين أنهم قالوا ذلك خداعا " .

وجوز في الكشاف[1] أن يكون استئنافا بيانيا، فكأنه قيل: ولم يدعون الإيمان كاذبين ؟ فقيل: يخادعون إلخ، والحمل على البيان أولى، لأنه إيضاح لما سبق، وتصريح بأن قولهم هذا مجرد خداع، وأيضا الخداع ليس مطلوبا لذاته، فلا يكون الجواب عن ذلك السؤال شافيا، ومعنى يخادعون: في حكم المخادعين ؛ لأن علام الغيوب لا يخدع، ووجه المفاعلة أن صورة صنعهم مع الله والمؤمنين حيث يظهرون الإيمان وهم كافرون صورة صنع المخادعين، وكذلك صورة صنع الله والمؤمنين حيث أجروا عليهم أحكام المسلمين مع كونهم عندهم في عدد أشرار الكفرة وأهل الدرك الأسفل من النار، صورة الخداع أيضا، قاله السيد في شرح المفتاح، ثم قال: وقد يقال يخادعون بمعنى يخدعون إلا أنه خرج على صيغة المفاعلة مبالغة ؛ لأن الفعل إذا غولب فيه فاعله جاء أبلغ، ويؤيده قراءة أبي حيوة يخدعون أي بسكون الخاء، وعلى هذا فالمنافقون في حكم المخادعين أو خادعون حقيقة إن أريد بخدع الله خدع رسوله، لأنه الناطق عنه بأوامره ونواهيه . [2]

تنبيـــــه

قد يعطف ما يصلح أن يكون بيانا للأولى، لأجل تنبيه على تغاير واضح بين الجملتين، وعلى أن الثانية مستقلة، كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾[3] وفى سورة إبراهيم: ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾[4] بالواو، فحيث لم يذكر الواو جعله بيانا ليسومونكم وتفسيرا للعذاب، وحيث أثبتها جعل التذبيح كأنه أربى على جنس العذاب حتى صار كأنه جنس آخر .

وَشِـــبْهُ الِانْقِطَـــاعِ كَـــوْنُ عَطْــفِ ذِي ... يُوهِمُـــهُ عَلَـــى سِـــوَاهَا وخُـــذ
تَظُـــنُّ سَـــلْمَى أَنَّـــنِي الْبَيْـــتُ مَثَـــلْ ... وسَـــمِّ بِالْقَطْـــعِ الَّـــذِي كَـــذَا انْفَصَـــلْ

هذا هو الحال الثالث من الأحوال الموجبة للفصل، يعنى أن شبه الانقطاع الكامل هو كون عطف

---

(1) - يعني يجوز في الكشاف: الزمخشري المؤلف المعتزلي المشهور صاحب كتاب الكشاف، وهو تفسير للقرآن الكريم.

(2) - فيض الفتاح م س ج2 ص25

(3) - سورة البقرة، الآية: 49

(4) - سورة إبراهيم، الآية: 6

ذي أي الجملة الثانية على الجملة الأولى يوهمه على سواها أي يوهم عطفها على غير الأولى، وعطفها على غيرها يؤدي إلى معنى غير مقصود، والفصل هنا للاحتياط لا للوجوب، والاحتياط أن يكون قبل الجملة المفصولة عما قبلها كلام مشتمل على مانع من العطف عليه ، [206] وكلام لا مانع من العطف عليه، فتقطع الجملة عنه حتى لا يتوهم عطفها على ما هو مشتمل على ذلك المانع، والوجوب أن يكون قبل الجملة كلام مشتمل على مانع، ولا يوجد هناك ما لا يشتمل على مانع، فتقطع الجملة عما قبلها وجوبا، قاله السيد في حواشيه على المطول .

وإنما شبه ما كان العطف فيه يوهم خلاف المقصود بكمال الانقطاع، لأنه يشتمل على مانع من العطف، وهو إيهام خلاف المراد، كما أن المختلفتين خبرا وإنشاء، والمتفقتين اللتين لا جامع بينهما تشتملان على مانع، لكن هذا دونه ؛ لأن المانع فيه خارجي يمكن دفعه بنصب قرينة .

قوله: وخذ تظن سلمى أنني البيت مثل أي خذ أيها المتكلم قول الشاعر:

وَتَظُنُّ سَلْمى أَنَّنِي أَبْغِي بِهَا   بَدَلًا أُرَاهَا فِي الضَّلَالِ تَهِيمُ[1]

مثلا أي مثالا لشبه الانقطاع، فإن بين الجملتين الخبريتين أعني قوله وتظن سلمى، وقوله أراها مناسبة ظاهرة، لاتحادهما في المسند ؛ لأن معنى أراها أظنها، والمسند إليه في الأولى محبوب، وفى الثانية محب، فالمسندان بينهما الاتحاد في التصور، والمسند إليهما بينهما التماثل، فالجامع في كل عقلي، لكن لم يعطف أراها على تظن وإن كان صحيحا لا مانع منه، إذ المعنى حينئذ أن سلمى تظنني كذا وأظنها كذا، ليلا يتوهم أنه معطوف على قوله أبغي، إذ هو أقرب إليه فيكون من مظنونات سلمى، وليس الأمر كذلك .

قال الفنري: وفيه بحث ؛ لأن في القطع احتمال كون المقطوع خبرا، واحتمال كونه تأكيدا لأبغي، أو بيانا له، أو بدلا منه، ففي كل من الفصل والوصل إيهام خلاف المقصود، فلا يتج تعليل الفصل بإيهام الوصل خلافه، ويمكن أن يقال: الأمر عند الفصل موكول إلى العقل، والعقل يرفع الاحتمال المذكور بالتأمل في السياق، وأيضا الاستئناف أظهر في الجملة ؛ لأنها مستقلة بشأنها، وأما عند الوصل

---

(1) - البيت لأبى تمام أورده محمد بن على الجرجانى في الإشارات ص 129

فالعبرة باللفظ والعطف على الأقرب كالنص في الواو، فاحتمال خلاف المقصود في الوصل أقرب منه في تركه، فلذا اختير الفصل .

قال في المطول: ومن هذا القبيل قطع قوله تعالى: ﴿أَللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ عن الجملة الشرطية أعني قوله: ﴿وَإِذَا خَلَوِاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ فإنه عطفه عليه يوهم عطفه على جملة قالوا أو جملة إنا معكم، وكلاهما فاسد كما مر، فظهر أن قطعه أيضا للاحتياط كما في هذا البيت، لا للوجوب كما زعم السكاكي، ولا يقال لا يجوز عطف غير الشرطية على الشرطية، لأنا نقول: عطف غير الشرطية على الشرطية وبالعكس كثير، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوَ اَنزَلْنَا مَلَكاً﴾[1] ﴿وَإِذَا جَآءَ اجَلُهُمْ لاَ يَسْتَـٔخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ 32﴾[2][207]

قوله: وسم بالقطع، أي وسم بالقطع الفصل الذي انفصل أي وقع، لذا أي لدفع إيهام خلاف المقصود، ووجه التسمية إما لكونه قاطعا للوهم، أو لأن كل فصل قطع، فيكون من تسمية المقيد بالمطلق .

قوله: البيت بالنصب بدل من قوله تظن سلمى أنني، لأنه في محل مفعول لقوله خذ أو مفعول به لفعل محذوف تقديره أعني البيت المعهود، وقوله مثل بالوقف على السكون على لغة ربيعة .

وَشِبْهُ الِاتِّصَالِ كَوْنُهَا جَوَابْ ... سُؤَالٍ الْأُولَى اقْتَضَتْهُ والصَّوَابْ
تَنْزِيلُهَا مَنْزِلَةً فَتُفْصَلُ ... فَصْلَ جَوَابِهِ وقِيلَ يُجْعَلُ
مُقَدَّرًا لِنُكْتَةٍ كَالإِغْنَا ... مِنْهُ وتَرْكِ السَّمْعِ مِنْهُ يُغْنَى

هذا هو الحال الرابع من الأحوال الموجبة للفصل، يعنى أن شبه كمال الاتصال كونها أي الجملة الثانية جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى أي أشعرت به ودلت عليه، والصواب تنزيلها منزله أي والمختار عند أهل البيان تنزيل الجملة الأولى منزلة السؤال الذي دلت عليه، فتفصل الجملة الثانية عن الجملة الأولى، فصل جوابه أي تفصل فصلا كفصل جوابه أي جواب السؤال عنه أي كما يفصل الجواب عن السؤال ؛ لأن الجملة الثانية صارت حينئذ كذات الاتصال الكامل ؛ لأن السؤال يقتضى

(1) - سورة الأنعام، الآية: 8

(2) - سورة الأعراف، الآية: 34

الجواب، وهذا هو مذهب التلخيص .

وقيل يجعل مقدرا أي وقال السكاكي يجعل السؤال المفهوم من الجملة الأولى واقعا مقدرا، والجملة الثانية جوابه، لأجل نكتة كالإغناء عنه أي كإغناء المتكلم السامع عنه أي عن السؤال، فيجاب يعنى أنه أغناه بذكر الجواب عن كلفة السؤال، وكره السمع منه، يعنى يغنى أن كره السمع أي كراهة المتكلم السمع منه أي ما يسمع من المخاطب لحقارته أو لبغضه ونحو ذلك كخوف أن لا يقطع كلامك بكلامه، يعنى أي يقصد نكتة لتنزيل السؤال المدلول عليه بالجملة الأولى منزلة الواقع المقدر .

قال في فيض الفتاح: " قال ياسين، والذي يظهر أن الجملة الأولى إن ظهر منها استدعاء السؤال وطلبه فهي منزلة منزلته كما في التلخيص، مثل ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ 2﴾[1]

فإنه شوق السامع إلى السؤال عنها وإن لم يكن، ولكنه استفيد التشوق إليه من القرائن، فالسؤال مقدر كقوله تعالى: ﴿۞وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[2]

ومنهم من جعل الفصل في باب الاستئناف للانقطاع الكامل، لاختلافهما طلبا وخبرا، ومنهم من يجعله كمال الاتصال وهو ارتباط اللاحق بالسابق ارتباطا ذاتيا، ومنهم من يعلله بأن حقهما أن يكونا كلامي شخصين، فلا مجال للعطف . "[3]

تنبيــهان

الأول: بقي على الناظم من نكت تنزيل السؤال المدلول عليه بالكلام السابق منزلة الواقع المقدر[208] ثلاث:

الأولي: إفهام المتكلم أن المخاطب ذو فهم جديد أي كامل الفطنة، بحيث يدرك أن الكلام السابق مقتض للسؤال .

---

(1) - سورة القدر، الآية: 2

(2) - سورة يوسف، الآية: 53

(3) - فيض الفتاح م س ج2 ص26

والثانية: إفهام المتكلم أنه ذو فكر جيد، لإدراكه أن الكلام السابق مقتض للسؤال .

والثالثة: تكثير المعنى مع اختصار اللفظ، بسبب طي السؤال مع ترك العاطف، فبتقدير السؤال يكثر المعنى، وبترك العاطف يقل اللفظ .

الثاني: قد يظهر العاطف الذي هو الواو إذا كان الغرض من السؤال النقد والاعتراض، لا التردد في حال المسؤول عنه بأنه كذا أم لا، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ 115﴾[1]

فإن صدر الكلام وهو قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ 114﴾[2] مقتض للسؤال، فوقع قوله: وما كان استغفار إبراهيم إلخ، جوابا له، والفرق واضح، فإن المطلوب في الأول بيان ما أجمل، فيعتبر كمال الاتصال الموجب للفصل، وفي الثاني دفع ما أورد، فكان كل واحد مما يؤدى إليه الغرض من السؤال والجواب في طرف، فصار المقام مقام وصل يقتضي المناسبة من وجه، والمغايرة من وجه آخر، فالغرض من السؤال المعتبر في الآية الكريمة ونظائرها النقض، فإن الكافر إذا سمع صدر الكلام يمكن أن يعترض باستغفار إبراهيم لأبيه، فيدفع ذلك الاعتراض بأنه كان عن عدة منه له، وبعضهم يجعل الواو في مثل هذا استئنافية لا عاطفة، قاله في فيض الفتاح .[3]

قوله: كالاغنا بالقصر لضرورة الوزن، وقوله يعنى بالبناء للنائب نائبه ضمير عائد على المبتدأ، وهو كره السمع .

وَسَمِّهَا وفَصْلَهَا اسْتِئْنَافَا

أي سم الجملة الثانية استئنافا، وسم فصلها من الأولى المقتضية للسؤال أيضا استئنافا، والاستئناف في اصطلاحهم يطلق على معنيين، وتسمى الجملة أيضا مستأنفة .

وهُوَ ثَلاثُ أَضْرُبٍ قَدْ وافَى

---

(1) - سورة التوبة، الآية: 115

(2) - سورة التوبة، الآية: 114

(3) - فيض الفتاح م س ج2 ص26-27

إِذِ السُّؤَالُ قَدْ يَكُونُ عَنْ سَبَبْ حُكْمٍ عُمُومًا أَوْ خُصُوصًا يُنْتَخَبْ
أَوْ غَيْرَ ذَيْنِ . .

يعنى أن الاستئناف ثلاثة أضرب أي ثلاثة أقسام متفرعة عن ثلاثة في السؤال، إذ السؤال أي لأن السؤال يكون عن سبب حكم أي عن سبب الحكم، وهذا فيه قسمان أشار لهما بقوله: عموما وخصوصا ينتخب، أي والسؤال عن سبب الحكم ينتخب أي يختار ويستعمل حال كونه ذا عموم، أي سؤالا عن مطلق سبب الحكم، وذا خصوص أي سؤالا عن سبب خاص للحكم .

فالأول: كقول الشاعر:

قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

أي ما سبب علتك ؟ لأن العادة إذا قيل [210]: " فلان مريض " أن يسأل عن سبب علته وموجب مرضه، لا أن يقال: هل سبب علته كذا وكذا ؟ لا سيما السهر والحزن فإنه قل ما يقال: هل سبب مرضه السهر والحزن ؟ لأنهما من أبعد أسباب المرض .

والثاني: وهو السؤال عن السبب الخاص، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ 53﴾[1] فكأنه قيل: هل النفس أمارة بالسوء ؟ فقيل نعم إن النفس لأمارة بالسوء، فتقدير السؤال بهل الدالة على طلب التصديق قرينته الدالة عليه هي التأكيد في جوابه، وهو قوله: إن النفس لأمارة بالسوء ؛ لأن التأكيد فيه يدل على أن السائل يسأل عن سبب خاص مع التردد فيه، فيجاب بالتأكيد، ولو كان عن مطلق السبب لم يؤكد، لكون المخاطب خالي الذهن .

قال الفنري: " هذا مبني على سوق الكلام مساق مقتضى الظاهر المتبادر، وإلا فللتأكيد معان غير رفع الشك ورفع الإنكار كما سبق، وليس فائدته منحصرة فيهما، حتى يقال: لو كان السؤال عن السبب المطلق لكان السؤال عن تصوره الذي لا يتصور فيه شك وتردد حتى يؤكد في الجواب، فعلم أن السؤال عن السبب المطلق دون السبب الخاص، وعدم التأكيد أيضا مشعر بذلك، بخلاف الآية الكريمة، فالذي دلت عليه الجملة الأولى فيها عدم تبرئة النفس، وذلك صريح في اعتقاد المتكلم أنها

(1) سورة يوسف، الآية: 53.

أمارة بالسوء ؛ لأن عدم التبرئة للنفس لا سبب له في مثل ذلك المقام إلا كونها أمارة بالسوء، ولكنه لما لم يكن صريحا فربما شك السامع في وقوع هذه النسبة، فلذلك راجع المتكلم قال: وهل النفس أمارة بالسوء ؟ ـ كما اقتضاه كلامك ـ فلذلك أكد " . [1]

قوله: أو غير ذين يعنى أن السؤال قد يكون من غير السببين المطلق والخاص، وهذا هو القسم الثالث من أقسام الاستئناف، كقوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ﴾[2] تقديره فماذا قال إبراهيم عليه السلام في جواب الملائكة ؟ فقيل: قال سلام، أي سلام عليكم أو عليكم سلام، فتحيته أحسن من تحيتهم ؛ لأن تحيتهم بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث أي سلمنا سلاما، وتحيته بالإسمية الدالة على الثبوت والدوام، ومنه قوله:

زعَـم العـواذلُ أنَّ ناقـةَ جُنـدَبٍ … بجُنـوبِ خَبْـتٍ عُرِيَـتْ وأُجمَّـتِ
كـذبَ العـواذلُ، لـو رأيْـنَ مَناخَها … بالقادسـية قُلْـنَ لجَّ وذَلَّـت[3]

فصل كذب العواذل، ليقع جوابا بالسؤال اقتضاه الحال عند شكواه من النساء العاذلات بقوله: زعم العواذل أن كان كيت وكيت، وهو أي السؤال تقديره: أكذبن في ذلك أم صدقن ؟ فقيل: كذب العواذل، وكذا قوله:

بَكّـي علـى قَتْـلِ الْعـدان فـإنهُم … طالـتْ إقـامتُهم بـبطن بَـرام
كـانوا علـى الأعـداء نارَ مُحَـرّقٍ … ولقـومهم حَرَمـاً مـن الأحْـرام[4]

فصل كانوا عن قوله طالت إلخ للاستئناف، لأنه حين أمرها بالبكاء كأنه توهمها قالت: ولم أبكيهم ؟ أو كيف أبكيهم ؟ صفهم لي كيف كانوا ؟ فقال مجيبا: كانوا على الأعداء .

. . ثُمَّ مِنْـهُ مَـا أَتَـى … بِاسْـمِ الَّـذِي اسْـتُؤْنِفَ عَنْـهُ كَـالفَتَى

هذا تقسيم آخر للاستئناف، يعنى أن منه أي من الاستئناف الذي أتى بإعادة الاسم الذي استؤنف

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص28

(2) - سورة هود، الآية: 69

(3) - الوليد بن يزيد والبيتان في المفتاح ص 115 وفى الدلائل ص 184 وفي شرح الحماسة للتبريزي ج1 ص 162

3 . ينسب البيتان لبعض بني أسد، ن شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، تحقيق غريد الشيخ، ط1 1424 . 2003 ، : دار الكتب العلمية بيروت . لبنان.

عنه الحديث أي ذكر فيه اسمه[208]، كقولك مثلا: **كَالفَتَى أَحْسِنْ إِلَيْهِ** أي أحسن إلى الفتى **أَلْفَتَى بِهِ** أي بالإحسان **حَرِي** أي حقيق بالإحسان إليه، فتقدير السؤال لماذا أحسن إليه ؟ أو هل هو حقيق بالإحسان ؟ فهو سؤال عن السبب المطلق، فناسب عدم التأكيد في الجواب .

أَوْ قد أتى بإعادة **وصْفِهِ** أي وصف الذي استؤنف عنه الحديث .

قال في فيض الفتاح: " والمعنى أن يكون المسند إليه في الجملة الاستئنافية من صفات من قصد استئناف الحديث عنه " . (1)

قال السعد: " أعني صفة تصلح لترتيب الحديث عليها " .

وَهْوَ أَشَدُّ واذْكُر يعنى أن الاستئناف الذي أعيدت فيه صفة الذي استؤنف عنه الحديث أشد أي أبلغ وأحسن من الذي أعيد فيه اسم الذي استؤنف عنه، لاشتماله على بيان السبب الموجب للحكم أي المحكوم به، **نَحْوُ** قولك مثلا: " أحسنت إلى زيد " بصيغة الخطاب .

نَحْــوُ صَــدِيقُكَ الْقَــدِيمُ قَــدْ أَهِــلْ

لذلك أي قد أُهِّلَ للإحسان .

قال في فيض الفتاح: والسؤال المقدر لماذا أحسنت إليه ؟ ومنه قوله:

وقـد عرضْـتُ عـن الـدنيا فهـل زمـني	معـط حيـاتي لغِـرّ بعـد مـا عرضـا
جربـت دهـري وأهليـه فمـا تركـت	لي التجـارب في ود امـرئ غرضـا

فالسؤال المقدر كما في المفتاح هو لم تقول هذا ويحك ؟ وما الذي اقتضى أن تطوى إلى هذه الغاية كشحك أي جانبك، فقال: لأني جربت دهري إلخ .

قال في فيض الفتاح: " وإذا عقب المستأنف عنه في الكلام السابق بصفات ثم ذكرته في الاستئناف بلفظ اسم الإشارة، كقولك: " أحسنت إلى زيد الكريم الفاضل ذلك حقيق بالإحسان " كان مبنيا على صفته ؛ لأن ذلك بمنزلة إعادة الصفات المذكورة في الكلام السابق، وعليه قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾(2) كأنه قيل: ما للمتقين المؤمنين بالغيب المقيمين الصلاة المنفقين مما رزقهم

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص31

(2) - سورة البقرة، الآية: 5

الله، اختصوا بهدى لا يكتنه كنهه ؟ فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد ولا مستبدع أن يفوزوا دون من عداهم بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا، قاله في المفتاح . " [1]

قوله: أهل بتخفيف الهاء لضرورة الوزن .

وصَــدْرُ الِاسْـتِئْنَافِ رُبَّمَــا خُــزِلْ

يعنى أن صدر الاستئناف، أي الجملة المستأنفة قد يخزل أي يحذف، فعلا كان أو اسما عند السعد، أو اسما لا فعلا عند صاحب دلائل الإعجاز، لأنه قال: إن السؤال المشتمل على الفعل إذا كان مقدرا يجوز حذف الفعل في الجملة الجوابية .

مثال ما حذف فيه صدر الاستئناف قوله تعالى: **﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ﴾**[2] كأنه قيل: من يسبحه ؟ فقيل: رجال، أي يسبحه رجال، وعلى مذهب دلائل الإعجاز يقدر من المسبحون ؟ فيقال: المسبحون رجال، وعليه نعم الرجل زيد، ونعم رجلا زيد، على مذهب من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف، أي هو زيد، ويجعل الجملة استئنافا، جوابا للسؤال عن تفسير الفاعل المبهم [211]، ومنه قوله: قال لي كيف أنت ؟ قلت عليل، أي أنا عليل .

وَكُلُّــهُ مَــعْ قَــائِمٍ مَقَامَــهُ

يعنى أن الاستئناف بمعنى الجملة المستأنفة قد يحذف كله لا صدره فقط، أما مع شيء من الألفاظ قائم مقام الاستئناف، كقوله:

زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ ... لهم إِلْفٌ وليس لكُمْ إلافُ
أُولَئِكَ أومنوا خوفًا وجوعا ... وقد جاعت بَنو أَسد وخافوا[3]

فقوله: زعمتم يهجو به بني أسد بن خزيمة، ويكذبهم في دعواهم أنهم إخوة قريش في الشرف والنسب، لأنهم كلهم أولاد خزيمة بن مدركة، فلما قال زعمتم أن إخوتكم قريش، اتجه أن يقولوا: أصدقنا أم كذبنا ؟ فقيل: كذبتم، فحذف هذا الاستئناف كله وأقيم قوله: لهم إلف إلخ مقامه، لدلالته

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص32

(2) - سورة النور، الآية: 37.36

(3) - البيتان لمساور بن هند بن قيس يخاطب بنى أسد، وقد ورد في: "تهذيب اللغة" 15/ 379 "لسان العرب" 9/ 10 (ألف)

عليه، والألف مصدر ألف المكان كعلم أحبه، والآلاف مصدر آلفه يوالفه، والإيلاف بالياء مصدر آلفه يولفه .

والمعنى كما في الأطول: " لهم إيلاف من القبائل لا تتعرض لهم قبيلة في رحلتيهم المعروفتين في التجارة رحلة الشتاء ورحلة الصيف يتجرون آمنين مكرمين . "

قوله: أو كله بالرفع عطف على قوله وصدر الاستئناف .

أَوْ دُونَهُ أي وأما أن يحذف الاستئناف كله دون شيء قائم مقامه أي دون قيام شيء مقامه اكتفاء بالقرينة، كقوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ ٤٨﴾[1] أي نحن، فكأنه قيل: من الماهدون ؟ فقيل: هم نحن، فحذف المبتدأ والخبر جميعا من غير قيام شيء مقامهما .

قال في العروس: " ولك أن تقول: « الفصل لا يعقل إلا بين كلامين منطوق بهما فإذا كانت الجملة المستأنفة عما قبلها محذوفة فكيف يسمى ذلك فصلا »[2]

قال ياسين: وفي ذلك نظر .

قال في فيض الفتاح " قلت: ولعل وجه النظر أن المقدر كالمذكور، وهي في التقدير منفصلة، فكأنها منفصلة في النطق، والله تعالى أعلم . "[3]

وَدَافِعٌ إِيهَامَهُ، يُوصِلُهِ لما فرغ من الأحوال المقتضية للفصل، شرع في ذكر الحالتين المقتضيتين للوصل، وأشار إلى الأول منهما بقوله: ودافع إلخ .

والمعنى أن المتكلم الدافع إيهام خلاف المقصود أي القاصد دفع إيهام خلاف المقصود، يوصله أي يوصل الكلام الثاني بالأول، أي يعطفه عليه بالواو، أما مع كمال الاتصال كما إذا سئلت هل تشرب خمرا ؟ فقلت: لا وتركت شربها، فقولك: تركت شربها تأكيدا للنفي السابق ولم يوت بالواو، لتوهم تعلق النفي بالترك أي لتوهم توجبه لا إلى الترك، فيكون دعاء بعدم الترك أو مع كمال الانقطاع .

---

(1) - سورة الذاريات، الآية: 48

(2) - «عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح» (1/ 515)

(3) - فيض الفتاح م س ج2 ص34

كَمِثْلِ قَوْلِ الدَّاعِي لك بالتأييد في جواب كلام سابق سألته عنه، **لا، وأَيَّدَ اللهُ حِمَاكَ بِالْعُلا** أي ليس الأمر كذلك أي كما سألت عنه، فهذه الجملة خبرية، وقوله: أيد الله حماك إلخ، إنشائية مدعو بها للمخاطب، لكن لو ترك العطف وقيل: لا أيدك الله، لتوهم أنه دعاء على المخاطب .

قال السعد: فلدفع هذا الوهم جيء بالواو العاطفة الإنشائية على الخبرية المنفية المدلول عليها بكلمة لا [212]، وقد نازع صاحب العروس في كون هذه الواو عاطفة، وادعى زيادتها لدفع الوهم وأنها جاءته في القرآن لذلك، ونقله عن الكوفيين وابن مالك .

قال في فيض الفتاح: " يحكى عن الصاحب بن عباد أنه قال: هذه الواو أحسن من واوات الأصداغ في خدود المرد الملاح، ويحكى أن أبا بكر الصديق ﷺ مر برجل في يده ثوب، فقال له الصديق: أتبيع هذا ؟ فقال: لا، يرحمك الله، فقال له الصديق: قدْ قُوِّمَتْ ألسنتُكم لوْ تستقيمون، لا تقل هكذا، قل لا، ويرحمك الله . "[1]

وسأل المأمون اليزيدي عن شيء فقال: لا، وجعلني الله فداك، فقال المأمون: لله درك، ما وضعت الواو موضعا قط أحسن منها ها هنا .

وَصْـــلٌ إِذَا تَوَسُّـــطٌ بَيْنَهُمَـــا ... يَكُـــونُ فِيهِمَـــا كَـــأَنْ تُلْفِيهِمَـــا
تَوَافَقَـــا إِنْشَـــاءً أو خَبَـــرَا ... فِي لَفْـــظٍ أو مَعْـــنًى بِجَـــامِعٍ يُـــرَى

هذا هو الحال الثاني من الحالين المقتضيين للوصل، والمعنى: صل أيها المتكلم الجملة الثانية بالأولى أي اعطفها عليها، إذا يكون فيهما أي الجملتين توسط بينهما، أي بين الكمالين كمال الانقطاع، وكمال الاتصال، وذلك كأن تلفيهما توافقا أي كإلفائك إياهما متفقتين في الإنشائية أو في الخبرية، بأن كانتا خبريتين معا أو إنشائيتين معا في اللفظ والمعنى جميعا، أو في المعنى فقط، بجامع يرى أي مع جامع يرى أي تناسب ظاهر بين الجملتين، لما تقدم من أنه إذا لم يكن بينهما جامع، فبينهما الانقطاع الكامل .

قال في الشهدة الصريحة: " ثم الجملتان المتفقتان خبرا أو إنشاء لفظا ومعنى قسمان: لأنهما إما إنشائيتان أو خبريتان، والمتفقتان معنى فقط ستة أقسام: لأنهما إن كانتا إنشائيتين معنى فاللفظان إما

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص34

خبران، أو الأولى خبر، والثانية إنشاء، أو بالعكس، وإن كانتا خبريتين معنى فاللفظان إما إنشاء، أو الأولى إنشاء، والثانية خبر، أو بالعكس، فالمجموع ثمانية أقسام . "

فالاتفاق لفظا ومعنى كقوله تعالى: ﴿يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ﴾[1] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ 13 وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ 14﴾[2] في الخبريتين لفظا ومعنى، إلا أنهما في المثال الثاني متناسبتان في الاسمية، بخلاف الأول، وقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾[3] في الإنشائيتين لفظا ومعنى، والاتفاق معنى فقط كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[4] فعطف قولواعليلا تعبدون إلا الله، مع اختلافهما لفظا، لكونهما إنشائيتين معنى ؛ لأن قوله لا تعبدون خبر في معنى الإنشاء، أي لا تعبدوا، وبالوالدين إحسانا، لا بد له من فعل، فإما أن يقدر خبرا في معنى الطلب، أي وتحسنون بمعنى أحسنوا[213] فتكون الجملتان خبرا لفظا، إنشاء معنى، وفائدة تقدير الخبر ثم جعله معنى الإنشاء، إما لفظا فالملائمة مع قوله لا تعبدون، وإما معنى فالمبالغة باعتبار أن المخاطب كأنه سارع إلى الامتثال، فهو يخبر عنه، كما تقول: تذهب إلى فلان تقول له كذا، تريد الأمر، أو تقدر من أول الأمر صريح الطلب على ما هو الظاهر، نحو وأحسنوا بالوالدين إحسانا، فتكونا إنشائيتين معنى، إلا أن لفظ الأولى إخبار ولفظ الثانية إنشاء .

وَهْوَ يَكُونُ بِاعْتِبَارِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِمَا وَالْمُسْنَدَيْنِ فَقَدْ

أي فحسب، يعنى أن الجامع بين الجملتين يجب أن يكون باعتبار المسند إليهما والمسندين جميعا، أي باعتبار المسند إليه في الجملة الأولى، والمسند إليه في الجملة الثانية، وكذا باعتبار المسند في الأولى والمسند في الثانية، نحو يشعر زيد ويكتب، للمناسبة الظاهرة بين الشعر والكتابة، ويعطى زيد ويمنع، لتضاد الإعطاء والمنع، هذا عند اتحاد المسند إليهما كما هنا، وأما عند تغايرهما فلا بد

(1) – سورة النساء، الآية: 142

(2) – سورة الانفطار، الآية: 14.13

(3) – سورة الأعراف، الآية: 31

(4) – سورة البقرة، الآية: 83

من تناسبهما نحو زيد شعر وعمرو كاتب، وزيد طويل وعمرو قصير، لمناسبة بين زيد وعمرو كالأخوة والصداقة والعداوة، ونحو ذلك، وبالجملة فلا بد أن يكون أحدهما مناسبا للآخر، وملابسا له ملابسة لها نوع اختصاص بخلاف زيد كاتب وعمرو شاعر، بدون مناسبة بينهما، فلا يصح وإن اتحد المسندان، ولهذا حكموا بامتناع خفي ضيق وخاتمي ضيق، وبخلاف زيد شاعر وعمرو طويل، مطلقا، سواء كان بين زيد وعمرو مناسبة أو لا، لعدم مناسبة الشعر وطول القامة .

قال السكاكي: " ذكر أنه يجب أن يكون بين الجملتين ما يجمعهما عند القوة المفكرة جمعا من جهة العقل، وهو الجامع العقلي، أو من جهة الوهم، وهو الجامع الوهمي، أو من جهة الخيال، وهو الجامع الخيالي "

والمراد بالعقل القوة العاقلة المدركة للكليات، وبالوهم القوة المدركة للمعاني الجزئية الموجودة في المحسوسات، من غير أن تتادى إليها من طرق الحواس، كإدراك العداوة والصداقة من زيد مثلا، وكإدراك الشاة معنى في الذيب، وبالخيال القوة التي يجتمع فيها صور المحسوسات، وتبقى فيها بعد غيبتها عن الحس المشترك، وهي القدرة التي تتأدى إليها صور المحسوسات من طرق الحواس الظاهرة، وبالمفكرة القوة التي من شأنها التفصيل والتركيب بين الصور المأخوذة عن الحس المشترك، والمعاني المدركة بالوهم بعضها مع بعض، ونعنى بالصور ما يمكن إدراكه بإحدى الحواس الظاهرة، وبالمعاني ما لا يمكن، فالجامع بين الجملتين إما عقلي، وإليه أشار بقوله:

فَمِنْــــــهُ عَقْلِـــــيٌّ بِأَنْ يَكُـــــونَ فِي ... تَصَـــــوُّرٍ بَيْنَهُمَـــــا إِذَا يَفِــــــي
تَمَاثُـــــلٌ أَوِ اتِّحَـــــادٌ[214] أَوْ يُـــرَى ... تَضَـــــايُفٌ كَأَصْـــــغَرَ وأَكْـــــبَرَا

يعنى أن الجامع بين المفردين أو الجملتين كان لهما محل من الإعراب أم لا، منه عقلي، والعقلي هو القوة المدركة للمعاني الكلية كإدراك ثبوت التحيز لكل جرم، وأن كل إنسان حيوان، وأن كل فاعل مرفوع، ونحو ذلك، والمراد بالجامع العقلي أمر بسببه يقتضي العقل اجتماعهما في القوة المفكرة، والأمر كالاتحاد في التصور مثلا، وليس المراد بالجامع العقلي ما يدرك بالعقل من الكليات ؛ لأن العقل لما كان يميز بين الأشياء الملتبسة وتنسب إليه الأمور الصحيحة المطابقة للواقع، وكان كل واحد من الاتحاد والتماثل والتضايف سببا في نفسه للاجتماع نسب الجمع بها إلى العقل،

فالجامع العقلي هو أن يكون بين الشيئين في تصورهما تماثل، فإن العقل بتجريد المثلين أي المتماثلين عن التشخص في الخارج يرفع التعدد بينهما كزيد وعمرو إذا اشتركا في وصف له نوع اختصاص بهما كالصداقة، فيكون الوصف بمنزلة الحقيقة أي الذات، وما عداه بمنزلة الوصف المشخص لهما، والمشخص هو الصفة التي تميز الموجود عن كل ما عداه، وإذا رفع العقل التشخص الخارجي عن المتماثلين بقيت الماهية الكلية الواحدة، فقد رجع التماثل إلى الاتحاد ؛ لأن العقل إذا رفع التعدد بين المتماثلين يجعلهما متحدين، بأن يعقل هيئتهما النوعية المجردة عن التشخص ؛ لأن مجرد العقل لا يدرك الجزئي من حيث هو جزئي جسماني متصف بصفات تمنع من ارتسامه في العقل المجرد، بل يدركه مجردا عن العوارض المشخصة في الخارج، وينتزع منه المعنى الكلي فيدركه، فالمتماثلان إذا جردا عن المشخصات اتحدا، فيكون حضور أحدهما في المفكرة حضورا للآخر، وإنما قلنا عن التشخص في الخارج احترازا عن التشخص في الذهن، فإنه لا يرتفع به التعدد ؛ لأن كل حاصل في العقل لا بد له من تشخص عقلي ليميزه عن سائر المعقولات، وإنما قلنا من حيث هو جزئي جسماني، احترازا عن المجزئ المجرد عن المشخصات، فإن حكمه حكم الكليات في جواز ارتسامه في العقل المجرد، وقولنا لأن مجرد العقل لا يدرك الجزئي، نعنى أنه لا يدركه بذاته، وإن كان يدركه بواسطة الآلات الجسمية، لأنه يحكم على الجزئيات بالكليات، كقولنا: " زيد إنسان " والحاكم يجب أن يدركهما، لكن إدراكه الكلي بالذات والجزئي بالآلات، وعلم من قولنا: إذا اشتركا في وصف له نوع اختصاص بهما أنه لا يكفى في صحة قولنا: " زيد كاتب وعمر شاعر " التماثل في الإنسانية مثلا .

وفى الأطول عند قول المتن " فإن العقل بتجريد المثلين عن التشخص في الخارج يرجع التعدد [215] بينهما " ما نصه: " وهذا إنما يفي ببيان الجامع بين قولنا: زيد قائم وعمر قاعد، أما في بيان الجامع بين قولنا: الرومي أبيض والحبشي أسود، فلا، فإن العقل لا يطلب اتحاد الرومي والحبشي بالتجريد عن التشخُّص، بل عن وصف الرومي والحبشي اللذين هما كليان .

والجواب: أنه كلام على وجه التمثيل، وتصوير المقصود فيما هو أكثر تداولا بين البلغاء، ومن هذا القبيل تقييد التشخص بالخارجي .

وغَيْرُ صاحبِ الأطول يقول: " ذلك لأن تجريد العقل للحاصل فيه من التشخص العقلي غير ممكن "

وجعل في الأطول التجانس والتشابه جامعين عقليين .

قال: إذ يصح الإنسان كذا، والحمار كذا، في مقام بيان أحكام الحيوان، ويصح زيد الكريم كذا، وعمرو الكريم كذا، في مقام بيان أفراد الكريم، قاله في فيض الفتاح .[1]

قوله: أو اتحاد بالرفع عطف على قوله تماثل، يعنى أن الجامع العقلي مفسر بأن يكون بين الشيئين تماثل في تصورهما، أو اتحاد في تصورهما .

قال في المطول، قال السكاكي: هو أن يكون بين الجملتين اتحاد تصور مثل الاتحاد في المخبر عنه أو في الخبر أو في قيد من قيودهما كالوصف أو الحال أو الظرف أو نحو ذلك، فظهر أنه أراد بالتصور الأمر المتصور .

وقال في فيض الفتاح: " والمعنى أن الجامع يكون عقليا إذا وقع الاتحاد بين مسندين أو مسند إليهما، أو في قيدين من قيودهما، كالظرف، والحال، والتمييز، والمفعول، والصفة " .

فمثال الاتحاد في المسند إليه، نحو ربنا يضع ويرفع، ومثاله في المسند نحو زيد كاتب وعمر كاتب، وهذا المثال الثاني وقع الاتحاد فيه بالمفهوم لا بالشخص، ولا فرق بين الاتحادين عند شراح المفتاح والتلخيص، وياسين جعل ما لم يتخذ فيه بالشخص كالمثال الثاني من باب التماثل، وفيه نظر، وفى الصفة نحو زيد الطويل كاتب، وعمر الطويل شاعر، وقس على ذلك، ولا يكون الاتحاد في المفردين المتعاطفين ؛ لأن فيه عطش الشيء على نفسه، ويكفى كون الجامع بين المسند إليه والمسند نحو الإيمان حسن، والقبيح الكفر قاله في عروس الأفراح .[2]

قوله: أو يرى تضايف إلخ، يعنى أن الجامع العقلي مفسر بما ذكر، وبأن يرى بين الشيئين تضايف، والتضايف هو كون الشيئين بحيث لا يمكن تعقل أحدهما دون الآخر ولا تحققه، وذلك سبب

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص38

(2) - عروس الأفراح م س ج1 ص526

لجمع الأمرين في المفكرة، إذ العقل يأبى أن لا يجتمعا في الذهن، والعقل سلطان مطاع، وخلافه لا يستطاع، قال: ولا يخفى أن استلزام أحدهما الآخر يكفى في سببية الجمع، فلا يحتاج إلى اشتراط التضايف، ومثال ذلك كتضايف الأصغر والأكبر، فإن الأصغر من حيث هو أصغر إنما يعقل باعتبار [216] ما هو أكبر منه، نحو زيد أكبر وعمرو أصغر، وكتضايف العلة والمعلول، فإن العلة هي ما يتوقف عليه الشيء، والمعلول هو ما يتوقف على الشيء، فيجوز أن يقال: هذا الشيء علة وهذا معلول، وأبو زيد يكتب وابنه يشعر، والمراد التضايف بين مفهومي العلة والمعلول، وبين مفهومي الأصغر والأكبر، لا بين الذاتين .

وَإِنْ يَكُـــنْ بَـــيْنَ تَصَـــوُّرَيْهِمَا شِـــبْهُ تَمَاثُـــلٍ فَلِلْـــوَهْمِ انْتَمَـــى

أي وإن يكن بين تصور الشيئين شبه التماثل، فالجامع بينهما انتمي أي انتسب للوهم، فيقال فيه الجامع الوهمي، والجامع الوهمي أمر بسببه يقتضى الوهم اجتماع الشيئين في القوة المفكرة، والوهم القوة المدركة للمعاني الجزئية الموجودة في المحسوسات من غير أن تصل إلى تلك القوة من جهة الحواس الخمس، وليس المراد بالجامع الوهمي ما يدركه الوهم من المعاني الجزئية .

قال السيد في شرح المفتاح: ولما كان الوهم مما يشتبه عليه الأمر بما يناسبه وكان في شبه التماثل والتضاد، وشبهه مناسبة لتلك الأسباب المقتضية في نفسها للاجتماع، نسب الجمع بها إلى الوهم، يعنى بالأسباب الاتحاد والتماثل والتضايف، وشبه التماثل مفسر بأن يكون أحد الشيئين شبيها بالآخر،

كَلَـــوْنَيِ الْبَيَـــاضِ والصُّـــفْرَةِ

ولوني السواد والخضرة ،

يُبْرِزْهُمَـــا كَالمِثْـــلِ وهْـــمٌ مَـــا انْتَبَـــذْ

إِذْ يُبْرِزْهُمَا كَالمِثْلِ وهْمٌ مَا انْتَبَذْ أي لأجل أن الوهم يبرزهما كالمتماثلين أي في معرض المتماثلين من جهة أنه يسبق إلى الوهم أن البياض والصفرة نوع واحد، لكن زيد في الصفرة شيء يسير لا يخرجها عن حقيقتها، وكذلك السواد مع الخضرة بخلاف العقل، فإنه يعرف أنهما نوعان تحت جنس واحد هو اللون، ولأجل أن الوهم يبرز المتباعدات في معرض الأمثال، حسن الجمع

بين الثلاثة في قوله:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها   شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

فإن الوهم هو الذي حسن الجمع بين هذه الثلاثة، لمشابهتها للأمور المتماثلة بسبب الاشتراك في إشراق الدنيا ببهائها إشراقا حسيا بالشمس والقمر، معنويا بأبي إسحاق، لإفاضته عليها أنوار العدل والإحسان، وكذلك في قوله:

إذا لم يكن للمرءِ فِي الْخَلق مطمعٌ   فذو التَّاج والسقَّاءُ والذَّرُّ واحدُ

فإنه هو الذي حسن الجمع أيضا بين الملك والسقاء وصغار النمل، لاشتراكهم في عدم انتظار النفع منهم والاستغناء عنهم مع تباعدهم غاية التباعد .

قوله: إذ يبرزهما بسكون المضارع لضرورة الوزن، وقوله وهم فاعل يبرز، وقوله ما انتبذ تتميم للبيت .

كَذَا تَضَادٌ يعنى أن التضاد كشبه التماثل في أنه إذا كان بين تصور الشيئين كان الجامع بينهما وهميا، والتضاد هو التقابل بين أمرين وجوديين يتواردان على محل واحد بينهما غاية الخلاف، ولا يتوقف تعقل أحدهما على تعقل الآخر، **كَالْبَيَاضِ والسَّوَادْ**، فخرج بقولنا وجوديين تقابل السلب والإيجاب، وتقابل العدم والملكة، والمراد بالوجودي ما لم يكن السلب [217] داخلا في مفهومه، لا الوجود الخارجي، وإلا لم يحص عد الإيمان والكفر من المتضادات، بناء على أن مفهومهما وجودي، وخرج بقولنا بينهما غاية الخلاف الصفرة والبياض، والخضرة والسواد ؛ لأن مخالفة البياض للسواد أشد من مخالفة الصفرة له، وكالسواد والبياض الهمس والجهارة، والطيب والنتن، والقيام والقعود، والإقرار والإنكار اللساني، والإيمان والكفر ؛ لأن الإيمان هو تصديق النبي صلى الله عليه في جميع ما علم مجيئه به بالضرورة، والمراد بالتصديق قبول النفس لذلك والإذعان له، والكفر إنكار الشيء من ذلك، وإن قلنا الكفر عدم الإيمان عما من شأنه الإيمان كان بينهما تقابل العدم والملكة، ويعد ما يتصف بالمتضادين متضادا، كالأسود والأبيض، باعتبار اشتمالهما على متضادين، وإلا فهما لا يتواردان على المحل أصلا .

أَوْ كَالسَّمَا والأَرْضِ مُشْبِهُ التَّضَادْ

يعنى أن شبه التضاد الذي إذا كان بين تصور الشيئين، كان الجامع بينهما وهميا، مثاله كالسماء والأرض في المحسوسات، لأنهما وجوديان، إحداهما في غاية الارتفاع، والأخرى في غاية الانحطاط، لكن لما لم يتواردا على محل واحد لكونهما جسمين لم يتضادا .

قال في فيض الفتاح: " وسبب كون التضاد وشبهه جامعا وهميا هو أن الوهم ينزل التضاد وشبهه منزلة التضايف في أنه لا يحضره أحد المتضادين أو الشبيهين لهما إلا ويحضره الآخر لاشتراكهما في الضدية اللازمة لهما لزوما بينا، ولتنزيل الوهم للقسمين منزلة المتضايفين تجد الضد أقرب خطورا بالبال مع الضد من سائر المتغايرات، ألا ترى أن السواد أقرب خطورا بالبال عند خطور البياض به من الحلاوة، وكذا السماء والأرض ونظائرهما . "[1]

وَإِنْ يَكُـــنْ يَسْـــبِقُ فِي الْخَيَـــالِ ... تَقَـــارُنٌ فَجَـــامِعٌ خَيَـــالِي

أي وإن يكن بين تصور الشيئين تقارن في الخيال سابق على العطف، فالجامع بينهما جامع خيالي، فلا يكفى مطلق التقارن، وإلا فالعطف لا ينفك عن التقارن، والمراد تقارنهما عند التذكر والإحضار، فالمراد بالجامع الخيالي أمر بسببه يقتضي الخيال اجتماعهما في المفكرة، وليس المراد به ما يكون صورة مرتسمة في الخيال، ولا ما يكون مدركا بالخيال .

قال السيد في شرح المفتاح: ولما كان الخيال محلا لتقارن صور المحسوسات التي منها تنتزع صور الموهومات والمعقولات، نسب الجمع بسبب تقارن الصور كلية كانت أو جزئية، محسوسة أو موهومة إلى الخيال، والضابط في الجامع أن الجمع إما بسبب التقارن في خزانة الصور أو لا، فالأول هو الخيالي، والثاني إما أن يكون بواسطة أمر يناسب الجمع ويقتضيه بحسب نفس الأمر فهو العقلي، وإلا فهو الوهمي . [218]

وَاخْتَلَفَـــتْ أَسْـــبَابُهُ فَاخْتَلَفَـــتْ ... صُـــوَرُهُ فَوَضَـــحَتْ أَوْ فَخَفَـــتْ

يعنى أن الأسباب الخارجة المؤدية إلى تقارن الشيئين في الخيال اختلفت، فبسبب اختلافهما اختلفت صوره أي صور الخيال الثابتة فيه، فوضحت تلك الصور، أو فخفت بحسب تخالف الأسباب، أي فبعضها واضح وبعضها خفي، ومعنى الاختلاف في الوضوح أنه قد تكون صور لا

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص41

تغيب عن خيال كصورة محبوبي زيد، وهي في آخر مما لا يقع، والعلة في اختلاف الأسباب المؤدية للتقارن في الخيال أنها جارية على ما ألفه الإنسان واعتاده لا على طريق معينة، فكل صاحب صنعة مثلا يشاهد فيها أشياء مخصوصة في أكثر أوقاته حتى تكون صور تلك الأشياء متقارنة في خياله واضحة دون خيال الجاهل بتلك الصنعة، فإذا جمعت لكاتب قرطاسا ومحبرة وقلما، ولنجار منشرا وقدوما، وجمعت لحضري مسجدا ومحرابا وقنديلا، فإن الكاتب والنجار والحضري لا ينكرون ذلك العطف لموافقته الثابت في خيالهم، وإذا غيرت العطف إلى خلاف الثابت في خيالات أصحاب الصناعة الخاصة والعامة أنكروه إنكارا تاما، كما لو قلت: محبرة وقدوم وقنديل، ولذلك ترى صاحب كل حرفة يصف الكلام بما ارتسم في خياله، كقول الجوهري: " أحسن الكلام ما ثقبته الفكرة، ونظمته الفطنة، وفصل جوهر معانيه في سمط ألفاظه، فحملته نحور الرواة، وقول الصائغ: خير الكلام ما أحميته بكير الفكر، وسبكته بمشاعل النظر، وخلصته من خبث الإطناب، فبرز بروز الإبريز مركبا في معنى وجيز، وقول الصيرفي: خير الكلام ما نقدته يد البصيرة، ووزنه معيار الفصاحة، فلا يُنطَقُ فيه بزيف ولا يسمع فيه ببهرج .

والبهرج الردي .

قال في فيض الفتاح: " فلصاحب علم المعاني زيادة احتياج في مباحث الفصل والوصل إلى التفطن لأنواع الجامع لا سيما الخيالي ؛ لأن العقلي والوهمي يضبطان بحكم العقل والوهم مع حصر أقسامهما كما رأيت، والخيالي لا ينضبط لأن مبناه على العادات المختلفة، فرب شيئين يجتمعان في خيال زيد دون خيال عمرو، لملابسة لهما دون غيره، وربما كان بين الأمرين جامع خيالي عند قوم دون قوم، كالجمع بين الإبل والسماء، والجبال والأرض في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ 17 وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ 18 وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ 19 وَإِلَى الأرض كَيْفَ سُطِحَتْ 20﴾[1] فإنها مجموعة في خيال أهل البادية دون أهل الحضر ؛ لأن أكثر انتفاعهم بالإبل، وانتفاعهم بها بأن الرعي الناشئ عن المطر النازل من السماء المقتضي تقلب وجوههم إليها،

(1) - سورة الغاشية، الآية: 20.17

ولا بد لهم من حصن يتحصنون به، ولا شيء في ذلك كالجبال، ثم لا غنى لهم لتعذر مكثهم [219] في منزل عن التنقل من أرض إلى أرض، فصور هذه الأمور مجموعة في خيال أهل البادية على الترتيب المذكور، بخلاف الحضري، فإنه إذا تلا هذه الآية قبل الوقوف على ما ذكرنا من العطف لجعله معيبا ."[1]

وَحَسَّـــنَ الْوَصْـــلَ تَنَاسُـــبٌ وجِـــدْ فِي اسْمِيَّـــةٍ وفِي مُضِـــيِّهَا وضِـــدُّ

يعنى أن الوصل أي العطف بالواو يحسنه تناسب الجملتين في الإسمية والفعلية والمضي والمضارع، فإذا كانت الجملة الأولى اسمية، فالأحسن أن تكون الثانية اسمية، وإذا كانت فعلية فالأحسن أن تكون الثانية كذلك، وإذا كانت ماضية فالأحسن أن تكون الثانية [220] كذلك، وإذا كانت مضارعية فالأحسن أن تكون الثانية كذلك، وإنما يكون التناسب المذكور محسنا للوصل بعد تحقق الداعي له كتوسطهما بين الكمالين مع وجود الجامع، والمراد أنه من المحسنات الذاتية الداخلة في علم البلاغة، بدليل ذكر التلخيص والإيضاح والمفتاح له في علم المعاني دون البديع .

قال في الأطول: فهو أيضا من المجوزات التي لا بد للبليغ منها، ويدل على ما في الأطول تعبير المفتاح بلزوم رعاية التناسب المذكور، ومثله للسعد والسيد .

تنبيـــــه

محل لزوم التناسب في الجملتين حيث لم يتبين مانع لذلك التناسب، فالأقسام ثلاثة كما في شرح السيد للمفتاح: اثنان في المنطوق تجب فيهما المناسبة، والثالث في المفهوم يجب فيه عدمها .

الأول: أن يكون المقصود مجرد نسبة المسند إلى المسند إليه من غير قصد تعرض لمعنى زائد معين كالتجدد والحدوث أو الدوام، ولا شك أن هذا المقصود بجامع كل واحد مما ذكر من المضي والاستقبال والإطلاق والتقييد، فيلزم مناسبة الجملتين في هذه الأمور ليزداد الحسن في الوصل بينهما فتقول: قام زيد وقعد عمرو، وزيد قائم وعمر قاعد، وزيد قام وعمرو قعد، ولا تقل: قام زيد وعمر قاعد، أو زيدا لقيته بنصب زيد، وعمرو مررت به برفع عمرو .

---

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص43

والثاني: أن تقصد النسبة في ضمن أي خصوصية كانت، فها هنا تجب رعاية التناسب أيضا .

الثالث[1]: أن يقصد مع النسبة خصوصية معينة، فلا تراعى المناسبة إذا لم تتفق الجملتان في تلك الخصوصية، مثل أن يراد في إحداهما الحدوث وفى الأخرى الثبوت، فيجب حينئذ ترك المناسبة ليلا يفوت المقصود، مثل قام زيد وعمر قاعد، ومثل أن يراد في إحداهما المضي وفى الأخرى المضارعة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[2]

قُلْتُ وفِي الشَّرْطِيَّةِ الظَّرْفِيَّهْ   والحَصْرِ والتَّاكِيدِ لِلْمَزِيَّهْ

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: ومما يحسن الوصل بين الجملتين التناسب في الشرطية، فإذا كانت الأولى مقيدة بشرط، فالأحسن أن تكون الثانية مقيدة به، والتناسب في الظرفية، فإذا كانت الأولى مقيدة أيضا بظرف، فالأحسن أن تكون الثانية كذلك، والتناسب في الحصر فإذا كانت الأولى فيها أداة حصر فالأحسن أن تكون الثانية كذلك، والتناسب في التأكيد، فإذا كانت الأولى مؤكدة بأن أو اللام، فالأحسن أن تكون الثانية كذلك .

قلت: ومحل كون التناسب بين الجملتين في هذه الأمور الأربعة محسنا للوصل حيث لم يتبين مانع لذلك التناسب، فحينئذ يجب ترك التناسب ليلا يفوت المقصود، مثل أن يراد في إحدى الجملتين الإطلاق، وفى الأخرى التقييد بالشرط مثلا نحو أكرمت زيدا وإن جئتني أكرمتك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾[3] فالجملة الأولى وهي قالوا مطلقة، والجملة الثانية وهي لقضي الأمر مقيدة بالشرط، وهو لو أنزلنا ملكا، والجملة معطوفة على قالوالا على المقول ؛ لأنها ليست من مقولهم، أو أن يراد في إحداهما التقييد بالظرف، وفى الأخرى الإطلاق، كقولك: قتل زيد وأهين عمر يوم الخميس، أو أن يراد في إحداهما الحصر، وفى الأخرى عدمه، كقولك: أكرمت زيدا وما أهنت إلا عمرا، أو أن يراد في إحداهما التأكيد وفى الأخرى الإرسال منه نحو إن زيدا قائم وعمرو قاعد .

(1) – هذه التنبيهات كلها ذكرها في فيض الفتاح ج2 ص44

(2) – سورة الحج، الآية: 25

(3) – سورة الأنعام، الآية: 8

تذنيـب

التذنيب جعل الشيء ذنابة بالكسر، وفى الصحاح: الذناب عقب كل شيء، وذنابة الوادي الموضع الذي ينتهي إليه سيله، وكذا الذُّنابة بالضم، والذانب التابع .

شبه تعقيب باب الفصل والوصل بالبحث عن الجملة الحالية، وكونها بالواو تارة وبدونها أخرى بالتذنيب .

الْأَصْـلُ فِي الْحَـالِ الْمُفِيـدِ نَقْلُـهُ خُلُـوُّهُ . .

يعنى أن الأصل في الحال المفيد نقل الوصف عن الموصوف أي الدالة على الانتقال أي الحال المنتقلة عن صاحبها مفردة كانت أو جملة خلوه أي الحال عن الواو لأنها وإن كانت في اللفظ فضلة يتم الكلام بدونها، فهي في المعنى حكم على صاحبها كالخبر بالنسبة إلى المبتدأ من حيث أنك تثبت بالحال المعنى لذي الحال كما تثبته بالخبر، فإنك في قولك: جاء زيد راكبا، تثبت الركوب لزيد كما في قولك: زيد راكب، ووصف له كالنعت فكل منهما لا يصح عطفه على موصوفه فكذا الحال .

وفى المطول: الفرق بين الحال والنعت أنك تقصد في الحال أن صاحبها كان على هذا الوصف حال مباشرة الفعل، فهو قيد للفعل وبيان لكيفية وقوع الفعل، بخلاف النعت فإن المقصود بيان حصول هذا الوصف لذات المنعوت من غير نظر إلى كونه مباشرا للفعل أو غير مباشر، ولهذا جاز أن تقع نحو الأسود والأبيض والطويل والقصير وما أشبه ذلك من الصفات التي لا انتقال فيها نعتا لا حالا، وبالجملة كما أن من حق الخبر والنعت أن يكونا بدون واو فكذلك الحال، فخرج بقوله المفيد نقله الحال المؤكدة، وهي المقررة لمعنى الجملة السابقة فلا تقترن بالواو أصلا كقولك: " هو الحق لا شبهة فيه [221]" لكمال الاتصال بينها مع ما قبلها لكونها مؤكدة .

فَإِنْ أَتَاكَ جُمْلَةً، تَحْتَجْ لِمَا يَرْبِطُهَا أي فإن أتاك الحال المفيد نقل الوصف عن الموصوف جملة تحتج لما يربطها، أي فإنها أي جملة الحال تحتاج حينئذ لما يربطها بصاحبها من واو أو ضمير أو هما لاستقلالها بالإفادة كالواقعة صلة أو خبرا وصفة، والأصل في الربط المضمر لأنه يقتصر عليه في الحال المفردة، والخبر والنعت والصلة، وإنما يعدل عنه إذا تعذر .

قال في فيض الفتاح: " والواو أشد في الربط لأنها الموضوعة له، فالحال لكونها فضلة بعد تمام

الكلام أحوج إلى الربط، فصدرت الجملة التي أصلها الاستقلال بما هو موضوع للربط، أعني الواو التي أصلها للجمع إيذانا من أول الأمر بأنها لم تبق على استقلالها، بخلاف المفردة فليست بمستقلة، والخبر فإنه جزء الكلام، والنعت فإنه لدلالته على معنى في المنعوت مع تبعيته له صار كأنه من تمامه، فاكتفي في الجميع بالضمير، فالربط في الجملة الحالية قد يكون بالواو إذا أريد زيادة الارتباط، وقد يكون بالضمير .

وقال بعضُهم: إن الضمير أقوى في الربط، لأنه يربط به جميع ما يحتاج إلى رابط، والضمير في الحال المفردة ليس للربط، بل لضرورة كونها مشتقة . "[1]

عَـنْ مُضْـمَرٍ فَهْـيَ بِـوَاوٍ قُرِنَـتْ

يعنى أن جملة الحال إذا خلت عن ضمير صاحبها قرنت بواو وجوبا، لتكون مرتبطة به غير منقطعة فلا يجوز " خرجت، زيد بالباب " وجوزه بعضهم عند ظهور الملابسة على قلة .

وَكُـلُّ جُمْلَـةٍ تُـرَى عَـنْ مُضْـمَرِ ... مَـا صَـحَّ عَنْـهُ نَصْـبُهَا حَـالاً عَـرِي
يَصِـحُّ أَنْ يَكُـونَ حَـالاً عَنْـهُ ... بِالْـوَاوِ . .

يعنى أن كل جملة ترى حال كونها حالا عارية أي خالية عن ضمير الاسم الذي صح نصبها عنه، يصح أن تكون حالا منه أي من ذلك الاسم الخالية عن ضميره حال كونها مرتبطة معه بالواو .

قوله: كل جملة إلخ وقوله ترى بالبناء للمفعول، ونائبه ضمير عائد إلى الجملة، والجملة خبر المبتدأ، وقوله حالا منصوب على الحالية من ضمير النائب في ترى، وقوله عرى بكسر العين، فعل ماض مبني للفاعل وفاعله ضمير عائد إلى قوله حالا والجملة في موضع النعت له، وقوله عن مضمر جار ومجرور متعلق بقوله عرى .

أَمَّا إِنْ تَكُنْ الجملة الحالية حَوَتْهُ أي الضمير ضمير صاحبها فإنها تنقسم إلى قسمين .

فَمَـا عَلَـى حُصُـولِ وصْـفٍ قَـدْ ثَبَـتْ ... مُقَـارِنٍ لِمَـا لَـهُ قَـدْ قُيِّـدَتْ
دَلَّ فَضَـاهَى الْمُفْـرَدَ الْمُوَصَّـلا ... فَـامْنَعْ بِهَـا الْـوَاوَ ومَـا لَـيْسَ فَـلا

يعنى أن الحال الذي دل على حصول وصف غير ثابت مقارن لما له قد قيدت، أي مقارن ذلك

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص49

الحصول لما جعلت الحال قيدا له أعني العامل ؛ لأن الغرض من الحال تخصيص وقوع مضمون عاملها بوقت حصول مضمون الحال، وهذا هو معنى المقارنة، فبسبب دلالته على ذلك الحصول ضاهى أي شابه الحال المفرد المؤصلا أي الذي له الأصالة في الإعراب، لعراقة المفردات في الإعراب وتطفل الجمل عليها [222] فيه بوقوعها موقعها ؛ لأن الحال المفردة تدل على حصول وصف غير ثابت مقارن لما جعلت الحال قيدا له .

فامنع بها أي الحال الواقعة جملة دالة على حصول وصف غير ثابت مقارن لما جعلت الحال قيدا له الواو أي دخولها فيها وارتباطها بها كما يمنع ذلك في الحال المفردة لشبهها بها معنى وتقييدا .

والفاء في قوله فما تفريعية، وقوله ما ثبت من الجملة المنفية بما في محل نعت لقوله وصف، وقوله مقارن بالجر نعت لقوله حصول المجرور بعلى وهو متعلق بقوله دل، وهو فعل ماض مبني للفاعل وفاعله ضمير عائد إلى ما، والجملة صلة ما، والفاء في قوله فضاهى سببية .

وَمَا لَيْسَ فَلا أي والحال الجملة الذي ليس دالا على حصول وصف غير ثابت مقارن لما جعلت الحال قيدا له، بأن دل على الحصول دون المقارنة أو على المقارنة دون الحصول، فلا يمتنع فيه دخول الواو، لعدم شبهها بالحال المفردة .

قوله: وما مبتدأ وهو اسم موصول فيه معنى الشرط واسم ليس ضمير عائد إليه وخبرها محذوف تقديره كذلك، والجملة صلة الموصول، وقوله فلا بحذف المنفي والاستغناء عنه بحرف النفي خبر المبتدأ، وتقدير المنفي المحذوف: فلا يمتنع دخول فيه، والفاء فاء الجزاء .

فَأَوَّلٌ أي فالحال الأول الذي يمتنع دخول الواو فيه، لدلالته على حصول وصف غير ثابت مقارن لما جعلت الحال قيدا له، **مُضَارِعٌ قَدْ أُثْبِتَا** أي الحال المصورة من مضارع مثبت، نحو جاء زيد يضحك .

وَالاقْتِرَانُ أي اقتران حصول الوصف بما جعلت الحال قيدا له ثابت **إِذْ مُضَارِعًا أَتَى** أي لأجل مجيء الحال، حال كونه مضارعا أي في صورة المضارع، والمضارع يدل على الحال، وإذا كان دالا على الحال وجب اقتران حصول مضمونه بحصول مضمون العامل، **وبِالثُّبُوتِ فَالصِّفَاتُ تَحْصُلُ** أي وبسبب الثبوت أي ثبوت المضارع أي عدم كونه منفيا فالصفات تحصل أي فيجب حصول الصفة،

لأنه إذا كان مثبتا وجب حصول الوصف لصاحب الحال، وأما كون الصفة غير ثابتة فلكون الحال فعلا، وهو يدل على التجدد أي الانتقال وعدم الثبوت .

والمعنى: فأما دلالته على اقتران حصول مضمون الصفة بحصول مضمون العامل، فلكونه مضارعا، وهو يدل على الحال، وأما دلالته على حصول الوصف لصاحبها، فلكون المضارع مثبتا، وأما دلالته على كون الوصف غير ثابت، فلكونه فعلا، وهو يدل على التجدد وعدم الثبوت، فقولك: جاء زيد يضحك، يدل على حصول ضحك لزيد منتقل عنه وغير ثابت له، مقارن ذلك الحصول، لحصول مجيئه كما يدل عليه قولك: جاء زيد ضاحكا، فلذا امتنع جاء زيد ويضحك، كما امتنع جاء زيد وضاحكا .

وَمَا حَوَاهَا شَذَّ أَوْ مُؤَوَّلُ أي والذي حويالواو من الحال المصورة بالمضارع المثبت شذ أي [223]انفرد وخرج عن القانون البياني، أو هو مؤول بما يصلح للواو نحو قمت وأصك عينه، وقول الشاعر:

فلمَّا خَشِيتُ أَظافِرَهُمْ ... نجوتُ وأَرْهنُهُمْ مالِكا

فقيل الأول شاذ والثاني ضرورة، وقيل هما مؤولان على حذف المبتدأ أي وأنا أصك عينه، وأنا أرهنهم مالكا .

وقال عبد القاهر: الواو فيهما للعطف، والأصل قمت وصككت عينه، ونجوت ورهنت مالكا، وعدل إلى المضارع لحكاية الحال .

قوله: أو مؤولا خبر مبتدأ محذوف أي أو هو مؤول واو عاطفة للجملة الاسمية على الجملة الفعلية .

وَإِنْ نُفِيْ تَجَوَّزَا لِكَوْنِهِ ... دَلَّ عَلَى الْقِرَانِ لا حُصُولِهِ

أي وإن نفي المضارع، أي لم يكن مثبتا، فقد جوزا أي الأمران ترك الواو وذكرها، لكونه أي المضارع المنفي يدل على مقارنة الوصف المنفي لما جعلت الحال قيدا له، وهو العامل، لكونه مضارعا، ولا يدل على حصول الوصف أي ثبوته للموصوف الذي هو صاحب الحال، لكونه منفيا، إذ المانع من الواو مجموع كون الفعل دالا على حصول الوصف للموصوف، ومقارنة ذلك

الحصول للعامل، فزالت دلالته على حصول الوصف للموصوف بسبب النفي وبقيت دلالته على مقارنة الوصف المنفي للعامل، لبقاء المضارعة، وبزوال جزء العلة يزول المعلول الذي هو الامتناع، فيجوز الإتيان بالواو وتركها اكتفاء بالضمير، نحو قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمَا ولاَ تَتَّبِعَنِّ﴾[1] بقراءة التخفيف، فتكون لا للنفي لا للنهي، لثبوت النون التي هي علامة الرفع، فلا يصح عطفه على الأمر فتكون الواو للحال، وقوله: ﴿وَمَا لَنَا لاَ نُومِنُ بِاللَّهِ﴾[2] أي حال كوننا غير مؤمنين، فالفعل المنفي حال بدون الواو .

قوله: فجوزا فعل ماض مبني للنائب نائبه ألف التثنية، ودخول فاء الجزاء فيه ضرورة، لصلاحيته للشرطية، وقوله نفي في صدر البيت فعل ماض مبني للنائب أيضا نائبه ضمير عائد إلى المضارع، والضمير في لكونه عائد إليه أيضا، وقوله لا حصوله بالجر معطوف على قوله القران المجرور بعلى، والضمير في حصوله عائد إلى الوصف .

كَمُثْبَــتِ الْمَاضِــي فَلِلْحُصُــولِ لا لِلاِقْـــــــــــــــــتِرَانِ . .

أي كما يجوز الأمر إن ترك الواو، وذكرها في الحال المصورة من المضارع المنفي يجوز إن في الحال المصورة من الماضي المثبت، لأنه يدل على الحصول أي حصول الوصف للموصوف الذي هو صاحب الحال، لكونه مثبتا، ولا يدل على الاقتران أي اقتران ذلك الحصول لما جعلت الحال قيدا له، وهو العامل لكونه ماضيا .

وَلِذَا قَدْ دَخَلا مُقَرِّبًا أي ولأجل كون الماضي المثبت لا يدل على الاقتران فقد اشترط بعض العلماء أن يكون مع قد ظاهرة نحو ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾[3] أو مقدرة نحو ﴿جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾[4] لأنها تقرب الماضي من الحال، هذا رأي جمهور النحاة .

. وبَعْضُـــــــــهُمْ لَمْ يَشْــــــتَرِطْ وقَــالَ مَــنْ أَوْجَبَهَــا فَقَــدْ غَلَــطْ

(1) – سورة يونس، الآية: 89

(2) – سورة المائدة، الآية: 84

(3) – سورة آل عمران، الآية: 40

(4) – سورة النساء، الآية: 90

يعنى أن بعض النحاة والبيانيين لم يشترط دخول قد في الحال المعقودة من ماض مثبت، وقال إن الذي أوجبها قد غلط، [224] ظانا أن حال الزمان والحال المبينة للهيئة واحدة، وليس كذلك كما لا يخفى على من تأمل، ولفظ قد إنما تقرب الماضي من الحال التي هي زمان التكلم، ولا تقرب مضمون الحال المبينة للهيئة من مضمون عاملها، واختار هذا القول أبو حيان وجماعة منهم الكافيجي .

وتقرير البيتين: كما يجوز ترك الواو وذكرها في الحال المصوغة من مضارع منفي، يجوز ذلك فيها أيضا إذا كانت مصوغة من ماض مثبت، أما جواز الأمرين في المصوغة من المضارع المنفي فلما تقدم، وأما جوازهما في المصوغة من الماضي المثبت، فلكونه مفيدا للحصول، أي حصول الوصف للموصوف الذي هو صاحب الحال، لكونه مثبتا، ولا يفيد للاقتران أي اقتران ذلك الحصول بالعامل، لكونه ماضيا، إذ هو يدل على الانقطاع، ولذا أي ولأجل عدم دلالته على الاقتران المذكور دخل قد عليه لفظا أو تقديرا، حال كونه مقربا له أي لمضمونه من مضمون عامله، وبعضهم أي النحويين والبيانيين لم يشترط دخول قد عليه، وقال إن الذي أوجبها فيه قد غلط، ظانا أن حال الزمان والحال المبينة للهيئة واحدة، وليس كذلك .

وَمَا نُفِي فَلا حُصُولَ إِذْ نُفِي ... ولَكِنِ اقْتِرَانُهُ حَقًّا يَفِي
لأَنَّ لَمَّا نَفْيَهَا يَسْتَغْرِقُ ... وغَيْرَهَا نَفْيٌ لِمَا قَدْ يَسْبِقُ
وَالْأَصْلُ الِاسْتِمْرَارُ فِيهِ فَإِذَا ... أَطْلَقْتَهُ فَالِاقْتِرَانُ يُحْتَذَى
خِلافَ مُثْبَتٍ فَإِنَّ الْفِعْلا ... بِوَضْعِهِ عَلَى الْحُدُوثِ دَلَّا

يعنى أن ما نفي من الحال المصوغة من الماضي بلم أو لما أو ما أي الحال المصوغة من ماض منفي، يجوز فيه الأمران ترك الواو وذكرها، أما جواز تركها فيه فلأنه لا حصول فيه أي لا يدل على حصول الوصف للموصوف الذي هو صاحب الحال إذ نفي أي لأجل كونه منفيا، ولكن اقترانه أي ذلك الحصول بما جعلت الحال قيدا له يفي وفاء حقا أي يجيء مجيئا ثابتا لا شك فيه، فلذا جاز فيه ذكر الواو، والعلة في دلالة الحال المصوغة من ماض منفي بلما أو لم على الاقتران المذكور أن لما تدل على استغراق النفي أي امتداده من حين الانتفاء إلى زمان التكلم كقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن

تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ ولَمَّا يَاتِكُم مَّثَلُ ٱلذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم﴾[1]

وغيرها أي غير لمَّا من حروف النفي مثل لم وما نفي لما قد يسبق أي لزمن سابق على زمن التكلم يدل على النفي في زمن ماض سابق على زمان التكلم، ولكن الأصل فيه الاستمرار أي الامتداد إلى حين التكلم حتى تظهر قرينة على الانقطاع، فإذا أطلقته أي النفي بأن لم تقيده بزمن فالاستمرار فيه والاقتران بزمان التكلم والعامل يحتذى أي يتبع، يعنى أن النفي بغير لما من أدوات النفي يحمل عند الإطلاق على الاستمرار والاقتران بزمان التكلم .

قوله: خلاف مثبت يعنى أن الماضي المنفي مخالف للماضي المثبت في الدلالة على الاستمرار من حين النفي إلى زمان التكلم، والمثبت يدل على الانقطاع ؛ لأن الفعل يدل بوضعه على الحدوث والانقطاع . [225]

قوله: إذ نفي ببناء نفي للنائب، وإذ حرف تعليل أو ظرف فيه معنى التعليل، وقوله حقا بالنصب حال من فاعل يفي، وهو ضمير عائد إلى المبتدأ وهو اقترانه، وجملة يفي خبره، وقوله خلاف مثبت بالنصب حال من نائب يفي، والألف في قوله الفعلا في ضرب البيت وفى قوله دلا في عروضه ألف الإطلاق .

وَإِنْ تَكُـــــنْ إِسْمِيَّـــــةً فَالْمُرْتَضَـــــى   جَـوَازُ تَرْكِهَـا كَعَكْـسِ مَـا مَضَـى

فِي مُثْبَتِ الْمَاضِي يعنى أن الحال إذا كانت جملة اسمية فالمرتضى عند البيانيين والمشهور جواز تركها أي الواو، لأجل تعليل عكس التعليل الذي مضى أي تقدم في الماضي المثبت، وهو دلالتها على المقارنة للعامل لكونها دائمة مستمرة، ولا تدل على حصول صفة غير ثابتة، بل تدل على حصول صفة ثابتة، لدلالتها على الثبوت والدوام، نحو " كلمته فُوه إلى فِيَّ "

فِي مُثْبَـتِ الْمَاضِـي ولَكِـنْ رُجِّحَـا   دُخُولُـهُ إِذِ الثُّبُـوتُ مَـا انْمَحَـى
مَـعْ كَـوْنِ الِاسْـتِئْنَافِ فِيهـا قَـدْ بَـدَا

يعنى أن بعض البيانيين رجح دخول الواو في الحال الواقعة جملة اسمية، إذ الثبوت ما انمحى أي لأجل عدم انمحاء دلالتها على الثبوت، بل هي دالة عليه حينئذ مع كون الاستئناف فيها ظاهرا،

(1) – سورة البقرة، الآية: 214

فحسن زيادة رابط نحو ﴿وَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ 21﴾[1]

وَقِيلَ إِلْزَمْ إِذْ يَكُونُ الْمُبْتَدَا، ضَمِيرَ ذِي الْحَالِ أي وقال بعض البيانيين إلزم أي أوجب دخول الواو في الحال الواقعة جملة اسمية حين يكون المبتدأ ضمير صاحب الحال، سواء كان خبره فعلا أو اسما نحو جاء زيد وهو يسرع أو وهو مسرع ؛ لأن الفائدة كانت حاصلة بدون الضمير، فالإتيان به يشعر بقصد الاستئناف المنافي للاتصال، فلا يصلح أن يستقل بالربط فتجب الواو .

وإنْ يَسْبِقْ خَبَرْ ظَرْفٌ فَحُسْنُ تَرْكِهَا قَدِ اسْتَقَرّْ .

أي وإن يسبق الخبر على المبتدأ في الجملة الاسمية الواقعة حالا حال كونه ظرفا فحسن ترك الواو، قد استقر أي ثبت عند البيانيين نحو خرج زيد على كتفه سيف، وكقول بشار:

إذَا أنْكَرَتْني بَلْدةٌ أوْ نَكِرْتُهَا خرجْتُ مَعَ البازي علَيَّ سَوادُ

أي بقية ليل، فعلى كتفه سيف وعلى سواد حالان ترك الواو فيهما مستحسن عند البيانيين، وإنما استحسنوه لأن نحو على كتفه سيف، يحتمل أن يكون في تقدير المفرد أي حاملا سيفا أو مغلسا، وأن يكون جملة اسمية قدم خبرها، وأن يكون فعلية مقدرة بالماضي أو المضارع، أي وقد حمل سيفا، وقد غلست، أو يحمل سيفا وأغلس، فعلى تقديرها بالمفرد أو المضارع يمتنع الواو فيها، وعلى تقديرها بالماضي أو إبقائها جملة اسمية يجوز ترك الواو وذكرها، فلذا كثر تركها واستحسن .

كَذَا لِحَرْفٍ دَاخِلٍ فِي الْمُبْتَدَا أَوْ تَلَتِ الْجُمْلَةُ حَالاً مُفْرَدَا

أي كذا استحسن ترك الواو في الحال الواقعة جملة اسمية، بسبب حرف داخل في المبتدأ أي عليه، يحصل بذلك الحرف نوع من الارتباط، كقول الفرزدق:

فقلتُ عَسَى أن تُبْصِريني كأنَّما بَنِيَّ حَوالَيَّ الأُسُودُ الحَوارِدُ

جمع حاردة من حرد [226] إذا غضب، فقوله بَنِيَّ الأسودُ جملة اسمية وقعت حالا من مفعول تبصريني، ولولا دخول كأن عليها لم يحسن ترك الواو، وقوله حوالي أي في أكتافي وجوانبي حال من بنى لما في حرف التشبيه من معنى الفعل .

قوله: أو تلت الجملة حالا مفردا يعنى أن الجملة الاسمية الواقعة حالا إذا تبعت مفردة فإنها

(1) - سورة البقرة، الآية: 22

يستحسن ترك الواو فيها كقول ابن الرومي:

والله يُقيك لنا سالما ... بُرداكَ تبجيل وتعظيم

فلو لم تتقدم الحال المفردة لم يحسن ترك الواو في الحال وهي قوله برداك بتبجيل وتعظيم .

قال في الإيضاح: " هذا كله إذا لم يكن صاحب الحال نكرة مقدمة، فإن كان نحو جاءني رجل وعلى كتفه سيف، وجبت الواو ليلا يشتبه الحال بالنعت . "[1]

قُلْتُ وذَاتُ الشَّرْطِ واوًا تَلْزَمُ ... إذْ فَقَدَتْ مَا لامْتِنَاعِ يَحْتِمُ

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: إن الجملة ذات الشرط أي الجملة الشرطية إذا وقعت حالا تلزم الواو أي يلزم دخول الواو فيها نحو جاء زيد وإن يسأل يُعط، فاقترنت بالواو وجوبا لأجل أنها فقدت ما يحتم أي يوجب امتناع الواو، وهو حصول الوصف للموصوف، واقتران الحصول بالعامل، فبعدت عن الحال المفردة، لزوال كل من خاصتها، وقد جزم أبو حيان في الارتشاف بجواز وقوع الشرطية حالا، وكذا أعرب الزمخشري قوله تعالى ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾[2] حالا .

قوله: وذات شرط مبتدأ، وقوله تلزم مبني للفاعل، وفاعله ضمير عائد إلى ذات الشرط، وقوله واوا بالنصب مفعوله مقدما عليه، والجملة خبر المبتدأ، وإذ في قوله إذ فقدت حرف تعليل أو ظرف فيه معنى التعليل، وقوله لامتناع بالنصب مفعول مقدم ليحتم، والجملة صلة ما، انتهى .

المساواة والإيجاز والإطناب

هذا هو الباب الثامن وهو من أعظم أبواب البلاغة، حتى نقل صاحب سر الفصاحة عن بعضهم أنه قال: البلاغة هي الإيجاز والإطناب .

قال صاحب الكشاف[3]: " وكما يجب على البليغ في مظانّ الإجمال والإيجاز أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والإشباع أن يفصل ويشبع .

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص49

(2) - سورة الأعراف، الآية: 176

(3) - «تفسير الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل» ج1 ص79 ط3 دار الكتاب العربي.

أنشد الجاحظ يصف البلغاء:

يُوحُونَ بالخُطَبِ الطِّوَالِ وتَارَةً ... وحْيَ المُلَاحِظِ خِيفَةَ الرُّقَبَاءِ[1]

والإيجاز لغة التقصير، يقال أوجزت الكلام قصرته، يستعمل متعديا وقاصرا، وهو والاختصار بمعنى واحد، كما يؤخذ من المفتاح، وصرح به الخطيبي .

وقال بعضهم: الاختصار خاص بحذف الجمل فقط بخلاف الإيجاز .

قال الشيخ بهاء الدين: وليس بشيء .

والإطناب لغة المبالغة، يقال أطنب في الكلام أي بالغ فيه، وهو بمعنى الإسهاب، والحق أنه أخص منه، فالإسهاب التطويل لفائدة أو لا لفائدة، كما ذكره التنوخي وغيره، بخلاف الإطناب فإنه لا يكون إلا لفائدة، وأشار الناظم [227] إلى حد المساواة والإطناب والإيجاز في الاصطلاح بقوله:

الْمُفْهِمُ الْمُرَادَ مِمَّا يُقْبَلُ ... إِنْ لَفْظُهُ سَاوَاهُ فَهْوَ الأَوَّلُ

أَوْ زَادَ مَعْ فَائِدَةٍ فَالثَّانِ أَوْ ... وفَى بِنَقْصٍ فَهْوَ الِايْجَازُ رَأَوْا

فَخَرَجَ التَّطْوِيلُ والحَشْوُ كَمَعْ ... فَائِدَةٍ وبِالوَفَا الإِخْلالَ دَعْ

يعنى أن اللفظ المفهم للمعنى المراد أي الذي يفهم منه المعنى المراد إذا ساوى لفظه معناه بأن كانا متساويين ليس في أحدهما زيادة على الآخر، فهو القسم الأول من طرق التعبير عن المراد، وهو المسمى بالمساواة، وإذا زاد اللفظ على معناه مع فائدة في الزيادة أي مع كون الزيادة لفائدة، فهو القسم الثاني من طرق التعبير عن المراد، وهو المسمى بالإطناب، أو وفى بنقص أي وإذا وفى اللفظ بالمعنى المراد مع نقص اللفظ عن المعنى، فهو الإيجاز، أو أي فهو القسم الثالث من الطرق المسمى بالإيجاز، فخرجت الزيادة للتطويل، وهو زيادة لفظ غير متعين لغير فائدة، كقول عدي يذكر غدر الزبا لجذيمة:

وَقَدَّدَتِ الْأَدِيمَ لِرَاهِشِيهِ ... وأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا ومَيْنَا[2]

والكذب والمين بمعنى واحد .

---

[1] - أنشده الجاحظ. وروى «يرمون» استعار الرمي لإخراج الكلام من الفم بكثرة على طريق التصريح

[2] - البيت من الوافر، وهو لعدى بن زيد في ذيل ديوانه ص 183، قددت: قطعت. الراهشان عرقان في باطن الذراعين. والضمير في (راهشيه) وفى (ألفى) لجذيمة بن الأبرش وفى (قددت) وفى (قولها) للزباء

قال السعد: ولا فائدة في الجمع بينهما، فتعينت زيادة الكذب أو المين، ولا مرجح .

قال في العروس: " وفيه نظر ؛ لأن ذكر الشيء مرتين فيه فائدة التأكيد، وقد قال النحاة: إن الشيء يعطف على نفسه تأكيدا، وعدم تعين الزائد لا يدفعها . والفائدة التأكيدية معتبرة في الإطناب كما ستراه في غير ما موضع "[1]

وخرج الحشو وهو الزيادة لا لفائدة، لكن الزائد متعين، سواء كان الحشو مفسدا للمعنى كالندا في قوله:

ولا فَضْــلَ فِيهــا للشَّــجَاعَة والنَّــدى وصَــبْرِ الفــتى لــولا لِقَــاءُ شَــعُوبِ[2]

مفهومه أن لا فضل للشجاعة والكرم والصبر لولا الموت، وهو مستقيم في الشجاعة والصبر ؛ لأن المقدام إذا تيقن الموت وأقدم عليه حمد، وكذلك دون الندى ؛ لأن من تيقن الموت وتخليف المال لم يحمد على الكرم والبذل، وإنما يحمد عليه من يرجو الحياة ويخاف الحاجة .

قلت: ومعنى تعيين الزائد المفسد المعنى أنه لم يتقدم لفظ يؤدي معناه فيغني عنه مع كونه مقصودا، أو غير مفسد له كقوله:

وَأَعْلَــمُ عِلْــمَ الْيَــوْمِ والْأَمْــسِ قَبْلَــهُ ولَكِنَّــنِي عَــنْ عِلْــمِ مَــا فِي غَــدٍ عَمِــي

فقوله: قبله حشو لا فائدة فيه مع أنه غير مفسد للمعنى، خرجا بقوله مع فائدة في تعريف الإطناب وتقييد الزيادة وبيانها، ودع أي اخرج الإخلال بالمعنى بقيد الوفاء في قوله في تعريف الإيجاز أو وفى بنقص، والإخلال هو أن يكون اللفظ ناقصا عن المعنى المقصود غير واف ببيانه، كقول الحارث:

والعــــيشُ خـــيرٌ فِي ظــلا ل النُّــوك ممّــن عَــاشَ كَــدّا [3]

إذ المعنى المقصود أن العيش الناعم في ظلال النوك أي الحمق خير من العيش الشاق في ظلال العقل، ولفظه غير واف به .

قال الناظم[228] في شرحه: إن المقام يدل عليه، وهو من باب الاحتباك .

(1) - عروس الأفراح م س ج1 ص580

(2) - البيت من الطويل، وهو لأبى الطيب المتنبى في شرح ديوانه (2/ 73 - دار الكتب العلمية) وشعوب اسم من أسماء الموت.

(3) - البيت من مجزوء الكامل، وهو للحارث بن حلزة في ديوانه ص 47، والأغانى (11/ 44)

قال في فيض الفتاح: " ونظر في المطول في كون البيت من الإخلال بما غايته ما فهم منه أن يكون العيش في ظلال النوك كناية عن العيش الناعم، والعيش الشاق عن عيش العقلاء، فيكون معناه العيش الناعم خير من العيش الشاق، ورده الفنري بأن هذا ليس مقصود الشاعر بل مقصوده أن العيش الناعم وإن كان مع رذيلة الجهل والحماقة خير عنده من العيش الشاق وإن كان مع فضيلة العلم والعقل، ولا خلاف أن عبارته قاصرة عن أداء هذا المعنى . "[1]

وَمَـــنْ نَفَـــى حَـــدَّهُمَا أَوِ ادَّعَـــى فَقْـــدَ المُسَـــاوَاةِ فَلَـــنْ يُتَّبَعَـــا

يعنى أن من نفى حد الإيجاز والإطناب أي أنكر كونهما محدودين أي معرفين وهو السكاكي والطيبي قالا: إنهما لكونهما من الأمور النسبية لا يمكن حدهما ولا تعريفهما ولا بتيسير الكلام فيهما إلا بترك التحقيق والدخول إلى أمر عرفي، وهو متعارف كلام الأوساط الذين ليسوا في مرتبة البلاغة، فالإيجاز أداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف، والإطناب أداؤه بأكثر منها، وتارة يرجع فيه إلى كون المقام خليقا بأبسط مما ذكر .

قال صاحب التلخيص: " وفيه نظر ؛ لأن كون الشيء نسبيا لا يقتضي تعسر تحقق معناه والبناء على المتعارف رد إلى الجهالة، ومن ادعى فقد المساواة وقال إنها داخلة في الإيجاز وهو ابن الأثير فقال: الإيجاز التعبير عن المعنى المراد بلفظ غير زائد عليه، والإطناب التعبير عنه بلفظ زائد عليه لفائدة بلا واسطة عنده . "[2]

فلن يتبعا أي لا يتبع قول من قال بنفي حد الإيجاز والإطناب وهو السكاكي، ولا قول من قال بنفي المساواة وهو ابن الأثير في كنز البراعة، بل ينبذ لضعفه .

وتقرير البيت: ومن نفى أي أنكر حدهما أي الإيجاز والإطناب بأن قال إنهما لا يحدان لكونهما من الأمور النسبية، أو ادعى فقد المساواة أي أنكر عدها قسما، فلن يتبعا أي لا يتبع قوله .

بِـــلا يَحِيـــقُ الْمَكْـــرُ مَثِّـــلْ أَوَّلا

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص51

(2) - «الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني» ج3 ص172 ت محمد ع المنعم خفاجي، ط3 دار الجيل

أي مثل القسم الأول، وهو المساواة بقوله ﷺ: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[1] ومثل لها في الإيضاح بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾[2]

واعترض عليه بأن في الآية الأولى إيجازا بحذف المستثنى منه، إن كان الاستثناء غير مفرغ، أي بأحد وبالقصر في الاستثناء وبكونها حادثة على كف الأذى عن جميع الناس محذرة من جميع ما يؤدى إليه، وبأن تقديرها يضر بصاحبه مضرة بليغة، فأخرج الكلام مخرج الاستعارة التبعية الواقعة على سبيل التمثيلية ؛ لأن يحيق بمعنى يحيط فلا يستعمل إلا في الأجسام، وإطنابا بوصف المكر بالسيئ إذ المكر لا [229] يكون إلا سيئا، وتعقب عليه في الآية الثانية بأن فيها إيجازا بحذف موصوف الذين .

وأجاب السعد عن حذف المستثنى منه في الأولى بأنه رعاية لأمر لفظي لا يفتقر إليه في تأدية أصل المعنى المراد، بل لو صرح به كان إطنابا بل تطويلا، أو بأن الاستثناء مفرغ، وأجاب في فيض الفتاح عن كون الوصف بالسيء إطنابا، بأن بعض المكر ليس بسيئ كما إذا كان جزاء لمكر سابق، والمكر الواقع جزاء ليس بسيئ كما في ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾[3] ويجاب عن حذف الموصوف في الآية الثانية بما تقدم من أن الحذف لرعاية أمر لفظي لا يفتقر إليه في تأدية أصل المعنى المراد .

ضَـرْبَانِ لِلإِيجَـازِ قَصْـرٌ قَـدْ خَـلا
مِـــــنْ حَـــــذْفِ شَـــــيْءٍ . .

يعنى أن الإيجاز له ضربان أي نوعان ضرب قد خلا من حذف شيء، أي نوع منه خال من حذف شيء ما، أي لا حذف فيه أصلا وهو المسمى إيجاز القصر، وهو ما ليس بسبب حذف، أو ما ليس محل حذف، قاله عصام، بل هو التعبير عن معنى كثير بلفظ قصير .

قال الشيخ بهاء الدين: الكلام القليل إن كان بعضا من كلام أكثر منه فهو إيجاز حذف، وإن كان

(1) - سورة فاطر، الآية: 43
(2) - سورة الأنعام، الآية: 68
(3) - سورة آل عمران، الآية: 54

كلاما يعطى معنى أطول منه فهو إيجاز قصر، وقال بعضهم: إيجاز القصر هو تكثير المعنى بتقليل اللفظ، وقال آخر: هو أن يكون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أقل من القدر المعهود عادة في تأدية ذلك المعنى، وسبب حسنه أنه يدل على التمكن في الفصاحة، ولهذا قال ﷺ: ((**أُوتيتُ جَوامِعَ الْكَلِمِ**)) [1]

وهذا الضرب الخالي من حذف شيء ما هو المسمى إيجاز القصر **آيَةُ الْقِصَاصِ** المذكورة في سورة البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ**﴾[2] فإن معناها كثير ولفظها يسير ؛ لأن معناها أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتَل قُتل كان ذلك داعيا إلى أن لا يقدم على القتل، فارتفع بالقتل الذي هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، وكان في ارتفاع القتل حياة لهم، ولا حذف فيه إذا أريد بالقصاص القتل المخصوص ؛ لأن المعنى ولكم في القتل حياة، وكذا إذا أريد به مشروعيته والحكم به مجازا ؛ لأن المعنى لكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة، وإن قدر مضاف أي في مشروعية القصاص كان فيه إيجاز الحذف **فَقَدْ حَوَتْ** هذه الآيَةُ **مَزَايِدَ اخْتِصَاصِ**

عَلَى الَّذِي أَوْجَزَ مَا فِيهِ شُهِرْ ... القَتْلُ أنفي بَعْدُ لِلقَتْلِ ذُكِرْ

يعنى أن هذه الآية قد حوت مزيد اختصاص من المعاني الرائقة الفائقة التي لا تنحصر فضلت به وترجحت على الكلام الذي أوجز ما اشتهر عن الفصحاء البلغاء في هذا المعنى وهو قولهم: " القتل أنفي للقتل " وقد فهم العلماء من تلك المعاني الرائقة الفائقة التي لا تنحصر، بل لا يحصى عددها إلا علام الغيوب عشرين معنى أشار في النظم إلى ستة منها بقوله: **بِقِلَّةِ الحُرُوفِ** لأن ما يناظر هذا الكلام من الآية الشريفة وهو في القصاص حياة عشرة حروف، وحروف القتل أنفي للقتل أربعة عشر حرفا .

والثاني و**النَّصِّ عَلَى مَطْلُوبِهِ** [230] أي النص على ما هو المطلوب بالذات أعني الحياة، فإن نفي القتل إنما يطلب لها لا لذاته .

والثالث و**النُّكْرِ تَعْظِيمًا جَلا** أي التنكير في حياة، لأجل تعظيم جلا، أي وضح وظهر، أي لكم في القصاص حياة عظيمة، لمنع القصاص إياهم عما كانوا عليه من قتل جماعة بواحد في غير قصاص،

(1) – تقدم تخريجه انظر ص 13

(2) – سورة البقرة، الآية: 179

وأما القصاص فتقتل فيه الجماعة بالواحد إذا تمالأت على قتله، [1] أو للنوعية أي لكم في القصاص نوع من الحياة، وهي حياة الذي يقصد قتله وحياة القاتل لارتداعه عن القتل .

وأشار إلى المعنى الرابع بقوله: **وبِالطِّبَاقِ** أي وفضلت الآية الشريفة أيضا على قول البلغاء من العرب " القتل أنفي للقتل " بالطباق أي المطابقة بين القصاص والحياة، وهو بديعية حسنة محسنة .

وأشار إلى المعنى الخامس بقوله: **وعَنِ التَّقْدِيرِ .. غِنًى** أي وفضلت أيضا بالاستغناء عن التقدير أي عدم احتياجها إلى تقدير محذوف، بخلاف قولهم فإنه يحتاج إليه أي القتل قصاصا أنفي للقتل ظلما من تركه، ففيه حذف من والمفضول، وحذف قصاصا مع القتل الأول وظلما مع الثاني .

والمعنى السادس:

. . وإِنْ خَـــلا عَـــنِ التَّكْرِيـــر

أي خلو الآية الكريمة عن التكرير، بخلاف قول العرب، وما يخلو عن التكرار أفضل مما يشتمل عليه، وإن لم يكن التكرار من حيث هو مخلا بالفصاحة .

السابع: أن الآية اشتملت على فن بديع، وهو جعل أحد الضدين الذي هو الموت محلا ومكانا لضده الذي هو الحياة، واستقرار الحياة في الموت مبالغة عظيمة، ذكره في الكشاف، وعبر عنه صاحب الإيضاح بأنه جعل القصاص كالمنبع للحياة والمعدن لها بإدخال في عليه .

الثامن: أن في المثل توالي أسباب كثيرة خفيفة وهي السكون بعد الحركة، وذلك مستكره، فإن اللفظ المنطوق به إذا توالت حركاته تمكن اللسان من النطق به، وظهرت فصاحته بخلاف ما إذا تعقب كل حركة سكون، فالحركات تنقطع بالسكنات، نظيره إذا تحركت الدابة أدنى حركة فحبست ثم تحركت لا يتبين إطلاقها ولا تتمكن من حركتها على ما نختاره، فهي كالمقيدة .

التاسع: أن المثل كالمتناقض من حيث الظاهر ؛ لأن الشيء لا ينفى نفسه .

العاشر: سلامة الآية من تكرير قلقلة القاف الموجب للضغط والشدة وبعدها عن غنة النون .

---

(1) - «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» (4/ 182):

«وأما قتل الجماعة بالواحد، فإن جمهور فقهاء الأمصار قالوا تقتل الجماعة بالواحد، منهم مالك وأبو حنيفة، والشافعي، والثوري، وأحمد، وأبو ثور وغيرهم، سواء كثرت الجماعة أو قلت، وبه قال عمر حتى روي أنه قال: لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم جميعا. وقال داود وأهل الظاهر: لا تقتل الجماعة بالواحد، وهو قول ابن الزبير، وبه قال الزهري، وروي عن جابر»

الحادي عشر: اشتمالها على حروف متلائمة لما فيها من الخروج من القاف إلى الصاد، إذ القاف من حروف الاستعلاء، والصاد من حروف الاستعلاء والإطباق، بخلاف الخروج من القاف إلى التاء التي هي حرف منخفض من حروف الهمس كما في المثل، فهو غير ملائم للقاف، وكذا الخروج من الصاد إلى الحاء أحسن من الخروج من اللام إلى الهمزة، لبعد ما دون طرف اللسان وأقصى الحلق . [231]

الثاني عشر: في النطق بالصاد والحاء والتاء حسن الصوت، ولا كذلك تكرير القاف والفاء .

الثالث عشر: سلامتها من لفظ القتل المشعر بالوحشة بخلاف لفظ الحياة، فإن الطباع أقبل له من لفظ القتل .

الرابع عشر: أن لفظ القصاص مشعر بالمساواة، فهو منبئ عن العدل بخلاف مطلق القتل .

الخامس عشر: الآية مبنية على الإنسان والمثل مبني على النفس، والإثبات أشرف لأنه الأصل، والنفي طار عليه .

السادس عشر: أن المثل لا يكاد يفهم إلا بعد فهم أن القصاص هو الحياة، وقوله: في القصاص حياة، مفهوم من أول وهلة .

السابع عشر: أن في المثل بناء أفعل التفضيل من فعل متعد، والآية سالمة منه .

الثامن عشر: أن أفعل في الغالب يقتضي الاشتراك، فيكون ترك القصاص نافيا للقتل، ولكن القصاص أكثر نفيا، وليس الأمر كذلك، والآية سالمة من ذلك .

التاسع عشر: أن الآية رادعة عن القتل والجرح معا، لشمول القصاص لهما، والحياة أيضا في قصاص الأعضاء ؛ لأن قطع العضو ينقص مصلحة الحياة، وقد يسرى إلى النفس فيزيلها، ولا كذلك المثل .

العشرون: أن الآية مطردة، بخلاف المثل، فإنه ليس كل قتل أنفي للقتل، بل قد يكون أدعى له، وهو القتل ظلما، وإنما ينفيه قتل خاص وهو القصاص ففيه حياة أبدا انتهى . "

قاله في الإتقان .[1]

قُلْـتُ لَقَـدْ قَسَّـمَ فِي التِّبْيَـانِ ذَا ... إِلَى ثَـلاثٍ كُـلُّ قِسْـمٍ يُحْتَـذَى
أَنْ يَقْصُـرَ اللَّفْـظُ عَلَـى مَعْنَـاهُ ... قَصْـرًا يَـرَى فَقْـدَ الَّـذِي سَـاوَاهُ
وَزَائِـدُ الْمَعْـنَى عَلَـى الْمَنْطُـوقِ ... إِيجَـازُ تَقْـدِيرٍ مَـعَ التَّضْـيِيق
وَالجَـامِعُ اللَّفْـظِ حَـوَى الْمَعَـانِي ... كَآيَـةِ العَـدْلِ مَـعَ الإِحْسَـان

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: قد قسم الطيبي في كتابه التبيان ذا الإيجاز الخالي من الحذف إلى ثلاثة أقسام، كل قسم يحتذي أي يتبع ويستقرى من تراكيب البلغاء:

الأول: أن يقصر اللفظ على معناه قصرا فيكون مساويا له لا أزيد ولا أنقص حال كون الطيبي يرى فقد الذي ساواه أي فقد المساواة، أو إن شرطية، والمعنى أن يقصر اللفظ على معناه أي إن يكن اللفظ مقصورا على معناه أي مساويا له لا أزيد ولا أنقص منه فهو قصر أي فهو المسمى إيجاز قصر، يرى فقد الذي ساواه أي قسم الطيبي الإيجاز الخالي من الحذف هذا التقسيم حال كونه يرى فقد المساواة أي عدم عدها قسما، وإذا كان المعنى زائدا على اللفظ المنطوق به فهو إيجاز تقدير وتضييق أي فهو المسمى إيجاز التقدير، وهو أن يقدر معنى زائدا على اللفظ المنطوق به وبالتضييق سماه في المصباح، لأنه نقص من الكلام ما صار لفظه أضيق من معناه .

مثال الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ 30 أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ 31﴾[2]جمع في أحرف العنوان والكتاب والحاجة، وقيل في وصف بليغ[232] كانت ألفاظه قوالب معناه .

ومثال الثاني: قوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾[3] أي خطاياه غفرت فهي له لا عليه، وقوله: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ 1﴾ أي الضالين الصائرين بعد الضلال إلى التقوى، وأشار إلى القسم الثالث بقوله: والجامع اللفظ إلخ، أي والقسم الثالث من أقسام الإيجاز الخالي من الحذف

(1) – الإتقان للسيوطي م س ج3 ص188.186

(2) – سورة النمل، الآية: 31.30

(3) – سورة البقرة، الآية: 275

اللفظ الجامع الذي حوى المعاني المتعددة، كآية العدل والإحسان وهي قوله تعالى في سورة النحل:

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[1]

فإن العدل هو: الصراط المستقيم المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط المومي به إلى جميع الواجبات في الاعتقاد والأخلاق والعبودية، والإحسان هو: الإخلاص في واجبات العبودية، لتفسيره في الحديث بقوله: ((**أَنْ تَعبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَراهُ**)) [2] أي تعبده مخلصا في نيتك وواقفا في الخضوع آخذا أهبة الحذر إلى ما لا يحصى، وإيتاء ذي القربى: هو الزيادة على الواجب من النوافل، هذا في الأوامر، وأما النواهي فبالفحشاء إشارة إلى القوة الشهوانية، وبالمنكر إلى الإفراط الحاصل من آثار المعصية أو كل محرم شرعا، وبالبغي إلى الاستعلاء الفائض عن الوهمية .

قلتُ: ولهذا قال ابن مسعود: " ما في القرآن آية أجمع للخير والشر من هذه الآية "

وروى البيهقي في الشعب عن الحسن أنه: « قَرَأَ يَوْمًا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: 90] إِلَى آخِرِهَا، ثُمَّ وقَفَ فَقَالَ: ((إِنَّ اللهَ ﷺ جَمَعَ لَكُمُ الْخَيْرَ كُلَّهُ، والشَّرَّ كُلَّهُ فِي آيَةٍ واحِدَةٍ فَوَاللهِ مَا تَرَكَ الْعَدْلُ، والْإِحْسَانُ مِنْ طَاعَةِ اللهِ شَيْئًا إِلَّا جَمَعَهُ، ولَا تَرَكَ الْفَحْشَاءُ، والْمُنْكَرُ والْبَغْيُ، مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ شَيْئًا إِلَّا جَمَعَهُ)) »[3]

وروى أيضا عن ابن شهاب في معنى حديث الشيخين: ((**بُعثتُ بجوامِعِ الكلمِ**)) [4]

قال: بلغني أن جوامع الكلم أن الله يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في

---

(1) - سورة النحل، الآية: 90

(2) - صحيح البخاري من حديث أبي هريرة، كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، وباب قوله: ﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾ الحديث رقم 4777/50 ج 1/6 ص 115/19، وصحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب، كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، وباب الإيمان ما هو وبيان خصاله، الحديث رقم 9/8 ج 1 ص 39/36

(3) - «شعب الإيمان» (1/ 295 ط الرشد) ت الدكتور ع العلي ع الحميد حامد، ط1 مكتبة الرشد بالرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي الهند.

(4) - صحيح البخاري من حديث أبي هريرة، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ص نصرت بالرعب مسيرة شهر، الحديث رقم 2977، 54/4

الأمر الواحد والأمرين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾[1] فإنها جامعة لمكارم الأخلاق ؛ لأن في أخذ العفو التساهل والتسامح في الحقوق، واللين والرفق في الدعاء إلى الدين، وفى الأمر بالعرف كف الأذى وغض البصر وما شاكلها من المحرمات، وفى الإعراض الصبر والحلم والتؤدة .[2]

تنبيـهان:

الأول: ذكر القاضي أبو بكر[3] في **إعجاز القرآن** أن من الإيجاز نزعا يسمى التضمين وهو حصول معنى في لفظ من غير ذكر له باسم هو عبارة عنه، قال: وهو نوعان:

أحدهما: ما يفهم من البنية، كقولك: معلوم، فإنه يوجب أنه لا بد من عالم .

والثاني: من معنى العبارة، كبسم الله الرحمن الرحيم، فإنه تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم لله والتبرك باسمه .

الثاني: ذكر ابن الأثير وصاحب عروس الأفراح وغيرهما أن من أنواع إيجاز القصر باب الحصر، سواء كان بإلا، أو بإنما، أو غيرهما من أدواته ؛[233] لأن الجملة فيهما نابت مناب جملتين، وباب العطف لأن حرفه وضع للإغناء عن إعادة العامل، وباب النائب عن الفاعل لأنه دل على الفاعل بإعطائه حكمه وعلى المفعول بوضعه، وباب الضمير لأنه وضع للاستغناء به عن الظاهر اختصارا،

---

(1) – سورة الأعراف، الآية: 199

(2) – الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج3 ص 183/182 ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

(3) القاضي أبو بكر الباقلاني (338 950/ه 402 – هم – 1013م) هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم القاضي أبو بكر الباقلاني البصري، الملقب بشيخ السنة، ولسان الأمة، المتكلم على مذهب أهل السنة والجماعة، وأهل الحديث وطريقة أبي الحسن الأشعري، أحد كبار علماء عصره انتهت إليه رئاسة المذهب الأشعري، وإليه انتهت رئاسة المالكية في وقته، ويُعد من أكابر أئمة الأشاعرة بعد مؤسسها أبي الحسن الأشعري، كما يعد من مجددي المائة الرابعة.مصادر ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب (364/3-369) ووفيات الأعيان (269/4-270). الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: 799هـ)، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، (228/2 – 229).

ولذا لا يعدل إلى المنفصل مع إمكان المتصل، ومنها باب التنازع إذا لم يقدر على رأي الفراء، ومنها جميع أدوات الاستفهام والشرط، فإن كم مالك ؟ يغنى عن قولك: هو عشرون أم ثلاثون ؟ وهكذا إلى ما لا يتناهى، ومنها الألفاظ الملازمة للعموم، كأحد وديار، ومنها لفظ التثنية والجمع، فإنه يغنى عن تكرير المفرد، وأقيم الحرف فيهما مقامه اختصارا، ومما يصلح أن يعد من أنواعه نوع يسمى الاتساع من أنواع البديع، وهو أن يؤتى بكلام يتسع فيه التأويل بحسب ما تحتمله ألفاظه من المعاني، كفواتح السور، ذكره ابن أبي الأصبغ .

قوله: أن يقصر بنصب المضارع المبني للنائب بأن المصدرية خبر مبتدأ محذوف أي الأول أن يقصر إلخ، وقوله قصرا مفعول مطلق، ويحتمل أن إن شرطية والفعل مجزوم بها، وقوله قصر بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي أن يقصر اللفظ على معناه فهو قصر .

وَالثَّانِ ذُو الْحَذْفِ يعنى أن الضرب الثاني من ضربي الإيجاز الإيجاز ذو الحذف أي صاحب الحذف، وهو ما كان بسبب حذف شيء من أصل الكلام من جزئي جملة، أو جملة أو أكثر .

فَمَا قَدْ حُذِفَا أي فالشيء الذي قد حذف من أصل الكلام للإيجاز إذا كان جزء جملة على أربعة أنواع:

الْحَذْفُ عَلَى أَنْوَاعٍ:

أَحَدُهَا: مَا يُسَمَّى بِالِاقْتِطَاعِ وهُوَ حَذْفُ بَعْضِ حُرُوفِ الْكَلِمَةِ .

وأَنْكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ ورُودَ هَذَا النَّوْعِ فِي الْقُرْآنِ ورُدَّ بِأَنَّ بَعْضَهُمْ جعَلَ مِنْهُ فَوَاتِحَ السُّوَرِ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ كُلَّ حَرْفٍ مِنْهَا مِنِ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ كَمَا تَقَدَّمَ وادَّعَى بَعْضُهُمْ أَنَّ الْبَاءَ فِي ﴿**وَامْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ**﴾ أَوَّلُ كَلِمَةِ بَعْضٍ ثُمَّ حُذِفَ الْبَاقِي ومِنْهُ قراءة بعضهم: ﴿**وَنَادَوْاْ يَـٰمَالِكُ**﴾ بِالتَّرْخِيمِ ولَمَّا سَمِعَهَا بَعْضُ السَّلَفِ قَالَ: مَا أَغْنَى أَهْلَ النَّارِ عَنِ التَّرْخِيمِ وأَجَابَ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُمْ لشدة ما همْ فيه عَجَزُوا عَنْ إِتْمَامِ الْكَلِمَةِ ويَدْخُلُ فِي هَذَا النَّوْعِ حَذْفُ هَمْزَةِ أَنَا فِي قَوْلِهِ: ﴿**لَّـٰكِنَّا هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي**﴾ إِذِ الْأَصْلُ لَكِنَّ أَنَا، حُذِفَتْ هَمْزَةُ أَنَا تَخْفِيفًا، وأُدْغِمَتِ النُّونُ فِي النُّونِ ومِثْلُهُ مَا قُرِئَ ﴿**وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ ان تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ**﴾ ﴿**بِمَآ انزِلَ إِلَيْكَ**﴾ ﴿**فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ**﴾ ﴿**إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ** 35﴾ ومنه قول الشاعر:

جاريةٌ قدَ اوْعَدتْني أنْ تا ... بِدُهْن راسي وبسَرِحه وتا

أي أن تأتيني وتدهن رأسي وتسرحه وتغسله، وقوله:

بالخيرِ خيراتٌ وإن شراً فا ... ولا أريد الشر إلا أن تا

أي وإن شرا فشر، وإلا أن تطلبه أو تريده .

الثاني: مَا يُسَمَّى بِالِاكْتِفَاءِ وهُوَ أَنْ يَقْتَضِيَ الْمَقَامُ ذِكْرَ شَيْئَيْنِ بَيْنَهُمَا تَلَازُمٌ وارْتِبَاطٌ فَيُكْتَفَى بِأَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ لِنُكْتَةٍ ويَخْتَصُّ غَالِبًا بِالِارْتِبَاطِ الْعَطْفِيِّ كَقَوْلِهِ تعالى: **﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾**[1] أي والبرد، وقوله: **﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ﴾**[2] أي والشر، وإِنَّمَا خَصَّ الْخَيْرَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ مَطْلُوبُ الْعِبَادِ ومَرْغُوبُهُمْ أَوْ [234] لِأَنَّهُ أَكْثَرُ وجُودًا فِي الْعَالَمِ أَوْ لِأَنَّ إِضَافَةَ الشَّرِّ إِلَى الله ليس من بابا الْآدَابِ ومنها: **﴿۞وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾**[3] أَيْ ومَا تَحَرَّكَ وخَصَّ السُّكُونَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ أَغْلَبُ الْحَالَيْنِ عَلَى الْمَخْلُوقِ مِنَ الْحَيَوَانِ والْجَمَادِ ولِأَنَّ كُلَّ مُتَحَرِّكٍ يَصِيرُ إِلَى السُّكُونِ .

وَمِنْهَا **﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾**[4] أَيْ والشَّهَادَةُ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِكُلٍّ مِنْهُمَا واجِبٌ وآثَرَ الْغَيْبَ لِأَنَّهُ أَمْدَحُ ولِأَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ الْإِيمَانَ بِالشَّهَادَةِ مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ .

الثالث: ما يسمى بالاحتباك، وهُوَ أَنْ يُحْذَفَ مِنَ الْأَوَّلِ مَا أُثْبِتَ نَظِيرُهُ فِي الثَّانِي ومِنَ الثَّانِي مَا أُثْبِتَ نَظِيرُهُ فِي الْأَوَّلِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ﴾**[5] التَّقْدِيرُ ومَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ والْكُفَّارِ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ والَّذِي يَنْعَقُ بِهِ فَحَذَفَ مِنَ الْأَوَّلِ الْأَنْبِيَاءَ لِدَلَالَةِ " الَّذِي يَنْعِقُ" عَلَيْهِ ومِنَ الثَّانِي الَّذِي يَنْعِقُ بِهِ لِدَلَالَةِ " الَّذِينَ كَفَرُوا" عَلَيْهِ .

﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ﴾[6] التقدير: التَّقْدِيرُ تَدْخُلُ غَيْرَ بَيْضَاءَ وأَخْرِجْهَا تَخْرُجُ بَيْضَاءَ

---

(1) – سورة النحل، الآية: 81

(2) – سورة آل عمران، الآية: 26

(3) – سورة الأنعام، الآية: 13

(4) – سورة البقرة، الآية: 3

(5) – سورة البقرة، الآية: 171

(6) – سورة النمل، الآية: 12

فَحَذَفَ مِنَ الْأَوَّلِ غَيْرَ بَيْضَاءَ .

وَقَالَ الزَّرْكَشِيُّ: هو أَنْ يَجْتَمِعَ فِي الْكَلَامِ مُتَقَابِلَانِ فَيُحْذَفُ مِنْ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا مُقَابِلُهُ لِدَلَالَةِ الْآخَرِ عَلَيْهِ كقوله تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾[1] أي عملا صالحا بسيئ، وآخر سيئا بصالح .[2]

الرابع: ما يسمى بالاختزال، وهو الذي ذكر الناظم، وهو أقسام، وأشار الناظم إلى بيانها بقوله:

مُضَافٌ أي من إيجاز الحذف حذف المضاف، نحو قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[3] أي أهل القرية، ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾[4] أي الحج أشهر، أو أشهر الحج، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾[5] أي ذو البر .

اوْ مَوْصُوفٌ أي ومنهحذف الموصوف، نحو ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾[6] أي حور قاصرات الطرف، وكقول الشاعر:

أنا ابـــنُ جـــلا وطـــلاعُ الثنـــايا ... مـــتى أضـــع العمامـــة تعرفـــوني[7]

أي أنا ابن رجل جلا الأمور أي كشفها أو انكشف أمره .

قال ياسين: وفي التلخيص أن المنعوت بالجملة أو الظرف لا يحذف إلا إذا كان بعض اسم مجرور بمِن أو في، نحو " منا ظعن ومنا أقام " أي منا فريق أقام، وقول الشاعر:

لـــوْ قلـــتُ مـــا في قومهـــا ... يفضـــلها في حســـب وميســـم

أي أحد يفضلها، لكن قضية كلام المطول عدم ارتضاء هذا الشرط .

اوْ مَا وصِفَا أي ومنه حذف الشيء الذي وصف، أي حذف الصفة، نحو قوله تعالى: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ

(1) – سورة التوبة، الآية: 102

(2) – الإتقان للسيوطي م س ج3 ص205.204

(3) – سورة يوسف، الآية: 82

(4) – سورة البقرة، الآية: 197

(5) – سورة البقرة، الآية: 177

(6) – سورة الصافات، الآية: 48، وسورة ص، الآية: 52

(7) – البيت من قطعة للشاعر سحيم بن وثيل الرياحي مشهورة، وقد تمثل به الحجاج بن يوسف الثقفي على منبر الكوفة في خطبة معروفة.

سَفِينَةٍ غَصْباً 78﴾[1] أي صالحة، بدليل أنه قرئ كذلك، وأن تعيينها لا يخرجها عن كونها سفينة، ﴿أَلْئَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾[2] أي الواضح .

أَوْ شَرْطٌ أي ومنه حذف الشرط، نحو " ليت لي مالا أنفقه " أي إن أرزقه أنفقه، وقوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾[3] أي إن أرادوا وليا فالله هو الولي .

. . أو جَوَابُـــــهُ خَصْـــرٌ عُـــنِي   أَوْ يَـــذْهَبُ السَّـــامِعُ كُـــلَّ مُمْكِـــن

أي ومنه حذف جواب الشرط، لأجل خصر أي اختصار عني أي قصد، أو لأجل أن يذهب السامع أي تذهب نفسه كل مذهب ممكن، ولا يتصور مطلوب ولا مكروه إلا ويجوز أن يكون الأمر أعظم منه، أو للتنبيه على أنه شيء لا يحيط[235] الوصف به، وإذا ذكر تعين فربما سهل عليه أمره، ألا ترى أن السيد إذا قال لعبده: والله لئن قمت إليك وسكت، تزاحم عليه من الظنون المعترضة للوعيد ما لا يتزاحم عليه لو نص على مؤاخذته بضرب من العذاب .

مثال الأول: وهو الحذف لأجل الاختصار قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ 44﴾[4] أي أعرضوا بدليل: ﴿وَمَا تَاتِيهِم مِّنَ ـايَةٍ مِّنَ ـايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ 5﴾[5]

ومثال الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ﴾[6]

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[7] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ﴾[8] أي لرأيت

(1) – سورة الكهف، الآية: 79
(2) – سورة البقرة، الآية: 71
(3) – سورة الشورى، الآية: 09
(4) – سورة يس، الآية: 45
(5) – سورة يس، الآية: 46
(6) – سورة الأنعام، الآية: 27
(7) – سورة سبأ، الآية: 31
(8) – السجدة، الآية: 12

أمرا فظيعا، وقوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ 20﴾[1] أي لعذبكم . ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾[2] أي لأبدت به .

قال في فيض الفتاح: " وهذا يخالف ما سبق في أحوال المسند من أن الكلام هو جملة الجزاء، والشرط قيد له، كما هو مذهب المفتاح والتلخيص، وأقره المحققان السعد والسيد إذ عليه يكون حذف الجواب حذف الجملة لا لجزء منها، بل هذا يناسب قول من قال: إن الكلام هو مجموع الجملتين، كذا أجاب به بعضهم، والصواب أن المراد بالجملة هنا ما بينه ارتباط، فمتعلقات المسند إليه هنا من أجزاء الجملة، فكذلك الجزاء من أجزاء الجملة بهذا الاعتبار، وهو ظاهر، ولذا قال السعد: يعنى بالجزء ما يذكر في الكلام ويتعلق به ولا يكون مستقلا، عمدة كان أو فضلة، مفردا كان أو جملة . "[3]

قوله: خصرا عنى بالنصب مفعول لأجله، وقوله أو يذهب بالنصب مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام معطوف على المفعول لأجله، وقوله كل ممكن بنصب كلا مفعول مطلق منصوب بقوله يذهب، وقوله عنى فعل ماض مبني للمفعول في محل نعت لقوله خصرا .

قُلْتُ وَمَوْصُولٌ أي قال الناظم من زيادته على التلخيص، ومنه حذف الموصول، كقوله تعالى: ﴿ءَامَنَّا بِالَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾[4] لأن الذي أنزل إلينا ليس الذي أنزل على من قبلنا .

وَوَصْلٌ أي ومنه حذف الوصل أي الصلة صلة الموصول .

قال السكاكي والطيبي: " كقول العرب: « جاء بعد اللتيا والتي » أي بعد الشدائد التي بلغت فظاعتها مبلغا يبهت السامع فلا يدرى ما يقول . "[5]

وَكَذَا .. جُزْءَا إِضَافَةٍ أي وكحذف الصلة حذف جزئي الإضافة المضاف والمضاف إليه في كون كل

(1) – سورة النور، الآية: 20

(2) – سورة القصص، الآية: 10

(3) – فيض الفتاح م س ج2 ص57

(4) – سورة العنكبوت، الآية: 46

(5) – «مفتاح العلوم» (ص280) م س

منهما من باب إيجاز الحذف، كقوله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾[1] أي من أثر حافر فرس الرسول، وقوله: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾[2] أي كدوران عين الذي يغشي عليه، وقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾[3] أي بدل شكر رزقكم .

وَثَانِيهَا خُذَا أي ومنه أي إيجاز الحذف حذف ثاني جزئي الإضافة وهو المضاف إليه، ويكثر في ياء المتكلم، نحو: [236] ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾[4] وفي الغايات نحو ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾[5] أي من قبل الغلب ومن بعده، وفي أي وكل وبعض، نحو ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾[6]

وَذُو تَعَلُّـــقٍ مَـــعَ الْمَجْـــرُورْ

وَذُو تَعَلُّقٍ مَعَ الْمَجْرُورْ أي ومنه حذف ذي التعلق لقيام المتعلِّق بالكسر مقامه، وحذف المجرور مع جاره .

فالأول: كقوله تعالى: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾[7] أي أي الفريقين أبلغ في خير مقامه من الآخر في شر مقامه، أقيم المتعلِّق بالكسر مقام مُتعلَّقِه .

والثاني: كقوله تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ أي عملا صالحا بسيئ وآخر سيئا بصالح .

وَالعَطْفُ والمَعْطُوفُ أي ومنه حذف حرف العطف مع معطوفه، كقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾[8] أي ومن أنفق بعده .

وهذا القسم والذي قبله قد تقدم ذكرهما، فالأول هو المسمى بالاحتباك، والثاني هو المسمى

(1) – سورة طه، الآية: 96

(2) – سورة الأحزاب، الآية: 19

(3) – سورة الواقعة، الآية: 82

(4) – سورة نوح، الآية: 28

(5) – سورة الروم، الآية: 4

(6) – سورة الأنبياء، الآية: 33

(7) – سورة مريم، الآية: 73

(8) – سورة الحديد، الآية: 10

بالاكتفاء .

وَالتَّفْسِيرُ أي ومنه حذف التفسير، وهو التمييز، نحو كم سرت ؟ أي كم ميلا سرت .

وَالْحَالُ أي ومنه حذف الحال، ويكثر إذا كان قولا، نحو ﴿وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَٰمٌ﴾[1] أي قائلين سلام عليكم .

وَالْمُبْدَلُ أي ومنه حذف المبدل منه، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾[2] أي لما تصفه، والكذب بدل من الهاء .

وَالْمُسْتَثْنَى أي ومنه حذف المستثنى نحو قبضت عشرة ليس إلا، أو ليس غير .

ومنه حذف المسند إليه، ويكثر في جواب الاستفهام نحو ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ﴾[3] وبعد فاء الجواب نحو ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾[4] أي فعمله لنفسه، ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ أي فإساءته عليها، وبعد القول نحو ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[5] أي هذا، ومنه حذف المسند نحو ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[6] أي دائم، ومنه حذف المفعول، ويكثر في مفعول المشيئة والإرادة، ويرد في غيرهما نحو ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾[7] أي إلها، ومنه حذف الفعل، ويطّرد إذا كان مفسرا نحو ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾[8]

وَجُزْءُ كِلْمَةٍ أي ومن إيجاز الحذف حذف جزء الكلمة، كالنون من يكن إذا جزم بلم، كلم يك،

---

(1) – سورة الرعد، الآية: 24.23

(2) – سورة النحل، الآية: 116

(3) – سورة القارعة، الآية: 11.10

(4) – سورة فصلت، الآية: 46

(5) – سورة الفرقان، الآية: 5

(6) – سورة الرعد، الآية: 35

(7) – سورة الأعراف، الآية: 152

(8) – سورة التوبة، الآية: 6

والياء في ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ 4﴾[1]

وسأل المؤرخ السدوسي الأخفش عن هذه أي عن حذف الياء من الفعل فيها، فقال له: لا أجيبك حتى تنام على بابي ليلة ففعل، فقال له: إن عادة العرب إذا عدلت بالشيء عن معناه الأصلي نقصت حروفه، والفعل لما كان معدولا به هنا عن معناه الأصلي ـ لأن الليل لا يسرى وإنما يسرى فيه ـ نقص منه حرف، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً 27﴾[2] الأصل باغية، فلما حول عن فاعل نقص منه حرف .

وَحَرْفُ مَعْنَى أي ومنه حذف حرف المعنى، أي الحرف المؤتي به لإفادة معنى من المعاني الذي تؤدى بالحروف، احترازا من حروف الهجاء، كحذف همزة التسوية في قراءة ابن محيصن[3]: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾[4]، حذف الموصول الحرفي في قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾[5] وحذف الجار ويَطَّرد مع أنَّ وإنّ نحو ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ﴾[6] أي بأنكم،

﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ﴾[7] أي لأن هداكم، ويطرد في رب بعد الواو أيضا، نحو وليل كموج البحر، [237] وحذف العاطف وهو كثير، وحذف فاء الجواب، وخرج عليه الأخفش ﴿إِن تَرَكَ خَيْراً ٱلْوَصِيَّةُ﴾[8] أي فالوصية، وحذف حرف النداء، وهو كثير في غير اسم الجلالة، والمندوب والمستغاث والتعجب والنكرة غير المقصودة والإشارة .

---

(1) – سورة الفجر، الآية: 4

(2) – سورة مريم، الآية: 28

(3) – ابن محيصن المكي المتوفي 123هـ، وقراءته تُعَدّ من القراءات الأربع الشاذة، وقد ذكرت في جانب الدراسة من هذه الأطروحة أن من المآخذ على الولاتي رحمه الله تعالى أنه ربما أورد قراءة شاذة، وأهمل التنبيه على شذوذها، بل ربما يوردها بطريقة يفهم منها تجويزه القراءة بها.

(4) – سورة البقرة، الآية: 6

(5) – سورة الروم، الآية: 24

(6) – سورة المؤمنون، الآية: 35

(7) – سورة الحجرات، الآية: 17

(8) – سورة البقرة، الآية: 180

وفي العجائب للكرماني: حذف يا في القرآن من الرب تنزيها وتعظيما ؛ لأن في النداء طرفا من الأمر .

أَوْ جُمْلَــــةٌ مُسَــــبَّبًا أَوْ سَــــبَبًا

أي والشيء الذي قد حذف من أصل الكلام للإيجاز، منه ما هو جملة، سواء كانت الجملة مسببا عن شيء مذكور، كقوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾[1] أي فعل ما فعل، ليحق إلخ، أو سببا لشيء مذكور، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ﴾[2] أَيْ ضَرَبَا فضربه فانفجرت، فالفعل المبهم المحذوف في الآية الأولى مسبب عن تحقيق الحق وإبطال الباطل، والضرب المحذوف في الآية سبب للانفجار .

أَوْ فَوْقَهَا أي وقد يكون المحذوف للإيجاز فوق جملة أي أكثر منها، كقوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلُونِ 45 يُوسُفُ﴾ أي فأرسلوني إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، ففعلوا، فأتاه فقال له: يا يوسف إلخ .

ومِنْــهُ مَــا لا نَــوْبَ عَمَّــا يُحْــذَفُ

وَمِنْهُ مَا لا نَوْبَ عَمَّا يُحْذَفُ يعنى أن إيجاز الحذف على قسمين:

ـ منه ما لا ينوب فيه شيء مناب المحذوف كما تقدم من الأمثلة .

ـ ومنه ما يناب فيه شيء منابه، وإليه أشار بقوله: **وقَدْ يُنَابُ** أي وقد يناب شيء مناب المحذوف للإيجاز كقوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾[3] أي فاصبر ولا تحزن ؛ لأن تكذيب الرسل متقدم على تكذيبه فلا يصح وقوعه جزاء له، بل هو سبب لعدم الحزن والصبر، فأقيم مقام المسبب .

. . **ثُمَّ عَقْـــلٌ قَـــدْ يَـــدُلُّ عَلَيْــهِ والتَّعْيِــينُ مَقْصُــودٌ يَجِــلُّ**

أي ثم إذا لم يقم شيء مقام المحذوف قد يدل عليه أي على الحذف العقل أي يدل العقل على أن في الكلام حذفا، ويدل المقصود الأجل أي الأظهر على التعيين أي على تعيين المحذوف، كقوله

(1) – سورة الأنفال، الآية: 8

(2) – سورة البقرة، الآية: 60

(3) – سورة فاطر، الآية: 4

تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾[1] فإن العقل دال على أن الأحكام الشرعية إنما تتعلق بالأفعال دون الأعيان، فلا بد من محذوف، والمقصود الأظهر يدل على أنه تناولها الشامل للأكل وشرب الألبان، وقد يدل العقل على الحذف وتعيين المحذوف معا كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾[2] أي أمره أو عذابه، فإن العقل يدل على امتناع المجيء من الله تعالى، ويدل أيضا على كون المحذوف هو أحد الأمرين إما أمره أو عذابه .

قوله: والتعيين مقصود، معطوفا على المعمولين قبلهما، وقوله يجل مضارع من حل يحل بالتضعيف في محل نعت لمقصود، قوله والتعيين بالجر معطوف على الضمير المجرور بعلى .

أَوْ عادَةٌ أي وتدل العادة أيضا على تعيين المحذوف بعدما دل العقل على الحذف، كقوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾[3] يحتمل أن يقدر في حبه أو في مراودته، والعادة دلت على تعيين الثاني ؛ لأن العادة أن الحب المفرط لا يلام صاحبه عليه، لأنه ليس باختياره [238] **أَوِ اقْتِرانٌ** أي ويدل الاقتران والاتفاق على تعيين المحذوف أيضا، كقولك للمعرس: " بالرفاء والبنين " فإن الاقتران أي اقتران قولك مع إعراسه يدل على أن المحذوف أعرست .

. . **أَوْ شُـــروعْ فِي الفِعْـلِ بِسْـمِ اللهِ مِثْـلُ بِالفُـرُوعْ**

أي ويدل المشروع في الفعل على تعيين المحذوف أيضا كقولك: بسم الله، في حال شروعك في فعل، فإذا قلتها فمثل الفعل المحذوف الذي يتعلق به الجار بالفروع، أي بفروع ذلك الفعل المشروع فيه من مضارع أو ماض، والمراد بالفعل المصدر، فإذا كان سفرا فقدره يا سافر أو سافرت باسم الله، أو أكلا بآكل أو أكلت باسم الله، وهكذا، والمراد بالفعل المعنى المصدري، وبالفروع ما يتفرع عنه من ماض ومضارع، وتارة يدل على تعيين المحذوف أيضا التصريح في موضع آخر، وهو أقواها نحو

(1) – سورة المائدة، الآية: 3

(2) – سورة الفجر، الآية: 22

(3) – سورة يوسف، الآية: 32

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾[1] أي أمره، بدليل أو يأتي أمر ربك، ومن الأدلة على أصل الحذف العادة بأن يكون العقل غير مانع من إجراء اللفظ على ظاهره من غير حذف، نحو ﴿لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ﴾[2] أي مكان، والمراد مكانا صالحا للقتال، وإنما كان كذلك لأنهم كانوا أعلم الناس بالقتال، ويتعذرون بأن يتهوروا بأنهم لا يعرفونه، فالعادة تمنع أن يريدوا بلو نعلم حقيقة القتال بخلاف العقل، فإنه يجيز أنهم لا يعلمون حقيقته، هكذا قدره مجاهد .

ومن الأدلة على الحذف وتعين المحذوف الصناعة النحوية كقولهم في ﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ﴾[3] التقدير لا تفتأ، لأنه لو كان الجواب مثبتا دخلت اللام والنون، كقوله: ﴿لَأَكِيدَنَّ﴾[4] وقد توجب الصناعة التقدير، وإن كان المعنى غير متوقف عليه، كقولهم في لا إله إلا الله إن الخبر محذوف أي موجود، وقد أنكره الإمام فخر الدين، وقال هذا كلام لا يحتاج إلى تقدير، وتقدير النحاة فاسد ؛ لأن نفي الحقيقة مطلقا أعم من نفيها مقيدة، فإنها إذا انتفت مطلقة كان ذلك دليلا على سلب الماهية مع القيد، وإذا انتفت مقيدة بقيد مخصوص لم يلزم نفيها مع قيد آخر، ورد بأن تقديرهم لموجود يستلزم نفي كل إله غير الله قطعا ؛ لأن العدم لا كلام فيه، فهو في الحقيقة نفي للحقيقة مطلقة لا مقيدة، ثم لا بد من تقدير خبر لاستحالة مبتدأ بلا خبر ظاهر أو مقدر، وإنما يقدره النحوي ليعطي القواعد حقها، وإن كان المعنى مفهوما .

تنبيـــه

يشترط في الحذف سبعة شروط:

أحدها: وجود دليل على الحذف وتعيين المحذوف، وقد تقدمت أمثلته آنفا .

الثاني: أن لا يكون المحذوف كالجزء، ومن ثم لم يحذف الفاعل ولا نائبه ولا اسم كان وأخواتها .

---

(1) – سورة البقرة، الآية: 210

(2) – سورة آل عمران، الآية: 167

(3) – سورة يوسف، الآية: 85

(4) – سورة الأنبياء، الآية: 57

الثالث: أن لا يكون مؤكدا ؛ لأن الحذف مناف للتأكيد، إذ الحذف مبني على الاختصار، والتأكيد مبني على الطول، ومن ثم رد الفارسي على الزجاج في قوله في ﴿إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾[1] التقدير إن هذان لهما ساحران، فقال: الحذف والتأكيد باللام متنافيان . [239]

الرابع: أن لا يؤدي حذفه إلى اختصار المختصر، ومن ثم لم يحذف اسم الفعل، لأنه اختصار للفعل .

الخامس: أن لا يكون عاملا ضعيفا، فلا يحذف الجار والناصب للفعل والجازم إلا في مواضع قويت فيها الدلالة وكثر فيها استعمال تلك العوامل .

السادس: أن لا يكون عوضا عن شيء، ولذا لم يحذف التاء من استقامة وإقامة، وأما ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[2] فلا يقاس عليه، ولا خبر كان، لأنه عوض أو كالعوض من مصدرها، ومن ثم قال ابن مالك: إن حرف النداء ليس عوضا من أدعوا، لإجازة العرب حذفه .

السابع: أن لا يؤدي حذفه إلى تهيئة العامل القوي، ومن ثم لم يقس على قراءة ﴿وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[3]

قاعدة: الأصل أن يقدر الشيء في مكانه الأصلي، ليلا يخالف الأصلي من وجهين: الحذف ووضع الشيء في غير موضعه، فيقدر المفسر في نحو زيدا رأيته، مقدما عليه، وجوز البيانيون تقديره مؤخرا عنه، لإفادة الاختصاص، وأجازه النحاة أيضا إذا منع مانع، نحو ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾[4] إذ لا يلي أما فعل .

قاعدة: ينبغي تقليل المقدر مهما أمكن، لتقل مخالفة الأصل .

قاعدة: إذا دار الأمر بين كون المحذوف فعلا والباقي فاعلا، أو كونه مبتدأ والباقي خبر، فالثاني أولى ؛ لأن المبتدأ عين الخبر، فالمحذوف عين الثابت، فيكون حذفا كلا حذف، فأما الفعل فإنه غير

(1) – سورة طه، الآية: 63
(2) – سورة التوبة، الآية: 18
(3) – سورة الحديد، الآية: 10
(4) – سورة فصلت، الآية: 17

الفاعل، اللهم إلا أن يعتضد الأول برواية أخرى في ذلك الموضع أو بموضع آخر يشبهه، فالأول كقراءة ﴿يُسَبَّحُ لَهُۥ فِيهَا﴾[1] بفتح الباء، وقراءة ﴿كَذَٰلِكَ يُوحَىٰٓ﴾[2] بفتح الحاء، فإن التقدير يسبحه رجال، ويوحيه الله، ولا يقدران مبتدأين حذف خبرهما لثبوت فاعلية الاسمين في رواية من بنى الفعل للفاعل، والثاني نحو ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[3] فتقدير خلقهم الله، أولى من الله خلقهم، لمجيء ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ٩﴾[4]

قاعـدة

إذا دار الأمر بين كون المحذوف أولا أو ثانيا فكونه ثانيا أولى، ومن ثم رجح أن المحذوف في نحو ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾[5] هو نون الوقاية لا نون الرفع، وفى ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ ١٤﴾[6] هو التاء الثانية لا تاء المضارعة، وفى ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾[7] أن المحذوف خبر الثاني لا الأول .

تنبيـــه:

أسباب الحذف عشرة ذكرها في الإتقان، " مِنْهَا مُجَرَّدُ الِاخْتِصَارِ وَالِاحْتِرَازِ عَنِ الْعَبَثِ لِظُهُورِهِ .

وَمِنْهَا التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الزَّمَانَ يَتَقَاصَرُ عَنِ الْإِتْيَانِ بِالْمَحْذُوفِ وَأَنَّ الِاشْتِغَالَ بِذِكْرِهِ يُفْضِي إِلَى تَفْوِيتِ الْمُهِمِّ وَهَذِهِ هِيَ فَائِدَةُ بَابِ التَّحْذِيرِ وَالْإِغْرَاءِ وَقَدِ اجْتَمَعَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ١٣﴾ فناقة اللهِ تَحْذِيرٌ بِتَقْدِيرِ " ذَرُوا" و" سُقْيَاهَا" إِغْرَاءٌ بِتَقْدِيرِ " الْزَمُوا"

وَمِنْهَا التَّفْخِيمُ وَالْإِعْظَامُ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِبْهَامِ، قَالَ حَازِمٌ فِي مِنْهَاجِ الْبُلَغَاءِ إِنَّمَا يَحْسُنُ الْحَذْفُ لِقُوَّةِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ أَوْ يُقْصَدُ بِهِ تَعْدِيدُ أَشْيَاءَ فَيَكُونُ فِي تَعْدَادِهَا طُولٌ وَسَآمَةٌ فَيُحْذَفُ وَيُكْتَفَى بِدَلَالَةِ الْحَالِ

(1) – سورة النور، الآية: 36

(2) – سورة الشورى، الآية: 1

(3) – سورة الزخرف، الآية: 87

(4) – سورة الزخرف، الآية: 9

(5) – سورة الأنعام، الآية: 80

(6) – سورة الليل، الآية: 14

(7) – سورة التوبة، الآية: 62

وتُتْرَكُ النَّفْسُ تَجُولُ فِي الْأَشْيَاءِ الْمُكْتَفَى بِالْحَالِ عَنْ ذِكْرِهَا[1] قَالَ: [240] ولِهَذَا الْقَصْدِ يُؤْثَرُ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي يُرَادُ بِهَا التَّعَجُّبُ والتَّهْوِيلُ عَلَى النُّفُوسِ، ومِنْهَا التَّخْفِيفُ لِكَثْرَةِ دَوَرَانِهِ فِي الْكَلَامِ كَمَا فِي حَذْفِ حَرْفِ النِّدَاءِ نَحْوِ: ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ**﴾ ونون " لم يك" والْجَمْعُ السَّالِمُ ومِنْهُ قِرَاءَةُ ﴿**وَالْمُقِيمِي الصَّلَوٰةِ**﴾ وياء ﴿**وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ** 4﴾ وسَأَلَ الْمُؤَرِّجُ السَّدُوسِيُّ الْأَخْفَشَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ عَادَةُ الْعَرَبِ أَنَّهَا إِذَا عَدَلَتْ بِالشَّيْءِ عَنْ مَعْنَاهُ نَقَصَتْ حُرُوفُهُ واللَّيْلُ لَمَّا كَانَ لَا يَسْرِي وإِنَّمَا يُسْرَى فِيهِ نَقَصَ مِنْهُ حَرْفٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا**﴾ الْأَصْلُ "بَغِيَّةً" فَلَمَّا حُوِّلَ عَنْ فَاعِلٍ نَقَصَ مِنْهُ حَرْفٌ .

وَمِنْهَا كَوْنُهُ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لَهُ نحو ﴿**عَٰلِمُ الْغَيْبِ والشَّهَٰدَةِ**﴾﴿**فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** 107﴾

وَمِنْهَا شُهْرَتُهُ حَتَّى يَكُونَ ذِكْرُهُ وعَدَمُهُ سَوَاءً، قال الزمخشري: وهو نَوْعٌ مِنْ دَلَالَةِ الْحَالِ الَّتِي لِسَانُهَا أَنْطَقُ مِنْ لِسَانِ الْمَقَالِ وحُمِلَ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ حَمْزَةَ ﴿**تَسَّآءَلُونَ بِهِۦ والأَرْحَامِ**﴾ لِأَنَّ هَذَا مَكَانٌ شُهِرَ بِتَكَرُّرِ الْجَارِّ فَقَامَتِ الشُّهْرَةُ مَقَامَ الذِّكْرِ .

وَمِنْهَا صِيَانَتُهُ عَنْ ذِكْرِهِ تَشْرِيفًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**قَالَ فِرْعَوْنُ ومَا رَبُّ الْعَٰلَمِينَ** 22﴾ الْآيَاتِ حُذِفَ فِيهَا الْمُبْتَدَأُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ: قَبْلَ ذِكْرِ الرَّبِّ أَيْ " هُوَ رَبٌّ"، " اللهُ رَبُّكُمْ"، " اللهُ رَبُّ الْمَشْرِقِ" لِأَنَّ مُوسَى اسْتَعْظَمَ حَالَ فِرْعَوْنَ وإِقْدَامَهُ عَلَى السُّؤَالِ فَأَضْمَرَ اسْمَ اللهِ تَعْظِيمًا وتَفْخِيمًا .

ومِثْلُهُ فِي عَرُوسِ الْأَفْرَاحِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ**﴾ أَيْ ذَاتِكَ .

وَمِنْهَا صِيَانَةُ اللِّسَانِ عَنْهُ تَحْقِيرًا لَهُ نَحْوُ: ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ**﴾ أَيْ هُمْ أَوِ الْمُنَافِقُونَ، ومِنْهَا قَصْدُ الْعُمُومِ نَحْوُ: ﴿**وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** 4﴾ أَيْ عَلَى الْعِبَادَةِ، وعَلَى أُمُورِنَا كُلِّهَا، ﴿**وَاللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ السَّلَٰمِ**﴾ أَيْ كَلَّ واحِدٍ .

ومِنْهَا رِعَايَةُ الْفَاصِلَةِ نَحْوُ: ﴿**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ** 3﴾ أَيْ ومَا قَلَاكَ .

وَمِنْهَا قَصْدُ الْبَيَانِ بَعْدَ الْإِبْهَامِ كَمَا فِي فعل المشيئة نحو: ﴿**وَلَوْ شَآءَ لَهَدَيٰكُمۡ**﴾ أي ولو شَاءَ هِدَايَتَكُمْ فَإِنَّهُ إِذَا سَمِعَ السَّامِعُ " وَلَوْ شَاءَ" تَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بم شاء ابنهم عَلَيْهِ لَا يَدْرِي مَا هُوَ فَلَمَّا ذُكِرَ الْجَوَابُ

(1) – منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986 م، ص: 391.

اسْتَبَانَ بَعْدَ ذَلِكَ، وأَكْثَرُ مَا يَقَعُ ذَلِكَ بَعْدَ أَدَاةِ شَرْطٍ لِأَنَّ مَفْعُولَ الْمَشِيئَةِ مَذْكُورٌ فِي جَوَابِهَا، وقَدْ يَكُونُ مَعَ غَيْرِهَا اسْتِدْلَالًا بِغَيْرِ الْجَوَابِ نَحْوُ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ وقَدْ ذَكَرَ أَهْلُ الْبَيَانِ أَنَّ مَفْعُولَ الْمَشِيئَةِ والْإِرَادَةِ لَا يُذْكَرُ إِلَّا إِذَا كَانَ غَرِيبًا أَوْ عَظِيمًا نَحْوُ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ 28﴾ ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾"[1]

فائـدة:

قال الشيخ عبد القاهر: " مَا مِنَ اسْمٍ حُذِفَ فِي الْحَالَةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يُحْذَفَ فِيهَا إِلَّا وحَذْفُهُ أَحْسَنُ مِنْ ذِكْرِهِ"[2]

ولما أنهى الكلام على الإيجاز بذكر جميع أنواعه وأسبابه وشروطه وموانعه، شرع يتكلم على الإطناب، وهو على قسمين إطناب بسط، وإطناب زيادة، وبدأ الناظم بذكر الثاني فقال:

الإطنـاب:

وَيَـــــرِدُ الْإِطْنَـــــابُ بِالْإِيضَـــــاحِ ... مِـــنْ بَعْـــدِ إِبْهَـــامٍ لِقَصْـــدٍ ضَـــاحِي
مِثْـــلُ الْتِـــذَاذٍ كَامِـــلٍ بِالْعِلْـــمِ بِـــهْ ... أَوْ مُكْنَـــةٍ فِي الـــنَّفْسِ بَعْـــدَ طَلَبِـــهْ

يعنى أن الإطناب يرد بسبب الإيضاح بعد الإبهام، أي إذا أردت أن تبهم ثم توضح فإنك تطنب، وذلك إنما يكون لأجل قصد ضاحي أي بارز ظاهر، وذلك القصد مثل التذاذ كامل بسبب العلم به مرتين ؛ لأن الشيء إذا علم به من وجه ما، تشوفت النفس إلى العلم به من باقي وجوهه وتألمت، وإذا حصل العلم به من باقي وجوهه كانت لذته أشد من العلم به من جميع وجوهه دفعة ؛ [241] لأن الحاصل بعد الطلب ألذ من الحاصل بلا تعب، وذلك أن الإدراك لذة والحرمان منه بسبب عدم علمه بتفصيله مع الشعور بالمجهول بوجه ما آلم، فإذا حصل له العلم بتفصيله ثانيا حصل له لذة كاملة ؛ لأن اللذة عقب الألم أتم من اللذة التي لم يتقدمها ألم، وكأنهما لذتان لذة الوجدان ولذة الخلاص من الألم، أو لتمكن المعنى في النفس تمكنا زائدا راسخا في ذهن السامع، لما جبل الله

(1) - الإتقان م س ج3 ص191-192

(2) - «البرهان في علوم القرآن للزركشي» ج3 ص105 ت محمد أبو الفضل إبراهيم ط1 دار إحياء الكتب العربية.

تعالى عليه النفوس من أن المعنى إذا ألقي إليها على سبيل الإبهام تشوفت إلى معرفته على سبيل التفصيل، فإذا ألقي إليها على سبيل التفصيل تمكن فيها زيادة تمكن، أو لتكثير العلم بالمعنى بأن يرى المعنى في صورتين إحداهما مبهمة والأخرى موضحة، وعلمان خير من علم واحد .

قال السعد: ويحتمل أن يكون للأغراض الثلاثة التي هي كثرة العلم، والتمكن، وكمال اللذة قوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي 24﴾[1] فإن اشرح لي، يفيد طلب شرح شيء ما لموسى من مال أو علم أو غيرهما، وصدري يفيد تفسير ذلك الشيء، ومعنى اشرح لي صدري، اجعله حليما حمولا لما يرد عليه من الشدائد ؛ لأن هذا الطلب كان عند ابتداء الإرسال المؤذن بتلقي المكاره والشدائد، ولذا قال: ﴿وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي 25﴾[2]

قال الفنري: ومعنى قول السعد أن الآية تحتمل الأغراض الثلاثة أن هذا التركيب من شأنه أن يفيد الأغراض الثلاثة لو خوطب به غير الله، إذ الغرضان الأولان وهما كمال اللذة والتمكن، لا يتصوران في الله تعالى، وتحقيقه أن القرآن نزل على أسلوب كلام العرب، فلا بد أن يكون في نفسه بحيث يفيد ما لو خوطب به بليغ ما أفاده، مع قطع النظر عن خصوصية المخاطب، وقد مر مثله غير ما مرة .

قوله: أو مكنة بالجر عطف على التذاذ، وقوله بعد طلبه متعلق بمحذوف، لأنه في محل نعت لقوله مكنة .

ومن الإطناب بالإيضاح بعد الإبهام باب البدل، وفائدته البيان والتوكيد، أما البيان فواضح، وأما التوكيد فلأنه على نية تكرار العامل، ومنه باب عطف البيان .

وَمِنْـــهُ تَوْشِـــيعٌ بِآخِـــرٍ تَـــرِدْ ... تَثْنِيَـــةٌ مَضْـــمُونُهَا بَعْـــدَ فَـــرَدْ

أي ومن الإطناب بالإيضاح بعد الإبهام توشيع بآخر يرد أي يرد بآخر الكلام، أي منه نوع يسمى بالتوشيع، وهو لغة لف القطن المندوف أي جمع القطن المفرق، وقال في المصباح: هو مأخوذ من الوشيعة وهي الطريقة في البرد، وفى الاصطلاح تثنية أو جمع يفرد بعده مضمونه في آخر الكلام،

(1) - سورة طه، الآية: 25

(2) - سورة طه، الآية: 26

كقوله ﷺ: ((يَكْبَرُ ابْنُ آدَمَ ويَكْبَرُ مَعَهُ اثْنَانِ: حُبُّ المَالِ، وطُولُ العُمُرِ)) [1]، وقوله ﷺ: ((عَلَيْكُمْ بِالشِّفَاءَيْنِ: الْعَسَلِ والْقُرْآنِ)) [2] وقوله: ((اقتلوا الأسودين الحية والعقرب)) وقول الشاعر:

أمسى وأصبح من تذكاركم وصِبا ... يرثي له المشفقان الأهل والولد

وقد يؤتى بمثنيين ثم بأربع مفردات [242] كقوله ﷺ: ((تعوذوا بالله من عذابين وفتنتين عذاب جهنم وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات)) وقوله: ((أُحِلَّتْ لَنا مَيْتَتَانِ ودَمَانِ، فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ: فَالْحُوتُ والْجَرَادُ، وأَمَّا الدَّمَانِ: فَالْكَبِدُ والطِّحَالُ)) [3]

ومثاله في الجمع: ينتابها الضاريات الذيب والأسد[4] والنمر .

قوله: بآخر بسكون الخاء متعلق بيرد، والجملة في محل نعت لتوشيع، وقوله تثنية بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي هو تثنية، وقوله مضمونها مبتدأ خبره جملة فرد بعده، والظرف متعلق بفرد وهو مبني على الضم لقطعه عن الإضافة، أي مضمونها يفرد بعدها .

وَذِكْرُ خَاصٍ بَعْدَ ذِي عُمُومِ ... مُنَبِّهًا بِفَضْلِهِ المَعْلُومِ

أي ومن أنواع الإطناب ذكر اللفظ الخاص بعد ذكر لفظ صاحب عموم يعمه وغيره أي عطف الخاص على العام، لأجل التنبيه بفضل الخاص على العام، حتى كأن الخاص ليس من جنس العام، تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات، حتى كأنه شيء آخر مغاير ومباين للعام لا يشمله لفظه، وهو قد يكون في المفرد

كَعَطْفِ جِبْرِيلَ ومِيكَالَ عَلَى ... مَلائِكٍ .

أي كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ

(1) – صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك وهو بلفظ: " يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان: حب المال وطول العمر "كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر، الحديث رقم 6421، ج 8 ص 90. ت جماعة من العلماء، ط1 السلطانية بالمطبعة الكبرى الأميرية بمصر

(2) – سنن ابن ماجه، كتاب الطب، باب العسل، الحديث رقم 3452، ج 2 ص 1142 ت الأرنؤوط، ط1 دار الرسالة العالمية

(3) – سنن ابن ماجه ت شعيب الأرنؤوط، أبواب الأطعمة، باب الكبد والطحال الحديث رقم 3314 ج 4 ص 431 ط دار الرسالة العالمية 1430 هـ

(4) – ينتابها الضاريان الذيب والأسد وهو عجز بيت صدره قوله: كأنما مهجتي شلو بمسبعة...

وجِبْرِيلَ ومِيكَـٰٓيِلَ﴾[1] وقوله: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ والصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطِىٰ﴾[2] أي الفضلى، فذكر جبريل وميكائل بعد الملائكة، وذكر الصلاة الوسطى بعد الصلوات، تجريدا لأجل التعظيم، وقد يكون في الجمل كقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمُۥٓ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ويَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۖ﴾[3] فذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد ذكر الدعاء إلى الخير الذي يعمهما وغيرهما، تجريدا لأجل التعظيم .

. . قُلْـــتُ وعَكْسُـــهُ جَـــلا

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص وعكسه أي عكس عطف الخاص على العام وهو عطف العام على الخاص جلا أي وضح وظهر عده من أنواع الإطناب، والنكتة فيه النكتة في الأول كقوله تعالى: ﴿رَّبِّ إغْفِرْ لِے ولِوَٰلِدَيَّ ولِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُومِناٗ ولِلْمُومِنِينَ والْمُومِنَٰتِۖ﴾[4] فطلب الغفران لعموم المؤمنين والمؤمنات بعد طلبه لخصوص الوالدين يدل على مزية الوالدين والاعتناء بهما دون سائر المؤمنين حيث خصهما بطلب الغفران وأدخلهما أيضا في طلبه مع سائر المؤمنين ثانيا .

وَمِنْـــهُ تَكْـــرَارٌ لأَجْـــلِ نُكْتَـــةِ ... مِثْـــلُ تَأَكُّـــدٍ ونَفْـــيِ التُّهْمَـــة
أَوْ طُـــولٍ أو تَنْوِيـــهٍ أو تَلَـــذُّذِ ... أَوِ الجَـزَاءِ نَفْـسُ شَـرْطِهِ احْتُـذِي
أَوْ قَصْـدِ الِاسْـتِيعَابِ والتَّرْدِيـدُ حَـقّْ ... عُلِّـقَ تَكْرِيـرٌ بِغَـيْرِ مَـا سَـبَقْ
وَمِثْلُـــهُ تَعَطُّـــفٌ لَكِـــنْ حَـــذَا ... فِي فِقْـــرَتَيْنِ ثُمَّ تَرْجِيـــعٌ شَـــذَا

يعنى أن من أنواع الإطناب التكرار أي إعادة اللفظ ثانيا، ويكون لأجل نكتمثل تأكد أي مثل التأكيد للإنذار والردع في قوله تعالى: ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ 3 ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَۖ 4﴾[5]فتكرير كلا للردع والزجر أي لتأكيدهما والتنبيه على أنه لا ينبغي للعاقل أن تكون الدنيا جميع همه، وتكرير

(1) – سورة البقرة، الآية: 98
(2) – سورة البقرة، الآية: 238
(3) – سورة آل عمران، الآية: 104
(4) – سورة نوح، الآية: 28
(5) – سورة التكاثر، الآية: 4.3

سوف تعلمون لتأكيد الإنذار ليخافوا فينتبهوا من غفلتهم ، [243] أي ستعلمون خطأكم إذا عاينتم أهوال الآخرة .

ونفي التهمة أي ومن نكت التكرير نفي التهمة أي التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقى السامع للكلام بالقبول كقوله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ 38 يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ﴾[1] ففي تكرير يا قوم زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة[2]، وفيه أنهم قومه وعشيرته، وهو يعلم وجه خلاصهم، ونصحهم واجب عليه، فهو يتحزن لهم ويتلطف لهم ويستدعى بذلك أن لا يتهموه، فإن سرورهم سروره، وغمهم غمه، كما كرر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في نصيحة أبيه يا أبت،

أو طول أي يكرر لأجل طول في الكلام، ليلا يجيء الكلام مبتورا ليست له طلاوة، سواء كان التكرير مجردا عن الرابط كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ 119﴾[3] فيه الإطناب بتكرير إن ربك ونكتته البعد بسبب ما في الكلام من الطول، وقول سحبان[4] الذي يضرب به المثل في الفصاحة:

لَقَــدْ عَلِــمَ الحــيُّ اليَمــانُونَ أَنَّــنِي ... إذا قُلْــتُ أَمَّــا بَعْــدُ أني خَطِيبُهَــا

أو مع رابط كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ﴾[5] فقوله: لا تحسبن تكرير لقوله لا يحسبن الذين يفرحون، لبعده عن المفعول مع رابط هو الفاء .

أَوْ تَنْوِيهٌ أي ومن نكت الإطناب بالتكرير التنويه بشأن المذكور، كقوله ﷺ: ((**إِنَّ الكَرِيمَ، ابْنَ**

(1) – سورة غافر، الآية: 39

(2) الغفلة: التيقظ أصل كل خير كما أن الغفلة أصل كل شر، فما أكثر من يكون عند نفسه متيقظا وهو غافلا. وما أحب إليه التغافل عند التيقظ وأنسه بالغفلة. انظر: موسوعة مصطلحات الصوفي (ص: 591)

(3) – سورة النحل، الآية: 110

(4) – سَحْبانُ بن زَفْرِ بن إِياسِ بن عبدِ شمس من خطباء العرب وفصحائهم المشهورين.

(5) – سورة آل عمران، الآية: 188

الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ)) [1] كرر الكريم تنويها لقدره أي تعظيما له، وكقول أبي الطيب:

العـارِضُ الهَـتِنُ ابـنُ العـارِضِ الهَـتِنِ ابْـ ... ـنِ العـارِضِ الهَـتِنِ ابـن العـارضِ الهَـتِنِ

أَوْ تَلَذُّذٌ أي ومن نكت الإطناب بالتكرير التلذذ بذكر المكرر كقول الشاعر:

سـقى الله نجْـدًا والسـلامُ علـى نجْـدِ ... ويا حبَّـذا نَجْـدٌ علـى النـأيِ والبُعْـدِ

أَوِ الجَزاء نفْس شَرطِه أي ومن نكت الإطناب بالتكرير كون الجزاء نفس الشرط كقوله ﷺ: **((فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ ورَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ ورَسُولِهِ، ومَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ))** [2]

وقوله: احتذي تتميم للبيت، وأمر بالاحتذاء أي الاتباع .

أَوْ قَصْدَ الاسْتيعابِ أي ومن نكت الإطناب بالتكرير قصد الاستيعاب .

قال ابن الحاجب: العرب تكرر الشيء مرتين، لتستوعب تفصيل جميع جنسه باعتبار المعنى الذي دل عليه اللفظ المكرر، كقولك: " بينت الكتاب كلمة كلمة " أي ما تركت منه شيئا مبهما، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾[3] أيْ مرة بعد مرة .

والتَّرديد حَقْ أي ثبت عده من أنواع الإطناب بالتكرير وهو تعليق اللفظ أو الاسم ذي العود أي [244] صاحب العود، وهو المكرر به بغير ما سبق أي بمعلوم غير المعلق الذي سبق وتعلق به اللفظ الأول المكرر، فالتكرير هنا لتعدد المتعلق كقوله تعالى: ﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾[4] وقع فيه الترديد أربع مرات، لتعليق المصباح الأول بالمشكاة، والثاني بالزجاجة، والزجاجة الأولى بالمصباح، والثانية

---

(1) – صحيح البخاري، كتاب المناقب باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والاهلية الحديث رقم 3202، ج 4 ص 184 والأدب المفرد بالتعليقات للإمام البخاري، باب الحسب الحديث رقم 896، ج 1 ص 483، ومسند أبي يعلى، الحديث رقم 5932، ج 10 ص 338.

(2) – تقدم تخريجه انظر ص

(3) – سورة الملك، الآية: 4

(4) – سورة النور، الآية: 35

بالكوكب في التشبيه، ومنه قوله في سورة الرحمن: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ 11﴾ فإنها وإن تعددت فكل واحدة تتعلق بما قبلها أي على نعمة قبلها، ولذلك زادت على ثلاثين، ولو كان عائدا إلى شيء واحد لم يزد على مرتين كما هو شأن التوكيد، وإن كان بعضها ليس بنعمة، فذكر النعمة للتحذير منها نعمة، وقد سئل أي نعمة في قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ 24﴾[1] فأجيب بأجوبة أحسنها النقل من دار الهموم إلى دار السرور، وإراحة المؤمن والناس من الفاجر، لحديث: ((**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وجَنَّةُ الْكَافِرِ**)) [2]

ومثله تعطف أي مثل الترديد التعطف في كون كل منهما من الإطناب بالتكرير لتعدد المتعلق، لكن التعطف حذي أي تبع الترديد حال كونه في فقرتين أو مصراعين، فهو خارج عنه بهذا القيد، أي يشترط فيه أن يكون اللفظ المعاد في فقرة أخرى أو مصراع آخر .

قال في المصباح: وكأن الكلمة على عطفي البيت، كقوله:

فساق إليَّ القدح غيرَ مُكدّر ... وسُقتُ إليه المدحَ غيرَ مُذمّم

ثم ترجيع شذا أي طيب الراحة أي ثم من أنواع الإطناب بالتكرير الترجيع .

قال الطيبي[3]: وهو أن يكون المعني مهتما بشأنه، فإذا شرع في نوع من الكلام نظر إلى ما يتخلص إليه، فإذا تمكن من إيراده كر إليه ورجع، كتكرير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ﴾[4] الآية في سورة التوبة .

قال الزمخشري: تجديد التنزيل له شأن في تقرير ما نزل له وتأكيده وإرادة أن يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه، فأشبه الشيء الذي أهم صاحبه فهو يرجع إليه في أثناء حديثه

---

(1) – سورة [الرحمن: 26]

(2) – صحيح مسلم من حديث أبي هريرة، كتاب الزهد والرقائق الحديث رقم 2956، ج 4 ص 2272

(3) – «الحسين الطّيبي (000 – 743 هـ) (000 – 1342 م) الحسين (1) بن محمد بن عبد الله الطيبي (شرف الدين). عالم مشارك في أنواع من العلوم. توفي في 13 شعبان. من تصانيفه: الكاشف عن حقائق السنن النبوية، التبيان في المعاني والبيان، مقدمة في علم الحساب، أسماء الرجال، وفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب في التفسير» «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة، م س. ج4 ص53.

(4) – سورة التوبة، الآية: 85

ويتخلص إليه، وكتكرير القصص والإنذار في القرآن، وقد نبه سبحانه على السبب الذي لأجله كررهما في القرآن بقوله: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا 110﴾[1]،من نكت التكرير للإطناب التهويل والتعظيم كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ مَا ٱلْحَآقَّةُ 1﴾ ﴿ٱلْقَارِعَةُ مَا ٱلْقَارِعَةُ 1﴾ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ 29﴾[2]،منها التحسر والتوجع كما في قول الشاعر:

فيا قبرَ مَعْنٍ أنتَ أوّلُ حُفرة ... من الأرض خُطّت للسماحة مضجعا

ويا قبرَ مَعْن كيف واريْتَ جُودَه ... وقدْ كان منهُ البر والبحر مترعا

وإن صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

وَمِنْهُ إِيغَالُ كَلامٍ قَدْ خُتِمْ ... بِمَا يُفِيدُ مَا بِدُونِهِ يَتِمْ

يعنى أن من أنواع الإطناب الإيغال وهو لغة السرعة في السير، فإن الإيغال في السير [245] يدخل السائر في المكان الذي يقصده بسرعة، يقال: " أوغل في الأرض الفلانية " إذا بلغ منتهاها أو ما قاربه، فكان المتكلمُ قد جاوز حد المعنى وبلغ إلى زيادة عنه، وفى الاصطلاح: ختم الكلام بما أي بلفظ يفيد نكتة أو سرا يتم الكلام بدونه ؛ لأن للقافية والسجعة محلا من الأسماع والخواطر، فاعتناء المتكلم بهما أكيد، ولا شيء أقبح من بنائهما على فضول الكلام الذي لا يفيد، كقول الخنساء:

وإن صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

فإن قولها: كأنه علم، واف بالمقصود، وهو تشبيهه بما هو معروف بالهداية، لكنها أتت بهذه الزيادة إيغالا وزيادة للمبالغة .

ومعنى البيت: أنها مدحته باقتداء هداة الناس به، فاقتداء غيرهم به مفهوم بالأحروية .

ثُمَّ الأَصَحُّ أَنَّهُ لَيْسَ يُخَصّْ ... بِالشِّعْرِ فَالقُرْآنُ فِيهِ جَاءَ نَصّْ

يعنى أن الأصح عند البيانيين أن الإيغال ليس مخصوصا بالشعر، فلذلك جاء في القرآن منصوصا عليه، كقوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ 19 ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ 20﴾[3] فقوله: وهم

(1) – سورة طه، الآية: 113

(2) – سورة الواقعة، الآية: 27

(3) – سورة يس، الآية: 21

مهتدون، يتم المعنى بدون التصريح به، لا بدونه رأسا ؛ لأن الرسول مهتد لا محالة، لكن فيه زيادة حث على الاتباع وترغيب في الرسل، أي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم، وتربحون في آخرتكم، وإنما قلنا زيادة لأن الحث والترغيب حصلا بذكر الرسل الدال على اهتدائهم، فالحث والترغيب بالتصريح بالاهتداء زيادة في ذلك، فعلم أن المعنى المدلول عليه بالتضمن إذا صرح به لفائدة كان إطنابا وإلا كان تطويلا، ومن قال باختصاصه بالشعر قال في حده: " ختم البيت بلفظ يتم المعنى المقصود بدونه لفائدة " .

وَمِنْهُ تَذْيِيلٌ بِجُمْلَةٍ حَوَتْ مُؤَكِّدًا مَعْنَى الَّتِي قَبْلُ خَلَتْ

يعنى أن من أنواع الإطناب التذييل، والتذييل تعقيب الجملة بجملة حوت معنى الجملة التي خلت أي مضت قبلها حالة كونها مؤكدة لمعناها، أي التذييل هو تعقيب الجملة بجملة مشتملة على معناها، والنكتة فيه التأكيد .

قال الجربي: ونعنى باشتمالها على معناها إفادتها بفحواها لما هو عمدة البيان من الأولى، وليس المراد إفادتها نفس معنى الأولى بالمطابقة، فلا يكون على هذا قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ 3 ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ 4﴾[1] تذييلا، والتذييل أعم من الإيغال من وجه، لكونه في ختم الكلام وغيره، وأخص منه من وجه، لأنه لا يكون إلا بجملة ولا يكون إلا للتوكيد، بخلاف الإيغال، ثم إن التذييل ينقسم باعتبار إفادته معنى الجملة التي قبله إلى قسمين أشار إليهما الناظم بقوله: **فَمِنْهُ مَا كَمَثَلٍ** أي من التذييل ما هو كمثل أي نوع جار مجرى المثل في جواز الاستعمال على الانفراد، لكونه حكما كليا مستقلا بالمعنى دون الجملة التي قبله، كقوله تعالى: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا 81﴾[2] [246] تذييل للجملة الأولى، زهق الباطل، لكون الثانية مشتملة على معنى الأولى مع زيادة ومؤكدة لها، وهي كالمثل في جواز الاستعمال على الانفراد، لكونها مفيدة حكما كليا ومستقلة بالمفهومية، فيصح أن تقول: إن الباطل كان زهوقا، إذا رأيت شيئا من الباطل عظمت

(1) - سورة التكاثر، الآية: 4.3

(2) - سورة الإسراء، الآية: 81

صولته ثم اضمحل، وكقول الشاعر:

لله لـــذةُ عَـــيشٍ بالْحَبيـــبِ مَضَـــتْ   فلـــم تـــدُمْ لي وغـــيرُ الله لَمْ يَـــدُم

ومِنْهُ لاَ أي ومن التذييل ما ليس جاريا مجرى المثل، لعدم استقلاله بالمعنى دون الجملة الأولى كقوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ يُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ** 17﴾[1] على أن يكون المعنى، وهل يجازى ذلك الجزاء المذكور فيما قبل، وهو إرسال سيل العرم وما ذكر معه، فيتعلق بما قبله فلا يصح جريانه مجرى المثل بمجرده مستقلا، واجتمع القسمان في قوله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ** 34﴾[2] فقوله: أفئن مت فهم الخالدون، من الضرب الثاني، لعدم استقلاله بالمعنى دون الجملة الأولى، لتعلقه بها بضمير المخاطب وضمير الغائبين، وقوله: ﴿**كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ**﴾ من الضرب الأول الجاري مجرى المثل، لكونه مفيدا حكما كليا ومستقلا بالمعنى .

قال الفنري: كل نفس ذائقة الموت، تأكيد لتأكيد، وتذييل لتذييل، ويحتمل أن يقدر كلاهما تذييلا لقوله: وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد .

وينقسم أيضا باعتبار التوكيد إلى قسمين أشار إليهما بقوله:

وأَكَّـــدَ المَنْطُـــوقَ والضِـــدُّ جَـــلا

أي من التذييل ما أكد المعنى المنطوق به، ومنه ما جلا أي أوضح الضد أي أكد المعنى المفهوم من المنطوق به .

قال الجربي: والمراد بالمنطوق المعنى المفهوم من اللفظ بالمطابقة كقوله تعالى: ﴿**ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا** 81﴾ بعد قوله: زهق الباطل، فقوله: إن الباطل كان زهوقا، مؤكد للمعنى المنطوق أي المفهوم بالمطابقة من قوله: زهق الباطل، والمراد بالمفهوم ما يلزم من المعنى المنطوق به كقول النابغة:

ولســـتَ بمســـتبق أخـــا لا تذَمّـــه   علـــى شَـــعثٍ أيُّ الرّجـــال المُهـــذَّب

أي لا تقدر على استبقاء مودة أخ لا تلمه، أي لا تصلحه على شعث، أي تفرق وذميم خصال، أي

(1) – سورة سبأ، الآية: 17

(2) – سورة الأنبياء، الآية: 35.34

الرجال المهذب، أي لا رجل مصفى من العيوب، فصدر البيت دل بمفهومه على نفي الكمال عن الرجال، حيث خاطب غير معين بقوله ولستَ إلخ، وعجزه تأكيد لذلك المعنى ؛ لأن الاستفهام فيه للإنكار .

قوله: تذييل مبتدأ خبره منه، وقوله بجملة في محل نعت لقوله تذييل أي ومنه تذييل كائن بجملة، وقوله حوت ماض وفاعله عائد إلى جملة، وقوله مؤكدا حال منه، وقوله معنى مفعوله، والجملة في محل نعت لجملة، وقوله قبل بالبناء على الضم لقطعها عن الإضافة متعلق بجملة الصلة وهي خلت، [247] وقوله والضد جلا بنصب الضد مفعول به لقوله جلا قُدّم .

وَمِنْـــهُ تَكْمِيـــلٌ ورُبَّمَـــا سُمِـــي ... بِالاحْـــتِرَاسِ أَنْ يَجِـــي فِي مُـــوهِم
خِـــلافَ مَقْصُـــودٍ بِمَـــا يَدْفَعُـــهُ

يعنى أن من أنواع الإطناب نوعا يسمى التكميل، وربما يسمى بالاحتراس، وهو في اللغة التحفظ، وفى الاصطلاح: أن يجا بالقصر للوزن أي أن يؤتى في كلام موهم خلاف المقصود، أي مقصود المتكلم بما يدفع ذلك الإيهام من جملة أو غيرها سواء كان في وسط الكلام أو في آخره، فمنه ما يقع بين المسند والمسند إليه كقوله:

فســـقى ديارَك غـــيرَ مُفْسِـــدِها ... صـــوبُ الغمـــام وديمَـــةٌ تَهْمـــي

الديمة المطر الدائم الذي ليس فيه رعد ولا برق، بمعنى تسيل، فإن قوله: فسقى ديارك صوب الغمام دعاء للديار بسقي الأمطار لها، وربما يتوهم أن المراد الدعاء عليها بالهدم ؛ لأن الأمطار تهدم الديار، فأتى بما يدفع ذلك الوهم وهو قوله: غير مفسدها .

ومنه ما يقع في آخره كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1] فإنه لما كان قوله: أذلة يوهم ضعفهم، دفعه بقوله أعزة إلخ، تنبيها على أن ذلك تواضع منهم للمؤمنين، ولهذا عدى الذل بعلى لتضمنه معنى العطف والرحمة .

قال في عروس الأفراح: " لا يقال أعزة على الكافرين، أفاد معنى جديدا، لأنا نقول: هو إطناب

(1) - سورة المائدة، الآية: 54

لما قبله من حيث دفعه توهم خلاف المقصود، وإن كان له معنى في نفسه . "[1]

فَــإِنْ لِغَــيْرِ مُــوهِمٍ أَتْبَعَــهُ
بِفَضْــلَةٍ لِنُكْتَــةٍ فِيهَــا تَــرَاضْ   فَــــذَاكَ تَتْمِــــيمٌ . .

أي فإن أتبع البليغ الكلام بفضلة من مفعول أو حال مما ليس بجملة مستقلة ولا ركن جملة في الأثناء أو في الآخر لغير موهم أي لغير دفع إيهام خلاف المقصود، بل لنكتة في تلك الفضلة تراض أي تقصد، فذلك الصنيع تتميم، وتلك النكتة كالمبالغة في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾[2] أي مع حبه والاحتياج إليه أي الطعام، فإن الإطعام حينئذ أبلغ وأكثر أجرا، وإن جعل الضمير في حبه لله تعالى فهو لتأدية أصل المعنى المراد ؛ لأن المعنى حينئذ يطعمون الطعام رغبة في ثواب الله وتقربا إليه، وهذا هو نفس المعنى المراد، ومثل الآية قوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾[3]

ومن نكت التتميم تقليل المدة في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾[4] فذكر ليلا، مع أن الإسراء لا يكون إلا بالليل، للدلالة على تقليل المدة، وأنه أسرى به في بعض الليل .

فائدة

قال الشيخ بهاء الدين: ليت شعري أي فرق في اللغة بين التكميل والتتميم، ثم قال يمكن أن يفرق بينهما بأن التكميل استيعاب الأجزاء التي لا توجد الماهية بدونها، والتتميم لما وراء الأجزاء من زيادة يتأكد بها ذلك الشيء الكامل، ويستأنس لذلك بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ أي [248] لم تنقص أجزاؤها، وقوله: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ رُوي: إتمامُها أن تحرم بهما من دويرة أهلك، وهو وصف فيه زيادة على الأجزاء، فإن ماهيتي الحج والعمرة يوجدان بدونه، وقد جمع بينهما في قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ لما كانت أركان الدين وجد منها الجزء الأخير،

(1) – «عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح» ج1 ص614 م س

(2) – سورة الإنسان، الآية: 8

(3) – سورة البقرة، الآية: 177

(4) – سورة الإسراء، الآية: 1

إذ ذاك استعمل لفظ الكمال، ولما كانت نعم الله حاصلة للمؤمنين قبل ذلك اليوم غير ناقصة استعمل فيها الإتمام، لأنه زيادة على نعم الله التي كانت قبل كاملة، قال: فإن تم هذا ظهر وجه تسمية الأول بالتكميل، لأنه يدفع إيهام غير المراد، وذلك كالجزء من المراد، إذ الكلام إذا أوهم خلاف المراد كان كالذي دلالته، والثاني بالتتميم لأنه لزيادة معنى مستغنى عنه انتهى .

تنبيـــه

فرق قوم منهم أصحاب البديعيات بين التكميل والاحتراس .

قال ابن حجة: التكميل يأتي لنقص المعنى والوزن معا، والاحتراس لدخل يتطرق المعنى وإن كان كاملا تاما، ووزن الشعر صحيحا .

وقال عبد الباقي: لا يكاد البديعيون يحررون ثلاثة أشياء لتداخلها، وهي التتميم والتكميل والاحتراس، ثم قسم التتميم إلى أنواع:

الأول: تتميم المعنى للمبالغة كالآية السابقة

الثاني: تتميمه للصيانة عن الخطأ كقوله: غير مفسدها البيت .

الثالث: اللفظ بما يقدم به الوزن، فمنه حشو لطيف كقوله: ترى كل ما فيها وحاشاك فانيا، ومنه ما لا يعد بديعا، وفسر الاحتراس بأن يؤتى في مدح أو غيره بكلام للانتقاد فيه مجال، فيحترس من ذلك بكلام آخر كما في حديث أم زرع ((**المسُّ مسُّ أرنب والريحُ ريحُ زرنب وأغلبُه والناسَ يغلب**)) [1] لو اقتصرت على قولها وأغلبه لتوجه عليها أن يقال إن رجلا تغلبه امرأة لضعيف، فاحترست بقولها والناس يغلب، وقول الخنساء:

ولـــولا كثـــرةُ البـــاكين حَـــولي ... علـــى إخـــوانِهم لقتلـــتُ نفســـي

كأنها فطنت أن يقال لها، لقد ساويتِ أخاك بالهالكين فاحترستْ بقولها:

يبكـــون مثـــل أخـــي ولكـــن ... أعـــزي الـــنفس فيـــه بالتأســـي

وفسر التكميل بأن يأتي بكلام ناقص من جهة دلالة مفهومه فيكمله بجملة ترفع عنه النقص

---

(1) - المعجم الكبير للطبراني، مسند النساء باب طرق حديث أم زرع وحسن عشرة النبي ص مع عائشة الحديث رقم 265، ج 23 ص 124 ط مكتبة ابن تيمية، ت حمدي بن عبد المجيد السلفي

كقوله: وما مات منا سيد في فراشه، لو اقتصر عليه كان وصفا لقومه بالصبر على القتل دون الانتصار فكمله بقوله: ولا طُلَّ منا حيث كان قتيل .

تنبيه آخر

ومن أنواع الإطناب الاستقصاء،

قال في الإتقان: وهُوَ أَنْ يَتَنَاوَلَ الْمُتَكَلِّمُ معنى فيستقصيه فيأتي بجميع عَوَارِضَهُ ولَوَازِمَهُ بَعْدَ أَنْ يَسْتَقْصِيَ جَمِيعَ أَوْصَافِهِ الذَّاتِيَّةِ بِحَيْثُ لَا يَتْرُكُ لِمَنْ يَتَنَاوَلُهُ بَعْدَهُ فِيهِ مَقَالًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ** 265﴾[1] فَإِنَّهُ تَعَالَى لَوِ اقْتَصَرَ عَلَى قَوْلِهِ جَنَّةٌ لَكَانَ كَافِيًا فَلَمْ يَقِفْ عِنْدَ ذَلِكَ حَتَّى قَالَ فِي تَفْسِيرِهَا: [249] مِنْ نَخِيلٍ وأَعْنَابٍ، فَإِنَّ مُصَابَ صَاحِبِهَا بِهَا أَعْظَمُ ثُمَّ زاد جْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ، مُتَمِّمًا لِوَصْفِهَا بِذَلِكَ، ثُمَّ كَمُلَ وصْفُهَا بَعْدَ التَّتْمِيمَيْنِ فَقَالَ: لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ، فَأَتَى بِكُلِّ مَا يَكُونُ فِي الْجِنَانِ لِيَشْتَدَّ الْأَسَفُ عَلَى إِفْسَادِهَا، ثُمَّ قَالَ فِي وصْفِ صَاحِبِهَا: وأَصَابَهُ الْكِبَرُ، ثُمَّ اسْتَقْصَى الْمَعْنَى فِي ذَلِكَ بِمَا يُوجِبُ تَعْظِيمَ الْمُصَابِ بِقَوْلِهِ بَعْدَ وصْفِهِ بِالْكِبَرِ ولَهُ ذُرِّيَّةٌ، ولَمْ يَقِفْ عِنْدَ ذَلِكَ حَتَّى وصَفَ الذُّرِّيَّةَ بالضعفاء، ثُمَّ ذَكَرَ اسْتِئْصَالَ الْجَنَّةِ الَّتِي لَيْسَ لِهَذَا الْمُصَابِ غَيْرُهَا بِالْهَلَاكِ فِي أَسْرَعِ وقْتٍ حَيْثُ قَالَ: فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ، ولَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى ذِكْرِهِ لِلْعِلْمِ بِأَنَّهُ لَا يَحْصُلُ سُرْعَةُ الْهَلَاكِ فَقَالَ: فِيهِ نَارٌ، ثُمَّ لَمْ يَقِفْ عِنْدَ ذَلِكَ حَتَّى أَخْبَرَ بِاحْتِرَاقِهَا لِاحْتِمَالِ أَنْ تَكُونَ النَّارُ ضَعِيفَةً لَا تَفِي بِاحْتِرَاقِهَا، لِمَا فِيهَا مِنَ الْأَنْهَارِ ورُطُوبَةِ الْأَشْجَار، فَاحْتَرَس عَنْ هَذَا الِاحْتِمَالِ بِقَوْلِهِ: فَاحْتَرَقَتْ، فَهَذَا أَحْسَنُ اسْتِقْصَاءٍ وقَعَ فِي كَلَامٍ وأَتَمَّهُ وأَكْمَلَهُ .

قَالَ ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ والْفَرْقُ بَيْنَ الِاسْتِقْصَاءِ والتَّتْمِيمِ والتَّكْمِيلِ أَنَّ التَّتْمِيمَ يَرِدُ عَلَى الْمَعْنَى النَّاقِصِ ليتم والتَّكْمِيلُ يَرِدُ عَلَى الْمَعْنَى التَّامِّ فَيُكَمِّلُ أَوْصَافَهُ والِاسْتِقْصَاءُ يَرِدُ عَلَى الْمَعْنَى التَّامِّ الْكَامِلِ فَيَسْتَقْصِي لَوَازِمَهُ وعَوَارِضَهُ، وأَوْصَافَهُ وأَسْبَابَهُ حَتَّى يَسْتَوْعِبَ جَمِيعَ مَا تَقَعُ الْخَوَاطِرُ عَلَيْهِ فَلَا يَبْقَى

(1) - [البقرة: 266]

لِأَحَدٍ فِيهِ مَسَاغٌ . "[1]

قلت: ما قاله ابن أبي الأصبغ ها هنا من الفرق بين التتميم والتكميل عكس الفرق الذي ذكرنا آنفا عن الشيخ بهاء الدين .

وَمِنْهُ الاعْتِرَاضْ

بِجُمْلَـةٍ أَوْ فَـوْقَ مَـا لَهَـا مَحَـلّْ ... بَـيْنَ كَـلامٍ أَوْ كَلامَـيْنِ اتَّصَـلْ

لِنُكْتَـةٍ تُقْصَـدُ كَالتَّنْزِيـهِ ... لا دَفْـعِ الايْهَـامِ وَكَالتَّنْبِيـهِ

وَكَالـدُّعَا فِي قَوْلِـهِ بَلَغْتَهَـا ... بَعْـدَ الثَّمَـانِينَ ومَـا أَشْـبَهَهَا

يعنى أن من أنواع الإطناب الاعتراض وهو أن يؤتى بجملة أو فوقها ليس لها محل من الإعراب بين كلام متصل لفظا ومعنى أو كلامين اتصل المعنى بينهما أي متصلين معنى، اتصلا لفظا أم لا ؛ لأن نظر أهل المعاني إلى المعنى، والنحاة لا يسمونها اعتراضية .

قال السعد: ليس المراد بالكلام الواحد كونها أي الجملة بين المسند والمسند إليه، بل جميع ما يتعلق بهما من الفضلات والتوابع، والمراد بالاتصال بين الكلامين كون الثاني بيانا للأول أو تأكيدا له أوبدلا منه أو معطوفا عليه أو جوابا له، وإنما كان الاعتراض إطنابا، لأنه لو أسقط المعترض به لبقي الكلام على حاله، والاعتراض يكون لنكتة يقصدها المتكلم، وتلك النكتة كالتنزيه في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ولَهُم مَّا يَشْتَهُونَ 57﴾[2] ولا تكون تلك النكتة رفع الإيهام المذكور في التكميل، فإن قوله: سبحانه جملة لكونه بتقدير الفعل وقعت [250] معترضة في أثناء الكلام ؛ لأن قوله: ولهم ما يشتهون، عطف على قوله لله البنات، والنكتة فيه تنزيه الله عما ينسبون إليه من البنات عند ذكره، ومعنى كون الجملة بتقدير الفعل أن سبحان مصدر معمول لفعل مقدر من معناه، وقدره عصام من لفظه فقال: أي أسبحه سبحانا، وكالتنبيه كما في قول الشاعر:

واعْلَـم فعلـمُ المـرء ينفعـه ... أن سـوف يأتي كـلّ مـا قـدرا

فقوله: فعلم المرء ينفعه، جملة اعتراضية بين اعلم ومفعوليه والفاء اعتراضية لا عاطفة، وكالدعاء

---

(1) – «الإتقان في علوم القرآن» م س ج3 ص–252–253

(2) – سورة النحل، الآية: 57

في قول عوف بن محلّم الشيباني:

إن الثمانين وبُلّغتَها قد احوجت سمعي إلى ترجمان

فقوله: وبلغتها جملة اعتراضية بين اسم إن وخبرها، والواو فيه اعتراضية ليست عاطفة ولا حالية، وما أشبه هذه النكت كالتشكي في قول جرير:

ولقد أراني والجديدَ إلى بِلىً في فِتْيةٍ طُرُفِ الْحديثِ كِرام

فقوله: والجديد إلى بلى، جملة اعتراضية للتشكي والتعزي عما مضى من لذة عشرة الأحباب، وكالاستعطاف في قول المتنبي:

وخفوقُ قلبي لوْ رأيتِ لَهيبه يا جنتي لرأيتِ فيه جهنما

فقوله: يا جنتي اعتراض بين الشرط وجوابه، لطلب العطف من محبوبته عليه، وكتخصيص أحد مذكورين بزيادة التأكيد في أمر يعمهما كقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾[1] فقوله: أن اشكر لي، تفسير لوصينا، وقوله: حملته أمه، اعتراض بينهما إيجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتوكيدا لحقها بالتعظيم مفردا، كذا في المطول .

قوله: أو فوق بالبناء على الضم لقطعها عن الإضافة، وقوله ما لها محل في محل وصف لقوله جملة، وقوله بين كلام إلخ من الظرف في محل وصف لها أيضا، وقوله اتصل فعل ماض مبني للفاعل وفاعله ضمير عائد إلى كلام، والجملة في محل نعت لكلام أي بين كلام اتصل لفظا ومعنى أو كلامين اتصلا معنى، وقوله تقصد بالبناء للنائب في محل وصف لنكتة، والضمير في قوله وما أشبهها عائد إلى النكت الثلاث .

وَبَعْضُهُمْ جَوَّزَهُ فِي الطَّرَفِ

يعنى أن بعض البيانيين جوز وقوع جملة الاعتراض في الظرف أي في آخر الكلام، فقد يجامع التذييل والتكميل حيث لا محل لهما من الإعراب،

وقَالَ قَوْمٌ غَيْرُ جُمْلَةٍ يَفِي

أي قال قوم من أهل البيان إن الاعتراض يجيء غير جملة أي يكون بمفرد في الأثناء فيجامع

(1) - سورة لقمان، الآية: 14

التتميم والتكميل .

قوله غير بالنصب حال مقدم من فاعل يفي أي يفي الاعتراض حال كونه غير جملة .

تنبيــــه

ومن وقوع الاعتراض بأكثر من جملة قوله تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ 220 نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾[1] فقوله: نساؤكم متصل بقوله: فآتوهن، لأنه بيان له وما بينهما اعتراض، وقوله تعالى: ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾[2][251] لأنه معطوف عليه، وقوله: ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ اعتراض بثلاث جمل، والواو فيهن اعتراضية، وقد يقع اعتراض في اعتراض نحو ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ 78 وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ 79﴾﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ 80﴾[3] فقوله: وإنه لقسم الآية، اعتراض، وقوله: لو تعلمون اعتراض في اعتراض .

قال الطيبي: ووجه حسن الاعتراض حسن الفائدة مع أن مجيئه مجيء ما لا يترقب فيكون كالحسنة تأتيك من حيث لا تحتسب .

تنبيــــه

من أنواع الإطناب التي ذكر الناظم الصفة، وترد لأسباب:

أحدها: التخصيص في النكرة نحو ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾[4]

الثاني: التوضيح في المعرفة أي زيادة البيان، نحو ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾[5]

الثالث: المدح والثناء ومنه صفات الله نحو ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ 1﴾[1]

---

(1) – سورة البقرة، الآية: 222–223

(2) – سورة يونس، الآية: 44

(3) – سورة الواقعة، الآية: 77.75

(4) – سورة النساء، الآية: 92، والمجادلة، الآية: 3

(5) – سورة الأعراف، الآية: 158

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ﴾[2] ومنه ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾[3] فهذا الوصف للمدح وإظهار شرف الإسلام والتعريض باليهود وأنهم بعداء عن ملة الإسلام الذي هو دين الأنبياء كلهم، قاله الزمخشري .

الرابع: الذم نحو ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨﴾[4]

الخامس: التأكيد لرفع الإيهام نحو ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾[5] فإن إلهين للتثنية، فاثنين بعده صفة مؤكدة للنهي عن الإشراك، ولإفادة أن النهي عن اتخاذ إلهين إنما هو لمحض كونهما اثنين فقط لا لمعنى آخر من كونهما عاجزين أو غير ذلك، ولأن الوحدة تطلق ويراد بها النوعية، كقوله ﷺ: ((**إنَّما نحْنُ والمُطَّلبُ شيءٌ واحدٌ**)) [6] وتطلق ويراد بها نفي التعدد، فالتثنية باعتبارها، فلو قيل: لا تتخذوا إلهين، فقط لأوهم أنه نهى عن اتخاذ جنسين آلهة، وإن يتخذ من نوع عدد آلهة، ولهذا أكد بالوحدة قوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ ومنه قوله: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾[7] فقوله: يطير، لتأكيد أن المراد بالطائر حقيقته فقط، فقد يطلق مجازا على غيره، وقوله بجناحيه، لتأكيد حقيقة الطيران، لأنه يطلق مجازا على شدة العدو والإسراع في المشي .

قاعـــدة

الصفة العامة لا تأتي بعد الخاصة، لا يقال: " رجل فصيح متكلم " بل " متكلم فصيح " وأشكل

---

(1) – سورة الفاتحة، الآية: 2.1

(2) – سورة الحشر، الآية: 24

(3) – سورة المائدة، الآية: 44

(4) – سورة النحل، الآية: 98

(5) – سورة النحل، الآية: 51

(6) – السنن الكبرى للبيهقي كتاب الصلاة باب الدليل على أن بني عبد المطلب من جملة آله صلى الله عليه وسلم الحديث رقم 2860 ج 2 ص 213 ط دار الكتب العلمية تحقيق محمد عبد القادر عطا

(7) – سورة الأنعام، الآية: 38

على هذا قوله تعالى في إسماعيل: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا 51﴾[1] وأجيب عنه بأنه حال لا صفة أي مرسلا في حال نبوته .

قاعــدة

إذا وقعت الصفة بين متضايفين أولهما عدد، جاز إجراؤها على المضاف وعلى المضاف إليه، فمن الأول ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ﴾[2]

ومن الثاني: ﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾[3]

فائــدة

إذا تكررت النعوت لواحد فالأحسن أن تباعد معنى الصفات العطف نحو ﴿**هُوَ الْأول والآخِرُ والظَّٰهِرُ والْبَاطِنُۖ**﴾[4] وإلا فالأحسن تركه نحو ﴿**وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ 10 هَمَّازٍ**[252] **مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمِۢ 11 مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ اَثِيمٍ 12 عُتُلِّۢ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ 13**﴾[5]

فائـدة

قطع النعوت في مقام المدح والذم أبلغ من إجرائها .

قال الفارسي: " إذا ذكرت صفات في معرض المدح أو الذم، فالأحسن أن يخالف في إعرابها لأن المقام يقتضي الإطناب، فإذا خولف في الإعراب كان المقصود أكمل ؛ لأن المعاني عند الاختلاف تتنوع وتتفنن، وعند الاتحاد تكون نوعا واحدا " .

ومنها التفسير قال أهل البيان: وهو أن يكون في الكلام لبس وخفاء فيؤتى بما يزيله ويفسره .

ومن أمثلته ﴿**إِنَّ أَلِانسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعاً 19 إذا مَسَّهُ اُلشَّرُّ جَزُوعاً 20 وإِذَا مَسَّهُ اُلْخَيْرُ مَنُوعاً 21**﴾[6] فقوله:

(1) – سورة مريم، الآية: 54
(2) – سورة الملك، الآية: 3
(3) – سورة يوسف، الآية: 46
(4) – سورة الحديد، الآية: 3
(5) – سورة القلم، الآية: 13.10
(6) – سورة المعارج، الآية: 21.19

إذا مسه إلى آخره، تفسير الهلوع، كما قال أبو العالية وغيره .

ومنها وضع الظاهر موضع المضمر، وله فوائد منها زيادة التقرير والتمكين نحو ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ 1 ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ 2﴾[1] والأصل هو الصمد، ومنه قصد التعظيم نحو ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[2]،منها قصد الإهانة والتحقير نحو ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[3] ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾[4]

ومنها إزالةُ اللبس نحو قوله تعالى: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾[5]كرر السوء لأنه لو قال: عليهم دائرته لأوهم أن الضمير عائد إلى الله فيقع اللبس .

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾[6] لم يقل منه، ليلا يتوهم عود الضمير إلى الأخ فيصير كأنه مباشر بطلب خروجها وليس كذلك لما في المباشرة من الأذى الذي تأباه النفوس، فأعيد لفظ الظاهر لنفي هذا وإزالة اللبس، ولم يقل من وعائه ليلا يتوهم عود الضمير إلى يوسف لأنه العائد إليه ضمير استخراجها، ومنها قصد تربية المهابة وإدخال الروع على ضمير السامع بذكر الاسم المقتضي لذلك كما يقول:

" الخليفة أمير المؤمنين يأمرك بكذا "

ومنه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ﴾[7] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾[8]

ومنها قصد تقوية داعية المأمور إلى الامتثال نحو ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

---

(1) – سورة الإخلاص، الآية: 2.1

(2) – سورة البقرة، الآية: 282

(3) – سورة المجادلة، الآية: 19

(4) – سورة الإسراء، الآية: 53

(5) – سورة الفتح، الآية: 6

(6) – سورة يوسف، الآية: 76

(7) – سورة النساء، الآية: 58

(8) – سورة الإسراء، الآية: 90

ﭐلۡمُتَوَكِّلِينَ 159﴾[1]

ومنها التنبيه على علية الحكم نحو ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزاً﴾[2] لم يقل عليهم تنبيها على أن علة إنزال الرجز عليهم هو الظلم، وقد تقدمت نكت وضع الظاهر موضع المضمر في آخر باب المسند إليه .

ومنها أيضا الطرد والعكس، قال الطيبي: وهو أن يؤتى بكلامين يقرر الأول بمنطوقه مفهوم الثاني، وبالعكس، كقوله تعالى: ﴿لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ والذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ ومِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ ولاَ عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ﴾[3] فمنطوق الأمر بالاستئذان في تلك الأوقات خاصة، مقرر لمفهوم رفع الجناح فيما عداها، ومفهوم رفع الجناح فيما عدى تلك الأوقات، مقرر لمنطوق الأمر بالاستئذان في تلك الأوقات خاصة، وكذا [253] قوله تعالى: ﴿لاَّ يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ ويَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ 6﴾[4]

ومنها التعليل وفائدته التقرير والأبلغية، فإن النفوس أبعث على قبول الأحكام المعللة من غيرها، وغالب التعليل في القرآن على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى، وحروفه اللام، وإن، وأن، وإذ، والباء، وكي، ومن، ولعل .

ومما يقتضى التعليل لفظ الحكمة كقوله: ﴿حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ﴾[5]، ذكر الغاية من الخلق نحو ﴿جَعَلَ لَكُمُ الأرض فِرَٰشاً والسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾[6] ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ الأرض مِهَٰداً 6 والۡجِبَالَ أَوۡتَاداً 7﴾[7] أي العلة في خلق

(1) – سورة آل عمران، الآية: 159

(2) – سورة البقرة، الآية: 59

(3) – سورة النور، الآية: 58

(4) – سورة التحريم، الآية: 6

(5) – سورة القمر، الآية: 5

(6) – سورة البقرة، الآية: 22

(7) – سورة النبأ، الآية: 7.6

الأرض كونها فراشا، وفي خلق السماء كونها بناء، وفي خلق الجبال كونها أوتادا تسكن الأرض انتهى.

نقلتُ هذا كله من التنبيه الثاني إلى هنا من الإتقان ببعض تصرف بزيادة إيضاح . [1]

ولما فرغ من عد أنواع إطناب الزيادة، شرع في ذكر إطناب البسط فقال:

وَقَـدْ يَكُـونُ مُطْنَبًـا بِغَـيْرِ ذَا ... مِـنْ جُمَـلٍ وأَحْـرُفٍ لَهَـا شَـذَا

يعنى أن الإطناب قد يكون بغير هذا الذي تقدم، من أنواع الإطناب الزيادة أعني الإيضاح بعد الإبهام وما ذكر بعده، وذلك الغير هو المسمى إطناب البسط، وهو يكون من جمل كثرة أو أحرف لها شذا أي رائحة طيبة، أي لها معنى حسن، وهي حروف الزيادة والتنبيه .

فالأول: كقوله تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلأرض بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ 163﴾[2] في سورة البقرة، أطنب فيها أبلغ إطناب، لكون الخطاب فيها مع الثقلين في كل عصر وحين، للعالم منهم والجاهل، والمنافق والموافق، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾[3] فإنه لو اختصر، أي ترك الإطناب لم يذكر ويؤمنون به ؛ لأن إيمانهم لا ينكره من يصدق بهم، فلا حاجة إلى الإخبار به، لكونه معلوما، وحسن ذكره إظهار شرف الإيمان، وأنه مما يتحلى به حملة العرش ومن حوله، ترغيبا في الإيمان، وقوله ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ 5 ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[4] وليس من المشركين مُزكٍّ، والنكتة فيه الحث للمؤمنين على أدائها، والتحذير من المنع، حيث جعل من أوصاف المشركين .

والثاني: كالإتيان بحروف التنبيه والتوكيد والزيادة كقوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾[5] وقوله:

---

(1) – الإتقان للسيوطي م س ج3 ص255.254

(2) – سورة البقرة، الآية: 164

(3) – سورة غافر، الآية: 7

(4) – سورة فصلت، الآية: 7.6

(5) – سورة آل عمران، الآية: 119

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[1] وإنما يحسن التأكيد إذا كان المخاطب مُنْكِراً أو مُتردِّدا، ويتفاوت التأكيد بحسب قوة الإنكار وضعفه .

قال في الإتقان: فائدة إذا اجتمعت إن واللام كان بمنزلة تكرير الجملة ثلاث مرات ؛ لأن " إن" أفادت التكرير مرتين فإذا دخلت اللام صارت ثلاثا، وعن الكسائي أن اللام لتأكيد الخبر[254] وإن لتوكيد الاسم، وفيه تجوز لأن التوكيد لنسبة الخبر إلى الاسم لا للاسم ولا للخبر وكذلك نون التوكيد الشديدة بمنزلة تكرير الفعل ثلاثا، والخفيفة بمنزلة تكريره مرتين .

وقال سيبويه في نحو " يا أيها " الألف والهاء لحقتا أيا تأكيدا، فكأنك كررت " يا" مرتين وصار الاسم تنبيها، وتابعه الزمخشري .

والإطناب بحروف الزيادة كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٥﴾[2]

قال ابن جني: كل حرف زيد في كلام العرب فهو قائم مقام الجملة مرة أخرى .

قال الزمخشري في كشافه: القديم الباء في خبر ليس وما لتوكيد النفي كما أن اللام لتأكيد الإيجاب، وسئل بعضهم عن التأكيد بالحرف ما معناه ؟ إذ إسقاطه لا يخل بالمعنى، فقال هذا يعرفه أهل الطباع يجدون من زيادة الحرف معنى لا يجدونه في إسقاطه، قال ونظيره العارفون بوزن الشعر طبعا إذا تغير عليه البيت بنقص أنكره وقال أجد نفسي على خلاف ما أجدها بإقامة الوزن، فكذلك حروف التأكيد والزيادة تتغير نفس البليغ المطبوع بنقصانها ويجد نفسه بزيادتها على معنى بخلاف ما يجدها بنقصانها، ثم باب الزيادة في الحروف، وزيادة الأفعال قليلة، وزيادة الأسماء أقل.

قوله: من جمل بيان للغير، وقوله أو أحرف بالجر معطوف عليه .

قلت: ومقتضاه أن الإطناب بحروف التوكيد والزيادة والتنبيه من قبيل إطناب البسط، وليس كذلك، بل هو من قبيل إطناب الزيادة الذي تقدم .

قوله لها شذا أي رائحة استعيرت الرائحة للمعنى أي أحرف لها معنى .

(1) - سورة البقرة، الآية: 243

(2) - سورة فصلت، الآية: 46

ولما فرغ من الكلام على أن الكلام يوصف بالإيجاز والإطناب، باعتبار كونه ناقصا عما يساوى أصل المراد، وافيا به، أو زائدا عليه لفائدة، وهما المتكلم عليهما من أول الباب إلى هنا، شرع يتكلم على وصف الكلام بهما، باعتبار كثرة الحروف وقلتها، بالنسبة إلى كلام آخر، مساو لذلك الكلام في أصل المعنى المراد، فقال:

وَبِهِمَـــــا كَلامُهُـــــــمْ مَوْصُــــــوفُ إِنْ كَثُـــرَتْ أَوْ قَلَّـــتِ الحُـــرُوفُ

بِنِسْــــبَةٍ إِلَى كَـــلامٍ آخَــــرَا سَـــاوَاهُ فِي المَعْـــنَى إِذَا مَـــا نُظِـــرَا

يعنى أن كلام البلغاء أو كلام العرب، يوصف بهما أي بالإيجاز والإطناب، فيقال فيه موجز أو مطنب، إن كثرت الحروف فيه أو قلت، بالنسبة إلى كلام آخر يساويه في أصل المعنى المقصود إذا ما نظر فيه، فيقال للأكثر حروفا أنه مطنب، وللأقل حروفا أنه موجز، فعلى هذا يكون الكلام الموجز أصلا لكونه ناقصا عن المعنى وافيا به مطنبا بالنسبة إلى كلام آخر مساو له في أصل المعنى المراد، لكونه أقل منه حروفا، كقول العرب: " القتل أنفي للقتل " فإنه موجز أصلا، بل هو أوجز ما قيل في هذا المعنى عند العرب، لكنه مطنب بالنسبة إلى [255] قوله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ**﴾[1] لكونه أكثر منه حروفا، ويكون الكلام المطنب أصلا لكونه زائدا على أصل المعنى لفائدة، موجزا بالنسبة إلى كلام آخر مساو له في أصل المعنى المراد، لكونه أكثر منه حروفا، كقوله تعالى: ﴿**لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ** 23﴾[2] فإنه موجز بالنسبة إلى قول الحماسي:

ونُنكــرُ إنْ شِــئْنا عَلـى النّـاس قــوْلَهم ولا يُنْكـــرون القـــولَ حـــينَ نقـــولُ

لكونه أقل منه حروفا، ومنه قول الشاعر:

ولســـتُ بنَظَّـــارٍ إلى جانـــب الغِـــنى إذا كانـــتِ العليـــاءُ في جانـــب الفقـــر

فإنه مطنب بالنسبة إلى قول الشاعر الآخر: يَصُدُّ عن الدنيا إذا عَنَّ سُؤدَدٌ .

أراد الأول بالغني مسببه الذي هو الراحة، وبالفقر مسببه الذي هو المحنة، يعنى أن السيادة مع التعب والمشقة أحب إليه من الراحة بدونها، فالمصراع الثاني إيجاز بالنسبة إلى البيت الأول

(1) - سورة البقرة، الآية: 179

(2) - سورة الأنبياء، الآية: 23

لمساواته له في أصل المعنى المراد مع كونه أقل منه حروفا، والبيت مطنب بالنسبة إلى المصراع لكونه مساويا له في أصل المعنى وأقل منه حروفا، وأصل المعنى فيهما الإعراض عن الدنيا عند ظهور السؤدد في غيرها انتهى .

هنا تم علم المعاني، والحمد لله على نعمه وإفضاله، بعون الله وحسن توفيقه، ونحمده على جزيل نواله، ونصلى على رسول الله ﷺ ونسأل من الله العون على إتمام شرح الفنين بعده على الوجه المطلوب، إنه هو الجواد الكريم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير، اللهم صل على النبي الأمي وآله وسلم .

الفـــــن الثــــاني علم البيـــــــان

" وموضوعه التراكيب الخبرية والطلبية، من حيث اختلافهما في وضوح الدلالة على ما يفاد بهما من المعاني، والمراد بعلم البيان هنا ما قابل علمي المعاني والبديع، والعلم المراد به القواعد المعلومة، أو الإدراك، أو الملكة، أي الهيئة الراسخة في النفس التي يتمكن بها من إدراك جزئيات المسائل مسألة مسألة من غير احتياج إلى كسب جديد" قاله في فيض الفتاح .[1]

عِلْـمُ الْبَيَـانِ هُـوَ مَـا بِـهِ عُـرِفْ ... إِيـرَادُ مَعْـنًى واحِـدٍ بِالْمُخْتَلِـفْ
مِـنْ طُـرُقٍ فِي الِاتِّضَـاحِ مُكْمِلَـهْ

يعنى أن علم البيان هو الإدراك، أو القواعد، أو الملكة التي يعرف بها إيراد المعنى الواحد الداخل تحت قصد المتكلم، بطرق أي تراكيب مختلفة في الاتضاح، أي في وضوح الدلالة على ذلك المعنى الواحد المقصود، بأن يكون بعض الطرق واضح الدلالة عليه وبعضها أوضح .

وتقرير البيت: علم البيان هو العلم[256] الذي عرف به أي علم إيراد المعنى الواحد بالمختلف من طرق، أي بطرق مختلفة في الاتضاح، أي في وضوح الدلالة عليه مكملة، أي كاملة في الوضوح، لكنها تتفاوت في وضوح الدلالة على ذلك المعنى الواحد، بأن يكون بعضها واضح الدلالة عليه وبعضها أوضح .

فقوله بالمختلف متعلق بإيراد، وقوله من طرق بيان للمختلف، إذ هو موصوفه أخر عنه، وقوله في الاتضاح متعلق بقوله المختلف، وقوله مكمله نعت لطرق .

مثال تفاوت الطرق في التشبيه " زيد كالبحر في الكرم " " زيد كالبحر " " زيد بحر " الأول أوضح، ثم يليه الثاني، ثم الثالث، وكلها كامل في الوضوح .

ومثاله في المجاز " رأيت بحرا في دار زيد " ثم " طَمَّ زيدٌ الأنام بالإِنْعام " ثم " لجة زيد تتلاطم أمواجها " فكل هذه الطرق واضح الدلالة على المعنى المقصود الذي هو نسبة الكرم إلى زيد، لكن الأول أوضح دلالة عليه، ويليه الثاني، ثم الثالث .

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص86

ومثاله في طرق الكناية " زيد كثير الرماد " ثم " زيد مهزول الفصيل " ثم " زيد جبان الكلب " فكل هذه الطرق كامل في الدلالة على المعنى المقصود الذي هو نسبة الكرم إلى زيد، لكن الأول أوضح دلالة عليه، ويليه الثاني، والثالث، فتقييد الاختلاف بأن يكون في الوضوح، إشارة إلى أنه لو أورد المعنى الواحد بطرق مختلفة في العبارة دون الوضوح كالأسد والليث والغضنفر، لم يكن من علم البيان .

قال في فيض الفتاح: " قال الجربي: الغرض من معرفة هذا الإيراد أن يحترز المتكلم عن الخطإ في إيراد الكلام، فيورده مطابقا لتمام المراد، حتى لا يورد من الكلام ما يدل على مقصوده دلالة خفية عند اقتضاء المقام دلالة واضحة، أو واضحة عند اقتضائه دلالة خفية، أو أوضح عند اقتضائه دلالة متوسطة في الوضوح والخفاء، أو متوسطة عند اقتضائه أوضح أو أخفى " انتهى . [1]

فظهر أن مرجع البيان إلى اعتبار المبالغة في إثبات المعنى للشيء، ولما لم تكن كل دلالة قابلة للاختلاف في الوضوح، احتيج إلى تقسيمها وتعيين المقصود منها، فأشار الناظم إلى تقسيمها بقوله:

فَـاللَّفْظُ إِنْ دَلَّ عَلَـى الْمَوْضُـوعِ لَـهْ ... مِـــنْ طُـــرُقٍ فِي الاِتِّضَـــاحِ مُكْمِلَـــهْ

فَسَـــــــمِّهَا دَلالَـــــــةً وضْـــــــعِيَّهْ

اعلم أن الدلالة مطابقة كانت، أو تضمنا، أو التزاما من علم اللغة، فلذا ذكرها أهل الفنون كالبيان والأصول والمنطق في فنونهم، لاحتياجهم إليها، والمعنى أن اللفظ إذا دل على المعنى الموضوع ذلك اللفظ له من حيث أنه موضوع له فسمها أي سم تلك الدلالة وضعية ؛ لأن الواضع إنما وضع اللفظ للدلالة على المعنى الموضوع له، وذلك كدلالة لفظ الإنسان على الحيوان الناطق، والمراد بالوضعية ما يكون للوضع فيها مدخل، احترازا من الدلالة الطبيعية كدلالة حمرة الوجه [257] على الخجل، والعقلية كدلالة الأثر على المؤثر أو بالعكس، وإن دل اللفظ على جزئه أي جزء معناه الموضوع له من حيث أنه جزء لذلك كدلالة الإنسان على الحيوان فقط أو على الناطق فقط، أو دل على معنى لازم لمعناه الموضوع له خارج عنه من حيث أنه خارج لازم كدلالة الإنسان على الضاحك، فسم تلك الدلالة عقلية، وإنما سميت عقلية لأن دلالته عليهما إنما هي من جهة حكم

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص86

العقل أي أن العقل يحكم بأن حصول الكل، والملزوم يستلزم حصول الجزء والكل، وهذه الدلالات الثلاث تسمى دلالة لفظية وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

ـ دلالة مطابقة، وهي الأولى، سميت مطابقة لمطابقة الفهم الوضع ؛ لأن ما فهم هو ما وضع له اللفظ .

ـ والثانية دلالة تضمن، سميت بذلك لتضمن معنى اللفظ الجزء المفهوم .

ـ والثالثة دلالة الالتزام، سميت بذلك لكون الخارج لازما للمعنى الموضوع له اللفظ، فالمشهور أن التضمن والالتزام فهم الجزء، واللازم في ضمن فهم الكل والملزوم، وشرط الالتزام اللزوم بين المعنى الموضوع له اللفظ والخارج عنه، بأن يكون المعنى الخارج بحيث يلزم من حصول المعنى الموضوع له اللفظ حصوله عقلا أو عرفا أو شرعا، ولا يشترط اللزوم العقلي عند البيانيين، وأشار إلى تعيين المقصود منها بقوله:

وَإِنَّمَـــا يَخْتَلِـــفُ الْإِيــــرَادُ فِي   عَقْلِيَّـــةٍ ولَـــيْسَ فِي تِلْـــكَ يَفِـــي

يعنى أن إيراد المعنى الواحد بطرق لا يختلف في الوضوح إلا في الدلالة العقلية من التضمن والالتزام، أما في التضمن فلأنه يجوز أن يكون المعنى جزءا من شيء وجزء الجزء من شيء آخر، فدلالة الشيء الذي ذلك المعنى جزء منه على ذلك المعنى أوضح من دلالة الشيء الذي ذلك المعنى جزء من جزئه، مثلا دلالة الحيوان على الجسم أوضح من دلالة الإنسان عليه، ودلالة الجدار على التراب أوضح من دلالة البيت عليه ؛ لأن الحيوان جزء للاسم ابتداء من غير واسطة، والإنسان يدل على الجسم بواسطة هي الحيوان، وأما في الالتزام فلجواز أن يكون لملزوم واحد عدة لوازم لزومه لبعضها أوضح منه لبعض، بسبب قلة الوسائط، فيمكن تأدية ذلك المعنى الملزوم بالألفاظ الموضوعة لهذه اللوازم المختلفة في الدلالة عليه وضوحا وخفاء، مثلا معنى قولنا زيد جواد، يلزمه عدة لوازم مختلفة اللزوم، مثل كونه كثير الرماد وجبان الكلب، ومهزول الفصيل، فيؤدى هذا المعنى بتلك العبارات التي بعضها أوضح دلالة عليه من بعض ؛ لأن الذهن ينتقل في الأول من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدر، ومنه إلى كثرة الطبائخ، ومنه إلى كثرة الآكلين، ومنه إلى كثرة الضيفان، ومنه إلى المقصود أعني الجود . [258]

وينتقل في الثاني من جبن الكلب إلى كثرة ضربه، ومنه إلى كثرة الواردين، ومنه إلى كثرة الضيفان، ومنه إلى المقصود .

وينتقل في الثالث من هزال الفصيل إلى نحر أمه لأجل الضيفان، ومنه إلى المقصود .

قوله: وليس في تلك يفي، يعنى أن الاختلاف أي اختلاف الطرق في وضوح الدلالة على المعنى لا يفي، أي لا يجيء في تلك الدلالة، أي دلالة الوضع المسماة بدلالة المطابقة ؛ لأن السامع إن كان عالما بوضع الألفاظ لذلك المعنى لم يكن بعضها عنده أوضح دلالة عليه من بعض، وإن لم يكن عالما لم يكن واحد من الألفاظ دالا عليه، لتوقف دلالته عليه عنده على العلم بالوضع .

قال في فيض الفتاح: " فإن قال لا نسلم عدم حصول الإيراد بطرق مختلفة في الوضعية، لجواز خطور معاني بعض الألفاظ في العقل بسرعة وبطئه في بعضها، كالأسد والغضنفر، وكتقديم بعض المعلومات على بعض، فيجوز أن يكون كلام أوضح من الآخر مع المرادفة في كل الألفاظ، فالجواب أن ذلك إنما يكون بسرعة تذكر السامع الوضع وبطئه، والمراد بالاختلاف في الوضوح إنما هو بالنظر إلى نفس الدلالة، ودلالة الالتزام كذلك ؛ لأنها تكون واضحة كما في اللوازم القريبة، وخفية كما في البعيدة ذات الوسائط " . [1]

وَمَا بِهِ أُرِيدَ لازِمٌ وقَدْ ... قَامَتْ قَرِينَةٌ عَلَى أَنْ لَمْ يَرِدْ

مَجَازٌ أو لا فَكِنَايَةٌ وقَدْ

يعنى أن اللفظ الذي أريد به لازم معناه الموضوع له سواء كان ذلك اللازم جزءا أو خارجا، والحال أنه قد قامت قرينة على أن لم يرد أي على عدم إرادة معناه الموضوع له، فذلك اللفظ مجاز أي يسمى مجازا نحو رأيت أسدا يتكلم، فقولك: يتكلم، قرينة على أن لفظ الأسد لم يرد به معناه الموضوع له الذي هو الذات المفترسة .

قوله: أو لا فكناية أي وإن لم تقم قرينة على عدم إرادة المعنى الموضوع له اللفظ مع كون اللفظ مرادا به لازم معناه، فذلك اللفظ كناية أي يسمى كناية نحو زيد طويل النجاد، حيث لا قرينة دالة على عدم إرادة طول النجاد حقيقة، بل تجوز إرادته مع إرادة لازمه الذي هو طول القامة، والضمير النائب

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص89

عن الفاعل في قوله لم يرد عائد إلى المعنى الموضوع له اللفظ المفهوم من المقام، وقوله كناية بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي فهو كناية .

وقَـــــــــــــدْ يُبْـــنَى عَلَـــى التَّشْـــبِيهِ أَوَّلْ .

يعنى أن المجاز قد يبنى على التشبيه، أي منه نوع يتفرع عن التشبيه أي العلاقة فيه بين المعنى الحقيقي والمجازي المشابهة، وهو الاستعارة التحقيقية، والتمثيلية، والمكنية والتخييلية، ومعنى بناء بعض المجاز على التشبيه كون[259] التشبيه حقيقة له أو علاقة له، ولأجل بناء المجاز على التشبيه ورَدْ أولا أي بَدَأُوا به في أول الفن، ولما كانت له مباحث كثيرة استحق أن يجعل بابا على حدة، وهو مقصود في هذا الفن لذاته، لاختلاف طرقه وضوحا وخفاء، لا مجرد مُقَدِّمَة لبحث الاستعارة، لكثرة مباحثه وعموم فوائده، ثم هو حقيقة لا مجاز عند صاحب عروس الأفراح، [1] خلافا لابن الأثير القائل في كنز البراعة إن الجمهور على أن التشبيه الصريح نحو " زيد كالأسد " مجاز، فانحصر المقصود من علم البيان في ثلاثة: التشبيه، والمجاز، والكناية .

وعبر الطيبي بعبارة أخرى في وجه الحصر فقال: اعتبار المبالغة في إثبات المعنى للشيء إما على طريقة الإلحاق أو الإطلاق، والثاني إما إطلاق الملزوم على اللازم أو عكسه، وما يبحث فيه عن الأول التشبيه، وعن الثاني المجاز، وعن الثالث الكناية، فانحصر الكلام فيه في الثلاثة .

قوله: يبنى مضارع مبني للمفعول، مفعوله ضمير عائد إلى المجاز، وقوله أولا ظرف منصوب بقوله بعد ورد، وجملة ورد أولا استئناف بياني، جواب لسؤال مقدر اقتضته الأولى، تقديره هل ورد التشبيه في هذا الفن .

التشبيـــــه

أي هذا مبحثه، وهو المقصد الأول من المقاصد الثلاثة .

قال في الإتقان: " وهو من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها ." [2]

قال المبرد في الكامل: " لو قال قائل هو أكثر كلام العرب لم يبعد " [1]

(1) - عروس الأفراح م س ج2 ص19

(2) - الإتقان للسيوطي، م س ج3 ص142

وأشار الناظم إلى تعريفه بقوله:

هُوَ الدَّلالَةُ عَلَى اشْتِرَاكِ ... أَمْرٍ لآخَرَ بِمَعْنًى زَاكِي
لا كَاسْتِعَارَةٍ بِتَحْقِيقٍ ولا ... كِنَايَةٍ ولا كَتَجْرِيدٍ جَلا

يعنى أن التشبيه عند أهل البيان هو الدلالة أي دلالة اللفظ على اشتراك أمر لآخر أي على مشاركة أمر هو المشبه لأمر آخر هو المشبه به، بمعنى زاكي، أي في معنى نام هو وجه التشبيه، وتلك المشاركة حاصلة بكاف الجر ونحوه من أدوات التشبيه الآتي ذكرها ظاهرة أو مقدرة، لا كاستعارة بتحقيق، أي ليست تلك المشاركة جارية على طريق الاستعارة التحقيقية، ولا كناية أي ولا على طريقة الاستعارة بالكناية، ولا كتجريد جلا أي وليست على سبيل التجريد الآتي في البديع على رأي القزويني، فإن التجريد عنده لا يسمى تشبيها خلافا للسكاكي .

مثال ما استوفى الشروط زيد كالأسد، زيد أسد، فقولنا بكاف الجر ونحوه لإخراج باب العطف، وباب المفاعلة، وباب التفضيل، فإن في كل من الثلاثة دلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى، لكنها ليست بكاف التشبيه، ولا ما يقوم مقامه من أدوات التشبيه، كذا للسعد زيادة على حد [260] التلخيص .

وقول الناظم لا كاستعارة إلخ لإخراج الاستعارة التحقيقية والمكنية والتجريد، فإن في كل من الثلاثة دلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى، لكن لا يسمى شيء منها تشبيها اصطلاحا .

وترك الناظم في حد التشبيه التقييد بالأداة، بناء على أن باب العطف والمفاعلة والتفضيل لا يشملها الحد حتى تحتاج إلى مخرج ؛ لأن المفهوم الصريح في نحو قام زيد، وعمرو ضارب زيدا عمرا، وزيد أكرم من عمرو، إنما هو ثبوت الفعل لكل من زيد وعمرو، يلزمه مشاركة أحدهما للآخر فيه، والمتكلم إنما أراد الأول الذي هو ثبوت الفعل لكل منهما دون الثاني الذي هو مشاركة أحدهما للآخر فيه وهو اللازم، فعلى هذا، فالحد غير شامل لها فلا تحتاج إلى تخريج بزيادة التقييد بالأداة .

قال في الإتقان: " وعَرَّفَهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمُ السَّكَّاكِيُّ: بِأَنَّهُ الدلالة على مشاركة أمر لِأَمْرٍ فِي مَعْنًى وقَالَ

---

(1) - «الكامل في اللغة والأدب» ج3ص70 ت محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3 دار الفكر العربي، ونص كلام المبرد في الكامل: «والتشبيه جار كثيراً في كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم، لم يبعد»

ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ هُوَ إِخْرَاجُ الْأَغْمَضِ إِلَى الْأَظْهَرِ .

وَقَالَ غَيْرُهُ هُوَ إِلْحَاقُ شَيْءٍ بِذِي وصْفٍ فِي وصْفِهِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ أَنْ تُثْبِتَ لِلْمُشَبَّهِ حُكْمًا مِنْ أَحْكَامِ الْمُشَبَّهِ بِهِ، والْغَرَضُ مِنْهُ تَأْنِيسُ النَّفْسِ بِإِخْرَاجِهَا مِنْ خَفِيٍّ إِلَى جَلِيٍّ وإِدْنَائِهِ الْبَعِيدَ مِنَ الْقَرِيبِ لِيُفِيدَ بَيَانًا، وقِيلَ الْكَشْفُ عَنِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ مَعَ الِاخْتِصَارِ ."[1]

والمشهور في تعريفه ما ذكره الناظم، وهو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى لا على وجه الاستعارة التحقيقية، ولا على وجه الاستعارة بالكناية، ولا على وجه التجريد الآتي في البديع، واللام في قوله لآخر بمعنى مع، وقوله بمعنى متعلق بقوله اشتراك، والباء بمعنى في، وقوله زاكي بمعنى تام، اسم فاعل من زكي وصف لمعنى لتتميم البيت، وقوله بتحقيق متعلق بمحذوف، أي كائنة أو مستقرة نعت لقوله استعارة، وقوله ولا كناية بالجر معطوف على بتحقيق، وقوله جلا بمعنى وضح في محل نعت لقوله تجريد .

فَـدَخَلَ الَّـذِي أَدَاتُـهُ فَقَـدْ ... كَقَوْلِـهِ صُـمٌ ونَحْـو ذَا أَسَـدْ

أي فبسبب ترك اشتراط ذكر أداة التشبيه في التعريف، دخل في التشبيهِ التشبيهُ الذي أداته فَقَدْ أي المفقودة فيه الأداة، إما مع المشبه كقوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكۡمٌ عُمۡيٌ﴾[2] أي هم كصم في عدم الانتفاع بالخير أي القرآن، فكما أن الصم لا ينتفعون بالقرآن لعدم سماعهم له أصلا، فكذلك كفار قريش، أو المنافقون لا ينتفعون به مع سماعهم له، لكون سماعهم له ليس بسماع قبول، فهو كَلا سَماعٍ، ودخل فيه أيضا ما فقدت منه الأداة فقط، نحو ذا أسد، أي " ذا كأسد في الجرأة " فإن المحققين على أن الذي حذفت منه الأداة وحدها أو مع المشبه تشبيه بليغ، لا استعارة ؛ لأن المستعار له في الآية وهم [261] المنافقون مذكور تقديرا، أي المنافقون صم وفى " زيد أسد " صريحا، وإنما تطلق الاستعارة حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خاليا عنه صالحا لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه، لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام، ومن ثم ترى البلغاء السحرة يتناسون التشبيه ويضربون عنه

(1) - الإتقان للسيوطي م س ج3 ص142

(2) - سورة البقرة، الآية: 18

صفحا .

والفاء في قوله: فدخل سببية، وقوله: أداته مبتدأ خبره جملة فقد المبني للنائب، وقوله ونحو بالجر معطوف على المجرور بالكاف، وذا اسم إشارة .

أَرْكَانُـــــهُ أَرْبَعَـــــةٌ أَدَاتُـــــهُ   ووَجْهُـــــهُ والطَّرَفَـــانِ ذَاتُـــهُ

يعنى أن أركان التشبيه التي ابتنى منها وأسس عليها أربعة، وهي أداته الكاف أو ما يقوم مقامها من أدوات التشبيه من حرف أو اسم أو فعل، ووجهه وهو المعنى الذي وقع الاشتراك والتشبيه فيه، والطرفان أي طرفا التشبيه وهما المشبه والمشبه به، وهذه الأربعة هي ذاته أي حقيقته وماهيته، إذ الركن جزء الذات، فقوله أداته مبتدأ، وقوله ذاته خبر عن أداته، وما عطف عليه .

وَهَهُنَـــا يُنْظَـــرُ فِي هَـــذِي وفِي   أَقْسَـــامِهِ وغَـــرَضٍ مِنْـــهُ وفِي

يعنى أن النظر والبحث ها هنا أي في باب التشبيه في هذه أي الأركان الأربعة المذكورة آنفا، وفى أقسامه، وفى الغرض منه الوافي بالإفادة والقصد، فقوله وفى نعت لقوله غرض وإطلاق الأركان على الأربعة المذكور إما باعتبار أنها مأخوذة في تعريفه أعني الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى بالكاف ونحوه، وإما باعتبار أن التشبيه في الاصطلاح كثيرا ما يطلق على الكلام الدال على المشاركة المذكورة كقولنا زيد كالأسد في الشجاعة، ولما كان الطرفان هما الأصل والعمدة في التشبيه، لكون الوجه معنى قائما بهما، والأداة آلة في ذلك قدم الناظم بحثهما فقال:

فَالطَّرَفَـــانِ مِنْـــهُ حِسِّـــيَّانِ   مُخْتَلِفَـــانِ أَوْ فَعَقْلِيَّـــــان

يعنى أن التشبيه ينقسم باعتبار طرفيه إلى ثلاثة أقسام، فإما أن يكونا حسيين أي منسوبين إلى الحس أي مدركان به، وإما أن يكونا مختلفين، بأن يكون الأول عقليا، والثاني حسيا، أو بالعكس أي الأول حسي، والثاني عقلي .

قال في فيض الفتاح: " والتحقيق امتناع تشبيه المحسوس بالمعقول ؛ لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس، وإذا كان المحسوس أصلا فتشبيهه به يجعل الأصل فرعا، والفرع أصلا "[1]

وإما أن يكونا عقليين أي منسوبين إلى العقل، لكونهما مدركين به، فالطرفان الحسيان **كَالخَدِّ**

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص94

والْوَرْدِ أي كتشبيه الخد بالورد في الحمرة من المبصرات، وكتشبيه النكهة أي رائحة الفم بالعنبر في الطيب من المشمومات، وكتشبيه الصوت بالهمس في الضعف من المسموعات، والهمس الصوت الذي أخفي حتى كأنه لا يخرج عن [262] فضاء الفم، وكتشبيه الريق بالشهد في اللذة، والطيب من المذوقات، وكتشبيه الجلد الناعم بالحرير في اللين، والملامسة من الملموسات، والطرفان المختلفان لكون المشبه عقليا والمشبه به حسيا .

كَنُورٍ وهُدَى أي كتشبيه الهدى أي العلم بالنور في الاهتداء إلى الصراط المستقيم، أي كما أن النور أي الضوء لا يضل صاحبه أي الماشي فيه عن الطريق المحسوسة، بل يهتدي إليها لتمييزه بين الأشياء بحواسه، فكذلك العلم لا يضل صاحبه أي المتصف به عن الطريق المعقولة، وهي طريق الشرع الموصلة إلى الجنة، لأنه بمنزلة الضوء والنور في العقل، فهو يضيئه ويهديه في المعقولات إلى سبيل الرشاد ويمنعه من الخطأ والضلال، كما يمنع النور الماشي فيه من الضلال، والطرفان المختلفان لكون المشبه حسيا والمشبه به عقليا، **كَالسَّبْعِ والْمَوْتِ** أي كتشبيه السبع بالموت في اغتيال النفوس، والسبُع بضم الباء وفتحها هو الحيوان المفترس، وسكونها في البيت لضرورة الوزن، فالمشبه في المثال الأول وهو الهدى أي العلم عقلي، لكونه عبارة عن الإدراك أو الملكة، والمشبه به وهو النور حسي، لكونه عبارة عن الضوء وهو مدرك بالبصر، والمشبه في المثال الثاني وهو السبع حسي، لكونه عبارة عن الذات المفترسة، والمشبه به وهو الموت عقلي، لكونه عبارة عن عدم الحياة، وكتشبيه رائحة العطر بخلق شخص كريم، فالخُلُق بضمتين عقلي، لكونه عبارة عن هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بسهولة، ورائحة العطر حسية لكونها مشمومة .

الطرفان العقليان **وجَهْلٍ ورَدَى** أي كتشبيه الجهل بالموت، وهو معنى قوله وردى أي هلاك في عدم الانتفاع، وتشبيه العلم بالحياة في الانتفاع بهما، أو في كون كل منهما جهة إدراك ؛ لأن المراد بالعلم الملكة المقدور بها على إدراك الجزئيات، والحياة شرط الإدراك، والسبب والشرط يشتركان في كون كل منهما طريقا إلى الإدراك، فالعلم سببه والحياة شرطه .

قال في فيض الفتاح: " ياسين، ولو جعل وجه الشبه بين العلم والحياة الانتفاع بهما، كما أن وجه

الشبه بين الجهل والموت عدم الانتفاع كان صوابا " . [1]

قال الشاعر:

أخـو العلـمِ حـيٌّ خالـد بعـدَ موتـه وأوصـالُه تحـتَ الـتُّراب رَمـيم
وذو الجهلِ ميْتٌ وهْو ماشٍ على الثرى يُظـن مـن الأحيـاء وهـو عَـديم

فَكُـلُّ مَـا يُـدْرِكُ إِحْـدَى الْخَمْـسِ إِيَّاهُ أَوْ مَادَتَـهُ فَالْحِسِّـي

هذا تعريف للحسي من حيث هو طرفا كان أو وجها، والعقلي كذلك، يعنى أن كل ما تدركه إحدى الحواس الخمس: البصر [263] والسمع والشم والذوق واللمس، أي تدرك حقيقته وذاته، أو لا تدرك ذاته ولكن تدرك مادته أي أجزاءه التي يتركب منها، فهو الحسي، وما سواه هو العقلي .

قوله: إياه مفعول به لقوله تدرك، وانفصل للضرورة، وقوله أو مادته بالنصب معطوف على الضمير المنفصل المنصوب مفعولا، وقوله فالحسي خبر مبتدأ محذوف أي فهو الحسي، وتخفيف الياء للضرورة، والفاء جزائية .

مِنْهُ الْخَيَالِيُّ أي من الحسي الذي لا تدرك الحواس إلا مادته الخيالي، وهو المعدوم الذي فرض مجتمعا من أمور كل واحد منها يدرك بالحس، وذلك:

. . كَتَشْـبِيهِ الشَّـقِيقْ بِعَلَـمِ الْيَـاقُوتِ والْعُـودِ الرَّقِيـقْ
بِالـرُّمْحِ مِـنْ زَبَرْجَـدٍ فِي الـنَّظْمِ

أي كتشبيه أوراق الشقيق المحمرة بعلم الياقوت، وتشبيه العود الرقيق أي عود الشقيق بالرمح المصنوع من الزبرجد في النظم أي نظم الشاعر أي قوله:

وكـان محمـر الشـقي ق إذا تصـوّب أو تصـعدْ
أعـلامُ ياقـوتٍ نشـرن علـى رمـاح مـن زَبرجـدْ

فالمشبه به وهو أعلام الياقوت المنشورة على رماح من الزبرجد غير مدرك بالحس ؛ لأن الحس إنما يدرك ما هو موجود حاضر عند المدرك على هيئات محسوسة مخصوصة به، لكن مادته التي

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص94

تركب منها وهي الأعلام والياقوت والرماح والزبرجد كل منها محسوس بالبصر، فالمشبه هنا مفرد حسي والمشبه به مركب خيالي .

قال في الأطول: وقيد المشبه بهذا القيد أعني إذا تصوب أو تصعد ؛ لأن أوراق الشقائق ليست على العلم أي الراية إلا إذا كانت تحيل من علو إلى سفل، وبالعكس .

وَغَيْرُهُ الْعَقْلِي يعنى أن غير الحسي هو العقلي، فالعقلي هو ما لا يكون هو أو مادته مدركا بإحدى الحواس الخمس .

قوله: العقلي بتخفيف الياء للضرورة أيضا .

وَمِنْهُ الْوَهْمِي يعنى أن الوهمي من العقل وهو أي تعريفه **مَا لَيْسَ مُدْرَكًا** بإحدى الحواس الخمس، لعدم وجوده .

. . **ولـــــوْ قَـــــدْ أُدْرِكَـــــا   كَـــانَ بِحِـــسّ لا سِـــوَاهُ مُـــدْرَكَا**

أي ولو وجد وأدرك، أي ولو كان موجودا مدركا لكان مدركا بالحس لا سواه، وبهذا القيد يتميز عن العقلي الصرف، وذلك كالمشبه به في قول امرئ القيس:

أيَقْتُلُـــني والمَشْـــرَفِيُّ مُضَـــاجِعِي   ومَسْـــنُونَةً زُرْقٌ كَأنيـــابِ أَغْـــوَالِ[1]

فأنياب الأغوال مما لا يدركه الحس لعدم تحقق الأغوال في الخارج ؛ لأن الغول أمر وهمي، وكذا أنيابه وحدتها، لكنها لو وجدت لكانت مدركة بحس البصر، وإنما كانت من قبيل العقلي لأنها إنما يصورها العقل بالوهم، والألف في قوله أدركا للإطلاق .

وَمِنْهُ ذُو الوِجْدَانِ أي ومن قبيل العقلي ذو الوجدان أي صاحب الوجدان، [264] وهو ما يدرك بالقوي الباطنة **نَحْوُ الأَلَمِ** واللذة والشبع والردى والري والجوع والفرح ونحو ذلك، فاللذة إدراك ونيل لما هو عند المدرك كمال وخير من حيث هو كذلك، والألم إدراك ونيل لما هو عند المدرك آفة وشر من حيث هو كذلك، ولا يخفى أن ليس إدراك هذين المعنيين لشيء من الحواس الظاهرة، وليس أيضا من العقليات الصرفة، بل من الوجدانيات المدركة بالقوي الباطنة، وكذا الشبع والجوع والفرح والغم والخوف والغضب وما يشاكل ذلك من الوجدانيات .

(1) - «ديوان امرئ القيس ت المصطاوي» م س. ص12

ولما فرغ من الكلام على الطرفين شرع يتكلم على الوجه أي وجه التشبيه، فقال:

ووَجْهُـــــهُ ذُو الِاشْـــــتِرَاكِ فَـــاعْلَم

يعنى أن وجه التشبيه هو المعنى ذو الاشتراك أي الذي يشترك أي يشترك فيه الطرفان أي قصد اشتراكهما فيه تحقيقا، والتحقيق هو كون الوجه متقررا ثابتا في الطرفين بحسب ما في نفس الأمر نحو " زيد كالأسد " فزيد والأسد يشتركان في كثير من الذاتيات وغيرها كالحيوانية والجسمية والوجود وغير ذلك، مع أن شيئا منها ليس وجه التشبيه، فالوجه هو المعنى الذي له زيادة اختصاص بالطرفين وقصد بيان اشتراكهما فيه، وهو الشجاعة في المثال .

قوله: فاعلم تتميم للبيت، ويكون اشتراك الطرفين فيه تحقيقا كما قدمنا، بل **ولَوْ** كان اشتراكهما فيه **تَخَيُّلاً** أي على سبيل التخييل، والتخييل هو أن لا يوجد الوجه أي المعنى المقصود اشتراك الطرفين فيه في أحد الطرفين أو كليهما إلا على سبيل التخييل، **كَوَجْهِ** التشبيهِ في **تَشْبِيهِ النَّجِمْ** البارزة المضيئة في الظلم **بِسُنَنٍ بَيْنَ ابْتِدَاعٍ فِي الظُّلَمْ** في قول القاضي التنوخي:

وَكَـــأن النُّجُـــوم بَـــين دجاهـــا ... ســـنَن لَاحَ بَيـــنهُنَّ ابتـــداع

قوله: النجم بحذف الواو للضرورة، وقوله في الظلم في آخر البيت جار ومجرور في محل نصب على الحال من النجوم، وقوله بين ابتداع في محل خفض نعت لسنن أي كوجه التشبيه في تشبيه النجوم حال كونها في الظلم أي بارزة بين الظلم بسنن كائنة بين الابتداع .

وَوَجْهُهُ أي التشبيه بين النجوم حال كونها بين الظلم والسنن التي بين الابتداع هو الهيئة الحاصلة من **حُصُولُ شَيْءٍ أَزْهَرَا** .. **أَبْيَضَ** أي مشرف مضيء **فِي جَنْبِ ظَلَامٍ أَغْبَرَا** أي في جوانب شيء مظلم أغبر أي أسود، **وذَاكَ** الوجه الذي هو الهيئة المذكورة **فِي السُّنَّةِ لَيْسَ يُوجَدُ** أي ليس يوجد في السنة أي المشبه به وهو السنن في البيت

إِلَّا عَلَـــى التَّخْيِيـــلِ فِيمَـــا يَـــرِدُ

عن البيانيين، والعلة في ذلك أي في تخييل الإشراق والبياض، والضوء في السنة والظلمة والسواد في البدعة ؛ لأن **الِابْتِدَاعَ** وكل ما هو جهل **يَجْعَلُ الرَّدِي** أي فاعله الهالك بسبب فعله **كَالْمُتحير** الضال **الْمَاشِ فِي الظُّلْمَةِ لَيْسَ يَهْتَدِي** الطريق، أي طريق [265] الحق، ولا يأمن أن ينال مكروها .

وَعَكْسُهُ أي الابتداع **السُّنَّةُ فَهِيَ** أي السنة و**الْهُدَى** أي العلم **كَالنُّورِ** أي الإشراق والبياض، فتجعل فاعلها كمن يمشي في النور فيهتدى سبل الرشاد، فلذا شبهت البدعة بالظلمة، والسنة بالنور، **ثُمَّ شَاعَ هَذَا** التشبيه أي تشبيه البدعة بالظلمة، والسنة بالنور أي كثر استعماله على الألسنة وتكرر حتى و**غَدَا** أي صار **يَطْرُقُ** أي يخطر **فِي الْخَيَالِ** أي الذهن الذي هو محل التخييل، **أَنَّ الثَّانِي** وهو السنة وكل ما هو علم **مِمَّا لَهُ الْبَيَاضُ كَاللَّمْعَانِ** أي مما له بياض كاللمعان أي الإشراق، ولذا قال ﷺ: ((**أَتَيْتُكُمْ بِالْحَنِيفِيَّةِ الْبَيْضَاءِ**)) (1)

قوله: كاللمعان بتخفيف الميم، وقوله الثاني بتخفيف الياء وتقدير الفتحة للضرورة .

وَأَوَّلٌ وهو الابتداع وكل ما هو جهل **خِلافُهَا** أي السنة، فإنه يطرق في الذهن أنه له سواد وظلمة، ولذا يقال: " شاهدت سواد الكفر في جبين فلان " **فَهْوَ** أي تشبيه النجوم بين الظلم بالسنن بين الابتداع كَتشبيه **مَنْ** .. **تَشْبِيهُهُ** لها أي النجوم بين الظلم **بِالشَّيْبِ** أي ببياض الشيب **فِي** سواد **الشَّبَابِ عَنْ** بتخفيف النون للضرورة، فعل ماض بمعنى عرض، أي فهو كتشبيه من عرض تشبيهه لها بالشيب في سواد الشباب، أو بالأنوار مؤتلقة بين النبات الشديد الخضرة، حتى يضرب إلى السواد .

مِنْ ثَمَّ أي من أجل وجوب اشتراك الطرفين في وجه التشبيه كان **وجْهُ** التشبيه في قول القائل:

مِـــنْ ثَمَّ وَجْـــهُ النَّحْــــوِ فِي الْكَـــلامِ   كَـــالْمِلْحِ إِذْ يَكُـــونُ فِي الطَّعَـــامِ

للكلام والطعام، **بِسَبَبِ الْوُجُودِ** أي وجودهما فيهما و**الْفَسَادُ** لهما **بِسَبَبِ الْفَقْدِ** أي فقدهما فيهما **لا** يكون وجه التشبيه بين النحو في الكلام والملح في الطعام **مَا** أي الذي **قَالَهُ** أي زعمه **بَعْضُ الْعِبادْ** المنتسبين لهذا الفن، وهو أي وجه التشبيه بينهما في زعمه **كَوْنُ الْقَلِيلِ** منهما **مُصْلِحًا** للكلام والطعام و**يُفْسِدُ** .. **كَثْرَتُهُ** أي المصلح الشامل للنحو والملح، فهذا القول في وجه التشبيه بينهما فاسد، لوجوب اشتراك الطرفين في وجه التشبيه، وهذا الوجه وهو كون القليل مصلحا، والكثير مفسدا لا يشترك فيه النحو والملح، بل ينفرد به المشبه به وهو الملح، إذ المشبه وهو **النَّحْوُ** في الكلام **حَقًّا يَفْقِدُ تَفَاوُتًا** أي يفقد التفاوت في الإصلاح للكلام وإفساده بالقلة والكثرة فقدا حقا أي ثابتا أي لا يقبل

---

(1) – أخرجه البخاري معلقا بلفظ " أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة "كتاب الإيمان، باب الدين يسر، الجزء 1 ص 16

التفاوت بالقلة والكثرة، إذ لا يخفى أن المراد به ها هنا رعاية قواعده واستعمال أحكامه، وهذه إن وجدت في الكلام فقد حصل النحو فيه وانتفى الفساد عنه وصار منتفعا به في فهم المراد منه، وإن لم توجد بقي فاسدا ولم ينتفع به، بخلاف الملح فإنه يحتمل القلة والكثرة، بأن يجعل في الطعام القدر المصلح منه أو أقل أو أكثر، فإن جعل فيه القدر المصلح صلح وانتفع به، [266] وإن جعل فيه أكثر منه فسد ولم ينتفع به، والقليل من النحو والكثير منه مصلحان للكلام نافعان فيه، بل الكثير منه أشد إصلاحا وأكثر نفعا .

ولما فرغ من تقسيم وجه التشبيه إلى حقيقي وتخيلي شرع في تقسيمه باعتبار كونه خارجا عن حقيقة الطرفين أو غير خارج فقال: **والْوَجْهَ** أي وجه التشبيه **قِسْمَيْنِ اقْسِمَنْ** أي اقسم وجه التشبيه قسمين، فقوله الوجه وقسمين بالنصب مفعولان مقدمان، الأول به والثاني مطلق لقوله اقسمن، وهو أمر مؤكد بالنون الخفيفة، **فَـمِنْهُ قِسْمٌ غَيْرُ خَارِجٍ عَنِ حَقيقةِ الطَّرْفَيْنِ** أي ولا داخل فيها، لكونه **مِنْ** تمام ماهيتهما، أو داخل فيها أي بأن يكون من تمام ماهيتهما أو جزءا منها .

فالأول: وهو الذي غير خارج عن حقيقة الطرفين ولا داخل فيها لكونه من تمام ماهيتهما، هو النوع، فكما أنه غير خارج عن حقيقتهما غير داخل فيها .

والثاني: هو الداخل في حقيقة الطرفين، لكونه جزءا من ماهيتهما، هو الجنس والفصل .

فمثال الأمرين: تشبيه **مِنْ شَبَهٍ فِي نَوْعٍ وجِنْسٍ** أي أو جنس، فالواو بمعنى أو، أو فصل **مِلْحَفَهْ** أي ثوبا يلتحف به بملحفة[1] أي ثوب يلتحف به **مِثْلِهَا** في النوعية أو الجنسية أو الفصلية، كأن يقول: " هذه الملحفة كهذه الملحفة في الكتانية أو القطنية أو القميصية " أو " زيد كعمرو في الإنسانية أو الحيوانية أو الناطقية "

وَمنه قسم **خَارِجٌ** عن حقيقة الطرفين **وهُوَ** أي الخارج **صِفَهْ** أي معنى قائم بهما أي الطرفين ضرورة اشتراكهما فيه، وتلك الصفة على قسمين: حقيقية وإضافية .

وأشار إلى بيان الحقيقية بقوله: **مِنْهَا** الصفة **الْحَقِيقِيَّةُ** أي الهيئة المتمكنة في الذات المتقررة فيها،

---

(1) – ومنه الملحفة عندنا في موريتانيا، وهي ثوب خاص بالمرأة تلتحف به أي تغطي به جسدها، وفي هذا دليل على أن لهجتنا الحسانية من أقرب اللهجات إلى اللغة العربية، وقد خَصَّص الأستاذ الخليل النحوي جزءا من كتابه " بلاد شنقيط المنارة والرباط " للحديث عن هذا الموضوع.

وتلك **كَا**لصفة الحسية أي المدركة بإحدى الحواس الخمس، وهي أي الصفة المدركة بإحدى الحواس **كَيْفِيَّةٌ تَخْتَصُّ** أي مختصة **بِالأشْياءِ الْجِسْمِيَّهْ** أي المتجسمة، **كَمُدْرَكِ الطَّرْفِ** أي كما يدركه البصر وهو المراد بالطرف، فالمُدرك بضم الميم وفتح الراء اسم مفعول **مِنَ اللَّوْنِ** أي من الألوان، **ومِنْ .. شَكْلٍ** أي من الأشكال، **وقَدْرٍ** أي من المقادير، **وتَحَرُّكٍ** أي من الحركات، **زُكِنْ** أي علم، وهو ماض مبني للنائب تتميم للبيت، ومدرك **السَّمْعِ** أي ما يدرك بالسمع **مِنَ صَوْتٍ ضَعِيفٍ أَوْ قَوِي** أي من الأصوات الضعيفة أو القوية وما بينهما، ومدرك **الذَّوْقِ** أي ما يدرك بالذوق **مِنْ طَعْمٍ كَرِيهٍ** أي مُرٍّ خبيث، **أَوْ طَعْمٍ شَهِي** أي حلو طيب، ومُدرك **الشَّمِّ** أي ما يدرك بالشم **مِنْ رِيحٍ** أي من الروائح، **كَذَاكَ اللَّمْسُ** أي كذاك مُدرك اللمس أي ما يدرك به **مِنْ حَرٍّ**أي حرارة **ومِنْ بَرْدٍ** أي برودة ورطوبة **ويَبْسٍ**من شيء ييبس أي يابس، **وخَشِنْ** من شيء خشن، **ونَحْوِ ذَلِكَ** أي ما ذكر من الملامسة والليونة والصلابة والبلل والجفاف واللزوجة، وتلك الصفة الحقيقية الخارجة عن حقيقة الطرفين المتقررة المتمكنة فيهما أيضا **كَالصِّفةِ الْعَقْلِيَّهْ** أي المدركة بالعقل، وهي أي الصفة الحقيقة[267] المدركة بالعقل، **كَيْفِيَّةٌ مِثْلُ الذَّكَا** أي الفطنة، **نَفْسِيَّهْ** أي نفسانية، وكالعلم والشجاعة والحلم وسائر الغرائز .

قوله: من اللون تبيين للمدرك، وقوله السمع والذوق والشم بالجر معطوفات على قوله الطرف، وقوله قوى وشهى بتخفيف الياء لضرورة الوزن، وقوله وكالعقلية كمعطوف على قوله كالحسية، وقوله كيفية خبر مبتدأ محذوف، وقوله الذكا بالقصر لضرورة الوزن .

ثم أشار إلى بيان الصفة الإضافية الكائنة وجه التشبيه بقوله: **ثُمَّ الإِضَافِيَّةُ** أي القسم الثاني من قسمي الصفة الكائنة وجه التشبيه الصفة الإضافية، ولا توصف بكونها حسية ولا عقلية، وهي الأمر النسبي الثابت للشيء بالقياس إلى غيره، وذلك **كَالإِزَالَةْ .. لِلْحَجْبِ** أي إزالة الحجاب **فِي** قولك: " **الشَّمْسِ شَبيهِ الْحُجَّةِ** " أي في تشبيه الشمس بالحجة، مبالغة في وضوح الحجة، وإزالتها لحجاب الإشكال حتى صارت بحيث تشبه بها الشمس التي هي أوضح كل شيء وأشده إزالة للحجب، وهذا المثال من قلب التثنية وعكسه وهو الحجة شبيهة بالشمس هو الأصل الذي لا قلب فيه، فوجه التشبيه في هذين المثالين وهو الإزالة ليس متقررا في ذات الشمس، ولا في ذات الحجة، إلا بالنسبة إلى المزال الذي هو الحجاب .

قوله: الشمس مبتدأ خبره شبيه الحجة[1]، والجملة مجرورة بفي .

وَاقْسِــــمْهُ واحِـــدًا مُرَكَّبًـــا عَـــدَدْ

أي اقسم وجه التشبيه إلى واحد وإلى مركب، وإلى متعدد، ولا يعنى بالواحد ما لا يكون له أجزاء أصلا، بل ما يعد في متعارف اللغة أمرا واحدا، والمركب هو الذي بالنظر إلى مادته متعدد، وبالنظر إلى هيئته المجموعة واحد .

قوله: واحدا حال من ضمير الوجه، وقوله مركبا معطوف عليه بحذف العاطف الحرف، وقوله عدد معطوف عليه أيضا كذلك، والوقف عليه بالسكون لغة ربيعة، والمركب يكون حقيقيا بأن يكون حقيقة ملتئمة من أمور مختلفة، أو اعتباريا بأن يكون هيئة انتزاعها العقل من عدة أمور، والمتعدد بأن ينظر إلى عدة أمور ويقصد اشتراك الطرفين في كل منهما ليكون كل منهما وجه تشبيه، بخلاف المركب فإنه لم يقصد اشتراك الطرفين في كل من تلك الأمور، بل في الهيئة المنتزعة والحقيقة الملتئمة منها .

وَكُلُّهَا أي كل واحد من هذه الأقسام الثلاثة إما **حِسِّي** أي يدرك بإحدى الحواس و**عَقْلِيٌّ** أي وإما عقلي أي يدرك بالعقل، **وزِدْ فِي ثالِثٍ** أي زد في القسم وهو الوجه المتعدد دون الواحد والمركب كونه **مُخْتَلِفًا** أي بعضه حسي وبعضه عقلي، أو المعنى وزد في القسم الثالث مختلفا بفتح اللام مصدر ميمي أي الاختلاف بأن يكون بعضه حسيا وبعضه عقليا .

وَالْحِسُّ ثَمْ بفتح ثاء ثم، أي والحسي أي الوجه المدرك بالحس هنا سواء كان بتمامه حسيا أو بعضه **طَرْفاهُ** أي المشبه والمشبه به المشتركان[268] فيه **حِسِّيَّانِ** فقط لا غير أي لا يكونان إلا حسيين، ولا يجوز أن يكون كلاهما أو أحدهما عقليا، لامتناع أن يدرك الحسي في غير الحسي أي في العقلي، فإن وجه التشبيه أمر مأخوذ من الطرفين موجود فيهما، والموجود في العقلي إنما يدرك بالعقل دون الحس إذ المدرك بالحس لا يكون إلا جسما أو قائما بالجسم

وَالْغَيْرُ أي غير الحسي وهو الوجه العقلي **أَعَمّْ** من الوجه الحسي، فيجوز أن يكون طرفاه حسيين أو عقلين أو مختلفين، لجواز أن يدرك العقلي في المحسوس، إذ لا امتناع في قيام المعقول

(1) الحجة: ما دُلَّ به على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد. انظر: التعريفات (ص: 73)

بالمحسوس .

فَلذلك يقال:

فَكُلُّ مَا شُبِّهَ بِالْحِسِّيِّ صَحّْ

أي كل ما صح فيه التشبيه بالوجه الحسي صح **بِغَيْرِهِ** أي صح فيه التشبيه بغير الحسي، وهو الوجه العقلي **مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ** أي ليس كل ما صح فيه التشبيه بالوجه العقلي يصح بالوجه الحسي و**وَضَحْ** أي ظهر معطوف على قوله صح أي صحَّ ووضح فيه التشبيه بغيره، فإن قيل وجه التشبيه مشترك فيه فهو كلي ضرورة لامتناع الشركة في الجزئي، والحسي ليس بكلي قطعا ضرورة، لأنه موجود في المادة حاضر عند المدرك، ومثل هذا لا يكون إلا جزئيا ضرورة، فوجه التشبيه على هذا لا يكون حسيا قلنا **مُرَادُهُمْ** أي البيانيين **بِالْ**وجه **الْحِسِّ** أي يكون وجه التشبيه حسيا، **مَا** أي الوجه الكلي أي المعنى الكلي الذي **أَفْرادُهُ** أي جزئياته الموجودة في المراد أي الذوات **تُدْرَكُ بِالْحِسِّ** أي تدركها إحدى الحواس و**ذَا** أي الوجه الحسي **تَعْدَادُهُ** أي عده وحسابه ها هو المشار إليه بقوله **الْوَاحِدُ الْحِسِّيُّ** أي الوجه الواحد المدرك بالحس **حُمْرَةٌ** أي كالحمرة التي تدرك بالبصر جزئياتها الحاصلة في المواد، وهي أمر كلي **خَفَا** أي وكالخفاء وهو أمر كلي، لكن جزئياته الحاصلة في المواد تدرك بالسمع و**الطِّيبُ واللَّذَّةُ** أي طيب الرائحة فهو أمر كلي، لكن جزئياته الحاصلة في المواد تدرك بحاسة الذوق، و**اللِّينُ** أي لين المس فهو أمر كلي، لكن جزئياته الحاصلة في المواد تدرك بحاسة اللمس، و**فَا** أي جاء، فعل ماض مبني للفاعل فاعله ضمير عائد إلى الواحد وهو مبتدأ وخبره جملة وفا، أي وفا الوجه الواحد الحسي حال كونه حمرة وخفاء إلخ، فالمعدودات أحوال معطوف بعضها على بعض، وقوله خفا بالقصر للضرورة، وكذلك تخفيف الياء في قوله والعقلي والحسي، وقوله مرادهم بالحسي وتخفيف في قوله ثم .

والمعنى أي تقرير البيت: الوجه الواحد الحسي وفا أي جاء وثبت حال كونه كالحمرة والخفاء والطيب أي طيب الرائحة واللذة أي[269] لذة الطعم واللين أي لين اللمس **فِي** تشبيه **الْخَدِّ بِالْوَرْدِ** وتشبيه **صَوْتٌ قَدْ ضَعُفْ** أي الصوت الضعيف **بِالْهَمْسِ** أو هو الصوت الذي أخفي حتى كأنه لا يخرج عن فضاء الفم، وتشبيه **الْعَنْبَرُ نَكْهَةٌ رُشِفْ** أي نشقت، نشقها محب من زوج أو غيره من

محبوبته من زوجة أو غيرها، مبالغة في طيب رائحة النكهة حتى صارت بحيث يشبه بها العنبر الذي هو أصل في طيب الرائحة، وهذا المثال من قلب التشبيه، وعكسه وهو تشبيه النكهة بالعنبر في الطيب هو الأصل الذي لا قلب فيه .

قوله: قد ضعف مبني للنائب والجملة في محل وصف لصوت، وقوله والعنبر بالجر معطوف على قوله صوت، وقوله نكهة بالجر أيضا معطوف على قوله بالهمس فهو من العطف على معمولي عاملين، وقوله رشف ماض مبني للنائب نائبه ضمير عائد إلى نكهة، والجملة في محل وصف نكهة،

وتشبيه **الْجِلْدِ بِالْحَرِيرِ** وفى تشبيه **الشَّيْءُ** اللذيذ من ريق أو غيره من كل لذيذ **بِمَنٍّ** أي بالمن الذي كان ينزل على بني إسرائيل في التين، قيل إنه العسل وقيل إنه شراب حلو غيره، فالتشبيهات الخمسة راجعة إلى الأوجه الحسية الخمسة المذكورة قبلها على طريقة اللف والنشر المشوش، الأول للأول، والثاني للثاني، والثالث للثالث، والرابع الذي هو تشبيه الجلد بالحرير، راجع إلى الوجه الخامس من الأوجه المذكورة قبل، وهو اللين، وهو سبب التشويش، والخامس من التشبيهات وهو تشبيه الشيء اللذيذ بالمن راجع إلى الوجه الرابع وهو اللذة، فبهذا حصل التشويش .

وقوله: بمن بتخفيف النون للضرورة .

وَالوجه الْواحِدُ **الْعَقْلِيُّ** أي الذي يدركه العقل **كَالْخُلُوِّ عَنْ فائِدَةٍ** أي كالعراءعن الفائدة، **وجُرْأَةٍ** أي وكالجرأة و**الِاهْتِدَا** أي وكالاهتداء **مَعَ اسْتِطابِ النَّفْسِ** أي وكاستطابة النفس أي نفس الإنسان، أي كونها طيبة أي تصدر الأفعال بسهولة **فِي** تشبيه **مَا** أي الشيء الذي **فُقِدا نَفْعًا** أي عدم النفع **بِمَعْدُومٍ** أي بالشيء المعدم أي في تشبيه الشيء الموجود العديم النفع بالشيء المعدوم، أو في تشبيه وجود الشيء العديم النفع بالعدم، فالطرفان على التفسير الأول مختلفان، الأول وهو الشيء الموجود حسي، والثاني وهو الشيء المعدوم وهمي، وهو من قبيل العقلي كما قدمنا، وعلى التفسير الثاني عقليان إذ الأول وهو وجود الشيء العديم النفع عقلي، والثاني وهو العدم كذلك، وفى تشبيه **عِلْمٍ** أي العلم **بِفَلَقْ** أي بالفلق وهو الصبح أو النور فيما المشبه فيه وهو العلم عقلي، والمشبه به وهو الصبح أو النور حسي، [270] فبالعلم إلى المطلوب ويفرق بين الحق والباطل، كما أنه بالصبح أو النور يدرك المطلوب ويفصل بين الأشياء، وفى تشبيه **الشَّخْصِ** الشجاع **بِالسَّبْعِ** وهو الذات المفترسة فيما

الطرفان فيه حسيان، وفي تشبيه **عِطْرٍ** أي رائحة العطر **بِخُلُقْ** شخص كريم فيما المشبه فيه حسي والمشبه به عقلي .

فالتشبيهات الأربعة راجعة إلى الأوجه العقلية الأربعة المذكورة قبل، على طريقة اللف والنشر المشوش، الأول للأول، والثاني من التشبيهات، وهو تشبيه العلم بالفلق، للثالث من الأوجه وهو الاهتداء، والثالث من التشبيهات، وهو تشبيه الشخص الشجاع بالسبع للثاني من الأوجه وهو الجرأة، والرابع من التشبيهات، وهو تشبيه رائحة العطر بخلق الكريم للرابع من الأوجه وهو استطابة النفس .

قوله: الاهتدا بالقصر لضرورة الوزن، وقوله استطاب النفس بحذف تاء التعويض للإضافة على حد قوله تعالى: وأقام الصلاة، والألف في قوله فقدا للإطلاق، وقوله بالسبع بتخفيف الياء للضرورة .

وَذُو تَرَكُّبٍ غَدَا حِسِّيًّا ... فِي مُفْرَدٍ طَرَفَاهُ .

يعنى أن وجه التشبيه ذا التركيب أي المركب الذي غدا أي صار حسيا كائن في تشبيه مفرد طرفاه أي طرفاه مفردان، فقوله طرفاه نائب لقوله مفردا أي الوجه المركب الحسي يكون في تشبيه مفرد الطرفين ومركبهما ومختلفهما بأن يكون أحدهما مركبا والآخر مفردا، فالأول **كَالثُّرَيَّا، شُبِّهَ بِالْعُنْقُودِ** أي كتشبيه الثريا بالعنقود أي الغصن، حال كونه كائنا **مِنْ كَرْمٍ** أي من شجرة الكَرْمِ في قول الشاعر:

وَقَـد لاحَ فِي الصُبحِ الثُـرَيّا لِمَـن رَأى ... كَعُنقُـودِ مُلّاحِيَّـةٍ حـينَ نَـوَّرا

فالتشبيه [271] بين الثريا والعنقود **لِأَجْلِ مَا** أي الذي **حَوَتْهُ** أي اشتملت عليه الثريا **مِنْ صُورَتِهِ** أي من هيئة العنقود التي هو عليها **إِذْ نُظِّمَا** أي حين نظم أي ركبت صورته وأدخل بعضها في بعض، والحال **حَبُّهُ** أي العنقود **أَبْيَضُ واسْتَدَارَا** أي أبيض مستدير و**قَارَبَ الرُّؤْيَةَ** أي متقارب في الرؤية على الكيفية المخصوصة لا شديد الافتراق ولا شديد الالتزاق، وقارَبَ **الْمِقْدَارَا** أي ومتقارب في المقدار المخصوص من الطول والعرض، فالوجه هو الهيئة الحاصلة من تقارب الصور البيض المستديرة الصغار المقادير المتقاربة في المرأى على الكيفية المخصوصة، لا شديدة الالتزاق ولا شديدة الافتراق منضمة إلى المقدار المخصوص من الطول والعرض، فقد نظر الشاعر إلى عدة أشياء

وقصد إلى هيئة حاصلة منها، والطرفان مفردان ؛ لأن المشبه هو الثريا والمشبه به هو العنقود مقيدا بكونه عنقود ملاحية في حال إخراج النور، والتقييد لا ينافي الإفراد .

قوله: ذو تركب مبتدأ [272] وقوله غدا حسيا جملة في محل الوصف للمبتدأ، وقوله في مفرد خبر المبتدأ، وقوله طرفاه بتخفيف الراء للضرورة مرفوع بالوصف، وقوله من كرم في محل نصب على الحال من العنقود، وقوله لما حوته متعلق بقوله شبه وفاعل حوته ضمير الثريا والألف في قوله نظما للإطلاق، والواو في قوله وحبه أبيض للحال والجملة حالية من العنقود، وقوله واستدار وقارب الرؤية معطوف على قوله أبيض من عطف الفعل على الاسم والضمير في الفعلين عائد إلى الحب، وقوله والمقدار بالنصب معطوف على الرؤية والألف في قوله استدار وقوله المقدار للإطلاق .

وأشار إلى القسم الثاني وهو وجه التشبيه المركب الحسي الذي طرفاه مركبان بقوله:

وَمَا تَرَكَّبَا أي وطرفا وجه التشبيه المركب الحسي اللذان تركبا بأن قصد إلى عدة أشياء مختلفة فينتزع منها هيئة ويجعلها مشبها أو مشبها به **كَقَوْلِي** حال كوني **آخِذًا** أي مقتبسا **مِنْ قَوْلِ بَشَّارٍ**:

كأنَّ مُثارَ النقعِ فوقَ رؤوسِنا وأسيافَنا ليْلٌ تهاوى كَواكبُهْ

حالة كوني **مُمَثِّلاً لِذَا** أي للتشبيه المركب الطرفين والوجه .

وَالنَّقْعُ فَوْقَ رَاسِنَا والأَسْيُفُ

أيْ فوقَ رؤوسِنا وسُيوفنَا كَـ **لَيْلٌ تَهَاوَى شُهْبُهُ وتُخْطَفُ** أي تتهاوى شهبه أي كواكبه وتتخاطف أي يسقط بعضها إثر بعض، فالتشبيه هنا بِـسبب **جَامِعٍ** هو الهيئة الحاصلة من **السُّقُوطِ فِي أَجْرامِ** أي من تساقط أجرام **مُشْرِقَةٍ** أي مضيئة **طَوِيلَةِ الأَجْسَامِ** أي أجسامها طويلة **تَنَاسَبَتْ أَقْدارُها** أي تلك الأجرام متناسبة المقدار **مُفَرَّقَةْ** أي متفرقة كائنة **فِي جَنْبِ شَيْءٍ مُظْلِمِ** أي جوانب شيء مظلم **مُتَّسِقَةْ** أي منيرة تلك الأجرام، فوجه التشبيه مركب كما ترى بيانه، فكذا الطرفان، لأنه لم يقصد تشبيه الليل بالنقع والكواكب بالسيوف، بل عمد إلى هيئة السيوف وقد سلت من أغمادها وهي تهوى وترسب وتجيء وتذهب وتضطرب اضطرابا شديدا وتتحرك بسرعة إلى جهات مختلفة وعلى أحوال تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض مع التلاقي والتداخل والتصادم والتلاحق، وكذا في جانب المشبه به، فإن للكواكب في تهاويها توافقا وتداخلا واستطالة لأشكالها .

قوله: وما تركبا ما مبتدأ واقعة على الطرفين، وألف التثنية في تركبا فاعل عائد إلى ما من الصلة، وقوله كقولي خبر المبتدأ، وقوله آخذا حال من ضمير المتكلم المضاف إلى القول، وقوله من قول بشار متعلق بالحال، وقوله ممثلا حال ثانية من ضمير المتكلم أيضا، وقوله والنقع إلخ هو مقول القول، والنقع مبتدأ، وقوله فوق رؤوسنا حال منه، وقوله فوق والأسيف عطف على النقع، وقوله ليل خبر المبتدأ وجملة تهاوى شهبه في محل صفة لليل، وتهاوى أصله تتهاوى حذفت منه إحدى التاءين، وشهبه بتخفيف الهاء للضرورة، وجملة تخطف بالبناء للنائب معطوفة على جملة تتهاوى، وقوله مشرقة إلخ نعوت معطوف بعضها على بعض بحذف حرف العطف في بعضها .

وأشار إلى القسم الثالث وهو الوجه المركب الحسي الذي طرفاه مختلفان أحدهما مركب والآخر مفرد بقوله: **وَمَا تَخَالَفَا** أي وطرفا وجه التشبيه المركب الحسي اللذان تخالفا بأن كان أحدهما مركبا والآخر مفردا، وذلك قسمان:

ـ إما أن يكون الأول مفردا والثاني وهو المشبه به مركبا **كَمَا الشَّقِيقُ مَرّ** أي كما مر في تشبيه الشقيق بأعلام الياقوت المنشورة على رماح من زبرجد، من الهيئة الحاصلة من نشر أجرام حمر مبسوطة على رؤوس أجرام خضر مستطيلة، فالمشبه مفرد وهو الشقيق، والمشبه به مركب من الأعلام والياقوت والرماح والزبرجد، فهو مركب خيالي، والوجه هو الهيئة المذكورة .

ـ وإما أن يكون الأول وهو المشبه مركبا، والثاني وهو المشبه به مفردا كَتشبيه النهار المشمس الذي شابه ب**الزَّهْرُ فِي الرُّبَا** أيْ الزهر النابت في الربى جمع ربوة **بِلَيْلٍ ذِي قَمَرْ** أي صاحب قمر أي بليل مقمر في قول الشاعر:

يا صاحبيَّ تقصَّيا نظريكُما ... تَـرَيا وجوهَ الأرض كيفَ تصوَّرُ

تَـرَيا نهاراً مشمساً قد شابهُ ... زهرُ الرُّبا فكأنَّما هو مقمرُ

أي فكأن النهار المشمس المشوب بالزهر، أي بالنور النابت في الربا ليل مقمر، فالمشبه مركب من النهار والشمس والزهر الأبيض والأخضر والأحمر والأصفر والنبات الأخضر الشديد الخضرة حتى تضرب إلى السواد والربا البيض، فهو مركب خيالي، والمشبه به مفرد وهو الليل المقيد بكونه مقمرا، والوجه هو الهيئة الحاصلة من إشراق الشمس الضاحية على النبات الشديد الخضرة، والنور

المختلف الألوان، والكثيب الأبيض الشديد البياض، ومن إشراق القمر المضيء الناصع على ظلمة الليل الشديدة السواد، حتى صار النهار لشدة اسوداد الأرض بالنبات الشديد الخضرة والنور وشدة بياض الكثيب تحت النبات والنور وشدة إشراق الشمس فوق ذلك يميل إلى الظلمة والسواد ؛ لأن الأزهار باخضرارها نقصت من ضوء الشمس، فكأنه ليل مظلم ذو قمر ناصع مضيء.

قوله: وما تخالفا ما مبتدأ واقع على الطرفين، وقوله تخالفا صلة له، والعائد إليه ضمير [273] التثنية، وخبره قوله كما الشقيق أي كالمثال الذي الشقيق مر فيه أي تقدم فيه، فالمجرور بالكاف موصول، والشقيق مبتدأ، والجملة بعده خبره، والجملة الكبرى صلة الموصول، والعائد إليه محذوف مجرور بفي .

وَحُسْنُهُ أي الوجه المركب الحسي كائن أو مستقر **فِي هَيْئَةٍ بِها** أي عليها **تَقَعْ، حَرَكَةٌ** أي في الهيئة التي تقع عليها الحركة أي حركة الجسم من الاستدارة والاستقامة وغيرها تلك الهيئة سواء كانت مشتبكة أي مختلطة ومقترنة ومصحوبة **مَعْ وصْفٍ** واحدٍ أَوْ أكثرَ من أوصاف الجسمِ كاللون والطعم .

قال الشيخ في أسرار البلاغة: " اعلم أن مما يزداد به التشبيه دقّة وسحرا، أن يجيء في الهيئات التي تقع على الحركات " (1)

اوْ جُرِّدَ أي وسواء جردت الهيئة من أوصاف الجسم، لكن يشترط فيها حينئذ أن تكون مصحوبة **مَعْ تَحَرُّكٍ** أي تحرك الجسم إِلَى جِهاتٍ مختلفة، كأن يتحرك بعضه إلى اليمين وبعضه إلى الشمال، أو بعضه إلى العلو وبعضه إلى السفل، ليتحقق التركيب، وإلا كان وجه الشبه مفردا، وهو الحركة .

فَالْوَجْهُ الأَوَّلْ هو الذي الهيئة مقترنة فيه بوصف من أوصاف الجسم، كوجه الشبه في قوله: **كَالشَّمْسِ كالْمِرْآةِ فِي كَفِّ الأَشَلْ**، فالوجه هو الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق والحركة السريعة المتصلة مع تموج الإشراق، حتى ترى الشعاع كأنه يقصد أن يستنبط من جانب الدائرة ثم يبدو له رأي آخر، فيرجع إلى الانقباض، فالشمس إذا نظر إليها الإنسان وجدها مؤدية لهذه الهيئة،

(1) - «أسرار البلاغة في علم البيان للشيخ ع القاهر الجرجاني- ت هنداوي» ص134 ط1 دار الكتب العلمية.

وكذا المرآة إذا كانت في كف أشل أي عليل اليد ترتعش يده بها .

وَالْوجهُ الثَّانِ وهو الذي الهيئة فيه مجردة عن أوصاف الجسم، لكنها الحركة فيها إلى جهات مختلفة، قول الناظم آخذا أي مقتبسا من قول ابن المعتز :

كَـــــالْبَرْقِ إِذَا بَـــــدَا وَلَاحْ .

أي إذا ظهر ولمحَ

كَمُصْـحَفِ الْقَـارِي انْطِبَاقًـا وانْفِتَـاحْ

أي ينطبق انطباقا وينفتح انفتاحا، أو المعنى كمصحف القاري في الانطباق والانفتاح، فقوله انطباقا على المعنى الأول مفعول مطلق أو حال مؤول من المصحف، وعلى الثاني تمييز مبين لإبهام وجه الشبه، وقول ابن المعتز:

وكَـــأَنَّ الــبَرْقَ مُصَـــحَفُ قَـــار فَانطِباقـــاً مَـــرَّةً وانفِتَاحَـــا

أي فينطبق انطباقا مرة وينفتح انفتاحا أخرى، فإن في وجه التشبيه تركيبا ؛ لأن المصحف يتحرك في كل من حالتي الانطباق والانفتاح إلى جهتين مختلفتين، والوجه هو الحركة المختلفة إلى جهات .

قوله: القار بحذف الهمزة بعد قلبها ياء لالتقاء الساكنين .

وَهَيْئَـــةُ السُّـــكُونِ رُبَّمَـــا تَلِـــي

يعنى أن هيئة السكون [274] قد تلي أي تتبع الهيئة التي تقع عليها الحركة في وقوع التركيب فيها وكونها وجه تشبيه حسيا، وهي قسمان أيضا كما في هيئة الحركة:

الأول: أن يقرن بالسكون غيره من أوصاف الجسم، كما في قول الشاعر يصف مصلوبا:

كأنــه عاشــقٌ قــد مَــدَّ صَــفْحَتَهُ يَــومَ الْــوَداعِ إلى توديــعِ مُرتَحِــل
أو قــائم مــن نُعــاس فيــه لُوثَتُــه مواصــل لتمَطِّيــه مــن الكســل

المراد بالصفحة الوجه أو العنق أو اللوثة بالضم الاسترخاء، فالوجه هو الهيئة الحاصلة من هيئة السكون في مَدَّ صفحته، وامتداد الجسم مرة بعد مرة، واصفرار الوجه الذي يكون للمصلوب والعاشق والقائم من النعاس .

والثاني: هو أن يجرد السكون عن غيره من أوصاف الجسم، وإلى مثاله أشار الناظم بقوله متضمنا قول المتنبي:

يُقْعِي جُلُوسَ الْبَدَوِيِّ الْمُصْطَلِي

بأربع مجدولة لم تجدل

أقعى الكلب جلس على إليتيه، والمجدول المفتول القوائم، والوجه هو الهيئة الحاصلة من مجموع وقوع كل عضو منهما موقعه في الإقعاء وقوعا خاصا، وخص البدوي بالذكر لغلبة وقوع ذلك منه .

قوله: جلوس بالنصب على المفعولية المطلقة، وهو مصدر مؤكد مرادف لفعله معنى .

وَذُو تَرَكُّبٍ إِلَى الْعَقْلِ انْتَسَبْ

أي الوجه ذو التركب أي المركب المنتسب إلى العقل أي الوجه المركب العقلي ،

كَمِثْلِ حِرْمَانِ انْتِفَاعٍ مَعْ تَعَبْ

أي كمثل حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه .

فِي مَثَلِ الْيَهُودِ بِالْحِمَارِ والْحَمْلِ لِلتَّوْرَاةِ والْأَسْفَار

أي الكائن في تمثيل اليهود بالحمار، وتمثيل حملهم للتوراة بحمل الحمار للأسفار أي الكتب في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ أي أمروا بالقيام بما فيها من التكاليف ﴿لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ أي لم يقوموا بما فيها ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارَۢا﴾[1] أي كتبا في عدم الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه، فالوجه أمر عقلي منتزع من عدة أمور، لأنه روعي في الحمار فعل مخصوص وهو الحمل، وأن كون المحمول أوعية العلوم، وأن الحمار جاهل لما فيها، وكذا في جانب المشبه .

وَرَاعِ أيها المتكلم بالتشبيه في التشبيه أو في الكلام **فِي تَعَدُّدٍ** أي في حال تعدد الشيء أي الأمور التي يتنزع منها وجه التشبيه **مَا** أي اللفظ أو الكلام الذي **يَحْصُلُ بِهِ** أي بسبب سقوطه **إِذَا أُسْقِطَ مِنْهُ** أي من التشبيه أو من الكلام **خَلَلٌ** أي فساد في المعنى وخطأ فيه، فإن لم تراعه بأن أسقطته وقع الخلل والخطأ في فهم المراد، لوجوب انتزاع وجه التشبيه [275] من أكثر ذلك من ذلك المتعدد والذي

(1) - سورة الجمعة، الآية: 5

ذكرت، ذلك كما إذا انتزع متكلم وجه التشبيه من الشطر الأول من قول الشاعر:

كمـا أَبْرَقـتْ قومـاً عِطاشـاً غمامـةٌ فلمّـا رأوْهـا أَقْشَـعَتْ وتَجَلَّـتِ

فانتزاع الوجه من الشطر الأول، وإسقاط الشطر الثاني، يحصل به الخلل والخطأ في المعنى، لوجوب انتزاعه من جميع البيت ؛ لأن مراد الشاعر تشبيه الحال المذكورة في الأبيات السابقة بحال قوم عطاش، ظهرت لهم غمامة وحين رأوها أقشعت أي تفرقت وتجلت أي انكشفت، ووجه التشبيه اتصال ابتداء مطمع بانتهاء موئس، وذلك يوجب انتزاعه من جميع البيت، فإن الابتداء المطمع منتزع من الشطر الأول، والانتهاء الموئس منتزع من الشطر الثاني ؛ لأن البيت مثل في أن يظهر للمضطر إلى الشيء أمارة وجوده ثم يفوته، والمراد بالمطمع ظهور الغمامة، وبالابتداء أوله، وبالموئس تفريقها وانجلاؤها، وبانتهائه تمام ذلك، وباتصال الابتداء بالانتهاء السرعة وقصر ما بينهما .

وَذُو تَعَدُّدٍ مِنَ الْحِسِّي أي والوجه صاحب التعدد من الوجه الحسي أي والوجه المتعدد ثلاثة أنواع:

الأول حسي كتشبيه **كَمَنْ** أي الذي **شَبَّهَفَنَّا** أي نوعا **فِي صِفاتِهِ** المختصة به من اللون والطعم والرائحة **بِفَنْ** أي بنوع آخر كقولك: " هذه الفاكهةُ مثلُ هذهِ الفاكهةِ في اللَّون والطَّعْم والرِّيح "

قوله: بِفَنِ بتخفيف النون لضرورة الوزن .

وَضِدُّهُ وهو النوع الثاني، وهو وجه التشبيه المتعدد العقلي، كتشبيه

. **مَـنْ بِالْغُـرَابِ فِي الْحَـذَرْ شَـبَّهَ طَـيْرًا والْفَسَـادِ والنَّظَـرْ**

أي من شبه طائرا بالغراب في كمال الحذر، وإخفاء السفاد أي نزول الذكر على الأنثى، وحدة النظر .

قوله: من خبر المبتدأ وهو ضده على سبيل المجاز من إقامة المضاف إليه مقام المضاف، والجملة بعده صلته .

وَالنـوع الثَّالِـثُ التَّشْـبِيهُ لِلْإِنْسَـانِ بِالشَّـمْسِ فِي الْحُسْـنِ

أي حسن الطلعة، **ورَفْعِ الشَّان** أي نباهة الشأن، وهو الوجه المتعدد المختلف أي الذي بعضه عقلي وبعضه حسي، فحسن الطلعة حسي، ونباهة الشأن عقلي .

وَرُبَّمَـــا يُؤْخَـــذُ وجْـــهٌ للتَّشْـــبِيهْ مِـــــــنَ التَّضَـــــادِ .

يعنى أن وجه التشبيه قد يؤخذ أي ينزع من التضاد أي التنافي تضادا كان أو تناقضا، وإنما انتزع منه **لِ**أجْل **اشْتِرَاكِ الضِّدِّ** أي المنافي مع ضده أي منافيه **فِيهْ** أي في التضاد الشامل للتناقض، فإن كلا منهما مناف ومضاد للآخر ومعاند له، ونزعه من التضاد يكون لتنزيل التضاد منزلة التناسب، إذ بذلك يتحقق وجه [276] التشبيه، وأما ذكر اشتراك الطرفين فيه فتوطئة لذلك، ودلالته على أن أخذ الوجه من التضاد غير مستنكر، بل له جهة مناسبة الجملة، قاله الحفيد .

والتنزيل منزلة التناسب إنما يتم **لِ**أجْلِ **قَصْدِ تَلْمِيحٍ** أي الإتيان بما فيه ملاحة وظرافة من الكلام، **أوِ** قصدهِ **التَّهَكُّمِ** وهو السخرية والاستهزاء، أو لقصده لهما جميعا، ويفرق بينهما قصد المتكلم، وذلك **كَوَصْفِهِ** أي المتكلم **مُبَخَّلاً** أي رجلا موصوفا بالبخل **بِحَاتِمِ**، بأن يقول هو حاتم، فإذا أراد بقوله هو حاتم الإتيان بما فيه ملاحة وظرافة كان تمليحا، وإذا أراد السخرية والاستهزاء كان تهكما، وإذا أرادهما جميعا كان تمليحا وتهكما .

وعلم من قولنا أنَّ التضاد ينزل منزلة التناسب إذا كان وجه تشبيه، أن الوجه في قولنا للجبان أسد، والبخيل حاتم مثلا، الجرأة والكرم، لا نفس التضاد الذي بينهما، لأنه لو كان الوجه لم يكن فيه ملاحة ولا تهكم .

تنبيـــه

اعتبر عبد اللطيف البغدادي التضاد على وجه آخر، فقال يشبه أحد الضدين بالآخر إذا كان أحدهما أظهر كما يقال: " العسل في حلاوته كالصبر في مراراته " وكقول الحكيم: " الموت في قوة الألم، مثل ساعة الإنزال في شدة اللذة "

فصل في بحث أدوات التشبيه

أَدَاتُـــهُ الْكَـــافُ ومِثْـــلُ وكَـــأَنْ

الأداة لغة الآلة، يعنى أن أدوات التشبيه الكاف ومثل وما في معناه كشبه ونحوه، وما يشتق من المماثلة والمشابهة والمضاهاة .

قال في العروس: " ويرد على هذه العبارة التشابه، فإنه مشتق من هذه أي المشابهة أو الشبه، وليس

تشبيها اصطلاحيا "[1]

وكأن بتخفيف النون للضرورة، وهو للتشبيه إذا كان الخبر جامدا نحو كأنّ زيدا أسد، وللشك إذا كان مشتقا نحو كأنك قائم ؛ لأن الخبر الواقع موقع المشبه به متحد في الواقع مع الاسم الواقع موقع المشبه، فلا معنى للتشبيه للزوم تشبيه الشيء بنفسه، وقيل إن " كأن " للتشبيه مطلقا، وقوله: كأنك قائم، على حذف موصوف أي كأنك شخص قائم، لكن لما حذف الموصوف وجعل الاسم كأنه الخبر بعينه، أعاد الضمير إلى الاسم لا إلى الموصوف، نحو كأنك قلت، وكأني قلت، والتحقيق أنه قد يجيء لظن ثبوت الخبر من غير تشبيه، كان الخبر جامدا أو مشتقا، وأنشد عليه الكوفيون:

فأَصــــبَحَ بطـــنُ مكَّـــةَ مقشـــعِرّاً كـــأنَّ الأرضَ لـــيس بهـــا هشـــامُ

الفنري: أي لأن الأرض، ولا يجوز أن يكون تشبيها لأنه ليس في الأرض حقيقة، والتعليل [277] إنما جاء باعتبار أنها جواب عن سؤال مقدر عن العلة، وأجيب بأن المراد بالظرفية الكون في بطنها لا الكون في ظهرها، والمعنى أنه كان ينبغي أن لا يقشعر بطن مكة مع دفن هشام فيه لأنه لها كالغيث، وبأنه يحتمل أن هشاما قد خلف من يسد مسده، فكأنه لم يمت .

والْأَصْـــلُ فِي الْكَـــافِ ومَـــا أَشْــبَهَ أَنْ

تُولَى مُشَبَّهًا يعنى أن الأصل في الكاف وما أشبهها من كل ما يشتق من المماثلة والمشابهة أن تولى أي يليها المشبه بِهِ لفظا، نحو زيد كالأسد أو مثله أو نحوه أو شبهه، وقوله تعالى: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَاراً**﴾[2] فإن المشبه به هو مثل المستوقد أي حاله العجيب، أو تقديرا كقوله تعالى: ﴿**أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ**﴾[3] أي أو كمثل ذوي صيب حذف ذوي لدلالة السياق وهو قوله: ﴿**يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ**﴾[4] عليه ؛ لأن هذه الضمائر لا بد لها من مرجع، وليس موجودا في اللفظ، فلا بد من تقديره، وحذف مثل لقيام القرينة أعني عطفه على قوله: كمثل الذي

(1) – عروس الأفراح م س ج2 ص68

(2) – سورة البقرة، الآية: 17

(3) – سورة البقرة، الآية: 19

(4) – سورة البقرة، الآية: 19

استوقد نارا، والصيب فيعل من صاب المطر يصوب نزل .

قوله: تولى بالبناء للنائب نائبه ضمير عائد إلى الكاف، وقوله مشبها به مفعوله الثاني .

وَرُبَّمَا .. تُولَى سِوَاهُ يعنى أن الكاف قد تولى سوى المشبه به أي يليها غير المشبه به مما له مدخل في المشبه به، بأن ذكر بعد الكاف بعض ما تنتزع منه الهيئة وذلك إذا كان المشبه به هيئة منتزعة أي مركبا وكان ذلك المركب لا يعبر عنه بمفرد .

مثال موالاة الكاف غير المشبه به قوله تعالى: **﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرض فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾**(1) المشار إليه بقول الناظم مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَا بالقصر للضرورة، إذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء، ولا بمفرد آخر مقدر كمثل، بل المراد تشبيه حال الدنيا في بهجتها وما يتعقبها من الهلاك بحال النبات الحاصل من الماء يكون أخضر ثم ييبس فتطيره الرياح كأن لم يكن، ومنه قوله:

ومـــا النـــاس إلا كالـــديار وأهلُهـــا   بهـــا يـــومٌ حلوُهـــا وغَـــدْواً بَلاقِـــعُ

إذ لم يشبه الناس بالديار، وإنما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول أهل الديار فيها، وسرعة انتقالهم عنها وتركها خالية، وبلاقع جمع بلقعة وهي القفر من الأرض، وغدْوا بسكون الدال ظرف لبلاقع .

قُلْـــــتُ ولا يَكُـــونُ مِثْـــلُ إِلَّا   فِي ذِي غَرَابَـــةٍ وشَـــانٍ جَـــلَّا

أي وقال الناظم من زيادته على التلخيص، ولا يكون المثل بالكسر والسكون وبالتحريك أصله بمعنى النظير مستعملا إلا في وصف ذي غرابة أي وصف غريب وذي شأن جل أي لا يستعمل إلا في وصف غريب له شأن عظيم، والألف في جلا للإطلاق، وأصله بمعنى النظير، ثم نقل إلى القول السائر الذي شبه مضربه بمورده، ثم استعير للصفة إذا كانت [278] لها شأن وفيها غرابة .

وَرُبَّمَـــا يُـــذْكَرُ فِعْـــلٌ يُنْـــبِي   عَنْـــــــــــــــــــهُ .

يعنى أنه قد يذكر فعل ينبئ عن التشبيه أي يدل عليه، ولا يكون ذلك الفعل إلا قلبيا أي فيكون فعل القلب أداة تشبيه، **فَإِنْ كَانَ** المتكلم **مُرِيدَ الْقُرْبِ** أي قاصدا تقريب التشبيه أي كون المشبه قريبا

(1) - سورة الكهف، الآية: 45

من المشبه به حتى كأنه هو، عبر بعلمت فقال: **عَلِمْتُ زَيْدًا أَسَدًا** لما في علمت ونحوها من تحقيق التشبيه، وتقريب المشبه من المشبه به، والمتكلم **الْمُبْعُدُ** أي القاصد بعد المشبه من المشبه به، وأن التشبيه غير محقق يقول: **حَسِبْتُهُ** أي حسبت زيدا أسدا، أو ظننت زيدا أسدا، لما في حسبت وظننت من الدلالة على أن التشبيه مظنون لا محقق .

قُلْتُ وذَا مُنْتَقَدُ أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: وذا أي كون أفعال القلوب من أدوات التشبيه منتقد، أي معترض ومردود، والذي اعترضه الطيبي، فقال إن الأداة في أفعال القلوب مضمرة، فهو من التشبيه المؤكد، والفعل يدل على حال التشبيه من القرب والبعد، واختار السعد قول الطيبي، قال للقطع بأنه لا دلالة للعلم والحسبان على ذلك، وإنما يدل عليه علمنا بأن الأسد لا يمكن حمله على زيد تحقيقا، وأنه إنما يكون على تقدير أداة التشبيه ذُكر الفعل أو لم يذكر، ورد الفنري انتقاد الطيبي بأنه لما استفيد الحمل من الفعل أنبأ ذلك الفعل عن التشبيه البتة ؛ لأن كون زيد وأسدا منصوبين لا يوجب الحمل كما في علمت زيدا أسدا، انتهى .

فصل يبحث فيه عن غرض التشبيه ومرجعه

غَرَضُـــــهُ يَعُـــــودُ لِلْمُشَـــــبَّهِ فِي أَكْثَـــرِ الْأَمْـــرِ وفِي أَغْلَبِـــه

يعنى أن الغرض من التشبيه يعود في أكثر أمره وأغلبه إلى المشبه، وقد يعود في غير الغالب إلى المشبه به، وإنما كان الغالب عوده إلى المشبه لأن التشبيه بمنزلة القياس في ابتناء أمر على آخر أي إلحاقُه به، فكان الغرض منه عائد إلى المشبه الذي هو كالمقيس، وأيضا المشبه محكوم عليه بوجه التشبيه، وسوق الكلام في كل حكم لبيان أمر المحكوم عليه **بَيَانُ إِمْكَانٍ**، بيان خبر مبتدأ محذوف أي هو بيان إمكان، يعنى أن الغرض إذا كان عائدا إلى المشبه يكون على وجوه: أحدها بيان الإمكان، أي بيان إمكان وجود المشبه المستبعد وجوده لغرابته إمكانا ظاهرا لا تتعلق به شائبة الامتناع أصلا، كقول ابن الرومي:

كم من أبٍ قد علا بابن ذري شرفٍ كمـا علـتْ برسـول الله عـدنان

وكما في قول المتنبي:

فـإن تفُـق الأنامَ وأنـت منـهم فـإنّ المسـك بعـضُ دمِ الغـزال

جواب الشرط محذوف أي فلا استبعاد، أراد أن الممدوح فاق الناس حتى صار جنسا بنفسه، وهذا في الظاهر كالممتنع، لاستبعاد أن يتناهى بعض أفراد النوع في الفضائل الخاصة بذلك [279] النوع حتى يصير كأنه ليس منها، فاحتج لهذه الدعوى وبين إمكانها بأن شبهه بالمسك الذي هو دم من الدماء ثم لا يعد منها، لأوصافه الشريفة المعدومة في الدم، والتشبيه في البيت لا يدل عليه الكلام صريحا، بل ضمنا ؛ لأن المعنى: إن تفق الأنام مع أنك واحد منهم فلا استبعاد، فحالك شبيه بحال المسك، فالتشبيه في هذا يسمى ضمنيا ومكنى عنه، سمي تشبيها ضمنيا لأنه مدلول عليه باللازم ومكنى عنه، لأنه ذكر لازم التشبيه وهو وجه الشبه أي الفوق على أمثاله مرادا به الملزوم الذي هو التشبيه، فما ذكر التشبيه صريحا بل كناية بذكر لازمه، قاله ياسين .

وَحَالٍ أي والثاني من الوجوه بيان حال المشبه على أي وصف من الأوصاف، كما في تشبيه ثوب بآخر في السواد إذا علم حال المشبه به دون المشبه، وإلا لم يبين الحال لأنها مبينة معلومة، وتبيين المبين محال .

وأشار إلى الوجه الثالث بقوله: **وكَذَا .. قَدْرٌ** أي وبيان القدر كبيان الإمكان والحال في كونه من غرض التشبيه العائد إلى المشبه، والمراد ببيان القدر بيان مقدار حال المشبه في القوة والضعف والزيادة والنقصان، إلى غير ذلك كما في تشبيه الثوب الأسود بالغراب في شدة السواد، والفرق بينه وبين بيان الحال أن الحال في ذلك مجهولة وفى هذا معلومة، والمراد بيان مقدارها، فبيان المقدار مسبوق ببيان الحال، ومنه قول الشاعر:

فأصبحت مـن ليلـى الغـداةَ كقـابض ... علـى المـاء خانتـهُ فـروجُ الأصـابع

والوجه الرابع تَقْرِيرٌ لَهَا أي الحال أي تقرير الحال أي حال المشبه في ذهن السامع وتقويتها كما في تشبيه من لا يحصل من سعيه على طائل أي فائدة بمن يكتب على الماء، فإنك إن كنت على طرف نهر وقت إخبارك صاحبك بأنه لا يحصل من سعيه على شيء، ثم أخذت تكتب على الماء، وقلت له: إن سعيك هذا كرقمي على الماء، فإنك تجد لتمثيلك هذا ضربا من التقرير والتأثير زائدا على النطق بذلك مجردا ؛ لأن الشيء وإن كان معلوما يقينا فالتمثيل بالمحسوس يفيد زيادة قوة ؛ لأن الجزم بالحسيات أتم من الجزم بالعقليات، وعلى هذا قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَٰكِن

﴿لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾[1] ومنه قوله:

إذا أنا عاتبتُ الملوك كأنما أخُطُّ بأقلامي على الماء أرقما

وقوله:

فأصبحت من ليلى الغداةَ كقابض على الماء خانته فروج الأصابع

عند من تقدمت له رؤية المشبه بهما في البيتين، ألا ترى أنك إذا أردت وصف يوم بالطول فقلت: يوم كأطول ما يتوهم، أو كأنه لا آخر له، لم يجد السامع في نفسه من الأنس ما يجد في قوله:

ويومٍ كظِلّ الرمح قَصَّر طولَهُ دمُ الزِّقِّ عنا واصطكاك المزاهر

وكذا إذا قلت في [280] وصفه بالقصر: يوم كأقصر ما يتصور أو كساعة، لا تجد فيه ما تجد في قوله:

ظللنا عند باب أبي نعيم بيوم مثل سالفة الذباب

ودم الزق الخمر، والمزاهر الأعواد التي يضرب بها، وسالفة الذباب ناحية مقدم عنقه .

وَكُلُّ ذَا،

يَقْضِي بِأَنَّ الْوَجْهَ فِي الْمُشَبَّهِ بِهِ أَتَمُّ وهْوَ أَشْهَرُ بِهِ

يعنى أن كل ما ذكرنا من الأغراض الأربعة يقضي أي يقتضي أن وجه التشبيه في المشبه به أتم منه في المشبه، وهو أي المشبه به أشهر به أي بوجه التشبيه من المشبه .

قال الشيخ سعد الدين: **وهذا فِيهِ نَقْدٌ** أي اعتراض، أي هذا القيد فيه انتقاد واعتراض، وهو قول صاحب التلخيص، بل التحقيق أن بيان الإمكان والحال لا يقتضيان إلا الأشهرية، وكذا بيان المقدار لا يقتضي الأتمية، بل يقتضي أن يكون المشبه على حد مقدار المشبه به لا أزيد ولا أنقص، ليتعين مقدار المشبه أي مقدار الوجه فيه على ما هو عليه، وأما تقرير الحال فإنه يقتضي الأمرين جميعا ؛ لأن النفس إلى الأتم والأشهر أميل، فالتشبيه به لزيادة التقرير والتقوية أجدر .

ثُمَّ لِلتَّشْوِيهِ يعنى أن غرض التشبيه العائد إلى المشبه يكون للتشويه له أي التقبيح له والتنفير عنه، كما في تشبيه وجه مجدور أي عليه آثار الجدري بسلحة جامدة قد نقرتها بمناقيرها الدِّيَكة بكسر الدال

(1) - سورة البقرة، الآية: 260

وفتح الياء جمع ديك كفيل، فإنه أظهر المشبه وهو الوجه في أقبح صورة إرادة زيادة القبح فيه للتنفير منه، وطلب انتقال زيادة استقباح تلك السلحة إليه، وهذا هو الوجه الخامس .

وَزِينَةٍ أي والغرض العائد إلى المشبه قد يكون لزينة له أي لتزيينه في عين السامع ليرغب فيه، كما في تشبيه وجه أسود بمقلة الظبي، فإن سواد مقلة الظبي مستحسن عادة، فأراد انتقال استحسانه إلى المشبه الذي هو الوجه، وهذا هو الغرض السادس من الأغراض العائدة إلى المشبه .

وَالطُّرْفِ أي ويكون الغرض العائد إلى المشبه للطرف له أي للاستطراف له أي المشبه أي جعله طريفا بالطاء المهملة أي جديدا يميل الطبع إليه ؛ لأن لكل جديد لذة، وإنما يكون مستطرفا إذا كان المشبه به لا يحصل في الذهن إلا نادرا، لا عند حضور المشبه ولا عند عدم حضوره، **كَالتَّشْبِيه**

لِلْفَحْـــــمِ ذِي الجَمْـــــــرِ .

أي كتشبيه الفحم الذي فيه جمر **بِبَحْرِ مِسْكٍ** أي ببحر من المسك، وذلك البحر

ومَوْجُـــهُ مِـــنْ ذَهَـــبٍ ذِي سَـــبْك

أي موجه من الذهب المسبوك، فإن الإنسان لا يتصور بحرا من المسك موجه الذهب، لا عند حضور المشبه الذي هو الفحم الذي فيه الجمر بباله، ولا عند عدمه .

وَوَجْـــهُ طُـــرْفٍ كَوْنُـــهُ يُـــبْرَزُ فِي مُمْتَنِـــــــــــــــــــــــعٍ . .

يعنى أن وجه الاستطراف في هذا التشبيه كونه أي المشبه يُبرز [281] بالبناء للنائب أي يظهر في صورة الممتنع عادة، أو لكونه نادر الحضور في الذهن مطلقا .

. . **أَوْ قَـــلَّ فِي الـــذِّهْنِ يَفِـــي**

أي أو لكونه قليل الحضور في الذهن عند حضور المشبه، كقول أبي العتاهية في وصف البنفسج:

ولا زَوَرْدِيَّـــــةٍ تزهـــــو بزُرْقَتِهـــــا ... بـــيْنَ الـــرِّياضِ علـــى حُمْـــرِ الْيَواقيـــت
كأنهـــا فـــوقَ قامـــاتٍ ضَـــعفْنَ بهـــا ... أوائـــلُ النـــار في أطْـــراف كِبريـــت

فإن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حضورها في الذهن ندرة بحر من المسك موجه الذهب، لكن يندر عند حضور صورة الزورديَّة، فيستطرف لمشاهدة عناق بين صورتين متباعدتين غاية التباعد ؛ لأن الشيء إذا ظهر من موضع لم يعهد ظهوره منه كان ميل النفس إليه أكثر .

قال ياسين: وإنما قيدت بأوائل النار ؛ لأن النار متى طال مقامها احْمرّت وضعفت وزالت عنها الزرقة، ولذا قيد أيضا بقوله في أطراف كبريت، ولم يقل في كبريت ؛ لأن أوائل النار الواقعة في وسط الكبريت لا في أعاليه لا زرقة فيها، وإنما قال ضعفن لأن الساقات التي عليها الزوردية إذا طالت انحنت، وقد اعتنى الأدباء بهذا التشبيه، قال ابن المعتز:

بَنَفْسجٌ جُمعتْ أوراقُه فحَكَتْ ... كُحْلاً تَشرَّبَ دمعا يومَ تَشْتيت

كأنهُ وضِعافُ الْقُضْبِ تحمِلُه ... أوائل النار في أطراف كبريت

وقال آخر:

ومُذْهَبِ الْوَجَناتِ مَعْسولِ اللِّمَى ... يُنسي كَليمُ لِحاظِهِ أوطانَه

زعَمَ الْبَنَفْسَجُ أنهُ كعِذارِهِ ... حُسْناً فَسُلُّوا مِنْ قَفاهُ لِسانَهُ

وَلِمُشَبَّهٍ بِهِ الْغَرَضُ عَمّْ يعنى أن الغرض من التشبيه عم أي ثبت وعاد إلى المشبه به، وهذا هو غير الغالب، وهو على ضربين أشار إلى الأول منهما بقوله: **إِمَّا لإِيهَامٍ بِأَنَّهُ أَتَمّْ** أيْ وعوده إلى المشبه به يكون لإيهام السامع أنه أي المشبه به أتم من المشبه في وجه التشبيه أي لإيقاع المتكلم في وهم السامع أن المشبه به أتم من المشبه مع أنه ليس كذلك في الحقيقة .

وَذاكَ أي عود الغرض إلى المشبه به لأجل إيهام أنه أتم يكون **فِي** التشبيه **الْمَقْلوبِ**، وهو أن يجعل الناقص في وجه التشبيه مشبها به، والكامل مشبها، قصدا إلى ادعاء أنه زائد عليه، كقوله:

وبدا الصباح كأن غرته ... وجه الخليفة حين يُمتدح

الأصل تشبيه الوجه بغرة الصبح أي بياضه، لكن قلب التشبيه قصدا إلى إيهام أن وجه الخليفة أتم في الوضوح والضياء منها وأبعد عن ظلمة العبوس .

وأشار إلى الضرب الثاني بقوله: **أَوْ لِلاهْتِمَامْ** أي ويكون عود الغرض إلى المشبه به لأجل بيان الاهتمام أي اهتمام المتكلم بالمشبه به، **كَجَائِعٍ شَبَّهَ وجْهًا** أي كما في تشبيه جائع لوجه كالبدر في الاستدارة والاستنارة شبهه **بالطَّعَامْ** بأن قال: هذا الوجه أو وجه فلان كالرغيف، فالغرض من تشبيه الوجه بالرغيف عنده عائد إلى المشبه به الذي هو الرغيف، وغرضه اهتمامه به ليأكله .

إِظْهَارُ مَطْلُوبٍ أي وهذا القسم هو المسمى إظهار [282] المطلوب، فقوله إظهار مطلوب بالرفع

خبر مبتدأ محذوف أي هو أو منصوب على أنه مفعول لأجله أي لأجل إظهار المتكلم مطلوبه وهو الطعام .

. . وكُـــلُّ ذَا إِذَا   إِلْحَـاقُ نَاقِـصٍ بِغَـيْرٍ يُحْتَـذَى

أي وكل هذا الذي ذكرنا من جعل أحد الشيئين مشبها، والآخر مشبها به إنما يكون إذا كان يحتذى، أي يقصد إلحاق الناقص في وجه التشبيه بغيره أي بالكامل فيه، كان ذلك الإلحاق حقيقة كما في التشبيه الذي يعود الغرض فيه إلى المشبه، أو ادعاء كما في التشبيه الذي يعود الغرض منه إلى المشبه به .

قال في فيض الفتاح: " ولا يقال لا نسلم هذا الإلحاق لأن ما تقدم سوى التقرير ليس فيه إلحاق الناقص بالكامل كما تقرر، لأنا نقول: المراد بالناقص الناقص في الجملة ولو في الأعرقية، أو الغرض المذكور لأجله التشبيه، ويصح أن يكون المراد إلحاق الناقص في الوجه بالكامل فيه بناء على أن مذهب السكاكي أن المشبه به لا بد أن يكون أتم في الوجه من المشبه، وهذا المذهب قال في عروس الأفراح: إنه هو الذي يقتضيه النظر . "[1]

ولذا قال المعري:

ظَلَمْنَـاكَ فِي تَشْـبِيهِ صُـدْغَيْكَ بِالْمِسْـكِ[2]

وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى أي نقصان المشبه في الوجه عن المشبه به انتهى .

وَقَـدْ يُـرَادُ الجَمْـعُ فِي الشَّـيْئَيْنِ فِي   أَمْـرٍ ولَمْ يُنْظَـرْ لِـنَقْصٍ أَوْ وفِي

يعنى أن المتكلم قد يرد الجمع بين شيئين في أمر من الأمور، أي في معنى من المعاني ليكون كل واحد منهما مشبها ومشبها به، والحال أنه لم ينظر لذي نقص في ذلك الأمر ولا وفى فيه، فقوله لنقص على حذف مضاف، وقوله أو وفى وصف على وزن فعيل خفف للضرورة أي مع قطع النظر عن كون أحدهما ناقصا في ذلك الأمر والآخر زائدا، وذلك يكون تارة في المتساويين في وجه التشبيه، وتارة يكون في المتفاوتين من غير قصد إلى إفادة التفاوت، وإذا كان هذا مراده **فَالْأَحْسَنُ** حينئذٍ **الْعُدُولُ** عن

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص116

(2) - هذا صدر بيت لأبي العلاء المعري، وبعده قوله: وقَاعِدَةُ التَّشْبِيهِ نُقْصَانُ مَا يُحْكَى، عقود الجمان ج2 ص21

التشبيه أي ترك التعبير بصيغته احترازا من ترجيح أحد المتساويين على الآخر من غير مرجح، كما هو ظاهر التشبيه، **لِلتَّشابُهِ** أي إلى التعبير بصيغة التشابه، ليفيد التساوي بأن يقول: تشابه، أو تشاكل أو تساوى، أو تضارع، أو تماثل، ونحو ذلك، مما يفيد التشابه والتساوي في المعنى، كقول أبي إسحاق الصابئ:

تشابهَ دمعي إذ جرى ومُدامتي ... فمن مثل ما في الكأس عيني تسكبُ
فو الله ما أدرى أبالخمر أسْبَلَتْ ... جُفوني أم مِنْ عَبرةٍ كنتُ أسكُبُ وتُخفوقُ

لما قصد تساوي الدمع والخمر في الرقة والحمرة حكم بينهما بالتشابه وترك التشبيه، ومنه قوله:

قوامُكِ أمْ غُصْنٌ من البان يَنثني ... وطلعةُ بَدْرٍ أمْ ضِيا وجْهِكِ السَّني
وَريقُكِ أمْ خَمرٌ يلِذ لشاربٍ ... ونَبتُ عِذارِكَ أم نبتُ سَوْسَنِ

ومنه قوله:

رقَّ الزُّجاجُ وراقت الخمرُ ... فتشابها وتشاكل الأمرُ
فكأنما خمرٌ ولا قَدَحٌ ... وكأنما قدح ولا خمر

[283]

وذِكْرُهُ التَّشْبِيهَ مِنْ صَوَابِهِ

يعنى أن ذكر المتكلم للتشبيه، أي تعبيره بصيغته عند إرادة الجمع بين الشيئين في أمر لأجل غرض من الأغراض غير القصد إلى زيادة أو نقصان، ككون الكلام مسوقا لبيان حال أحدهما أو الاهتمام به، فيجعل مشبها من صوابه أي من صواب المتكلم، أو من صواب الكلام، ومنه قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾[1] لأنهم لما تساوى عندهم البيع والربا في الحل، كان البيع عندهم مثل الربا والعكس، وجعله بعضهم من التشبيه المقلوب، فإن المقصود في الأصل أنهم جعلوا الربا كالبيع، فقلب مبالغة فيه زعما أن الربا أولى بالحل من البيع، فإن قيل امتناع ترجيح أحد المتساويين يقتضي وجوب التشابه وامتناع التشبيه، فالجواب أن التساوي إنما هو في الوجه، فيجوز التشبيه لغرض من الأغراض غير القصد إلى الزيادة والنقصان في الوجه .

(1) – سورة البقرة، الآية: 275

أقســـام التشبيـــه

أي هذا مبحث أقسام التشبيه

فَبِاعْتِبَـــــارِ الطَّــــرَفَيْنِ مُفْــــرَدُ بِمُفْــــرَدٍ كِلاهُمَـــــا مُقَيَّـــــدُ

أَمْ لا=يعنى أن التشبيه ينقسم باعتبار [284] الطرفين إفرادا، أو تقييدا، أو تركيبا، فيكون مفرد مشبها بمفرد، كِلا المفردين مقيدٌ بقيد له مَدْخلٌ في التشبيه، كقولك لمن لا يحصل من سعيه على طائل، هو كالرَّاقِمِ على الماء، فإن المشبه هو الساعي المقيد بأن لا يحصل من سعيه على فائدة، والمشبه به هو الراقم المقيد بكون رقمه على الماء ؛ لأن وجه الشبه فيه هو التسوية بين الفعل وعدمه، وهو موقوف على اعتبار هذين القيدين، أو يكون مفرد مشبها بمفرد كلا المفردين لا تقييد فيه، كتشبيه الخد بالورد، ومنه قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ﴾[1] فوصف اللباس بالمجرور بعده لا يعد تقييدا، لأنه لا مدخل له في التشبيه أي في وجهه، وقد مر أن القيد لا بد أن يكون له مدخل في وجه الشبه، ومذهب الزمخشري أن وجه التشبيه حسي، والمعنى أن كل واحد من الزوجين يشتمل على صاحبه عند الاعتناق كاللباس، ومذهب غيره أنه عقلي، والمراد صونه وستره، والمعنى أن كلا من الزوجين يصون صاحبه عن الوقوع في فضيحة الفاحشة، كما يصون اللباس لابسه عن كشف عورته، فإنه يسترها، ولا يتوقف واحد من المذهبين على القيد .

أَوِ الْخِلافُ فِيهِمَا جُعِلْ أي أو جعل الخلاف في الطرفين المفردين بأن كان أحدهما مقيدا والآخر مفردا .

فمثال تشبيه مفرد بمقيد **كَالشَّمْسِ كَالْمِرْآةِ فِي كَفِّ الأَشَلْ** فالمشبه وهو الشمس غير مقيد، والمشبه به وهو المرآة مقيد بكونها في كف أشل .

ومثال تشبيه المقيد بالمفرد عكس هذا المثال، وهو المرآة في كف الأشل، كالشمس .

وَذُو تَرَكُّبٍ بِهِ يعنى أن التشبيه ينقسم باعتبار طرفيه إلى مركب بمركب، كقول بشار:

كأن مثار النقع البيت[2] . .

---

(1) - سورة البقرة، الآية: 187

(2) -كـــأنّ مثـــار النّقـــع فـــوق رؤوســـهم وأســـــيافنا ليـــــل تهـــاوى كواكبـــه

أَوْ مُفْرَدٍ أي أو مشبه بمفرد كقول أبي تمام:

يا صـــــاحبي تقصـــيا نظريكمـــا ... تــريا وجــوه الأرض كيـــف تصـــور
تــريا نهـــارا مشمســا قــد شــابه ... زهـــر الـــرُّبا فكأنمـــا هـــو مقمـــر

يقال: تقصّيت الشيء إذا بلغت منتهاه، وتصور بحذف إحدى التائين، شبه النهار المشمس الذي خالطه زهر الربا فنقص باخضراره ضوء الشمس حتى صار يميل إلى السواد بالليل المقمر، فالمشبه مركب والمشبه به مفرد .

قال السيد: وفيه نظر لأن قوله مقمر تقديره ليل ذو قمر ، ففيه تعدد وشائبة تركيب .

وَعَكْسِهِ وهو تشبيه المفرد بالمركب، كما مر من قوله:

وكـــــان محمَـــــرّ الشـــــقي ... ق إذا تصـــــوّب أو تصـــــعد
أعـــــلامُ ياقـــــوت نُشـــــرن ... علــــى رمـــــاح زبرجـــــد

فالمشبه وهو الشقيق المحمر مفرد، والمشبه به وهو الهيئة الحاصلة من نشر أجرام حمر مبسوطة على أجرام خضر مستطيلة مركب .

قال في فيض الفتاح: " والفرق بين المركب والمفرد المقيد يحتاج إلى سلامة الطبع من الآفات وصفاء القريحة عن المكدورات .

قال السيد في شرح المفتاح: فإن كان هناك أمر واحد هو الأصل فيما قصد من المشبه أو المشبه به وكان ما عداه تبعا وتتمة له في الاعتبار، كان مفردا مقيدا، وإلا كان مركبا، فالمركب كل واحد من أجزائه جزء الطرف، والمفرد المقيد يكون الطرف فيه ذلك المقيد، والقيد شرط خارج عن ذاته لا جزء منها . "[1]

ثم أشار إلى انقسام التشبيه باعتبار تعدد طرفيه بقوله: **والطَّرَفَيْنِ فَاعْدُد، بِالمُشْبَهَاتِ فَابْدَأَنْ** أي عدد أيها المتكلم طرفي التشبيه أي اجعلهما متعددين، وإذا فعلت ذلك فابدأ بالمشبهات أولا، ثم بالمشبه بها كذلك، فقوله بالمشبهات فابدأن استئناف بياني، وفى التعدد أربعة أقسام: فإما أن تبتدئ بالمشبهات أولا، ثم بالمشبه بها كذلك على طريق اللف والنشر المرتب، وهو معنى قوله بالمشبهات

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص120

فابدأن أي ابدأ بالمشبهات أولا، ثم بالمشبه بها كذلك، كقول امرئ القيس يصف عقابا بكثرة الاصطياد:

كـأنّ قلـوبَ الطـير رطبـا ويابسـا   لـدى وكرِهـا العُنّـابُ والْحَشَـفُ البـالي

شبه الرطب من قلوب الطير بالعناب، واليابس منها بحشف التمر البالي، ومنه في تشبيه أربعة بأربعة:

ثغْـرٌ وخـدٌّ ونهـدٌ واحمـرَارُ يـدٍ   كـالطلعِ والـوَرد والرّمـان والـبلَحِ

أَوْ لاَتبدأ بالمشبهات أَوَّلا بل آت بمشبه ثم بمشبه به ثم بمشبه ثم بمشبه به، وهذا هو القسم الثاني، فإن تفعل هذا الذي ذكرنا **تَحِقّْ** أي توافق الحق أي الصواب، فقوله تحق بالجزم جواب شرط محذوف تقديره إن تعددهما وتفعل ما ذكرنا من [285] القسمين تحق .

وَالأَوّلُ من القسمين وهو المبدو فيه بالمشبهات أولا ثم بالمشبه بها كذلك على طريق اللف والنشر المرتب هو **الْمَلْفُوفُ** أي الذي يسمى بالملفوف، **والثَّانِي** منهما وهو المؤتي فيه بالمشبه ثم بمشبه به ثم بمشبه ثم بمشبه به هو الذي **فَرَقْ** فيه بين المشبهات بالمشبه بها

كَالنَّشْـرِ مِسْـكٌ والْوُجُـوهُ أَنْجُـمُ   والرِّيـقُ خَمْـرٌ والْبَنَـانُ عَنْـدَمُ

أي كقول الناظم آخذا من قول مرقش يصف نساءً، النشر مسك أي رائحتهن كرائحة المسك، والوجوه أنجم، أي وجوههن كالأنجم في الاستنارة والاستدارة، والريق خمر، أي وريقهن كالخمر في لذة الطعم، والبنان عندم أي أصابعهن كالعندم في الحمرة واللين، وقول مرقش:

النّشْـرِ مسـكٌ والْوُجُـوهُ دنانيـ   ـرٌ وأطْـرَافُ الأكُـفِّ عَـنَمْ

وإنما سمي مفروقا للفرق فيه بين المشبهات بالمشبه بها .

ثم أشار إلى القسم الثالث من أقسام التشبيه باعتبار تعدد طرفيه بقوله:

وَإِنْ تُعَـدِّدْ أَوَّلاً فَالتَّسْـوِيَهْ

أي وإن تعدد الطرف الأول أي المشبه، فهذا التشبيه هو المسمى بالتسوية أي بتشبيه التسوية ؛ لأن المتكلم سَوَّى فيه بين شيئين أو أكثر في التشبيه بواحد كقوله:

صُـدْغُ الْحَبِيـبِ وحَـالِي   كِلَاهُمَـا كاللَّيَـالِي

وَثَغْـــــرُهُ فِيْ صَـــفَـاءٍ   وأَدْمُعِـــيْ كَــــالْلّآلِيْ[1]

فالمشبه متعدد وهو صدغ الحبيب وحال المحب، والمشبه به واحد وهو الليالي، والوجه السواد، والمشبه في الثاني أيضا متعدد وهو الثغر والدموع، والمشبه به واحد وهو اللآلئ جمع لؤلؤة، والوجه الصفاء، فالتشبيه في البيت الأول مجمل وفى الثاني مفصل .

أَوْ أي وإن تعدد **ثانِيـًا** أي الثاني من الطرفين وهو المشبه به **تَشْبِيهَ جَمْعٍ سَمِّيَهْ** أي سم هذا التشبيه تشبيه جمع ؛ لأن المتكلم يجمع فيه للمشبه أمورا مشبها بها، كقول البحتري:

باتَ نـــديما ليَ حـــتى الصـــباح   أغْيـــدُ مُجْـــدولُ مَكـــانِ الوِشـــاحْ

كأنّمـــا يَبْسـمُ عـــن لؤلـــؤٍ مُنَضَّــدٍ   أوْ بَـــــرَدٍ أوْ أقـــــاحْ

شبه ثغره بثلاثة أشياء .

قال في الأطول: إلا أنه أورد كلمة أو للتنبيه على أن كلا مشبه به على حدة، وكلمة أو للتسوية لا للإبهام، حتى أنه ينبغي الواو ويوجه بأنَّ أوْ بمعنى الواو .

قلت: فكيف يجعل بمعنى الواو وهو أحسن من الواو لخلوه عن وصمة الإبهام وهي جعل المجموع مشبها به .

وَباِعْتِبَـــارِ الْوَجْـــهِ تَمْثِيـــلٌ غَـــدَا   مُنْتَزَعًـــا مِـــنْ عَـــدَدٍ وقَيَّـــدَا

هذا شروع منه في انقسام التشبيه باعتبار وجهه إلى تمثيل وغير تمثيل، وإلى مجمل ومفصل، وإلى قريب وبعيد، يعنى أن التشبيه ينقسم باعتبار وجهه إلى تمثيل وغير تمثيل، فالتمثيل هو الذي غدا وجهه منتزعا من متعدد أمرين أو أمور، سواء كان غير حقيقي أو كان [286] حقيقيا، حسيا أو عقليا، وهذا هو مذهب الجمهور كما مر من تشبيه الثريا بالعنقود، ومثار النقع مع الأسياف بالليل الذي تتهاوى كواكبه .

وتقرير البيت: غدا التشبيه تمثيلا منتزعا من ذي عدد، وغير تمثيل باعتبار وجهه أي منقسما إلى هذين القسمين باعتبار وجهه، فقوله تمثيلا خبر غدا بمعنى صار، وقوله منتزعا نعت لتمثيلا، وقوله من عدد على حذف مضاف أي من ذي عدد، وقوله باعتبار متعلق بغدا أو متعلق بالانقسام المفهوم

---

(1) - البيتان من المجتث، وهما بلا نسبة في تاج العروس.

من المقام أي بفعل منه أو وصف مقدر .

وَقَيَّدَا

بِكَوْنِـــهِ غَــيْرَ الْحَقِيقِـــي يُوسُـــفُ

بِكَوْنِهِ غَيْرَ الْحَقِيقِي يُوسُفُ أي وقيد يوسف السكاكي تعريف التمثيل بما ذكرنا بكونه غير حقيقي، أي غير محقق حسا ولا عقلا، حيث قال بالتشبيه متى كان وجهه وصفا غير حقيقي، وكان منزوعا من عدة أمور، خص باسم التمثيل، فالتمثيل عنده منحصر في المركب الاعتباري، فعلى ما ذكرنا يكون كل واحد من طرفي التشبيه مركبا، كما أن وجه التشبيه فيه أيضا مركب، وهذا جعله السيد هو التحقيق، ورد على السعد في التمثيل له بتشبيه المفرد بالمفرد، كتشبيه الثريا بالعنقود، بأن المتبادر من انتزاع وجه الشبه انتزاعه من طرفيه لا انتزاعه من جميع أجزائه التي تركب هو منها، فمثال التمثيل عند السكاكي قوله تعالى: **﴿مَثَلُ ٱلذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرِيٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراًۢ﴾**[1] فالوجه هو حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع حصول الكد والتعب في استصحابه، وهو غير حقيقي، إذ ليس له تقرر في ذات الموصوف، بل أمر يتصوره الذهن فقط، ومنه قوله تعالى: **﴿۞مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلذِے إِسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وتَرَكَهُمْ فِے ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ 16﴾**[2] فالمشبه المنافقون ووصفهم، والمشبه به المستوقد نارا وصفته، أو ذوو الصيب وصفتهم، والوجه توجه الطمع إلى تيسير المطلوب أي حصوله بسبب مباشرة أسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الأسباب، والمطلوب هو الاتقاء عما يحذر، والأسباب القريبة للمطلوب في جانب المنافقين الإيمان باللسان، واتباع النبي ﷺ بظاهر حالهم، وانقلاب تلك الأسباب اطلاع الله تعالى على أسرارهم، وافتضاحهم بين المؤمنين، واتسامهم عندهم بسمة النفاق، والأسباب في المشبه به وهو المستوقد نارا وصفته، أو ذوو الصيب وصفتهم ظاهرة، وكذا انقلابها، فعلم أن الوجه منتزع من أمور متعددة، وعلم أيضا أنه أمر وهمي لا تقرر له في ذات الموصوف، بل شيء يعتبره العقل،

(1) - سورة الجمعة، الآية: 5

(2) - سورة البقرة، الآية: 17

ومذهب الشيخ أن التمثيل هو التشبيه الذي ينتزع فيه الوجه غير المتحقق حسا من متعدد، سواء تحقق عقلا أم لا، ومذهب الزمخشري أن كل [287] تشبيه تمثيل، فالمذاهب أربعة .

وغَـــيْرُ تَمْثِيـــلٍ لَـــهُ مُخَـــالِفُ

يعنى أن القسم الثاني المقابل للتمثيل وهو المسمى غير التمثيل مخالف للتمثيل، فهو عند الجمهور ما لا يكون وجهه منتزعا من متعدد، وعند السكاكي ما لا يكون منتزعا منه، أو يكون ولكنه وصف غير حقيقي، وعند الشيخ ما لا يكون الوصف فيه منتزعا من متعدد، أو يكون فيه الوصف المنتزع من متعدد محققا حسا .

ثم أشار إلى انقسام التشبيه باعتبار وجهه إلى مجمل ومفصل بقوله:

وَمُجْمَـــلٌ مَـــا وجْهُـــهُ لَمْ يُـــذْكَرِ

يعنى أن التشبيه منه مجمل وهو الذي لم يذكر فيه وجه التشبيه، وهو على قسمين: **فَـمِنْهُ ظَاهِرٌ** وهو الذي يفهم الوجه فيه كل أحد نحو زيد كالأسد، فإنه يظهر لكل أحد أن الوجه الجرأة، ومنه **ذُو خَفَا** لا يدرك إلا **بالنَّظَرِ** أي التأمل وهو الذي لا يفهم الوجه فيه إلا الخواص الذين لهم أذهان صحيحة يرتفعون بها عن درجة العوام، وتسمية التشبيه بالظاهر والخفي تسمية له بحال الوجه، مثال الخفي قول فاطمة بنت الخرشب الأنمارية حين وصفت بنيها الكملة، لما سئلت عنهم أيهم أفضل، وهو ربيع الكامل وعمارة الوهاب، وقيس الوهاب، وأنس الفوارس، فقالت: عمارة الوهاب، لا بل فلان، لا بل فلان إلى آخرهم، ثم قالت: " ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل، هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها " فوجه الشبه التناسب الذي يمتنع معه التفاوت، إلا أنه في المشبه في الشرف بحيث لا يعد بعض فاضلا وبعض أفضل منه، وفي المشبه به في الصورة ؛ لأن الحلقة المفرغة أي المصمتة الجوانب كالدائرة لا يدرى أين طرفاها بخلاف المضروبة يعلم طرفاها بالابتداء والانتهاء، والمصمتة التي لا انفراج فيها أي في طرفيها أي هم متناسبون في الشرف، كما أن الحلقة المفرغة متناسبة الأجزاء في الصورة بحيث يمتنع تعيين بعضها طرفا وبعضها وسطا، لكونها مصمتة الجوانب .

قوله: خفا بالقصر للوزن، وقوله بالنظر متعلق بيدرك مقدرا .

فَمِنْــهُ مَــا مِــنْ وصْــفِ طَرْفَيْــهِ عَــرَا

يعنى أن التشبيه المجمل ينقسم إلى قسمين: فمنه ما عري أي خلا من وصف طرفيه أي المشبه والمشبه به، أي الوصف المشعر بوجه التشبيه، نحو " زيد كالأسد "

قوله: عرى بالفتح للضرورة، أصله عرى بالكسر، وقوله من وصف متعلق بعرى، والجملة صلة ما والموصول مبتدأ خبره منه .

أَوْ مُشْبَهٌ أي ومنه ما عري من وصف مشبه أي وصف المشبه فقط، وذكر فيه وصف المشبه به المشعر بوجه الشبه، كقول فاطمة الأنمارية: " هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها " وصفت الحلقة بكونها مفرغة أي غير معلومة الطرفين، وهذا الوصف مشعر بوجه الشبه، والحلقة هي المشبه به، ومنه ما عري من وصف المشبه به فقط، [288] وذكر فيه وصف المشبه كقولك: " فلان كثير أياديه لدي، طلبت منه أو لم أطلب كالغيث " وصفت المشبه بكونه كثير الأيادي أي النعم لديك، طلبت منه أو لم تطلب أي في حال الطلب وعدمه، وذلك وصف مشعر بوجه الشبه .

. أَوْ وصْـــــفُ كُــــلٍّ ذُكِــــرَا

أي ومنه ما ذكر فيه وصف الطرفين جميعا، كقول أبي نواس في الحسن بن سهل:

ستصـبح العـيس بي والليـلَ عنـد فـتى	كثـيرِ ذكـر الرضـى في سـاعة الغضـب
صـدَفْتُ عنـهُ فلـم يَصْـدِفْ مَواهبَـهُ	عــنّي وعـــاوَدَهُ ظــني فلــمْ يَخِــبِ
كالغيـــثِ إن جئتَــــهُ وافــــاكَ ريِّقُــــه	وإن ترحَّلْــتَ عنــــهُ لجَّ في الطَّلَــبِ

وصف الممدوح بأن عطاياه فائضة عليه، أعرض عنه أو لم يعرض، وكذا وصف الغيث بأنه يصيبك، جئته أو ترحلت عنه، وهذان الوصفان مشعران بالوجه، وهو الإفاضة في حالتي الإقبال عليه والإعراض عنه .

قوله: أو مشبه بالجر معطوف على قوله طرفيه، وقوله ذكرا بالبناء للنائب نائبه ضمير عائد إلى الوصف، والألف فيه للإطلاق، والجملة خبر قوله أو وصف كل لأنه مبتدأ .

وَغَيْرُهُ مُفَصَّلٌ يعنى أن غير المجمل هو المفصل، وهو الذي ذكر فيه وجه التشبيه، حقيقة كان كقوله: وثغره في صفاء وأدمعي كاللآلي، أم لا بأن يذكر مكان الوجه شيء ملزوم للوجه كما في قولهم

في وصف الكلام البليغ " هو كالعسل في الحلاوة " فإن وجه التشبيه هنا لازم الحلاوة، وهو ميل النفس، لأنه المشترك بين الكلام البليغ والعسل، وأما الحلاوة فإنها خاصة بالعسل .

والتشبيه ينقسم باعتبار وجهه أيضا على قسمين أشار إليهما الناظم بقوله:

. . **والْمُبْتَـــــــــذَلْ فِيـــهِ إِلَى مُشَـــبَّهٍ بِـــهِ انْتَقَـــلْ**

مِـــنْ غَـــيْرِ تَـــدْقِيقٍ . .

يعني أن التشبيه ينقسم باعتبار وجهه أيضا على قسمين، منه مبتذل أي قريب، ومنه غريب وسيأتي، فالمبتذل لغة القريب المستعمل للعامة وغيرهم، والابتذال الامتهان لشهرته، وعموم قربه .

وفى الأطول: المبتذل غير المصون عن أحد، بل يعطى لكل أحد ويناله بمجرد توجهه إليه، والابتذال عدم الصيانة، وأشار الناظم إلى تفسيره عند البيانيين بقوله: والمبتذل إلخ، أي والتشبيه القريب المبتذل، هو الذي ينتقل فيه الذهن أي ذهن السامع من المشبه إلى المشبه به بادي الرأي، أي في أول الأمر من غير تدقيق نظر ولا تأمل، بسبب ظهور الوجه في نفسه .

قال في الأطول: وتحقيقه أن يكون المشبه بحيث إذا نظر العقل فيه ظهر المفهوم الكلي المشترك بينه وبين المشبه به من غير تدقيق، والتفتت النفس إلى المشبه به انتهى .

وظهور الوجه في التشبيه بادي الرأي يكون لأمرين: أحدهما عدم التفصيل في الوجه، إما لكونه أمرا واحدا كالسواد في تشبيه هندي بالفحم، والبياض في تشبيه الشهد بالثلج، أو لكونه أمرا جمليا لأن المجمل أسبق إلى الذهن من المفصل ، [289] ألا ترى أن إدراك الإنسان من حيث أنه شيء أو جسم أسهل من إدراكه من حيث أنه جسم نام حساس أي مدرك بالحواس متحرك بالإرادة ناطق أي مدرك الكليات ؛ لأن المفصل يشتمل على المجمل وشيء آخر، والثاني غلبة حصول المشبه به في الذهن مطلقا، أو عند حضور المشبه مع قلة التفصيل في الوجهين، أما غلبة حصول المشبه به في الذهن مطلقا، فلتكرره على الحس، كتشبيه الشمس بالمرآة المجلوة في الاستدارة والاستنارة، فإن في وجه الشبه تفصيلا ما، لكن المرآة غالبة الحضور في الذهن مطلقا، سواء حضر المشبه أم لا، وأما غلبة حضور المشبه به عند حضور المشبه، فلقرب المناسبة بينهما، كتشبيه الجرة الصغيرة بالكوز في المقدار والشكل، فإن في وجه التشبيه تفصيلا ما حيث اعتبر المقدار والشكل، لكن الكوز غالب

الحضور عند حضور الجرة، وإنما كان قلة التفصيل في الوجه مع غلبة حضور المشبه به، لقرب المناسبة والتكرر على الحس سببا لظهوره المؤدي إلى الابتذال، مع أن التفصيل من أسباب القرابة ؛ لأن قرب المناسبة في الصورة الثانية والتكرر على الحس في الأولى يعارض التفصيل القليل ؛ لأن كلا من القرب والتكرر يقتضي سرعة الانتقال من المشبه إلى المشبه به، فيبقى الوجه كأنه أمر جملي لا تفصيل فيه، فيصير سببا للابتذال .

وَغَيْرُهُ الْغَرِيبْ يعنى أن التشبيه القريب المبتذل، غيره التشبيه البعيد الغريب أي يغايره ويخالفه، وهو ما خفي وجهه في أول الأمر على أهل الأذهان الصافية، إذ لا عبرة بغيرهم، وإذا خفي الوجه فلا ينتقل من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكر وتدقيق نظر، فالغريب لا يستعمله إلا الخاصة، بخلاف المبتذل، فإنه يقدر كل أحد على استعماله .

إِذْ وجْهُهُ فِي ظَاهِرٍ غَيْرُ قَرِيبْ

أي وغرابة التشبيه كائنة لأجل أن وجهه في ظاهر الأمر أي في أول الأمر غير قريب عند أهل الأذهان الصافية، وعدم ظهور وجهه يكون لأمرين أشار لأولهما بقوله: **لِكَثْرَةِ التَّفْصِيلِ** أي عدم ظهور وجه التشبيه يكون لكثرة التفصيل في أجزائه، ولو كان غالب الحضور في الذهن، كالشمس كالمرآة في كف الأشل، فإن وجه التشبيه هو الهيئة التي تقدم ذكرها، وقد بينا ما فيه من كثرة التفصيل، ولما فيه من كثرة التفصيل لا يقع الوجه في نفس الرائي في المرآة المضطربة إلا بعد مضي زمن يتمكن فيه من النظر مع الثاني، ومن أمثلته أيضا تشبيه الثريا بعنقود الكرم المنور، وقوله كأن مثار النقع إلخ .

وأشار إلى الثاني من الأمرين بقوله:

. . **أَوْ حُضُورِ مُشَبَّهٍ بِهِ عَلَى نُدُورِ**

أي [290] أو كان عدم ظهور التشبيه كائن لأجل كون حضور المشبه به عند حضور المشبه كائنا على ندور أي قلة، وذلك **لِبُعْدِ مَا نَاسَبَ** أي لبعد المناسبة بين المشبه والمشبه به، فلذلك كان حضور المشبه به نادرا عند حضور المشبه، كما في تشبيه البنفسج بنار الكبريت في قوله:

ولا زوردية تزهو بزرقتها ... بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها ... أوائل النار في أطراف كبريت

أَوْ كان حضور المشبه به نادرا مطلقا، حضر المشبه أم لا، وذلك يكون لأسباب أحدها كون المشبه به **وهْمِيًّا يَاتِيكَ** أي لكون المشبه به يأتيك حال كونه وهميا، والوهمي هو ما لا يدرك بإحدى الحواس الظاهرة، لعدم وجوده، لكنه بحيث لو وجد لكان مدركا بها، كأنياب الأغوال في قول امرئ القيس: ومسنونة زرق كأنياب أغوال .

أَوْ كان المشبه به **مُرَكَّبًا عَقْلِيًّا** فلذلك كان نادر الحضور في الذهن مطلقا، كما مر في قوله تعالى: **﴿مَثَلُ ٱلذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفَارَۢا﴾**

كَذَا خَيَالِيًّا أي كالمركب العقلي المركب الخيالي في كون كل منهما يجعل التشبيه غريبا، لكونه نادر الحضور في الذهن مطلقا، والمركب الخيالي هو المعدوم الذي فرض مجتمعا من أمور كل واحد منها كما يدرك بالحس مما يدرك بالحس، كأعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد .

. . كَـــــذَاكَ الْحِسِّـــــــي   تَكْـــرَارُهُ قَـــلَّ كَبَيْـــتِ الشَّـــمْس

أي كذاك الذي ذكرنا من الوهمي، والمركب العقلي، والمركب الخيالي، المشبه به الحسي الذي قل تكراره على الحس، أي قل مروره عليه في كون كل منهما يجعل التشبيه غريبا، لكونه نادر الحضور في الذهن مطلقا، والمشبه به الحسي القليل التكرار على الحس، كبيت الشمس الذي تقدم ذكره، وهو: والشمس كالمرآة في كف الأشل، لأنه كثيرا ما ينقضي عمر الإنسان ولا يتفق له أن يرى مرآة في كف الأشل، وإنما كان حضور المشبه به سببا لخفاء الوجه ؛ لأن الوجه فرع الطرفين، ومنهما ينتقل إليه، لكونه المشترك الجامع بينهما، فلا بد أن يخطر الطرفان أولا، ثم يطلب ما يشتركان فيه، فإن قيل كون ظهور الوجه بادي الرأي سببا للانتقال من المشبه إلى المشبه به من غير تأمل، يستلزم أن يكون تعقل الوجه قبل تعقل المشبه به، وذلك مناف لهذا الكلام السابق، فالجواب كما في الأطول أن تعقل الوجه موقوف على تعقل الطرفين، وسبب للانتقال من المشبه إلى المشبه به من حيث هو مشبه، فلا تنافي .

قوله: الحسي بتخفيف الياء للضرورة مبتدأ خبره كذلك، والجملة بعده في محل نصب على الحال منه، فهذه أربعة أسباب [291] لندور حضور المشبه به في الذهن مطلقا .

وَكَثْـــرَةُ التَّفْصِـــيلِ أَنْ يَنْظُـــرَ فِي   أَكْثَـــرَ مِـــنْ وصْـــفٍ وأَوْجُهًـــا يَفِـــي

يعنى أن المراد بكثرة التفصيل في الوجه أن ينظر المتكلم في أكثر من وصف واحد لشيء أو أكثر بمعنى أن يعتبر في الأوصاف وجودها كلها أو عدمها، أو يعتبر وجود البعض وعدم البعض، فيكون الوجه مركبا من وجود وعدم، كل ذلك يكون في أمر واحد أي موصوف واحد، كما في تشبيه مفرد بمفرد مقيدين، أو في أمرين أو ثلاثة أو أكثر، كما في تشبيه مركب بمركب، أو مركب بمفرد، أو مفرد بمركب، فالأقسام اثنا عشر حاصلة من ضرب ثلاثة التي هي أقسام الاعتبارات في الأربعة التي هي أحوال الموصوف الواحد أو الاثنين أو الثلاثة، والأكثر من ذلك أي أربعة فأكثر .

وَأَوْجُهًا يَفِي يعنى أن التفصيل يفي أي يجيء ويقع على أوجه كثيرة، كما تقدم في شرح أول البيت .

قوله: كثرة مبتدأ خبره قوله أن ينظر بالبناء للنائب نائبه المجرور بعده، وقوله وأوجها حال من فاعل يفي العائد إلى التفصيل قدم عليه وعلى العامل .

أَعْرَفُهَـــا أَخْـــذُكَ بَعْضًـــا وتَـــدَعْ بَعْضًـــــــــــــــــــــا . .

يعنى أن أعرف وجوه التفصيل المتقدمة أي أشهرها وأغلبها اثنان:

أحدهما أن تأخذ أيها المتكلم بعضا أي بعض الأوصاف التي نظرت فيها، وتدع أي تترك بعضها كما في قول امرئ القيس:

حَمَلْـــتُ رُدَيْنِيًّـــا كَـــأَنَّ سِـــنَانَهُ سَـــنا لَهَـــبٍ لَمْ يَتَّصِـــلْ بِـــدُخانِ

اللهب شعلة نار يعلوها الدخان غالبا، فالمشبه به سنا لهب، فاعتبر فيه الشكل أي الصورة واللون واللمعان وترك الاتصال بالدخان، ونفاه لأنه لا يقدح في التشبيه المقصود، بل لا يتم وجه الشبه بدون عدمه .

قوله: تدع بالسكون للضرورة، أصله تدع بالنصب، لأنه معطوف على المصدر، وهو أخذك

. . **وإِنْ تَعْتَـــــبِرِ الْكُـــــلَّ ومَـــــعْ**

أي والثاني من الوجهين الأعرفين أن تعتبر كل الأوصاف وجودا أو عدما، أي وجودها كلها، أو عدمها كلها، فالأول كما في تشبيه الثريا بعنقود الكرم المنور، فإنه اعتبر في الثريا الشكل واللون والمقدار، واجتماعها على مسافة مخصوصة في القرب، ثم اعتبر في عنقود الكرم مثل ذلك .

ومثال الثاني كما في تشبيه الشخص العديم النفع بالعدم .

كَثْرَتِـــهِ فَهْــوَ الْبَلِيــغُ والْغَرِيــبْ لِبُعْــــــــــــــــدِهِ . .

يعني أن التشبيه مع كثرة التفصيل في وجهه أي كونه مركبا من أمور متعددة، فهو البليغ أي البالغ النهاية في الحسن ؛ لأن نيل الشيء بعد الطلب ألذ من نيله بلا تعب، وهو الغريب أيضا لبعده عن الذهن فلا يفهمه إلا الخواص الذين لهم أذهان صافية ارتفعوا بها عن درجة العوام، كقوله تعالى: **﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيا كَمَآءٍ انزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْارض مِمَّا يَاكُلُ ٱلنَّاسُ والاَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ الْارض زُخْرُفَهَا وازَّيَّنَتْ وظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَيٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا او نَهَاراً فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالاَمْسِ﴾**[1] فإنها عشر جمل انتزاع الوجه من مجموعها بحيث لو أسقط منها شيء اختل التشبيه، والجمل [292] العشر هي: أنزلناه، فاختلط، مما يأكل، حتى إذا أخذت، وازينت، وظن أهلها، أنهم قادرون، أتاها، فجعلناها، كأن لم تغن، فالمراد بالجملة ما هو في صورة الجملة، وإن كان في معنى المفرد، كقوله: أنهم قادرون، وقوله: كأن لم تغن، فقد شبه في الآية مثل الحياة الدنيا، أي حالها العجيبة الشأن التي هي تقضيها بسرعة وانقراض نعيمها بغتة بالكلية، بعد ظهور قوتها واغترار الناس بها، بزوال خضرة النبات الحاصل من الماء فجأة، وذهابه حطاما لم يبق له أثر أصلا، بعد ما كان غضا طريا قد التف بعضه ببعض، وزين الأرض بألوانه، حتى إذا طمع الناس في ذلك، وظنوا أنه مسلم من الجوائح، أتاه بأس الله فجأة، فكأنه لم ينبت قبل ذلك، الضمير في كثرته عائد إلى التفصيل، وضمير المبتدأ والضمير في بعده عائدان إلى التشبيه .

وَقَدْ يُجَاءُ فِي الْقَرِيبْ، بِنُكْتَةٍ تُغْرِبُهُ يعنى أن التشبيه القريب المبتذل قد يجاء فيه أي يتصرف فيه بنكتة أي سر من الأسرار تقربه تلك النكتة أي تجعله غريبا، وتلك النكتة **كَذِكْرِ قَيْدٍ** مَّا غير **شَرْطٍ**، كقولك: وجه زيد كالبدر لولا الكلف في البدر، فتشبيه الوجه بالبدر مبتذل، لكن أخرجه القيد إلى الغرابة والتفصيل، لاشتماله على زيادة خفاء، أو كذكر شرط للمشبه أو المشبه به، أو لكليهما، وجودي أو عدمي، أو مختلف مدلول عليه بصريح اللفظ أو سياق الكلام، وهذا هو المسمى بالمشروط، كقول الوطواط:

(1) - سورة يونس، الآية: 24

عَزَماتُـــهُ مِثْـــلُ النجـــومِ ثَواقِبـــاً لـــوْ لمْ يَكُـــنْ لِلثَّاقِبـــاتِ أُفُـــولُ

فإن تشبيه العزم الذي هو الرأي بالنجوم في الاهتداء مبتذل قريب، لكن اشتراط عدم الأفول أخرجه إلى الغرابة، والثاقب الشديد الإضاءة من ثقب بمعنى نفذ ؛ لأن النجم يخرق الظلمة وينفذ فيها، ومنه قوله:

تَكاد يَحْكِيكَ صَوْبُ الْغَيْثِ مُنْسَكِباً لـو كـان طلـق المحيـا يمطـر الـذَّهَبا
والدهرُ لوْ لم يَخُنْ والشمسُ لوْ نَطقتْ والليث لوْ لم يَصِدْ والبحرُ لوْ عَذُبا

فتشبيه الكريم بالغيث في السخاء، والدهر في الهمم، والشمس في الحسن، ورفع المنزلة والليث في الشجاعة، والبحر في الكرم، مبتذل يفهمه كل أحد، لكن أخرجه إلى الغرابة أمران: الشرط وعكس التشبيه .

قال الفنري: والتصرف المذكور لا يخرج التشبيه عن القرب، بل هو قريب غريب لا بعيد غريب ؛ لأن أسباب البعد المذكورة فيما سبق غير موجودة ها هنا .

وقال الجربي: التشبيه المشروط هو ما اشترط فيه أن يكون المشبه متصفا بما هو غير متصف به في الواقع أو غير متصف بما هو [293] متصف به في الواقع، ويدل على ذلك الشرط صريح اللفظ كما مثلنا أو سياق الكلام كقولك: " زيد بدر يسكن الأرض " أي لو كان البدر يسكن الأرض، ومن التشبيه المتصرف فيه بما يخرجه إلى الغرابة من قيد غير شرط قول البحتري:

سَحابٌ خَطاني جُودُه وهو مُسْرِعٌ وبحرٌ عداني صَوْبُهُ وهو مُفْعَمُ
ونورٌ أضاء الأرض شرقا ومغربا وموضع رَحْلي منه أغبرُ مظلم

فإن تشبيه الجواد بالسحاب وبالبدر وبالبحر مبتذل، لكن كل واحد من القيود أغربه إلى الغرابة والتفصيل .

. **ومَـا مُحَسِّـنٌ ذُو حَصْـر**

يعنى أن القيود والشروط المحسنات للتشبيه المبتذل لا تنحصر لكثرتها، فمنها قوله:

فللهِ مـا أدْرِي أزَهْرُ خَميلةٍ بطِرْسِك أم دُرٌّ يلُوح على نَحْرِ
فإن كان زَهْراً فهْو صُنْعُ سَحابةٍ وإن كان دُرّاً فهْو من لُجَّةِ البحرِ

فإن تشبيه الخط الحسن بالزهر والدر مبتذل، لكن لما قيد الزهر بقوله خميلة، والدر بقوله يلوح

على نحر ثم ضم إليه حسن التعليل بقوله فهو صنع سحابة، وقوله من لجة البحر خرج إلى الغرابة والحسن انتهى .

ومنه قول الآخر:

وَمُلتفِتَـــاتٍ بِاللِّحَـــاظِ كَأَنَّمَـــا سَــلَلْنَ سُــيُوْفًا وانْتَضَــيْنَ خَنَــاجِرَا
سَــفَرْنَ بُــدُوْرًا وانتَقَــبْنَ أَهِلَّــةً وِمِسْــنَ غُصُــوْنًا والتفَــتْنَ جَــآذِرَا

فإن تشبيه النساء بالبدور في الحسن وبالأهلة، وبالجآذر فيه أيضا مبتذل، لكن أخرجه إلى الغرابة والحسن التقييد بالسفور في تشبيههن بالجآذر أي الظباء، ومما يخرج التشبيه إلى الحسن الجمع بين عدة تشبيهات، كقوله:

أَنا مـــن خَـــدّه وعَيْنَيْـــهِ والثغـــر ومـــن رِيقـــه الْبعيـــد المـــرام
بَـــين ورد ونـــرجس وتـــلالي أقحـــوان وبابلـــي مـــدام

ثم شرع في تقسيم التشبيه باعتبار أداته إلى مؤكد ومرسل، فقال:

وَبِاعْتِبَـــارٍ فِي الأَدَاةِ يُخْـــزَلُ مُؤَكَّـــدٌ ومَـــا عَـــدَاهُ مُرْسَـــلُ

يعنى أن التشبيه ينقسم باعتبار أداته تخزل أي حال كونها تخزل أي تحذف أو تذكر إلى مؤكد ومرسل، فالمؤكد ما حذفت منه الأداة وما عداه وهو الذي ذكرت فيه مرسل أي يسمى مرسلا لإرساله من التأكيد المستفاد من حذف الأداة المشعر بحسب الظاهر أن المشبه هو نفس المشبه به، وإنما سمي الذي حذفت منه الأداة مؤكدا بالفتح نحو " زيد أسد " لتأكيده بحذف الأداة ؛ لأن المشبه في ظاهر اللفظ هو عين المشبه به، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ**﴾[1] أي كمر السحاب .

ومن التشبيه المؤكد ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه بعد حذف الأداة، كقوله:

والـرّيحُ تعبـثُ بالغُصـونِ وقـد جـرَى ذهـبُ الأصـيل علـى لجـين المـاءِ

أي كأصيل كالذهب في الصفرة على ماء كاللجين أي الفضة في البياض والصفاء، والأصيل الوقت بعد العصر إلى المغرب يوصف بالصفرة .

ثم شرع في تقسيم التشبيه باعتبار غرضه أي الوفاء به [294] وعدمه إلى مقبول ومردود، فقال:

(1) - سورة النمل، الآية: 88

وَبِاعْتِبَارِ غَرَضٍ فَإِنْ وَفَى ... إِفَادَةً كَأَنْ يَكُونَ أَعْرَفَا
بِوَجْهِهِ فِي حَالَةِ الْمُشَبَّهِ بِهْ ... أَوْ بَالِغَ التَّمَامِ فِي ذِي سَبَبِهْ
أَوْ حُكْمُهُ لَيْسَ مُخَاطَبٌ جَحَدْ ... فَذَاكَ مَقْبُولٌ . .

يعنى أن التشبيه ينقسم باعتبار الوفاء بغرضه وعدم الوفاء به إلى مقبول ومردود، فإن وفى التشبيه بالغرض إفادة أي وفى بإفادته، وذلك كأن يكون المشبه به أعرف شيء بوجهه أي بوجه التشبيه في حاله أي في مقام بيان حال المشبه عند المخاطب ؛ لأن النفس إلى الأعرف عندها أميل، وهي له متى صادفته أقبل، أو بالغ المشبه به التمام في المعنى ذي سبب التشبيه أي صاحب سبب التشبيه، وهو وجه الشبه أي كان المشبه به أتم شيء في وجه الشبه الذي هو سبب التشبيه في مقام إلحاق الناقص بالكامل، أو كان حكمه أي المشبه به أي اتصافه بوجه الشبه مسلما عند المخاطب ليس جاحدا له بل مقربا ومُسَلِّما له في مقام بيان إمكان الحكم الذي ادعى للمشبه، فذلك التشبيه مقبول عند البلغاء حسن لديهم .

قوله: وفى بالبناء للفاعل فاعله ضمير عائد إلى التشبيه المفهوم من المقام، وقوله إفادة تمييز، وقوله المشبه به في البيت الثاني اسم كان قدم عليه الخبر وهو قوله أعرف، أو الألف فيه للإطلاق، والضمير في قوله في حاله عائد إلى المشبه، وقوله أو بالغ التمام معطوف على خبر يكون، وفاعل بالغ ضمير عائد إلى المشبه به، والضمير في سببه عائد إلى التشبيه المفهوم من المقام، وقوله أو حكمه مبتدأ خبره الجملة بعده، أو مفعول به منصوب بخبر ليس وهو جحد، ودخول ليس على ما أخبر عنه بالماضي شاذ .

وَمَا عَدَاهُ رَدٌّ أي ورُدَّ أي احكم بالرد على ما عدا الوافي بإفادة الغرض، وهو غير الوافي بها، فهو مردود وغير مقبول عند البلغاء كتشبيه ثوب شديد السواد بآخر ضعيفه فيما إذا كان الغرض بيان المقدار، فإنه مردود، وكما لو شبه إنسان بالمسك في السواد، لأنه ليس معروفا بالسواد، أي مشهورا به إلا إذا ذكر الوجه تصريحا، كما في قوله: أشبهك المسك وأشبهته في لونه قائمة قاعدة لا شك إذ لونكما واحد، إنكما من طينة واحدة .

قوله: ما عداه مبتدأ خبره جملة رد بالبناء للنائب نائبه ضمير عائد إلى ما .

ثم شرع في تقسيم التشبيه باعتبار القوة والضعف إلى قوي وأقوى، وضعيف، فقال:

أَعْلاهُ فِي الْقُوَّةِ حَذْفُ وجْهِهِ وآلَةٍ أَوْ ذَاكَ مَعْ مُشَبَّهِ

يعنى أن التشبيه ينقسم باعتبار القوة والضعف في المبالغة باعتبار ذكر أركانه كلها أو بعضها إلى أربع مراتب، أعلى تلك المراتب في القوة في المبالغة حذف وجه التشبيه وآلته نحو " زيد أسد " سواء كان حذفهما مع ذكر المشبه كما مثلنا، [295] أو مع حذف المشبه كقولك: أسد في مقام الإخبار عن زيد، ومنه قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ أي المنافقون، وإنما كانت هذه المرتبة هي العليا من مراتب التشبيه ؛ لأن فيها قوتين إحداهما من جهة حذف الوجه ؛ لأن وجه الشبه عند حذفه عام في الظاهر عموم بدلية وصلاحية لا عموم استغراق، والأخرى من جهة حذف الأداة ؛ لأن حذفها يوهم أن المشبه به هو عين المشبه بحسب الظاهر .

فَحَذْفُ وجْهٍ أَوْ أَدَاةٍ هَكَذَا

أي ويلي حذف الوجه والأداة معا في القوة في المبالغة حذف الوجه أي وجه الشبه فقط مع ذكر الطرفين وأداة التشبيه أو حذف أداة التشبيه فقط أي مع ذكر الوجه سواء كان حذف الوجه فقط أو الأداة فقط مع ذكر المشبه نحو " زيد كأسد " في الأول " وزيد أسد في الشجاعة " في الثاني، أو مع حذف المشبه نحو كأسد في مقام الإخبار عن زيد في الأول، وأسد في الشجاعة، في مقام الإخبار عنه أيضا في الثاني، وهذا هو معنى قوله في النظم هكذا، أي حذف أحد الأمرين دون الثاني كحذفهما معا في أن كلا منهما يكون مع ذكر المشبه ومع حذفه، وإنما كان حذف أحد الأمرين يصير التشبيه قويا لبقاء إحدى القوتين اللتين بهما صار التشبيه المحذوفان فيه أقوى، وهي عموم وجه الشبه عموم بدلية وصلاحية بسبب حذفه في الأول، وهو الذي حذف منه الوجه، وإيهام أن المشبه به عين المشبه، بحمله عليه بحسب الظاهر بسبب حذف الأداة في الثاني، والهاء في قوله هكذا للتنبيه

وقَدْ خَلا عَنْ قُوَّةٍ خِلافُ ذَا

يعنى أن ما خالف ذا المذكور من المراتب الثلاثة، وهو ما ذكر فيه الوجه والأداة معا، سواء كان ذلك مع ذكر المشبه أو مع حذفه، فإنه قد خلا من القوة المستفادة من حذفهما أو حذف أحدهما نحو " زيد كالأسد في الشجاعة " أو " كالأسد في الشجاعة " في مقام الإخبار عن زيد .

الحقيقة والمجاز غير العقلين أي الوضعيان أي هذا مبحثهما

وهذا هو المقصد الثاني من علم البيان، والمقصود الأصلي هو المجاز الوضعي، لكن جرت العادة أيضا بالبحث عن الحقيقة لما بينهما من شبه تقابل العدم والملكة حيث اشتملت الحقيقة على استعمال اللفظ فيما وضع له، والمجاز على استعماله في غير ما وضع له، ولهذا قدم تعريف الحقيقة، والحقيقة فعيلة من حق يحق بالكسر والضم بمعنى ثبت ووجب بمعنى فاعل أو بمعنى مفعول من حققت الشيء إذا أثبته، نقل إلى الكلمة الثابتة أو المثبتة في مكانها الأصلي، والتاء فيها للتأنيث، وقيل للنقل من الوصفية إلى الإسمية .

الأَوَّلُ الْكَلِمَةُ الْمُسْتَعْمَلَهْ فِي الِاصْطِلَاحِ فِي الَّذِي تُوضَعُ لَهْ

يعنى أن الأول من الأمرين وهو الحقيقة الوضعية هو الكلمة المستعملة في الاصطلاح الواقع فيه التخاطب بتلك الكلمة في المعنى الذي توضع له تلك الكلمة، والمراد بالوضع في الحقيقة اللغوية جعل اللفظ دليلا على هذا المعنى مثلا .

وفى الحقيقة الشرعية أو العرفية غلبة الاستعمال، فخرج بالمستعملة المهملة فلا توصف بحقيقة ولا مجاز، [296] وبقوله في الاصطلاح الواقع فيه التخاطب المجاز المستعمل فيما وضع له في اصطلاح غير الاصطلاح الواقع فيه التخاطب كالصلاة إذا استعملها المخاطب بعرف الشرع في الدعاء، فإنها مجاز لكون الدعاء غير ما وضعت له في هذا الاصطلاح الواقع فيه التخاطب وهو الشرع، إنما وضعت فيه للأركان والأذكار المخصوصة مع أنها موضوعة في عرف اللغة للدعاء، وخرج بقوله في الذي توضع له المجاز الذي يستعمل فيما وضع له أصلا، والغلط والكلمة المستعملة في الاصطلاح الواقع فيه التخاطب بها في معنى **غَيْرُهُ** أي غير المعنى الذي توضع له أصلا **مَعَ قَرِينَةٍ** أي مع نصب قرينة صارفة عن إرادة المعنى الذي وضعت له **عَلَى** .. **وجْهٍ يَصِحُّ** أي على معنى يصح قصده، **وإِرَادَةٍ جَلا** أي وإرادة المعنى الأصلي الذي وضعت له، جلا أيْ ظهر واتضح

عَدَمُهَا فَهْوَ الْمَجَازُ الْمُفْرَدْ

أي فهذا التعريف هو تعريف المجاز الوضعي المفرد أي غير المركب، والمجاز مفعل أي مصدر ميمي من جاز المكان يجوزه إذا تعداه، نقل إلى الكلمة الجائزة مكانها الأصلي أي المتعدية له، فهو

بمعنى الفاعل، أو نقل إلى الكلمة المجوز بها مكانها الأصلي، فهو بمعنى المفعول، وبعضهم جعله منقولا من المفعل اسم مكان لا مصدرا من قولهم: " جعلت كذا مجازا إلى حاجتي " أي طريقا إليها، وهو أظهر لأن مجيء المفعل المصدر بمعنى الفاعل أو المفعول مجاز، يخرج بالمستعملة المهملة أي الكلمة قبل الاستعمال فلا توصف بحقيقة ولا مجاز، ودخل بقولنا في الاصطلاح الواقع فيه التخاطب بتلك الكلمة المجاز المستعمل فيما وضع له في اصطلاح آخر غير اصطلاح التخاطب كلفظ الصلاة إذا استعملها المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازا فإنه وإن استعمل فيما وضع له في الجملة فليس بمستعمل فيما وضع له في اصطلاح التخاطب، وهو اصطلاح الشرع، وخرج بقوله في غير المعنى الذي وضعت له الحقيقة مرتجلة كانت أو منقولة أو غيرهما كالمشتقات والمشترك فإنها حقائق ولا يقال فيها مرتجلة ولا منقولة، وخرج بقوله مع قرينة الكناية لأن الكناية مستعملة في غير ما وضعت له مع جواز إرادة ما وضعت له، وخرج بقوله على وجه يصح الغلط فإنه استعمال للفظ في غير ما وضع له، لكنه ليس على وجه يصح .

قوله: وغيره بالجر معطوف على المجرور بفي في البيت قبله، وهو قوله في الذي توضع له، والضمير المضاف إلى غير عائد إلى الذي توضع له، وقوله إرادة بالرفع مبتدأ خبره الجملة بعده .

فَالْزَمْ عَلاقَةً أي فأوجب أيها المتكلم بالمجاز بأن استعملت اللفظ في غير ما وضع له علاقة أي معنى جامعا بين المعنى الأصلي، والمعنى المستعمل فيه اللفظ ليكون بينهما تعلق، فالعلاقة شرط في المجاز لا ركن من ماهيته، فلذلك لم تذكر في حده، فإن لم تكن بين المعنيين علاقة امتنع استعمال اللفظ الموضوع لأحدهما في الآخر .

والعلاقة بفتح العين اتصال أمر بأمر في معنى . [297]

وَكُلٌّ عُدِّدْ يعنى أن كل واحد من الحقيقة والمجاز عدد أي ذو عدد أي كل واحد منها أقسام متعددة، **فَيُعْزَى** أي ينسب كل منهما **لِعُرْفٍ** أي إلى العرف، فتنسب الحقيقة إليه إذا كان وضعها العرف، فيقال: حقيقة عرفية، وينسب المجاز إليه إذا كان الاصطلاح الواقع فيه التخاطب اصطلاح عرف، والكلمة مستعملة في غير ما وضعت له فيه فيقال: مجاز عرفي، وينسب كل منهما **لِشَرْعٍ** أي إلى الشرع، فيقال في الحقيقة إذا كان واضعها الشرع حقيقة شرعية، وفى المجاز إذا كان مستعملا في

اصطلاح الشرع مجاز شرعي، ويُنسَبُ كل منها أيضا إلى **لُغَةْ** أي إلى اللغة، فيقال في الحقيقة إذا كان واضعها واضع اللغة حقيقة لغوية، وفى المجاز إذا كان مستعملا في اصطلاح اللغة مجاز لغوي .

والعُـــرْفُ عَـــمَّ أَوْ فَخُـــصَّ مَبْلَغُـــهْ

يعنى أن العرف ينقسم إلى قسمين، فيكون عاما إذا كان مبلغه أي ناقله عاما، أي غير متعين، ويكون خاصا إذا كان مبلغه أي ناقله خاصا كالنحوي والصرفي، مُثِّلا بقوله أو فخص بالبناء للفاعل معطوف على الماضي قبله، وقوله مبلغه بتخفيف اللام مكسورا تنازعه عم وخص فاعلا، والجملة خبر المبتدأ وهو العرف، فمثال الأول وهو انتساب كل منهما إلى العرف عاما كان أو خاصا:

كَدَابَـــــةِ الأَرْبَـــــعِ والإِنْسَـــــانِ

أي كاستعمال الدابة أي لفظها في العرف العام في ذوات الأربع واستعمالها فيه في الإنسان، فإنها حقيقة عرفية، عامة في الأول، مجاز عرفي عام في الثاني .

والْفِعْـــــلِ لِلَّفْـــــظِ ولِلْحِـــــدْثَانِ

أي وكاستعمال لفظ الفعل في عرف النحو في اللفظ المخصوص كضرب ويضرب واضرب، واستعماله فيه في مطلق الحدث فإنه حقيقة عرفية خاصة أي نحوية في الأول، مجاز عرفي خاص أي نحوي في الثاني .

قوله: كدابة الأربع بالإضافة على معنى اللام والأربع على حذف مضاف أي كوضع لفظ الدابة لذوات الأربع .

وأشار الناظم إلى مثال الثاني، وهو انتساب كل منهما إلى الشرع بقوله:

كَـــذَا الصَّـــلاةُ لِلسُّـــجُودِ والـــدُّعَا

أي كذا استعمال لفظ الصلاة في عرف الشرع في السجود، أي في الأركان المخصوصة التي منها السجود، وإطلاق السجود عليها من تسمية الكل باسم الجزء، واستعماله فيه في الدعاء بخير، فإنها حقيقة شرعية في الأول، مجاز شرعي في الثاني .

مثال انتساب كل منهما إلى اللغة لفظ **وأَسَدٌ** إذا استعمله المخاطب في اصطلاح اللغة في اصطلاح اللغة **لِسَبُعٍ** أي في السبع أي الذات المفترسة **والشُّجَعَا** واستعمله في الشجعاء أي في واحد منهم وهو

الرجل الشجاع، فإنه في الأول حقيقة لغوية، وفي الثاني مجاز لغوي .

قوله: الدعا بالقصر لضرورة الوزن، وكذا الشجعا بضم الشين وفتح الجيم جمع شجاع واللام في للسجود، ولسبع بمعنى في .

وَمَــنْ يُــرِدْ تَحْقِيقًــا أو تَاوِيــلا فِي الحَــدِّ زَادَ فِيهِمَــا تَطْــوِيلا

يعنى أن الذي زاد لفظ التحقيق ولفظ التأويل في الحد، أي في حد الحقيقة[298] وحد المجاز، فزاد في حد الحقيقة من غير تأويل، وزاد في حد المجاز بالتحقيق وهو السكاكي، فإنه قال في حد الحقيقة: " فالحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل " وقال في حد المجاز: " هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له بالتحقيق "[1] وأتى بقوله من غير تأويل في حد الحقيقة ليخرج الاستعارة فإنها مستعملة فيما وضعت له بالتأويل، وهو ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به بجعل أفراده قسمين: متعارفا وغير متعارف، وأتى بقوله بالتحقيق في حد المجاز ليدخلها فيه لأن الاستعارة مستعملة في غير ما وضعت بالتحقيق وفيما وضعت له بالتأويل، وهذا كله بناء على أنها مجاز عقلي لا لغوي، فإنه أي السكاكي زاد فيهما أي الحدين بسبب زيادته لهذين اللفظين تطويلا أي حشوا لا حاجة إليه، والحدود تصان عن التطويلات، إذ لفظ الوضع إذا أطلق لا يتناول الوضع بالتأويل .

ولما أنهى الكلام على الحدين شرع يتكلم على المجاز وأقسامه فقال:

ثُمَّ الْمَجَــازُ الْمُرْسَــلُ الْعَلاقَــةُ لا شَــبَهٌ وغَــيْرُهُ اسْــتِعَارَةُ

اعلم أن المجاز ينقسم إلى خمسة أقسام: عقلي وتقدم في المعاني، وتغييري وسياقي في خاتمة هذا الباب، وخال عن الفائدة، وذكره في الإيضاح والتبيان، كإطلاق المقيد على المطلق كاستعمال لفظ المرسن في أنف إنسان مجازا، لأنه موضوع لمعنى الأنف مع قيد أن يكون مرسونا، ومرسلا، واستعارة، وتكلم الناظم في البيت على هذين الأخيرين:

يعنى أن المجاز المرسل هو الذي العلاقة فيه بين المعنى الأصلي والمجازي غير المشابهة من كل معنى جامع بين أمرين أيا كان وغيره، والمجاز هو الذي العلاقة فيه بين المعنى الأصلي والمجازي

(1) - «مفتاح العلوم» ص358 ت نعيم زرزور، ط2 دار الكتب العلمية.

المشابهة خاصة استعارة أي يسمى استعارة، فالاستعارة هي اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي كأسد في قولنا: " رأيت أسدا يرمي " وإنما سمي هذا المجاز استعارة للتناسب بينه وبين معنى الاستعارة، وهو طلب العارية .

قال الجربي: لأن المتكلم يَدَّعى في الاستعارة كون المشبه فردا من أفراد المشبه به، فيثبت له ما يخص المشبه به، وهو اسم جنسه أو لازم من لوازمه، وهذا شأن العارية .

وقال الفنري: وإنما سمي المرسل مرسلا لأن الإرسال في اللغة الإطلاق، والاستعارة مقيدة بإعادة دخول بادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به، والمرسل مطلق من هذا القيد .

تنبيـــــه

اعلم أن المجاز موضوع بالوضع النوعي لا الشخصي، ومعنى ذلك أن العلاقة فيها أن تعتبر العرب نوعها ولا يجب النقل عنهم في كل جزئية من جزئياتها .

مثلا يجب أن يعلم أن العرب تطلق اسم السبب على المسبب، ولا يجب أن يسمع عنهم إطلاق الغيث على النبات .

فائـــدة

المجاز المبني على التشبيه هو الاستعارة .

قال في الإتقان: " زُوِّجَ الْمَجَازُ بِالتَّشْبِيهِ فَتَوَلَّدَ بَيْنَهُمَا الِاسْتِعَارَةُ فَهِيَ مَجَازٌ عَلَاقَتُهُ الْمُشَابَهَةُ [299][(1)]"

وقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، واختلف في وقوعه في القرآن، فالجمهور على وقوعه فيه، وأَنْكَرَهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمُ الظَّاهِرِيَّةُ وابْنُ الْقَاصِّ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ وابْنُ خُوَيْزِ مَنْدَادَ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ وشُبْهَتُهُمْ أَنَّ الْمَجَازَ أَخُو الْكَذِبِ والْقُرْآنُ مُنَزَّهٌ عَنْهُ وأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ لَا يَعْدِلُ إِلَيْهِ إِلَّا إِذَا ضَاقَتْ بِهِ الْحَقِيقَةُ فَيَسْتَعِيرُ وذَلِكَ مُحَالٌ عَلَى اللهِ تَعَالَى وهَذِهِ شُبْهَةٌ بَاطِلَةٌ ولَوْ سَقَطَ الْمَجَازُ مِنَ الْقُرْآنِ سَقَطَ مِنْهُ شَطْرُ الْحُسْنِ فَقَدِ اتَّفَقَ الْبُلَغَاءُ عَلَى أَنَّ الْمَجازَ أَبْلَغُ مِنَ الْحَقِيقَةِ ولَوْ وجَبَ خُلُوُّ الْقُرْآنِ مِنَ الْمَجَازِ وجَبَ

(1) - الاتقان للسيوطي م س ج3 ص148

خُلُوُّهُ مِنَ الْحَذْفِ والتَّوْكِيدِ وتَثْنِيَةِ الْقَصَصِ وغَيْرِهَا " قاله في الإتقان . [1]

وَغَالِبًــا تُطْلَــقُ فِي اسْــتِعْمَالِ سِــمْ مُشَـــبَّهٍ بِـــهِ لِمُشْـــبَهٍ رُسِـــمْ

يعنى أن الاستعارة تطلق غالبا أي كثيرا على فعل المتكلم، وهو استعمال اسم المشبه به الذي وضع له خاصة في المشبه، وحينئذ تكون بمعنى المصدر لا اللفظ المفرد كما ذكر قبل وإذا كان بمعنى المصدر صح الاشتقاق منه .

فَـيَكونُالطَّرَفَانِ أي المشبه والمشبه به أحدهما، وهو معنى المشبه به يسمى **مُسْتَعَارٌ مِنْهُ** لأنه استعير منه لفظه للمشبه .

والثاني وهو معنى المشبه يسمى مستعارا **لَهُ،** لأنه استعير له لفظ المشبه به، **والْمُسْتَعَارُ** أي والذي يسمى بالمستعار بلا قيد منه أوله هو **اللَّفْظِ** أي لفظ المشبه به الموضوع له، والمتكلم بالاستعارة يسمى مستعيرالاستعارته لفظ المشبه به الخاص به من معناه لمعنى المشبه لمشابهته إياه، وعلى إطلاق الاستعارة على اللفظ المفرد لا يشتق مني شيء لكونهما اسما لفظ لا للحدث .

ثم شرع في تفصيل علامات المجاز المرسل فقال:

ثُمَّ الْمُرْسَلَهْ أَنَّثَهُ باعتبار الكلمة، والأكثر تذكيره باعتبار اللفظ، والمعنى ثم علاقات المجاز أي الكلمة المتعدية مكانها الأصلي، أو المجوز بها مكانها الأصلي، المرسلةُ أي المطلقة من القيد الذي في الاستعارة، وهو ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به، هذه أمثلتها مسرودة **كَالْيَدِ فِي الْقُدْرَةِ** أي فمنها استعمال لفظ اليد في القدرة والنعمة، وأصلها للجارحة المعروفة وإنما أطلقت عليهما لأن القدرة بها تكون، والنعمة منها تصدر، فمن استعمالها في النعمة قوله تعالى: ﴿**يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾[2] أي قدرة الله، وقوله: ﴿**لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾[3] أي بقدرتي، ومن استعمالها في النعمة قوله ﷺ:

(1) - «الإتقان في علوم القرآن» ج3 ص120 م س

(2) - سورة الفتح، الآية: 10

(3) - سورة ص، الآية: 75

((أَسْرَعُكُنَّ بِي لُحُوقًا أَطْوَلُكُنَّ يَدًا)) (1)

وَالتَّسْمِيَةِ .. **بِالْجُزْءِ** أي ومنها تسمية الكل باسم الجزء كإطلاق العين على الربيئة وأصلها للجارحة المخصوصة، والربيئة الطليعة من ربأت القوم إذا كانت طليعة لهم في مكان عال ؛ لأن العين لما كانت هي المقصودة في كون الشخص ربيئة ؛ لأن غيرها من الأعضاء لا يغني شيئا بدونها صارت كأنها الشخص كله، فلا بد في إطلاق الجزء على الكل[300] من كون الجزء له مزيد اختصاص بالمعنى الذي قصد بالكل، مثلا لا يجوز إطلاق اليد أو الأصبع على الربيئة، وقال بعضهم: يشترط في إطلاق الجزء على الكل استلزامه للكل كالرقبة، فإن الإنسان لا يوجد بدونها، وكذا الرأس، وأما إطلاق العين على الربيئة فليس من حيث هو إنسان، بل من حيث أنه رقيب .

أَوْ بِالْكُلِّ أي ومنها تسمية الجزء باسم الكل كقوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾(2) لأن المراد بالأصابع الأنامل، والأنامل هي التي فيها الأظفار جمع أنملة، وقرينة المجاز امتناع جعل الأصابع في الآذان عادة .

ومن تسمية الشيء باسم كله أيضا قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ 21 إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ 22﴾(3) فإن الناظر من الوجه العين .

قال ياسين: وقال بعض الأفاضل لا مجاز هنا ؛ لأن نسبة بعض الأفعال إلى ذي أجزاء عن منقسم، يكفى فيه نسبته إلى بعض أجزائه كما يقال: دخلت بلد فلان، ومسحت المنديل، وغير ذلك، فها هنا نسبة الجعل في الآذان إلى الأصابع صحيح حقيقة لا مجازا، باعتبار نسبته لبعض منه وهو الأنملة ؛ لأنها بعض من الأصابع فلا مجاز في الكلمة ولا في الإسناد .

واختلف في إطلاق الكلي على الجزئي، فقيل حقيقة ؛ لأن المجاز هو المستعمل في غير ما وضع له أولا، والجزئي ليس غير الكلي كما أنه ليس عينه، ولذا لم يذكره الناظم .

---

(1) – الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الصلاة، الأذان، رقم الحديث 1670، ج 4 ص 556. وصحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، كتاب الزكاة، باب صدقة التطوع، الحديث رقم 3315، ج 8 ص 108.

(2) – سورة البقرة، الآية: 19

(3) – سورة القيامة، الآية: 23.22

تنبيه

قال في الإتقان: " أُلْحِقَ بِهَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ شَيْئَانِ:

أَحَدُهُمَا: وصْفُ الْبَعْضِ بِصِفَةِ الْكُلِّ كَقَوْلِهِ: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ 17﴾ فَالْخَطَأُ صِفَةُ الْكُلِّ وصِفَ بِهِ الناصية، عكسه كقوله: ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ 52﴾ والْوَجَلُ صِفَةُ الْقَلْبِ ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً 18﴾ والرُّعْبُ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْقَلْبِ .

وَالثَّانِي: إِطْلَاقُ لَفْظِ بَعْضٍ مُرَادًا بِهِ الْكُلُّ، ذكره أبو عبيدة، وخرج عليه قوله تعالى: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾[1] أي كله . "[2]

أَوْ بِالآلَةِ أي ومنها تسمية الشيء باسم آلته نحو قوله تعالى: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ 84﴾[3] فَالْمُرادُ باللسان الذكر الحسن، واللسان آلته .

قال في الأطول: والتعبير عنه باللسان للدلالة على طلب ذكر لا تنقطع دلالته على غيره كما لا تنقطع كلمات اللسان .

قال في عروس الأفراح: " ولك أن تقول: إن هذا من إطلاق اسم المحل على الحال ؛ لأن الذكر حال في اللسان . "[4]

ومن تسمية الشيء باسم آلته قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[5] أي بلغتهم .

أَوْ سَبَبٍ أي ومنها تسمية المسبب باسم سببه كقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾[6] أي القبول والعمل بالمسموع، لأنه مسبب عن السمع، والسمع سببه أطلق عليه مجازا والعلاقة السببية، ومنه قولهم: " رعينا الغيث " أي النبات الذي سببه الغيث .

(1) – سورة الزخرف، الآية: 63
(2) – الإتقان للسيوطي م س ج3 ص123
(3) – سورة الشعراء، الآية: 84
(4) – عروس الأفراح م س ج2 ص138
(5) – سورة إبراهيم، الآية: 4
(6) – سورة هود، الآية: 20

ومنه قوله:

أكلتُ دَماً إن لم أَرُعْكِ بضرة [301] بعيدةِ مَهْوى القِرْط طَيّبَةِ النَّشْرِ

أي أكلت الدية التي سببها الدم أي القتل، دعا على نفسه بأخذ الدية ؛ لأن أخذ الدية عند العرب عار عظيم .

قال في فيض الفتاح: ويصح أن يكون من تسمية البدل بالمبدل منه . [1]

تنبيه

قال في الإتقان: " مِنْ ذَلِكَ نِسْبَةُ الْفِعْلِ إِلَى سَبَبِ السَّبَبِ كَقَوْلِهِ: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ فَإِنَّ الْمُخْرِجَ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ اللهُ تَعَالَى، وسَبَبُ ذَلِكَ أَكْلُ الشَّجَرَةِ، وسَبَبُ الْأَكْلِ وسُوسَةُ الشَّيْطَانِ، فنُسبَ الفعلُ الذي هو الإخراجُ إلى سبب السبب الذي هو إبليس . "[2]

مُسَبَّبٍ بالجر معطوف على قوله أَوْ سَبَبٍ بحذف العاطف، أي ومنها أي علاقات المجاز تسمية السبب باسم المسبب كقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾[3] وقوله: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾[4] أي مطرا يتسبب عنه الرزق واللباس، فالرزق مسبب عن المطر وكذلك اللباس، وأطلقا عليه مجازا من إطلاق اسم المسبب على السبب، ومنه قولهم: " أمطرت السماء نباتا " أي غيثا يتسبب عنه النبات، فالنبات مسبب عن الغيث، وقد أطلق عليه مجازا .

حَالٍ بالجر عطف على مسبب بحذف العاطف، أي ومن علاقات المجاز تسمية المحل باسم الحال فيه كما في قوله ﷻ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[5] أي ففي الجنة التي تحل فيها الرحمة، وفى التعبير عن الجنة بالرحمة دلالة على كثرة الرحمة فيها حتى كأنها الرحمة بعينها .

قال في فيض الفتاح ياسين: " وقد جعل بعضهم ذلك من مجاز التعلق أي أطلق الرحمة التي هي

(1) – فيض الفتاح م س ج2 ص147

(2) – الإتقان م س ج3 ص125

(3) – سورة غافر، الآية: 13

(4) – سورة الأعراف، الآية: 26

(5) – سورة آل عمران، الآية: 107

المتعلَّق بالفتح على المتعلِّق بالكسر الذي هو المكان "[1]

مَحَلٌ عطف على حال بحذف العاطف أيضا، ومنها تسمية الحال باسم المحل كقوله تعالى: ﴿**فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ** 18﴾[2] أي أهل ناديه، والنادي المجلس، أطلق على أهله مجازا من تسمية الحال باسم المحل .

قال في فيض الفتاح: والنادي مجلس القوم ما داموا به، أو مجلس القوم نهارا .

قال في الأطول: وفى التعبير عن أهل النادي مبالغة في عجزها عن الجواب كالنادي .

قال في الإتقان: " ومِنْهُ التَّعْبِيرُ بِالْيَدِ عَنِ الْقُدْرَةِ نحو: ﴿**بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ**﴾ وبِالْقَلْبِ عَنِ الْعَقْلِ نَحْوُ: ﴿**لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا**﴾[3] أَيْ عُقُولٌ، وبِالْأَفْوَاهِ عَنِ الْأَلْسُنِ نَحْوُ: ﴿**يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم**﴾[4] وبِالْقَرْيَةِ عَنْ سَاكِنِيهَا نَحْوُ: ﴿**وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ**﴾[5] وقد اجْتَمَعَ هَذَا النَّوْعُ ومَا قَبْلَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾[6] فَإِنَّ أَخْذَ الزِّينَةِ غَيْرُ مُمْكِنٍ لِأَنَّهَا مَصْدَرٌ، فَالْمُرَادُ مَحَلُّهَا فَأَطْلَقَ عَلَيْهِ اسْمَ الْحَالِّ، وأَخْذُهَا لِلْمَسْجِدِ نفسه لا يجب، فالمرادُ الصَّلَاةُ فَأَطْلَقَ اسْمَ الْمَحَلِّ عَلَى الْحَالِّ "[7] .

مُجاوِرٍ بالجر للعطف على المعدودات قبله بحذف العاطف ، [302] أي ومنها تسمية المجاور باسم مجاوره، كإطلاق الراوية على المَزادة، أي المزود الذي يجعل فيه الزاد، أي الطعام المتخذ للسفر، والراوية في الأصل اسم للبعير الذي يحمل المزادة، والعلاقة كون البعير حاملا لها

آلَ لَهُ أي ومنها تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه كقوله تعالى: ﴿**إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ**﴾[8] أي عنبا

(1) – فيض الفتاح م س ج2 ص149

(2) – سورة العلق، الآية: 17

(3) – سورة [الأعراف: 179]

(4) – سورة [آل عمران: 167]

(5) – سورة [يوسف: 82]

(6) – سورة [الأعراف: 31]

(7) – الإتقان في علوم القرآن م س ج3 ص126

(8) – سورة يوسف، الآية: 36

يؤول إلى خمر، وقيل لا مجاز في الآية ؛ لأن أهل اللغة قالوا: الخمر بلغة أهل عمان اسم العنب، وحكى الأصمعي عن مضر بن سليمان أنه قال: لقيت أعرابيا معه عنب فقلت له ما معك، فقال معي خمر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَلِدُوٓاْ إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً 29﴾[1] أي مولودا صائرا إلى الكفر والفجور، وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُۥ﴾[2] أي رجلا يصير لها زوجا، سماه زوجا ؛ لأن العقد يؤول إلى زوجية ؛ لأنها لا تنكحه في حال كونه زوجا .

قال في فيض الفتاح: " وقد عد بعضهم في أنواع العلاقة إطلاق ما بالفعل على ما بالقوة أي القابلية، وربما عبر عنه أي عن هذا المجاز بمجاز الاستعداد كإطلاق الخمر على العصير في الدن قبل أن يتخمر، وإطلاق الكاتب على العارف بالكتابة حال تركها، والفرق بين هذه العلاقة وبين علاقة ما يؤول إليه أن المستعد للشيء قد لا يؤول إليه بأن يكون مستعدا له ولغيره كما أن العصير قد لا يؤول إلى الخمرية وإن كان مستعدا لها .

قال الشيخ زكريا وفيه نظر لأن ما ذكره فيه آت باعتبار ما يكون ظنا .

قال في الآيات البينات: يمكن الفرق بأن النظر فيما سبق إلى مجرد الأيلولة إليه، وهنا إلى مجرد الاستعداد عنه . [3]

عَنْهُ انْتَقَلْ أي ومن علاقات المجاز تسمية الشيء باسم ما كان، عليه ثم انتقل عنه، كقوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[4] أي الذين كانوا يتامى، ثم انتقلوا عن اليتم إلى البلوغ، إذ لا يُتْمَ بعد البلوغ، وهذا مذهب الأكثر، وقيل إنها حقيقة استصحابا للإطلاق حال وجود المعنى قاله في فيض الفتاح . [5]

وقد ترك الناظم من علاقات المجاز المرسل علاقات، فمنها إطلاق اسم الخاص على العام نحو

(1) – سورة نوح، الآية: 27

(2) – سورة البقرة، الآية: 230

(3) – فيض الفتاح م س ج2 ص151

(4) – سورة النساء، الآية: 2

(5) – فيض الفتاح م س ج2 ص152

﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ 15﴾[1] أي رسله، ومنها عكسه نحو ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[2] أي المؤمنين، بدليل قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[3]

ومنها إطلاق اسم الملزوم على اللازم، وعكسه، نحو ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[4] أي هل يفعل ذلك، أطلق الاستطاعة على الفعل ؛ لأنها ملزومة له ولازمة له أيضا، ومنها تسمية الشيء باسم ضده كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ 21﴾ والبشارة حقيقة في الخبر السار، أطلقها على ضده، وهو الإنذار أي الخبر المحزن مجازا، ومنها تسمية الشيء باسم ما يصرف عنه، ذكره السكاكي .

وخرج عليه قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾[5] يعنى ما دعاك إلى أن لا تسجد، فسمى الداعي مانعا [303] مجازا وسلم من زيادة لا، ومنها إضافة الفعل إلى ما لا يصح منه تشبيها كقوله تعالى: ﴿جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَّنقَضَّ﴾[6] وصف الجدار بالإرادة، وهي من صفات الحي، تشبيها لميله للوقوع بالإرادة .

قلت: فعلى هذا تكون استعارة تبعية .

ومنها إطلاق الفعل، والمراد مشارفته ومقارنته وإرادته، نحو ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾[7] أي قاربن بلوغ الأجل أي انقضاء العدة ؛ لأن الإمساك أي الرجعة لا يكون بعد تمام الأجل أي العدة، وهو في قوله: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ﴾[8] حقيقة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ اجَلُهُمْ لاَ يَسْتَٴْخِرُونَ

(1) – سورة الشعراء، الآية: 16
(2) – سورة الشورى، الآية: 5
(3) – سورة غافر، الآية: 7
(4) – سورة المائدة، الآية: 112
(5) – سورة الأعراف، الآية: 12
(6) – سورة الكهف، الآية: 77
(7) – سورة الطلاق، الآية: 2
(8) – سورة البقرة، الآية: 232

سَاعَةٗ ولاَ يَسۡتَقۡدِمُونَ 32﴾[1] أي فإذا قرب مجيء أجلهم، وبه يندفع السؤال المشهور في الآية، وهو أن عند مجيء الأجل لا يتصور تقديم ولا تأخير، وقوله: ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ﴾ [2] أي لو قاربوا أن يتركوا خافوا ؛ لأن الخطاب للأوصياء، وإنما يتوجه إليهم قبل الترك، لأنهم بعده أموات، وقوله: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي إذا أردتم القيام إليها﴿فَٱغۡسِلُواْ﴾ ومنها القلب وهو إما قلب إسناد، نحو ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ﴾[3] أي لتنوء العصبة بها، وإما قلب عطف، نحو ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ﴾[4] أي فانظر فتول، ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ 8﴾[5] أي تدلى فدنا، ومنها وضع صيغة مقام أخرى، وتحت هذا النوع أنواع كثيرة:

منها إطلاق المصدر على الفاعل نحو ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ﴾[6] أي أعداء، وكذا إفراده، وعلى المفعول نحو ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾[7] أي من معلومه، ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ﴾[8] أي مصنوعه، ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾[9] أي مكذوب فيه ؛ لأن الكذب إنما هو من صفات الأقوال لا من صفات الأجسام، ومنه إطلاق البشرى على المبشه به، والهدى على المهدي، والقول على المقول، ومنها إطلاق المصدر على الفاعل والمفعول نحو ﴿لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ 2﴾[10] أي تكذيب، ﴿بِأَييِّكُمُ

(1) – سورة الأعراف، الآية: 34 وسورة النحل، الآية: 61

(2) – سورة النساء، الآية: 9

(3) – سورة القصص، الآية: 76

(4) – سورة النمل، الآية: 28

(5) – سورة النجم، الآية: 8

(6) – سورة الشعراء، الآية: 77

(7) – سورة البقرة، الآية: 255

(8) – سورة النمل، الآية: 88

(9) – سورة يوسف، الآية: 18

(10) – سورة الواقعة، الآية: 1

ﭐلْمَفْتُونُ 6﴾[1] أي الفتنة، ومنها إطلاق فاعل على مفعول نحو ﴿مَّآءٍ دَافِقٍ 6﴾[2] أي مدفوق .

وعكسه نحو ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَاتِيّاً 61﴾[3]﴿حِجَاباً مَّسْتُوراً 45﴾[4] أي ساترا، ومنها إطلاق فعيل بمعنى مفعول، ومنها إطلاق واحد من المثنى والمفرد والجمع على آخر .

فمثال إطلاق المفرد على المثنى ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَنْ يُّرْضُوهُ﴾[5] أي يرضوهما، فأفرد لتلازم الرضايين، وعلى الجمع ﴿إِنَّ ٱلِانسَٰنَ لَفِے خُسْرٍ 1﴾[6] أي الأناسي، بدليل الاستثناء منه .

ومثال إطلاق المثنى على المفرد ﴿أَلْقِيَا فِے جَهَنَّمَ﴾[7] أي ألق، ومنه كل فعل نسب إلى شيئين وهو لأحدهما فقط نحو ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ 20﴾[8] وإنما يخرج من أحدهما [304] وهو الملح دون العذب، وقوله تعالى: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾[9] وإنما الناسي يوشع بدليل قوله لموسى: ﴿فَإِنِّے نَسِيتُ﴾[10] وإنما أضيف النسيان إليهما معا لسكوت موسى عنه .

ومثال إطلاقه على الجمع ﴿ثُمَّ اَرْجِعِ اِ۬لْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾[11] أي كرات ؛ لأن البصر لا يحسر إلا بها، وجعل منه بعضهم: ﴿اَ۬لطَّلَٰقُ مَرَّتَٰنِ﴾[12]

(1) – سورة القلم، الآية: 6
(2) – سورة الطارق، الآية: 6
(3) – سورة مريم، الآية: 61
(4) – سورة الإسراء، الآية: 45
(5) – سورة التوبة، الآية: 62
(6) – سورة العصر، الآية: 1
(7) – سورة ق، الآية: 24
(8) – سورة الرحمن، الآية: 22
(9) – سورة الكهف، الآية: 61
(10) – سورة الكهف، الآية: 63
(11) – سورة الملك، الآية: 4
(12) – سورة البقرة، الآية: 229

ومثال إطلاق الجمع على المفرد ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ١٠٠﴾[1] أي أرجعني .

ومثال إطلاقه على المثنى ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١٠﴾ [2] أي طائعتين، ﴿فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾[3] أي قلباكما .

ومنها إطلاق الماضي على المستقبل وقوعه كقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾[4]أي الساعة، بدليل قوله: ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ ومنها عكسه وهو إطلاق صيغة المستقبل على الماضي لإفادة الدوام والاستمرار فكأنه وقع واستمر نحو ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ﴾[5]أيْ أأمرتم ونسيتم .

ومنها إطلاق الخبر على الطلب أمرا كان أو نهيا أو دعاء، مبالغة في الحث عليه حتى كأنه وقع وأخبر عنه .

قال الزمخشري: وورود الخبر والمراد الأمر أو النهي أبلغ من صريح الأمر أو النهي، كأنه سورع إلى الامتثال فيه وأخبر عنه، ومنها عكسه وهو إطلاق الأمر أو النهي على الخبر، نحو﴿فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ ٧٥﴾[6]

قال الكواشي: الأمر بمعنى الخبر أبلغ من الخبر لتضمنه اللزوم نحو " إن زرتنا فلنكرمك " يريدون تأكيد إيجاب الإكرام عليهم .

وقال ابن عبد السلام: لأن الأمر للإيجاب، فشبه الخبر به في إيجابه .

ومنها وضع النداء موضع التعجب نحو ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾[7] قال الفراء: معناه فيالها حسرة، وقال ابن خالويه: هذه من أصعب مسألة في القرآن ؛ لأن الحسرة لا تنادى، وإنما ينادى الأشخاص ؛

(1) – سورة المؤمنون، الآية: 99
(2) – سورة فصلت، الآية: 11
(3) – سورة التحريم، الآية: 4
(4) – سورة النحل، الآية: 1
(5) – سورة البقرة، الآية: 44
(6) – سورة مريم، الآية: 75
(7) – سورة يس، الآية: 30

لأن فائدته التنبيه، ولكن المعنى على التعجب .

ومنها وضع جمع القلة موضع جمع الكثرة نحو قوله تعالى: ﴿أَيَّاماً مَّعْدُودَةً﴾[1] ونكتة التقليل في هذه الآية التسهيل على المكلفين، وقوله: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ 37﴾[2] وغرف الجنة لا تحصى، ومنها عكسه نحو ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[3]

ومنها التغليب وهو إعطاء الشيء حكم غيره، وقيل ترجيح أحد المغلوبين على الآخر وإطلاق لفظه عليهما إجراء للمختلفين مجرى المتفقين .

والقاعدة في التغليب تغليب المذكر على المؤنث، والعاقل على غيره، لشرفهما وفضلهما عليهما، وتغليب الأعلى على الأدنى، والأشهر على الشاهر، والأعظم على العظيم .

فالأولان نحو ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ 12﴾[4]﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ 82﴾[5]﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾[6] الأصل من القانتات، والغابرات . [305]

والتعبير عن غير العاقل بمن، لكن غلب في الأول الذكور على الإناث، لشرفهم عليهن، فعبر بجمع المذكر السالم، وغلب في الثاني من يعقل على من لا يعقل، لشرفه عليه أيضا فأتى بمن التي هي موضوعة للعاقل أصلا .

والثالث نحو ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ﴾[7] أي من المؤمنين والكفار، والدرجات للعلو، والدركات للسفل، فاستعمال لفظ الدرجات في القسمين تغليبا للأعلى على الأدنى .

(1) – سورة البقرة، الآية: 184
(2) – سورة سبأ، الآية: 37
(3) – سورة البقرة، الآية: 228
(4) – سورة التحريم، الآية: 12
(5) – سورة الأعراف، الآية: 83
(6) – سورة يونس، الآية: 66
(7) – سورة الأحقاف، الآية: 19

والرابع نحو ﴿يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ﴾[1] أي المشرق والمغرب .

قال ابن الشجري: وغلب المشرق لأنه أشهر الجهتين .

والخامس نحو ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾[2] أي الملح والعذب، والبحر خاص بالملح، فغلب لكونه أعظم .

قال في الإتقان: فَصْلٌ فِي أَنْوَاعٍ مُخْتَلَفٍ فِي عَدِّهَا مِنَ الْمَجَازِ، وهِيَ سِتَّةٌ:

أَحَدُهَا: الْحَذْفُ فَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ مِنَ الْمَجَازِ، وأَنْكَرَهُ بَعْضُهُمْ ؛ لأن الْمَجَازَ اسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ فِي غَيْرِ مَوْضُوعِهِ والْحَذْفُ لَيْسَ كَذَلِكَ .

وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: حَذْفُ الْمُضَافِ هُوَ عَيْنُ الْمَجَازِ ومُعْظَمُهُ ولَيْسَ كُلُّ حَذْفٍ مَجَازًا .

وَقَالَ الْقَرَافِيُّ الْحَذْفُ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ:

قِسْمٌ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ صِحَّةُ اللَّفْظِ ومَعْنَاهُ مِنْ حَيْثُ الْإِسْنَادِ نَحْوُ: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ أَيْ أَهْلَهَا إِذْ لَا يَصِحُّ إِسْنَادُ السُّؤَالِ إِلَيْهَا .

وَقِسْمٌ يَصِحُّ بِدُونِهِ، لَكِنْ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ شَرْعًا كَقَوْلِهِ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ أَيْ فَأَفْطَرَ، فَعِدَّةٌ .

وَقِسْمٌ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ عَادَةً لَا شَرْعًا نَحْوُ: ﴿أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ﴾ أَيْ فَضَرَبَهُ

وَقِسْمٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ غَيْرُ شَرْعِيٍّ ولَا هُوَ عَادَةً نَحْوُ: ﴿فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا قَبَضَ مِنْ أَثَرِ حَافِرِ فَرَسِ الرَّسُولِ، ولَيْسَ فِي هَذِهِ الْأَقْسَامِ مَجَازٌ إِلَّا الْأَوَّلَ .

الثَّانِي: التَّأْكِيدُ زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهُ مَجَازٌ لِأَنَّهُ لَا يُفِيدُ إِلَّا مَا أَفَادَهُ الْأَوَّلُ والصَّحِيحُ أَنَّهُ حَقِيقَةٌ .

قَالَ الطرطرشي فِي الْعُمْدَةِ: ومَنْ سَمَّاهُ مَجَازًا قُلْنَا لَهُ إِذَا كَانَ التَّأْكِيدُ بِلَفْظِ الْأَوَّلِ نَحْوُ: عَجِّلْ عَجِّلْ ونَحْوِهِ: فَإِنْ جَازَ أَنْ يَكُونَ الثَّانِي مَجَازًا، جَازَ فِي الْأَوَّلِ، لِأَنَّهُمَا فِي لَفْظٍ واحِدٍ، وإِذَا بَطَلَ حَمْلُ الْأَوَّلِ عَلَى الْمَجَازِ، بِطَلَ حَمْلُ الثَّانِي عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ مِثْلُ الْأَوَّلِ .

(1) – سورة الزخرف، الآية: 38

(2) – سورة الرحمن، الآية: 19

الثَّالِثُ التَّشْبِيهُ زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهُ مَجَازٌ، والصَّحِيحُ أَنَّهُ حَقِيقَةٌ .

قَالَ الزَّنْجَانِيُّ فِي الْمِعْيَار[1]: لِأَنَّهُ مَعْنًى مِنَ الْمَعَانِي، ولَهُ أَلْفَاظٌ تَدُلُّ عَلَيْهِ وضْعًا، فَلَيْسَ في نَقْلِ اللَّفْظِ عَنْ مَوْضُوعِهِ، وقَالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّين[2] إنْ كَانَ بِحَرْفٍ فَهُوَ حَقِيقَةٌ، أَوْ بِحَذْفِهِ فَمَجَازٌ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْحَذْفَ مِنْ بَابِ الْمَجَازِ .

الرَّابِعُ الْكِنَايَةُ وفِيهَا أَرْبَعَةُ مَذَاهِبَ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا حَقِيقَةٌ، قَالَ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ وهُوَ الظَّاهِرُ ؛ لأنها اسْتُعْمِلَتْ فِيمَا وضِعَتْ لَهُ وأُرِيدَ بِهَا الدِّلَالَةُ عَلَى غَيْرِهِ .

الثَّانِي: أَنَّهَا مَجَازٌ .

الثَّالِثُ: أَنَّهَا لَا حَقِيقَةٌ ولَا مَجَازٌ، وإِلَيْهِ ذَهَبَ صَاحِبُ التَّلْخِيصِ، لِمَنْعِهِ فِي الْمَجَازِ أَنْ يُرَادَ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيُّ مَعَ المجازي، وتجويزه ذلك فيه .

الرَّابِعُ: وهُوَ اخْتِيَارُ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّين[306] السُّبْكِيِّ أَنَّهَا تَنْقَسِمُ إِلَى حَقِيقَةٍ ومَجَازٍ، فَإِنِ اسْتَعْمَلْتَ اللَّفْظَ فِي مَعْنَاهُ مُرَادًا مِنْهُ لَازِمَ الْمَعْنَى أَيْضًا فَهُوَ حَقِيقَةٌ، وإِنْ لَمْ يُرِدِ الْمَعْنَى بَلْ عَبَّرَ بِالْمَلْزُومِ عَنِ اللَّازِمِ فَهُوَ مَجَازٌ، لِاسْتِعْمَالِهِ فِي غَيْرِ مَا وضِعَ لَهُ، والْحَاصِلُ أَنَّ الْحَقِيقَةَ مِنْهَا أَنْ يُسْتَعْمَلَ اللَّفْظُ فِيمَا وضِعَ لَهُ لِيُفِيدَ غَيْرَ مَا وضِعَ لَهُ، والْمَجَازُ مِنْهَا أَنْ يُرِيدَ بِهِ غَيْرَ مَوْضُوعِهِ اسْتِعْمَالًا وإِفَادَةً .

الْخَامِسُ: التَّقْدِيمُ والتَّأْخِيرُ عَدَّهُ قَوْمٌ مِنَ الْمَجَاز ؛ لأن تَقْدِيمَ مَا رُتْبَتُهُ التَّأْخِيرُ كَالْمَفْعُولِ، وتَأْخِيرَ مَا

(1) – الزَّنْجاني (000 – 655 هـ = 000 – 1257 م) عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الخزرجي الزنجاني: من علما العربية. يقال له العزي (عز الدين) توفي ببغداد. له " تصريف العزي – ط " في الصرف، و" معيار النظار في علوم الأشعار – خ " و" الهادي – خ " في النحو، وشرحه " الكافي شرح العادي – خ " في شستربتي (3610) ترجمته في. «الأعلام للزركلي»م س. ج4 ص179.

(2) عز الدين عبد السلام بن أحمد بن غانم بن علي المقدسي الشافعي: واعظ، له نظم ونثر. توفي بالقاهرة. من كتبه (تفليس إبليس/ط) مناظرات له مع الشيطان!و (حل الرموز/ط) تصوف، و (الروض الأنيق) مواعظ، و (كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار/ط) و (إفراد الأحد عن أفراد العدد/خ) في جزء لطيف اقتنيت نسخة منه كتبت سنة 778 هـ ، واسمه عليها (عز الدين عبد السلام المقدسي) وهذا يدفع رواية من سماه (محمد بن عبد السلام) و (ديوان شعر/خ) في 62 ورقة (كما في النشرة). ترجمته نقلا عن. فهرس الخزانة التيمورية، مطبعة دار الكتب المصرية، 1948، (217/3). مرآة الجنان (190/4). البداية والنهاية (289/13).

رُتْبَتُهُ التَّقْدِيمُ كَالْفَاعِلِ، نَقْلٌ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا عَنْ مَرْتَبَتِهِ وحَقِّهِ .

قَالَ: فِي الْبُرْهَانِ والصَّحِيحُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْهُ، فَإِنَّ الْمَجَازَ نَقْلُ مَا وضِعَ إِلَى مَا لَمْ يُوضَعْ لَهُ .

السَّادِسُ: الِالْتِفَاتُ، قَالَ الشَّيْخُ بَهَاءُ الدِّينِ السُّبْكِيُّ لَمْ أَرَ مَنْ ذَكَرَ هَلْ هُوَ حَقِيقَةٌ أَوْ مَجَازٌ، قَالَ وهُوَ حَقِيقَةٌ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ تَجْرِيدٌ . "[1]

(1) - الإتقان في علوم القرآن م س ج3 ص137.139

فَصْلٌ فِي الْوَاسِطَةِ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ والْمَجَازِ

قِيلَ بِهَا فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءٍ:

أَحَدُهَا: اللَّفْظُ قَبْلَ الِاسْتِعْمَالِ، وهَذَا الْقِسْمُ مَفْقُودٌ فِي الْقُرْآنِ، ويُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ أَوَائِلُ السُّورِ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهَا لِلْإِشَارَةِ إِلَى الْحُرُوفِ الَّتِي يَتَرَكَّبُ مِنْهَا الكلامُ .

ثانيها: الْأَعْلَامُ

ثَالِثُهَا: اللَّفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ فِي الْمُشَاكَلَةِ نَحْوُ: ﴿**وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ**﴾ ﴿**وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا**﴾ ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ واسِطَةٌ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ والْمَجَازِ، قَالَ لِأَنَّهُ لَمْ يُوضَعْ لِمَا اسْتُعْمِلَ فِيهِ، فَلَيْسَ حَقِيقَةً ولَا عَلَاقَةَ مُعْتَبَرَةً فَلَيْسَ مَجَازًا، كَذَا فِي شَرْحِ بَدِيعِيَّةِ ابْنِ جَابِرٍ لِرَفِيقِهِ .

قُلْتُ: والَّذِي يَظْهَرُ: أَنَّهَا[307] مَجَازٌ والْعَلَاقَةُ الْمُصَاحَبَةُ .

خَاتِمَةٌ لَهُمْ مَجَازُ الْمَجَازِ، وهُوَ أَنْ يَجْعَلَ الْمَجَازُ الْمَأْخُوذُ عَنِ الْحَقِيقَةِ بِمَثَابَةِ الْحَقِيقَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَجَازٍ آخَرَ، فَيَتَجَوَّزُ بِالْمَجَازِ الْأَوَّلِ عَنِ الثَّانِي، لِعَلَاقَةٍ بَيْنَهُمَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا**﴾ فَإِنَّهُ مَجَازٌ عَنْ مَجَازٍ، فَإِنَّ الْوَطْءَ تُجُوِّزُ عَنْهُ بِالسِّرِّ، لِكَوْنِهِ لَا يَقَعُ غَالِبًا إِلَّا فِي السِّرِّ، وتُجُوِّزُ بِهِ عَنِ الْعَقْدِ، لِأَنَّهُ مُسَبَّبٌ عَنْهُ، فَالْمُصَحِّحُ لِلْمَجَازِ الْأَوَّلِ الْمُلَازِمَةُ، والثَّانِي السَّبَبِيَّةُ، والْمَعْنَى " لَا تُوَاعِدُوهُنَّ عَقْدَ نِكَاحٍ" انتهى .

نقلتُ هذين الفصلين، والخاتمة بعدهما، من الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي، [1] نفعنا الله به وبأمثاله .

ولما فرغ من الكلام على علاقات المجاز المرسل، شرع يتكلم على الاستعارة وأقسامها فقال:

وَالِاسْــــــتِعَارَةُ فَتَحْقِيقِيَّـــــــةُ

اعلم أن الاستعارة تنقسم باعتبارات، فتنقسم باعتبار الطرفين إلى تصريحية ومكنية، فالتصريحية

(1) - الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج ص 141.137

هي التي ذكر فيها المشبه به مرادا به المشبه، وطوي ذكر المشبه، والمكنية هي التشبيهُ المضمر في النفس، المدلولُ عليه بذكر المشبه، وإثبات بعض لوازم المشبه به له، وهذا مبحث التصريحية وجميع الأقسام الآتية لها .

وأما المكنية فإن الناظم عقد لها فصلا على حدة، وذكر هنا أن التصريحية تنقسم باعتبار معناها المجازي إلى تحقيقية وتخييلية، وشرع يتكلم على التحقيقية وحقيقتها ومعناها فقال:

وهْـــيَ مَجَـــازٌ لُغَـــوِيٌّ أَثْبَتُـــوا

يعنى أن الاستعارة التحقيقية فيها خلاف، فذهب الجمهور إلى أنها مجاز لغوي، أي لا عقلي، سواء كان شرعيا أو عرفيا أو لغويا، والدليل على ذلك كونها موضوعة للمشبه به لا للمشبه، ولا لأعم منهما، كالحيوان في استعارة الأسد للرجل الشجاع، فهي مستعملة في غير ما وضعت له، وهذا معلوم قطعا من أئمة اللغة .

ومفهوم قولنا ولا لأعم منهما، أنه لو كان موضوعا لأعم منهما كان حقيقة لغوية ؛ لأن لفظ العام كالحيوان مثلا، إذا أطلق على الخاص كالسبع مثلا، لا باعتبار خصوصه، بل باعتبار عمومه، أي القدر الذي فيه يعمه وغيره، كالحيوانية كان حقيقة، وإذا أطلق عليه من جهة خصوصه كان مجازا انتهى .

قوله: أثبتوا تتميم للبيت .

وإنما تكون الاستعارة تحقيقية

إنْ حُقِّـقَ المَعْـنَى بِهَـا فِي الحِـسِّ أَوْ عَقْـــــــــــــــــلٍ .

أي إذا كان معناها المجازي محقق في الحس، أي مدرك بالحواس، كقولك: رأيت أسدا يرمى، فالاستعارة هنا تحقيقية ؛ لأن معناها المجازي، وهو الرجل الشجاع، مخفي في الحس، أي مدرك بالحواس، أو في العقل، كقوله ﷺ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٥﴾ فالصراط هنا استعارة تحقيقية ؛ لأن معناها المجازي وهو الدين، متحقق عقلا لا حسا، أي مدرك بالقوة العقلية، والصراط حقيقة الطريق الجادة، قاله ياسين .

. ومَـــنْ جَعَلَهَـــا عَقْـــلاً أَبَـــوْا

يعنى أن البيانيين قد أبوا، أي ردوا قول من جعلها أي الاستعارة مجازا عقليا، وحجته أنها لا تطلق إلا بعد ادعاء المتكلم دخول المشبه في جنس[308] المشبه به، والادعاء المذكور أمر عقلي، وهو جعل المتكلم الرجل الشجاع أسدا حقيقة بطريق الادعاء، وذلك إنما وقع في العقل لا في أمر لغوي، وهو لفظ الأسد، فكأن لفظ الأسد باقيا على معناه اللغوي، إلا أن ثبوت ذلك المعنى له بتصرف من العقل على وجه الاستعارة، فلا يكون مجازا لغويا، بل عقليا ؛ لأن جعل ما ليس في الواقع واقعا مجاز عقلي .

وحجة جمهور البيانيين في رد هذا القول أن الادعاء المذكور لا يقتضي كونها مستعملة فيما وضعت له .

قال السعد: للعلم الضروري بأنها مستعملة في الرجل الشجاع، والموضوع له هو السبع المخصوص، وتحقيق ذلك أن دخوله في جنس المشبه به مبني على أنه جعل أفراد السبع بطريق التأويل قسمين:

متعارفا، وهو الذي له غاية الجرأة ونهاية القوة في مثل تلك الجثة، وهاتيك الصورة، والهيئة، وتلك الأنياب والمخالب إلى غير ذلك .

وغير متعارف، وهو الذي له تلك الجرأة وتلك القوة، لكن لا في تلك الجثة والهيكل المخصوص، ولفظ الأسد إنما هو موضوع للمتعارف، فاستعماله في غير المتعارف استعمال في غير ما وضع له، والقرينة مانعة من إرادة المعنى المتعارف لتعيين المعنى غير المتعارف، وبهذا يندفع ما يقال إن الإصرار على دعوى الأسدية للرجل الشجاع ينافي نصب القرينة المانعة من إرادة السبع المخصوص، انتهى كلام السعد .

فالقائل بكون الاستعارة مجازا لغويا، مسلِّمٌ ادِّعاءً دخولَ المشبه في جنس المشبه به، لكنه عنده لا يقتضي ما ادعاه الخصم من كونها مستعملة فيما وضعت له .

مِـــنْ كَـــذِبٍ تَمْتَـــازُ بِالتَّاوِيـــلِ .

يعنى أن الاستعارة تمتاز أي تميز من الكذب بوجهين:

أحدهما التأويل المبني عليه دخول المشبه في جنس المشبه به، والتأويل جعل أفراد المشبه به

متعارفا وغيره، ولا تأويل في الكذب .

والوجه الثاني نصب القرينة المانعة من إرادة الظاهر بخلاف الكاذب، فلا ينصب قرينة مانعة من إرادة ظاهر لفظه، بل يبذل المجهود في ترويج ظاهره .

ثُمَّ إِذْ لَمْ تَشُبْ وصْفًا فَلا تَاتِي عَلَمْ .

يعنى أن الاستعارة لا تأتي علما أي لا تدخل في علم الشخص إلا إذا شيبت أي خلطت بوصف عام يخرج العلم عن التشخص إلى الجنسية ؛ لأن الاستعارة تقتضي دخول المشبه في جنس المشبه به، وذلك لا يمكن في علم الشخص، لأنه يقتضى التشخص ومنع الاشتراك، والجنس يقتضى العموم وتناول الأفراد، فإذا شيب العلم الشخصي بوصف ملازم له أي دال عليه دلالة التزام جاز دخول الاستعارة فيه، لأنه حينئذ يقدر تنكيره فينزل الوصف اللازم للعلم منزلة المعنى الموضوع له العلم، ويجعل الموصوف فردا متعارفا له، والمستعار له فردا غير متعارف، كحاتم التزم الاتصاف بالجود، ومادر بالبخل، وسحبان بالفصاحة، وباقل بالفهاهة، أي عدم البيان في التكلم، فتستعير لمن أردت مدحه بالجود لفظ حاتم، فتقول: " رأيت حاتما اليوم " ولمن أردت ذمه بالبخل لفظ مادر فتقول: " رأيت مادرا اليوم " وهكذا .

ومادر رجل من بني هلال بن صعصعة، قيل إنه سمي مادرا لأنه سقى إبله من حوضه يوما فبقي ماء في الحوض فسلح فيه ومدر حوضه به بخلا من أن يسقي منه أحد .

وحكي أن باقلا إنما ضرب به المثل في الفهاهة، أنه اشترى ظبيا بأحد عشر درهما فحمله على عنقه، فقيل له بكم اشتريته ؟ ففتح كفيه وفرق أصابعه وأخرج لسانه يشير إلى أحد عشر فانفلت الظبي .

ومنه قول عمر رضي الله: " قضية ولا أبا حسن لها "[1] يريد عليا ﷺ، فإنه في تأويل ولا فيصل، وجوزوا بقاءه على العلمية وتقدير مضاف أي ولا مثل أبي حسن لها .

قال في فيض الفتاح: " فعلى الأول لم تلاق الاستعارة العلم بل النكرة، وتسمى حينئذ تبعية لا

---

(1) – كلمةٌ قالها عمر بن الخطاب رضي الله عنه تنويها بعلي بن أبي طلب كرّم الله وجهه، وقد حل بين يديه قضيّة ميراث مستعصية وبين نصيب الورثة.

بالمعنى الآتي، وقد قيل إنها تتحمل الضمير، وهذا بخلاف علم الجنس فإن الاستعارة تدخل فيه من غير تأويل، تقول: " رأيت أسامة يرمى " تعنى به رجلا شجاعا ؛ لأن علم الجنس كلي في المعنى . "(1)

قوله: تشب بالبناء نائبه ضمير عائد إلى الاستعارة، وقوله وصفا مفعول ثان لتشب، وقوله علم بالوقف على[309] السكون لغة ربيعة حال من فاعل تأتي .

وَاشْــرُطْ لَهَـــا قَرِينَـــةً فَوَاحِـــدًا　　　كَأَسَــــــدٍ يَرْمِــــــي .

يعنى أنه يشترط في الاستعارة نصب قرينة مانعة من إرادة ما وضعت له، وتلك القرينة **تَرَى** أي توجد حال كونها واحدا أي أمرا واحدا كقولك: " رأيت أسدا يرمى " فالقرينة المانعة من إرادة الأسد الحقيقي لفظ يرمى، إذ الرمي لا يصح من الأسد الحقيقي، وهي هنا أمر واحد .

فقوله: واحدا حال من نائب قوله ترى بالبناء للنائب، وهو ضمير عائد إلى قرينة .

فَصَاعِداً أي ترى القرينة حال كونها أمرا واحدا فأكثر .

قوله: فصاعدا عطف على فواحدا .

كَقَوْلِهِ:

. إِنْ تَعَـــافُوا الْعَـــدْلَ والإِيمَـــانَا　　　فَـــإِنَّ فِي إِيمَانِنَـــا نِـــيرَانَا

عاف الشيء كرهه، والإيمان بكسر الهمزة التصديق بما جاء به الرسول ﷺ، وأيماننا بفتح الهمزة جمع يمين، والمراد بالنيران السيوف التي تلمع كشعل النار .

فتعَلُّقُ قَوْلِهِ تعافوا بكل من العدل والإيمان قرينة على أن المراد بالنيران السيوف، لدلالته على أن جواب هذا الشرط تقديره تحاربون وتلجؤون إلى الطاعة بسيوف تلمع كشعل النيران، وإنما لم تحمل النيران على حقيقتها بأن يقصد تخويفهم بالإحراق ؛ لأن القائل يدعى الأخذ بالشريعة، وليس فيها جواز إحراق كاره العدل والإيمان بالنار .

أَوْ يُسْـــتَدَلَّ بِمَعَـــانٍ تَلْتَـــئِمْ

أي أو يستدل على قصد الاستعارة بمعان ملتئمة لا يدل واحد منها دون الآخر، بل الدليل هو

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص154

المجموع كقول البحتري:

وصـــاعقةٍ مـــن نَصْـله تَنكفـــي بهـــا   علـى أرْؤُسِ الأقْـرانِ خَمْـسُ سَـحائب
يَكـادُ النَّـدَى منهـا يَفـيض علـى الْعِـدا   مـع السـيف في ثِنْيَيْقَنـاً وقَواضِـبِ

الصاعقة: الموت وكل عذاب مهلك، والثِّني بكسر الثاء وسكون النون واحد أثناء الشيء أي تضاعفه، وقوله من نصله أي من نصل سيف الممدوح، والمراد بالسحائب أنامله التي هي في الجود كالسحائب، أي يصبها على أقرانه في الحرب فيهلكهم بها، والمراد بأرؤس الأقران جمع القلة الإشارة إلى قلة أمثاله، قاله في فيض الفتاح .[1]

فالدليل على استعارة السحائب لأنامل الممدوح، مجموع ذكر الصاعقة، وبيان كونها من نصل سيف الممدوح، وكونها على أرؤس الأقران، وذكر خمس وهو عدد الأنامل .

وبِاعْتِبَـــارِ الطَّـــرَفَيْنِ تَنْقَسِـــمْ

إِلَى الْوِفَاقِيَّةِ يعنى أن الاستعارة تنقسم باعتبار الطرفين المستعار منه والمستعار له إلى قسمين وفاقية وعنادية .

والوفاقية هي **أَنْ يَجْتَمِعَا** أي الطرفان فيها **فِي** شيء **مُمْكِنٍ**، وإنما نسبت إلى الوفاق لأجل ما بين الطرفين من الاتفاق كقوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[2] أي ضالا فهديناه، استعار لفظ الإحياء من جعل الشيء حيا للهداية أي الدلالة على المطلوب، والإحياء والهداية يمكن اجتماعهما في شيء واحد في زمن واحد [310] بأن يكون حيا مهديا .

وَذُو الْعِنَادِ امْتَنَعَا أي والاستعارة ذات العناد أي المنسوبة للعناد، وهي العنادية التي امتنع اجتماع الطرفين فيها في شيء واحد كاستعارة لفظ المعدوم للموجود، لعدم نفعه، إذ لا يجتمع الوجود والعدم في شيء، وكاستعارة لفظ الحيلمن عدم وبقيت آثاره الجميلة التي تحيي ذكره، واستعارة اسم الميت للحي الجاهل أو العاجز أو النائم كما في الآية، إذ الموت والحياة لا يجتمعان في شيء واحد .

قوله: ذو العناد مبتدأ خبره الجملة بعده، وألف التثنية فاعل عائد إلى الطرفين، والرابط بين المبتدأ

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص157

(2) - سورة الأنعام، الآية: 122

والخبر مجرور بفي محذوف، ووصف الاستعارة بذو باعتبار المعنى ؛ لأنها مصدر وفي نسخة وذا العناد[1] برفع العناد، وذا اسم إشارة مبتدأ والعناد بدل منه، والجملة خبره، وألف التثنية عائد إلى الطرفين، والرابط بين المبتدأ والخبر محذوف بفي، ويحتمل أن يكون الألف في امتنعا ألف الإطلاق وفاعل الفعل ضمير عائد إلى الاجتماع المفهوم من قوله أن يجتمعا .

وَمَـا بِضِـدٍّ والنَّقِـيضِ اسْـتُعْمِلا ذَاتُ تَهَكُّـمٍ وتَمْلِـيحٍ حَـلا

يعنى أن الاستعارة العنادية تنقسم إلى قسمين: تمليحية وتهكيمية، فما استعمل منها في ضد معناه الحقيقي أو نقيضه بواسطة تمليح سمي تمليحية، أو بواسطة تهكم سمي تهكمية .

فالتمليح والتهكم إنما هو بحسب قصد المتكلم كما تقدم تحقيقه في باب التشبيه، وإنما استعير الضد لضده والنقيض لنقيضه لتنزيل التضاد والتناقض منزلة التناسب كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ 21﴾[2] أي أنذرهم، استعير اسم البشارة التي هي الإخبار بما يسر المخبر، للإنذار الذي هو الإخبار بما يحزنه، بإدخاله في جنسها على سبيل التمليح والتهكم، وكقولك: رأيت أسدا، تريد جبانا، أو رأيت حاتما، تريد بخيلا .

قوله: ما مبتدأ وهو اسم موصول واقع على الاستعارة العنادية، وقوله استعملا صلته، والألف فيه للإطلاق، وقوله بضد متعلق باستعمل، وجملة جلا من الفعل وفاعله خبر المبتدأ والفاعل ضمير عائد إليه، وقوله ذات تهكم بالنصب حال من فاعل جلا .

وَباِعْتِبَـارِ جَـامِعٍ قِسْـمَيْنِ فَـدَاخِلٌ أَوْ لَـيْسَ فِي الطَّـرْفَيْنِ

يعنى أن الاستعارة تنقسم باعتبار المعنى الجامع بين الطرفين، أي المعنى المشتركان فيه إلى قسمين، فمنه أي الجامع ما هو داخل في مفهوم الطرفين المستعار منه والمستعار له، ومنه ما ليس داخلا في الطرفين .

فالداخل نحو قوله ﷺ: **((خيرُ الناسِ رَجُلٌ مُمْسكٌ بعنانِ فَرَسِه كلما سمِعَ هَيْعَةً طار على مَتْنِ فرسه فالتمسَ القتلَ أو الموتَ ورجلٌ في شُعْبةٍ في غُنَيْمةٍ يعبدُ اللهَ حتى يأتيَهُ الموتُ))** رواه مسلم من

(1) - في المطبوع وذي

(2) - سورة الانشقاق، الآية: 24

حديث أبي هريرة . [1]

الهيعة الصياح الذي يفزع منه من هاع يهيع، وإسناد الطيران للرجل مجاز عقلي أي طار فرسه [311] بسببه حال كونه على متنها، والشعبة بالتحريك رأس الجبل، والغنيمة مصغر للتقليل .

والمعنى: خير الناس رجل آخذ بعنان فرسه مستعدا للجهاد، أو رجل اعتزل الناس وسكن رؤوس الجبال في غنم قليلة تكفى معاشه يعبد الله حتى يأتيه الموت .

استعار الطيران للعدو، والجامع بينهما وهو قطع المسافة بسرعة، داخل في مفهومهما إلا أنه في الطيران أقوى .

قال في فيض الفتاح: " فإن قلت الجامع في المستعار منه يجب أن يكون أقوى لتكون الاستعارة مفيدة، وقد تقرر في فن الحكمة أن جزء الماهية كالجنس والفصل لا يختلف بالشدة والضعف، فكيف يكون الجامع داخلا في مفهوم الطرفين ؟

فالجواب كما للسعد امتناع الاختلاف إنما هو في الماهية الحقيقة، فالسواد مثلا جزء من المجموع المركب من السواد والمحل مع اختلافه بالشدة والضعف، ووجه الشبه إنما يجعل داخلا في مفهوم الطرفين الذي هو ما وضع له اللفظ لا في الماهية الحقيقية للطرفين، والمفهوم قد يكون ماهية حقيقية، وقد يكون أمرا مركبا من أمور بعضها قابل للشدة والضعف، فصح كون الجامع داخلا في المفهوم مع كونه في أحد المفهومين أشد، ثم قال: وفى كون استعارة الطيران للعدو من هذا القبيل نظر ؛ لأن الطيران هو قطع المسافة بالجناح وليست السرعة داخلة فيه، بل هي لازمة له في الأكثر، فالأولى التمثيل باستعارة التقطيع الذي هو موضوع لإزالة الاتصال بين الأجسام الملتزق بعضها ببعض لتفريق الجماعة وإبعاد بعضها من بعض في قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِي الأرض أُمَمًاۖ﴾[2] الجامع

(1) - صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط، الحديث رقم 1889 ج3 ص1503، وكمال الحديث: «مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً، أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ، يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ، أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رَأْسِ شَعَفَةٍ مِنْ هَذِهِ الشَّعَفِ، أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِنْ هَذِهِ الْأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ»

(2) - سورة الأعراف، الآية: 168

بين التقطيع والتفريق، إزالة الاجتماع الداخلة في مفهومهما وهي في التقطيع أشد، وغير الداخل على ثلاثة أقسام: داخل في مفهوم المستعار له فقط، أو العكس، أو غير داخل في مفهوم واحد منهما، كاستعارة الأسد للرجل الشجاع، فإن الجامع بينهما الشجاعة وهي خارجة عن مفهومهما، إذ الأسد موضوع للحيوان المفترس، والشجاعة وصف له، والمستعار له الرجل الموصوف بالشجاعة لا المجموع المركب منهما . "[1]

قوله: قسمين مفعول لتنقسم محذوف، وباعتبار متعلق به، وقوله فداخل مبتدأ خبره محذوف أي فمنه داخل، وقوله الطرفين بسكون الراء لضرورة الوزن .

ثم شرع في [312] تقسيمهما باعتبار الجامع أيضا إلى غريبة وعامية فقال:

فَإِنْ خَفا غَرِيبَةٌ يعنى أن الاستعارة[313] تنقسم باعتبار خفاء الجامع وظهوره إلى غريبة وعامية، فتكون غريبة إذا خفي الجامع فيها بين الطرفين، والقريبة هي التي لا يطلع على الجامع فيها إلا الخاصة الذين أوتوا أذهانا ارتفعوا بها عن رتبة العوام، كقوله:

وإذا احْتَـــــبى قَرْبُوسُـــــهُ بِعِنانِـــــهِ　　　عَلَـــكَ الشَّـــكيمَ إِلَى انْصِـــرافِ الزَّائِــرِ

يصف فرسا بأنه مؤدب، وأنه إذا نزل عنه وألقى عنانه في قربوس سرجه وقف مكانه إلى أن يعود إليه، والقربوس بفتح القاف مقدم السرج، والشكيم والشكيمة الحديدة المعترضة في فم الفرس، وأراد بالزائر نفسه، شبه هيئة وقوع العنان في موقعه من قربوس السرجممتدا إلى جانبي فم الفرس بهيئة وقوع الثوب في موقعه من ركبتي المحتبي ممتدا إلى جانبي ظهره، فاستعار الاحتباء وهو أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بثوب أو غيره لوقوع العنان من قربوس السرج، فجاءت الاستعارة غريبة لغرابة الوجه في نفسه .

قوله: غريبة خبر مبتدأ محذوف أي فهي غريبة .

. . **وإِنْ بَـــــــــــــــــــدَا　　　عَامِيَّـــــةٌ إِلَّا بِتَصْـــــرِيفٍ شَــــدَا**

أي وإذا بدا الجامع بين الطرفين في الاستعارة فهي عامية مبتذلة، نسبت إلى العامة وهم ضد الخاصة، والمبتذلة الممتهنة باستعمال كل أحد لها، كاستعارة الأسد للرجل الشجاع في قولك: "

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص162

رأيت أسدا يرمي " فإن الجامع فيها بين الأسد والرجل الشجاع، الشجاعةُ، وهو ظاهر يفهمه كل أحد .

قوله: إلا بتصريف شذا يعنى أن ظهور الجامع يصير الاستعارة عامية إلا إذا كان مقرونا بتصريف شذا أي تصريف حسن في الاستعارة يصيرها غريبة خاصية كقول كثير عزة:

وَلَمَّـا قَضْـيَنا مِـنْ مِـنًى كُـلَّ حَاجَـةٍ ... ومَسَّـحَ بالأَرْكَـانِ مَـنْ هُـوَ مَاسِـحُ

وشُـدَّتْ علـى دُهْـمِ الْمَهـارَى رِحالُنـا ... ولمْ يَنظُـرِ الْغـادي الـذي هُـوَ رائِـح

أخَـذْنَا بِأَطْـرَافِ الأَحاديـثِ بَيْنَنَـا ... وسَـالتْ بِأَعْنَـاقِ المَطِـيِّ الأباطِـحُ

أي لما فرغنا من مناسك الحج ومسحنا أركان البيت عند طواف الوداع وشددنا الرحال على المطايا وارتحلنا، ولم ينتظر السائرون في الغداة السائرين بالرواح للاستعجال، شرعنا في الأحاديث، وشرعت المطايا في سرعة المشي، استعار سيلان السيول الواقعة في الأباطح لسير الإبل السريع اللين الحثيث، والجامع بينهما ظاهر عامي، لكن تصرف فيه بما أخرجه إلى الغرابة والبعد عن الأذهان، إذ أسند الفعل الذي هو سالت إلى الأباطح دون المطي وأعناقها حتى أفاد امتلاء الأباطح من الإبل، وأدخل الأعناق في السير ؛ لأن السرعة والبطء في سير الإبل يظهران غالبا في الأعناق .

قوله: عامية خبر مبتدأ محذوف أي فهي عامية .

ثم إن الاستعارة تنقسم باعتبار الطرفين والجامع إلى ستة أقسام ؛ لأن المستعار منه والمستعار له إما حسيان أو عقليان، أو المستعار منه حسي والمستعار له عقلي، أو بالعكس، فهذه أربعة أقسام، والجامع في الثلاثة الأخيرة لا يكون إلا عقليا كما بينا في بحث التشبيه، لكنه في القسم الأول إما حسي أو عقلي أو مختلف فمجموع الأقسام ستة، وإلى هذا أشار بقوله:

وَبِاعْتِبَـــــــارِ ذِي الـــــــثَّلاثِ .

أي الطرفين والجامع **سِتَّةُ** أقسام، يعنى أن الاستعارة تنقسم باعتبار هذه الثلاثة الطرفين والجامع إلى ستة أقسام .

أَوَّلُ أي أول الأقسام الستة كون **هَذِي** الثلاثة أي الطرفان والجامع **كُلُّهَا حِسِّيَّةٌ** أي كل واحد منها مدرك بالحس، الطرفان حسيان والجامع حسي، أو الطرفان فقط حسيان، **أَوْ جَامِعٌ عَقْلِيٌّ** أي

والجامع بين الطرفين مدرك بقوة العقل كله، وهذا هو الثاني من الأقسام، **أَوْ** الطرفان حسيان أيضا والجامع بينهما **قَدِ اخْتَلَفْ** بعضه حسي وبعضه عقلي، وهذا هو القسم الثالث .

أَوْ غَـــيْرُ حِسِّــــيٍّ بِفَرْعِـــهِ الطَّـــرَفْ

أي أو كان الطرف أي المستعار منه أو المستعار له، فالطرف صادق عليهما، غير حسي بفروعه أي مع فروعه، وهي الجامع والطرف الأخير وإطلاق صيغة الجمع عليهما مجاز من وضع صيغة مكان أخرى، والصواب أن يقول أو غير حسي بفرعيه الطرف بتشديد ياء حسي ليكون جاريا على الأصل، والمعنى أو كان الطرف الصادق بالمستعار منه والمستعار له غير حسي مع فروعه وهي الجامع والطرف الأخير بأن كان الطرفان عقليين والجامع عقلي .

قوله: الطرف مبتدأ مؤخر خبره غير حسي المقدم، وتخفيف الياء في حسي لضرورة الوزن، والباء بفروعه بمعنى مع، والجملة معطوفة على الجملة قبلها، وهذا هو القسم الرابع من الأقسام الستة، والخامس منها كون المستعار منه حسيا، والمستعار له عقلي، والجامع عقلي، والسادس منها كون المستعار منه عقليا، والمستعار له حسي، والجامع عقلي، فالقسم الأول من الأقسام الستة، وهو ما الثلاثة فيه حسية، **كَمِثْلِ عِجْلاً** أي كاستعارة لفظ العجل من ولد البقرة، للحيوان الذي خلقه الله من حلي القبط، بجامع الشكل في قوله تعالى: ﴿**فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ**﴾[1] فإن المستعار منه ولد البقرة، والمستعار له الحيوان الذي خلقه الله من حلي القبط الذي سبكته نار السامري عند إلقائه في تلك الصورة التربة التي أخذها من موطئ فرس جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، والجامع الشكل، فإن ذلك الحيوان كان على شكل ولد البقرة، وهذا كما يقال للصورة المنقوشة على الجدار، والجميع أي الطرفان والجامع حسي أي مدرك بحاسة البصر، [314] والثاني منها وهو ما الطرفان فيه حسيان، والوجه عقلي، كاستعارة السلخ لكشف الضوء عن مكان الليل، بجامع ترتب أمر على أمر في قوله تعالى: ﴿**وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ**﴾[2] فَالمُسْتَعارُ منه السلخ الذي هو كشط الجلد عن الشاة، والمستعار

(1) - سورة طه، الآية: 88

(2) - سورة يس، الآية: 37

له كشف الضوء عن مكان الليل، وهما حسيان، والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر، أي حصوله عقيب حصوله دائما أو غالبا .

قوله: نسلخ معطوف بحذف العاطف على عجل .

المُطَّلِعَهْ .. **شَمْسٌ** أي والثالث وهو ما الطرفان فيه حسيان، والجامع مختلف، بعضه حسي وبعضه عقلي، كاستعارة الشمس لطلعة إنسان أي وجهه، والمراد بالطلعة الإنسان نفسه أي كاستعارة الشمس للإنسان ذي الطلعة الحسنة في قولك: " رأيت شمسا " وأنت تريد إنسانا كالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشأن، فالمستعار منه الذات المضيئة، والمستعار له الإنسان، وهما حسيان، والجامع بينهما الحسن ونباهة الشأن، أي مركب منهما، والأول حسي والثاني عقلي .

وَالرابع منها كاستعارة الرقاد أي النوم للموت بجامع عدم ظهور الفعل في قوله تعالى: **﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾**(1) هذا **لِلْأَرْبَعَهْ** أي هذه الأمثلة لهذه الأقسام الأربعة، فالمستعار منه النوم، والمستعار له الموت، والجامع عدم ظهور الفعل، والجميع عقلي، وقيل عدم ظهور الأفعال في المستعار له أقوى، وهو الموت، ومن شرط الجامع أن يكون في المستعار منه أقوى، فالحق أن الجامع بينهما البعث الذي هو في النوم أقوى وأشهر لكونه مما لا شبهة فيه لأحد، وقرينة الاستعارة كون هذا الكلام كلام الموتى، والخامس منها وهو ما اختلف فيه الطرفان بأن كان المستعار منه حسيا، والمستعار له والجامع عقليان، كقوله تعالى :

﴿فَاصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾(2) **لِلْمُخْتَلَفِ**

بفتح اللام مصدر ميمي أي هذه الآية مثال للاختلاف أي اختلاف الطرفين في الاستعارة، فالمستعار منه كسر الزجاجة إذ هو مدلول الصدع الحقيقي وهو حسي، والمستعار له التبليغ أي تبليغ الوحي، والجامع بينهما التأثير، وهما عقليان، والمعنى: أبن الأمر إبانة لا تنمحي كما لا يلتئم صدع الزجاجة .

وأشار إلى السادس من الأقسام بقوله:

---

(1) - سورة يس، الآية: 52

(2) - سورة الحجر، الآية: 94

كَـذَا طَغَـى المَـاءُ بِعَكْسِـهِ يَفِـي

أي كقوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ قوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾[1] في كون كل منهما مثالا لاختلاف الطرفين في الاستعارة، لكنه أي قوله: طغا الماء، يفي أي يجيء حال كونه بعكس قوله: فاصدع بما تؤمر ؛ لأن المستعار منه هنا عقلي وهناك حسي، والمستعار له هنا حسي وهناك عقلي، فالمستعار منه هنا التكبر وهو عقلي، والمستعار له كثرة الماء وهو حسي، والجامع الاستعلاء المفرط وهو عقلي .

وَبِاعْتِبَـارِ اللَّفْـظِ فَاسْـمُ الجِـنْسِ أَصْـلِيَّةٌ كَأَسَـدٍ وحَـبْس

يعنى أن الاستعارة تنقسم[315] باعتبار اللفظ المستعار إلى قسمين أصلية وتبعية، فإن كانت الاستعارة في اسم الجنس فهي أصلية، والمراد بكونها في اسم الجنس أن يكون اللفظ المستعار اسم جنس، ومعنى كونها أصلية، أي نسبتها إلى الأصل أنها واقعة في المعنى الأصلي، واسم الجنس هو ما دل على نفس الذات الصالحة لأن تصدق على كثيرين من غير اعتبار وصف من الأوصاف، كذا في المطول .

كلفظ أسد، فإنه دال على الماهية، من غير اعتبار وصف من أوصافها، بل وضع للحيوان المفترس من حيث هو، لا باعتبار كونه ذا جرأة، حتى لو وجد أسد غير جريء لصدق عليه لفظ الأسد، بخلاف نحو ضارب وقائم من الأوصاف، فإنها إنما وضعت باعتبار الأوصاف، وكلفظ حبس فإنه موضوع للمنع من الشيء، فليس المراد باسم الجنس هنا مصطلح النحاة ؛ لأن ذلك يشمل الصفات المشبهة وأسماء الزمان والمكان والآلة، بل المراد المستقل بالمفهومة، قاله الفنري، فيدخل المصدر كحبس مثال الناظم، ويدخل فيه ما كان مؤولا باسم الجنس كحاتم، انتهى من فيض الفتاح .[2]

قوله: باعتبار اللفظ متعلق بتنقسم محذوفا، وقوله أصلية خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف، أي فمنها أصلية، أو هي أصلية في اسم الجنس، وقوله في اسم الجنس متعلق بأصلية .

وَتَبَعِيَّةٌ سِوَاهُ أي والاستعارة تبعية، أي منسوبة إلى التبع في سوى اسم الجنس، أي إذا كانت واقعة

(1) - سورة الحاقة، الآية: 11

(2) - فيض الفتاح م س ج2 ص164

في سوى اسم الجنس، أي تنسب إلى التبع فتسمى تبعية، إذا كانت واقعة في سوى اسم الجنس، أي إذا كان اللفظ المستعار فيها غير مستقل بالمفهومية، بأن كان فعلا أو مشتقا أو حرفا، والمراد بالمشتق اسم الفاعل والمفعول والتفضيل والزمان والمكان والآلة .

قوله: وتبعية خبر مبتدأ محذوف أي وهي تبعية في سواه، وسوى منصوب على الظرفية معلق بتبعية .

. . **فَالَّـــــــــــــذِي فِي الْفِعْـــلِ والْمُشْـــتَقِّ لِلأَصْـــلِ خُـــذ**

يعنى أن الذي وقع من الاستعارة في الفعل والمشتق، فالتشبيه فيه ثابت للأصل، وهو المصدر، لا لمعنى الفعل، وهو الحدث والنسبة، ولا لمعنى المشتق، وهو مجموع الوصف القائم بالذات، والذات إما الفعل، أي وجه التبعية فيه، فإنما لم تجر الاستعارة فيه أصالة ؛ لأن الاستعارة مفرعة عن التشبيه، والتشبيه يقتضي كون المشبه موصوفا بوجه الشبه، لأنه محكوم عليه به، وإنما يصلح للموصوفية والحكم الحقائق أي الأمور المحققة المستقلة بالمفهومية الصالحة لأن تكون موصوفة ومحكوما عليها، إذ الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ومعاني الأفعال بمعزل عن الاستقلال بالمفهومية وصلاحية كونها موصوفة ومحكوما عليها، فلا تجزئ الاستعارة فيها أصالة، بل تبعا لمعاني مصادرها، وأما وجه التبعية في المشتق وهو اسم الفاعل والمفعول والتفضيل والزمان والمكان والآلة، فلأن المقصود الأهم فيها هو المعنى القائم [316] بالذات الذي هو المصدر لا نفس الذات، إذ لو لم يقصد ذلك لوجب أن يذكر اللفظ الدال على نفس الذات كزيد وعمرولا أن يذكر اللفظ الدال على ما يقوم بها من الصفات، وتفترق الصفة مع اسم المكان والزمان والآلة بما ذكره السيد بقوله: فإنها بعد اشتراكها في كونها مشتقة وفى أن المقصود الأهم منها هو المعنى المصدري، وفي كون الاستعارة فيها تبعية افترقت في أن الصفة لا تدل على تعين الذات أصلا، فإن معنى قائم شيء ما أو ذات ما له القيام، وهذا أمر غير معين أصلا إذا لاحظه العقل طلب ما يربطه به ويجريه عليه، فلذلك كان حقها أن لا تقع موصوفة، بل حقها أن تقع جارية على غيرها، وفى أن اسم الزمان والمكان والآلة يدل على تعين الذات باعتبار، فإن قولك مثلا مقام معناه مكان فيه القيام لا شيء ما أو ذات ما فيه القيام، فلذلك صح أن يجري عليه الصفات، فيقال مقام فسيح، ولم يصح أن

يكون صفة للغير وكان في عدد الأسماء دون الصفات، فالصفة ما دل على ذات مبهمة باعتبار معين، واسم المكان وأخواه ما دل على ذات متعينة باعتبار .

وَمَـا يَكُـونُ شَـبَهًا فِي الحَـرْفِ فَـذُو تَعَلُّـقٍ بِـهِ . .

يعنى أن الشبه في الحرف، أي التشبيه في الحرف الواقعة فيه الاستعارة تبعا، فالأحق والأولى به ذو تعلق به، أي متعلق معنى الحرف، والمراد بمتعلق معنى الحرف ما يعبر به عند تفسير معناه، مثل قولنا: مِن معناها ابتداء الغاية، وفى معناها الظرفية، واللام معناها التعليل، وكي معناها الغرض، فهذه المعاني ليست معاني للحروف المذكورة، وإلا لما كانت حروفا، بل تكون أسماء، لكون هذه المعاني مستقلة، ومعاني الحروف غير مستقلة، ولو كانت هذه المعاني لمن وفي واللام وكي لم تكن حروفا، بل تكون أسماء ؛ لأن هذه المعاني معان للأسماء لا لغيرها، فظهر أن هذه المعاني المذكورة إنما هي متعلقات لمعاني الحروف المذكورة، وهي من وفي واللام وكي، وأما معنى من فهو ابتداء خاص غير مستقل، لأنه لا يعقل إلا بملاحظة شيئين كالسير والبصرة مثلا في قولك: " سرت من البصرة " وأما في فمعناها مظروف خاص كزيد في ظرف خاص كالدار مثلا في قولك: " زيد في الدار " وليس مستقلا لأنه لا يعقل إلا بملاحظة شيئين مظروف وظرف كزيد والدار في المثال، وأما اللام فمعناها تعليل خاص غير مستقل، لأنه لا يعقل إلا بملاحظة شيئين العلة والمعلول كالتأديب والضرب في قولك: " ضربت ابني للتأديب " وكذا كي .

فالحاصل أن معنى مِن ابتداءُ مخصوص بكونه من كذا مفسرا بمتعلقه، وهو الابتداء للغاية المطلق أو العام، ومعنى في ظرفية مخصوصة بكونها[317] لكذا في كذا، مفسرا بمتعلقه وهو الظرفية المطلقة أو العامة، ومعنى اللام تعليل مخصوص بكونه لكذا بكذا، مفسرا بمتعلقه وهو التعليل المطلق أو العام، وكذا كي، فإذا أفادت هذه الحروف معاني أي ابتداء مخصوصا، أو ظرفية مخصوصة، أو تعليلا مخصوصا، رجعت إلى تلك المعاني التي هي ابتداء الغاية المطلق أو العام، والظرفية المطلقة أو العامة، والتعليل المطلق أو العام، بنوع استلزام ؛ لأن المقيد هو المطلق مع زيادة شيء آخر، والمخصص هو العام مع زيادة شيء آخر، وإنما لم تجر الاستعارة في الحرف أصالة، وإنما جرت فيه تبعا ؛ لأن الاستعارة مفرعة عن التشبيه أي مبنية عليه كما قدمنا، والتشبيه

يقتضي كون المشبه موصوفا بوجه الشبه ومحكوما عليه به، وإنما يصلح للموصوفية والحكم الحقائق أي الأمور المحققة المستقلة بالمفهومية الصالحة لأن تكون موصوفة ومحكوما عليها، فلذا لم تجر الاستعارة في الحرف أصالة بل تبعا .

قال في فيض الفتاح: " ينبغي أن يتعرض أولا لبيان معنى الحرف والفعل، وقد بينا معنى الحرف في أول هذه المسودة، ثم قال: وأما الفعل فقد قال السيد إنه يدل على معنى مستقل بالمفهومية وهو الحدث، وعلى معنى غير مستقل بالمفهومية وهو النسبة الحكمية الملحوظة من حيث إنها حالة بين طرفيهما، أي المسند والمسند إليه، وآلة بينهما لتعرف حالهما مرتبطا أحدهما بالآخر .

ولما كانت هذه النسبة التي هي جزء مدلول الفعل، لا تتحصل ولا توجد إلا بذكر الفاعل وجب ذكره، كما وجب ذكر متعلق الحرف، فكما أن لفظة مِنْ موضوعةٌ وضعا عاما لكل ابتداء معين بخصوصه، كذلك لفظة ضرب، فإنها موضوعة وضعا لكل نسبة للحدث الذي دلت عليه إلى فاعل معينة بخصوصها، إلا أن الحرف لما لم يدل إلا على معنى غير مستقل بالمفهومية لم يقع محكوما عليه ولا محكوما به، إذ لا بد في كل واحد منهما أن يكون ملحوظا بالذات ليتمكن من اعتبار النسبة بينه وبين غيره، واحتاج إلى ذكر المتعلق رعاية لمحاذاة الألفاظ بالصور الذهنية، والفعل لما اعتبر فيه الحدث وضم إليه انتسابه إلى غيره نسبة تامة من حيث أنها حالة بينهما وجب ذكر الفاعل لتلك المحاذاة، ووجب أيضا أن يكون مسندا أي محكوما به باعتبار استقلاله بدلالته على الحدث، إذ قد اعتبر ذلك في مفهومه وضعا، ولا يمكن جعل ذلك الحدث مسندا إليه أي محكوما عليه، لأنه على خلاف وضعه، وأما مجموع معناه المركب من الحدث والنسبة المخصوصة فهو غير مستقل بالمفهومية، فلا يصلح أن يقع محكوما به فضلا عن أن يقع محكوما عليه .

إذا تحققت هذا[1] فنقول: الاستعارة بواسطة تفرعها عن التشبيه [318] تقتضي ملاحظة المستعار منه التزاما من حيث أنه محكوم عليه بوجه الشبه والمشاركة فيه مع المستعار له، ومعنى الحرف من حيث هو معناه لا يصلح أن يكون محكوما بشيء، فلا يتصور جريان الاستعارة في الحرف ابتداء، نعم

(1) - أي إذا فهمتَ معنى الفعلِ والحرفِ.

متعلقات معاني الحروف كالابتداء والانتهاء والظرفية والاستعلاء والغرضية معان مستقلة، فيقع التشبيه بها، وتجري الاستعارة فيها أصالة، ثم تسرى إلى معاني الحروف لاشتمالها عليها، وكذا معنى الفعل أو المشتق من حيث معناه لا يصلح أن يكون محكوما عليه بشيء، فلا يتصور جريان الاستعارة فيه ابتداء، نعم معنى الأصل المشتق منه الفعل أو المشتق وهو المصدر، كالقيام والنطق معنى مستقل بالمفهومية، فيقع التشبيه فيه وتجرى الاستعارة فيه أصالة ثم تسرى إلى معنى الفعل أو المشتق لاشتماله عليه . "[1]

تنبيـــــه

قال في فيض الفتاح: " اعلم أن نسبة البصيرة أي القوة الباطنة إلى مدركاتها كنسبة البصر إلى مبصراته، وأنت إذا نظرت في المرآة وشاهدت صُورَةً فيها فلك حالتان:

إحداهما: أن تكون مشاهدا تلك الصورة قصدا جاعلا المرآة آلة لمشاهدتها، ولا شك أن الآلة أي المرآة مشاهِدةٌ[2] في هذه الحالة، لكنها لا يحكم عليها ولا يلتفت إلى أحوالها، والثانية: أن تتوجه إلى المرآة نفسها قصدا فتصلح للحكم عليها، وتكون الصورة حينئذ مشاهدةً تبعا غير ملتفت إليها، لا تصلح لأن يُحكم عليها، فقس على ذلك المعاني المدركة بالبصيرة .

قال السيد: واستوضح ذلك من قولك: قام زيد، وقولك: نسبت القيام إلى زيد، إذ لا شك أنك تدرك فيهما نسبة القيام إلى زيد، إلا أنها في المثال الأول مدركة من حيث أنها حالة بين زيد والقيام وآلة لتعرف حالهما، فكأنها مرآة تشاهدهما بها مرتبطا أحدهما بالآخر، ولذلك لا يمكنك أن تحكم عليها ولا بها ما دامت مدركة على هذا الوجه، وفى الثاني مدركة بالقصد ملحوظة في ذاتها بحيث يمكنك أن تحكم عليها أو بها، فهي على الوجه الأول معنى غير مستقل بالمفهومية، وعلى الثاني مستقل بها، وكما يحتاج إلى التعبير عن المعاني الملحوظة بالذات المستقلة بالمفهوميةيحتاج إلى التعبير عن المعاني الملحوظة بالتبع غير المستقلة بالمفهومية .

---

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص166-167

(2) - أيْ مُبْصِرَةٌ

ثم قال: إذا تمهد هذا فاعلم أن الابتداء مثلا معنى هو حالة لغيره ومتعلق به، فإذا لاحظه العقل قصدا أو بالذات كان معنى مستقلا بنفسه ملحوظا في ذاته صالحا لأن يحكم عليه وبه ويلزمه إدراك متعلقه إجمالا وتبعا، وهو بهذا الاعتبار مدلول لفظ الابتداء، ولك بعد ملاحظته على هذا[319] الوجه أن تقيده بمتعلق مخصوص، فتقول: ابتداء سير البصرة مثلا ولا يخرجه ذلك عن الاستقلال وصلاحية الحكم عليه وبه، وإذا لاحظه العقل من حيث هو حالة بين السير والبصرة وآلة لتعرف حالهما كان معنى غير مستقل بنفسه لا يصلح لأن يكون محكوما عليه ولا به، وهو بهذا الاعتبار مدلول لفظة من، وهذا معنى ما قيل إن الحرف وضع باعتبار معنى عام وهو نوع من النسبة كالابتداء مثلا وضع لكل ابتداء معين بخصوصه، والنسبة لا تتعين إلا بالمنسوب إليه فما لم يذكر متعلق الحرف لا يتحصل فرد من ذلك النوع الذي هو مدلول الحرف لا في العقل ولا في الخارج، وإنما يتحصل بذكر متعلقه فيتعقل بتعقله، وكذلك القيام مثلا معنى هو وصف لغيره ومتعلق بغيره فإذا لاحظه العقل قصدا وبالذات كان معنى مستقلا بنفسه ملحوظا في ذاته صالحا لأن يحكم عليه وبه، وهو بهذا الاعتبار مدلول لفظ القيام، ولك بعد ملاحظته على هذا الوجه أن تقيده بمتعلق مخصوص مثلا، فتقول قيام زيد، ولا يخرجه ذلك عن الاستقلال وصلاحية الحكم عليه وبه، وإذا لاحظه العقل من حيث أنه منسوب إلى معين بخصوصه كزيد مثلا كان معنى غير مستقل بنفسه لا يصلح لأن يحكم عليه ولا به، وهو بهذا الاعتبار مدلول لفظ " قام زيد " فالفعل موضوع باعتبار معنى عام، وهو النسبة لكل فاعل معين بخصوصه . "[1]

وتقرير البيت: والذي يكون تشبيها في الحرف الواقعة فيه الاستعارة تبعا، فذو تعلق به أي فمتعلق معنى الحرف أحق به من معنى الحرف نفسه .

ولو قال: وما يكون شبها في الحرف لذي تعلق به لكان أحسن وأوضح، إذ قوله فذو تعلق مبتدأ خبره محذوف أي أحق به، والجملة خبر ما .

ولو قال: لذي تعلق استقام المعنى بلا حذف، وكان الجار والمجرور خبر ما، ويحتمل أن يكون

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص165-166

شبها بكسر الباء وحذف الياء أصله شبيها حذف للوزن، وهو صفة .

والمعنى: والذي يكون مشبها أو مشبها في الحرف أي في حال وقوع الاستعارة في الحرف تبعا فذو تعلق به أي فهو متعلق معنى الحرف لا معنى الحرف نفسه، والفاء داخلة على خبر المبتدأ لتضمنه معنى الشرط على كلا الاحتمالين .

وأشار الناظم إلى مثال وقوع الاستعارة في الفعل والمشتق تبعا بقوله:

فَقُلْ فِي

نَطَقَـــــتِ الحْاَلَـــــةُ لِلدَّلالَـــــهْ بِالنُّطْـــقِ أَوْ نَاطِقَـــةٌ ذِي الحْاَلَـــهْ

أي فقل في مثال وقوع الاستعارة في الفعل تبعا نطقت الحالة بكذا، ففي هذا المثال استعير النطق الذي هو التلفظ بالمعنى، أي نطق الناطق للدلالة أي دلالة حاله، بأن شبهت دلالة حاله بالنطق الصريح بجامع إيضاح المعنى من كل منهما وإيصاله للذهن، فجرت الاستعارة ابتداء في المصدر الذي هو اسم جنس مستقل بالمفهومية وهو النطق، فاستعير لدلالة الحال أي استعمل فيها، وعبر عنها به لشبهها به في إيضاح المعنى وإيصاله للذهن تقديرا، فكأنه قيل النطق بكذا منسوب للحال أو نطق الحال بكذا ثابت، ثم اشتق من النطق المستعار أي من لفظه الفعل الذي هو فرعه الذي ليس مستقلا بالمفهومية، فجاء لفظ الفعل مستعارا للدلالة تبعا لأصله [320] الذي اشتق منه وهو المصدر، أي النطق فقيل نطقت الحال بكذا فاستعارة لفظ الفعل ليست مقصودة بالذات، وإنما هي بالتبع للمصدر الذي هو المستعار مقصودا بالذات، وقل في مثال وقوع الاستعارة في المشتق تبعا الحال ناطقة بكذا، فالمشبه الدلالة أي دلالة الحال والمشبه به نطق الناطق، فاستعير النطق الذي هو التلفظ بالمعنى لدلالة الحال بجامع إيضاح المعنى وإيصاله للذهن من كل منهما فجرت الاستعارة ابتداء في المصدر الذي هو اسم جنس مستقل بالمفهومية وهو النطق، فاستعير لدلالة الحال أي استعمل فيها وعبر عنها به لشبهها به في إيضاح المعنى وإيصاله للذهن مبالغة في التقدير، فكأنه قيل النطق بكذا منسوب للحال، أو نطق الحال بكذا ثابت، ثم اشتق من النطق المستعار أي من لفظه الوصف الذي هو فرعه الذي ليس مستقلا بالمفهومية، فجاء لفظ الوصف مستعارا للدلالة تبعا لأصله المشتق منه وهو المصدر، أي النطق فقيل الحال ناطقة بكذا .

وتقرير البيت: فقل في مثال الاستعارة في قولك نطقت الحالة بكذا أو الحال ناطقة بكذا، أي في تفسير هذه الاستعارة وإيضاحها، الاستعارةُ واقعة بالنطق للدلالة في هذين التركيبين انتهى .

ومثال الاستعارة في الحرف لام التعليل في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[1] شبه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب علته الغائبة عليه التي هي التبني والسرور، ثم استعمل في المشبه اللام الموضوعة للدلالة على ترتب العلة الغائية فجرت الاستعارة أولا في العلية والغرضية التي هي متعلق معنى الحرف، ثم جرت بتبعيتها في اللام .

وَالمَدَارُ فِي قَرِينَةِ الْمَذْكُورِ ... لِلْفَاعِلِ الْمَفْعُولِ والْمَجْرُور

يعنى أن المدار في قرينة المذكور من الاستعارة، التبعية في الفعل المشتق، ثابت للفاعل والمفعول والمجرور، أي مدارها على هذه الثلاثة، فتارة تكون القرينة الدالة على قصد الاستعارة الفاعل، نحو نطقت الحال بكذا، فإن النطق الحقيقي لا يسند إلى الحال لاستحالته منها، فدل ذلك على أن النطق مستعار للدلالة التي هي وصف الحال حقيقة، وتارة تكون القرينة المفعول كقوله:

جُمِعَ الحَقُّ لنا في إمامٍ ... قَتَلَ البُخلَ وأحْيا السماحا

فإن القتل والإحياء الحقيقيين لا يقعان على البخل والسماح، لاستحالة ذلك عقلا، فدل تعلقهما به على أن القتل مستعار للإذهاب، بجامع الإعدام في كل منهما، وأن الإحياء مستعار لكثرة السماح بجامع الإظهار، واشتق من القتل قَتَلَ، ومن الإحْياء أَحْيا، وتارة تكون القرينة المجرور كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ 21﴾ فإن ذكر [321] العذاب قرينة على أن البشارة مستعارة للإنذار بجامع التأثير في السامع، أو كون كل منهما مضافا للآخر، إذ التضاد ينزل منزلة التناسب كما تقدم .

قال في فيض الفتاح: " لكن كون الثلاثة مدار قرينة التبعية في المشتق، إنما هو أغلبي، لجواز أن تكون القرينة كقرائن الأحوال، نحو قولك: قتلت زيدا، إذا ضربته ضربا شديدا، ومدار الشيء ما يوجد الشيء لوجوده ويفقد لفقده، وأما التبعية في الحرف فغير منضبطة . "[2]

وَباعْتِبَارٍ آخَرٍ مُطْلَقَةُ ... إنْ لَمْ يُقَارِنْ فَرْعٌ أو فَصِفَةُ

(1) - سورة القصص، الآية: 8

(2) - فيض الفتاح م س ج2 ص169

يعنى أن الاستعارة تنقسم باعتبار آخر غير الطرفين والجامع واللفظ إِلَى ثلاثة أقسام ؛ لأنها إما أن لا تقترن بشيء مما يلائم المستعار له والمستعار منه، وهذه تسمى مطلقة، وهي المذكورة في البيت، ومعنى البيت تنقسم الاستعارة باعتبار آخر غير الاعتبارات المذكورة قبل إلى ثلاثة أقسام، فمنها ما تسمى مطلقة، وهي التي لم يقارنها فرع أي تفريع على أحد الطرفين ولا صفة لأحدهما، ومعنى إطلاقها أنها غيرُ مقيَّدة بوصف ولا تفريع على أحد الطرفين، والمراد بالصفة المعنوية لا النعت النحوي نحو عندي أسد، حيث تكون القرينة حالية كما هو مثال المفتاح والسعد والرسالة، وهو ظاهر التلخيص، وإما أن تقترن بما يلائم المستعار له فقط وهي المجردة، وإليها أشار بقوله: **وإِنْ بِمَا لاءَمَ مَا لَهُ اسْتُعِيرْ .. تَجْرِيدٌ** يعنى أن الاستعارة إذا قرنت بما يلائم أي يناسب ما له استعير، أي المستعار له من صفة أو تفريع، فهي تجريد، أي هي الموصوفة بالتجريد، فتسمى مجردة بصيغة اسم المفعول لتجردها عن بعض المبالغة التي في الاستعارة، بادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به، لأنه صار بسبب ذكر ما يناسب المستعار له المشبه، بعيدا من دعوى الاتحاد بينهما الذي هو مبنى الاستعارة ومنه تنشأ المبالغة .

مثالها: لقيت أسدا شاكي السلاح طويل القناة، ومنه قول كثير عزة:

غمْرُ الرِّداءِ إذا تبسَّم ضاحكا غَلَقَتْ بضحكته رقابُ المال

فمعنى غمر الرداء كثير العطاء، استعار الرداء للعطاء، لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه، ثم وصفه بالغمر، وهو يناسب العطاء، دون الرداء الحقيقي، والقرينة قوله: إذا تبسم إلخ يعنى إذا تبسم غلقت رقاب أمواله في أيدي الناس، وإما أن تقترن بما يلائم أي يناسب المستعار منه فقط، وهي التي تسمى مرشحة، وإليها أشار بقوله:

اوْ مِنْهُ فَتَرْشِيحًا يَصِيرْ يعنى أن الاستعارة إذا قرنت بما يلائم المستعار منه من صفة أو تفريع، فإنها تصير ترشيحا فتسمى مُرَشَّحةً بصيغة اسم المفعول .

قال الجربي: وإنما سميت مرشحة لأنه رُوعي فيها جانبُ المستعار منه، فزادت فائدة[322] الاستعارة، والْمُرَشَّحُ: الْمُرَبَّي مِنْ رَشَّحَهُ أَيْ ربَّاهُ، يقال: فلان يرشح للوزارة أي يربى لها، والمرأة تُرشِّح ولدها إذا جعلت اللبن في فيه قليلا قليلا حتى يقوى على الْمَصِّ .

مثالها قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ 15﴾[1] استعار الاشتراء أيْ الاستبدال والاختيار، ثم فرع عليه ما يلائم الشراء الحقيقي من الربح والتجارة، والقرينة استحالة ثبوت الاشتراء الحقيقي للضلالة والهدى، كما تقول: " جاوزتُ اليوم بحرا مُتلاطِمِ الأمواج "

قوله: ترشيحا بالنصب خبر صار قدم عليها .

وإما أن تقترن بما يلائمهما، أي المستعار له والمستعار منه جميعا من صفة أو تفريع، فتسمى حينئذ مرشحة ومجردة، وإليها أشار بقوله :

وَرُبَّمَـــــــا يَجْتَمِعَـــــــــانِ .

ورُبَّمَا يَجْتَمِعَانِ يعنى أن التجريد والترشيح قد يجتمعان في الاستعارة فتقترن بما يلائم المستعار له، وما يلائم المستعار منه .

مثال اجتماعهما قوله:

لَــدَى أَسَــدٍ شَــاكِي السِّــلاح مُقَــذَّفٍ ... لَــهُ لِبَــدٌ أَظْفَــارُهُ لَــمْ تُقَلَّــمِ.[2]

فقوله: شاكي السلاح تجريد للاستعارة، لأنه يلائم المستعار له الذي هو الرجل الشجاع، وقوله: له لبد إلخ ترشيح لها، لأنه يلائم المستعار منه الذي هو السبع أي الذات المفترسة، فالاستعارة أربعة أقسام: مطلقة، ومجردة، ومرشحة، ومجردة مرشحة .

وَالأَجَلْ .. مُرَشَّحٌ يعنى أن الترشيح أجلُّ أيْ أبلغ من الإطلاق والتجريد، ومن جمع التجريد والترشيح، لما فيه من تحقيق المراد من الاستعارة، الذي هو المبالغة في التشبيه حتى كأن المشبه عين المشبه به، وترشيحها بما يلائم المستعار منه تحقيق لذلك وتقوية له حيث ألزموه ما لا يليق إلا بحقيقة المستعار منه، وهو معنى كون الترشيح أبلغ:

قال الجربي: " إنه أكثر مطابقة لمقتضى الحال، والإطلاق أبلغ من التجريد فقط، وفي شرح عصام

---

(1) - سورة البقرة، الآية: 16

(2) - البيت من معلقة زهير بن أبي سُلمى

على الرسالة: " وجمع التجريد والترشيح في مرتبة الإطلاق لتساقطهما بتعارضهما"[1]

ثَمَّتَ مَبْنَاهُ حَصَلْ

عَلَــى تَنَاسِـــي شَـــبَهٍ فَيُـــدَّعَى   الْمَنْــعُ واسْــتِوَاءُ طَرَفَيْـــهِ مَعَـــا

ثم لمجرد الترتيب الذي ذُكر وقوعُه، مبناه مبتدأ خبره جملة حصل، وقوله على تناسي شبه متعلق بحصل، يعنى أن مبنى الترشيح على تناسي التشبيه والاعتراض عنه، فبسبب ذلك التناسي يدعى الجمع بين الطرفين في جنس واحد، واستوائهما فيه، على أن المشبه عين المشبه به لا شيء مشبه به .

قال في فيض الفتاح: " ولا يقال لا خصوصية للترشيح، بل الاستعارة مطلقا مبنية على تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه عين المشبه به، لأنا نقول التناسي مع الترشيح أبلغ لأنه[323] يصور الاستعارة في صورة حقيقتها ويجعلها مشاهدة فيها .

قال السيد في شرح المفتاح: كون التشريح مبناه على تناسي التشبيه لا ينافي اجتماعه مع التجريد المبني على تذكره لجواز أن يتناسى التشبيه في بعض الصفات دون بعض "[2] .

ولأجل أن الترشيح مبناه على تناسي التشبيه يبنى على علو القدر الذي يستعار له علو المكان ما يبنى على علو المكان، كقوله:

ويَصْـــعدُ حـــتى يظـــنُّ الجَهـــولُ   بأن لـــــه مَسْـــكنا في الســـــما

استعار الصعود لعلو القدر والارتقاء في مدارج الكمال، ثم بنى عليه ما يبنى على علو المكان والارتقاء إلى السماء، مِن ظن الجهول أن له حاجة في السماء، وفي لفظ الجهول زيادة مبالغة في المدح، لما فيه من الإشارة إلى أن هذا إنما يظنه الجهول، وأما العاقل فيعرف أن لا حاجة له في السماء لا تصادفه به في سائر الحالات، ومثله قول ابن الرومي:

شـــافهْتمُ البـــدْرَ بالســـؤال   عـــن الأمـــر إلى أن بلغـــتم زُحَـــلا

وصح التعجب في قول ابن العميد:

قامـــت تُظلـــني مـــن الشـــمس   نفـــسٌ أعـــزُّ علـــي مـــن نفســـي

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص171

(2) - فيض الفتاح م س ج2 ص172

قامـــت تظللـــــني فَـــواً عجبـــاً   شمــسٌ تظللــــني مـــن الشـــمس

وصح النهي عن التعجب في قول الآخر:

لَا تَعْجَبُـــوا مـــن بِلَـــى غِلَالَتــه   قـــد زرَّ أَزْرَاره علـــى القمَـــر

إذ لو لم يقصد تناسي التشبيه وإنكاره، لما كان للتعجب والنهي عنه وجه على ما سبق .

المجاز المركب

وإلى تعريفه أشار بقوله:

أَمَّـــا المُرَكَّـــبُ فَمَـــا يُسْـــتَعْمَلُ   فِيمَـــا بِمَعْـــنَى الأَصْـــلِ قَـــدْ يُمَثَّـــلُ

مُبَالَغًا=يعنى أن المجاز المركب هو اللفظ المركب المستعمل في المعنى الذي شبه بمعناه الأصلي تشبيه تمثيل مبالغا، أي لأجل المبالغة في التشبيه، فتشبيه التمثيل تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من متعدد بالأخرى لأجل المبالغة، والمراد بالمبالغة ادعاء دخول الصورة المشبهة في جنس الصورة المشبه بها .

مثاله: ما كتب به الوليد بن يزيد إلى مروان بن محمد لما توقف في بيعته:

" أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيتهما شئت "

شبه صورة تردده في المبايعة بصورة تردد من قام ليذهب في أمر، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا، وتارة لا يريده فيؤخر تلك الرجل، فاستعمل الكلام الدال على هذه الصورة في تلك، ووجه التشبيه وهو الإقدام تارة والإحجام أخرى، منتزع من عدة أمور، ومعنى المثل: " تقدم رجلا مرة وتؤخرها أخرى " أي مرة أخرى، فحذف من الأول مرة ومن الثاني المفعول به وموصوف أخرى، قاله ياسين .(1)

وتقرير البيت: أما المجاز المركب، فهو اللفظ المركب الذي يستعمل في المعنى الذي قد يمثل أي يشبه بمعنى اللفظ الأصلي تشبيه تمثيل، مبالغا بفتح اللام مصدر[324] ميمي بزنة المفعول أي لأجل المبالغة في التشبيه، ومعنى كونه تشبيه تمثيل أن الجامع فيه بين المستعار له والمستعار منه منتزع من متعدد، وبهذا القيد تخرج الاستعارة في المفرد .

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص174

قوله: مبالغا مفعول لأجله .

. . وسُمِّيَ التَّمْثِيلا مُطْلَقًا أو سَالِكًا السَّبِيلا

يعنى أن المجاز المركب يسمى بالتمثيل، فيقال له التمثيل مطلقا، أي بدون التقييد بكونه على سبيل الاستعارة، أو سالكا السبيل، أي ويسمى تمثيلا حال كونه سالكا سبيل الاستعارة، فمعنى كونه تمثيلا أن وجهه منتزع من متعدد، ومعنى التقييد بكونه على سبيل الاستعارة أنه قد ذكر المشبه به وأريد المشبه، وترك ذكر المشبه بالكلية، كما هو طريقة الاستعارة .

قوله: مطلقا حال من الضمير المرفوع المستتر في سُمِّيَ وسالكا معطوفا على الحال، والسبيل منصوب على المفعولية بقوله سالكا، والمعنى: وسمي المجاز المركب التمثيل حال كونه مطلقا من التقييد بكونه على سبيل الاستعارة، أو مقيدا بسلوك سبيلها .

فَإِنْ فَشَا كَذَاكَ الِاسْتِعْمَالُ فَمَثَلٌ تَغْيِيرُهُ مُحَالُ

يعنى أن المجاز المركب المسمى تمثيلا على سبيل الاستعارة، إذا فشا استعماله أي شاع وذاع في الناس استعماله، كذاك أي على سبيل الاستعارة، فهو مثل أي يسمى مثلا، والمثل تغييره محال أي ممنوع لا يجوز عند البيانيين، لأنه يجب في الاستعارة أن يكون لفظ المشبه به هو المستعمل في المشبه، فلو غير المثل لم يكن لفظ المشبه به بعينه، فلا يكون استعارة، وإذا لم يكن استعارة لم يكن تمثيلا، فلهذا لا يلتفت في المثل إلى مضربه تذكيرا وتأنيثا وإفرادا وتثنية وجمعا، بل إنما ينظر إلى مورده فإذا طلب أحد شيئا ضيعه قبل ذلك قيل له: " الصيف ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ " بكسر التاء، ولو كان المقول له ذلك ذكرا، لأنه قد ورد في امرأة .

قوله: فمثل خبر مبتدأ محذوف أي فهو مثل، والجملة جواب إن الشرطية، والفاء للجزاء، وتغييره مبتدأ ومحال خبره .

وَالْمُسْتَعَارُ مِنْهُ فِي كِلَيْهِمَا لَدَى تَحَقُّقٍ وفَرْضٍ قُسِّمَا

يعنى أن المعنى المستعار منه في المثل والتمثيل، قُسِّم إلى تحقق وفرض، أي إلى محقق واقع، ومفروض مقدر، فالأول في التمثيل نحو قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾[1] فإنه شبه

(1) - سورة آل عمران، الآية: 103

استظهار العبد بالله ووثوقه بحمايته والنجاة من المكاره باستمساك الواقع في مهواة بحبل وثيق مدلى من مكان بعيد مرتفع يأمن انقطاعه، وهذا المعنى المستعار منه المشبه به محقق واقع .

وفى المَثَلِ كقوله ﷺ: ((**إِنَّ مِنَ الْبَيانِ لَسِحْراً**)) [1] يضرب في استحسان المنطق وإيراد الحجة البالغة، وفى الثاني في التمثيل كقوله تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا ٱلأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ والأَرْضِ والْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَّحْمِلْنَهَا وأَشْفَقْنَ مِنْهَا وحَمَلَهَا ٱلإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُوماً جَهُولًا** 72﴾[2] [325] فإنه شبه حال التكليف في صعوبتها وثقل حملها، بحال صعبة ثقيلة مفروضة مقدرة أي غير موجودة، وفى المثل كقولهم: " طارتْ به الْعَنقاءُ " يضرب في من طالت غيبته، فالمستعار منه المشبه به طيران العنقاء وهو غير موجود، كما أن العنقاء غير موجودة، [3] وإنما هي على سبيل الفرض والتقدير .

تنبيـــــه

ظاهر التلخيص اختصاص المجاز المركب بباب الاستعارة، وليس كذلك بل يكون في غير الاستعارة ؛ لأن الواضع للمفردات لمعانيها بحسب الشخص كذلك وضع المركبات لمعانيها بحسب النوع، فهيئة التركيب مثلا في نحو " زيد قائم " موضوعة للإخبار بإثبات المسند للمسند إليه، فإذا استعمل ذلك المركب في غير ما وضع له، فإن كان لعلاقة المشابهة فهو استعارة، وإلا فغير استعارة، كقوله:

هَـــوايَ مــعَ الرَّكْـــبِ اليمـــانِيِّ مُصْــعِدٌ   جنيــــب وجثمـــاني بمكـــة موثــــق

فإن هذا التركيب موضوع للإخبار بأن مهويه مصعد مع الركب اليماني، أي موضوع للإخبار بنسبة الإصعاد إلى مهويه مع الركب اليماني، ونسبة الإيثاق بمكة إلى جثمانه، وليس هو المراد عنده، بل المراد عنده بهذا التركيب لازم معناه وهو التحزن والتحسر، لأنه يلزم من افتراقه مع مهويه وبقائه بمكة موثقا الحزن والحسرة .

---

(1) – صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الخطبة، الحديث رقم 5146، ج 7 ص 19

(2) – سورة الأحزاب، الآية: 72

(3) – وقد كنا ونحن صغار نحفظ هذا البيت:

الجـــــودُ والغــــولُ والعنقـــــاءُ ثالثـــــةٌ   أسمــــــاءُ أشـــــياءٍ لم تُخْلَـــــقْ ولم تكــــنِ

فصل في تحقيق معنى الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية

وإنما أفردهما الناظم بفصل على حدة، لأنهما على مذهب صاحب التلخيص أمران معنويان غير داخلين في تعريف المجاز، لأنه من عوارض الألفاظ، وهما عنده ليسا بلفظين بل فعلان قائمان بنفس المتكلم ؛ لأن الاستعارة بالكناية هي تشبيه شيء بشيء في النفس، والاستعارة التخييلية إثبات لازم المشبه به للمشبه، وإلى تعريفهما أشار الناظم بقوله:

قَـدْ يُضْـمَرُ التَّشْـبِيهُ فِي الـنَّفْسِ فَـلا يُـــذْكَرُ شَـــيْءٌ مِـــنْ أَدَاتِـــهِ خَـــلا مُشَبَّهًا . .

يعنى أن المتكلم قد يضمر التشبيه في نفسه، فلا يذكر شيئا من ذواته أي من أركانه الذاتية أي التي تتألف منها ذاته، خلا مشبها أي سوى المشبه فقط .

. **ثُمَّ لِهَـــــــــذَا يثْبُـــــــــتُ مَـــا اخْـــتُصَّ بِالآخِـــرِ ذَا الْقَرِينَـــةُ**

أي ثم يثبت المتكلم المضمر للتشبيه في نفسه لهذا أي للمشبه ما اختص بالآخر، أي أمرا مختصا بالمشبه به ذا القرينة، أي هذا الإثبات المذكور، أي إثبات بعض خواص المشبه به للمشبه هو القرينة الدالة على التشبيه المضمر في النفس، كقول الشاعر:

وإذا المنيـــــةُ أنشــــبتْ أظفارَهــــا ألفيـــتَ كـــلَّ تميمـــةٍ لا تنفـــعُ

شبه المتكلم المنيَّة أي الموت في نفسه بالسبع في اغتيال النفوس، فأثبت لها الأظفار التي لا يكمل الاغتيال في السبع بدونها، ولولا إثبات الأظفار لها لما فهم من البيت تشبيهه لها بالسبع .

قوله: يضمر بالبناء للنائب نائبه التشبيه، [326] وقوله فلا يذكر بالبناء له أيضا ونائبه شيء، وقوله من ذواته جمع ذات والمراد بها أركانه، وقوله خلامشبها بنصب مشبها على الاستثناء بخلا وهو فعل ماض وفاعله ضمير عائد إلى البعض المفهوم من المستثنى منه، وقوله في البيت الثاني: ثم لهذا المشار إليه المشبه، وقوله يثبت بالبناء للنائب ونائبه ما، وقوله ذا القرينة ذا مبتدأ خبره القرينة .

فَسَـــمِّ ذَا التَّشْـــبِيهَ بِالْمَكْنِيَّـــهْ عَنْهَـــا وذَا الإِثْبَـــاتَ تَخْيِيلِيَّـــهْ

أي سم هذا التشبيه الذي أضمرت في نفسك أيها المتكلم بالمكنية عنها، أي سمه استعارة مكنيا عنها واستعارة بالكناية، أما تسميته فلأنه لم يصرح به، بل إنما دل عليه بذكر لازم المشبه به لزوما

عرفيا أو عقليا، وأما تسميته استعارة فقد قال الفنري: بناء على أنه أشبه الاستعارة في صفة وهي ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به .

وقال الجربي: إنما سمي استعارة لأنه استغنى عن ذكر المستعار منه بذكر بعض لوازمه لينتقل الذهن منه إليه كما هو شأن الاستعارة، فإن الانتقال فيها من اللازم إلى الملزوم، فعلى هذا يكون إطلاق اسم الاستعارة على هذا النوع باشتراك اللفظ .

وسم ذا الإثبات أي إثبات بعض لوازم المشبه به للمشبه، وهو الأظفار للمنية في البيت تخييلية أي استعارة تخييلية، لأنه قد استعير ما يخص المشبه به وهو الأظفار في البيت، لتخييل أن المشبه من جنس المشبه به، ثم إن الأمر المختص بالمشبه به المثبت للمشبه إما أن يكون لا يكمل الوجه في المشبه به إلا به كالأظفار للأسد في البيت، وإما أن يكون لا يوجد الوجه فيه إلا به أي لا يوجد بدونه كقوله:

ولـئن نَطقْـتُ بِشِـكْرِ بِـرِّكَ مُفْصِـحاً فَلِسَـانُ حَـالِي بالشِّـكاية أَنْطَـقُ

شبه الحال بإنسان متكلم في الدلالة على المقصود، تشبيها مضمرا في نفسه، وأثبت لها اللسان الذي هو من خواص المشبه به أي الإنسان، واللسان لا يمكن وجود التشبيه في المشبه به بدونه، إذ هو الذي به قوام الدلالة في الإنسان المتكلم، فالتشبيه المضمر في النفس استعارة بالكناية، وإثبات اللسان لها استعارة تخييلية .

قال في فيض الفتاح: " فعلى ما ذكره صاحب التلخيص يكون كل من لفظي الإظفار والمنية حقيقة مستعملة فيما وضعت له، وليس في الكلام مجاز لغوي، وإنما المجاز في إثبات شيء لشيء ليس هو له، وهذا عقلي كإثبات الإنبات للربيع . "[1]

قلتُ: ما ذكره صاحب التلخيص هو قوله إنهما حقيقتان لغويتان غير داخلتين في قسم المجاز .

قوله: ذا الإثبات معطوف على المفعول به الأول لقوله فسم وهو ذا التشبيه، وقوله تخييلية معطوف على المفعول به الثاني وهو قوله بالمكنية .

فصل في تفسير الاستعارة وأقسامها على مذهب يوسف السكاكي

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص178

لأنه يخالف مذهب صاحب التلخيص فيها، فلذا فرده الناظم بفصل على حدته، وأشار إلى تعريف الاستعارة عنده بقوله:

وَالِاسْـــتِعَارَةُ لَـــدَى يُوسُـــفَ أَنْ ... يُـذْكَرَ مَـا مِـنْ طَـرَفِ التَّشْبِيهِ عَـنّْ
مُرِيــــدًا الآخَــــرَ بِادِّعَــــاءِ ... دُخُــــولِ مَــــا شُــــبِّهَ بِاقْتِفَــــاء

[327] فِي جِنْسِ مُشْبَهٍ بِهِ . .

يعنى أن الاستعارة لدى يوسف السكاكي، أي تعريفها على مذهبه، هو أن تذكر ما أي الذي عن بتخفيف النون أي عرض من طرفي التشبيه، أي أن تذكر أحد طرفي التشبيه حال كونك مريدا به أي مستعملا له في الطرف الآخر المتروك، وحال كونك مدعيا دخول ما شبه أي المشبه في جنس مشبه به أي المشبه به، وإنما قال هذا بسبب اقتفائه أي استقرائه وتتبعه لتراكيب البلغاء، فوجدهم يستعملون أي الطرفين شاءوا في الآخر، ويسمون ذلك الاستعمال استعارة كما تقول في الْحَمَّامِ أسد، وأنت تريد به الرجل الشجاع، مدعيا أنه من جنس الأسد، فتثبت له ما يخص المشبه به وهو اسم جنسه، وكما تقول: " أنشبت المنية أظفارها " وأنت تريد بالمنية السبع بادعاء السبعية لها، فتثبت لها ما يخص السبع المشبه به وهو الأظفار، ويسمى المشبه به سواء كان هو المذكور أو المتروك مستعارا منه، ويسمى اسم المشبه به مستعارا، ويسمى المشبه مستعارا له .

قوله: بادعاء أي بسبب ادعاء دخول ما شبه، فالباء سببية، وقوله عنَّ فعل ماض وهو صلة لقوله ما، وقوله من طرف التشبيه بيان لما، والعائد إلى الموصول ضمير مستتر مرفوع بعده .

. وقُسِّـــــــــــــــــــــمَا ... إِلَى مُصَـــــــرَّحٍ ومَكْـــــــنِيٍّ . .

أيْ وقسم الاستعارة إلى مصرح ومكنى عنها، وفسرهما بقوله:

فمــا يُنْــوَى مُشَــبَّهٌ فَقَــطْ مُصَــرَّحُهْ ... وعَكْسُــهَا الْمَكْــنِيُّ قَــوْلٌ رَجَّحَــهْ

أي فالاستعارة التي ينوى فيها المشبه فقط ويذكر المشبه به تسمى استعارة مصرحة وتصريحية، للتصريح فيها بذكر المشبه به، وعكسها، وهي الاستعارة التي ينوى فيها المشبه به فقط ويذكر المشبه تسمى استعارة مكنية ومكنى عنها واستعارة بالكناية .

قوله: قول رجحه يعنى أن هذا القول رجحه السكاكي، فلفظ المنية عنده في قول الشاعر: أنشبت

المنية أظفارها المراد به السبع، بادعاء السبعية لها، بقرينة إضافة الأظفار التي هي من خواصه إليها، فذكر المشبه وهو المنية وأراد المشبه به وهو السبع، ورد ذلك بأن لفظ المشبه فيها وهو المنية مستعمل فيما وضع له قطعا وهو الموت، وإضافة الأظفار قرينة تشبيهها بالسبع المضمر في النفس، وهو ينافي تفسيره الاستعارة بذكر أحد الطرفين مرادا به الآخر، وقسم الاستعارة المصرح بها إلى تحقيقية وتخييلية، وفسر التحقيقية بأن يكون المشبه المتروك محققا حسا أو عقلا، وفسر التخييلية بضد تفسير التحقيقية، وهو أن يكون المشبه فيها غير محقق حسا ولا عقلا، بل صورة وهمية محضة لا وجود لها في الخارج، كلفظ الأظفار للمنية، فإنه لما شبه المنية بالسبع في الاغتيال أخذ الوهم في تصويرها بصورته فاخترع لها صورة مثل صورة أظفاره، ثم أطلق عليها لفظ الأظفار فتكون تصريحية لا مكنية، لأنه أطلق اسم المشبه به وهو الأظفار المحققة على المشبه [328]وهو الصورة الوهمية الشبيهة بصورة الأظفار المحققة، والقرينة إضافتها إلى المنية، فالتخييلية عنده قد تكون بدون المكنية وهو مخالف لتفسير غيره على ما فيه من التعسف .

وَالتَّبَعِيَّــــــــــــــةَ إِلَيْهَــــــــــا رَدَّا

يعنى أن السكاكي رد الاستعارة التبعية إلى الاستعارة بالكناية، أي جعلها قسما من أقسامها، بجعل قرينتها مكنيا عنها، وجعل التبعية قرينة المكني عنها، ونفي التبعية من أصلها، ففي " نطقت الحال بكذا " جعل القوم نطقت استعارة بقرينة الحال وهو حقيقة، والسكاكي يجعل الحال استعارة بالكناية عن الإنسان المتكلم، ونسبة النطق إليها قرينة الاستعارة، وإنما اختار هذا إيثارا للضبط وتقليلا للأقسام، ورد بأنه إن قدر التبعية حقيقة لم تكن تخييلية ؛ لأن التخييلية مجاز عنده، حيث جعلها من أقسام المصرحة المفسرة بذكر المشبه به وإرادة المشبه، وحينئذ لا تكون المكنى عنها مستلزمة للتخييلية، وذلك باطل بالاتفاق، إذ لا توجد مكنية بدون تخييلية قطعا، وإن قدرها مجازا لزم أن تكون استعارة تبعية ضرورة، إذ العلاقة فيها المشابهة والمستعار الفعل .

قوله: التبعية بالنصب مفعول لقوله ردا بالبناء للفاعل وهو ضمير عائد إلى السكاكي، والألف للإطلاق .

وشَــــيْخُنَا يَقُــــولُ عَكْــــسٌ أَجْــدَى

يعنى أنَّ شيخه وهو الكافيجي يقول: إن عكس مذهب السكاكي أجدى أي أنفع وأولى من مذهبه، والعكس هو كون الاستعارة بالكناية داخلة في التبعية، فهي قسم من أقسامها، لكونها أظهر من الكناية .

قوله: عكس مبتدأ خبره قوله أجدى، والجملة مقول القول .

وَفِي الحَقِيقِيَّةِ تَمْثِيلٌ دَخَلْ لَدَيْهِ والتَّخْيِيلُ عَكْسُهُ جُعِلْ

يعنى أن التمثيل على سبيل الاستعارة، داخل لدى السكاكي في قسم الاستعارة التحقيقية، ورد ذلك بأن التمثيل مستلزم للتركيب المنافي للإفراد، فلا يصح عده من الاستعارات التي هي من أقسام المجاز في المفرد ؛ لأن تنافي اللوازم يدل على تنافي الملزومات، وإلا لزم اجتماع المتنافيين ضرورة وجود اللازم عند وجود الملزوم .

قوله: والتخييل إلخ يعنى أن التخييل أي الاستعارة التخييلية جعلها السكاكي عكس التحقيقية أي فسرها بضد تفسيرها وهو ما لا تحقق لمعناه حسا ولا عقلا .

قوله: جعل بالبناء للنائب نائبه ضمير عائد إلى التخييل، وعكسه بالنصب مفعوله الثاني قدم عليه .

فصل في شروط الاستعارة

التي إذا لم تصادفها الاستعارة عريت عن الحسن، واكتسبت قبحا، وإن كانت الاستعارة صحيحة، وإلى تلك الشروط أشار بقوله:

الحُسْنُ فِي اسْتِعَارَةِ التَّخْيِيلِ بِحَسَبِ الْمَكْنِيِّ والتَّمْثِيلِ

يعنى أن حسن الاستعارة التخييلية كائن بحسب حسن المكنية، أي منوط بحسن الاستعارة المكنية ؛ لأنها تابعة لها أبدا عند صاحب[329] التلخيص، فليست بتشبيه بل هي حقيقة كما مر، فحسنها تابع لحسن متبوعها .

وَالتَّمْثِيلِ، وذِي الْكِنَايَةِ وذِي التَّحْقِيقِ أَنْ يَرْعَى الَّذِي فِي وجْهِ تَشْبِيهٍ زُكِنْ

يعنى أن الحسن في التمثيل على سبيل الاستعارة، والحسن في الاستعارة ذي الكناية أي المكنى عنها، والحسن في الاستعارة ذي التحقيق، هو أن يرعى الذي في وجه تشبيه زكن أي حاصل برعي الذي زكن، أي علم في وجه التشبيه من شرط، أي حسن هذه الثلاثة منوط ومرتبط بمراعاة شرائط

الحسن في التشبيه، كأن يكون وجه الشبه شاملا للطرفين، والتشبيه وافيا بإفادة الغرض سالما من الابتذال عند مخاطبة الذكي، ونحو ذلك مما سبق في باب التشبيه، وإنما كان ذلك لأن مبنى هذه الثلاثة على التشبيه، فهي تابعة له في الحسن والقبح .

قوله: والتمثيل بالجر عطف على قوله في استعارة في البيت قبله، وذي الكناية بالجر عطف على التمثيل، وذي التحقيق عطف على ذي الكناية، ووصف الاستعارة بذي وهي للمذكر بالنظر إلى المجاز أي والمجاز ذي الكناية والمجاز ذي التحقيق .

وَلا يُشَـــمُّ رِيحُـــهُ لَفْظًـــا وأَنْ يَجْلُــوْ ولا يَكُــونُ كَالأَلْغَــازِ عَــنَّ

قوله: ولا يُشم بالنصب مضارع معطوف على قوله أن يراعي وكذا قوله وإن يجلو بتقدير الفتحة على الواو للضرورة، يعنى أنه يشترط في حسن الثلاثة المتقدمة مع ما تقدم أن لا تشم رائحة التشبيه من جهة اللفظ، وإنما اشترط ذلك لأن الأصل في التشبيه إلحاق الناقص في الوجه بالكامل فيه وإشمامها رائحة التشبيه يبطل الغرض المقصود من الاستعارة، وهو ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به، وإنما قلنا من جهة اللفظ ؛ لأن المعنى على التشبيه قطعا، وإنما ذكر إشمام الرائحة المنبئ عن القلة لأنه لو زيد عليها بأن بين مثلا المشبه به المذكور بالمشبه كما في الخيط الأبيض والأسود المبينين بقوله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[1]أو بأن يذكر وجه الشبه كما في " رأيت أسدا يرمى " في الشجاعة لم يكن استعارة أصلا، بل يعد مثل ذلك تشبيها .

قوله: وإن يجلو إلخ أي ويشترط في حسن الثلاثة أيضا مع عدم إشمام رائحة التشبيه أن يجلو وجه التشبيه فيها أي يكون جليا، فلا يكون خفيا كالألغاز، لأنه إذا لم يكن جليا مع عدم إشمام رائحة التشبيه لم تحصل دلالة عليه، فلا يعلم ثبوته للمشبه فيكون ألغازا .

فَــــلا يُقَـــالُ أَسَـــدٌ لأَبْخَـــرَا

أي ولأجل اشتراط الجلاء أي الوضوح في وجه التشبيه في الثلاثة المتقدمة، لا يجوز أن يقال في الاستعارة التحقيقية: " رأيت أسدا يرمى " لإنسان أبخر أي مرادا به إنسانا أبخر أي منتن الفم ؛ لأن

(1) - سورة البقرة، الآية: 187

الوجه هنا وهو البخر خفي لعدم شهرة الأسد به، ولا أن يقال في التمثيل على سبيل الاستعارة: " رأيت عودا مسقيا أوان [330] الغرس " وأنت تريد إنسانا مؤدبا في صباه، ولا أن يقال: " رأيت إبلا مائة لا تجد فيها راحلة " وأنت تريد الناس .

الراحلة البعير الذي يعده الرجل للارتحال عليه، لخفاء الوجه فيهما، بل يجب حينئذ التشبيه فيقال: " زيد كالأسد في البخر " و" المؤدب في صباه كالعود المسقي أوان الغرس " و" الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة "

وإنْ قَــوِي التَّشْــبِيهُ حَــتَّى صَــيَّرَا
طَرَفَيْــهِ كَالْوَاحِــدِ مِثْــلَ الْعِلْــمِ والنُّــورِ فَاسْــتِعَارَةٌ ذُو حَــتْمِ

يعنى أن التشبيه أي الشبه إذا قوي بين الطرفين، حتى صير بالبناء للنائب طرفاه أي طرفا التشبيه كالشيء الواحد، والمقصود تحسين الكلام، مثل العلم والنور، أي مثل قوة الشبه بين العلم والنور والجهل والظلمة، فإن العلم لشدة شبهه بالنور صار كأنه هو، وكذا الجهل مع الظلمة .

فاستعارة ذو حتم أي فالاستعارة حينئذ واجبة أي مستحسنة، إذ المستحسن في باب البلاغة كالواجب، ولا يجوز التشبيه أي لا يحسن، فتقول مثلا إذا فهمت مسألة من العلم: " حصل في قلبي نور " ولا يحسن أن تقول: " علم كالنور " وإن كان ذلك صحيحا، وكذا تحسن الاستعارة دون التشبيه حيث يكون التشبيه بين الطرفين خفيا والخطاب مع الخاصة .

قوله: قوى بتخفيف الياء لضرورة الوزن، وقوله صير بالبناء للنائب نائبه طرفاه، وجواب الشرط قوله: فاستعارة ذو حتم من المبتدأ وخبره .

خاتمة

في بيان معنى آخر للمجاز، مشترك بين الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له، وبين التي تغير حكم إعرابها، فإطلاق المجاز على كل منهما حقيقة، وظاهر المفتاح أن الموصوف بهذا النوع من المجاز هو الإعراب، والمقصود من الفن هو المجاز بالمعنى الأول، لكن ذكرنا الثاني اقتداء بالسلف .

قَــدْ يُطْلَــقُ الْمَجَــازُ فِيمَــا غُــيِّرَا إعْرَابُــهُ بِزَيْــدٍ أو حَــذْفٍ عَــرَا

يعنى أن المجاز قد يطلق على الكلمة، أو الكلام الذي غير، بالبناء للنائب أي حرف إعرابه الأصلي إلى غيره، بسبب زيد أي زيادة لفظ، أو حذف لفظ عرى أي عرض له .

فالأول: كقوله تعالى :

﴿لَـيْسَ كَمِثْلِـهِۦ شَىْءٌ﴾ يُرِيـدُ الْمِـثْلا   وكَاسْـــأَلِ الْقَرْيَـــةَ يَعْـــنِي الأَهْـــلا

أيْ يريد، ليس مثله شيء، فالإعراب الأصلي في مثل النصب لأنه خبر ليس، وقد تغير بسبب زيادة الكاف إلى الجر لأن المقصود نفي أن يكون شيء مثله لا نفي أن يكون شيء مثل مثله، إذ لا مثل له ﷻ حتى ينفى عنه المثل .

قال في فيض الفتاح: " ويحتمل أن لا تكون الكاف زائدة، بل تكون نفيا للمثل بطريق الكناية، لأنه تعالى موجود ولا يمكن نفي الموجود، فإذا نفي مثل مثله لزم نفي مثله ضرورة أنه لو كان له بطريق مثل لكان هو تعالى مثل مثله، فلم يصح نفي مثل مثله، والله تعالى أعلم . "[1]

وَالثاني: [331] وهو الذي تغير إعرابه الأصلي إلى غيره بسبب حذف كَقَوله تعالى:

﴿وَسْـــَٔلِ ٱلْقَرْيَـــةَ﴾ يَعْنِـــى الأَهْـــلا

أي يعنى بالسؤال أو بالقرية أهلها، لأنهم المقصودون بالسؤال، لأجل الجواب، والجواب لا يمكن من القرية ؛ لأن القرية هي نفس الجدران وهي لا تتكلم عادة، وإن كان الله قادرا على إنطاقها، وهذا حيث لم يرد التعبير بالقرية عن أهلها وإلا كان مجازا مرسلا من تسمية الحال باسم المحل، ويحتملهما قول الناظم، يعنى أهلا، إذ يحتمل يعنى بالسؤال أهلها، فتكون القرية على حذف مضاف أي اسأل أهل القرية، والإعراب الأصلي فيها الجر، وقد تغير بسبب الحذف أي حذف الأهل إلى النصب، ويحتمل يعنى بالقرينة أهلها فتكون القرية مستعملة في الأهل مجازا من تسمية الحال باسم المحل، ومنه قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[2] أي أمره لاستحالة اتصافه تعالى بالمجيء، إذ المجيء من صفات الأجسام، ولا يقال مجيء الأمر مستحيل، لأنا نقول إن له معنى في نفسه مجازيا كبلوغه المخاطبين .

(1) – فيض الفتاح م س ج2 ص187

(2) – سورة البلد، الآية: 22

قال ياسين: بل قد يدعى أنه حقيقة عرفية ؛ لأن المتبادر من قولنا عرفا: " جاء أمر السلطان بكذا " بلوغ أمره إلينا، والألف في قوله أهلا وقوله قبل المثلا للإطلاق .

الكنـــايـة

وهي لغة مصدر كنيتَ بكذا عن كذا أو كنوتَ إذا لم تصرح به .

واصطلاحا تطلق بمعنى المصدر، أعني " ذكرَ المتكلم المَلزومَ وإرادةَ اللازم مع جواز إرادة الملزوم أيضا "

فاللفظ مكنى به، والمعنى مكنى عنه، وتطلق أيضا على نفس اللفظ، وإلى تفسيرها بهذا المعنى الأخير أشار الناظم بقوله:

لَفْـــظٌ أُرِيـــدَ لازِمُ مَعْنَـــاهُ مَـــعْ جَـــوَازِ أَنْ يُقْصَـــدَ مَعْنَـــاهُ تَبَـــعْ

أي الكناية في الاصطلاح لفظ أريد به لازم معناه، أي المعنى الذي يلزم من معناه الأصلي، مع جواز أن يقصد معناه الأصلي تبعا أي بالتبع لمعناه اللازم لا بالذات .

قوله: تبع بالوقف على السكون على لغة ربيعة، وسمي هذا النوع كناية لما فيه من خفاء وجه الدلالة، وكذا الكنية النحوية وهي " علم صدر بأب أو أم أو ابن أو بنت " .

فالكناية اصطلاحا " هي اللفظ المستعمل في لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى الحقيقي " كما تقدم أول هذا الفن، فالكناية على هذا مستعملة في غير ما وضعت له وما وضعت له، فليست بحقيقة ولا مجاز، وهو مذهب التلخيص، لمنعه في المجاز أن يراد المعنى الحقيقي مع المجازي، وتجويزه ذلك فيها، وإلى هذا أشار الناظم بقوله:

وَمِـــنْ هُنَـــا تُخَـــالِفُ الْمَجَـــازَا

يعنى أن الكناية تخالف المجاز من هنا أي من هذا القيد، وهو جواز إرادة المعنى الحقيقي فيها مع المعنى المجازي .

وقال ابن عبد السلام: إنها حقيقة لاستعمالها [332] في موضعها مرادا بها الدلالة على غيره، وقيل مستعملة في كلا المعنيين فهي مجاز .

واختار تاج الدين السبكي انقسامها إلى حقيقي ومجاز، فإن استعمل اللفظ في معناه مرادا منه لازم

المعنى فهو حقيقة، وإن لم يرد المعنى، وإنما عبر بالملزوم عن اللازم فهو مجاز لاستعماله في غير ما وضع له، فالحقيقة منها اللفظ مرادا به الموضوع استعمالا واللازم إفادة، والمجاز منها اللفظ مرادا به اللازم استعمالا وإفادة .

تنبيــــــه

وَلِلْكِنَايَةِ أسباب:

أَحَدُهَا: التَّنْبِيهُ عَلَى عِظَمِ الْقُدْرَةِ نَحْوُ: ﴿**هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ**﴾ كِنَايَةٌ عَنْ آدَمَ

ثَانِيهَا: تَرْكُ اللَّفْظِ إِلَى مَا هُوَ أَجْمَلُ نَحْوُ: ﴿**إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ**﴾[1] فَكَنَّى بِالنَّعْجَةِ عَنِ الْمَرْأَةِ كَعَادَةِ الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ ؛ لأن تَرْكَ التَّصْرِيحِ بِذِكْرِ النِّسَاءِ أَجْمَلُ مِنْهُ، ولهذا لَمْ تُذْكَرْ فِي الْقُرْآنِ امْرَأَةٌ بِاسْمِهَا إِلَّا مَرْيَمَ .

قَالَ السُّهَيْلِيُّ[2]: وإِنَّمَا ذُكِرَتْ مَرْيَمُ بِاسْمِهَا عَلَى خِلَافِ عَادَةِ الْفُصَحَاءِ لِنُكْتَةٍ، وهُوَ أَنَّ الْمُلُوكَ والْأَشْرَافَ لَا يَذْكُرُونَ حَرَائِرَهُمْ فِي مَلَإٍ ولَا يَبْتَذِلُونَ أَسْمَاءَهُنَّ، بَلْ يُكَنُّونَ عَنِ الزَّوْجَةِ بِالْفَرْشِ والْعِيَالِ ونَحْوِ ذَلِكَ، فَإِذَا ذَكَرُوا الْإِمَاءَ لَمْ يُكَنُّوا عَنْهُنَّ ولَمْ يَصُونُوا أَسْمَاءَهُنَّ عَنِ الذِّكْرِ، فَلَمَّا قَالَتِالنَّصَارَى فِي مَرْيَمَ مَا قَالُوا صَرَّحَ اللهُ بِاسْمِهَا، ولَمْ يَكُنْ تأكيدا للعبودية إلا الَّتِي هِيَ صِفَةٌ لَهَا وتَأْكِيدًا لِأَنَّ عِيسَى لَا أَبَ لَهُ وإِلَّا لَنُسِبَ إِلَيْهِ .

ثَالِثُهَا: أَنْ يَكُونَ التَّصْرِيحُ مِمَّا يُسْتَقْبَحُ ذِكْرُهُ كَكِنَايَةِ اللهِ عَنِ الْجِمَاعِ بِالْمُلَامِسَةِ والْمُبَاشِرَةِ والْإِفْضَاءِ

---

(1) - سورة [ص: 23]

(2) هو: أبو زيد وأبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي الأندلسي المالقي. ولد سنة (508 هـ) وكف بصره وهو ابن سبع عشرة سنة، كان واسع العلم غزير المعرفة بالعربية واللغة والقراءات وعالما بالتفسير وصناعة الحديث حافظا للتاريخ والرجال والأنساب، تصدر للإقراء والتدريس وبعد صيته في مراكش وغيرها، **مصنفاته:** له في النحو: نتائج الفكر وهو كتاب محقق بكلية اللغة (رسالة دكتوراه) وقد طبع في ليبيا، وله شرح الجمل، وله الروض الأنف في شرح السيرة وهو مطبوع، وله كتب في التفسير. وقد توفي السهيلي سنة (581هـ). انظر ترجمته في: بغية الوعاة (81/2). والأعلام (313/3). ونكت الهميان في نكت العميان، لصلاح الدين الصفدي، تح: أحمد زكي بك، المطبعة الجمالية مصر (ص: 187). وزاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، لأبي صفوان بن ادريس المورسي، تح: عبد القادر محداد، بيروت، 1939 (ص: 96).

والرَّفَثِ والدُّخُولِ والسِّرِّ في قوله: ﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾[1] والْغَشَيَانِ فِي قَوْلِهِ ﴿فَلَمَّا تَغَشَّيٰهَا﴾[2]

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ الْمُبَاشَرَةُ الْجِمَاعُ ولَكِنَّ اللهَ يُكَنِّي .

وَأَخْرَجَ عَنْهُ قَالَ إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُكَنِّي مَا شَاءَ، وإِنَّ الرَّفَثَ هُوَ الْجِمَاعُ، وكَنَّى عَنْ طَلَبِهِ بِالْمُرَاوَدَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾[3] وعَنْهُ أَوْ عَنِ الْمُعَانَقَةِ بِاللِّبَاسِ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[4] وبِالْحَرْثِ فِي قَوْلِهِ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾[5]

وَكَنَّى عَنِ الْبَوْلِ ونَحْوِهِ بِالْغَائِطِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾[6] وأَصْلُهُ الْمَكَانُ الْمُطْمَئِنُ مِنَ الْأَرْضِ .

رَابِعُهَا: قَصْدُ الْبَلَاغَةِ والْمُبَالَغَةِ نَحْوُ: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ١٧﴾[7] كَنَّى عَنِ النِّسَاءِ بِأَنَّهُنَّ يَنْشَأْنَ فِي التَّرَفُّهِ والتَّزَيُّنِ الشَّاغِلِ عَنِ النَّظَرِ فِي الْأُمُورِ، ودَقِيقِ الْمَعَانِي، ولَوْ أَتَى بِلَفْظِ " النِّسَاءِ" لَمْ يُشْعِرْ بِذَلِكَ، والْمُرَادُ نَفْيُ ذَلِكَ عَنِ الْمَلَائِكَةِ وقَوْلُهُ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[8] كِنَايَةٌ عَنْ سَعَةِ جُودِهِ وكَرَمِهِ جِدًّا .

خَامِسُهَا: قَصْدُ الِاخْتِصَارِ كَالْكِنَايَةِ عَنْ أَلْفَاظٍ مُتَعَدِّدَةٍ بِلَفْظِ فَعَلَ نَحْوُ: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ٨١﴾[9] ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾[10] أَيْ فَإِنْ لَمْ تَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ .

(1) – سورة [البقرة: 235]

(2) – سورة [الأعراف: 189]

(3) – سورة [يوسف: 23]

(4) – سورة [البقرة: 187]

(5) – سورة [البقرة: 223]

(6) – سورة [النساء: 43]

(7) – سورة الزخرف، الآية: 18

(8) – سورة المائدة، الآية: 64

(9) – سورة المائدة: 79

(10) – سورة البقرة: 24

سَادِسُهَا: التَّنْبِيهُ عَلَى مَصِيرِهِ نَحْوُ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وتَبَّ ١﴾[1] أَيْ جَهَنَّمِيٌّ مَصِيرُهُ إِلَى اللَّهَبِ"[2][333]

تنبيه آخر:

اعلم أن يوسف السكاكي فرق بين الكناية والمجاز بأن الانتقال في الكناية من اللازم إلى الملزوم كالانتقال من طول النجاد إلى طول القامة، والانتقال في المجاز من الملزوم إلى اللازم كالانتقال من الغيث إلى النبات، ومن الأسد إلى الشجاع، ورد هذا الفرق بأن اللازم ما لم يكن ملزوما بنفسه أو بانضمام قرينة إليه لم ينتقل منه إلى الملزوم ؛ لأن اللازم من حيث أنه لازم يجب أن يكون أعم من الملزوم، ولا دلالة للعام على الخاص، وحينئذ يكون الانتقال في الكناية من الملزوم إلى اللازم كما في المجاز، فلا يتحقق الفرق، قاله في الشهدة الصريحة .

والألف في قوله المجازا وقوله إنجازا للإطلاق .

أَقْسَامُهَا ثَلاثَةٌ يعنى أن أقسام الكناية ثلاثة:

الأول منها: **مَا انْحَازَا، بِهَا سِوَى نِسْبَةٍ أو وصْفٍ** أيْ الكناية التي إنجاز أي سُلك وقصد بها معنى سوى نسبة أو وصف أي معنى ليس بنسبة ولا وصف بأن يطلب بها تمييز موصوف أي تعيينه، **وذَا** أي هذا اللفظ المعني به المطلوب به تمييزا لموصوف، **قدْ يَكُونُ مَعْنًى واحدا** بأن يتفق في صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين، فتذكر تلك الصفة ليفهم منها الموصوف أي الذات، والمراد بالاختصاص ما يعم الحقيقي كالواجب والقديم، وغير الحقيقي كما إذا اشتهر زيد مثلا بالمضيافية وصار تاما في ذلك بحيث لا يعتد بمضيافية غيره، ثم الصفة من حيث هي صفة لا تدل على معين، بل على موصوف ما، فيكون اختصاصها بموصوفها لأسباب خارجة عن مفهومها، فيكون عارضا، وشاهد هذا القسم الأول هذا البيت الذي لا يعرف صاحبه معاهد التنصيص قائله:

الضَّـــاربينَ بكـــلِّ أبـــيضَ مِخْـــذَمِ والطّـــاعنينَ مَجـــامِعَ الأضْـــغانِ

(1) - سورة المسد: 1

(2) - الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، النوع الرابع والخمسون في كناياته وتعريضه. ج3 ص160

المخذم كمنبر القاطع، والضغن الحقد، ومجامع الأضغان كناية عن القلوب، وهو معنى واحد كما تقول: " جاء المضياف " وتريد زيدا لِعارِضِ اختصاصه به .

أَوْ مَعَانٍ تُحْتَذَى أي ويكون معانٍ تحتذى أي تتبع، بأن تؤخذ صفة فتضم إلى لازم آخر وآخر لتصير جملتها مختصة بموصوف، فيتوصل بذكرها إليه، كقولنا كناية عن الإنسان: " حيٌّ مُسْتَوِى القامة عريضُ الأظفار " فإن كلا من هذه الثلاثة غير مختص بالإنسان، لوجوده في غيره، لكن جملتها مختصة به لا توجد في غيره .

قوله: أو معان بالعطف على قوله معنى وهو خبر كان بتقدير النصب في المنقوص، لضرورة الوزن .

شَـــرْطُهُمَا التَّخْصِـيصُ بِالَّـــذِي كُـــنِي عَنْـــــــــــــــــــــــــــــــــــهُ .

يعنى أنه يشترط في الكناية التي يطلب بها تمييز الموصوف التخصيص، أي الاختصاص بالمعنى الذي كني عنه، أي أن تكون مختصة به لا توجد في غيره، ليحصل الانتقال من الملزوم إلى اللازم، بأن يكون مساويا أو أخص لا أعم، إذ الأعم لا ينتقل منه إلى الأخص، لعدم دلالة العام على الخاص، إلا أن هذا الشرط يجرى في سائر أقسام الكناية . [334]

قال الجربي: لأنها انتقال من الملزوم إلى اللازم، والأولى تسمى قريبة، أعني ما هي معنًى واحدٌ سماها أهلُ الفن قريبة، لسهولة مأخذها، لبساطتها وعدم احتياجها إلى ضم لازم إلى آخر وتكلف الاختصاص .

والثانية وهي المركبة من معان تسمى بعيدة ؛ لأنها يتكلف اختصاصها بأن يضم إلى اللازم آخر، فيلفقُ وصفٌ مجموعيٌ مانع من دخول كل ما عدا الموصوف في ذلك المجموع، وتسمى هذه خاصة مركبة، كما تسمى التي قبلها خاصة بسيطة ومفردة .

وَالثاني من أقسام الكناية: **مَا يُطْلَبُ مَا الْوَصْفُ** أي الكناية التي يطلب بها الوصف، كالجود والكرم والشجاعة، وليس المراد الوصف النحوي، وهي ضربان قريبة وبعيدة، والقريبة قسمان واضحة وخفية، والواضحة قسمان ساذجة وغير ساذجة، وإلى هذا التقسيم أشار بقوله:

إن يُنْقَــلْ بِــلا واسِــطَةٍ قَرِيبَــةُ وهَــــذِهِ واضِــــحَةٌ خَفِيَّـــةُ

يعنى أن الكناية التي يطلب بها الوصف قسمان: قريبة وبعيدة، فالقريبة هي أن ينتقل الذهن من الكناية إلى المكنى عنه بلا واسطة، وهذه أي الكناية القريبة قسمان: واضحة وخفية فالواضحة هي التي لا يتوقف الانتقال منها إلى المعنى المقصود المكنى عنه على تأمل والخفية هي التي لا يتيسر الانتقال منها لكل أحد، بل لمن له دقة نظر .

قوله: يطلب بسكون الباء للضرورة، وقوله قرينة بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي فهي قرينة، والجملة جواب الشرط، وقوله ينقل بالبناء للنائب نائبه ضمير عائد إلى الذهن المفهوم من المقام، وقد أشار الناظم إلى مثاليهما بقوله:

طُـولُ النِّجَـادِ عَـنْ طَوِيـلِ الْقَامَـةِ وذُو الْقَفَـا الْعَـرِيضِ عَـنْ بَـلادَة

أي فالكناية القريبة الواضحة كالكناية عن طويل القامة في قولك: " فلان طويل النجاد " والكناية القريبة الخفية كالكناية بعرض القفا عن البلادة في قولك: " فلان عريض القفا " وكذا عظم الرأس في قولك: " فلان عظيم الرأس " فإن عرض القفا وعظم الرأس بالإفراط مما يستدل به على بلاهة الرجل وغباوته، فهما ملزومان لهما بحسب العرف، لكن في الانتقال منهما إليهما نوع خفاء، وليس ينتقل منهما إلى أمر آخر، ومنه إلى المقصود، وبهذا تمتاز الخفية من البعيدة أي بعدم الواسطة في هذه ووجودها في تلك .

وأشار إلى قسمي الواضحة بقوله:

وَنِسْـبَةُ التَّصْـرِيحِ مَـا مِنْهَـا حَـوَتْ مُضْـمَرَةٌ سَـاذِجَةٌ مَـا قَـدْ خَلَـتْ

يعنى أن الكناية القريبة الواضحة إذا كانت حاوية لضمير الموصوف كان فيها شوب تصريح، أي كانت مشوبة بالتصريح، وهي المسماة بغير الساذجة، وإذا لم تكن حاوية له [335] فليست مشوبة به، وهي المسماة بالساذجة أي الخالصة من شائبة التصريح .

فالأولى: وهي الحاوية لضمير الموصوف المسماة غير ساذجة كما في قولهم: " زيد طويل النجاد " ففي هذه الكناية شوب تصريح ؛ لأن الصفة لما أضيفت إلى ما بعدها، ولا بد لها من فاعل، وجب أن تكون مسندة إلى ضمير يعود إلى زيد يربطها به ؛ لأنها خبر عنه، وفى هذا نوع تصريح بنسبة الطول إليه، والدليل على ذلك أنك تقول: " هند طويلة النجاد " " والزيدان طويلا النجاد " "

والزيدون طوال النجاد " فتؤنث وتثنى وتجمع الصفة لإسنادها إلى ضمير الموصوف .

والثانية: وهي غير الحاوية ضمير الموصوف وهي الساذجة أي الخالصة من شوب التصريح، كما في قولهم: " زيد طويلٌ نجاده " لأن الطول فيه مسند إلى النجاد ظاهرا وحقيقة، فليس فيه ضمير قطعا انتهى .(1)

والدليل على ذلك أنك تقول: " زيد طويل نجاده " و" هند طويل نجادها " و" الزيدان طويل نجادهما " و" الزيدون طويل نجادهم " بإفراد الصفة وتذكيرها، لإسنادها إلى الظاهر .

وأشار إلى القسم الثاني من قسمي الكناية المطلوب بها بيان الوصف، وهي البعيدة، بقوله:

أَوْ بِوَسَــــاطَةٍ فَـــــذُو الإِبْعَـــادِ

قوله أو بوسائط معطوف على قوله بلا واسطة أي وإن ينقل الذهن من الكناية إلى المعنى المقصود المكنى عنه بسبب وسائط متعددة أو واسطة واحدة فهي الكناية ذو الإبعاد أي ذات الإبعاد أي المسماة بالبعيدة كَقولهم في طلب بيان المضيافية ونسبتها للرجل **الْكَرِيمِ** كزيد مثلا، زيد **مُكْثِرِ الرَّمادِ** أو كثيره، كناية عن المضيافية .

ومنه قول كعب بن مالك ﷺ:

عظـيمُ رَمـادِ الْقِـدْرِ في كـل شَـتْوَةٍ   ضـروبٌ بنصـل الْمَشْـرَفِيّ الْمُهَنَّـدِ

فإن الذهن ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدر، وهذا هو معنى قوله:

فَلِلْوَقُـــــودِ فَــــالطَّبِيخُ يَنْتَقِـــلْ

أيْ فينتقل الذهن من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الوقود، أي إحراق الحطب تحت القدر، ثم إلى كثرة الطبيخ، أي طبيخ اللحم وسائر المأكولات فيها .

فَكَثْرَةُ الأَكْلِ أي ثم ينتقل من كثرة الطبيخ إلى كثرة الأكل بسبب كثرة الأَكَلَةِ .

فَلِلضَّيْفِ وَصَلْ أي ثم يصل وينتقل من كثرة الأكل الناشئ عن كثرة الأكلة للضيف أي إلى كثرة جنس الضيف أي كثرة الضيفان، ومن كثرة الضيفان إلى كون الموصوف مضيافا وهو المعنى المقصود، وبحسب قلة الوسائط وكثرتها تختلف الدلالة على المعنى المقصود وضوحا وخفاء،

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص192

ومنها قولهم: " فلانٌ جَبانُ الْكلْبِ ومَهزولُ الْفَصيل " فإن جبن الكلب عن الهرير في وجه من يدنو منه، مع كون الهرير والنباح في وجه من لا يعرف أمرا طبيعيا، مشعر باستمراره وتأديبه له، لامتناع تغير الطبيعة لغير موجب، واستمرار تأديبه أن لا ينبح مشعر باستمرار موجب نباحه، وهو اتصال مشاهدته وجوها إثر وجوه، وذلك مشعر بكون ساحته مقصودة، وذلك مشعر بشهرة صاحب [336] الساحة بقري الأضياف .

قال: وما يكُ فِيَّ مِنْ عَيْبٍ فَإنِّي جَبانُ الْكَلْبِ مَهْزولُ الْفَصِيلِ

وكذلك هزال الفصيل يَلزمه فقدُ الأم، وفقدها مع عناية العرب بالنوق لا سيما المثليات منها يلزمه كمالُ الداعي إلى نحرها، ولا داعي إليه أقوى من صرفها إلى الطبائخ، وذلك يلزمه كونه مضيافا، واللام في قوله: فللوقود وقوله فللضيف بمعنى إلى، وقوله ينتقل بالبناء للفاعل فاعله ضمير عائد إلى الذهن المفهوم من المقام .

وَمَا عَدَا النِّسْبَةَ مِنْ مَطْلُوبِهِ كَالْمَجْدِ فِي بُرْدَيْهِ أَوْ فِي ثَوْبِهِ

يعنى أن ما عرى أي عرض من الكناية حال كونه النسبة أي تمييزها كائن من مطلوبه أي الكناية التي يطلب بها نسبة أي إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، كالمجد في برديه أو في ثوبه أي هذا مثالها، فقوله: كالمجد إلخ خبر قوله ما، فالمطلوب بهذه [337] الكناية إثبات المجد للغائب وإنما كان الكلام كناية عن إثبات المجد له .

إِذْ لَمْ يُصَرِّحْ بِثُبُوتِ ذَاكَ لَهْ بَلْ فِي الَّذِي احْتَوَى عَلَيْهِ جَعَلَهْ

أي لأجل أن المتكلم لم يصرح بثبوت المجد له بأن يقول: " زيد ماجد " مثلا، بل كنى عنه حيث جعله في الذي احتوى واشتمل عليه، وهو البردان أو الثوب، ولا استحالة في كون الصفة بين البردين أو في الثوب تبعا لموصوفها .

ومنه قول الشاعر:

إنَّ السّماحةَ والْمروءةَ والنّدى في قُبَّةٍ ضُربتْ على ابن الْحَشْرَجِ

المروءة كمال الرجولية، أراد أن لا يصرح بنسبة السماحة والمروءة والندى لابن الحشرج بأن يقول: " السماحة والمروءة والندى لابن الحشرج " فجمع الثلاثة في قبة فلم يتم غرضه بذلك

لوجود ذوي قباب كثيرين في الدنيا، فجعل القبة مضروبة على ابن الحشرج .

وَرُبَّمَـــا فِي ذَيْـــنِ يُحْـــذَفُ الَّـــذِي بِوَصْـــفِ مِثْـــلِ مَـــا تَقُـــولُ لِلْبَـــذِي
مَـــنْ سَـــلِمَ الأَنَامُ مِـــنْ لِسَـــانِهِ ويَـــدِهِ فَمُسْـــلِمٌ لِشَـــانِه

يعنى أنه قد يحذف الموصوف في ذين أي في هذين القسمين أعني الكناية المطلوب بها الصفة والمطلوب بها النسبة، كما تقول للبذي أي كقولك في عرض البذي أي بذي اللسان الذي يؤذي المسلمين: من سلم الأنام[1] أي المسلمون خاصة، فالأنام عام مراد به الخصوص من لسانه أي من إذاية لسانه بالعيب والشتم، ويده بالبطش بالظلم وغيره، فمُسْلِمٌ لشانه أي فهو مسلم لأجل صلاح شانه، فإن هذا الكلام كناية عن نفي صفة الإسلام عمن يؤذي المسلمين وهو غير مذكور فيها .

قُلْـــتُ وقَـــدْ يُـــرَادُ هَـــذَانِ مَعَـــا فَهْـــوَ كِنَايَتَـــانِ فِيـــهِ وقَعَـــا

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: قد يراد هذان معا أي الكناية المطلوب بها الصفة، والمطلوب بها النسبة في كلام واحد، فيكون الكلام وقع فيه كنايتان نحو " كثر الرماد في ساحة زيد " فقوله كثر الرماد كناية مطلوب بها صفة وهي المضيافية، وقوله في ساحة زيد كناية مطلوب بها نسبة المضيافية إلى زيد، بسبب جعلها في ساحته ليفيد إثباتها له، وقد تجتمع الكنايات الثلاثة في كلام واحد نحو " كثر الرماد في ساحة العلم " فالعلم كناية عن موصوف معين وهو زيد مثلا لاشتهاره به انتهى .

تنبيـــــه

قال في الإتقان: " واسْتَنْبَطَ الزَّمَخْشَرِيُّ نَوْعًا مِنَ الْكِنَايَةِ غَرِيبًا، وهُوَ أَنْ تَعْمَدَ إِلَى جُمْلَةٍ مَعْنَاهَا عَلَى خِلَافِ الظَّاهِرِ فَتَأْخُذَ الْخُلَاصَةَ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارِ مُفْرَدَاتِهَا بِالْحَقِيقَةِ والْمَجَازِ، فَتُعَبِّرُ بِهَا عَنِ الْمَقْصُودِ كَمَا تَقُولُ فِي نَحْوِ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ 4﴾[2] إِنَّهُ كِنَايَةٌ عَنِ الْمُلْكِ، فَإِنَّ الِاسْتِوَاءَ عَلَى السَّرِيرِ لَا يَحْصُلُ إِلَّا مَعَ الْمُلْكِ، فَجُعِلَ كِنَايَةً عَنْهُ وكَذَا قَوْلُهُ: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ والسَّمَٰوَٰتُ

(1) – والمقصود بذلك الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه: " «صحيح البخاري» (1/ 11 ط السلطانية)
«الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ ويَدِهِ، والْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ» الحديث رقم 10

(2) – سورة طه: 5]

مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِۦ﴾[1] كِنَايَةٌ عَنْ عَظَمَتِهِ وجَلَالَتِهِ مِنْ غَيْرِ ذَهَابٍ بِالْقَبْضِ والْيَمِينِ إِلَى جِهَتَيْنِ حَقِيقَةٍ ومَجَازٍ . "[2]

وَيُوسُــــفٌ قَسَّـــمَ ذَا الْبَــــابَ إِلَى رَمْـــزٍ وتَعْــرِيضٍ وتَلْــوِيحٍ تَــلا
إِشَارَةً إِيمَاءً

يعنى أن يوسف السكاكي قسم ذا الباب أي باب الكناية إلى أربعة أقسام: رمز، وتعريض، وتلويح، وإشارة أو إيماء .

قوله: إشارة فاعل قوله تلا، وقوله إيماءٌ بالرفع معطوف عليه بحذف الحرف .

. الَّـــــــذِي حُــــــــذِفْ مَوْصُـــوفُهُ نَاسَـبَ تَعْرِيضًـا عُـرِفْ

أي فالكلام المكنى به الذي حذف موصوفه، أي الذي سبق لأجل موصوف غير مذكور تعريضا عرف أي عرف باسم التعريض .

والتعريض لغة مشتق من العُرْض بضم فسكون، أو بضمتين: الجانب، يقال: نظر إليه بعرض وجهه أي جانبه، قال:

فَعَـرِّضْ إذا مـا جِئْـتَ بالبـانِ والْحِمَـى وإيَّاكَ أنْ تَنسَـــى فتـــذْكرَ زينبـــا
سَـيكفيكَ مِـنْ ذاك الْمُســـمَّى إشـارةٌ فدَعْـــهُ مَصـــونا بالجَـــلالِ مُحَجَّبـــا

تقول: عرضت بفلان ولفلان إذا قلت قولا وأنت تعنيه، كأنك أشرت به إلى جهة حسية وأنت تريد أخرى، ومنه المعاريض في الكلام وهي التورية بشيء عن شيء، وفى المثل: " إنَّ فِي الْمَعاريضِ لَمَنْدُوحَةٌ عنِ الْكَذِبِ "[3] أي سَعَة .

وقد عرفه ابن الأثير في المثل السائر بأنه " اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي والمجازي، بل من جهة التلويح والإشارة، فيختص باللفظ المركب . "[4]

---

(1) – سورة الزمر: 67]

(2) – الإتقان في علوم القرآن، م س ج3 ص162

(3) –كتاب الأمثال في الحديث النبوي، لأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق د ع العلي ع الحميد حامد، رقم الحديث المثل 230، ص271، ط2 عام 1408 . 1987، ، : الدار السلفية بومباي الهند.

(4) – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، ج3 ص57، ت أحمد الحوفي/بدوي طبانة، ط دار نهضة مصر.

قوله: فالذي حذف مبتدأ خبره قوله عرف تعريضا، وقوله تعريضا حال مقدم من نائب فاعل عرف، ولم أدر ما معنى قوله ناسب بعد التأمل والتدبر فيه .

ولو قال الناظم:

. . الَّـــذِي حُـــذِفْ مَوْصُـوفُهُ نَاسَبَ تَعْرِيضًا عُـرِفْ

لكان أوضح وأبين .

وأشار إلى بيان النكت التي يرد لأجلها التعريض بقوله:

وَوَجْهُـهُ التَّنْوِيـهُ والتَّلَطُّـفُ أَوْ يُـتْرَكُ الإِغْـلاظُ أَوْ يُسْـتَعْطَفُ

يعنى أن السبب أو السر الذي يوجب التعريض التنويهُ، أي تنويه جانب الموصوف أي تعظيمه نحو قولك مثلا: " أمْرُ المجلسِ السامي نافذٌ " ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ﴾[1] أي محمدا ﷺ إعلاء لقدره أي أنه العلم الذي لا يشتبه .

والتلطف به كقول المخاطب: " عسى الله أن [338] ييسر لي امرأة صالحة "

وترك الإغلاظ أي الاحتراز عن المخاشنة مع المعرض به كقولك في عرض من يؤذي المسلمين: ((**المُسلِم مَنْ سَلِم الْمُسلمون مِن يدهِ ولِسانهِ**)) [2]

والاستعطاف أي طلب العطف كقول المحتاج لمن يتوقع منه صلة: " جئت لأسلم عليك وأنظر وجهك الكريم "

والإهانة والتوبيخ كقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ٩﴾[3] فسؤال الموءودة تعريض بإهانة قاتليها وتوبيخهم .

قوله: أو يترك بالنصب مبني للنائب معطوف على قوله التلطف، وقوله أو يستعطف بالرفع

---

(1) – سورة البقرة، الآية: 253

(2) – صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وتمام الحديث: " والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه "، الحديث رقم 10، ج 1 ص 11 وصحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل، الحديث رقم 41، ج 1 ص 65

(3) – التكوير، الآية: 9.8

لضرورة القافية، إذ المعطوف على الاسم الخالص ينصب بأن ظاهرة أو مقدرة .

وَمِنْـــهُ مَـــا يُـــرَادُ مَعْنَـــاهُ مَعَـــهْ   ومِنْـــهُ لا حَـــرَّرَهُ مَـــنْ جَمَعَـــهْ

يعنى أن التعريض على قسمين: منه ما يراد معناه معه، أي منه قسم يراد به معناه الحقيقي، ويشار به إلى المعنى الآخر المقصود كما تقدم، ومنه لا، أي ومنه قسم لا يراد به معناه الحقيقي، بل إنما يراد به المعنى المقصود فقط، ويضرب له مثلا كقوله ﷺ حكاية عن إبراهيم: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[1] فالمراد بهذا الكلام إنما هو المعنى المقصود بالتعريض فقط الذي هو التنبيه على أن الأصنام لا قدرة لها على هذا الفعل، وأنها لا تنفع ولا تضر، بدليل قوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣﴾

قوله: حرره من جمعه يعنى أن هذا التقسيم حرره من جمع بأن التعريض وهو التقي السبكي

إِنْ كَثُـــرَتْ وسَـــائِطٌ فَوُصِـــفَا   مُلَوَّحًـــــــــــــــــــــــــا .

يعنى أن الكلام المكنى من حيث هو إذا كان مسوقا لأجل موصوف غير مذكور، مع كثرة الوسائط بين الملزوم واللازم كما في " زيد كثير الرماد، وجبان الكلب، ومهزول الفصيل " يوصف أي يسمى ملوحا وتلويحا ؛ لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك من بعد كما في المفتاح، وزاد في الإيضاح مع خفاء .

قوله: ذا مبتدأ خبره وصف من الفعل المبني للنائب ونائبه، والجملة جواب الشرط حذف منها فاء الجزاء للضرورة، وقوله: ملحا بتشديد الواو وكسرها حال من الضمير المستتر في الوصف، ومعنى ملوحا مشيرا إلى المعنى المقصود المكنى عنه من بعد .

وَإِنْ تَقِلَّ مَعْ خَفَا رَمْزٌ أيْ وإن قَلَّت الوسائط بين الكناية والمعنى المقصود المكنى عنه أي بين الملزوم واللازم، مع خفاء في اللزوم، أي في الانتقال من الملزوم إلى اللازم في الكناية المسوقة لمذكور، فهي أي الكناية رمز أي تسمى باسم الرمز ؛ لأن الرمز هو الإشارة إلى قريب منك على سبيل الخفية ؛ لأن الرمز الإشارة بالشفة أو العين أو الحاجب، قال:

رَمَـــزَتْ إِلَيَّ مَخَافَـــةً مِـــن بَعْلِهَـــا   مِـــنْ غَـــيْرِ أَنْ تبـــدي هُنَـــاكَ كَلامَهَـــا

وقلة الوسائط يشمل ما لا واسطة فيه أصلا كعريض القفا، وما فيه واسطة واحدة كعريض

(1) - سورة الأنبياء، الآية: 63

الوسادة، فإنه ينتقل من عرض الوسادة إلى عرض القفا ومنه إلى البلادة .

قوله: خفا بالقصر لضرورة الوزن، وقوله رمز خبر مبتدأ محذوف، والجملة جواب الشرط .

وَإِلَّا فَالأَخِيرَانِ أيْ وإلا يكن [339] في الكناية خفاء في اللزوم، بأن كانت جلية مع عدم الوسائط أو قلتها فهي المسماة بالاسمين الأخيرين أي بالإشارة والإيماء ؛ لأن هذين الاسمين إذا أطلقا تبادر منهما القرب والظهور كقول أبي تمام:

أَتَـيْنَ فَمَـا يَـزُرْنَ سِـوى كـريمٍ وحَسْـبُكَ أن يَـزُرْنَ أبا سَـعِيدِ

الضمير في أبين للنوق، فإنه أراد أن أبا سعيد كريم، وكقول البحتري:

أوَ مـا رأيـتَ المَجـدَ ألقـى رَحْلـهُ في آلِ طلحـةَ ثم لمْ يتحـوَّل

أراد أنهم أماجد .

قوله: فالأخيران مبتدأ خبره محذوف تقديره اسمان لها أو خبر مبتدأ محذوف تقديره فاسماها الأخيران أي الاسمان الأخيران والجملة جواب الشرط والفاء للجزاء .

. . **وقَـدْ مَجَـازًا التَّعْـرِيضُ فِي بَعْـضٍ وَرَدْ**

يعنى أن التعريض قد ورد حال كونه مجازا في بعض الصور،

كَقَوْلِـهِ آذَيْتَـنِي سَـتَعْرِفُ

أي كقول القائل لمن خاطبه مهددا غيره: " آذيتني فستعرف جزاءَ إذايتي " حال كون القائل

يُرِيـدُ مَـنْ لا بِالخِطَـابِ يُوصَـفُ

أي يريد إنسانا غير المخاطب معه ولا يريد المخاطب، ليكون اللفظ مستعملا في غير ما وضع له فقط، فيكون مجازا .

وَإِنْ يُـرِدْ بِـذَاكَ كُـلاً مِنْهُمَـا كِنَايَـةٌ واشْـرُطْ دَلِـيلاً لَهُمَـا

أي وإن يرد القائل لهذا الكلام بكلامه ذاك، وهو قوله آذيتني، فستعرف كلا منهما أي كلا من المخاطب والذي معه فهو كناية، لأنه أراد باللفظ المعنى الأصلي وغيره معا، والمجاز ينافي إرادة المعنى الأصلي .

قوله: واشرط دليلا لهما يعنى أنه لا بد في هاتين الصورتين من دليل دال على أن المراد في الصورة

الأولى هو الإنسان الذي مع المخاطب وحده، ليكون مجازا، وفى الثانية كلا منهما جميعا، ليكون كناية، وتحقيق ذلك أن قوله: آذيتني فستعرف كلام دال على تهديد المخاطب، بسبب الإيذاء ويلزمه تهديد كل من وقع منه الإيذاء، فإن استعملته وأردت به تهديد المخاطب وغيره من المؤذين، كان كناية، وإن أردت به تهديد غير المخاطب فقط بسبب الإيذاء لعلاقة اشتراكه مع المخاطب في الإيذاء إما تحقيقا وإما فرضا وتقديرا مع قرينة دالة على عدم إرادة المخاطب كان مجازا، وقد فصل بين قد والماضي بالمبتدأ والحال والجار والمجرور في قوله: وقد مجازا التعريض في بعض ورد .

وَكَوْنُ هَذِي والْمَجَازِ أَبْلَغَا   مِنْ ضِدِّ هَذَيْنِ اتِّفَاقُ الْبُلَغَا

يعنى أن كون الكناية والمجاز أبلغ من ضدهما ثابت، باتفاق البلغاء سليقة أواكتسابا، فضد الكناية التصريح، وضد المجاز الحقيقة، وإنما كانا أبلغ من ضديهما ؛ لأن الانتقال فيهما من الملزوم إلى اللازم فهو كدعوى الشيء ببينة، إذ وجود الملزوم يقتضي وجود اللازم ضرورة لامتناع انفكاك الملزوم عن اللازم .

قوله: أبلغ بالنصب خبر كان، والألف فيه للإطلاق، وقوله باتفاق البلغا خبر المبتدأ وهو كون، والبلغا بالقصر للوزن والقافية .

وَالِاسْتِعَارَةِ مِنَ التَّشْبِيهِ   إِذْ قُوَّةُ الْمَجَازِ لا تَلِيهِ

أي وكون الاستعارة أبلغ من التشبيه الذي هو أصلها ثابت أيضا باتفاق البلغاء، إذ قوة المجاز لا تليه، أي لأجل أن القوة [340] أي التأكيد الموجود في الاستعارة التي هي من المجاز، وتلك القوة بسبب ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به الذي هو مبنى الاستعارة، وهذه القوة لا تلي التشبيه أي لا توجد فيه، لأنه حقيقة .

قال الشيخ عبد القاهر: " وليس السبب في كون المجاز والكناية والاستعارة أبلغ من الحقيقة والتصريح والتشبيه أن واحدا منها يفيد زيادة في نفس المعنى لا يفيدها خلافه، بل لأنه يفيد تأكيدا لإثبات المعنى لا يفيده خلافه "

فليست مزية قولنا: " رأيت أسدا " على قولنا: " رأيت رجلا هو والأسد سواء في الشجاعة " أن الأول أفاد زيادة في مساواته للأسد في الشجاعة لم يفدها الثاني، بل الفضيلة هي أن الأول أفاد تأكيدا

لإثبات تلك المساواة لم يفده الثاني، وليست فضيلة قولنا: " كثير الرماد " على قولنا: " كثير القرى " أن الأول أفاد زيادة لقراه لم يفدها الثاني، بل هي أن الأول أفاد تأكيدا لإثبات القرى لم يفده الثاني والله تعالى أعلم .[1] قوله: والاستعارة بالجر معطوف على قوله هذه المضاف إلى كون .

قُلْـــتُ وذُو التَّمْثِيـــلِ بِاسْـــتِعَارَهْ　　　أَبْلَـــغُ مِنْـــهُ لا بِـــلا اسْـــتِعَارَهْ

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: والمجاز المركب ذو التمثيل أي المسمى باسم التمثيل باستعارة أي مع الاستعارة أي الجاري على سبيل الاستعارة، بسبب كون العلاقة فيه بين المعنى الأصلي والمجازي هو المشابهة أبلغ من المجاز المركب المسمى بالتمثيل لا على سبيل الاستعارة، قاله في الإيضاح .[2]

وَأَبْلَـــغُ الأَنْـــوَاعِ تَمْثِيلِيَّـــهْ　　　مَكْنِيَّـــةٌ بَعْـــدُ فَتَصْـــرِيحِيَّهْ

يعنى أن أبلغ أنواع الاستعارة؛ الاستعارة التمثيلية، أي المجاز المركب الجاري على سبيل الاستعارة، لكون الجامع فيها بين المستعار له ومنه منتزع من عدة أمور، ويليها في الأبلغية الاستعارة المكنية، فهي أبلغ من التصريحية، صرح به الطيبي، لاشتمالها على المجاز العقلي، ويلى المكنية في الأبلغية الاستعارة التصريحية، وهي التي ذكر فيها المشبه به وطوي ذكر المشبه، أي قوله: بعدُ بالبناء على الضم، لقطعها من الإضافة لفظا لا معنى .

وَبَعْـــدَهَا كِنَايَـــةٌ وقَـــدْ عَـــلا　　　ذُو نِسْـــبَةٍ فَصِـــفَةٌ فَمَـــا خَـــلا

يعنى أن الكناية كائنة بعد الاستعارة بجميع أنواعها في الأبلغية أي جميع أنواع الاستعارة أبلغ من الكناية بجميع أنواعها ؛ لأن الاستعارة كالجامعة بين كناية واستعارة، ولأنها أيضا مجاز، والمجاز أبلغ من غيره، بخلاف الكناية، وقد علا في الأبلغية من أنواع الكناية ذو نسبة أي الكناية المطلوب بها نسبة، كقولك: " المجدُ بينَ بُرْديْ زيدٍ " فصفة فيليها في العلو الكناية المطلوب بها صفة، كقولك: "

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص199

(2) - فيض الفتاح م س ج2 ص198

زيد كثير الرماد " فما خلا أي فيلي هذه في العلو ما أي الذي خلا من الكناية عن طلب النسبة والصفة، وهو الكناية المطلوب بها تمييز الموصوف، أو المعنى فما خلا أي فيلي ذلك الذي تقدم من [341] أنواع الكناية، وهو المطلوب فيها بها تمييز الموصوف، كقولك: " جاء المضياف " والفاء في قوله: فصفة فما خلا حرف عطف للترتيب بين الثلاثة في الأبلغية .

وَهَــذِهِ الــثَّلاثُ مِــنْ قِسْــمِ الخَــبَرْ　　　والخُلْـفُ فِي إِنْشَـاءِ ذِي التَّشْـبِيهِ قَــرّْ

يعنى أن هذه الثلاثة المذكورة، وهي التشبيه والاستعارة والكناية من قسم الخبر لا الإنشاء، والخلف بين البيانيين قد قر، أي ثبت في إنشاء ذا التشبيه، حكاه التقي السبكي في تفسيره . واختار أنه خبر عما في نفس المتكلم من التشبيه كما أن حسبت خبر عن حسبانه، قال: ولا يختلف الحال في ذلك بين كأن والكاف، غير أن كأن صريحة فيه من جهة أن مواقعها أن يقوى التشبيه في ذهن المتكلم حتى يتخيل أن المشبه هو المشبه به، والكاف محتملة له، وللإخبار عن المماثلة الخارجية، كقولك: " هذا مثل هذا " قوله: قرْ بتسكين الراء لضرورة الوزن والقافية ماض مسند إلى ضمير عائد إلى الخلف، والجملة خبره . وقد تم الكلام على علم البيان، والحمد لله الذي بنعمته وجلاله تتم الصالحات، ونسأله سبحانه أن يعينني على إتمام شرح الفن الثالث المسمى بالبديع انتهى .

الفن الثالث: علم البديـــــــع

البديعُ لغةً القريبُ، ومن أسمائه تعالى البديعُ، ومعناه الخالق لا عن مثال سبق، وهو فعيل بمعنى اسم المفعول مِنْ أَبْدعَ .

عِلْـــمُ الْبَـــدِيعِ مَـــا بِـــهِ قَـــدْ عُرِفَـــا وجُـــــوهُ تَحْسِــــينِ الْكَـــــلامِ إنْ وفَى
مُطَابِقًـــــــا وقَصْـــــــــدُهُ جَلِــــــــيُّ

يعنى أن علم البديع هو العلم الذي يعرف به وجوه تحسين الكلام، أي الوجوه المحسنة للكلام أي بتصور معانيها وتعلم أعدادها وتفاصيلها، إن وفَى مطابقا أي إن ورد الكلام حال كونه مطابقا لمقتضى الحال، والمعنى المقصود به جلي، أي واضح وسالم من التعقيد المعنوي . يعنى أن هذه الوجوه المشتمل عليها علم البديع، إنما تعد محسنة للكلام بعد رعاية مطابقته لمقتضى الحال، ووضوح الدلالة، بالخلو من التعقيد المعنوي واللفظي، وإلا كان كتعليق الدر على الخنازير .

قال في فيض الفتاح: "قال ياسين، المناسب حمل العلم هنا على الملكة ؛ لأن الأنسب إسناد المعرفة إلى الملكة، وأما حمله على الإدراك فغير مناسب هنا، لأنه لا يعرف به ما ذكر، وكذا حمله على المسائل لأنها لا يعرف بها ما ذكر "[1] انتهى. وفنُّ البديع اخترعَه عبدُ الله بن المعتز. قوله:مطابقا حال من فاعل وفى .

فَمِنْـــــــهُ لَفْظِـــــــيٌّ ومَعْنَـــــــوِيُّ

يعنى أن علم البديع على قسمين: منه لفظي، ومنه معنوي . أما اللفظي منه فهو الراجع إلى تحسين اللفظ فقط، وأما المعنوي فهو الراجع إلى تحسين المعنى فقط، أو مع اللفظ، كما في المطابقة والمقابلة، وقدموا بحث المعنوي على اللفظي لأن المقصود الأصلي [342] والغرض الأولى هو المعاني، والألفاظ توابع وقوالب لها انتهى .

المعنـــــوي

أي هذا مبحث البديع المعنوي أي الراجع تحسينه إلى المعنى .

مِنْـــهُ الطِّبَـــاقُ بِالتَّضَـــادِ مَائِـــلْ الجَمْـــعُ بَـــيْنَ اثْنَـــيْنِ ذِي تَقَابُـــلْ

فِي جُمْلَةٍ . . يعنى أن من أنواع البديع المعنوي الطباق، ويقال له المطابقة والتطبيق والتطابق، وهو لغة أن يضع البعير رجله في موضع يده، يقال: طابق البعير إذا فعل ذلك . واصطلاحا أشار إليه الناظم بقوله: الجمع بين اثنين ذوي تقابل في جملة، يعنى أن الطباق هو الجمع بين اثنين، أي معنيين فأكثر، متقابلين أي متنافيين في الجملة، أي سواء كان التقابل حقيقيا أو اعتباريا، أو بالإيجاب والسلب، أو تقابل العدم والملكة، أو تقابل التضايف، أو ما يشبه شيئا من ذلك مما يشتمل على نوع

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص201

تناف، ولا بد أن يكون الجمع المذكور بلفظين، وليس المراد بالمتقابلين الضدين اللذين لا يجتمعان كالبياض والسواد، وهذا هو معنى قوله في جملة، ثم أشار إلى ذكر أقسام الطباق بقوله:

. . مِـــنْ نَـــوْعٍ أو نَـــوْعَيْنِ   **اسْمَـــيْنِ أَوْ فِعْلَـــيْنِ أَوْ حَـــرْفَيْنْ**

يعنى أن المعنيين المتقابلين يكونان من نوع واحد، ويكونان من نوعين، فأما كونهما من نوع واحد، فأن يكونا اسمين أو فعلين أو حرفين، وأما كونهما من نوعين فأن يكونا من اسم وفعل أو اسم وحرف، وأشار إلى مثال كونهما من نوع واحد بقوله :

كَمِثْلِ: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾[1]   **يُحْيِـــي يُمِيـــتُ ولَـــهُ تَعْدِيـــدُ**

وقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ١٩﴾[2] فالتقابل هنا بين اسمين هما اليقظة والرقاد أو العمى والبصر . ومثال التقابل بين فعلين قوله تعالى: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾[3] ومثاله بين حرفين قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[4] فإن في اللام معنى الانتفاع، وفي على معنى الضرر، أي لها ما كسبت من خير، وعليها ما اكتسبت من شر، لا ينال نفع ذلك ولا ضره غيرهما . ومثال كون المعنيين المتقابلين من نوعين كاسم وفعل مثلا قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[5]أي ضالا فهديناه، فالموت والإحياء يتقابلان باعتبار ما في الإحياء من معنى الحياة، وإلا فالإحياء نفسه لا يقابل الموت، بل إنما يقابل الإماتة . قال الأخفش: أحسنُ طِباقٍ قالته العرب قولُ عبدِ الله الأسدي:

رمـــى الحَـــدَثانُ نســـوةَ آلِ حـــربٍ   بمِقـــدارٍ سَمَـــدْنَ لـــه سُمُـــودا
فـــرَدَّ شُـــعورهُنَّ السُّـــودَ بيضـــا   ورد وجـــوههن البـــيضَ ســـودا

ثم تارة يكونان حقيقين، كالأمثلة السابقة أو مجازيين كالآية أو من كان ميتا، أو مختلفين كقوله:

لا تعجـــبي يا ســـلمى مـــن رجـــل   ضـــحك المشـــيب برأســـه فبكـــى

لأن ضحك المشيب مجاز، وبكاء الرجل حقيقة . **وَلَهُ تَعْدِيدُ** يعنى أن الطباق له أقسام كثيرة:

طِبَـــاقُ مَنْفِـــيٍّ طِبَـــاقُ مُوجَـــبِ   **كَـــاخْشَ ولا تَخْـــشَ وذِي تَسَـــبُّبِ**

يعنى أن الطباق قد يكون في النفي وقد يكون في الإيجاب، فالطباق في الإيجاب كالأمثلة السابقة، والطباق في النفي كقولك: " اخش زيدا، ولا تخش عمرا " وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ

(1) – سورة الكهف، الآية: 18

(2) – سورة فاطر، الآية: 19، وسورة غافر، الآية: 58

(3) – سورة غافر، الآية: 68

(4) – سورة البقرة، الآية: 286

(5) – سورة الأنعام، الآية: 122

واخشون﴾[1] وقوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[2]

قال في فيض الفتاح: " هو أن يجمع المتكلم بين [343]فعلي مصدر واحد أحدهما إيجاب، والآخر نفي، أو أحدهما أمر والآخر نهي، فالأول كالآية الثانية، والثاني كالآية الأولى "[3] ومن الأول قوله:

خُلقــوا ومــا خلقــوا لِمَكْرُمــةٍ ... فكــأنهم خلقــوا ومــا خلقــوا

رُزقــوا ومــا رزقــوا سماحَ يــدٍ ... فكــأنهم رزقــوا ومــا رزقــوا

وَذُو تَسَبُّبِ يعنى أن الطباق قد يكون ذا تسبب بأن يكون لأحد اللفظين سبب أو لازم يقابل الآخر، وذلك بأن يجمع المتكلم بين معنيين لا تقابل بينهما في الظاهر، لكن يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق مثل اللزوم أو السببية، وإنما دخل هذا في الطباق لما تقدم في حد الطباق من كونه يكفى أن يكون في الجملة أي حقيقيا كان أو اعتباريا، مثاله قوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[4] فإن الرحمة لا تقابل الشدة بحسب الظاهر، لكنها مسببة عن اللين الذي هو ضد الشدة، وقوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾[5]فإن ابتغاء الفضل لا يقابل السكون في الظاهر، لكنه يستلزم الحركة التي هي ضد السكون، وقوله تعالى: ﴿أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَاراً 26﴾[6] لأن إدخال النار يستلزم الإحراق المضاد للإغراق .

قوله: طباق منفي مبتدأ خبره محذوف تقديره منه، وقوله: طباق موجب معطوف عليه بحذف حرف العطف، وقوله: وذو تسبب معطوف عليه أيضا .

قُلْـتُ وقِيــلَ الشَّــرْطُ فِي الطِّبَــاقِ ... أَنْ يَأتِيَ اللَّفْظَـــانِ بِالْوِفَـــاقِ

---

(1) – سورة المائدة، الآية: 44

(2) – سورة المائدة، الآية: 116

(3) – فيض الفتاح، م س ج2 ص203

(4) – سورة الفتح، الآية: 29

(5) – سورة القصص، الآية: 73

(6) – سورة نوح، الآية: 25

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: وقيل: أي قال بعض البيانيين: إنه يشترط في الطباق أن يأتي اللفظان المتطابقان متصفين بالوفاق، أي متفقين في الإسمية أو الفعلية، أو الحقيقة أو المجاز، وإلا لم يكن تطابقا، وإنما يسمى تكافؤا .

وَإِنَّمَـــا يَحْسُـــنُ مَـــعْ مَزِيـــدِ

يعنى أن بعضهم قال: إن الطباق لا يحسن أي لا يعد محسنا إلا مع مزيد، أي زيادة بنوع من أنواع البديع، يشاركه في البهجة والرونق، وأما مجرد المطابقة فليس بمجرد للكلام، إذ ليس تحته كبير معنى، فإن قصاراه تطابق الضد مع ضده، وهو أمر سهل، مثال ما إذا زيد مع الطباق نوع من أنواع البديع يحسنه قوله تعالى: **﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾**[1] و**﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ﴾**[2] فإنه انضم إلى المطابقة العكس، وقول امرئ القيس:

مِكَـــرٍّ، مفـــرٍّ، مُقْبِـــلٍ، مُـــدْبِرٍ معـــاً ... كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ[3]

فإنها انضم إليها التكميل في قوله: معا المقصود به قرب الحركة في حالتي الإقبال والإدبار وحالتي الكر والفر والاستطراد بالتشبيه، وكقول أبي تمام:

بِيضُ الصفائحِ لا سودُ الصّحائفِ في ... متـــونِهِنّ جـــلاءُ الشـــكِّ والريـــبِ

انضم إليها الجناس .

ولَهُـــــمُ تَطَـــــابُقُ التَّرْدِيـــــد

أي ولأصحاب البديعيات نوع اخترعوه وسموه تطابق الترديد، وهو أن ترد آخر الكلام المتطابق على أوله، فإن خلا من الطباق فإنه يسمى بِرَدِّ العجز على الصدر، مثاله قول الأعشي:

لَا يَرْقَــعُ النَّــاسُ مَــا أوهــي وإنْ جَهــدُوا ... طُــولَ الحَيَــاةِ، ولَا يُوهُــونَ مَارَقَعَــا

وَمِنْـــهُ تَـــدْبِيجٌ بِأَلْـــوَانٍ تَـــرِدْ ... مَكْنِيَّـــا أو تَوْرِيَّـــةً لِمَـــا قُصِـــدْ

أي ومن الطباق نوع يسمى بالتدبيج، من دَبَّج المطرُ الأرض إذا زينها، وفسره الناظم بأنه يكون

(1) - سورة فاطر، الآية: 13

(2) - سورة الروم، الآية: 19

(3) - «ديوان امرئ القيس ت المصطاوي» ص12 ط2 دار المعرفة

بألوان ترد حال كونها مكنيا بها، أو تورية عن المعنى المقصود، وإنما كان من أنواع الطباق لما بين اللونين من المقابلة، فتدبيج الكناية كقول أبي تمام:

تـردَّى ثيـاب المـوت حُمـرًا فمـا أتـى لها الليل إلّا وهي من سُندسٍ خُضْر[1]

فقابل بين لوني الحمرة والخضرة، وكنى بالأول عن القتل وبالثاني عن دخول الجنة، ومنه قوله ﷺ: ((مَا مِنْ عبدٍ يموتُ فَيتركُ بَيْضاءَ أَوْ صَفراءَ إلا جعلَ اللهُ لهُ بكلِّ قيراطٍ منها صَفْحةً مِن نارٍ)) رواه أحمد .[2]

وتدبيج التورية كقول الحريري: " فمذ ازورّ المحبوب الأصفر، واغبر العيش الأخضر، اسودّ يومي الأبيض، وابيضّ فودى الأسود، حتى رثى لى العدوّ الأزرق، فيا حبّذا الموت الأحمر"[3]

فالمعنى القريب في المحبوب الأصفر هو الإنسان، الذي له صفرة، والبعيد هو الذهب، وهو المراد فتكون تورية .

وَمِنْـــهُ نَـــوْعٌ سُمِّـــيَ الْمُقَابَلَـــهْ وهْـــيَ مَجِـــيءُ أَحْـــرُفٍ مُقَابِلَـــهْ
تَرَتَّـــبَ الثَّـــانِي عَلَـــى الأَوَائِـــلِ

أي ومن الطباق نوع يسمى بالمقابلة، وهو أي المقابلة في الاصطلاح مجيء أحرف أي كلمات مجموعة لا تضاد بين تلك الكلمات، مقابلة أي مضادة لكلمات أخر، ترتب أنت أيها المتكلم الكلام الثاني على الكلمات الأوائل المقابلة، على طريقة اللف والنشر المرتب، الأول للأول، والثاني للثاني، وهكذا، ومثل له الناظم بقوله:

كَمِثْـــلِ قَـــوْلِي فِي خِطَـــابِ الْعَـــاذِلِ
اعْفُـــفْ ودُمَّ صِـــلْ وعِـــزَّ وافِـــقِ أَوْ خُـــنْ وزَلْ اقْطَـــعْ وهُـــنْ وشَـــاقِقِ

فإنه أتى بالأمر بالْعَفاف، والدوام، والوصل، والعز، والوفاق، وهذه معان غير متضادة، ثم أتى في مقابلتها بالأمر بالخيانة، والزوال، والقطع، والهوان، والشقاق، وهي مقابلة لها على الترتيب، الأول

---

(1) - البيت لأبي تمام، وهو في ديوانه 369، والسندس نوع من رقيق الديباج معرَّب، كنَّى بالأول عن موته قتيلًا، وبالثاني عن دخوله الجنة، وفيه من البديع المقابلة بين الحمرة في القتل، وبين الخُضْرة في الجنة بعد نيل الشهادة.

(2) - لم أقف عليه في مسند أحمد، لكن في «السنن الكبرى - البيهقي» (4/ 243 ط العلمية): «مَنْ تَرَكَ بَيْضَاءَ أَوْ صَفْرَاءَ كُوِيَ بِهِمَا»

(3) - عروس الأفراح م س ج2 ص229

للأول، والثاني للثاني، وهكذا، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾[1] أتى بالضحك والقلة وهما غير متضادين، ثم بالبكاء والكثرة المقابلين لهما على الترتيب .

ومنه قوله ﷺ: ((إِنَّ للهِ عِباداً جَعلَهُمْ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ)) [2]

ومن مقابلة ثلاثة بثلاثة قول أبي دلامة:

مَـا أَحْسَـنَ الـدِّينَ والـدُّنيَا إذا اجتَمَعـا ... وأقْـــبَحَ الفِســـقَ والإفـــلَاسَ بالرَجـــلِ

وَقَــالَ فِي الْمِفْتَــاحِ مَهْمَــا شُــرِطَا ... فِي أَوَّلٍ فَالضِّــدَّ فِي الثَّــانِي اشْـرُطَا

أي وقال يوسف السكاكي في كتابه المفتاح: مهما شرط في الكلام الأول المشتمل على المعاني الأول أمر، فاشرط ضده، أي ضد ذلك الأمر المشروط في الأول، في الكلام الثاني المشتمل على المعاني الأخر، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ 5 وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ [345] فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ 7 وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ 8 وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ 9﴾ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ 10﴾[3]

قابل بين الإعطاء والبخل، والاتقاء والاستغناء، والتصديق والتكذيب، ولما جعل التيسير في الأول مشتركا بين الإعطاء والاتقاء والتصديق، جعل ضده وهو التعسير مشتركا بين البخل والاستغناء والتكذيب، والمراد بقوله: استغنى، أنه وهو فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتق، فالاستغناء مستلزم لعدم الاتقاء المقابل للاتقاء، فعلى مذهب السكاكي لا يكون بيت أبي دلامة من المقابلة، لأنه شرط في الدين والدنيا الاجتماع، ولم يشترط ضده في الكفر والإفلاس، والمراد بالشرط هنا القيد شرطا كان أو غيره لا خصوص الشرط النحوي .

قوله: شرط بالبناء للنائب، والألف فيه للإطلاق، وكذا في قوله اشرطا أيضا ونائبه محذوف تقديره شيء أو أمر، حذف لقصد العموم .

قُلْـــتُ وذَا الْمِثَـــالُ بِالْمُفَـــوَّفِ ... يُسْـمَى ومِـنْ أَنْوَاعِـهِ عَـدَّ الصَّـفِي

---

(1) – سورة التوبة، الآية: 82

(2) – سنن ابن ماجه، أبواب السنة، باب من كان مفتاحا للخير، الحديث رقم 237، الجزء 1 الصفحة 160 ط دار الرسالة العالمية ت شعيب الأرنؤوط. ولفظ الحديث: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ»

(3) – سورة الليل، الآية: 10.5

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: وذا المثال الذي مثل به للمقابلة وهو قوله: اعفف ودم إلخ يسمى بالمفوّف، وقد عده الصفي ومتابعوه والطيبي في التبيان من أنواع البديع، وفسره بأن يؤتى بمعان متلائمة في جمل مستوية المقدار من قولهم: " ثوب مفوّف " إذا كان فيه خطوط، ومثل له الشيخ بهاء الدين بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ 78﴾[1] الآية، وقوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ ومثل له الصفي بقول أبي الطيب:

أَقِـل أَنِـل اقْطـع احْمِـل عَـلِّ سَـلِّ أَعِـدْ   زِدْ هَـشَّ بَـشَّ تَفضَّـلْ ادْنُ سُـرَّ صـل[2]

فجمل البيت متساوية المقدار لم تتفاوت تفاوتا له بال، والمعنى أقل من استنهضك من عثرته، وأنل من استعطاك، واقطع المنازل والضياع لمن أمك، واحمل على سوابق الخيل من استحملك، وعل قدر من تعلق بك، وسله عن كل مفقود بما يجده من برك، وأعد ذلك، وزد في عزك غدك على ما تمنحه في يومك، وهش لمن قصدك وبش له، ودم على تفضلك، وادن من الوافد إليك، وسُرَّه بمتابعة إحسانك، وصل الجميع بإنعامك .

يقول هذا لسيف الدولة، روي أنه أعطاه كل ما سأل في البيت .

ومثل له الطيبي بقول الآخر:

فلـــو أنَّ مـــا بِي بالجبـــالِ لهَـــدَّها   وبالنـــار أطْفاهـــا وبالمـــاء لمْ يَجْـــر
وبالنـــاس لمْ يَحْيـــوا وبالـــدَّهر لمْ يَكـــن   وبالشـــمس لمْ تطلُـــع وبالليـــل لمْ يَســـر

ومثل له الأندلسي بقول الآخر:

يا مَـــن يُؤمِـــل أن تكـــونَ صـــفاتُه   كصـــفاتِ عبـــدِ الله انصِـــت واسْمَـــع
اصـدُق وعـفّ وبِـرَّ واصْـبر واحْتمـل   واحْلُـم ودارِ وكـافِ وابـذُل واشْـجَع

ومثل له الناظم بقوله: اعفف ودم إلخ .

وأما ابن مالك وعبد الباقي[3] فجعلاه ثلاثة أقسام: ما يكون جمله قصارا كبيت أبي الطيب،

(1) - سورة الشعراء، الآية: 81.78

(2) - شرح ديوان المتنبي للواحدي، ص 247

(3) - «عبد الباقي اليمني (680 (1) - 744 هـ) (2) (1281 - 1343 م) عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله اليمني المخزومي، المكي، الشافعي (تاج الدين، ابو المحاسن) اديب، ناثر، ناظم، لغوي، مؤرخ. ولد بمكة، ودخل اليمن، وولي الوزارة، ثم عزل وصودر، وقدم مصر

وطوالا كبيتي الطيبي، ومتوسطة كبيت الأندلسي . [346]

وأما ابن الخطيب الزملكاني فإنه فسره بأن يوصف المذكور بما يدل على مدحه، ثم بما يدل على ذمه لكن يقرنه بما يرشد أنه مدح، كقوله:

هـــم الأخيـــار منســـكة وهـــديا ... وفي الهيجـــا كـــأنّهم صـــقور

بهـــم حـــدب الكـــرام علـــى الْمُـــوالي ... وفـــيهم عـــن مســـاءتهم فتـــور

فقوله: وفيهم عن مساءتهم فتور، يوهم أنه ذمهم بأنهم غير مطلعين على معايبهم، وذلك من الغباوة، لكن اقترانه بقوله: بهم حدبُ الكرام على المعالي يرشد إلى أنه مدح لهم بأن فيهم فتورا عن المساوي أي عجز عنها لا يفعلونها .

قوله: ذا مبتدأ، والمثال بدل منه، وقوله يسمى بالبناء للنائب نائبه ضمير عائد إلى المبتدأ والجملة في محل الخبر، وقوله بالمفوّف متعلق بيسمى .

ثُمَّ مُرَاعَـــاةُ النَّظِـــيرِ جَمْـــعُ ... أَمْـــرٍ ومَـــا نَاسَـــبَهُ ويَـــدْعُو

تَنَاسُبًا أي ثم من أنواع البديع نوع يسمى مراعاة النظير وهي جمع أمر وما ناسبه، أي جمع أمر مع أمر يناسبه في المعنى مناسبة غير التضاد، فخرج الطباق ؛ لأن المناسبة فيه بالتضاد، ويدعو تناسبا، أي ويسمى باسم التناسب والتوفيق كما في التلخيص والائتلاف والمؤاخاة، وهو على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يناسب اللفظ المعنى كقول زهير:

أثافِيَّ سُـــفْعًا فِي مُعَـــرَّسِ مِرْجَـــلٍ ... ونُـــؤيًا كجِـــذْم الحـــوْضِ لم يتـــثلَّمِ

فَلَمّـــا عَرَفْـــتُ الـــدَّارَ قلـــتُ لِرَبْعِهَـــا: ... أَلَا انْعَـمْ صباحًا أيهـا الرَّبـع واسلَمِ(1)

فأتى في البيت الأول بألفاظ غريبة، لكون معانيها غريبة، وأتى في البيت الثاني بألفاظ مألوفة مستعملة، لكون معانيها مألوفة مستعملة، ومثال ذلك من الحديث حديث الصحيحين: ((**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ**

والشام، وتوفي بالقاهرة. من تصانيفه: مطرب السمع في شرح حديث ام زرع، الاكتفاء في شرح ألفاظ الشفا للقاضي عياض، طبقات النحاة، ذيل وفيات الاعيان لابن خلكان، زهر الجنان في المناظرة بين القنديل والشمعدان، وله شعر» انظر «معجم المؤلفين» م س. ج10 ص51.

(1)- شرح المعلقات السبع للزوزني ص135، ط1 دار إحياء التراث العربي.

عُتُلٍّ، جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ)) [1]

أتى في وصف أهل الجنة بألفاظ سهلة رقيقة عذبة، لمناسبة المعنى، وأتى في وصف أهل النار بألفاظ صعبة شديدة .

الثاني: أن يناسب اللفظ اللفظ أي لفظا آخر، كقول البحتري في وصف الإبل التي أنحلها السير:

كَالْقِسِــــيِّ الْمُعَطَّفَـــاتِ، بَـــلِ الْأَسْ ... هُـــــمِ مَبْرِيَّـــــةً، بَـــــلِ الْأَوْتَارِ

ناسب بين القسي والأسهم والأوتار فجمعها في بيت، ومنه قول ابن رشيق:

أَصَــحُّ وأَعْلَــى مَــا سَمِعْنَــاهُ فِي النَّــدَى ... مِــنَ الْخَــبَرِ الْمَــرْوِيِّ مُنْــذُ قَــدِيمِ

أَحَادِيــثُ تَرْوِيهَــا السُّــيُولُ عَــنِ الْحَيَــا ... عَــنِ الْبَحْــرِ عَــنِ كَــفِّ الْأَمِــيرِ تَمِــيمِ

ففي البيتين المناسبة بين الصحة والقوة، والسماع والخبر المأثور والأحاديث والرواية، ثم بين السيل والحيا، وهو المطر والبحر وكف الأمير، مع ما فيه من رعاية العنعنة، [2] إذ جعل الرواية لأصاغر عن أكابر كما يقع في سند الأحاديث، ومثاله من الحديث: **((ذُو الْوَجْهَينِ في الدُّنيا ذُو اللِّسانَينِ في النَّارِ))** [3]

الثالث: أن يناسب المعنى، بأن يناسب معنى ختم الكلام معنى مبدئه، وهو المسمى تشابه أطراف، كقوله تعالى [347]: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ 104﴾[4]

---

(1) – صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن/ كتاب الأدب، باب " عتل بعد ذلك زنيم "/باب الكبر، الحديث رقم 6071/4918 ج 8/6 ص 20/159 صحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، الحديث رقم 2853، ج 4 ص 2190

(2) – الحديث المعنعن هو قول الراوي: فلان عن فلان، ومثاله: ما رواه ابن ماجه قال: " حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا معاوية بن هشام حدثنا سفيان عن أسامة بن زيد عن عثمان بن عروة عن عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إنَّ اللهَ وملائكته يُصلون على مَيامِنِ الصُّفوف " ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، ج1 ص321 الحديث رقم 1005

وقد اختلف أهل الحديث في المعنعن هل هو منقطع أم متصل، والصحيح الذي عليه الجمهور أنه متصل بشروط أهمها شرطان: . أن لا يكون الراوي الْمُعَنْعِن مُدَلِّساً . أن يُمكن لِقاء بعضهم بعضا، أي لقاء الْمُعنعِن بِمَنْ عَنعنَ عنه.

(3) – أخرجه أبو داود في سننه بلفظ: " من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار " أول كتاب الأدب، باب في ذي الوجهين، الحديث رقم 4873، الجزء 7 الصفحة 235 ط دار الرسالة العالمية ت شعيب الأرنؤوط

(4) – سورة الأنعام، الآية: 103

وإليه أشار الناظم بقوله:

تَنَاسُــــبًا فِـــإِنْ مُنَاسِــــبًا خُـــتِمْ ... مُبْتَـــدَأٌ تَشَـــابُهَ الأَطْــرَافِ سَـــمٌ

أي فإن ختم الكلام كلام مناسب لمبتدئه أي لابتدائه، فسم ذلك المعنى بتشابه الأطراف أي اجعل هذا اللفظ وسما له أي علامة، وذلك كالآية المذكورة قبيل البيت .

قال السعد: فإن اللطيف يناسب كونه غير مدرك بالبصر، والخبير يناسب كونه مدركا للأشياء ؛ لأن المدرك للشيء يكون خبيرا به . [1]

قال في فيض الفتاح: " قوله فإن اللطيف يناسب إلخ ؛ لأن الشيء كلما لطف كان أخفى كالهواء، ولهذا لا يدرك بالبصر، لكن بحث الفنري بأن المناسب له هو اللطيف المشتق من اللطافة، وهو ليس بمراد هنا، وأما اللطيف المشتق من اللطف بمعنى الرأفة فلا تظهر مناسبته له، اللهم إلا أن يقال: اللطيف ها هنا مستعار من مقابل الكثيف لما تدركه الحاسية ولا ينطبع فيها، وهذا القدر يكفى في المناسبة "[2]

وقد يكون التناسب بين المختم والمبدأ خفيا، بحيث لا يفهم إلا بعد تأمل وتدبر، كقوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ 120﴾[3] فإن قوله: وإن تغفر لهم، يوهم أن الفاصلةالغفور الرحيم، لكن يعرف بعد التأمل أن الواجب هو العزيز الحكيم، لأنه لا يَغفِر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه، وهو العزيز أي الغالب، ثم وجب أن يوصف بالحكيم للاحتراس، ليلا يتوهم أنه خارج عن الحكمة، إذ الحكيم من يضع الشيء في محله، أي إن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا اعتراض عليك، والحكمة فيما فعلته .

وقد حكي أن أعرابيا سمع قارئا يقرأ ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾[4] فقال القارئ: " فاعلموا أن الله غفور رحيم " ولم يكن الأعرابي يحفظ القرآن، فقال: " إن كان هذا كلام الله فلا يقول

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص209

(2) - فيض الفتاح م س ج2 ص209

(3) - سورة المائدة، الآية: 118

(4) - سورة البقرة، الآية: 209

كذا، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه "

تنبيـــــه

ومن مراعاة النظير نوع يسمى إيهام التناسب، وقد بقي على الناظم فلم يذكره، وهو أن تجمع بين معنيين متناسبين بلفظين لهما معنيان متناسبان وإن لم يكونا مقصودين، وذلك أعم من أن لا يقصد واحد منهما أو يقصد أحدهما دون الآخر .

مثال الأول: قوله:

وحَـــرْف كَنُـــونٍ تَحْـــتَ رَاءٍ ولَمْ يَكُـــن　　　بَـــدالٍ، يـــؤم الرســـم غـــيّره الـــنّقط

أي ناقة ضامرة كنون أي حوت في الصغر والنحافة، أو كحرف النون في الضمر والانحناء، والراء اسم فاعل من رايته إذا ضربت ريته، وكذلك دال اسم فاعل من دلوت الركاب أي سقتها برفق، يؤم الرسم أي يقصد آثار الديار غيره ما تقاطر من المطر، ففي ذكر الحرف والنون والراء والدال والرسم والنقط إيهام أن المراد بها معانيها المتناسبة التي هي الحرف، وبالرسم الكتابة، وبالنقط إيقاع النقطة على الحرف . [348]

ومثال الثاني: قوله تعالى: ﴿**ٱلشَّمْسُ والْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ** 3 **والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ** 4﴾[1] فالنجم المراد به في الآية الشجر الذي لا ساق له، وهو بهذا المعنى غير مناسب للشمس، لكن في ذكره عقب الشمس والقمر إيهام أن المراد به الكوكب الذي هو مناسب لهما .

وَمِنْهُ الإِرْصَادُ أي من أنواع البديع نوع يسمى الإِرْصاد، وهو لغة نصب الرقيب في الطريق من رصدته رقبته، والرصيد السبع الذي يرصد ليث .

وفى الاصطلاح أشار له الناظم بقوله:

. . وذَا أَنْ تَجْعَـــــــــــــــــــــــلا　　　مِـنْ قَبْـلِ عَجْـزِ الْبَيْـتِ مَـا دَلَّ عَلَـى
تَمَامِـــــهِ إِذَا الــــــرَّوِيُّ عُرِفَـــــا

يعنى أن الارصاد اصطلاحا هو أن تجعل من قبل عجز البيت أو الفقرة ما أي لفظا دالا على تمام البيت أو الفاصلة إذا عرف روي البيت أي قافيته التي بني عليها بذكر بيت قبله وروي الفاصلة بذكر

(1) - سورة الرحمن، الآية: 6.5

فقرة قبلها، فكأنك أرصدت الكلام الأول لمعرفة آخره .

والْـــبَعْضُ بِالتَّسْـــهِيمِ هَـــذَا وصَـــفَا

يعنى أن بعض البيانيين وصف أي سمى هذا المعنى بالتسهيم من قولهم: سهمت الكلام أي صوبته، كأنه صوب الكلام الأول لقصد الدلالة على الآخر انتهى .

قُلْـــتُ بِشَــرْطِ أَنْ يَكُــونَ اللَّفْــظُ دَلَّ   فَــإِنْ يَــكُ الْمَعْـنَى فَتَوْشِـيحٌ أَجَـلّْ

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: يشترط في تسمية الارصاد بالتسهيم أن يكون الدليل الدال على تمام البيت لفظيا أي ملفوظا به، فإن يك الدليل الدال على ذلك هو المعنى أي معنويا فتوشيح أجل، أي فتسميته بالتوشيح أجل من تسميته بالتسهيم أي أبلغ وأكثر .

مثال الارصاد الذي يسمى بالتسهيم، وهو ما كانت الدلالة فيه على تمام البيت، أو الفاصلة لفظية، قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ 19﴾[1] فدل قوله: اختلفوا على أن الفاصلة يختلفون .

وقول زهير:

سَـئِمْتُ تَكَـالِيْفَ الحَيَـاةِ ومَـنْ يَعِـشْ   ثَمَـانِينَ حَـوْلاً لا أَبَا لَـكَ يَسْـأَمِ[2]

ومثال الارصاد الذي يسمى بالتوشيح، وهو ما كانت الدلالة فيه على تمام البيت أو الفقرة معنوية قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ 33﴾[3] فإن قوله: اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران، أي تعلق الاصطفاء بآدم ومن بعده يدل على أن الفاصلة العالمين لا باللفظ بل بالمعنى، لأنه يعلم منه أن من لوازم اصطفاء شيء أن يكون مصطفى من جنسه، وجنس هؤلاء المصطفين العالمون .

وروي أنه لما نزلت ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ 12 ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ 13 ثُمَّ

(1) - سورة يونس، الآية: 19

(2) - البت من معلقة زهير وبعده:

وأَعْلَـمُ مَـا في اليَـوْمِ والأَمْـسِ قَبْلَـهُ   ولَكِنَّـني عَـنْ عِلـمِ مـا في غَـدٍ عَـمِ

انظر شرح المعلقات السبع للزوزني م س ص148

(3) - سورة آل عمران، الآية: 33

خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ 14﴾[1] قال بعض الصحابة: " تبارك الله أحسن الخالقين " قبل أن يسمعها، فقال النبي ﷺ بها ختمت، وقد روي أنه عمر ﷺ .

وقال زيد بن ثابت: إنه معاذ بن جبل . [350]

وَمِنْـــهُ مَــا يَدْعُونَـــهُ الْمُشَـــاكَلَهْ

أ أي من أنواع البديع نوع يدعونه أي يسميه البيانيون المشاكلة، وهي لغة المماثلة والموافقة والمشابهة، يقال: فلان فيه شكلة من أبيه، وشكلة بالضم أي شَبهٌ وهذا أشكل به أي أشبه .

واصطلاحا أشار إليها الناظم بقوله:

أَنْ يُـذْكَرَ الشَّـيْءُ بِلَفْـظٍ لَـيْسَ لَـهُ

أي المشاكلة في الاصطلاح هي أن يذكر الشيء أي المعنى أي يعبر عنه بلفظ ليس له وضعا، أي ليس هو لفظه الموضوع له، وإنما يكون ذلك لِكَوْنِهِ أي المعنى المعبر عنه بلفظ غير لفظه صَحِبَهُ أي صحب ذلك اللفظ المعبر به عنه أي وقع في صحبته حَقِيقًا أي حقيقة أو مُقَدَّرًا أي أو تقديرا، فالأول أشار له بقوله: ومَكَرَ اللهُ تَلَوْا أي تلا البيانيون قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ مثالا لذكر المعنى بلفظ غير لفظه لوقوعه في صحبته تحقيقا للمشاكلة ؛ لأن المكر لغة الحيلة في إيصال المضرة إلى الغير من حيث لا يشعر، وهذا محال في جانب الله تعالى، فلا يطلق على فعله بالكفار إلا على سبيل المشاكلة، ومنه قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾[2] أي تعلم معلومي ولا أعلم معلومك، عبر عن لا أعلم معلومك بالنفس، لوقوعه في صحبة نفسي تحقيقا لأجل[351]

المشاكلة معه ؛ لأن النفس لا يطلق عليه تعالى وإن أريد به الذات، قاله السيد .[3]

بل يختص بالحيوان، لكنه يشكل عليه قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[4] وقوله:

(1) – سورة المؤمنون، الآية: 14.12

(2) – سورة المائدة، الآية: 116

(3) – فيض الفتاح م س ج2 ص213

(4) – سورة الأنعام، الآية: 54

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾[1] ما لم تقدر المشاكلة، وظاهر القاموس حيث ذكر في معانى النفس أنه لعين الشيء، وكذا الصحاح، وعلى هذا فلا يكون إطلاق النفس عليه تعالى محتاجا إلى اعتبار المشاكلة، واختار ابن العربي في تفسير الآية أنها بمعنى الغيب أي تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك، عبر عن الغيب بالنفس لأنه مستتر كالنفس، ويؤيده قوله في الفاصلة ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١١﴾ ومنه قول الشاعر الذي أشار إليه الناظم بقوله:

وَقَوْلُـهُ قَـالُوا اقْـتَرِحْ شَـيْئًا نُجِـدْ *** قُلْـتُ اطْبُخُـوا لِي جُبَّـةً بَيْـتٌ عُهِـدْ

أي ومن المشاكلة بذكر المعنى أي التعبير عنه بلفظ ليس له في الوضع، لوقوعه في صحبته تحقيقا، قوله: أي الشاعر:

قَـالُوا: اقْـتَرِحْ لَـوْنًا نُجِـدْلكَ طَبْخَـهُ *** قُلْـتُ: اطْبُخُـوا لِي جُبَّـةً وقَمِيْصَـا

أي خيطوا عبر عن الخياطة بالطبخ لوقوعها في صحبته، قوله: طبخه تحقيقا لأجل المشاكلة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾[2] عبر عن الجزاء بالسيئة مع أنه حسنة، لكونه مباحا لوقوعه في صحبة سيئة، لأجل قصد المشاكلة، ومنه قوله ﷺ: ((**اكْلَفُوا من العَمَل ما تُطيقونَ، فإن الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا فَتَتْرُكُوا الْعَمَلَ**)) [3] عبر عنه بالملل المحال في جانب الله تعالى لوقوعه في صحبة تملوا تحقيقا .

والثاني: وهو التعبير عن المعنى بلفظ غير لفظه الموضوع له، لأجل المشاكلة، لوقوعه في صحبة ذلك اللفظ تقديرا، قوله تعالى: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾[4] أي الزموا صبغة الله لعباده بالإيمان ؛ لأن الإيمان يطهر النفوس، والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه العمودية ويقولون إنه يطهرهم، فأمر المسلمون أن يلزموا صبغة الله أي تطهيره بالإيمان، فإنه خير من

(1) – سورة آل عمران، الآية: 28 والآية 30

(2) – سورة الشورى، الآية: 40

(3) – سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب ما يؤمر به من القصد في الصلاة، الحديث رقم 1368، الجزء 2 الصفحة 519 ط دار الرسالة العالمية ت شعيب الأرنؤوط ولفظ الحديث " اكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا فإن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل "

(4) – سورة البقرة، الآية: 138

العمودية، فعبر عن الإيمان بالله بالصبغة للمشاكلة، لوقوعه في صحبة صبغة النصارى، [1] تقديرا بهذه القرينة الحالية التي هي سبب نزول الآية من غمس النصارى أولادهم، فاحترز الناظم بقوله: لكونه صحبه إلخ عن الجناس التام والمجاز .

قلت: فالمشاكلة إذن لا حقيقة ولا مجاز، فهي واسطة بينهما، أما كونها ليست بحقيقية فلأن الطبخ مثلا في البيت ليس موضوعا للخياطة، وأما كونها ليست بمجاز فلعدم العلاقة المعتبرة المشترطة في المجاز بين الطبخ والخياطة، فبقي أن يكون واسطة بينهما .

قال الناظم في شرحه: الذي يظهر في بادئ الرأي أنها مجاز، والعلاقة بين المعنيين المصاحبة انتهى .

قلت: في هذا الكلام نظر لأن المصاحبة المعدودة من علاقات المجاز المرسل المصاحبة في الخارج والوجود بين المعنيين كإطلاق الراوية على المزاودة، وهي الأصل للبعير الذي يحملها فأطلقت عليها مجازا لمصاحبتها للبعير في الخارج، لا المصاحبة في اللفظ بينهما كما هنا، فليست هذه من علاقات المجاز .

ثُمَّ المُزَاوَجَــــــــــــــــةُ إِنْ زَاوَجَ فِي   الشَّـــرْطِ والجَـزَا لِمَعْــنًى قَــدْ يَفِــي

أي ثم من أنواع البديع المعنوي نوع يسمى المزاوجة والازدواج، وهي لغة المقارنة واصطلاحا أشار إليها بقوله: إن زاوج إلخ أي زواج المتكلم في الشرط والجزاء بمعنى أي ترتيبه على كل منهما معنى رتب على الآخر، وبذلك الترتيب صار الشرط والجزاء مزدوجين أي متقابلين في هذا الترتيب ومجتمعين، فالمزاوجة مشتقة من الزوج، وذلك كقول البحتري:

إذا مـا نَهـى النـاهي فلَـجَّ بـهِ الهـوى   أصـــاختْ إلى فلـــج بهــا الهجـــر

رتب على الشرط الذي هو نهي الناهي لجاج الهوى[2] به أي ازدياده ولزومه، وعلى الجزاء أعني إصاختها إلى الواشي أي النمام الذي يشي، قوله: ويزينه لجاج الهجر بها أي ازدياده .

ومثاله من الحديث قوله ﷺ: **((مَنْ أكلَ وشَبعَ وشَرِب فَرَويَ فقال الحمد لله الذي أطعمني**

(1) - «معاني القرآن للفراء» ج1 ص82 ت أحمد يوسف النجاتي/محمد علي النجار/ع الفتاح الشلبي، ط1 دار المصرية للتأليف والترجمة.

(2) الهوى: هو ميل النفس إلى مقتضيات الطبع والإعراض عن الجهة العلوية بالتوجه إلى الجهة السفلية. انظر: اصطلاحات الصوفية (ص: 85) (باب الهاء)

فأشبعني وسقاني فأرْواني خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)) [1] وحديث الشيخين: ((مَنْ نَسِيَ وهُوَ صَائِمٌ، فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وسَقَاهُ)) [2]

قوله: إن زاوج إلخ من أن المصدرية وصلتها خبر مبتدأ محذوف أي هي مزاوجة المتكلم في الشرط والجزاء بمعنى، وجملة يفي في محل نعت لمعنى .

وَالعَكْــسُ تَاخِيــرُ الَّــذِي قُــدِّمَ فِي ... أَحَــدِ طَــرَفَيْ جُمْلَــةٍ إِنْ تُضَــف

يعنى أن العكس في اصطلاح أهل البديع هو تأخير الجزء الذي قدم بأن تقدم جزءا في الكلام على آخر، ثم تؤخر ذلك المتقدم، ويسمى أيضا التبديل [351] وهو على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يقع في أحد طرفي جملة واحدة أي بين طرفيها إن تضف الجزء المقدم والمؤخر بأن تضف المقدم لطرفها الأول والمؤخر لطرفها الثاني، كقوله ﷺ: ((جارُ الدَّارِ أحقُّ بدارِ الجار)) [3] وقوله أيضا: ((مُحَرِّمَ الْحَلَالِ كَمُحَلِّلِ الْحَرَامِ)) [4] وقول العرب: " عاداتُ السّاداتِ ساداتُ العاداتِ " وقولهم: " كلامُ المُلوك مُلوكُ الكلام "

الثاني: أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين اسميتين، وإليه أشار بقوله: **أَوْ جُمْلَتَيْنِ اسْمِيَّتَيْنِ**نحو ﴿لاَ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ ولاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾[5]

الثالث: أن يقع بين متعلقي فعلين، وإليه أشار بقوله: **أَوْجَلا .. فِعْلِيَّتَيْنِ**أو جلا أيْ وضح الكلام الذي فيه العكس حال كونه جملتين فعليتين، كقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾[6] وقد يقع بين متعلقي اسمية وفعلية، كقوله ﷺ: ((لَسْتُ مِنْ دَدٍ، ولا دَدٌ[7] مِنِّي)) رواه

(1) – ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، الحديث رقم 1141، ج 3 ص 278 ط دار المعارف الرياض السعودية.

(2) – صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب أكل الناسي وشربه وجماعه لا يفطر، الحديث رقم 1155، ج2 ص809

(3) – سنن أبي داود، كتاب البيوع، باب في الشفعة، الحديث رقم 3517، ج 3 ص 286، والسنن الكبرى للنسائي، كتاب الشروط، الحديث رقم 11717

(4) – مسند الشهاب، إن محرم الحلال كمحلل الحرام، الحديث رقم 980/981، ج 2 ص 106

(5) – سورة الممتحنة، الآية: 10

(6) – سورة الروم، الآية: 19

(7) – الدَّدُ اللهو واللعب

الطبراني .[1]

قوله: العكس مبتدأ خبره قوله تأخير الذي قدم عليه، وقوله في أحد إلخ في محل نصب على الحال من نائب قدم المستتر العائد على الذي، وقوله أو جملتين بالجر بالياء معطوف على قوله جملة، وقوله أو جلا فعليتين جلا فعل ماض فاعله مستتر عائد إلى الكلام المفهوم من المقام، وقوله فعليتين حال منه .

كَلامِـــهِ السَّـــابِقِ قَـــدْ يَعُـــودُ　　　بِنَقْضِـــــهِ لِنُكْتَـــــةٍ يُرِيــــدُ

يعنى أن النوع من البديع المعنوي المسمى بالرجوع هو أن يعود المتكلم على كلامه السابق بالنقض بأن ينفي مثبتا أو يثبت منفيا، وإنما يكون ذلك **لِنُكْتَةٍ تُفِيدُ** أي لأجل نكتة فيها فائدة، كالتدله أي إظهار المتكلم التدله أي ذهاب عقله من عشق ونحوه، وكإظهار التحسر أي التحزن .

مثالهما قول زهير:

قِــفْ بِالــدِّيَارِ الــتي لَمْ يَعْفُهــا الْقِــدَمُ　　　بَلَـــى وغَيَّرَهـــا الأَرْواحُ والــــدِّيَمُ

دل قوله لم يعفها القدم على أن تطاول الزمان لم يدرس الديار، ثم عاد إليه ونقضه بأنه قد غيرها الأرواح والمطر الدائم، لأجل إظهاره الحيرة والحزن، حتى كأنه أخبر أولا بخلاف الواقع، لذهاب عقله عند رؤية ديار أحبته، فلم يعرف ما يقول، وتوهم ما ليس بصحيح، فلما راجعه عقله رجع بالنقض على الكلام الأول، فقال: بلى، عفاها القدم وغيرها الأرواح والديم .

قُلْــتُ ومِنْــهُ السَّــلْبُ والإِيجَــابُ إِنْ　　　مِــنْ جِهَتَــيْنِ اشْــتَمَلا وحَيْــثُ عَــنّْ

أي قال الناظم زيادة على التلخيص: ومن البديع المعنوي نوع يسمى السلب والإيجاب أي نفي الشيء الواحد وإيجابه حيث عن بتخفيف النون للوزن، أي حيث عرض، يسمى بهذا الاسم إن شمل السلب والإيجاب ذلك الشيء من جهتين مختلفتين، بأن كان منفيا من جهة ومثبتا وموجبا من جهة أخرى، والمراد بالسلب ما يشمل النهي، هكذا فسره العسكري، ومثل له بقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَقُل لَّهُمَآ**

(1) – المعجم الأوسط للطبراني، باب الألف، من اسمه أحمد، الحديث رقم 413، ج 1 ص 132، والمعجم الكبير للطبراني، باب الميم، المطلب بن عبد الله بن حنطب عن معاوية، الحديث رقم 794، ج 19 ص 343

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ ولاَ تَنْهَرْهُمَا وقُل لَّهُمَا قَوْلٗا كَرِيماٗ 23﴾[1] فإنه نفى القول للوالدين على جهة الذم والشتم بأن نهى عنه [352] الولد فقال: فلا تقل لهما أف، وأثبته لهما على جهة الرفق والمدح بأن أمر الولد به فقال: وقل لهما قولا كريما، وفسره ابن أبي الأصبغ بأن يقصد المادح إفراد ممدوحه بصفة لا يشاركه فيها غيره، فينفيها أولا عن الناس ثم يثبتها لممدوحه كقول الخنساء:

ومـــا بلغـــتْ كـــفُّ امـــرئٍ متنـــاولاً ... مـــن المجـــدِ إلاّ والـــذي نلـــتَ أطـــولُ
ومـــا بلـــغَ المهـــدونَ في النّـــاسِ مدحـــةً ... وإن أطنبـــوا إلاّ الـــذي فيـــكَ أفضـــلُ

أو أفضل .

وَمِنْـــهُ مَـــدْحُ الشَّـــيْءِ ثُمَّ ذَمُّـــهُ ... أَوْ عَكْسُـــهُ تَغَـــايُرٌ يَعُمُّـــهُ

أي ومن أنواع البديع مدح المتكلم للشيء ثم ذمه له، أو بالعكس، وهذا المعنى يعمه اسم التغاير، سمي بذلك لأن المتكلم غاير ما كان عليه، كقول الصفي بعدما شكر العذال:

فـــاللهُ يكْـــلأُ عُـــذَّالي ويُلْهِمُهُـــم ... عَـــذْلي فقـــد فرَّجـــوا كـــربي بـــذكرهمُ

وَمِنْـــهُ الإِيْهَـــامُ ويُـــدْعَى التَّوْرِيَـــهْ ... وفَضَّـــلُوا ذَا النَّـــوْعَ ثُمَّ تَالِيَـــهْ

أي ومن أنواع البديع نوع يسمى الإيهام، ويدعى أي يسمى بالتورية والتخييل، وهي فن عظيم وباب منيع، وقد فضل البيانيون هذا النوع أي التورية وتاليه أي النوع الذي يليه وهو الاستخدام عن سائر أنواع البديع، وأصل التورية مصدر ورّيت الخبر إذا سترته وأظهرت غيره، كأنه مأخوذ من وراء الإنسان، كأن المتكلم يجعل المعنى المورّى عنه وراء ظهره حيث لا يظهره .

وفى الاصطلاح أشار إليها الناظم بقوله:

إِطْـــلاقُ لَفْـــظٍ شِـــرْكَةٍ ويُقْصَـــدُ ... بَعِيـــــــــــــــــــــدُهُ . .

أي التورية في الاصطلاح: هي إطلاق لفظ شركة، أي لفظ مشترك بين معنيين، أحدهما قريب من الفهم يتبادر الذهن إليه، والثاني بعيد منه ويُوَرَّى عنه بالقريب، والمراد بالشركة الشركةُ المعنوية، وهي أعم من أن يكون اللفظ حقيقة في المعنيين أو في أحدهما مجاز في الثاني، ويُقصد أي يقصد المتكلمُ بعيدَه أي معناه البعيد، ويورى عنه بالمعنى القريب، اعتمادا على قرينة خفية يُظْهر بها إرادةَ

(1) – سورة الإسراء، الآية: 23

المعنى البعيد، فيتوهم السامع إرادةَ القريب من أول وهلة، ولذا سمي بالإيهام، وقد قسمها صاحب التلخيص إلى مجردة ومرشحة، وإليهما أشار الناظم بقوله

. فَتَـــــــارَةً يُجَـــــــرَّدُ

مِمَّـا يُلائِـمُ الْقَرِيـبَ[353] كَاسْـتَوَى

يعنى أن التورية عند صاحب التلخيص على قسمين: تارة تجرد مما يناسب المعنى القريب من اللوازم، وذلك كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ 4﴾[1] فإن الاستواء له معنيان:

الاستقرار في المكان، وهو المعنى القريب الموَرّى به الذي هو غير مقصود، لتنزيه الله تعالى عنه .

والثاني: الاستيلاء والملك، وهو المعنى البعيد المقصود الذي ورِّيَ عنهُ بالقريب، وإنما سميت مجردةً لأنها لم يذكر فيها شيء من لوازم المُورّى به ولا المورّى عنه .

ثُمَّ الْمُرَشَّـــحُ الَّـــذِي لَـــهُ حَـــوَى

أي ثم القسم الثاني من قسمي التورية: المرشح أي التورية المرشحة، هو الذي حوى لما يلائم المعنى القريب أو البعيد، أي اشتمل عليه واقترن به، وإنما قال في النظم المرشح بلا تاء باعتبار النوع أو القسم كما فسرت بذلك، وهي التي ذكر فيها شيء من لوازم المعنى القريب أو المعنى البعيد كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾[2] فإنه محتمل للجارحة وهو الموَرّى به، وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح البنيان، وتحتمل القوة والقدرة، وهو البعيد المقصود .

قُلْـــتُ لَقَـــدْ قَصَّـــرَ فِي بَيَانِهَـــا فَلَـــيْسَ فِي الْبَـــدِيعِ مِثْـــلُ شَـــانِهَا

أي قال الناظم من عند نفسه معترضا على صاحب التلخيص في اقتصاره على ذكر قسمين من أقسام التورية: لقد قصر صاحب التلخيص في بيان التورية وما أنصف، حيث أخل بذكر أقسامها، فلم يذكر منها إلا اثنين، وهي ليس في أنواع البديع مثلها، إذ هي أعظم أنواعه وأجلها .

قال الزمخشري: " ولا ترى بابا في البيان أدق ولا ألطف من التورية ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المتشابهات في كلام الله تعالى ورسوله ﷺ، وهي على أربعة أقسام: مجردة، ومرشحة،

(1) – سورة طه، الآية: 5

(2) – سورة الذاريات، الآية: 47

ومبينة، ومهيئة "[1] وقد أشار الناظم إلى بيانها بقوله:

فَكُـــلُّ مَــا بِـــلازِمٍ لَمْ يَقْـــتَرِنْ لا لِقَرِيـــبٍ أَوْ بَعِيـــدٍ قَـــدْ زُكِـــنْ

فَهْيَ الَّتِي تَجَرَّدَتْ: يعنى أن التورية التي لم تقترن بلازم للمعنى القريب ولا بلازم المعنى البعيد، بأن لم تقترن بلازم أصلا، هي التي تجردت من لازم القريب ولازم البعيد، أي هي المسماة بالمجردة، سميت بذلك لتجريدها من اللازمين جميعا كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ 4﴾وقولِ أبي بكر الصديق ﷺ وقد سئل عن رسول الله ﷺ حين خرجا مهاجرين: " هو هادي الطريق " يعنى طريق الجنة، وورّى عنه بالطريق المحسوسة التي هي الجادة مدارس الناس، وقول إبراهيم عليه السلام حسن سأله الجبار عن زوجته: " هذه أختي " يعنى أخوة الإسلام، وهو المعنى البعيد، وورّى عنه بالمعنى القريب الذي هو أخوة النسب .

. وأُلْحِقَـــــــــــــــــــا مَـــا اللَّازِمَـــانِ اسْـــتَوَيَا واتَّفَقَـــا

أي وألحق بالمجردة، التوريةُ التي ذُكر فيها اللازمان أي لازم المعنى القريب، ولازم المعنى البعيد على السواء والاتفاق بين اللازمين، بأن لم يترجح أحدهما على الآخر، فكأنهما لم يذكرا، وصار المعنى القريب والبعيد بسبب ذلك في درجة واحدة .

قال الناظم في شرحه: وينبغي أن تسمى هذه بالمقترنة، كقول البحتري:

ووراءَ تَسْــــدِيَةِ الْوِشـــاحِ مَلِيَّـــةٌ بالحُسْـــنِ تَمْلُـحُ في القلـوب وتَعْـذُبُ

تعارض اللازمان في تملح، فإنه يحتمل أن يكون من الملوحة، ومُلائمه تعذب الذي هو من العذوبة ضد الملوحة، ويحتمل أن يكون من الملاحة التي هي الحسن وملائمه ملية بالحسن، وهو المعنى البعيد المقصود المورّى عنه بالقريب . [2]

وَسَـــمِّ مَـــا يُـــلازِمُ الَّـــذِي دَنَا مُرَشَّـــحًا وضِـــدَّهُ مُبَيَّنَـــا

أي سم التورية التي اقترنت بلازم الذي[354] دنا أي المعنى القريب تورية مرشحا أي مرشحة، وأسقط التاء منه باعتبار النوع، والترشيح لغة التربية، فكأن المتكلم يربي المعنى القريب بسبب ذكره

(1) – «تفسير الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل» ج4 ص143 م س

(2) – شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للحافظ جلال الدين السيوطي صفحة رقم 113، ط دار الفكر بيروت لبنان

لما يناسبه ويلائمه من اللوازم ويقويه بذلك ؛ لأن المورّى به غير مراد، فكأنه ضعيف لعدم إرادته، فإذا ذكر لازمه تقوى به، وسواء ذكر اللازم قبل لفظ التورية أو بعده

فالأول: كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ وقد تقدم الكلام فيها، والثاني كقوله:

مُـذْ هِمـتُ مـن وجْـدي فِي خَالهـا	ولم أصِـل مِنْـهُ إلَى اللـثم
قَالَـت قِفُـوا واسْـتَمعُوا مَـا جـرى	خَـالِي قـد هـام بِـهِ عَمِّـي

ذكر العم بعد الخال ترشيحا لمعناه القريب .

قوله: بلازم الذي دنا متعلق بفعل محذوف هو صلة ما دل عليه قوله فكل ما بلازم لم تقترن أي وسم ما اقترن بلازم الذي دنا .

وَضِدَّهُ مُبَيَّنَا أي وسم ضد المرشحة، وهو ما اقترن بما يلائم المعنى البعيد المورّى عنه مبينا أي تورية مبينة، أسقط التاء في النظم باعتبار النوع، سميت بذلك لتبين المورّى عنه بذكر لازمه، إذ كان قبل ذلك خفيا، فلما ذكر لازمه تبين، وسواء ذكر قبل لفظ التورية أو بعده، فالأول كقول الحموي:

قَـالُوا أمـا فِي جِلّـق نزهـةٌ	تُنسـيك مَـنْ أَنْـت بِـهِ مُغْـرى
يَا عـاذلي دُونـك مـن لَحْظِـه	سَـهْماً ومِـنْ عَارضـه سَـطْرا

فالسهم والسطر موضعان بدمشق من متنزهاتها، وهما المعنى البعيد المقصود المورّى عنه، والمعنى القريب المورّى به سهم اللحظ وسطر العارض، وذكر النزاهة بجلق قبلهما مبين للمعنيين البعيدين .

قال الناظم في شرحه: " وقلت في ذلك أرثي غصونا أم أولادي ﷺ:

يا مـن رآني بالهُمـوم مُطوّقـا	وظللت مـن فقـدي غُصونا في شُجون
أتلـومُني في عظـمِ نَـوْحي والبكـا	شـأنُ المُطـوّق أن ينـوح علـى غُصـون

والثاني كقول ابن سنا الملك:

أمَـا والله لـوْلا خَـوفُ سُـخطك	لهـانَ علـيَّ مـا ألقـي برهْطـك
ملكـتَ الخـافقَيْن فتهـت عجبًـا	ولـيس همـا سـوى قلـبي وقِرطـك

فالخافقان يحتمل القلب والقرط، وهو المعنى البعيد المورّى عنه، والمشرق والمغرب وهو

القريب المورّى به "[1]

وقوله وليس هما سوى قلبي وقرطك مبين للمعنى البعيد .

قوله: وضده مبينا بالنصب معطوف على قوله ما، وقوله مرشحا مفعولي سم أو مفعولان بفعل محذوف أي سم ضده مبينا .

كِلاهُمَـــا مِـــنْ قَبْـــلُ أَوْ بَعْـــدُ ذُكِـــرْ

أي سواء ذكر كلا اللازمين أي لازم المعنى القريب، ولازم المعنى البعيد، من قبل لفظ التورية، أو من بعد لفظها كما قدمنا بيانه .

قوله: كلاهما مبتدأ خبره جملة ذكر بالبناء للنائب .

ثُمَّ الْمُهَيَّـــــأَةُ مَـــــا لا تَسْـــــتَقِرُّ

إِلَّا بِلَفْـــــظٍ قَبْلَهَـــــا أَوْ بَعْـــــدَهَا

يعنى أن التورية المهيأة هي التي لا تستقر أي لا تثبت إلا بذكر لفظ قبلها أو لفظ بعدها، فالمهيأة بذكر لفظ قبلها، كقول ابن سنا الملك:

وسَـيْرُكَ فينـا سـيرةً عُمَرِيَّـةً فرَوَّحْـتَ ... عــن قلــبٍ وأفرجــت عــن كَــرْبِ

وأظهـرتَ فينـا مِـن سَمِيِّـك سُـنةً[355] ... فأظهرت ذاك الفرضَ من ذلك الندب

فالفرض والندب معناهما القريب الحكمان الشرعيان، ومعناهما البعيد العطاء والرجل السريع في قضاء الحوائج، ولولا ذكر السنة لما تهيأت التورية فيهما، فلا يفهم الحكمان .

والمهيأة بذكر لفظ بعدها كقوله:

لَـــوْلا التَّطَـــيُّرُ بِالْخِـــلافِ وَأَنَّهُـــمْ ... قَـــالُوا مَـــرِيضٌ لا يَعُـــودُ مَرِيضًـــا

لَقَضَـــيْتُ نَحْـــبِي خِدْمَـــةً بِفِنَـــائِكُمْ ... لأَكُـــونَ مَنْـــدُوبًا قَضَـــى مَفْرُوضَـــا

فالمندوب معناه البعيد المورّى عنه الميت الذي يندب أي يبكى عليه، والقريب المورّى به الحكم الشرعي، ولولا ذكر المفروض بعده لما صحت التورية، فلا يفهم الحكم الشرعي .

هذا الأول من قسمي التورية المهيأة، والقسم الثاني وهي التي لا تستقر إلا بذكر لفظين إذا فقد

(1) - شرح عقود الجمان للسيوطي م س ص 114

أحدهما فقدت التورية أي لم تتأت ولم تفهم، وإليها أشار الناظم بقوله:

أَوْ لَفْظَتَـــيْنِ فَقْــدُ لَفْـــظٍ فَقْـــدُهَا

قوله أو لفظتين بالجر بالفاء عطف على قوله بلفظ أي أو لا تستقر إلا بذكر لفظتين، فقد لفظ منهما فقدها أي فقد للتورية، أي لا تفهم التورية إلا بذكرهما جميعا كقول عمر بن أبي ربيعة:

أَيُّهَـــا الْمُـــنْكِحُ الثُّـــرَيَّا سُـــهَيْلًا ... عَمْـــرَكَ اللهُ كَيْـــفَ يَلْتَقِيَـــانِ

هِـــيَ شَـــامِيَّةٌ إِذَا مـــا اســـتَقَلَّتْ ... وسُـــهَيْلٌ إِذَا اسْـــتَقَلَّ يَمَـــانِ[1]

فالمعنى القريب في ثريا وسهيل النجمان المعروفان، ومعناهما البعيد للثريا امرأة من بني عبد شمس تسمى الثريا، كانت ذات نهاية في الحسن، ولسهيل رجل يسمى سهيلا بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه، والمرأة شامية أي من أهل الشام، والرجل يمان أي من أهل اليمن، كما أن النجمين كذلك في السماء، فلذلك تم للشاعر ما أراد من إنكار الجمع بينهما .

وَاعْـــدُدْ هُنَـــا التَّرْشِـــيحَ والتَّوْهِيمَـــا ... وافْـــرُقْ بِـــذِهْنٍ قَـــدْ صَـــفَا تَقْوِيمَـــا

هذا البيت من زيادة الناظم على التلخيص، ومعناه اعدد أيها المتكلم الترشيح والتوهيم هنا أي من البديع المعنوي، وافرق بينهما، أي اعلم الفرق بينهما، بأن تصور كلا منهما على حدته، بذهن لك قد صفا، أي صاف سالم من سقامة الفهم بسبب رين الذنوب، تقويما أي إفراقا تقويما أي مقوما لهما، أو المعنى افرق بينهما بذهن قد صفا من السقم، لأجل التقويم أي الاستقامة، فقوله تقويما يحتمل أنه نائب عن مصدر من قوله افرق، ويحتمل أنه مفعول له عامله صفا، وجملة صفا في محل نعت لذهن، وهذان النوعان لهما مناسبة بالتورية، فلذا ذكرهما عقبها، والفرق بينهما هو أن الترشيح هو أن يأتي المتكلم بكلمة لا تصلح لضرب من المحاسن حتى يأتي لها بلفظة ترشحها وتؤهلها لذلك، وذلك شامل لترشيح الاستعارة والتورية والتشبيه والطباق، ولذلك [356] أفردوه بنوع كقوله:

وَإِذَا رَجَـــوْتَ الْمُسْـــتَحِيلَ فَإِنَّمَـــا ... تَبْـــنِي الرَّجَـــاءَ عَلَـــى شَـــفِيرٍ هَـــارِ

فلولا ذكر الشفير لم يكن في الرجاء تورية برجا البئر، وقوله:

وخُفُـــوقُ قلـــبى لـــوْ رأيـــتِ لَهِيبَـــهُ ... يا جَنّـــتى لرَأَيْـــتِ فيـــه جهنّمـــا[2]

---

[1] - البيتان لعمر بن أبي ربيعة كما في ديوانه ص 503

[2] - البيت لأبي الطيب المتنبي انظر ديوانه ص

فقوله: يا جنتي رشحت لفظة جهنم للمطابقة، ولولا هي لم يحصل الطباق .

وأما التوهيم: فهو ذكر لفظ يوهم خلاف المقصود، وهو أيضا شامل لتوهيم التورية والطباق وغيرهما، فأما إيهام التورية فكقول الصفي:

حـــتى إذا صَــدَروا والخيـــلُ صـــائمةٌ　　　مِن بعدِ ما صَلَّتِ الأسياف في القِمَم

فذكر صيام الخيل يوهم أن صلت من الصلاة، والمراد الصليل، وهو صوت الحديد، ومنه قوله تعالى: ﴿**ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ** 3 **وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ** 4﴾ فذِكْرُ النجمِ بعد ذكر الشمس والقمر توهيم، لأنه يوهم أن المراد به نجم السماء، والمراد نجم النبات .

وأما توهيم الطباق فكقوله ﷺ الذي أخرج مسلم في صحيحه: ((**من لطَمَ حرَّ وجْهِ عَبده فإنَّ كفارتَه عِتقُه**)) [1] فذكر حر فيه توهم الطباق مع عبده، وليس بطباق، إذ ليس بضده .

وَمِنْـــــهُ الاِسْــــتِخْدَامُ أَنْ يُـــــرَادَا　　　بِكِلْمَـــةٍ بَعْــضُ الَّـــذِي أَفَـــادَا

ثُمَّ بِمُضْــــــمَرٍ لَهَـــــا الْبَـــــوَاقِي

أي ومن أنواع البديع المعنوي، الاستخدام بإعجام الخاء وإهمال الدال، أو بإعجامهما معا، أو إهمال الحاء وإعجام الذال، فالأول من الخدمة ؛ لأن الكلمة خدمت معنيين، والأخيران كلاهما بمعنى السرعة وبمعنى القطع، إذ في المعنى الاصطلاحي سرعة انتقال من معنى إلى معنى وقطع معنى بابتداء معنى، وأشار الناظم إلى تعريفه وتفسيره في الاصطلاح فقال: أن يراد إلخ، وهو على نوعين:

الأول: أن يراد أي يقصد بكلمة مشتركة بين معنيين فأكثر أحدهما، ثم يراد بالمضمر الراجع إلى تلك الكلمة المعنى الباقي أو المعاني البواقي، وسواء كان المعنيان حقيقين للفظ أو مجازيين أو مختلفين .

والثاني: أن يذكر اللفظ المشترك بين المعنيين ثم يعاد إليه ضميران مراد بكل واحد منهما أحد المعنيين، وإليه أشار الناظم بقوله:

---

(1) – صحيح مسلم كتاب الأيمان، باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده، الحديث رقم 1657، ولفظه: " من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه " وعلى هذا فلا يكون في الحديث توهمُ طباق. ج 3 ص 1278

أَوْ أَوَّلٌ بِمُضْـــــــمَرٍ والْبَـــــــاقِي

أي أو يراد المعنى الأول من معنيي اللفظ المشترك بمضمر عائد إليه، ويراد المعنى الباقي منهما بمضمر آخر يعاد إليه .

مثال الأول: قول الشاعر:

إذا نَـــزَلَ السَّـــماءُ بأرضِ قـــومٍ رَعَيْنـــاهُ وإنْ كـــانُوا غِضَـــابًا[1]

أراد بالسماء الغيث، وبالضمير العائد إليه في رعيناه النبات، وهو مجاز عن المطر، إذ المطر سببه، وقد مثل له الناظم بقوله:

. كَعُجُـــلَ عَيْنَـــا أَحْمَـــدُ أَخْجَلَهَـــا وهَابَهَـــا الْمُعْتَمَـــدُ

فلفظ العين المراد به الذات، والضمير في أخجلها عائد إليها بمعنى الشمس أو بمعنى العين الباصرة، والضمير في وهابها عائد إليها بمعنى الذهب والفضة، وأحلى ما قيل في هذا النوع قول بعضهم:

وللغَزَالَــةِ شـــيء مـــن تَلَفُّتِـــه ونُورُهـــا مـــن ضِـــيَا خَدَّيْـــهِ مُكْتَسَـــب

ومثال الثاني: وهو ما أريد فيه المعنيان بضميرين عائدين إليه باعتبار كل من المعنيين [357] قول البحتري:

فَســـقَى ألغَضَـــا والســـاكِنِيهِ وإن هُـــمُ شـــبُّوهُ بـــينَ جـــوانحِ وقلـــوبِ[2]

فالضمير في الساكنيه عائد إلى الغضا بمعنى المكان، والضمير في شبوه عائد إليه بمعنى الشجر، إذ لفظ الغضا مشترك اشتراكا أصليا بين أرض لبني كلاب وواد بنجد والشجر المعروف .

قوله: أن يرادا خبر مبتدأ محذوف أي هو أن يراد، وهو مبني للنائب، والألف فيه للإطلاق، وقوله: بعض نائبه، وإنما ذكر الضمير في أفاد العائد إلى الكلمة باعتبار اللفظ، والألف في أفاد للإطلاق، وقوله: ثم بمضمر بالعطف على بكلمة، والضمير في لها عائد إليها وهو في محل نعت لمضمر، والبواقي معطوف أيضا بثم على بعض بالرفع .

---

(1) - ينسب البيت إلى معود الحكماء معاوية بن مالك، وقيل للفرزدق، انظر الصاحبي في فقه اللغة لأحمد بن فارس الرازي، ص57 ط1 ، محمد علي بيضون.

(2) - ديوان البحتري ج1 ص246

تنبيـــه

الفرق بين الاستخدام والتورية أن التورية يراد فيها أحد المعنيين، والاستخدام يراد فيه المعنيان جميعا .

وَمِنْـــهُ الِارْدَافُ بِأَنْ يَـــذْكُرَ مَـــا   يُـــرَادِفُ الْمَقْصُـــودَ إِذْ مَـــا لَزِمَـــا

أي ومن أنواع البديع المعنوي نوع يسمى الإرداف، وهو مفسر بأن يقصد المتكلم معنى ولا يعبر عنه بلفظه الموضوع له، بل يذكر ما يرادف المقصود، أي يعبر عنه بلفظ يرادف اللفظ الموضوع للمعنى المقصود، لا ما لزما أي ولا يعبر عنه باللفظ الذي لزم ذلك المعنى أي وضع له أصلا عند العرب، لأجل نكتة في اللفظ المرادف ليست في اللفظ الموضوع للمعنى حقيقة، كقوله تعالى: **﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾**[1] عدل عن التعبير بجلست الذي هو الموضوع للاستقرار في المكان خاصة إلى مرادفه الذي هو استوت الذي يعمه وغيره، لما في الاستواء من الإشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل، وهذا المعنى لا يحصل من لفظ الجلوس لو عبر به، ومنه قوله ﷺ: ((**كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْمَرْأَةِ لِلصَّائِمِ حَلَالٌ إِلَّا مَا بَيْنَ الرِّجْلَيْنِ**)) رواه الطبراني[2] .

عدل عن التعبير بالفرج إلى التعبير بما بين الرجلين لقصد النزاهة والسلامة من الهجنة، وقال أيضا: ((**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ ومَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ**)) رواه الشيخان[3]

قوله: لا ما لزما معطوف بلا على قوله ما يرادف، والألف في لزم للإطلاق .

تنبيـــه

الفرق بين الإرداف والكناية أن الإرداف الانتقال فيه من مذكور إلى متروك، والانتقال في الكناية من الملزوم إلى اللازم أو العكس .

فَـــإِنْ أَتَـــى بِمَـــا يَكُـــونُ أَبْعَـــدَا   فَـــذَلِكَ التَّمْثِيـــلُ إِذْ مَـــا قُصِـــدَا

(1) – سورة هود، الآية: 44

(2) – مسند الشاميين للطبراني، مسند الشعيثي ثم النصري، أبو بكر عن معاوية بن طويع، رقم الحديث 1498، الجزء 2 الصفحة 360 ط مؤسسة الرسالة بيروت ت حمدي بن عبد المجيد السلفي.

(3) – صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، رقم الحديث 6474، ج 8 ص 100

هذا النوع والذي قبله من زيادة الناظم على التلخيص، يعنى أن المتكلم إذا أراد معنى من المعاني أي أراد ذكره ولم يعبر عنه بلفظه الموضوع له خاصة ولا بلفظ قريب منه يعمه وغيره كما في الإرداف، بل أتى في التعبير عنه بلفظ أبعد في الدلالة عليه من لفظ الإرداف يصلح أن يكون مثالا للفظ الموضوع للمعنى المراد، فذلك اللفظ أو التعبير أو الإتيان أو المعنى يسمى باسم التمثيل، إذ ما قصدا أي إذ قصد أي حين قصد، فما زائدة بعد إذ وهي بمعنى حين أي حين قصد ذلك اللفظ أو الإتيان أو المعنى أي قصده المتكلم كقوله تعالى: ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي هلك[358] مَن قُضي هلاكه، ونجا من قُدِّرت نجاتُه، عدل عن التعبير باللفظ الخاص بهذا المعنى إلى التعبير بقضي الأمر لبلاغة الإيجاز، ولكون الهلاك والنجاة كانا بأمر مطاع، ولا يحصل هذا من اللفظ الخاص .

ومنه قوله ﷺ في حديث أم زرع: ((**زَوجي كليل تهَامَة لا حرّ ولا قرّ ولا مَخَافَة ولا سآمة**)) [1] أرادت وصفه بحسن العشرة مع نسائه، فعدلت إلى لفظ التمثيل لما فيه من الزيادة حيث شبهته بليل تهامة المجمع على اعتداله، فتضمن حسن الوصف باعتدال المزاج المستلزم حسن العشرة، وخصت الليل لما فيه من راحة الحيوان، ولأنه سكن ومحل الاجتماع بالحبيب، لا سيما وقد جعلته معتدلا بين الحر والبرد والطول والقصر، وهذه صفة ليل تهامة .

قوله: فإن أتى فاعله ضمير عائد على المتكلم المفهوم من المقام، وما في قوله بما يكون واقعة على لفظ .

وَاللَّفُّ والنَّشْرُ أي ومن البديع المعنوي اللف والنشر أي نوع يسمى بهذا الاسم، واللف لغة مصدر لف الشيء إذا جمعه، والنشر لغة مصدر نشره إذا بسطه، ووجه تسمية هذا النوع به أن المتكلم كأنه لف الحكم في المتعدد الأول بأن لم يصرح به ونشره وبسطه في الثاني حين صرح به، وهو في الاصطلاح مفسر **بِأَنْ تُعَدِّدَا .. لَفْظًا** أي بأن تعدد أيها المتكلم لفظا أي تذكر عدة ألفاظ .

وَبَعْدَ مَا لِكُلٍّ عَدَدَا أي وتعد ذكرك لتلك الألفاظ المتعددة تعدد ما لكل منها أي تذكر ألفاظا

(1) - صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل، الحديث رقم 5189، ج 7 ص 27، وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر حديث أم زرع، الحديث رقم 2448، ج 4 ص 1896

متعددة كل واحد منها راجع إلى واحد من تلك الألفاظ التي عددت أولا .

وَلَمْ يُعَـــيَّنْ مَـــا لَـــهُ تَـــوْكِيلا لِسَـــــــــــامِعٍ . .

أي والحال أنك في حال تعديدك الألفاظ الأخيرة الراجعة إلى الألفاظ الأول، لم تعين ما لكل من الألفاظ الأول من الألفاظ الأخيرة، لأجل توكيلك للسامع أي تعويضك له، في أنه يرد كل واحد الألفاظ الأخيرة إلى ما يليق به من الألفاظ الأول، **مُجْمَلاً أو تَفْصِيلاً** أي حال كون اللفظ الملفوف المعدد أولا مجملا أو مفصلا .

فالمجمل هو الذي لم ينص فيه المتكلم على كل واحد من الألفاظ الملفوفة على حدته، بل ذكر لفظا واحدا يعم اللفظين أو الألفاظ جميعا .

والمفصل هو ما نص فيه المتكلم على كل واحد منها على حدته، فالمجمل كقوله تعالى: **﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾**[1] أي وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، لف بين القولتين وجمع بين الفريقين في الواو، ثقة بأن السامع يرد كلا من القولتين إلى الفريق القائل بها، وإنما سوغ ذلك ثبوت العناد بين اليهود والنصارى بتضليل كل منهما صاحبه، فلا يمكن أن يقول أحدهم بدخول الآخر الجنة، فوثق بالعقل في أنه يرد كل قول إلى فريقه لا من اللبس .

والمفصل على ثلاثة أنواع:

أحدها: أن يكون **مُرَتَّبًا**، أي يكون النشر [359] فيه راجعا إلى اللف على سبيل الترتيب طردا، الأول للأول، والثانيَ للثاني وهكذا، **أَوْ** أي والثاني منها أن يكون **غَيْرَهُ** أي غير مرتب، وهو ما كان النشر فيه راجعا إلى اللف لا على سبيل الترتيب، وذلك على قسمين:

أحدهما أن يكون **مَعْكُوسًا**، وهو ما كان النشر فيه راجعا إلى اللف على سبيل العكس، أي عكس الترتيب، الأول للثاني، والثاني للأول، أي الأول من النشر للثاني من اللف، والثاني منه للأول منه، **أَوْ** أي وثانيهما أن يكون **مُشَوَّشًا**، وهو ما كان النشر فيه راجعا إلى اللف على سبيل التشويش، أي

(1) - سورة البقرة، الآية: 111

الاختلاط لذهن السامع، أي لا على سبيل الترتيب طردا، ولا على سبيل التعكيس، فاللف والنشر المفصل المرتب طردا كقوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ 73﴾[1] فالسكون راجع إلى الليل، والابتغاء راجع إلى النهار، والمعكوس أي المرتب على سبيل العكس كقول الشاعر:

كَيْـــفَ أَسْـــلُو وأَنـــتِ حِقْـــفٌ وغُصْـــنٌ   وغَـــزَالٌ لَحْظًـــا وقـــدًّا ورِدْفًـــا

وأسلو بمعنى أنسى، والحقف الْمُعْوَجُّ من الرمل، واللَّحْظُ النظر بمؤخر العين، والقَدُّ القامة، والرِّدْفُ العَجيزَةُ .

فاللحظ راجع إلى الغزال، والقد راجع إلى الغصن، والردف راجع إلى الحقف، أي كيف أصبر عنك وأنت شبيهة بالغزال في اللحظ والغصن في استقامة القد، والحقف في عظم الردف .

والمُشوَّش أي المختلط الذي ليس على سبيل الترتيب طردا ولا عكسا، كقولك: " زيد أسد وشمس وبحر بهاء وشجاعة وجودا "

. . وفِيـــــهِ رَابِعًـــــا حَكَـــوْا

أيْ وحكى البديعيون فيه أي اللف والنشر المفصل نوعا رابعا، والذي حكاه الزمخشري، ومثل له بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾[2] فقال: هذا من باب اللف والنشر، وتقديره: ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار، إلا أنه فصل بين منامكم وابتغائكم، بقوله بالليل والنهار، وذلك كلا فصل لأنهما زمان، والزمان والشيء الواقع فيه كشيء واحد .

قوله: رابعا بالنصب مفعول مقدم لحكوا المؤخر، وفيه متعلق به أيضا .

وَالخُلْـفُ فِي الأَفْضَـلِ مِـنْ هَـذَيْنِ قَـرْ   وقِيــلَ لا خُلْــفٌ بِتَحْرِيــرِ النَّظَــرْ

يعنى أن الخلاف بين البيانيين في الأفضل أي الأبلغ من هذين، أي اللف والنشر المرتب وغيره من معكوس ومشوش، قرْ بتسكين الراء لضرورة الوزن، أصله قرَّ بتشديد الراء أي ثبت واستقر، فقال

(1) - سورة القصص، الآية: 73

(2) - سورة الروم، الآية: 23

بعضهم وهو الشلوبين: الأبلغ والأفضل المرتب، وقال ابن رشيق: الأفضل والأبلغ غير المرتب من معكوس ومشوش .

وقيل لا خلف أي وقال بعضهم: وهو ابن جماعة: لا خلف أي لا اختلاف بين القائلين، وإنما قال ذلك بسبب تحريره للنظر في قوليهما، فظهر له أن لا خلف بينهما في الحقيقة، فقال: والحق عندي أن أفضلية المرتب عند الشلوبين بحسب اللغة فقط، وأفضلية غيره من معكوس ومشوش عند ابن رشيق بحسب البلاغة فقط، وفى هذا التوفيق نظر .

والصواب عندي أن يوفق بينهما بأن المرتب[350] أبلغ إذا اقتضى المقام الإيضاح، وإفهام السامع من أول وهلة، والمعكوس والمشوش أبلغ، إذا اقتضى المقام الإبهام على السامع في أول وهلة، لأنه لا يفهم كيفية رجوع النشر إلى اللف فيهما إلا بعد تأمل .

وَالجَمْــعُ أَنْ يَجْمَــعَ فِي حُكْــمٍ عَــدَدْ

يعنى أن الجمع نوع من البديع المعنوي، وهو أن يجمع المتكلم عددا من الألفاظ اثنين فصاعدا في حكم بأن يشركهما فيه، وذلك

كَقَـــوْلِ بَعْـــضِ الشُّـــعَرَاءِ .

هو أبو العتاهية **إِذْ زَهِدْ** أيْ حين زهد في الدنيا ورغب في الآخرة ونظم في الزهد بعد ما كان يشعر صبابة:

إِنَّ الشَّـــبَابَ والفَـــرَاغَ والجِـــدَهْ ... مَفْسَـــدَةٌ لِلمَـــرْءِ أَيُّ مَفْسَـــدَهْ

أي داعية للفساد، وقبل هذا البيت:

عَلِمـــتَ يا مجاشـــعُ بـــنَ مَسْـــعَدَهْ ... أنَّ الشـــبابَ والفـــراغَ والجِـــدَهْ

مَفْسَـــدةٌ للمَـــرْءِ أيُّ مَفْسَـــدَهْ .

فإنه جمع ثلاثة أشياء في حكم، وهي الشباب والفراغ من الشواغل والجدة أي كثرة المال، جمع هذه الأشياء الثلاثة في حكم واحد، بأن حكم به عليها جميعا فشركها فيه، وهو إفساد المرء أي جعله فاسد الصفقة في الدنيا والآخرة، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[1] وقوله:

(1) - سورة الكهف، الآية: 46

﴿ألشَّمْسُ والْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ 3 والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ 4﴾

وَعَكْسُهُ التَّفْرِيقُ يعنى أن التفريق عكس الجمع أي النوع المسمى بالتفريق عكس النوع المسمى بالجمع الذي قدمنا آنفا، وهما من البديع المعنوي، وأشار الناظم إلى تعريفه اصطلاحا بقوله: **أَنْ**

. . **أَنْ يُبَايِنَـــــــــا بَيْنَهُمَـــا فِي مَــدْحٍ أو أَمْــرٍ عَــنَى**

: يعنى أن التفريق في الاصطلاح هو أن يباين المتكلم بين أمرين من نوع واحد في حكم يذكره من مدح أو أمر عنا أي عرض له مما هو بصدده، كقول الشاعر:

مَـــا نَـــوالُ الْغَمَـــام وقْـــتَ رَبِيـــعٍ ... كنَـــوالِ الْأَمِـــيرِ يَـــوْم سَـــخاءِ
فنَـــوالُ الْأَمِـــير بَـــدْرَةُ عَـــيْنٍ ... ونَـــوالُ الْغَمَـــام قَطْـــرَةُ مَـــاءِ

فإنه باين بين أمرين من نوع واحد، وهما نوال الأمير ونوال الغمام في حكم من المدح، وهو تكثير العطاء، بأن فضل نوال الأمير على نوال الغمام، فجعل الأول بدرة عين والثاني قطرة ماء، والبدرة عشرة آلاف .

فَــإنْ تُعَـــدِّدْ وأَضَـــافَ مَـــا لِكُـــلّْ ... إِلَيْـــهِ تَعْيِينًـــا فَتَقْسِـــيمٌ يَحِـــلّْ

أي فإن يعدد المتكلم ألفاظا أي يذكر عدة ألفاظ ويضيف ما لكل من تلك الألفاظ المعددة إليه تعيينا أي إضافة معينة أي على سبيل التعيين، فذلك النوع أو الصنيع يحل أي يقع تقسيما أي حال كونه مسمى باسم التقسيم، وهو من أنواع البديع المعنوي، وبقيد التعيين يخرج اللف والنشر كقول الملتمس:

وَلَا يُقِـــيمُ عَلَـــى ضَـــيْمٍ يُسَـــامُ بِـــهِ ... إِلَّا الْأَذَلَّانِ عَـــيْرُ الْحَـــيِّ والْوَتِـــدُ
هَـــذَا عَلَـــى الْخَسْـــفِ مَرْبُـــوطٌ بِرُمَّتِـــهِ ... وذَا يُشَـــجُّ فَـــلَا يَرْثِـــي لَـــهُ أَحَـــدُ[1]

ذكر العير أي الحمار والوتد، ثم أضاف إلى الأول الربط على الخسف، وإلى الثاني الشج على التعيين، لما لكل منهما بالتنصيص .

قوله: فتقسيم بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي فهو تقسيم يحل، وجملة يحل صفة له، أو مبتدأ

(1) - البيتان من الخفيف، وهما لرشيد الدين الوطواط الشاعر. انظر معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لأبي الفتح العباسي ج2 ص300 ت محمد محي الدين ع الحميد، ، عالم الكتب بيروت.

وجملة يحل خبره، وبالنصب حال مقدم من فاعل يحل المستتر العائد إلى صنيع المتكلم المفهوم من المقام، وقوله تعيينا مفعول مطلق نائب عن مصدر من أضاف .

وَإِنْ هُمَـــا أَدْخَـــلَ فِي مَعْـــنًى .

أي وإن أدخل الأمران في معنى، أي أدخلهما المتكلم فيه، بأن جمعهما فيه فحكم به عليهما جميعا، و**قَدْ** .. **فَرَّقَ وجْهَي ذَاكَ** أي والحال أنه قد فرق وجهيْ ذاك أي الإدخال، أي فرق المتكلم بين وجهين للأمرين في ذا الحكم، بأن أدخل أحدهما فيه من جهة غير الجهة التي أدخل فيه الثاني منها، **أَوْ يَجْمَعْ عَدَدْ حُكْمٌ وتَقْسِيمٌ تَلا** أي أو يجمع حكم من الأحكام عددا من الأمور، ثم يلي ذلك الجمعَ تقسيمٌ لذلك العددِ .

قوله: أو يجمع بالبناء للفاعل فاعله حكم وعدد مفعوله وقف عليه بالسكون على لغة ربيعة، وتقسيم مبتدأ وجملة تلا من الفعل وفاعله خبره، والمعنى أو يجمع المتكلم عدة تحت حكم ثم يقسمها بعد ذلك .

أَوْ عَكْسُ ذَا أي عكس الجمع، ثم التقسيم وهو أي العكس أن يقسم المتكلم متعددا ثم يجمعه تحت حكم بعد ذلك .

كِلاهُمَا جَمْعٌ أي كلا هذين النوعين أو الصنفين، وهما إدخال المتكلم أمرين تحت حكم، ثم يفرق بين وجهي الإدخال وجمعه متعددا تحت حكم ثم تقسيمه، أو العكسُ جمع أي يسمى عند البديعيين باسم الجمع، لكن يختص كل منهما بقيد دون الآخر، وإلى ذلك أشار بقوله: و**أَوَّلٌ خُذَا إِلَيْهِ تَفْرِيقًا** أيْ وخذ إلى الأول من النوعين، وهو إدخال الأمرين تحت حكم مع التفريق بين جهتي الإدخال تفريقا، أي ضم إليه قيد التفريق، فيقال له: الجمع والتفريق .

وَذَا تَقْسِيمَا أي وخذ إلى ذا النوع الثاني منهما وهو جمع المتعدد تحت حكم ثم تقسيمه، أو العكس تقسيما، أي ضم إليه قيد التقسيم، فيقال له الجمع والتقسيم، فالأول الذي هو الجمع والتفريق كقول الوطواط:

فَوَجْهُـــكَ كَالنَّـــارِ فِيْ ضَـــوْئِهَا وقَلْـــبِيَ كَالنَّـــارِ فِيْ حَرِّهَـــا

أدخل قلبه ووجه محبوبته في حكم واحد، وهو كونهما شبيهين بالنار، ثم فرق بين جهتي الإدخال

لهما في ذلك الحكم، بأن وجه الشبه بين الوجه والنار الضوء واللمعان، وبين القلب والنار الحرارة والاحتراق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾[1] جمع الليل والنهار في كون كل منهما آية، وفرق بمحو آية الليل فكان الظلام وإبصار آية النهار فكان الضوء، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٣٩﴾[2] فإنه جمع الأنفس في التوفي، ثم فرق بإمساك الأولى وإرسال الأخرى، ومنه قول البحتري:

وَلَمَّا الْتَقَينا والنَّقا مَوْعِدٌ لنا ... تَعجَّبَ رائي الدُّرِّ حُسناً ولاقِطُهْ

فَمِن لُؤلُؤٍ تَجْلُوهُ عِندَ ابْتِسامِها ... ومِن لُؤلُؤٍ عِندَ الحَديثِ تُساقِطُ

فإنه جمع رائي الدر ولاقطه في حكم هو التعجب، ثم فرق بينهما في جهة إدخالهما فيه بأن الرائي يتعجب من لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها، واللاقط يتعجب من لؤلؤ تساقطه عند الحديث، والثاني وهو الجمع مع التقسيم، أي جمع المتعدد تحت حكم ثم تقسيمه أو العكس .

الأول: كقول المتنبي:

حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضِ خَرْشَنَةٍ ... تَشْقَى بِه الرُّومُ والصُّلْبَانُ والبِيَعُ

لِلسَّبْيِ ما نَكَحوا، والقَتْلِ ما وَلَدوا ... والنَّهْبِ ما جَمَعُوا، والنَّارِ ما زَرَعوا[3]

الأرباض جمع ربض بالتحريك سور المدينة، وخرشنة بلدة من بلاد الروم، جمع أولا شقاء الروم بالممدوح إجمالا، ثم قسم ذلك في البيت الثاني، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾[4]

جمع أولا المصطفين من العباد إجمالا في حكم، وهو وراثتهم الكتاب، ثم قسمهم وفصلهم في آخر الآية، ومنه ما رواه الحاكم عنه ﷺ وهو قوله: ((لِكُلِّ إِنْسَانٍ ثَلَاثَةُ أَخِلَّاءَ، فَأَمَّا خَلِيلٌ فَيَقُولُ: مَا

(1) - سورة الإسراء، الآية: 12

(2) - سورة الزمر، الآية: 42

3. «شرح ديوان المتنبي للواحدي» (ص227 بترقيم الشاملة آليا)

(4) - سورة فاطر، الآية: 32

أَنْفَقْتَ فَلَكَ، وما أَمْسَكْتَ فَلَيْسَ لَكَ، فَذَلِكَ مَالُهُ، وأَمَّا خَلِيلٌ فَيَقُولُ: أَنَا مَعَكَ، فَإِذَا أَتَيْتَ بَابَ الْمَلِكِ تَرَكْتُكَ ورَجَعْتُ، فَذَاكَ أَهْلُهُ وحَشَمُهُ، وأَمَّا خَلِيلٌ فَيَقُولُ: أَنَا مَعَكَ حَيْثُ دَخَلْتَ وحَيْثُ خَرَجْتَ، فَذَلِكَ عَمَلُهُ فَيَقُولُ: إِنْ كُنْتَ لَأَهْوَنَ الثَّلَاثَةِ عَلَيَّ " أَوْ قَالَ: عَلَيْكَ)) (1)

فإنه جمع الأخلاء أولا إجمالا في حكم وهو كونهم للإنسان، ثم قسمهم وفصلهم آخرا .

والثاني وهو العكس أي التقسيم ثم الجمع كقول حسان بن ثابت:

قَـــوْمٌ إِذَا حَـــارَبُوا ضَـــرُّوا عَـــدُوَّهُمُ ... أَوْ حَـاوَلُوا النَّفْـعَ فِي أَشْـيَاعِهِمْ نَفَعُـوا

سَـــجِيَّةٌ تِلْـــكَ مِـــنْهُمْ غَـــيْرُ مُحْدَثَـــةٍ ... إِنَّ الخَلَائِـــقَ فَـــاعْلَمْ شَـــرُّهَا الْبِـــدَعُ[2]

قسم أولا صفة الممدوحين إلى ضر الأعداء ونفع الأشياع، ثم جمعها في حكم وهو كونها بسجية .

وَقَدْ تَجِي ثَلَاثَةٌ تَضْمِيمَا أي وقد تجي هذه الأنواع وهي الجمع والتفريق والتقسيم، حال كونها ثلاثة مضموما بعضها إلى بعض في كلام واحد، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَاتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ اِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ 105 فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ 106 خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ 107 وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ 108﴾(3)

فقد جمع الأنفس في عدم التكلم بقوله: لا تكلم نفس ؛ لأن النكرة في سياق النفي تعم، ثم فرق بأن أوقع التباين بينها بأن بعضها شقي وبعضها سعيد، إلا أنه ليس تفريقا باعتبار جهة الإدخال في عدم التكلم، فلذلك قال في المفتاح: ولك أن تلحقه بهذا القبيل، ولم يقل ومنه، ثم قسم فأضاف إلى السعداء ما لهم من نعيم الجنة، وإلى الأشقياء ما لهم [363] من عذاب النار، ومنه قوله:

لِمُخْتَلِفِـــي الحَاجَـــاتِ جَمْـــعٌ بِبَابِـــهِ ... فَهَـــذَا لَـــهُ فَـــنٌّ وهَـــذَا لَـــهُ فَـــنُّ

(1) – المستدرك على الصحيحين للحاكم المعروف بابن البيع، كتاب الجنائز، الحديث رقم 1375 الجزء1 الصفحة 527 ط دار الكتب العلمية ت مصطفى عبد القادر عطا، ومسند الطيالسي

2. البيتان لحسان بن ثابت في ديوانه (ص 238)، والإيضاح (ص 316)

(3) – سورة هود، الآية: 108.105

فَلِلْخَامِـــــلِ العَلْيَـــا وِلِلْمُعْـــــدَمِ الغـــــنَى   وِلِلْمُــذْنِبِ العُــتْيِ وِلِلْخَــائِفِ الأَمْــنُ[1]

وأشار الناظم إلى التمثيل بالآية بقوله: **كَيَوْمَ يَاتِي بَعْدَ لا تَكَلَّمُ** أي بعده قوله: لا تكلم نفس إلا بإذنه، **لآخِرِ القِصَّةِ فَهْيَ تُنْظَمُ** أي إلى آخر القصة أي الآية، فهي أي الآية تنظم في هذا السلك .

وَيُطْلَـــقُ التَّقْسِـــيمُ إِذْ مَـــا اسْـــتَوْفَى   أَقْسَـــــــــــــــامَهُ . .

أي ويطلق التقسيم أيضا على أمرين آخرين، أحدهما استيفاء أقسام الشيء إذ ما استوفى المتكلم أقسامه أي حين استوفى المتكلم أقسامه بالذكر بأن أحاط بها، فما زائدة بعد إذ بمعنى حين، والثاني أشار إليه بقوله: **أَوْ حَالَهُ مُضِيفَا، كَلَا إِلَى مُلائِمٍ** أي والثاني من الأمرين الذين يطلق التقسيم عليهما استيفاء المتكلم أحوال الشيء بالذكر بأن يحيط بها، حال كونه مضيفا لكل من الأحوال إلى ما يناسبه ويلائمه .

فالأول: **نَحْوُ** قوله تعالى: **﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَآءُ إِنَٰثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ 46 أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَٰثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيماً﴾**[2] أعني **آيَةَ شُورَى** أي الآية التي في سورة الشورى لا غيرها ؛ لأن الإنسان المتزوج إما أن لا يلد، أو يلد ذكرا فقط، أو أنثى فقط، أو الذكور والإناث معا، وقدم الإناث لأن سياق الآية التنبيه على أنه سبحانه يفعل ما يشاء دون ما يشاؤه الإنسان، لكنه لجبر تأخير الذكور عرفهم، كأنه قال: ويهب لمن يشاء الفريق الذي لا يخفى، ثم أعطى كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير، تنبيها على أن تقدمهن لم يكن لتقدمهن، بل لمقتضى آخر، ومنه قوله تعالى: **﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾**

والثاني منهما: أي من الأمرين الذين يطلق عليهما التقسيم، كقول المتنبي:

ثقـــالٍ إذا لاقـــوا خفـــافٍ إذا دعـــوا   كثـــيرٍ إذا شـــدوا قليـــل إذا عـــدو

أعنى **ويُقَالُ الْبَيْتَ هَبْ** أي بيت المتنبي المعهود عند رواة الشعر الذي قبله:

سَـــأَطْلُبُ حَقِّـــيْ بِالْقَنَـــا ومَشَـــايِخٍ   كَـأَنَّهُمُ مِـنْ طُـوْلِ مَـا الْتَثَمُـوْا مُـرْدُ

(1) – . الأبيات ليوسف قالها في طاهر بن الحسين، ن معاهد التنصيص ج2 ص310

(2) – سورة الشورى، الآية: 50.49

ثِقَــــالٌ إِذَا لَاقَـــوْا، خِفَـــافٌ إِذَا دُعُـــوْا　　　كَثِـيْرٌ إِذَا شَــدُّوْا، قَلِيْــلٌ إِذَا عُــدُّوْا[1]

ذكر أحوال المشايخ مستوفيا لها، وأضاف إلى كل ما يناسبه، بأن أضاف إلى الثقل وقت الملاقاة، وإلى الخفة وقت الاستغاثة، وإلى الكثرة وقت الشد أي الحمل على العدو، وإلى القلة وقت العد، وبإضافة ما يناسب كلا إليه فارق التقسيم بالمعنى السابق ؛ لأن الإضافة فيه بعد ذكر المتعدد وأيضا المتعدد هناك نفس الشيء، وهنا أحواله مع أنه يذكر فيه الواحد من أحوال الشيء ويضاف ما يليق به قبل ذكر الحال الآخر، ومنه قول الآخر:

ثَمَانِيَــــةٌ لَمْ تَفْـــتَرِقْ مُـــذْ جَمَعْتَهَـــا　　　فَـلَا افْتَرَقَـتْ مَـا ذَبَّ عَـنْ نَاظِـرٍ شَـعْرُ

ضَــمِيرُكَ والتَّقْــوَى وجُــودُكَ والْغِــنَى　　　ولَفْظُـكَ والْمَعْـنَى وعَزْمُـكَ والنَّصْـرُ

قوله: هب فعل جامد بمعنى ظن تتميم للبيت، وقوله البيت منصوب بأعنى مضمرة، واللام فيه للعهد، وكذا قوله: آية شورى ، [364] وقوله: أو حاله بالنصب معطوف على قوله: أقسامه مفعول استوفى وفاعله ضمير عائد إلى المتكلم المفهوم من المقام، وقوله مضيفا حال من فاعل استوفى، وقوله: كلا مفعول به لمضيفا، وقوله: يهب مضاف إلى نحور ثقال معطوف عليه محلهما الجر .

وَمِنْهُ تَجْرِيدٌ أي ومن أنواع البديع المعنوي نوع يسمى التجريد، وهو على نوعين:

الأول مفسر **بِأَنْ يُنْزَعَ مِنْ** .. **ذِي صِفَةٍ** أَيْ من صاحب صفة أي موصوف بصفة موصوفا **آخَرُ مِثْلُهُ** في تلك الصفة **زُكِنْ** أي علمَ **مُبَالَغًا** أي حال كونك مبالغا **بِأَنَّهُ** أي الموصوف **فِيهَا** أي الصفة **كَمَلْ** أي فإنه كامل في تلك الصفة، حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة إلى حيث يصح أن ينزع منه موصوف آخر بتلك الصفة، وهو على قسمين:

أحدهما: على سبيل الكناية كَقولكَ **مِنْ فُلَانٍ** أي زيد مثلا **لِيصَديقٌ** حَميمٌ و**أَجَلْ** أي بلغ من الصداقة مبلغا يصح معه أن يستخلص منه آخر مثله، فيها كناية عن كونه صديقا .

وَالثاني: وهو ما كان على سبيل التشبيه كقولك:

إِنْ سَــــأَلْتَ أَحْمَـــــدًا لَتَسْـــــأَلَنْ　　　بَحْـــرًا بِـــــهِ مُنْــــدَفِقًا . .

أي متدفقا تتلاطم أمواجه، تعنى أنه بلغ في الاتصاف بالكرم حدا يصح معه أن ينتزع منه بحر في

(1) - ديوان المتنبي ج1 ص373

السماحة، مبالغة في تشبيهه بالبحر في السماحة .

والتجريد في هذين القسمين يكون بمن والباء كما في المثالين، ويكون بالواو كقولهم: " مررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة " فإنه جرد من الرجل الكريم آخر مثله، متصفا بصفة البركة، وعطف عليه كأنه غيره وهو هو، ويكون بفي كقوله تعالى: **﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾**[1] أي في جهنم، وهي دار الخلد بنفسها، لكنه انتزع منها دارا أخرى مبالغة وجعلها معدة في جهنم للكفار، تهويلا لأمرها ومبالغة في وصفها بالشدة، وقد يكون بدون واسطة حرف، كقوله:

فَلِـــــئَنْ بَقِيْـــــتُ لأرْحَلَـــــنَّ بِغَـــــزْوَةٍ تَحْـــوِي الغَنَـــائِمَ أو يَمُـــوتَ كَـــرِيمُ

يعنى بالكريم نفسه، فكأنه انتزع من نفسه كريما مبالغة في وصفها بالكرم .

وأشار إلى النوع الثاني من نوعي التجريد بقوله:

وَمِنْهُ أَنْ، يُخَاطِبَ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ أي ومن التجريد مخاطبة الإنسان المتكلم لنفسه، والحال أنهُ **قَدْ .. نُصْحًا وتَوْبِيخًا وتَعْرِيضًا قَصَدْ** أيْ قد قصد النصح لنفسه، أو التوبيخ لها، أو التعريض بآخر، فصل في البيت بين قد والفعل بالمفعول .

فالأول: كقوله:

أقـــولُ لهـــا وقـــد جَشَـــأَت وجَاشَـــتْ مكانَـــكِ تُحْمَـــدي أوْ تَسْـــتَريحِي

أراد أن يوطن نفسه على احتمال المكروه فجردها مخاطبا لها نصحا لها .

والثاني: كقول امرئ القيس:

تَطَـــــاوَلَ لَيْلُــــــكَ بِالأَثْمُــــــدِ ونامَ الخَلِـــــــيُّ، ولَمْ تَرْقُــــــدِ[2]

خاطب نفسه على سبيل التجريد موبخا لها على سبيل الجزع ؛ لأن نفسه نفس ملك فكان من حقها الصبر .

والثالث: كقوله:

أتبكـــي علـــى لَيلَـــى وأنـــتَ تَرَكْتَهـــا وكُنـــتَ عَليهـــا بالْمَـــلا أنـــتَ أَقْـــدَرُ

(1) - سورة فصلت، الآية: 28

(2) - «ديوان امرئ القيس ت المصطاوي» ص87 اعتى به ع الرحمن المصطاوي، ط2 دار المعرفة بيروت.

خاطب نفسه على جهة التجريد معرضا بغيره، لصدور هذا الفعل منه، وقد يكون لقصد التحريض كقول أبي الطيب:

لَا خَيْـــلَ عنْـــدَكَ تُهْـــديها ولَا مَـــالُ ... فَلْيُسْـعِدِ النُّطْـقُ إن لم يُسْـعِدِ الحَـالُ

[365] جرد نفسه وخاطبها تحريضا لها على مدح الممدوح .

وَأَبْلَغُ الأَقْسَامِ مَا قَدْ ثُنِّيَا أي أبلغ أقسام التجريد، القسم الذي ثني به، أي القسم الذي ذكره الناظم ثانيا، وهو الذي على سبيل التشبيه الذي أشار إليه الناظم بالمثال في قوله:

وإن سألت أحمدا لتسألن بحرا به، وإنما عبر عن قسمي التجريد بصيغة الجمع في قوله: وأبلغ الأقسام باعتبار القسمين اللذين تحت القسم الأول، أعني كونه على سبيل الكناية، أو على سبيل التشبيه .

. =**ثُمَّ الْمُبَالَغَةُ أَنْ يَدَّعِيَا**

بُلُوغَـــــهَ فِي الضَّـــعْفِ أَوْ فِي الشِّـــدَّهْ ... حَـــدًّا مُحَـــالاً أَوْ بَعِيـــدَ الرُّتْبَـــهْ

أي ثم من أنواع البديع المعنوي المبالغة، وهي أن يدعي المتكلم لوصف ثابت لموصوف ما بلوغه أي ذلك الوصف في الضعف أو في الشدة حدا محالا، أي مستحيلا لا يمكن عقلا أو عادة، أو لا يمكن عقلا ولا عادة، أو يمكن فيهما، لكنه بعيد الرتبة أي بالغ في الضعف أو الشدة مرتبة بعيدة مستبعدٌ وجودُها، وإنما يدعى ذلك في الوصف ليلا يظن أنه غير متناه فيما ذكرنا من الشدة والضعف .

وتنحصر المبالغة في ثلاثة أقسام، وإليها أشار بقوله:

فَـــإِنْ يَكُـــنْ عَقْـــلاً وعَـــادَةً ورَدْ ... يُمْكِـــــنُ فَـــــالتَّبْلِيغُ . .

أي فإن يكن الوصف المبالغ فيه ورد إمكانه عقلا وعادة، أي فيهما جميعا، فهو التبليغ أي المسمى بالتبليغ عند البديعيين، كقوله ﷺ: **((لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ))** (1)

(1) – صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم، الحديث رقم 1904، الجزء 3 الصفحة 26، وصحيح مسلم كتاب الصوم باب فضل الصيام الحديث رقم 1151 الجزء 2 الصفحة 807

قال الأندلسي: فصيرورة ريح فمه أطيب من المسك مبالغة، وهو ممكن عقلا وعادة .

قوله: يمكن من الجملة الفعلية في محل نصب على الحال من فاعل ورد، وجملة ورد أيضا في محل نصب خبر يكن، وقوله: عقلا وعادة بالنصب تمييز أو ظرف منصوب بيمكن،

أَوْ فِي الْعَقْلِ قَدْ، فَذَاكَ إِغْرَاقٌ أي وإن يكن الوصف المبالغ فيه ممكنا في العقل فقط، ومستحيلا عادة، فذلك الوصف يسمى إغراقا عند البديعيين، وهو مأخوذ من قولهم: " أغرق النازع في القوس " إذا استوفى مدها، والتبليغ المتقدم مأخوذ من مد الفارس يده بعنان فرسه ليزيد في جريه، والإغراق كقول الشاعر:

وَنُكْـــرِمُ جَـــارَنَا مَـــا دَامَ فِيْنَـــا   وَنُتْبِعُـــهُ الْكَرَامَـــةَ حَيْـــثُ مَـــالَا [1]

ادعى أن جاره لا يميل إلى جانب إلا وهو يرسل الكرامة إليه، وهذا ممكن عقلا ممتنع عادة .

قوله: أو في العقل معطوف على الطرف وهو قوله عقلا وعادة، وجيء معه بالجار اعتبارا للمعنى، وقوله قد بمعنى حسب اسم فعل .

كِلاهُمَا قُبِلْ أيْ كلا النوعين التبليغ والإغراق مقبول عند البيانيين وحسن .

أَوْ لا ولا فَهْوَ غُلُوٌّ مَا احْتُمِلْ أيْ وإن كان الوصف المبالغ فيه لا يمكن عقلا ولا عادة، بأن كان ممنوعا فيهما جميعا، فهو غلو، أي هو المسمى بالغلو عند أهل البديع، ما احتمل أي ما قبل عندهم، بل هو مردود .

مَا لَمْ يُقَرِّبْهُ لِذَاكَ شَيْءُ أيْ مدة لم يقربه أي الوصف غير الممكن عقلا وعادة، لذاك أي إلى القبول والصحة شيء **نَحْوُ** لفظ **يَكَادُ** في قوله تعالى: **﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾**[2] وقول الفرزدق [366] يمدح زين العابدين:

يَكَـــادُ يُمْسِـــكُهُ عِرْفَـــانَ رَاحَتِـــهِ   رُكْـــنُ الْحَطِـــيمِ إِذَا مَـــا جَـــاءَ يَسْـــتَلِمُ

فإثبات إمساك الركن لزين العابدين، لأجل معرفته براحته غير ممكن عقلا ولا عادة، ولولا لفظ يكاد لكان غير مقبول عند البديعيين وغير صحيح، لكن قربه إلى القبول والصحة التعبير بلفظ يكاد،

---

(1) - البيت لعمرو بن الأهتم (أعشى تغلب) في كتاب الصبح المنير ص 271

(2) - سورة النور، الآية: 35

وكلفظ لو في قول المتنبي:

وَلَـــوْ أَنَّ مَـــا بِي مِـــنْ جَـــوًى وصَـــبَابَةٍ عَلَـى جَمَـلٍ لَمْ يَـدْخُلِ النَّـارَ خَالِـدُ

ادعى أنه بلغ من النحول، لأجل ما به من الجوى والصبابة مبلغا، لو كان ما به من النحول واقفا على جمل، لدخل من سم الخياط، المُعَلَّق عليه دخولُ الكفارِ الجنةَ، ولم يدخل النار كافر يشير بذلك إلى قول الله ﷻ في وصفهم: ﴿وَلاَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾(1) وهذا الوصف الذي ادعى من النحول غير ممكن عقلا ولا عادة، ولولا لفظ لو، لكان غيرَ مقبول ولا صحيح عند البديعيين، لكن لفظ لو قربه إلى القبول والصحة عندهم .

أَوْ فِيهِ نَوْعٌ مِنْ تَخَيُّلٍ حَسَنْ أيْ ومما يقرب الغلو إلى الصحة، كونُ المبالَغ فيه من نوع حسن من التخييل أي متضمن له كقول أبي الطيب في الخيل:

عَقَـــدَتْ سَـــنَابِكُهَا عليهـــا عِثْـــيَرًا لـــو تَبْتَغِـــي عَنَقـــاً عليـــهِ أَمْكَنَـــا

الْعثير: الغبار، والْعَنَقُ السير، ادعى أن الغبار المرتفع من سنابك الخيل قد اجتمع فوق رؤوسها متراكما متكاثفا بحيث صار كأنه أرض يمكن أن تسير عليها، وهذا ممتنع عقلا وعادة، لكنه فيه تخييل حسن .

وقال القاضي الأرَّجَانِي:

يُخَيَّـــلُ لِيْ أَنْ سُمِّـــرَ الشُّـــهْبُ فِي الـــدُّجَى وشُـــدَّتْ بِأَهْـــدَابِي إِلَـــيْهِنَّ أَجْفَـــانِي

أي يوقع في خيالي أن الشهب محكمة بالمسامير لا تزول عن مكانها، وأن أجفان عيني قد شدت بأهدابها إلى الشهب، لطول سفري وعدم انطباقها، وهذا ممتنع عقلا وعادة، لكنه فيه تخييل حسن، ولفظ يخيل مما يقربه إلى الصحة .

قوله: حسن نعت لقوله نوع أي أو فيه نوع حسن من تخيل، وقوله من تخيل بيان للنوع والضمير المجرور بفي عائد إلى الوصف المبالغ فيه .

أَوْ مَخْرَجُ الْهَزْلِ مِنَ الشَّاعِرِ عَنْ أيْ أَوْ عَنَّ أي عرضَ الوصفُ المبالغ فيه من مخرج الهزل والخلاعة من الشاعر كقوله:

(1) - سورة الأعراف، الآية: 40

أسْــكَرُ بِالأَمْــسِ إِنْ عَزَمْــتُ عَلَــى الشُّــرْ ... بِ غَـــدًا إِنَّ ذَا مِـــنَ العَجَـــبِ[1]

ذكر أنه يسكر بالأمس إذا عزم على الشرب للخمر غدا، مبالغة في شدة إسكار الخمر، أو في حبه إياها، قاصدا بذلك الهزل أي اللعب للتأنيس .

ومن الغلو غير المقبول لعدم اقترانه بما يقربه من الصحة قول أبي نواس:

وأخَفْــتَ أهْــلَ الشِّــرْكِ حــتى إنّــه ... لتَخافُــك النُّطَــفُ الــتي لم تُخْلَــقِ

وقوله:

كَفَــى بِجِسْــمِي نُحُــولا أَنَّــنِي رَجُــلٌ لَــوْلا ... مُخَــاطَبَتِي إِيَّاكَ لَــــنْ تَــــرَنِي

وقول الآخر:

أنحلـــــني الحــــبُّ فلــــو زُجّ بي ... في مُقْلـــةِ النّـــائم لم ينتبـــه

قوله: عن بتخفيف النون لضرورة الوزن، أصله عنّ بتشديده بمعنى عرض، وقوله: أومخرجَ بالنصب على الظرفية [367] معمول لعن، والجملة معطوفة بأو على الجملة قبلها .

قُلْـــتُ وبَعْـــضٌ وهَّـــنَ الْمُبَالَغَـــهْ ... أَصْــلاً وبَعْــضٌ فِي السُّــمُوِّ ثَابَغَــهْ

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: واختلف في قبول المبالغة من أصلها، فبعض وهَّنها أصلا أي ضَعَّفها من أصلها إغراقا كانت أو تبليغا أو غلوا، وقال: إنها لا فضل لها في الصناعة ؛ لأنها كالاستراحة من الشاعر إذا أعياه إيراد المعاني إخراجها عن حد الكلام الممكن إلى حد الامتناع والمبالغة، وبعض ثابَغَها في السُّمُوِّ، أي قصر الفضل عليها، ونسب المحاسن كلها إليها محتجا بأن أحسن الشعر أكذبه، أي ما كان لفظه لفظ كذب في الظاهر وإن كان له تأويل، والها في ثابغه عائد إلى المبالغة باعتبار النوع .

وَضِـــدُّهَا التَّفْـــرِيطُ عَـــدَّ الْيَمَـــنِي ... ومَـــا رَأَيْـــتُ غَـــيْرَهُ بِمُعْتَـــنِي

أي وضد المبالغة التفريط في الوصف في المدح، وهو نوع عده عبد الباقي اليمني في كتابه وقال الناظم: إنه لم ير أحدا غيره معتنيا به، وفسره بأن يؤتى بالوصف ناقصا عما يقتضيه حال

---

(1) - قَبْلَهُ:

أَمُـــرُّ بِالكَـــرْمِ خَلْـــفَ حَائِطِـــهِ ... تَأخِـــذُنِي نَشْـــوَةٌ مِـــنَ الطَّـــرَبِ

أوردهما القزويني في الإيضاح بلا عزو.

المعبر عنه، كقول الأعشى:

وَمَـــا مُزْبِـــدٌ مِـــن خَلِـــيجِ الفُـــراتِ، جَـــوْنٌ، غَوارِبُـــــهُ تَلْــــتَطِمْ

بأجْــــــوَدَ مِنْــــــهُ بِمَاعُونِــــــهِ إذا مَـــا سَمَـــاؤهُمُ لم تُغِـــمْ

يمدح ملِكا بالجود بالماعون، وفرَّط في مدحه، إذ ليس بذل ذلك يعد كرما للسوقة فضلا عن الملك .

قلت: وما في هذا ما يعد من البديع، إلا إذا كان قاصدا تهكما بذلك واستهزاء، وإلا كان قبيحا لكونه غير مطابق للحال أصلا .

وَجَعْلُـــــهُ لِلنَّـــــوْعِ جِنْسًـــا عَظَّمَـــا إلْحَـــاقُ جُزْئِـــيٍّ بِكُلِّـــيٍّ نَمَـــا

يعنى أن جعل المتكلم للنوع جنسا عظما، أي لأجل عِظَمِ ذلك النوع وتعظيمه، ويجعل الجزئيات كلها منحصرة فيه إلحاق جزئي بكلي، أي يسمى بحصر الجزئي وإلحاقه بالكلي وهو نوع غريب صعب المسلك اخترعه ابن أبي الأصبغ، وهو شبيه بالمبالغة، فلذا ذكره الناظم عقبها كقول الصفي:

شـــخصٌ هـــو العـــالَمَ الكلـــيّ في شـــرفٍ ونفسُـــه الجـــوهر القدْســـيُّ في عظـــم

وقول الآخر:

فبشَّـــرتُ آمـــالي بِملـــك هُـــوَ الْـــورى ودَار هِـــيَ الـــدُّنْيَا ويَـــوْم هُـــوَ الـــدَّهْرُ

ومنه قوله ﷺ: ((**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ** ")) [1]

قوله: جعله مبتدأ وقوله جنسا مفعوله وقوله عظما مفعول لأجله، وقوله إلحاق إلخ خبره، وقوله نما بمعنى نسب تتميم للبيت .

ثَمَّةَ مِنْهُ الْمَذْهَبُ الْكَلامِي =أي من أنواع البديع المعنوي نوع يسمى المذهب الكلامي، وأول من اخترعه وسماه الجاحظ، وسماه ابن النقيب الاحتجاج النظري، وفسره الناظم بقوله: **إِيرَادُهُ الْحُجَّةَ لِلْمَرَامِ عَلَى طَرِيقِهِمْ** يعنى أن المذهب الكلامي في الاصطلاح هو إيراد المتكلم الحجة للمرام، أي على المطلوب على طريقهم، أي على طريق أهل الكلام في القطع والإفحام، وهو أن يكون بعد

---

(1) - سنن الترمذي أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، الحديث رقم 2969 ج5 ص 211 ت محمد أحمد شاكر، وأخرجه في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين، كتاب الدعوات والأذكار، 7 الدعاء هو العبادة، الحديث رقم 1257، الجزء 2 الصفحة 515

تسليم المقدمات المستلزمة للمطلوب، **كَقَوْلِهِ** سبحانه ﷻ

لَــوْ كَــانَ فِيهِمَــا ومَــا لَــهُ تَــلا

أي لو كان فيهما، أي السموات والأرض آلهة إلا الله لفسدتا عن نظامها[368] المشاهد عيانا، فاللازم وهو فساد السموات والأرض عن نظامهما باطل، فكذا الملزوم وهو تعدد الآلهة، وكقوله أيضا حكاية عن إبراهيم: ﴿**فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ**﴾[1] وقصد شاعر أبا دُلَفٍ فقال له ممن أنت ؟ فقال من تميم فقال:

تَمِــيمٌ بطُــرْقِ اللُّــؤمِ أهـــدَى مـــن القَطــا ولــو سَــلَكت سُــبْلَ المكــارِمِ ضَــلَّتِ[2]

فقال: نعم بتلك الطريق أتيتك، فخجل واستكتمه وأجازه، لأنه أفحمه بدليل أن المجيء إليه ضلال .

قوله: إيراده خبر مبتدأ محذوف أي هو، والضمير المجرور في إيراده عائد إلى المتكلم المفهوم من المقام، واللام في قوله للمرام بمعنى على، وقوله علا فعل ماض .

وَمِنْهُ تَفْرِيعٌ أيْ ومن أنواع البديع المعنوي نوع يسمى بالتفريع، **وذَا** أي التفريع في اصطلاح البديعيين هو

. . **أَنْ يَثْبُتَـــــ لِمُتَعَلَّـــقٍ لَـــهُ مَـــا أَثْبَتَـــا**

لآخَرٍ لَهُ أيْ هو أن يثبت المتكلم لمتعلق له أي للموصوف مَا أي حكما أثبته أولا لمتعلق لذلك الموصوفِ آخرَ على وجه يشعر بالتفريع والتعقيب، أي يشعر بأن ثبوت الحكم لمتعلق الموصوف الثاني، فرع عن ثبوته لمتعلقه الأول، وهو احتراز عن قولنا: " غلام زيد راكب وأبوه راجل " كقول الكميت من قصيدة يمدح بها أهل البيت:

أحلامُكُـــم لِسَـــقامِ الجَهـــلِ شـــافيةٌ كمــا دِمــاؤُكُمْ تَشْــفِي مِــنَ الكَلَــبِ

بفتح اللام، جنون يحصل للإنسان من عض الكلب، أي الذي كلب يأكل لحوم الناس فيأخذه شبه جنون، لا يعض إنسانا إلا كلب، ولا دواء له أنفع من شرب دم ملك لشرفه ورجاحة عقله، فقد فرع

(1) – سورة البقرة، الآية: 258

(2) – البيت للطرماح وهو في ديوانه ص132

على وصفهم بشفاء أحلامهم لسقام الجهل، وصفهم بشفاء دمائهم من داء الكلب، ومثاله من الحديث ما رواه الديلمي من حديث أنس: ((**الْخَمْرُ تُغَطِّي الْعَقْلَ كَمَا أَن شَجَرهَا يَعْلُو الشّجر**)) [1] والألف في قوله: أن يثبتا للإطلاق، وكذا في قوله: ما أثبتا وما مفعول به ليثبت .

. بِمَـــــــــا نَفَـــــــــــى أَوْ لا عَــنِ الَّــذِي بِشَــيْءٍ وصِــفَا
أَفْعَــلَ لِلْوَصْــفِ مُنَاسِــبًا وقَــدْ عَــدَّى بِمِــنْ إِلَى الَّــذِي ذَاكَ قَصَــدْ
فَــذَاكَ بِالتَّفْضِــيلِ حَقًّــا دُعِيَــا والْحُسْــنُ فِي التَّعْلِيــلِ أَنْ يَــدَّعِيَا

أي فإن نفى المتكلم بما خاصة أولا عن الاسم الذي وصف بأوصاف أفعل التفضيل حال كونه أي أفعل مناسبا للوصف الموصوف به الشيء المنفي عنه أفعل بما وموافقا له في المعنى، والحال أن أفعل قد عدى بتخفيف الدال أي جاوز فاعله إلى الشيء الذي قصده المتكلم بالمدح أو الذم بمن، فتحصل المساواة بين الاسم المجرور بمن وبين الاسم الداخلة عليه ما النافية ؛ لأنها نفت الأفضلية فتبقى المساواة، فذلك الصنيع يدعى بالتفضيل عند البديعيين، وجعله بعضهم قسما من التفريع .

قوله: أَوْ لا معطوف على ما بأو وقوله أفعل مفعول به لنفى وقوله مناسبا حال من أفعل أو نعت له وقوله إلى الذي متعلق بعدي وكذا قوله بمن وقوله ذاك مبتدأ مشار به إلى المتكلم وجملة قصد خبره .

مثال ما استوفى الشروط قول الأعشى:

مَـــا رَوْضَـــةٌ مِـــن رِيَاضِ الحَـــزْنِ مُعْشِـــبَةٌ خَضْــرَاءُ جَــادَ عَلَيْهــا مُسْــبِلٌ هَطِــلُ
يُضَــاحِكُ[369] الشَّــمسَ مِنْهَــا كَوْكَــبٌ شَــرِقٌ مُـــؤَزَّرٌ بعَمـــيم النَّبْـــتِ مُكْتَهِـــلُ
يَوْمًـــا بِأَطْيَـــبَ منهـــا نَشْـــرَ رَائِحَـــةٍ ولا بِأَحْسَـــنَ مِنْهَـــا إِذْ دَنَا الأُصُـــلُ

الغناء: الكثيرة العشب، والهطل ككتف، والكوكب ما طال من النبات، وشرق ككتف مضيء والمؤزر المقوى، وكل ما اجتمع وكثر فهو عميم، ونبت مكتهل متناه، والأصل بضمتين جمع أصيل آخر النهار، فروضة اسم موصوف بأوصاف لائقة به منفي عنه بما أفعل تفضيل وهو قوله بأطيب

(1) – الفردوس بمأثور الخطاب لأبي شجاع الديلمي باب الكاف الحديث رقم 4954 ولفظ الحديث " الْكَذِب يسْقِي أصُول الشَّرّ كَمَا يسْقِي المَاء أصُول الشّجر وشرب الْخمر يَعْلُو الْخَطَايَا كَمَا أَن شَجَرهَا يَعْلُو الشّجر " الجزء 3 الصفحة 315 ط دار الكتب العلمية ت السعيد زغلول.

مخبرا به عن الروضة معدى بمن إلى الشيء المقصود للشاعر بالمدح وهو الممدوحة، فتفرع من هذا المبالغة في مدحها، وأنها ساوت الروضة الموصوفة بالأوصاف المذكورة، ومثاله من الحديث ما رواه الترمذي: **((مَا ذِئْبَانِ ضَارِيَانِ أُرْسِلَا فِي غَنْمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ والشَّرَفِ لِدِينِهِ))** [1] وحديث الطبراني: **((مَا الْمُعْطِي مِنْ سَعَةٍ بِأَعْظَمَ أَجْراً مِنَ الْآخِذِ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا))** [2]

ومنهم من يسمى هذا النوع النفي والجحد .

تنبيـــــــه

وقد اخترع ابن أبي الإصبع قسما ثالثا من التفريع، وهو أن تُصَدِّرَ الكلامَ باسم أو صفة، ثم تكرره مضافا إلى آخر، فيتفرع من ذلك معان في مقصودك في مدح أو ذم كقوله:

وَفِي الْعُهـــــــــودِ وفي الْوُعــــــــــودِ   كَـــريمُ الصِّـــفاتِ كَـــريمُ الْهِبـــاتِ

قالوا: وفيه نظر فهو بتعديد الصفات أنسب .

قال الناظم في شرحه: قلت هو بالترديد أنسب وأنسب . [3]

والْحُسْـــنُ فِي التَّعْلِيـــلِ أَنْ يَـــدَّعِيَا

لِلْوَصْـــفِ عِلَّـــةً لَـــهُ تُنَاسِـــبُ   بِلُطْـفِ مَعْـنًى لا حَقِيقِـي تَصْـحَبُ

يعنى أن النوع البديعي المسمى بحسن التعليل، هو أن يدعى المتكلم للوصف علة مناسبة له بلطف معنى، أي بسبب معنى لطيف يعتبره العقل ويلاحظه، ومعنى لطفه أن يكون مشتملا على لطف ودقة، لا حقيقي بتخفيف الياء للوزن، أي ليس ذلك المعنى الذي اعتبره العقل حقيقيا، أي ليس ثابتا في الخارج يصحب الوصف المعلول .

قوله: بلطف معنى من إضافة الصفة إلى الموصوف كما بينا، وقوله يصحب في محل نعت لقوله

(1) – سنن الترمذي لكن بلفظ "جائعان" أبواب الزهد باب ما جاء في أخذ المال الحديث رقم 2376 ج4 ص588، والمعجم الكبير للطبراني، باب الكاف، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، عَنِ ابْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، الحديث رقم 189، ج19 ص96 ط مكتبة ابن تيمية القاهرة ت حمدي بن عبد الحميد السلفي.

(2) – المعجم الكبير للطبراني باب العين مجاهد عن ابن عمر، الحديث رقم 13560 ج12 ص423 والحديث بلفظ " مَا الْمُعْطِي مِنْ سَعَةٍ بِأَفْضَلَ مِنَ الْآخِذِ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا "

(3) – شرح عقود الجمان للسيوطي ص 125

حقيقي، ومعنى كون المعنى الواقع علة غير حقيقي أن يكون ما اعتبر علة للوصف غير علة في نفس الأمر وإلا لم يكن محسنا لعدم تصرف فيه كما تقول: " فلان قتل أعداءه لدفع ضرهم " وهو على قسمين أشار إليهما الناظم بقوله:

فَتَــــارَةً يَكُـــــونُ ثَابِتًـــا قُصِـــدْ عِلَّتُــــــــــــــــــــــهُ .

يعنى أن الوصف المعلل بغير علته بسبب اعتبار لطيف على قسمين، فتارة يكون ثابتا قُصِدَ بيانُ علته **وذَاكَ ضَرْبَيْنِ عُهِدْ** يعنى أن الوصف الثابت المقصود بيان علته عُهد عند البلاغيين حال كونه ضربين أي نوعين أشار إليهما الناظم بقوله:

مَــــا لَمْ تَـــبِنْ عِلَّتُـــــهُ فِي العَــــادَةِ أَوْ عِلَّـــةٌ خِـــلافُ ذِي قَـــدْ بَانَـــت

أي منه ما لم تبن أي تظهر علته في العادة أي ليست له علة في العادة أصلا، وإن كان لا يخلو في الواقع منها، ومنه ما علته قد بانت أي ظهرت حال كونها خلاف ذي العلة التي علله بها المتكلم أي له علة في العادة [370] غير المذكورة .

فالأول: وهو ما لا علة له في العادة كقول المتنبي:

لَمْ تَحْــــكِ نَائِلَـــــكَ السَّــــحَابُ وإِنَّمَـــــا حُمَّـــتْ بِـــهِ فَصَــــبِيبُهَا الرَّحَضَـــاءُ

بفتح الراء والحاء المهملة، فنزول المطر من السحاب صفة ثابتة، ولا تظهر له علة في العادة، وقد علله الشاعر بأنه عرق حُمَّاها الْحادِثة لها، بسبب حسدها للممدوح حين رأت عطاءه يفوق عطاءها، والصيب بمعنى المصبوب من العرق .

والثاني: وهو ما له علة في العادة غير المذكورة، إذ المذكورة ليست علة له في الواقع كقول المتنبي:

مَـــــا بِـــــهِ قَتْـــــلُ أَعَادِيـــــهِ ولكِـــــنْ يَتَّقِـــي إِخْـــلَافَ مَـــا تَرْجـــو الـــذِّئَابُ

فإنَّ قَتْلَ الملكِ أعداءَه وصفٌ ثابتٌ له، وله علة في العادة، وهي دفع مضرتهم، لا ما ادعاه الشاعر من أن طبيعة الكرم غلبت عليه، ومحبته أن يصدق رجاء الراجين حثته على قتل أعدائه، لما علم أنه إذا غدا للحرب غدت الذئاب ترجوا لحوم قتلاهم، وقول الآخر:

أتتــــــــــني تُـــــــؤنبني بالبُكـــــــا فـــــــأهلاً بهـــــــا وبتأنيبهـــــــا
تقــــــولُ وفي قولهـــــا حِشْـــــمةٌ أتبكـــــي بعـــــينٍ تـــــراني بهـــــا
فقلــــــتُ إذا استحســــــنَتْ غـــــيركم أمــــــرتُ الـــــدموعَ بتأديبهـــــا

فالبكاء وصف ثابت له علة في العادة، وهي إعراض الحبيب ونحوه من الأسباب الموجبة له، لا ما ادعاه الشاعر من تأديب العين على الإساءة باستحسان غير الحبيب .

قوله: وذاك ضربين عهد ذاك مبتدأ خبره جملة عهد من الفعل المبني النائب ونائبه، وقوله ضربين حال من النائب المستتر في عهد، وقوله ما لم تبن مبتدأ خبره محذوف تقديره منه، وقوله أو علته مبتدأ والهاء المسكن للوزن مضاف إليه، وجملة قد بانت خبره، وقوله خلاف بالنصب حال من فاعل بانت، وأشار الناظم إلى القسم الثاني من قسمي حسن التعليل، وذكر نوعيه اللذين تحته بقوله:

وَمَـــا قُصِـــدْ ثُبُوتُـــهُ مِـــنْ مُمْكِـــنِ أَوْ غَــــــــــــــــــيْرِهِ .

يعنى أن الوصف المدعى له علة، منه ما ليس بثابت، لكن قصد المتكلم إثباته بذكر علته وهو أيضا على قسمين:

منه ما هو ممكن، ومنه غير ممكن أي مستحيل .

فالأول: كقوله:

يَا واشِـــياً حَسُـــنَتْ فِيْنَـــا إِسَـــاءَتُهُ نَجَّـى حِـذَارُكَ إِنْسَـانِي مِـنَ الْغَـرَقِ[1]

فاستحسان إساءة الواشي وصف غير ثابت وهو ممكن وإن كان خلاف العادة، وعلله بأن حذار الشاعر من الواشي نجا إنسان عينه من الغرق في بحر الدموع، حيث ترك البكاء خوفا منه، فأثبت صحة تحسين الإساءة بإثبات علتها .

والثاني: وهو المستحيل كقول صاحب تلخيص المفتاح:

لَـــوْ لَمْ تكـــن نِيَّـــةُ الجـــوزاءِ خِدْمتَـــهُ لَمَـــا رأيـــتَ عليهـــا عِقْـــدَ مُنْتطـــقِ

فانتطاق الجوزاء وصف غير ثابت، وغير ممكن أيضا، قصد الشاعر إثباته بذكر علته التي هي نية الجوزاء خدمة الممدوح .

قال الفنري: إذ الجوزاء ليست مما ينتطق أي الانتطاق الحقيقي، لكن وضعها بالنسبة إلى الكواكب التي حولها يشبه الانتطاق .

وتقرير كلامه: وما قصد ثبوته أي والوصف غير الثابت المدعى له علة الذي قصد المتكلم إثباته

(1) - لمسلم بن الوليد في ديوانه ص 328

بذكر علته كائن من ممكن [371] وغيره أي غير ممكن .

قوله: ما مبتدأ وقصد بالبناء للنائب نائبه ثبوته، والجملة صلة ما، وقوله من ممكن خبر المبتدأ .

وَمَا عَلَى الشَّكِّ بُنِي أيْ ومن حسن التعليل ما أيْ نوعٌ يبنى على الشك وليس منه حقيقة وإنما هو ملحق به ؛ لأن في حسن التعليل جزما وإصرارا، والشك ينافيه كقول أبي تمام:

رُبىً شَفَعَتْ رِيحُ الصَّبَا لِرِيَاضِها ... إِلَى الْمُزْنِ حَتَّى جَادَها وهُوَ هَامِعُ
كَأَنَّ السَّحَابَ الْغُرَّ غَيَّبْنَ تَحْتَهَا ... حَبيباً فَمَا تَرْقَا لَهُنَّ مَدَامِعُ

الربى جمع ربوة، والنسيم هبوب الرياح، وجاد من الجَود وهو بفتح الجيم المطر الغزير والهامع السائل، علل على سبيل الشك نزول المطر على الربى، بأنها غيبت تحتها حبيبا فهي تبكي عليه أبدا، ولو جزم في التعليل بأن لَّمْ يأت بكأن الدالة على الشك فقال: لأن السحاب إلخ، لكان هذا حسنُ تعليلٍ حقيقةً لا ملحقا به، ومنه قول ابن رشيق حين حضر العيد والمعز غائب:

تجهّم العيدُ وانهلّت مَدامعُه ... وكنتُ أعهَدُ منهُ الْبِشْرَ والضّحْكا
كأنهُ جاء يَطْوِي الأرضَ مِن بُعدٍ ... شوقاً إليك فلما لمْ يَجِدكَ بكى

وقول بعضهم وقد هطلت بإشبيلية سحابة بمطر أحمر يوم السبت الثالث عشر من صفر عام أربعة وستين وخمسمائة:

أظنُّ الغمام في جوّها ... بكَتْ رحمةً للورَى بالدَّم(1)

قوله: ما مبتدأ خبره محذوف تقديره منه .

وَمِنْهُ تَاكِيدُكَ لِلمَدْحِ بِمَا ... يُشْبِهُ ذَمَّا .

أي ومن البديع المعنوي تأكيد المتكلم للمدح بما يشبه الذم، ومنهم من يسميه المدح في معرض الذم، ويسمى أيضا تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه، والتسميتان الأوليان بناء على الغالب، وإلا فقد يكون في غير المدح والذم ويكون ذلك محسنا كقوله تعالى: **﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾**

---

(1) - البيت لأبي الأصبغ ابن رشيد الإشبيلي، وقبله قوله:

لقد آن للنّاس أن يُقلعوا ... ويَمشُوا على المِنهج الأَقومَ
متى عهِد الغيثُ يا غافلاً ... كلَون العَقيق أبو العَنْدم

يعنى إن أمكنكم نكاح ما قد سلف فانكحوه، فإنه لا يحل لكم غيره، وذلك لا يمكن فالغرض تحريمه والمبالغة في ذلك .

وَثَلاثًا قُسِّمَا يعنى أن تأكيد المدح بما يشبه الذم قسم حال كونه ثلاثا أي ثلاثة أقسام .

قوله: قسم مبني للمفعول وهو ضمير عائد إلى تأكيد المدح بما يشبه الذم، وقوله ثلاثا حال منه، وأشار الناظم إلى تعداد تلك الأقسام بقوله:

الأَفْضَـلُ اسْـتِثْنَاءُ وصْـفِ فَضْـلِ   مِـنْ وصْـفِ ذَمٍّ قَـدْ نُفِـي مِـنْ قَبْـل

مُقَدَّرًا فِيهِ دُخُولُهُ=يعنى أن الأفضل من الأقسام الثلاثة، استثناء وصف فضل، أي مدح للممدوح من وصف ذم قد نفي عنه من قبل، أي من قبل صفة المدح، حال كون وصف الفضل أي المدح مقدرا دخوله في وصف الذم

. . كَـــــــلا   عَيْـبَ لَـهُ إِلَّا ارْتِقَـاهُ لِلعُـلا

أيْ كقولك: " لا عيب لزيد إلا ارتقاؤه للعلا " فقد أثبت له شيئا من العيب، على تقدير أن الارتقاء في مدارج الْعُلا من العيب، وذلك محال فكذلك ما تعلق به ؛ لأن ما تعلق بالمحال محال نحو ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ وقولهم: " حتى يشيب الغراب "

ومنه قول [372] النابغة الذبياني:

ولا عَيْـبَ فـيهم غـيرَ أنَّ سـيوفَهُمْ   بِهِـنَّ فُلـولٌ مِـنْ قِـرَاعِ الكَتَائِـبِ[1]

أثبت لهم شيئا من العيب على تقدير أن فلول السيوف من قراع الجيوش من العيب، وذلك محال، وما تعلق بالمحال محال، وإنما كان هذا الضرب أفضل من الضربين بعده لأن التأكيد فيه من وجهين:

أحدهما: أن الأصل في الاستثناء الاتصال، فذكر أداته قبل ذكر ما بعدها يوهم إخراج المستثنى من المستثنى منه، فإذا ولي الأداة صفة مدح وتحول الاستثناء من الاتصال إلى الانقطاع جاء التأكيد، لما فيه من المدح على المدح والإشعار بأنه لم يجد صفة ذم حتى ينفيها فاضطر إلى استثناء صفة مدح مع ما فيه من نوع خديعة للقلوب .

(1) – ديوان النابغة الذبياني ص11

والثاني: من وجهي التأكيد أنه كدعوى الشيء ببينة، لأنه على نقيض المطلوب، وهو إثبات شيء من العيب بالمحال، وما تعلق بالمحال محال، فعدم العيب ثابت ببينة، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾[1] أي لا يذوقون الموت في الجنة، إلا إن كانت تذاق فيها الموتة الأولى، وتلك لا تذاق فيها لتقدمها في دار الدنيا، فهم لا يذوقون فيها الموت البتة .

قوله: من قبل بالجر للقطع من الإضافة لفظا ومعنى، وقوله مقدرا حال من قوله وصف فضل، وقوله دخوله نائب قوله مقدرا، وقوله الارتقاء بالقصر لضرورة الوزن .

وَمِنْــهُ الِاسْــتِثْنَاءُ قَبْــلَ وصْــفِ ... مَــدْحٍ يَلِــي وصْــفًا لَــهُ لا يَنْفِــي

أي ومن أقسام تأكيد المدح بما يشبه الذم، الاستثناءُ قبل وصفِ مدحٍ، أي إتيان المتكلم بأداة الاستثناء قبل صفة مدح، وذلك الوصف أي وصف المدح التالي لأداة الاستثناء يلى وصفا له أي وصفا آخر للمدح، لا ينفى أي غير منفي، بل مثبت، أي هذا القسم هو أن تثبت لشيء صفة مدح، ثم تعقبها بصفة مدح تالية لأداة الاستفهام، فالمراد بقوله الاستثناء أداته، وهذا القسم يلي القسم الأول في الأفضلية نحو حديث: ((**أنا أفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بالضَّادِ بَيْدَ أنّي مِن قُرِيش، واستُرْضِعْتُ في بَنِي سَعْد**))[2] وهذا الحديث موضوع لا أصل له، وبيد بمعنى غير أو بمعنى من أجل، أو بمعنى مع، والأصل في هذا القسم كالذي قبله أن يكون الاستثناء فيهما منقطعا، لكن في الأول قدر اتصاله وهذا باق على حاله من الانقطاع فلا يفيد التأكيد إلا من الوجه الأول من الوجهين المذكورين في الضرب الأول لا من جهة دعوى الشيء ببينة لأنه مبني على التعليق بالمحال المبني على تقدير الاستثناء متصلا، ولهذا كان الضرب الأول أفضل، وأما قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾[3] فيحتمل أن يكون من الضرب الأول، بأن يقدر السلام داخلا في اللغو ليفيد التأكيد من وجهين، وأن يكون من الضرب الثاني، بأن لا يقدر ذلك، ويجعل الاستثناء من أصله منقطعا، ويحتمل وجها آخر، وهو أن

---

(1) - سورة الدخان، الآية: 56

(2) - الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي حكم عليها ابن كثير في تفسيره، لأبي ع الرحمن محمود بن محمد الملاح سورة الفاتحة الحديث رقم 16 ص26 ط مكتبة العلوم والحكم، وقد وافق ابن كثير على تضعيف الحديث جماعة منهم الشوكاني والسيوطي والعجلوني وغيرهم.

(3) - سورة مريم، الآية: 62

[373] يجعل الاستثناء متصلا حقيقة على أن معنى السلام الدعاء بالسلامة، فهو طلب تحصيل الحاصل ؛ لأن أهل الجنة أغنياء عنه، فكان ظاهره من قبيل اللغو وفضول الكلام، لولا ما فيه من فائدة الإكرام، فكأنه قيل: لا يسمعون فيها إلا هذا النوع من اللغو، وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا 27 إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا 28﴾[1] يمكن حمله على كل من ضربي التأكيد للمدح بما يشبه الذم كما مر، ولا يمكن حمله على الوجه الثالث، أعني حقيقة الاستثناء المتصل ؛ لأن سلاما وإن أمكن جعله من قبيل اللغو، لا يمكن جعله من قبيل التأثيم أي النسبة إلى الإثم .

قوله: لا ينفى بالبناء للفاعل مجازا عقليا على حد قوله تعالى: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ 20﴾[2] لأن الوصف غير منفي لا غير ناف، كما أن العيشة مرضية لا راضية، وجملة لا ينفى صفة لقوله وصفا مفعول يلي .

وَمِنْـــهُ أَنْ يُـــؤْتَى بِـــهِ مُعَرَّفَـــا عَامِلُـــهُ لِلـــذَّمِّ مَعْـــنًى قَـــدْ وَفَى
وَمَـا بِـهِ اسْـتُثْنِيَ يَحْـوِي الْفَضْـلا

أي ومن أنواع تأكيد المدح بما يشبه الذم، أن يؤتى به أي الاستثناء أو المستثنى حال كونه مفرغا عامله، أي الاستثناء أو المستثنى من المستثنى منه، أي خاليا منه حال كون العامل متضمنا للذم معنى، أي متضمنا لمعنى الذم، ومفرغا له في أذهان السامعين، وما له استثني أي والحال أن الذي استثني أي الشيء المستثنى يحوى الفضل أي المدح ويشتمل عليه **نَحْوُ** قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾[3] أي ما تعيب منا الأصل المفاخر والمناقب وهو الإيمان بالله وآياته .

وتقرير البيتين: ومن أنواع تأكيد المدح بما يشبه الذم، الإتيان بالاستثناء حال كونه مفرغا عامله، حال كون العامل أفرغ، أي أوقع في ذهن السامع معنى الذم، والحال أن الذي استثني أي المستثنى يحوى الفضل أي المدح، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾ وهذا النوع هو الثالث من أقسام تأكيد المدح بما يشبه الذم، وهو يفيد التأكيد من الوجهين المذكورين في

(1) – سورة الواقعة، الآية: 26.25
(2) – سورة الحاقة، الآية: 21
(3) – سورة الأعراف، الآية: 126

القسم الأول .

ثَمَّــــةَ الِاسْـــــتِدْرَاكُ فِي ذَا الْبَـــــابِ كَمِثْـــــلِ الِاسْـــــتِثْنَاءِ بِاقْـــــتِرَاب

يعنى أن الاستدراك المفهوم من لفظة لكن في هذا الباب أي باب تأكيد المدح بما يشبه الذم، يشبه الاستثناء بسبب اقتراب أي قرب منه في المعنى ؛ لأن إلا في الاستثناء المنقطع بمعنى لكن، ووجه الشبه بينهما هو أن ذكر أداة كل منهما بعد المدح يوهم الذم، وذكر صفة المدح بعدها يؤكد المدح ؛ لأن الاستدراك رفع ما يتوهم من الكلام السابق رفعا شبيها بالاستثناء، كقول بديع الزمان:

هُـــوَ البَـــدْرُ إِلَّا أَنَّـــهُ البَحْـــرُ زَاخِـــرًا سِـــوَى أَنَّـــه الضّـــرْغَامُ لَكِنَّـــهُ وبـــلُ

فإن الأولين استثناء، وقوله لكنه الوبل استدراك يفيد فائدة الاستثناء في هذا الضرب .

وَعَكْسُهُ ضَرْبَانِ يعنى أن عكس [374] تأكيد المدح بما يشبه الذم ضربان أي نوعان، والعكس هو تأكيد الذم بما يشبه المدح، وضرباه كالضربين الأولين من تأكيد المدح بما يشبه الذم .

الأول: أشار إليه الناظم بقوله:

. . أَنْ يُسْـــــــــــــــــتَثْنَى مِــنْ نَفْــيِ وصْــفِ الْمَــدْحِ ذَمٌّ يُعْــنَى

إِنْ دَخَلَتْ=أي هو أن يستثني المتكلممن صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم لذلك الشيء بتقدير دخول صفة الذم في صفة المدح الخفية .

وتقرير كلامه هو أن يستثني بالبناء للنائب أي نائبه .

قوله: ذم أيْ أن يستثنى وصف ذم يعنى بالبناء للنائب أي يقصد من نفي وصف المدح أي من وصف المدح المنفي إن دخلت أي إن قدر دخول صفة الذم في وصف المدح المنفي **كَمِثْلِ** قولك **مَا فِيهِ** أي زيد مثلا **هُدًى** أيْ إرشاد واستقامة واهتداء **إِلَّا عَمًى** أي ذهاب **عَنِ الطَّرِيقِ الْمُقْتَدَى** أي طريق الخير المقتدى به أي المتبع، وهو طريق نبينا محمد ﷺ، وكقولك: " فلان لا خير فيه إلا أنه يسيء إلى من أحسن إليه " فقد استثنيت من صفة مدح منفية عن زيد مثلا، وهي الهدى في المثال الأول، والخير في الثاني صفة ذم مثبتة له وهي العمى في المثال الأول، والإساءة في الثاني، مقدرا دخول صفة الذم في صفة المدح على تقدير الاتصال في الاستثناء، فقد أكدت ذمه وبالغت فيه، حيث مدحته بأقبح ما يهجى به الناس من الوجهين المذكورين قبل في تأكيد المدح بما يشبه الذم .

وَالثاني من ضربي تأكيد الذم بما يشبه المدحِ **أَنْ يَجِيْ بِتِلْوِ وصْفِ ذَمِّ** أي أن يجيء وصف الذم المستثنى بإلا مثبتا للشيء المذموم حال كونه تلو أي عقب وصف ذم آخر مثبتا له **كَقولك: فُلانٌ جَاهِلٌ لكِنَّهُ ذُو ظُلْمِ** أو إلا أنه ذو ظلم، وهذا الضرب يفيد التأكيد من وجه واحد من الوجهين المذكورين في تأكيد المدح بما يشبه الذم، وهو الوجه الأول، وقد مثل الناظم بلكن تنبيها على أن الاستدراك في هذا النوع كالاستثناء كعكسه .

قوله: أن يجيء مضارع مبني للفاعل فاعله ضمير عائد على وصف الذم المستثنى المذكور في البيت قبله، والجملة معطوفة على جملة أن يستثنى، وقوله تلو مصدر نائب عن ظرف متعلق بمحذوف في محل حال من فاعل يجيء أو متعلق بيجيء .

ومن ألطف ما قيل في هذا النوع قول القائل:

هـــو الكلـــبُ إلاّ أنَّ فيـــهِ مَلالـــةً ... وســوءَ مُراعــاةٍ ومَــا ذاكَ في الكَلْــبِ

وزاد ابن جابر الأعمى في هذا النوع ضربا ثالثا أشار إليه الناظم بقوله:

وَزِيـدَ بَعْـدَ الـذَّمِّ وصْـفٌ يُـوهِمُ ... زَوَالَـــهُ ثُمَّ لِـــذَمٍّ يُفْهِـــمُ

أي وزيد بعد ذكر وصف الذم المثبت للشيء، وصف يوهم زوال الذم عن الشيء المذموم، ثم بعد ذلك الإيهام يفهم ذلك الوصف الموهم زوال وصف الذم السامع لذم ذلك الشيء بسبب ذكر متعلق له صريح في ذمه، فيكون ذما بعد ذم، وهو أبلغ من القسم قبله، لما فيه من التهكم والاستهزاء .

مثاله: أن تقول: " رأيتُ عنقَ زيدٍ عاطلا فحلَّيتُه بالصَّفعِ " فقد أثبت لزيد أولا صفة ذم وهي كونه عاطلا، ثم أثبت له التحلية الموهمة رفع ذلك الوصف، فلما قلت بالصفع أفهمت[375] أن هذه التحلية ذم آخر، وأنشد فيه قول بعضهم:

يا زاعِمـــــاً أنَّـــــكَ لِي ناصِـــحٌ ... إنِّي بِهَـــذا غـــيرُ مَغْـــرورِ
لَمَّـــا بَـــدا قُـــبحُ الـــذي قلتَـــه ... حَسَّـــنتَ ذاكَ القـــولَ بالـــزُّورِ

وَمِنْـــــهُ الإسْـــــتِتْبَاعُ .

أي ومن أنواع البديع المعنوي نوع يسمى الاستتباع، وإلى تعريفه أشار الناظم بقوله:

. . وصْـــــــفٌ بِاللَّـــــــذَا ... يَسْـتَتْبِعُ الْمَـدْحَ بِشَـيْءٍ غَـيْرِ ذَا

أي هو مدح المتكلم لشخص بالوصف اللذا، أي الذي يستتبع مدحه بشيء، أي بوصف غير ذلك الوصف، وسماه بعضهم بالْمُوَجِّه، وسماه ابن مالك بالتلفيق كقول الحلي[1]:

البـــاذلُو الـــنفسِ بـــذلَ الـــزاد يـــومَ قـــرًى ... والصـائنُو العِـرْضِ صَـوْنَ الجـار والْحُـرُم

وصف الصحابة رضي الله عنهم ببذل نفوسهم في ذات الله، واستتبع ذلك وصفهم ببذل الزاد للأضياف، ووصفهم بصيانة الأعراض عن كل ما لا يليق بهم، واستتبع ذلك أيضا وصفهم بصيانة جارهم وحرماتهم عن ذلك .

ومنه قول المتنبي:

نَهَبْـــتَ مِـــن الأَعْمَـــارِ مـــا لَـــوْ حَوْيَتـــهُ ... لَهُنِّئَـــتِ الـــدُّنْيَا بأَنَّـــكَ خَالـــدُ

مدحه بالشجاعة على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لصلاح الدنيا، حيث جعلها مهنأة بخلوده، وفيه وجهان آخران من المدح:

أحدهما: أنه لعلو همته نهب الأعمار دون الأموال .

والثاني: أنه لم يكن ظالما في ذلك، إذ لو كان ظالما لما كان لأهل الدنيا سرور بخلوده .

وكونه نهب الأعمار دون الأموال مفهوم من تخصيصها بالذكر .

قوله: مدح خبر مبتدأ محذوف، وقوله اللذا لغة في الذي .

وَإِنْ تَضَـــمَّنْ فِيـــهِ مَعْـــنًى وهْـــوَ لَمْ ... يُسَـــقْ لَـــهُ فَـــذَاكَ إِدْمَـــاجٌ أَعَـــمّْ

أي وإن تضمن أيها المتكلم فيه أي الكلام معنى مدحا أو غيره، وهو أي الكلام لم يسق له أي ليس مسوقا لذلك المعنى المضمن فيه، فذاك التضمين أو الصنيع إدماج أي يسمى عند البديعيين بالإدماج، وهو أعم من الاستتباع، لكونه في المدح وغيره، بخلاف الاستتباع فإنه خاص بالمدح .

والإدماج لغة اللف يقال: " أدمج الشيء في الثوب " إذا لفه فيه، كقوله:

جـــاءَتْ لِدَعْوَتـــهِ الأَشْـــجارُ ســـاجِدَةً ... تَسْـعَى إِلَيْـهِ عَلـى سـاقٍ بِـلا قَـدَمِ

أدمج في تسعى الامتثال والمبادرة لإجابة دعوته ﷺ من غير إمهال .

[1] هو محمد بن ادريس بن احمد بن ادريس العجلي، الشيعي (أبو عبد الله) فقيه أصولي مجتهد من تصانيفه: الحاوي لتحرير الفتاوي خلاصة الإ ستدلال، ومناسك. معجم المؤلفين (116/3). وانظر ترجمته في: الوافي بالوفيات، الصفدي (ص: 56-57)

ومنه قول المتنبي:

أُقَلِّـــبُ فِيْـــهِ أَجْفَـــانِي، كَـــأَنِّي أَعُـــدُّ بِهَـا عَلَــى الــدَّهْرِ الــذُّنُوْبَا

ضمن وصف الليل بالطول الشكاية من الدهر .

ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[1] سيقت الآية لإثبات النفقة والكسوة، وضمنت أن النسب ينتهي إلى الآباء، وقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[2] سيقت الآية لمنة الوالدة على الولد أي لبيانها، وضمن فيها أن أقل أمد الحمل ستة أشهر، إذ هي الباقية عن حولين أمد الرضاع، ويسمى هذا النوع عند أهل الأصول بإشارة النص .

قوله: فيه الضمير فيه عائد إلى الكلام المفهوم من المقام، وكذا قوله وهو وقوله[376] أعم خبر مبتدأ محذوف تقديره هو .

قُلْـتُ الأَصَـحُ الأَوَّلُ الْوَصْـفُ بِـنَصْ يُفْهِـمُ وصْـفًا لِلَّـذِي الأَوَّلَ خَـصْ

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: الأصح أن الإدماج ليس بأعم من الاستتباع، فقد صرح الطيبي بأن الاستتباع يكون في المدح وغيره كالإدماج، ويختص عن الإدماج بكون الوصف المستتبع ثابت للموصوف أولا، بخلاف الإدماج فإن الوصف المضمن فيه لغير الموصوف أولا، كما ترى، فهذا هو معنى بيت الناظم، ولم أر فهم تقريره وإيضاحه، بل أشكل علي فتركته على حاله، وذكرت المقصود منه، وأرجو الله أن يمن علي بفهم معناه .

وَمِنْـــهُ تَوْجِيــــهٌ بِأَنْ يُـــوَافِي مُحْـــتَمِلاً وجْهَـــيْنِ بِاخْـــتِلافِ

أي ومن أنواع البديع المعنوي نوع يسمى بالتوجيه، ويسمى بمحتمل الضدين، وهو مفسر عند الناظم بأن يوافي الكلام أي يجيء حال كونه محتملا وجهين باختلاف، أي مع اختلاف بين الوجهين احتمالا مطلقا، أي غير مقيد بمدح أو ذم أو غيرهما، ويكون احتماله للمعنيين على حد السواء، وبهذا القيد يفارق التورية .

قال السيد في شرح المفتاح: واعتقد بعضهم كون المعنيين مختلفين غاية الاختلاف أي كونهما

(1) - سورة البقرة، الآية: 233

(2) - سورة الأحقاف، الآية: 15

متضادين حتى قال بعضهم: يجب أن يكون أحدهما مدحا والآخر ذما .

وأشار الناظم إلى مثال التوجيه بهذا التفسير بقوله:

كَقَــــوْلِ مَـــــنْ قَـــالَ لأَعْـــوَرَ أَلا ... يَا لَيْـــتَ عَيْنَيْـــهِ سَـــوَاءً جُعِـــلا

أي كقول الشاعر القائل لخياط أعور، والشاعر بشار، والخياط اسمه عمرو، وكان الخياط يخيط لبشار قباء، فقال لبشار: " سآتيك به لا يدرى من رآه أقباء أم جبة ؟ " فقال بشار: " لئن فعلت لأنظمن فيك بيتا لا يدرى من سمعه أدعوت لك أم دعوت عليك " ففعل الخياط ما قال في الثوب، ونظم فيه بشار قوله:

خــــــاطَ لِي عَمْـــــــرو قبَــــــاء ... لَيْـــــتَ عَيْنَيـــــهِ لسَـــــوَاء

فزاد الناظم في بيت بشار ألا، ويا في صدر الشطر وجعلا في عجزه، ليستقيم بيته ويتم معناه، إذ حقيقة بيت الشاعر: " ليت عينيه سواء، وبعده:

قلــــتُ شــــعرًا لــــيس يُـــدرى ... أَمَـــــــديح أمْ هجــــــــاء

هذان البيتان من الرمل المجزو، فإن قوله: ليت عينيه سواء يحتمل الدعاء له بالإبصار والدعاء عليه بالعمى، ومنه حديث: ((**مَنْ جُعِلَ قَاضِيًا فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ**)) [1] فإنه يحتمل المدح، بأنه لشدة ما يحمله من وفاء حقوق المسلمين والنظر في مصالحهم وقع في تعب عظيم كتعب من ذبح بغير سكين، ويحتمل الذم بأنه وقع في ظلم الناس ولا يقدر على إقامة الحق، فهو هالك على وجه شديد الألم كهلاك من ذبح بغير سكين .

قال الأندلسي: وقد يحصل ذلك من الضمير نحو قوله تعالى: ﴿**هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ** 11﴾[2] فالضمير من له يحتمل الرجوع لموسى ولفرعون، وقول من [377] سئل عن أبي بكر وعلي أيهما أفضل، وهو في موضع لا يمكنه التصريح بمذهب أهل السنة،

---

(1) - السنن الكبرى للنسائي كتاب القضاء، التغليظ في الحكم، رقم الحديث 5892 ج5 ص 398 ط مؤسسة الرسالة بيروت ت حسن ع المنعم شلبي، ومسائل الإمام أحمد، باب بيان أحاديث مرسلة، رقم الحديث 2045 ج1 ص449 ط مكتبة ابن تيمية مصر، ت أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد

(2) - سورة القصص، الآية: 12

فقال: " أفضلهما من كانت ابنته تحته " فالضمير في ابنته يحتمل الرجوع إلى رسول الله ﷺ، وإلى أبي بكر، وكذا الضمير في تحته يحتمل الرجوع إلى رسول الله ﷺ وإلى علي .

قوله: بأن يوافي بتقدير الفتحة لضرورة الوزن، وقوله محتملا حال من فاعل يوافي، وقوله وجهين مفعول به للحال، والباء في قوله باختلاف بمعنى مع .

قُلْـتُ الصَّــفِيُّ فَسَّــرَ التَّوْجِيــهَ أَنْ ... يَاتِيْ بِأَلْفَــاظٍ شَــهِيرَةٍ بِفَـــنّْ
يُورِدُهَــا بِغَــيْرِ مَــا لَــهُ اشْــتُهِرْ

أي قال الناظم من زيادته: قد فسر الصفي الحلي والمتأخرون التوجيه بأن يأتي المتكلم بألفاظ اصطلاحية متلائمة المعاني شهيرة بفن من الفنون، وهي أسماء أعلام أو قواعد علوم أو غير ذلك مما يتشعب له الفنون ويستعملها في معنى مطابقة له غير معناها الاصطلاحي من غير اشتراك حقيقي، ويفارق التورية من وجهين:

أحدهما: أن التورية باللفظ المشترك، والتوجيه باللفظ المصطلح .

والثاني: أن التورية بلفظ واحد والتوجيه لا يصلح إلا بعدة ألفاظ متلائمة، كقول العلاء الوداعي على اصطلاح الحديث:

مَـــنْ أَمَّ بَابَــكَ لَمْ تَــبْرَحْ جَوَارِحُـــهُ ... تَـرْوِيْ أَحَادِيْـثَ مَـا أَوْلَيْـتَ مِـنْ مِـنَن
فَــالْعَيْنُ عَــنْ قُــرَّةٍ، والْكَــفُّ عَــنْ صِــلَةٍ ... والْقَلْبُ عَنْ جَابِرٍ، والسَّمْعُ عَنْ حَسَنِ

وجه قُرّة بن خالد السدوسي، وصلة بن أشيم العدوي، وجابر الصحابي، والحسن البصري .

وقول السليماني على اصطلاح النحو:

أضـيف الـدجى معـنى إِلَى ليـل شـعره ... فطـال ولَـوْلَا ذَاك مَـا خـص بِالْجَـرِّ
وحاجبــه نــون الْوِقَايَــة مَــا وقــت ... على شَرطهَا فعل الجفون من الْكسر

وأشار الناظم إلى مثال التوجيه على تعريف الصفي بقوله:

كَــالرَّفْعِ والنَّصْــبِ وكَــالْجَزْمِ وجَــرّْ

في اصطلاح النحو كقول البصيري[1]:

خفضـــــت كـــــلَّ مَقـــــامٍ بالإضـــــافة إذْ   نُودِيـت بالرفـع مثـلَ[2] المفـرَد الْعَلَـمِ

نَحْـــوُ ارْتِفَـــاعٍ فِي مَحَلِّـــهِ وجَـــبْ   مِـنْ أَمْـرِهِ جَـزْمٌ ولِلْحُكْـمِ انْتَصَـبْ

فالارتفاع والجزم والنصب في اصطلاح النحاة ألقاب إعراب، وقد استعملها الناظم في معاني أخر مطابقة لها، فاستعمل الارتفاع في علو المنزلة، والجزم في القطع، والتحقيق والانتصاب في التهيؤ والاستعداد للحكم .

وَجَعَـــلَ السَّـــابِقَ مِـــنْ تَفْسِـــيرِهِ   تَفْسِـــيرَ الإبْهَـــامِ كَـــذَا لِغَـــيْرِهِ

أي وجعل الصفي الحلي تفسير التوجيه السابق تفسيرا للإبهام بالباء الموحدة، وعده بديعية، كذا لغيره أي هذا التفسير، وقع كذا، أي هكذا لغير الصفي كابن الأصبغ، عرفه أي الإبهام بهذا التفسير وسماه بهذا الاسم .

قَـــالَ ونَحْـــوُ ذَلِـــكَ الْمُوَارَبَـــهْ   لَكِنَّـــهُ يَاتِي لِمَـــنْ قَـــدْ عَاتَبَـــهْ
بِمَخْلَـــصٍ ولا يَجِـــي فِي الابْتِـــدَا   بِـــهِ كَـــذَاكَ غَـــيْرُهُ قَـــدْ أَوْرَدَا

أي قال ابن أبي الإصبع[3]: ونحو ذلك المواربة، أي المواربة نحو التوجيه أي شبيهة به بالتفسير السابق، لما فيهما من الإبهام، وهي مشتقة من الورب بفتحتين وهو الْعَرَقُ إذا فسدت سميت بذلك ؛ لأن المتكلم أفسد ما قال أولا، أو من المداهاة والمخادعة[378]، وأصل واوها الهمز حكاه

---

(1) شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري (1212م . 1296م)، من أبرز شعراء العصر المملوكي، نشأ البوصيري بقرية "بوصير"وقد نظم البوصيري عددا من القصائد النبوية في مناسبات مختلفة مثل: الهمزية، ولكن أشهرها البردة. ترجمته في: الأعلام، الزركلي (139/6). وشذرات الذهب في أخبار من ذهب (753/7). وفوات الوفيات، محمد بن شاكر (362/3). الوافي بالوفيات (88/3).

(2) انظر البردة شرحا وإعرابا وبلاغة لطلاب المعاهد والجامعات، محمد يحيى حلو، دار البيروني، ط3، 2005 (63/1).

(3) - عبد السلام بن ابي الإصبع (000 - 654 هـ) (000 - 1256 م) عبد السلام بن عبد الواحد الشهير بابن ابي الاصبع (زكي الدين) له التحبير في علم البديع، ثم لخصه وسماه التحرير» «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة ج5 ص228، ، : مكتبة المثنى بيروت، دار إحياء التراث العربي.

الزبيدي، وتفسيرها في الاصطلاح أن يأتي المتكلم بكلام تتوجه عليه فيه المؤاخذة، فإذا عاتبه عليه أحد وأنكره عليه، يأتي لمن قد عاتبه بمُخَلِّصٍ أي بمعنى يخلصه من عتابه يستحضره بعقله وحذقه، وذلك إما بتحريف كلمة، أو بتصحيفها، أو بزيادة أو بنقص، أو بغير ذلك، فكان ذلك منه مخادعة، والتحريف تغيير الكلمة بإبدال كلمة مكانها أو حرف مكان حرف، والتصحيف تغيير الشكل **كَقَوْلِهِ** أيْ كقول أبي نواس:

لَقَــدْ ضَــاعَ شِــعْرِي عَلَــى بَابِكُــمْ ... كَمَــا ضَــاعَ عِقْــدٌ عَلَــى خَالِصَــهْ

وخالصة جارية الرشيد يهجوها بهذا البيت، وكتبه على الباب وصغر العين حتى أشبهت الهمزة، ليتأتى له التخادع عند المؤاخذة، **فَلَمَّا أُوخِذَ** بقوله ذلك حين سأله الرشيد ما حمله عليه لما رآه مكتوبا على الباب قال ما قلت ضاع بالعين **بَلْ** قلت:

لَقَــدْ ضَــاءَ شــعري علــى بابِكُــمْ ... كمــا ضــاءَ عِقــدٌ علــى خالصــهْ

بالهمز في الموضعين، وهكذا **صُغْتُ النَّظْمَا** أي نظم البيت هكذا صغته وبنيته، فاستحسن الرشيد مواربته، فقال بعض الحاضرين: " هذا بيت قلعت عيناه فأبصر "

لطيــفة: روى الطبراني عن عائشة أن النبي ﷺ أتته عجوزٌ من الأنصار فقالت: يا رسول الله ادعُ الله لي أن يدخلني الجنة، فقال: ((**إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ**)) ثم ذهب فصلى ثم رجع فقالت عائشة: لقدْ لَقيتِ العجوزُ من كلمتِك شدةً ومشقةً فقال ﷺ: ((**إِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ إِنَّ اللهَ إِذا أَدْخَلَهُنَّ الْجَنةَ حَوَّلَهُنَّ أَبْكاراً**)) [1] فهذه الكلمة البديعة تحتمل أن تكون من الإبهام وهو بعيد، ومن المواربة وهو قريب، ومن الهزل المراد به الجد وهو أقرب .

وقد قال ﷺ: ((**إِنِّي لأَمْزَحُ ولا أَقولُ إلاَّ حَقّاً**)) [2]

قوله: كذاك غيره قد أوردا أي قد أورد غير ابن أبي الأصبغ المواربة وفسرها كذاك أي كالتفسير المتقدم، والألف في قوله أوردا للإطلاق، وقوله بمخلص بفتح الميم مصدر ميمي ويحتمل أن يكون

(1) - المعجم الأوسط للطبراني، باب الميم، من اسمه محمد، الحديث رقم 5545، ج5 ص357 ط دار الحرمين القاهرة، ت طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

(2) - المعجم الكبير للطبراني، باب العين، عبيد بن عمير عن ابن عمر، الحديث رقم 13443 ج12 ص391

بضم الميم فيكون اسم فاعل من أخلص، والألف في قوله النظما للإطلاق .

وَالْهَزْلُ ذُو الْجَدِّ أيْ ومن البديع المعنوي الهزل ذو الجد، أي الهزل المراد به الجِدُّ، وهو أن يذكر المتكلم شيئا على وجه اللعب بحسب الظاهر، والغرض أمر صحيح بحسب الحقيقة .

وأشار الناظم إلى تمثيله بقوله:

. . فَقُـــلْ لِمَـــــنْ أَتَـــــى مُبَاحِثًـــا كَيْـــفَ تُهَجَّـــى بَاوَتَا

أي **فَقُلْ لِمَنْ أَتَاكَ** حال كونه **مُبَاحِثًا** لك في مسألة علم، وأنت تعلم شدة جهله بالعلم حال كونك هازلا معه بحسب الظاهر: **كَيْفَ تُهَجِّي بَا وتَا**، أي كيف تقرأُ الباء والتاء، وأنت قاصد غرضا صحيحا، وهو تعجيزه أيْ إظهار عجزه عن تهجيهما، فإن سؤالك له عن كيفية قراءته لهما هزل بحسب الظاهر، وهو جِدٌّ في الحقيقة، لعلمك بجهله لهما، فقوله: مباحثا حال من فاعل أتى، وقوله: كيف إلخ مقول القول ، [379] وقوله با وتا بالقصر لضرورة الوزن، ومنه قول أبي نواس يهجو تميما:

إذا مـــــا تميمـــــــيٌّ أتاك مُفَــــــاخِراً فقـلْ: عَـدِّ عَـن ذا، كيـفَ أَكْلُـكَ للضَّـبّ

فإن سؤال التميمي عن أكل الضب فيه معنى اللعب بحسب الظاهر، وهو جد في الحقيقة ؛ لأن تميما يكثرون أكل الضباب، والعرب تعيرهم به .

قُلْــتُ ومِنْــهُ يَقْــرُبُ الــتَّهَكُّمُ

أيْ قال الناظم من زيادته على التلخيص: ويقرب من الهزل المراد به الجد نوع من البديع المعنوي يسمى بالتهكم، وهو لغة الاستهزاء، واصطلح البديعيون على استعماله في الهزء بالمتكبر بلفظ الإجلال في موضع التحقير، والبشارة في موضع التحذير، والوعد في موضع الوعيد، قاله الثعالبي(1) .

---

(1) – عبد الرحمن الثعالبي (785 – 875 هـ) (1383 – 1470 م) عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجزائري، المالكي (أبو زيد) مفسر، فقيه، صوفي، متكلم.من تصانيفه: الذهب الابريز في غرائب القرآن العزيز، جامع المهمات في أحكام العبادات في فروع الفقه المالكي، العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة. ترجمته في: فهرس الفهارس (732/2). ومعجم المؤلفين (240/5).

كقوله تعالى مخاطبا لفرعون هذه الأمة أبي جهل: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ 49﴾[1] مع أنه الحقير الذليل، وقد أرسل بعض شعراء اليمن إلى جرير:

أبْلِـــغْ كُلَيْبًـــا وأبْلِـــغْ عَنْـــك شَـــاعِرَها ... أنِّيَ الأغَـــرُّ وأنِّيَ زهـــرةُ الـــيَمَنِ

فقال جرير:

ألَمْ يَكُـــنْ فِي وسُـــومٍ قـــد وسَمْـــتُ بِهَـــا ... مَـــنْ حـــانَ موعظـــةً يازهـــرةَ الـــيَمنِ

سماه زهرة اليمن حكاية لقوله وهزءا به، ومن البشارة في مكان التحذير قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ 21﴾ ومن الإجلال في مكان التحقير قوله تعالى حكاية عن قوم شعيب: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ 87﴾[2]

قال ابن عباس: " معناه السفيه الغاوي "

والْهَجْـــوَ فِي مَعْـــرِضِ مَـــدْحٍ حَكَمُـــوا

أيْ نظم البيانيون الهجو في معرض المدح، أي الذم في معرض المدح في سلك البديع المعنوي، فقوله الهجو بالنصب مفعول به لقوله نظموا وهو: أن يقصد المتكلم إلى هجاء إنسان فيأتي بألفاظ موجهة ظاهرها المدح وباطنها الذم كقوله:

يَجْـــزُونَ مـــنْ ظُلْـــمِ أهـــلِ الظلـــمِ مغفـــرةً ... ومـــن إســـاءةِ أهـــلِ الســـوءِ إحســـانَا

كـــــأنَّ ربَّـــــكَ لمْ يَخْلُـــــق لخشـــيتِهِ ... سِـــوَاهُمُ مـــن جميـــعِ النـــاسِ إنســـانَا

فظاهره المدح بالحلم والعفة، وباطنه في غاية الذم بالمذلة وعدم المنعة بدليل قوله:

فليـــتَ لي بِهِـــم قومـــاً إذا رَكِبـــوا ... شـــدُّوا الإغـــارةَ رُكبـــانا وفُرســـانا

قلت: والفرق بين الهزل ذي الجد والتهكم، أن التهكم ظاهره جد وباطنه هزل، والهزل ذو الجد بالعكس، والفرق بين الذم في صورة المدح والتهكم، أن التهكم لا تخلوا ألفاظه من لفظة دالة على نوع ذم، أو يفهم من فحواها الذم، وألفاظ الذم في معرض المدح لا يقع فيها شيء من ذلك ولا تزال تدل على المدح حتى يقترن بها ما يصرفها عنه .

---

(1) - سورة الدخان، الآية: 49

(2) - سورة هود، الآية: 87

وَإِنْ خَــلا الْهَجْــوُ عَــنِ الْفَحَاشَــةِ ... وَنَحْوِهَـــا فَسَــمِّ بِالنَّزَاهَـــةْ

يعنى أن الهجو إذا خلا أي سلم من ألفاظ الفحاشة ونحوها، أي الألفاظ القبيحة التي يستحيا من التلفظ بها، بأن كان بألفاظ حسنة سهلة عذبة، بحيث لو أنشدَتْهُ العذراءُ في خدرها لم يُعبْ عليها، فسمه أيها السامع بالنزاهة، وهو من البديع المعنوي، وفى القرآن كثير منه مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ 46 وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ 47 أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ 48﴾[1] وأحسن ما قيل في هذا الباب من الشعر قول جرير:

لَــوْ أَنَّ تَغْلِــبَ جَمَّعَــتْ أَحْسَــابَهَا ... يَــوْمَ التَّفاضُــلِ، لم تَــزِنْ مِثْقَــالا

فإنَّه هَجْوٌ في غاية الإنكار، وألفاظه [380] منزهة عن الفحش خالية منه .

تَجَاهُــلُ الْعَــارِفِ سَــوْقُ مَــا عُلِــمْ ... مَسَــاقَ غَــيْرِهِ لِنُكْتَــةٍ تُــتِمْ

يعنى أن تجاهل العارف بالقضية، أي إظهاره الجهل بها وهو غير جاهل، من البديع المعنوي، وهو مفسر بسوق ما عُلِم مَساقَ غَيْرِه، لأجل نكتة تُتِم، وتلك النكتة:

مِثْــلُ الْمُبَالَغَــةِ فِي الْمَــدْحِ الْبَهِــي ... والــــذَّمِّ والتَّــوْبِيخِ والتَّدَلُّــهِ

يعنى أن المعلوم إنما يساق مساق غيره، لأجل نكتة كالمبالغة في المدح البهي، أي المدح الحسن، أو المبالغة في الذم القبيح .

فالأول: كقول البحتري:

أَلَمــعُ بــرقٍ ســرَى أمْ ضــوءُ مصــباحِ ... أمِ ابتســامَتُها بالْمَنظــرِ الضَّــاحِي

والثاني: كقول زهير:

ومــا أدْري وســوفَ إخــالُ أدْري ... اقــوْمٌ آلُ حِصْــنٍ أمْ نِســاءُ[2]

وكالمبالغة في التوبيخ كقوله:

أَيَا شَــجَرَ الخَــابُورِ مَالَــكَ مُورِقــاً ... كَأَنَّــكَ لَمْ تَجْــزَعْ عَلَــى ابــنِ طَرِيــفِ

وكإظهار التدله أي الحيرة من غير المتحير، لأجل شدة الحب، وإلى مثاله أشار الناظم بقوله:

(1) – سورة النور، الآية: 48.50

(2) – ديوان زهير ص73

كَمَعْشَـــرِ الظِّبَـــاءِ يَا حُـــورَ النَّظَـــرْ   أَمِـــنْكُمُ سُـــعُادُ أَمْ مِـــنَ الْبَشَـــرْ

أي كقول المحب الذي أذهله الحب فأذهب عقله:

يا معشر الظباء يا حور النظر، جمع حوراء[1] ، أمنكمُ سعادُ حيث شابهتكنَّ في حسن الْجِيد وحَوَرِ العينين، أم هي من البشر، وإنما أنا متحير ذاهب العقل لا أفرق بينها مع الظباء، لشدة مشابهتها بهنَّ وشدة زوال عقلي، وبيت الناظم مأخوذ من قول الشاعر:

بالله يا ظبيـــاتِ القـــاعِ قُلـــنَ لنـــا   لـيْلايَ مـنكنَّ أم ليلَـى مـنَ البشـرِ

ومن هذا القبيل خطاب الأطلال والمنازل والرسوم، وأشعر قوله مثل المبالغة أن النكت قد تكون غير ما ذكر، بل هي كثيرة كالتحقير في قوله تعالى حكاية عن قول المشركين: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إنكم لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ 7﴾[2] كأنهم لم يعرفوا من أمر النبي ﷺ إلا أنه رجل ينبئ بكذا وكذا، تجاهلا منهم وتحقيرا لشأنه أعاذنا الله من حالهم وعصمنا من اعتقادهم وأماتنا على حبه وحب آله وصحبه وذريته، والإيمان به واتباع شريعته، آمين بجاه سيد الأولين والآخرين ﷺ .

الْقَـــوْلُ بِالْمُوجَـــبِ أَنْ يَاتِيْ إِلَى   وصْـــفٍ بِقَـــوْلِ غَـــيْرِهِ أُطْلِـــقْ عَلَـــى

شَـــيْءٍ لَـــهُ أُثْبِـــتَ حُكْـــمٌ يَثْبُـــتُ   هَـــذَا لِغَـــيْرِهِ ولَكِـــنْ يَسْـــكُتُ

عَـــنْ نَفْيِـــهِ عَنْـــهُ أَوِ الثُّبُـــوتِ لَـــهْ

يعنى أن القول بالمُوجَب بفتح الجيم من البديع المعنوي، ومعنى القول بالموجب الاعتراف بما اقتضاه كلام الغير، وهو ضربان أشار الناظم إلى أولهما بقوله أن يأتي إلخ، أي القول بالموجب هو أن يأتي المتكلم إلى وصف واقع في مقول غيره، أي في كلام متكلم آخر غيرهوذلك الوصف قد أطلق على شيء أي كني به عنه، وذلك الشيء أثبت له حكم، فيثبت المتكلم هذا أي الوصف الواقع في مقول الغير المكنى به عن شيء لغير ذلك الشيء المكنى به عنه، ولكنه أي المتكلم يسكت عن نفي ذلك الحكم الثابت للشيء المكنى عنه بالصفة عن ذلك الغير أو ثبوته له، كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ[381] ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا

---

(1)- **حوراء:** مفرد حور، وهي الشديدة البياض. انظر "**لسان العرب**"، (مادة حور)، مج2 ص1043.

(2) - سورة سبأ، الآية: 7

يَعْلَمُونَ 8﴾[1] فالأعز صفة وقعت في كلام المنافقين كناية عن فريقهم، والأذل كناية عن المؤمنين، وقد أثبتوا لأنفسهم حكما هو إخراج الرسول والمؤمنين، فأثبت الله العزة لغير فريقهم، وهو الله ورسوله والمؤمنون، وسكت عن الإخراج فلم يثبته لله ورسوله والمؤمنين ولم ينفه عنهم .

قوله: القول بالموجب مبتدأ خبره أن يأتي إلخ، وقوله وصف مقول غيره بإضافة وصف إلى مقول على معنى في أي وصف في مقول غيره، وقوله: أطلق بالبناء للنائب نائبه ضمير عائد إلى الوصف، والجملة في محل نعت له، وقوله: على شيء متعلق بأطلق، وقوله: له أثبت حكم الجملة في محل نعت لشيء، وقوله يثبت إلخ في محل حال من فاعل يأتي، وهو ضمير عائد إلى المتكلم المفهوم من المقام .

وتقرير البيت: القول بالموجب أن يأتي المتكلم إلى وصف في مقول غيره مطلق ذلك الوصف على شيء مثبت لذلك الشيء حكم حال كون المتكلم يثبت هذا الوصف لغير ذلك الشيء المكنى به عنه، ولكن يسكت المتكلم عن نفي ذلك الحكم عن ذلك الغير أو ثبوته له .

وأشار الناظم إلى الضرب الثاني منه بقوله:

وَمِنْـــهُ لَفْـــظٌ فِي كَـــلامٍ حَمَلَـــهْ
عَلَـى خِـلافِ قَصْـدِهِ كَمَـا احْتَمَـلْ ... بِـذِكْرِ ذِي تَعَلُّـقٍ لَـهُ حَصَـلْ

أي ومن القول بالموجب حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف قصده أي قصد الغير المتكلم بذلك اللفظ من المعاني المحتمل لها ذلك اللفظ، والحمل المذكور يكون بذكر ذي تعلق بذلك اللفظ أي متعلق له يصرف اللفظ إلى خلاف المراد منه .

والمراد بالمتعلق ما له تعلق بعكس المعنى الذي أراده المتكلم، لا المتعلق النحوي الذي هو معمول، واشترط حذاق البديع خُلوَّهُ من لفظة لكن، وذِكْرُ المتعلق يكون بدون إعادة اللفظ وبإعادته، فالأول كقوله:

كَقَوْلِـــهِ سَـــلَوْتَ يَا هَـــذَا عَـــنِي ... فَقُـــلْ لَـــهُ عَـــنْ صُـــحْبَتِي وَوَطَـــنِي

فلفظ سلوت عني في كلام الغير، بمعنى نسيتني وتركتني وصبرت عني، وقوله به عن صحبتي

(1) - سورة المنافقون، الآية: 8

ووطني متعلق بسلوت محذوف، والأول مسند إلى ضمير المخاطب وهذا إلى ضمير المتكلم، فقد حمل المتكلم السلو في كلام الغير على السلو به أي الغير عن صحبته ووطنه بذكر المتعلق الذي هو به بدون إعادة لفظ سلوت لا السلو عنه كما زعم الغير .

ومن الثاني: وهو ما كان بإعادة اللفظ قوله:

قلـــــتُ ثَقَّلْـــــتُ إِذ أَتَيْـــــتُ مِـــــراراً   قـــال ثَقَّلـــتَ كـــاهلي بالأَيادي

فلفظ ثقلت في كلام الغير بمعنى حملتك المشقة بكثرة ترددي إليك، وقد حمله على تثقيل كاهله بالنعم .

ومن الأول: وهو ما كان بدون إعادة اللفظ بيت بعد هذا البيت المتقدم وهو قوله:

قلـــتُ: طَوَّلْـــتُ، قـــال: لا بـــل تَطَـــوَّلْـــتَ، وأبْرَمْـــتُ، قـــال: حَبْـــلَ الـــودادِ

أي طولت الإقامة عندك وأبرمت أي أمللت، فحمله المخاطب على أن المراد بطولت التطول أي التفضل بإعطاء الطول، وأن المراد بأبرمت[382] أحكمت وأتقنت، أي أنه أتقن وأحكم حبل وداده، ويقرب منه قول ابن دويرة المغربي في قاض أودع عنده شيئا فزعم القاضي أنه ضاع:

إن قـــالَ قـــد ضـــاعتْ فيَصْـــدقُ إنهـــا   ضـاعت ولكـن منـكَ يعـني لـو تعـي

أوْ قـــالَ قـــدْ وقعـــتْ فيصـــدقُ إنهـــا   وقعـتْ ولكـن منـهُ أحسـنَ مَوْقـعِ

قُلْـــتُ ومِنْـــهُ يَقْـــرُبُ التَّسْـــلِيمُ .

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: ويقرب من القول بالموجب نوع يسمى التسليم، وهو من البديع المعنوي، وإلى تعريفه أشار الناظم بقوله:

. **أَنْ   يُسَـــلِّمَ الْفَـــرْضَ الْمُحَـــالَ ثُمَّ عَـــنْ**

لازِمِـــهِ يَصُـــدُّ إِذْ قَـــدْ وجَـــدَا   مَـــا مَنَـــعَ اتِّبَاعَـــهُ ويُـــورِدَا

أي التسليم: هو أن يسلم المتكلم وقوع الغرض المحال أي غرض المخاطب المحال بأن يفرض حصوله بعد أن نفاه، ثم يصد أي يعرض عن لازمه، أي لازم ذلك الغرض وثمرته بأن ينفيه ويفهم استحالته ويورد عليه ما يمنع وجوده ويوجب استحالته، لأجل أنه وجد ما يمنع اتباعه لغرض المخاطب كقول الصفي:

سألتُ في الحُب عُذَّالِي فما نَصَحُوا ... وهَبْهُ كانَ فما نَفْعي بِنُصْحِهِمُ

فإنه سلم وقوع غرض العذال وهو النصح بقوله: وهبه كان بعد أن نفاه بقوله فما نصحوا ثم صد أي أعرض عن لازم غرضهم أي ثمرته وهي النفع والتأثير في المنصوح فنفاه وأفهم استحالته بقوله: فما نفعي بنصحهم منكرا لنفعه من نصحهم أي لانتفاعه به إذ النفع هو لازم النصح الذي هو الغرض وفائدته .

قوله: أن يسلم بتخفيف اللام لضرورة الوزن، وقوله الغرض بتسكين الراء أيضا للوزن، وقوله عن لازمه متعلق بيصد، وإذ حرف تعليل أو طرف فيه معنى التعليل، وفاعل يسلم ويصد ضمير عائد إلى المتكلم المفهوم من المقام، وكذا فاعل وجد، والالف فيه للإطلاق والها في اتباعه عائد إلى الغرض المذكور، ويورد مضارع معطوف على يصد وقد فتح آخره للضرورة، والألف فيه للإطلاق أيضا .

وَإِنْ عَلَى الْمُمْكِنِ مَعْ مَا نَاقَضَهْ ... مُرِيدُهُ عَلَّقَ فَالْمُنَاقَضَهْ

وإن علق المتكلم مراده على أمر ممكن وأمر مستحيل، وهو معنى قوله مع ما ناقضه أي علق مراده على أمر ممكن وأمر مناقض لذلك الممكن وهو المستحيل .

قال الثعالبي: ويكون مراد المتكلم منها المستحيل دون الممكن، ليفيد التعليق عليه عدم وقوع المشروط، فذلك التعليق أو الصنيع يسمى عند البديعيين باسم المناقضة وهي من البديع المعنوي كقول الحلي:

وأنني سوف أسلوهم إذا عدمت ... روحي وأحييت بعد الموت والعدم

علق مراده وهو سلوه عنهم على انعدام روحهم، وذلك ممكن، وليس ذلك مراده، وعلى إحيائه بعد الموت في الدنيا، وذلك مستحيل عادة، وهو المراد، فلا يصح سلوه عنهم لأن ما توقف على المحال محال .

قوله: على الممكن متعلق بعلق، ومراده مفعوله وهو فعل الشرط أخر عن [383] معموليه، وقوله فالمناقضة بإضمار مبتدأ خبره المناقضة أي فهو أو ذلك التعليق المناقضة، والجملة الإسمية جواب الشرط، والفاء فاء الجزاء أي وإن علق المتكلم مراده على الأمر الممكن مع ما ناقضه وهو

المستحيل فذلك التعليق هو المسمى بالمناقضة، وفاعل علق ضمير عائد إلى المتكلم المفهوم من المقام .

كَذَاكَ الِاسْتِدْرَاكُ والِاسْتِثْنَا   حَيْثُ أَفَادَا بَهْجَةً وحُسْنَا

يعنى أن الاستدراك بلكن والاستثناء بإلا كالمناقضة، في كون كل منهما يقرب في المعنى من القول بالموجب، وحل قرب الاستدراك والاستثناء من المناقضة وعدهما من البديع المعنوي حيث أفادا بهجة وحسنا بأن كانا مشتملين على معنى لطيف دقيق حسن بليغ .

فالأول: وهو الاستدراك بلكن على قسمين لأنه إما أن يتقدمه تقرير ما أخبر به المتكلم أم لا .

فالأول: كقوله:

وإخواني حسبتهم دروعا   فكانوها ولكن للأعادي
وخِلْتُهُم سهامًا صائباتٍ   فكانوها ولكنْ في فؤادي
وقالوا: قد صَفَتْ منّا قُلُوبٌ   لقد صدقوا ولكنْ عن ودادي

ومنه قول ابن دويرة المتقدم وهو قوله: إن قال قد ضاعت إلخ، وقد قدمت أنه يقرب من القول بالموجب عند شرحه .

والثاني كقول زهير:

أخُو ثِقَةٍ لَا يُهْلِكُ الخَمْرُ مالَه   ولكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ المالَ نائِلُهْ

فلو اقتصر على صدر البيت لأوهم البخل، فأزاله بعجزه .

والثاني: وهو الاستثناء المفيد نكتة زائدة على الإخراج الذي يكسو المعنى بهجة وحسنا كقوله:

فَلَو كنتُ كالعَنقاءِ أَو بأَطُومِهَا   لَخِلْتُكَ إِلَّا أَن تَصُدَّ تَرابِي

ومنه نوع سماه ابن أبي الأصبع استثناء الحصر، وهو الذي يخرج القليل من الكثير، ونظم فيه فقال:

إليكَ وإلا لا تُشَدُّ الرَّكائِبُ   ومنكَ وإلا لا تُنالُ الرَّغائِبُ
فيك وإلا فالرجاء مُخَيَّبٌ   وعنك وإلا فالْمُحدِّثُ كاذبُ[1]

(1) - وبعدها:

لديك وإلا لا قرارَ يطيب لي   عليك وإلا لا تسيل السواكب

الِاطِّــرَادُ ذِكْــرُكَ اسْــمَ مَــنْ عَــلا　　　وأَبَـــهُ وجَـــدَّهُ عَلَـــى الْـــوِلا
بِـــلا تَكَلُّـــفٍ عَلَـــى وجْـــهٍ جَلِـــي

يعنى أن الاطراد من البديع المعنوي، وهو لغة جَرْيُ الماء بلا توقف، واصطلاحا ذكر المتكلم اسم الممدوح، وهو المراد بقول الناظم مَنْ عَلا واسم أبيه واسم جده على الولا، أي على ترتيب الولادة بلا تكلف على وجه جلي أي واضح أي غير متعسف ولا غامض المعنى، وأشار الناظم إلى تمثيله بقوله:

مِثْـلُ الْحُسَـيْنِ بْـنِ الْحُسَـيْنِ بْـنِ عَلِـي

وكقوله:

إن يَقْتُلـــوكَ فقَـــدْ ثَلَلْـــتَ عُروشَـــهُمْ　　　بِعُتَيْبَـةَ بـنِ الحـارثِ بِـنِ شِـهاب[1]

وقوله:

مـــن يكـــنْ رامَ حاجـــةً بعـــدتْ عـــن　　　هُ وأعيـــتْ عليـــه كـــلَّ العيـــاء
فلهـــا أحمـــدُ المرجـــي بـــنُ يحـــيى　　　مِـن معـاذ بـنِ مسـلمِ بـنِ رجـاء

وقال الصفي: الاطراد ذكر اسم الممدوح ولقبه وكنيته وصفته اللائقة به، واسم من أمكن من أبيه وجده وقبيلته في بيت واحد، بلا تعسف ولا تكلف ولا انقطاع بألفاظ جلية، ومثله بقول بعضهم: " مؤيد الدين أبو جعفر محمد بن العلقمي الوزير "

قُلْـتُ ومِنْـهُ يَقْـرُبُ التَّسْـلِيمُ أَنْ　　　يُسَـلِّمَ الْفَـرْضَ الْمُحَـالَ ثُمَّ عَـنْ

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: ومن البديع المعنوي نوع يسمى الاحتباك، وهو نوع لطيف، وهو أن يختصر أي يحذف المتكلم من أحد شقي الجملة، أي من أحد طرفيها ضد ما ذكر [384]في الطرف الآخر، بأن يحذف من الطرف الأول ما ذكر في الثاني، ومن الثاني ما ذكر في الأول .

وَهْـــوَ لَطِيـــفٌ رَاقَ لِلْمُقْتَـــبِسِ　　　بَيَّنَـــهُ ابْـــنُ يُوسُـــفَ الأَنْدَلُسِـــي

يعنى أن الاحتباك نوع لطيف رائق، أي معجب للمقتبس أي المتكلم والسامع، قد بينه أحمد بن يوسف الأندلسي، وفسر فقال: من أنواع البديع الاحتباك وهو نوع عزيز، وهو أن يحذف من الأول

---

(1) - الشعر لأبي ذؤاب ربيعة بن عبيد الأسدي، في الأمالي: ج2 ص72، وبعده قوله:

بأَشَـــــدِّهم كَلَبـــــاً عَلَـــــى أَعْدائِـــــهِ　　　وأعـــــزهم فقـــــدًا علـــــى الأصـــــحاب

ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول، كقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمُّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ 170﴾[1] التقدير: ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذي ينعق والذي ينعق به، فحذف من الأول الأنبياء لدلالة الذي ينعق عليه، ومن الثاني الذي ينعق به لدلالة الذين كفروا عليه .

ومن ألطفه قوله تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾[2] أيْ صالحا بسيئ وآخر سيئا بصالح .

ومأخذ الاحتباك من الحبك الذي هو الشد والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فحبك الثوب، شدَّ ما بين خيوطه من الفروج، وإحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق، وبيان أخذه منه أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفروج بين الخيوط، فلما أدركها الناقد البصير الماهر بصوغه في نظمه وحوكه، فوضع الحذف مواضعه، كان حابكا له ومانعا من خلل يطرقه، فسد بتقديره ما يحصل به الخلل مع ما اكتسبه من الحسن والرونق .

وَالطَّـــرْدُ والْعَكْـــسُ قَرِيـــبٌ مِنْـــهُ

يعنى أن الطرد والعكس نوع من البديع المعنوي، وهو قريب من الاحتباك، وقدْ **حَرَّرَهُ الطِّيبِيُّ** في التبيان **فَابْحَثْ عَنْهُ** أيها السامع فيه لتظفر به، فقد فسره فيه الطيبي وبينه .

وأشار الناظم إلى تفسيره وتعريفه بقوله:

يُقَــــرِّرُ الأَوَّلُ بِالْمَنْطُـــــوقِ ذَا مَفْهُـــومَ تَالِيـــهِ وبِالْعَكْـــسِ خُـــذَا

يعنى أن الطرد والعكس هو أن يأتي المتكلم بكلامين يقرر الأول منهما بمنطوقه، أي يؤكد ويثبت مفهوم الكلام الثاني منهما، ويقرر مفهوم الثاني منطوق الأول، وهذا هو معنى قوله وبالعكس خذا كقوله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ 6﴾[3] فقوله: ويفعلون ما يؤمرون، مفهومه أنهم لا يعصون الله ما أمرهم وذلك هو منطوق قوله: لا يعصون الله ما أمرهم، وكل منهما يؤكد الآخر ويقرره .

(1) - سورة البقرة، الآية: 171

(2) - سورة التوبة، الآية: 101

(3) - سورة التحريم، الآية: 6

ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾[1]

قال في الإيضاح: فقوله: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ﴾كلام مقرر للأمر بالاستئذان في تلك الأوقات خاصة، فمنطوق الأمر بالاستئذان مقرر لمفهوم رفع الجناح في تلك الأوقات وبالعكس، ومنه قول الموحد " لا إله إلا الله وحده لا شريك له "

قوله: يقرر مضارع موضوع مكان المصدر، وقوله [385] ذا نعت لقوله المنطوق، وقوله مفهوم بالنصب مفعول ليقرر، وقوله بالعكس متعلق بمحذوف تقديره . ويقرر الثاني منهما الأول بالعكس أي يقرر مفهومه منطوق الأول، والجملة معطوفة على التي قبلها .

وَمِنْـــهُ نَفْـــيُ الشَّـــيْءِ بِالإِيجَـــابِ

أي ومن البديع المعنوي نوع يسمى النفي بالإيجاب أي نفي الشيء بإيجابه، وإلى تفسيره وتعريفه أشار الناظم بقوله:

نَفْـــيَ الثُّبُـــوتِ بِانْتِفَـــا الأَسْـــبَابِ

أي هو نفي ثبوت الشيء أيْ الذات الموصوفة بسبب انتفاء الأسباب أي الصفات، أي بسبب نفي صفة تلك الذات، وذلك بأن يدل ظاهر الكلام على نفي الصفة والمراد منه نفي الموصوف أصلا، ولا بد من قرينة خارجة عن اللفظ يفهم منها ذلك المقصود كقوله تعالى: ﴿لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ﴾[2] أي إلحاحا، قيل المراد نفي الصفة فقط أي يتلفظون في السؤال ولا يلحون، وقيل المراد نفي السؤال من أصله فضلا عن الإلحاح، ولعل قرينته قوله: ﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ ومنه ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨﴾[3] أي ليس لهم شفيع أصلا، فضلا عن أن يطاع .

قال ابن جزي: " لأن الكفار ليس لهم شفيع فضلا عن أن يطاع "

(1) – سورة النور، الآية: 58

(2) – سورة البقرة، الآية: 273

(3) – سورة غافر، الآية: 18

ومنه قول علي كرم الله وجهه في وصف مجلس رسول الله ﷺ: " لا تُنثى فلتاته " ـ بضم التاء وسكون النون وفتح الثاء المثلثة ـ أي لا تذاع سقطاته، بل تكتم على من وقعت منه، فظاهر اللفظ أنَّ ثَمَّ فلتات إلا أنها لا تشاع، والمراد نفيُ الفلتات أصلا .

والقرينة كما لابن الأثير ما تقرر عند العقول من تنزه ذلك المجلس السامي عن فلتات تكون به، ومنه قول الشاعر:

أَدْنَـــيْنَ جِلْبَـــابَ الحَيَـــاءِ فلَـــن يُـــرى ... لِـــذُيُولِهِنَّ علـــى الطّرِيـــقِ غُبَـــارُ

ظاهره أنهن يمشين هونا لحيائهن فلا يظهر لذيولهن غبار على الطريق، وليس مرادا، بل المراد أنهن لا يمشين على الطريق أصلا لأنهن مخبئات . [1]

وتقرير البيت: ومن البديع المعنوي نفي الشيء مع إيجابه، وهو نفي ثبوت الشيء الموصوف بسبب انتفاء أسبابه أي أوصافه، والباء في قوله بالإيجاب بمعنى مع، وقوله نفي خبر مبتدأ محذوف كما بينا، وقوله انتفا بالقصر لضرورة الوزن، والأسباب المراد بها الأوصاف .

وَإِنْ أَتَـــى فِي الْبَيْـــتِ وعْـــظٌ لامِـــعُ ... أَوْ حِكْمَـــةٌ فَهْـــوَ الْكَـــلامُ الجَـــامِعُ

أي وإن أتى في بيت واحد وعظ لامع أي حسن أو حكمة أي علم، بأن كانت جملة البيت موعظة أو حكمة، فهو الكلام الجامع، أي فهذا الصنيع أو النوع هو المسمى بالكلام الجامع وهو من البديع المعنوي .

فمن الوعظ قول ابن المعتز:

نَسِـــيرُ إِلَى الْآجَـــالِ فِي كُـــلِّ سَـــاعَةٍ ... وأَيَّامُنَـــا تُطْـــوَى وهُـــنَّ رَوَاحِـــلُ

وَمَـــا أَقْـــبَحَ التَّفْـــرِيطَ فِي زَمَـــنِ الصِّـــبَا ... فَكَيْـــفَ بِـــهِ والشَّـــيْبُ فِي الـــرَّأْسِ نَازِلُ

تَرَحَّـــلْ عَـــنْ الـــدُّنْيَا بِـــزَادٍ مِـــنْ التُّقَـــى ... فَعُمْـــرُك أَيَّامٌ تُعَـــدُّ قَلَائِـــلُ

ومن الحكمة قول الشافعي[2] رضي الله عنه: [386]

تَعَلَّـــمْ يَا فَـــتى والعُـــوْدُ رَطْـــبٌ ... وطينُـــكَ لَـــيِّنٌ والطَّبْـــعُ قابِـــلْ

(1) – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي، م س ج2 ص203

(2) – محمَّد بن أَحْمد بن الحسين أبو بكر الشَّاشي، الفقيه الشَّافعي، . وليس محمد بن إدريس الشافعي صاحب المذهب المعروف . له ترجمة في سير أعلام النبلاء ج19 ص357.355

فـــإنَّ الجَهـــلَ واضِـــعُ كـــلِّ عـــالٍ ... وإنَّ العلـــمَ رافِـــعُ كُـــلِّ خامِـــلْ
فَحَسْـــبُكَ يَا فـــتى شَـــرَفًا وفَخْـــرًا ... ســـكُوتُ الحاضـــرينَ وأنـــتَ قائِـــلْ

وقول أبي تمام:

وإذا أرادَ اللهُ نَشْـــــرَ فَضِـــــيلةٍ ... طُويـــتْ أَتاحَ لهـــا لِسَـــانَ حَسُـــودِ
لَـــوْلَا اشْـــتِعالُ النَّـــارِ فيمـــا جَـــاوَرتْ ... مَـــا كَـــانَ يُعْـــرفُ طِيـــبُ عَـــرْفِ العُـــودِ[1]

حِكَايَـــةُ التَّحَـــاوُرِ الْمُرَاجَعَـــهْ

يعنى أن حكاية تحاور أيْ تراجعِ المتكالمين في الكلام، نوع من البديع المعنوي يسمى باسم المراجعة، وهي مفاعلة بين سائل ومجيب، ولهذا سماه الفخر الرازي[2] بالسؤال والجواب، وهو أن يحكي المتكلم مراجعة في القول جرت بينه وبين الغير أو جرت بين الغير أي بين متحاورين غيره، بأوجز عبارة وأعذب لفظ .

ومن أحسنه قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ 22 قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن
كُنتُم مُّوقِنِينَ 23 قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ 24 قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ 25 قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ
ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ 26 قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ 27 قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ
إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ 28 قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ 29 قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
30﴾[3] ومنه قول الصفي:

قـــالوا اصْـــطبر قلـــتُ صَـــبري غـــيرُ مُتَّبَـــعٍ ... قـــالوا اسْـــلُهُمْ قلـــتُ ودِّي غـــيرُ مُنصَـــرِمِ

وَاسْلُهُمْ أَمْرٌ مِنْ سَلا أيْ نَسِيَ .

تَرْتِيبُـــــهُ أَوْصَـــــافَهُ الْمُتَابَعَـــــهْ

يعنى أن ترتيب أوصاف الشيء في أصل الحلقة في الذكر حتى لا يدخل فيها وصفا زائدا يسمى

---

(1) – ديوان أبي تمام ج1 ص277، وبعد البيتين قوله:

لَـــوْلَا التَّخَـــوُّفُ لِلْعَواقِـــبِ لم تَـــزَلْ ... لِلحاسِـــدِ النُّعْمَـــى عَلَـــى المحْسُـــودِ

(2) –هو أبو عبد الله، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أخذ العلم على يد والده الإمام ضياء الدين خطيب الري، له مصنفات في التفسير وأصول الفقه. توفي سنة 606 هـ. انظر ترجمته في كشف الظنون 6 / 107، وشذرات الذهب: 21/5

(3) – سورة الشعراء، الآية: 23.31

باسم الترتيب والمتابعة كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا﴾ [1] وقوله:

هَيفـــاءُ في فَرعهـــا ليْـــلٌ علـــى قَمَـــرٍ على قضيبٍ على حقفِ النّقا الدّهسِ

إذ المراد بالقمر الوجهُ، وبالقضيب القامةُ، وبالْحِقْف الرِّدْفُ .

وحقف النقا كثيب الرمل . والدهس غير الصافي . أي الممزوج بالتراب وغيره .

ثُمَّ التَّرَقِّـــي وهْـــوَ ذِكْـــرُ الْمَعْـــنَى فَفَوْقَـــــــــــــــــــــــهُ .

أي ثم من أنواع البديع المعنوي الترقي، وهو في اصطلاح البديعيين ذكر المتكلم المعنى ففوقه، أي ثم يذكر معنى فوقه أي أبلغ منه وأقوى كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾[2] فمعنى الخالق المقدر لما يوجد، والباري معناه الذي بدأ الخلق واخترعه لا عن مثال سبق، والمصور معناه خالق الصور ومنه قولهم: " فلان عالم نحرير، وشجاع باسل، وجواد فياض " وقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[3]

ثُمَّ التَّدَلِّي يُعْنَى يعنى أن التدليَ يُعنى أي يُقصد ويعد من البديع المعنوي، وهو ضد الترقي لغة واصطلاحا، وهو ذكر المعنى ثم يتبع بما هو دونه بلاغة نحو ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فإن معنى الرحمن المنعم بجلائل النعم، ومعنى الرحيم المنعم بدقائق النعم، والسر في ذكره بعد الرحمن أنه لو اقتصر على الرحمن لاحتشم العبد أن يطلب من ربه الشيء اليسير .

قال تعالى: « يَا مُوسَى سَلْنِي حَتَّى مِلْحَ قِدْرِكَ وشِراكَ نَعْلِكَ »[4]

قوله: ثم التدلي مبتدأ خبره الجملة بعده، ويعنى مبني للنائب نائبه ضمير عائد إلى التدلي .

وَمِنْـــهُ الِاسْـــتِطْرَادُ أَنْ يَنْـــتَقِلا مِـــنْ غَـــرَضٍ لآخَـــرٍ قَـــدْ شَـــاكَلا

أي ومن البديع المعنوي الاستطراد وهو أن ينتقل المتكلم من غرض لغرض أي من معنى إلى

(1) – سورة غافر، الآية: 67

(2) – سورة الحشر، الآية: 24

(3) – سورة البقرة، الآية: 255

(4) – تفسير الألوسي = روح المعاني، م س ج1 ص69

معنى آخر قد شاكل أي شابه وناسب المعنى المنتقل منه، ثم يعود إلى الغرض[387] الأول من غير أن يقصد بذكر المعنى الأول التوصل إلى ذكر الثاني .

قلت: وبهذين القيدين أعني عوده إلى الأول، وعدم قصده بالأول التوصل إلى الثاني، يخرج التخلص .

قال في فيض الفتاح قال في الإيضاح: " هو مأخوذ من فعل الصائد يطارد صيدا فيلقاه آخر فيقصده، وهو نوعان:

الأول: ما يكون فيه التعلق بعيدا بينه وبين أصل الكلام، كما بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ 5﴾[1] وبين قوله: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ 1 ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[2] فإن ذكر الكفار تابع لذكر المؤمنين ومستطرد له، وليس بينه وبين الكتاب مناسبة، ففصل، وكذلك فصل قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗا﴾[3] عما قبله، لكون السابق سيق لبيان إظهار سوأة آدم وحواء، وخصف الأوراق عليهما بسبب العصيان، والثاني لبيان إظهار المنة عليهما بما خلق من اللباس والزينة .

والثاني: ما يكون التعلق فيه قريبا كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾[4] فعطف ومن كل تأكلون، لكونه مناسبا لأصل الكلام وهما البحران المعني بهما الكافر والمؤمن . "[5]

قوله: أن ينتقلا خبر مبتدأ محذوف أي هو أن ينتقل إلخ، والألف فيه للإطلاق، وفاعله ضمير عائد على المتكلم المفهوم من المقام، وجملة قد شاكل في محل نعت لقوله غرض والألف فيه للإطلاق، واللام في لغرض بمعنى إلى .

---

(1) – سورة البقرة، الآية: 6

(2) – سورة البقرة، الآية: 2.1

(3) – سورة الأعراف، الآية: 26

(4) – سورة فاطر، الآية: 12

(5) – فيض الفتاح م س ج2 ص274.273

وَالِافْتِنَانُ الْجَمْعُ لِلفَنَّيْنِ ... كَالْمَدْحِ والْهَجْوِ ونَحْوِ ذَيْنِ

يعنى أن الافتنان نوع من البديع المعنوي، وهو اصطلاحا أن يجمع المتكلم في كلامه بين فنين من فنون الكلام أو أكثر، كالمدح والهجو أي الذم، ونحو ذين أي وما شابه المدح والهجو، كالتشبيب، والحماسة، والتهنئة، والتعزية، ويكونُ الْفَنَّانِ في فقرة واحدة أو بيت واحد كقوله تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** 24 **وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ** 25﴾ فإن في الآية عزاء وفخرا .

وقول عنترة:

إن تُغْدِفِي دوني القِناعَ فإنني ... طَبٌّ بأخذ الفارسِ المسْتَلْئِمِ[1]

أوله تشبيب، وآخره حماسة أي شجاعة، ومثله قوله:

وَلَقَد ذَكَرْتُكِ والرِّمَاحُ نَواهِلٌ، ... مِنّي وبِيضُ الهندِ تَقْطُرُ من دَمي

فيه تشبيب بالمرأة، وحماسة .

وَالِاشْتِقَاقُ أَخْذُ مَعْنًى مِنْ عَلَمْ

يعنى أن الاشتقاق من البديع المعنوي، وهو في الاصطلاح أن يأخذ المتكلم معنى يقصده من مدح أو هجاء، أو غير ذلك من عَلَمٍ كقول الحلي:

لمْ يَلْقَ مَرْحَبٌ منهُ مَرحباً ورأى ... ضدَّ اسْمِهِ عندَ هَدِّ الحِصْنِ والأطم

اشتق من اسم مرحب اليهودي الترحيب، وأخبر أنه رأى ضد الترحيب، وهو الضيق، [388] لقتل علي كرم الله وجهه إياه في فتح خيبر، ومنه قول ابن دريد في نفطويه النحوي حين مات:

أحرقَه الله بنصفِ اسمِه ... وجَعَلَ الْبَاقي صُراخاً عليهِ

وقبله:

قالُوا أتَهجو نفطويهِ الذي ... يُقْرِئُنا فقلتُ ومَن نَفطويْهِ

وقول بعضهم:

حُلِقَتْ لِحيَةُ موسى بِاسمِهِ ... وبِهارونَ إذا ما قُلِبا[2]

انتزع من موسى علما، أي حال كونه علما لموسى التي هي حديدة الحلق، وأخذ من هارون إذا

(1) – البيت من معلقة عنترة، وهو في ديوانه ص159

(2) – البيت بلا نسبة في عقود الجمان ص147

قلب أي قرئ من آخره النورة التي تزيل الشعر .

فَـــإِنْ يُطَـــابِقْ فَبِالِاتِّفَـــاقِ سَـــمُّ

أي فإن يطابق الاسم العلم أو غيره الواقعة أي يناسبها، أي فإن اتفق لشاعر وقوع واقعة، وأسماء مطابقة لها، أي مناسبة لها، ونطق بذلك على سبيل المطابقة والمناسبة، فذلك النوع سَمٍّ بالاتفاق أي سَمِّه به، وهو من البديع المعنوي كقول الحلي:

ومـــن غـــدا اســم أمـــه نعتًـــا لأمتـــه ... فتلـــك آمنـــة مـــن ســـائر الـــنقم

انتزع من آمنة أمه ﷺ الأمن، ومنه قوله في لؤلؤ حين غزا الإفرنج الذين قصدوا الحجاز من بحر القلزم:

عَـــــدُوُّكُمْ لُؤْلُـــــؤٌ والْبَحْـــــرُ مَسْـــــكَنه ... والـــدُّرُّ فِي الْبَحْـــرِ لَا يَخْشَـــى مِـــنَ الْغِـــيَرِ

بكسر الغين المعجمة وفتح الياء، فالممدوح اسمه لؤلؤ، والواقعة الموافقة له هي كونه في البحر، فإن ذلك يناسب اللؤلؤ إذ أصله من البحر .

قوله: سم أمر من الوسم بمعنى العلامة، وبالاتفاق متعلق به، والجملة جواب الشرط، وفاعل يطابق ضمير عائد إلى قوله علم في آخر الشطر الأول .

وَمِنْهُ الألغاز أي ومن البديع المعنوي الألغاز ذكره في التبيان، ويسمى المحاجاة والتعمية وهو أن يأتي المتكلم بألفاظ مشتركة، من غير ذكر الموصوف، وعبارات يدل ظاهرها على غيره، وباطنها عليه، كقوله في القلم:

وذي خضــــــوعٍ راكــــــعٍ ســــــاجدٍ ... ودمعُـــه مـــن جَفْنـــه جـــاري

مُواظـــبِ الخَمْـــسِ لأوقاتهـــا ... منقطـــعٍ في خِدمـــة البـــاري

وقول أبي العلاء في الإبرة:

ســـعتْ ذاتُ سَـــمٍّ في قميصـــي فغـــادرت ... بـــه أثـــراً، والله يشـــفي مـــن السُّـــمِّ

كَســـتْ قيصـــراً ثـــوبَ الجمـــال وتبَّعـــاً ... وكســـرى وعـــادتْ وهـــي عاريـــةُ الجِسْـــم

وَنَوْعُ الْقَسَمِ أيْ ومن أنواع البديع المعنوي نوع القسم، وهو أن يقسم المتكلم على شيء بما يكون له، أو ذما ويكسبه فخرا، وما يكون هجاء لغيره، كقوله تعالى: ﴿**فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ** 23﴾ فهذا قسم يوجب الفخر، لتضمنه المدح بأعظم قدرة وأكمل عظمة

حاصلة، فمن له ربوبية السماء والأرض وتحقيق الوعد بالرزق .

ومنه قول ابن الأثير:

بقِيــتُ وحْــدِي وانحرْفــتُ عــن العُــلا　　فلقيــتُ أضْــيافي بوجْــهٍ عَبُــوسِ
إِنْ لمْ أشُــنَّ علــى ابــنِ هنــدٍ غــارةً　　لم تخــلُ يومــاً مــن ذهــاب نفــوسِ

ومنه قوله:

أَمَــا والَّــذِي لَا يَعْلَــمُ الغَيــبَ غَــيرُهُ　　ويُحْيِــي العِظَــامَ البِــيضَ وهْــيَ رَمِــيمُ
لَقَــدْ كُنْــتُ أَخْتَــارُ القِــرَى طِــاويَ الحَشَــا　　مَحَــاذَرَةً مِــنْ أَنْ يُقَــال لَئِــيمُ[1]

والِاكْتِفَــاءُ حَــذْفُ بَعْــضِ الْكَلِــم

أيْ ومن البديع المعنوي الاكتفاء، وهو في الاصطلاح حذف بعض الكلم أو بعض الكلمة، والاكتفاء بالباقي من الكلم أو الكلمة، فالمحذوف م[389] ن الكلم كلمة فأكثر، ومن الكلمة بعض حروفها، ويكون في النظم والنثر، ويشترط فيه أن يكون الباقي من الكلم بعد حذف بعضه، أو الكلمة بعد حذف بعض حروفها دالا على المحذوف .

فمن الأول في النثر قوله ﷻ: **﴿وَلَوَ اَنَّ قُرْءَاناً سُيِّرَتْ بِهِ اِلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأرض أَوْ كُلِّمَ بِهِ اِلْمَوْتيٰ﴾**[2] أي لم يؤمنوا به، أو لكان هذا القرآن الذي هو غاية في التذكير، ومنه قوله ﷺ: ((**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ** »، **وَمَا مِنَّا إِلَّا ولَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ**)) [3] أي وما منا إلا ويتطير إلخ .

ومنه قول علي رضي الله عنه في بعض وصاياه: " لاتُؤَخِّرِ التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ، ولَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ، فَكَأَنْ قَدْ والسَّلَامُ "[4] أي وكان قد حضرت الآخرة .

ومنه في الشعر قول الشاعر:

حســـــناتُ الْخَـــــد منـــــهُ　　قـــد أطالـــت حســـراتي

---

(1) – البيتان لحاتم الطائي

(2) – سورة الرعد، الآية: 31

(3) – مسند أحمد، مسند عبد الله بن مسعود، الحديث رقم 3687، ج3 ص546 ط دار الحديث ت أحمد محمد شاكر، وسنن ابن ماجه، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة، الحديث رقم 3538 ج4 ص560 ط دار الرسالة العالمية ت شعيب الأرنؤوط.

(4) – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير، ج1 ص275 ط دار نهضة مصر، ت أحمد الحوفي بدوي طبانه.

كلمـــــــا ســـــــــاء فعــــــــالًا ... قلـــــــتُ إن الحســــــــنات

أي يذهبن السيئات .

ومن الثاني ولا يكون إلا في الشعر قول ابن سنا الملك[1] :

أهـــــوى الغزالــــــةَ والغــــــزالَ وربمـــــا ... نهنهـــتُ نفسِـــي عِفَّـــةً وتـــدينا

ولقــــدْ كَففْــــتُ عَنــــانَ عَيــــنِي جاهــــداً ... حـــتى إذا أعييـــتُ أَطلقـــتُ العِنَـــا

تمامه: نَا، وقول الحموي:

إِلَـــــيْكُم هِجـــــرتِي وقَصْـــــدي ... وفِـــــيكُمُ الْمَــــوْتُ والْحَيـــــاةُ

أَمِنــــــتُ أَن تُوحشـــــوا فُــــؤَادِي ... فآنِســـــوا مُقلـــــتِي ولَا تَــــــو

تمامه: حِشُوا

وَخَـــيْرُهُ عِنْـــدِيَ مَـــا فِيـــهِ وفَـــتْ ... تَوْرِيَـــةٌ عَـــنِ اكْتِفَـــاءٍ صَـــرَفَتْ

يعنى أن خير الاكتفاء وأحسنه عند الناظم، ما تضمن توريةً تَصْرِفُهُ عن الاكتفاء وتكون في نوعي الاكتفاء ببعض الكلم مع حذف كلمةٍ فأكثر، والاكتفاء ببعضِ الكلمة مع حذف بعض حروفها .

مثالها في الأول: قول السيوطي وقد بشر بنجل:

قلـــــتُ: وقــــدْ بَشَّـــــروا بِنَجْـــــلٍ ... ربِّ أنِلْـــــنِي مُنـــــايَ فَضْـــــلا

إن عــــاش فاجعلــــهُ خــــيرَ نَجْــــلٍ ... مُوفيـــــــــاً عَهــــــــدَهُ وإلا

فإنه يحتمل أن يكون حرف استثناء أي وإلا فاقبضه صغيرا، وهو المعنى القريب، وعليه فيكون من الاكتفاء بحذف بعض الكلم، ويحتمل عطفه على العهد تفسيرا له أو بمعنى الذمة ويكون اسما، وهذا هو المعنى البعيد، وعلى هذا فليس من الاكتفاء .

قال تعالى: ﴿لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُومِنٍ اِلّاً ولاَ ذِمَّةً﴾[2]

---

(1) - ابن سناء الملك القاضي السعيد أبو القاسم هبة الله بن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر بن المعتمد سناء الملك أبى عبد الله محمد بن هبة الله بن محمد السعدي (550 هـ - 608هـ) الشاعر المشهور، صاحب الديوان الشعرى البديع والنظم الرائق، أحد الفضلاء الرؤساء النبلاء، وكان كثير التخصص والتنعم، وافر السعادة، محظوظا في الدنيا. ولد في حدود سنة 550 هـ. أخذ الحديث عن الحافظ السلفي الأصفهاني، وكتب الشعر منذ سن مبكرة، وكتب قصيدة للقاضي الفاضل، وسنه لم يبلغ العشرين سنةمن آثاره روح الحيوان ، فُصوص الفصول ، ديوان رسائل، ديوان شعره المطبوع بالقاهرة سنة 1388 هـ ..ينظر: وفيات الأعيان (345/3).

(2) - سورة التوبة، الآية: 10

ومثالها في الثاني: قول القاضي فخر الدين ابن مكانس: [1]

لله ظـــــــبيٌ زارَني في الـــــــدُّجَى   مُسْـــــتوْفِزاً مُمْتطيـــــاً للخَطَـــر
فلـــــمْ يَقِـــــفْ إلا بمقـــــدار أنْ   قلـــتُ لـــه أهـــلا وســـهلا ومَـــرْ

تمامه: حَبـًا فقوله: ومر، يحتمل أن يكون بمعنى ذهب، وعلى هذا فهو فعل ماض فاعله عائد إلى ظبي، وليس من الاكتفاء، وهذا هو المعنى القريب، ويحتمل أن يكون بعض حروفه مرحبا نظير أهلا وسهلا اكتفي به عن المحذوف وهو الحاء والباء، أي أتيت أهلا وسلكت سهلا وأصبت مرحبا، وهو المعنى البعيد، فيكون من الاكتفاء ببعض حروف الكلمة، ومنه قول البدر الدماميني:

الـــدَّمعُ قـــاضٍ بافْتِضـــاحي في هـــوَى   ظـــبيٍ يَغـــار الْغُصـــنُ منـــهُ إذا مشـــى
وغـــدا بوَجْـــدي شـــاهدًا ووشـــى بمـــا   أخْفـــى فيـــا لله مـــن قـــاضٍ وشَـــا

تمامه: هِدٍ، فإنه يحتمل أنه فعل ماض من الوشي[390] أي نقل الكلام بين الناس، وهو المعنى القريب، وعليه فليس من الاكتفاء، ويحتمل أنه بعض حروف شاهدا اكتفي به عن باقيه المحذوف وهو الهاء والدال، وهذا هو المعنى البعيد المراد، وعليه فهو من الاكتفاء ببعض حروف الكلمة، فيكون معطوفا على قوله قاض .

وَجَمْعُـــــهُ مُؤْتَلِفًـــــا أَوْ مُخْتَلِـــــفْ

أي ومن أنواع البديع المعنوي جمع المتكلم المؤتلف والمختلف من المدح، وهو أن يقصد المتكلم التسوية بين مدحين، أو أكثر، في معان مختلفة، ثم بعد ذلك أو قبله يروم ترجيح أحدهما على الآخر، فيزيده فضلا مع خلو زيادة ذلك الفضل من نقص مدح الآخر كقوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ 77 فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[2] فإنه تعالى مدحهما في قضية الغنم بقوله: ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وخص سليمان بفهم القضية، إذ الحكمُ منهما عليهما السلام كان باجتهاد، بناء على جواز الاجتهاد للأنبياء .

(1) – فخر الدين بن مكانس (745 – 794 هـ) نسبه : هو " فخر الدين أبو الفرج : عبدالرحمن بن عبدالرازق بن إبراهيم ابن مكانس سلالة أسرة قبطية . مولده ونشأته : ولد " ابن مكانس " في " القاهرة " سنة خمس وأربعين وسبعمائة للهجرة وكان أبوه عبد الرحمن. ترجمته في ابن حجر، الدرر الكامنة، 2/ 201، والزركلي، الأعلام، 3/ 310، وكامل الجبوري، معجم الشعراء، 3/115 .

(2) – سورة الأنبياء، الآية: 79.78

روي أن داود رجع عن حكمه لما تبين له أن غيره أرجح، وقيل كان حكمهما بوحي وعليه يكون حكم سليمان ناسخا لحكم داود .

وقوله: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ حجة لمن قال: كل مجتهد مصيب، ومن قال المصيب واحد، [1] وأن داود أخطأ قال يعنى حكما وعلما في غير هذه النازلة، إلا أن القول بجواز الخطأ على الأنبياء ويتنبهون سريعا ضعيف .

ومنه قول الحلي:

هـــمُ هـــمُ في جميــعِ الفضــــلِ مـــا عَـــدِموا   سِـوى الإخـاءِ ونـصِّ الـذِّكْرِ والـرَّحِم

يعنى أن أصحاب النبي ﷺ كآله في جميع أنواع الفضل المختلفة، ثم رجح الآل بزيادة فضل لا تنقص فضل الصحابة، وهي قوله سوى الإخاء الذي هو قرابتهم منه ﷺ، ونص الذكر أعني قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾[2] والحكم أي المواعظ .

وقال الثعالبي[3]: قوله ونص الذكر والحكم إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ

(1) – هذه جدلية أصولية معروفة، فقد اختُلف هل المصيب واحد من المجتهدين المختلفين أو كل مصيب؟ .. والأول هو الصحيح .كما عليه جمهور الأصوليين وكما يدل عليه حديث " إذا أجتهد الحاكم فأخطأ.. الحديث " فهو نص صريح في أن المجتهدين، منهم المخطئ ومنهم المصيب.

ومعلوم أن المخطئ في الفروع مع استكماله الشروط معذور في خطئه، مأجور باجتهاده كما في الحديث. وقصة بني قريظة تدل على أنه قد يكون الكل مصيباً في الجملة لأنه صلى الله عليه وسلم لم يخطئ من صلى العصر قبل ببني قريظة، ولا من لم يصلها إلا في بني قريظة، وهو لا يقر على باطل، انظر مذكرة أصول الفقه للشنقيطي ص371 ط5 مكتبة العلوم والحكم.

(2) – سورة الأحزاب، الآية: 33

(3) – الثَّعَالِبي (350 – 429 هـ = 961 – 1038 م) عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبي: من أئمة اللغة والأدب. من أهل نيسابور. كان فراءاً يخيط جلود الثعالب، فنسب إلى صناعته. واشتغل بالأدب والتاريخ، فنبغ. وصنّف الكتب الكثيرة الممتعة. من كتبه " يتيمة الدهر – ط " أربعة أجزاء، في تراجم شعراء عصره، و" فقه اللغة – ط " و" سحر البلاغة – ط " و" من غاب عنه المطرب – ط " و" غرر أخبار ملوك الفرس – ط " و" لطائف المعارف – ط " و" ما جرى بين المتنبي وسيف الدولة – ط " و" طبقات الملوك – خ " و" الإعجاز والإيجاز – ط " و" خاص الخاص – ط " و" نثر النظم وحل العقد – ط " و" مكارم الأخلاق – ط " و" ثمار القلوب في المضاف والمنسوب – ط " و" سر الأدب «الأعلام للزركلي» م س. ج164/4

﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾[1] بناء على دخول الزوجات الطاهرات في الآل، وما جعل الله بين الأزواج من المودة قائمٌ مقامَ القرابة .

قال في فيض الفتاح: " تنبـيه: جعل بعضهم الائتلاف والاختلاف أن تذكر معاني مختلفة مع معان مؤتلفة، وجعله ابن مالك في مصباحه ضربين:

الأول: ما كانت المؤتلفة فيه بمعزل عن المختلفة كقوله:

أَبى القَلـــبُ أَن يَأتِي السَــديرَ وأَهلَــهُ　　　وإِن قيــلَ عَــيشٌ بِالسَــديرِ غَريــرُ
بِـــهِ البَـــقُّ والحُمّـــى وأُسْــدٌ تَحُفُّــهُ　　　وعَمــرُو بــنُ هِنــدٍ يَعتَـدي ويَجــورُ[2]

فمعاني البيت الثاني، غير مناسبة لمعنى الأول، مع أنها مختلفة في أنفسها .

والثاني: ما كانت المؤتلفة فيه داخلة في المختلفة معها كقول عباس بن الأحنف:

وصـــالكُمُ هَجْـــرٌ وحُـــبُّكُمُ قِلـــىً　　　وعطفكـمُ صَـدٌّ وسِـلمكُمُ حـربُ[3]

فالوصال والحب والعطف مؤتلفة، [391] وكذا الهجر والقلى والصد، وقد تداخلت . "[4]

قوله: مؤتلفا مفعول به لقوله جمعه، وفاعله ضمير المتكلم المضاف إليه، وقوله مختلف بالوقف على السكون في لغة ربيعة .

والاتّسَـــاعُ شَـــامِلٌ لِمَـــا عُـــرِفْ

يعنى أن الاتساع من البديع المعنوي، وهو لفظ شامل لما عرف أي لما أدركه الناظر فيه من المعاني، بسبب اتساع التأويل فيه على قدر فهم الناظر فيه، وبحسب ما تحتمله ألفاظه من المعاني، كما هو كثير في القرآن العزيز، كفواتح السور .

---

(1) - سورة الأحزاب، الآية: 34

(2) - الأبيات من الطويل، وهي لسلامة بن جندل، ضمن ديوانه ص67، صنعه محمد بن الحسن الأحول، ط1 دار الكتاب العربي.

وبعد البيتين قوله:

فَـــلا أُنـــذِرُ الحَـــيَّ الأُلى نَزَلـــوا بِـــهِ　　　وإِنّي لِمَـــن لَم يَأتِـــهِ لَنَـــذيرُ

(3) - ديوانه ص36، وبعد هذا البيت قوله:

وأَنْـــتُم بِحَمْـــدِ اللَّهِ فِـــيْكُمْ فَظَاظَـــةً　　　وكُـــلّ ذَلُـــولٍ مِـــنْ مَـــرَاكِبِكُمْ صَـــعْبُ

(4) - فيض الفتاح م س ج2 ص281

ومنه قول الحلي:

بِـــيضُ الْمَفــــارِقِ لا عــــارٌ يُدَنِّسُـــهُمْ   شُـمُّ الأُنـوفِ طِـوالُ الْبـاعِ والأَمَـمِ

شم الأنوف: أي رافعو الرؤوس كناية عن العزة . طوال الباع: طوال ما بين البلدين إذا مدتا وهذا كناية عن القوة والقدرة . بيض المفارق كناية: عن نقاء العرض والنسب أو الشرف . الأمم: قريب التناول، والأمم جمع أمة بالضم القامة، يحتمل أن يريد بيض المفارق الطهارة والعفاف، كقولهم: " فلانٌ أبيضُ الْعِرض والأخلاق " ويحتمل أن يريد به بياض الشيب، وأنهم شيوخ جربوا الأمور لا أغمار، ويحتمل أن يريد انحسار الشعر عن مقدم رؤوسهم، لدوامهم على لبس المغافر، ويحتمل أن يريد أنهم أحرار لا عبيد .

وَإِنْ يَكُـنْ فِي اللَّفْـظِ لَـبْسٌ فَيَفِـي   تَفْسِـيرُهُ فَـذَاكَ تَفْسِـيرُ الْخَفِـي

أي وإن يكن اللفظُ أيْ لفظ المتكلم لبس أي خفاء وإبهام، لكونه مطلقا أو غير تام التقييد مراد به بعض ما يتناوله، فيفي أي يجيء من المتكلم تفسيره أي تفسير ذلك اللفظ المبهم الخفي بلفظ آخر كاشف لمعناه المراد به، فذلك النوع أو الصنيع نوع من البديع المعنوي يسمى تفسير الخفي، وسماه ابن مالك التبيين، قال: وهو على ضربين:

الأول: أن يتبين أحد ركني الإسناد بالآخر كقوله:

ثَلاثَـــةٌ تُشْـــرِقُ الـــدُّنيا بِبَهجتِهـــا   شَمسُ الضحَى وأبـو أسحق والقمـرُ

فقد بين المبتدأ الذي هو ثلاثة، بالخبر الذي هو شمسُ الضحى إلخ .

والثاني: أن تبين أحد ركني الإسناد أو غيره بالنعت ونحوه كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعاً 19 إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعاً 20 وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعاً 21﴾[1] وقول ابن الرومي:

الأَلْمَعِــيُّ الَّــذي يَظُــنّ لَــكَ الظَّــنْ   نَ كَــأَن قَــدْ رَأَى وقَــد سَمِعَــا

فقد فسر الهلوع في الآية بقوله: إذا مسه الشر إلخ، فلم يترك فيه خفاء ولا لبسا، وقد فسر الشاعر الألمعي بقوله: الذي يظن إلخ، تفسيرا كاشفا لمعناه فلم يترك فيه لبسا .

وَإِنْ يُـزِلْ لَبْسًـا عَـنِ الإِبْهَـامِ   فَـذَاكَ إِيضَـاحٌ بِـلا إِبْهَـام

(1) - سورة المعارج، الآية: 19.21

أي وإن يزل المتكلم لبسا، أي خفاء عن اللفظ ذي الإبهام، أي اللفظ الخفي المعنى، فلا يفهم من أول وهلة، فذلك النوع أو الصنيع، نوعٌ من البديع المعنوي، يسمى باسم الإيضاح بلا إيهام أي بلا شك ولا وهم كقوله:

يـــــذكّرنيك الخــــيرُ والشّـــرُّ كلُّـــــه ... وفيـكَ الحيـا والعلـمُ والحلـمُ والجْهـل
فألفـــاك عـــن مكروههـــا مُتنزّهـــا ... وألقـاك في محبوبهـا ولـك الْفضـل

فمعنى البيت ملتبس، لأنه يقتضي المدح والذم، فأوضحه بالثاني وأزال إشكاله وبين أنه مدح فقط، والفرق بين تفسير الخفي والإيضاح أن الإيضاح رفع للإشكال عن التركيب المشكل المعنى، وتفسير الخفي تفصيل المجمل ؛ لأن المفسر في الكلام ليس فيه إشكال، بل هو مجمل المعنى، وفرق بينهما ابن مالك في المصباح فرقا واضحا، فقال: الإيضاح إزالة لبس التوجيه بأن يحتمل الكلام مدحا وذما فيأتي بكلام يزيله ويعينه للمدح أو الذم، والتفسير إزالة خفي الحكم . [392]

وَإِنْ أَتَـــــى مُشْـــــتَرَكاً يُبَـــــادِرُ ... غَـــيْرَ الْمُـــرَادِ فَاشْـــتِرَاكٌ صَـــادِرُ

أي وإن أتى اللفظ أي لفظ المتكلم حال كونه مشتركا بين معنيين أحدهما هو مراد المتكلم والثاني غير مراد له، واللفظ المشترك يبادر المعنى غير المراد أي يسبق إلى الذهن منه غير المراد، ثم يأتي المتكلم بما يبين المراد، فذلك النوع أو الصنيع نوع من البديع المعنوي يسمى باسم الاشتراك كقوله:

وَأَنــتِ الَّــتي حَبَّبــتِ كُــلَّ قَصــيرَةٍ ... إِليَّ ومــا تَــدْرِي بِــذاكَ القَصــائِرُ
أُرِيــدُ قَصــيراتِ الحِجــالِ ولَــم أُرِد ... قِصـارَ الخُطـا شَـرُّ النِسـاءِ البَحـاتِرُ

فقوله: كل قصيرة، لفظ مشترك بين معنيين، هما قصر الخطى، وقصر الحجال، والمراد الثاني، واللفظ يبادر الأول الذي ليس مرادا، وقد أتى في البيت الثاني بما عين أن المراد به الثاني وأزال إيهام الأول غير المراد .

ومثاله من الحديث قوله ﷺ: ((**دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ، والْبَغْضَاءُ، هِيَ: الْحَالِقَةُ،**

حَالِقَةُ الدِّينِ لَا حَالِقَةُ الشَّعَرِ)) [1] رواه الترمذي .

قوله: إن أتى فاعله ضمير عائد إلى اللفظ في قوله وإن يكن في اللفظ لبس إلخ، وقوله مشتركا حال منه، وقوله يبادر غير المراد جملة فعلية في موضع الحال منه أيضا، وقوله فاشتراك خبر مبتدأ محذوف أي فهو اشتراك، وقوله صادر نعت لاشتراك تتميم للبيت .

حُسْـــنَ البَيَـــانِ زَادَ فِي الْمِصْـــبَاحِ وردَّهُ الجُــــــلالُ فِي الإِيضَــــــاح

أي زاد ابن مالك في البديع المعنوي نوعا يسمى حسن البيان، قال: وهو كشف المعنى وإيصاله إلى النفس بسهولة مع الإيجاز أو الإطناب بحسب المقام، ورده جلال الدين في الإيضاح، وقال: إنه تخليط ؛ لأن حسن البيان هو وظيفة علم البيان، إذ لا يعد الكلام بليغا مطابقا لمقتضى الحال إلا إذا كان حسن البيان سالما من التعقيد المعنوي، فهو محسن ذاتي مشترط في أصل البلاغة لا في توابعها التي هي وجوه تحسين الكلام، والبديع وظيفته البحث عن المحسن الخارجي .

قوله: حُسْنَ بالنصب مفعول مقدم لقوله زاد .

وَقَـــدْ وجَـــدْتُ مَقْصِـــدًا بَـــدِيعَا سَمَّيْتُـــهُ التَّاسِـــيسَ والتَّفْرِيعَـــا

هذا نوع لطيف من البديع المعنوي اخترعه الناظم وأشار إليه بقوله: وقد وجدت إلخ يعنى أنه وجد مقصدا بديعا أي معنى حسنا لطيفا يحسن الكلام، وقد سماه بالتأسيس والتفريع وأشار إلى تفسيره بقوله:

قَاعِـــدَةً كُلِّيَّـــةً يُمَهِّـــدُهَا يَبْـــنِي عَلَيْهَـــا شُـــعْبَةً يَقْصِـــدُهَا

أي هذا النوع المسمى بالتأسيس والتفريع قاعدة كلية أي ضابط كلي يمهدها المتكلم أي يقصدها في أول كلامه أمام مقصوده ليرتبه عليها، ثم يرتب عليها مقصوده ويبنيه عليها وهذا هو معنى قوله: يبني عليها شعبة يقصدها أي يبنى على تلك القاعدة معنى من المعاني يقصده، فالمراد بالشعبة المقصود، فالتأسيس هو تمهيد القاعدة، والتفريع هو ترتيب المقصود عليها مفرعا عليها .

مِثَالُهُ أي مثال التأسيس والتفريع قوله ﷺ:

---

(1) - السنن الكبرى للبيهقي كتاب الشهادات باب شهادة أهل العصبية الحديث رقم 21065 ج10 ص393 ط دار الكتب العلمية بيروت ت محمد عبد القادر عطا، ومسند أحمد، مسند باقي العشرة المبشرين بالجنة، مسند الزبير بن العوام، الحديث رقم 1412 ج3 ص29.

. لِكُـــلِّ دِيــــنٍ خُلُـــــقُ وخُلْــقُ ذَا الـــدِّينِ الحَيَــاءُ الْمُونَــقُ

رواه ابن ماجة[1] عن أنس ما عدا لفظة المونق، فإنها من كلام الناظم زادها تتميما للبيت، ومعناها المعجب .

ومنه قولُه ﷺ: ((لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وحَوَارِيِّي الزُّبَيْرُ)) رواه الشيخان . [2]

فالقاعدة الكلية[393] التي هي التأسيس قوله: لكل دين خلق، وقوله: لكل نبي حواري، والمقصود المبني عليها الذي هو التفريع قوله: وخلق ذا الدين الحياء، وقوله: وحواريي الزبير .

وَالنَّفْــيُ لِلْمَوْضُــوعِ قَصْــدًا صَــنَعَهْ

هذا النوع أيضا اخترعه الناظم وسماه النفي للموضوع، وهو قصد أي معنى يقصد لكونه حسنا لطيفا، وقوله اصنعه أمر للسامع أن يصنعه في كلامه ويحسنه به، لأنه من محسنات الكلام المعنوية .

فقوله: قصد بالرفع خبر قوله النفي، وقوله اصنعه فعل أمر وهو نفي اللفظ عن معناه الموضوع هو له وإثباته لغير ما وضع له، مبالغة في ادعاء ذلك الحكم له .

مِثَالُهُ أي مثال النفي للموضوع ما رواه الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: ((لَيْسَ الشَّدِيدُ الصُّرَعَةُ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ)) [3] فإنه قد نفى الشديد عن معناه الأصلي وهو الصرعة، أي الذي يصرع الرجال ولا يقاومه رجل وأثبته لغيره، وهو من يملك نفسه عند الغضب، مبالغة في ادعاء ذلك الحكم له ؛ لأن المراد الشدة النافعة لصاحبها، وتلك إنما هي ملك النفس .

ومنه قوله ﷺ: ((لَيْسَ الْغِنَى كَثْرَة المَالِ ولَكِن الْغِنَى غِنَى النَّفس)) رواه الشيخان عن أبي هريرة

(1) – سنن ابن ماجه، أبواب الزهد، باب الحياء، الحديث رقم 4181 ج5 ص276، وهو في الموطأ أيضا كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في الحياء، الحديث رقم 9 ج2 ص905 ط دار إحياء التراث العربي، ت محمد فؤاد عبد الباقي.

(2) – صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب هل يبعث الطليعة وحده، الحديث رقم 2847 ج4 ص27، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، الحديث رقم 2415 ج4 ص1879.

(3) – صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، الحديث رقم 6114، ج8 ص28، وصحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب، الحديث رقم 2609، ج4 ص2014.

أيضا . [1]

فإنه نفى الغنى عن معناه الأصلي الذي هو كثرة المال، وأثبته لغيره وهو غنى النفس أي القناعة، مبالغة في ثبوت صفة الغنى لموصوف القناعة .

وَإِنْ أَتَـــى بِجُمَـــلٍ لِلْمَقْصِـــدِ   تَوَصُّـــلاً لِحُكْـــمِ مَـــا بِـــهِ ابْتُـــدِي
وَصَـــحَّ حَـــذْفُ الْوَسَـــطِ الْمَوْصُـــولِ   فَـــذَلِكَ التَّمْهِيـــدُ لِلـــدَّلِيل

هذا نوع ثالث اخترعه الناظم أيضا وسماه رحمه الله الدليل وأشار إليه بقوله: وإن أتى إلخ، أي وإن أتى المتكلم بجمل ثلاث أو أربع للمقصد، أي لبيان مقصده، وهو أن يقصد حكم شيء فيرتب له أدلة تقتضي تسليمه قطعا، بأن يبدأ بالمقصود ويخبر عنه بجملة مسلمة عند السامع، ثم يخبر عن تلك الجملة بأخرى مسلمة عند السامع أيضا، لأجل التوصل بتلك الجمل المتوسطة بين الأولى والأخيرة إلى الحكم بالأخيرة منهن أي إثباتها لما به ابتدئ منهن أي للأولى منهن، والحال أنه يصح حذف الجملة الوسط أي التي في الوسط الموصول بها إلى إثبات الأخيرة للأولى، فذلك الصنيع أو النوع هو التمهيد للدليل أي المسمى بهذا الاسم، سماه به الناظم حين اخترعه .

مثاله قوله ﷺ: ((مَنْ آذَى مُسْلِمًا فَقَدْ آذَانِي، ومَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ)) رواه الطبراني[2] عن أنس .

فقد أتى المتكلم بجمل أربع، وتوصل بالوُسْطَيَيْنِ منهن إلى إثبات الأخيرة منهن للأولى، والأربع هي قوله: من آذى مسلما، وقوله فقد آذاني، وقوله ومن آذاني، وقد توصل بهما إلى إثبات الأخيرة، وهي قوله فقد آذى الله، للأولى وهي من آذى مسلما، ويصح حذف الوسطيين، ويكون إثبات الأخيرة للأولى صريحا لا لزوما، كما كان قبل حذف الوسطيين، فتقول: من آذى مسلما فقد آذى الله باختصار، فصار ما كان مدلولا عليه بالالتزام مدلولا عليه [394] بالتصريح، وهو كون إذاية المسلم هي إذاية الله، ومعنى تسميته بتمهيد الدليل أنه ﷺ أراد أن يثبت أن إذاية المسلم هي إذاية الله، فأقام

(1) - صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس، الحديث رقم 6446، ج8 ص95 ، وصحيح مسلم كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض، الحديث رقم 1051، ج2 ص726.

(2) - المعجم الصغير للطبراني، باب السين، من اسمه سعيد، الحديث رقم 468، ج1 ص284 ط المكتب الإسلامي دار عمار بيروت، ت محمد شكور محمود الحاج أمرير.

دليلا على ذلك التزاميا مقربا له من السامع، وهو أن إذاية المسلم هي إذايته ﷺ، وإذايته ﷺ هي إذاية الله، وهذا مسلم عند السامع، فمهد دليله بهذه الجمل الأربع التي كل واحدة منهن تلزم مما قبلها .

قوله: وإن أتى بجمل الضمير في أتى عائد إلى المتكلم المفهوم من المقام، وقوله توصلا مفعول له، والواو في قوله وصح حذف الوسط واو الحال، وقوله فذلك التمهيد للدليل جواب الشرط .

وَمِنْـــــهُ تَصْـــــحِيفٌ بِأَنْ يُعْتَمَـــــدَا بِـــهِ وبِالتَّصْـــحِيفِ أَمْـــرٌ قُصِـــدَا

أي ومن البديع المعنوي نوع يسمى بالتصحيف، وهو من مخترعات الناظم، وهو مفسر بأن يعتمد المتكلم أي يقصد به أي بالمعنى المقصود باللفظ، وبالتصحيف أي وبالمعنى ذي التصحيف أي المصحف إليه اللفظ أمر أي نكتة قصد بالبناء للنائب أي قصدها المتكلم، وتلك النكتة هي ذهاب نفس السامع إلى كل من معنيي اللفظ، فقوله أمرا مفعول به لقوله يعتمدا وفاعله ضمير عائد إلى المتكلم المفهوم من المقام، والألف فيه للإطلاق، وقوله قصد من الفاعل المبني للنائب ونائبه في محل نعت لقوله أمرا، والألف فيه للإطلاق أيضا، والضمير في به عائد إلى المعنى المقصود .

مثاله ما حكي أن بعض الأذكياء كتب إلى بعض أصحابه بأن يشتري له من البضائع الرابحة، وأمر أن لا تنقط، لتصلح الرابحة والرائجة، ومن ألطف ما وقع في الحديث مما تصحيفه معتبرٌ حتى اختلف الناس في روايته ما رواه أبو يعلى عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ((**عَليكُمْ بغَسْلِ الدُّبُرِ فإنهُ يُذهبُ الْبَواسيرَ**)) [1] فقوله: بغسل الدبر اختلف فيه فبعضهم فهم أنه بفتح الغين المعجمة وسكون السين وضم المهملتين الدال والباء، منهم الحافظ أبو الحسن فأورده في باب الاستنجاء، وناسب ذلك قوله: يذهب البواسير فإنه من أمراض المقعدة، وبعضهم فهم أنه بفتح العين المهملة وفتح السين والدال وسكون الباء الموحدة، ومنهم الحافظ أبو منصور الديلمي، وقال إنه عسل النحل، وقريب منه حديث الترمذي: ((**أَرْبَعٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ: التَّعَطُّرُ، والْحَيَاءُ، والسِّوَاكُ،**

(1) – حديث موضوع، رواه ابن حبان في المجروحين من طريق أبي يعلى وقال عنه ابن حبان: " كان ممن بروي الموضوعات عن الأثبات " وقال عنه البخاري: " منكر الحديث " وضعفه غيره.

والنِّكَاحُ)) [1] فمنهم من يرويه بالتحتية، ومنهم من يرويه بالنون انتهى .

مبحث القسم الثاني من قسمي البديع وهو اللفظي

أي الراجعُ إلى تحسينِ اللفظ بحسب الذوات، وقد يستتبع بعضه تحسين المعنى أيضا بطريق الْعَرْض .

مِنْــــهُ الجِنَـــاسُ بَـــيْنَ لَفْظَـــيْنِ بِأَنْ   تَشَـــابَهَا فَــإِنْ يَ كُ الوِفَـــاقُ عَـــنّ

أي من البديع اللفظي نوع يسمى الجناس، بل هو أحسن أنواعه وألطفها، وهو مفسر بأن تشابها أي اللفظان، أي مفسر بتشابهما في اللفظ، والجناس مصدر جانس، ويسمى التجنيس والمجانسة والتجانس .

قال في الإتقان: " قَالَ فِي كَنْزِ الْبَرَاعَةِ: وفَائِدَتُهُ الْمَيْلُ إِلَى الْإِصْغَاءِ إِلَيْهِ فَإِنَّ مُنَاسَبَةَ الْأَلْفَاظِ تُحْدِثُ مَيْلًا وإِصْغَاءً إِلَيْهَا ولِأَنَّ اللَّفْظَ الْمُشْتَرَكَ إِذَا حُمِلَ عَلَى مَعْنًى ثُمَّ جَاءَ والْمُرَادُ بِهِ آخَرُ كَانَ لِلنَّفْسِ تَشَوُّقٌ إِلَيْهِ "[2]

قال الشيخ بهاء الدين: وكفى الجناس فخرا أن رسول الله ﷺ راعاه حيث قال: **((غِفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا، وأَسْلَمُ: سَالَمَهَا اللهُ، وعُصَيَّةُ: عَصَتِ اللهَ ورَسُولَهُ))** [3] وهو من تجنيس الاشتقاق، وتشابه اللفظين في اللفظ تشابه مخصوص، يعرف تفاصيله بتعديد أنواعه [395] يخرج التشابه في المعنى نحو أسد وسبع وعَدَدِ الحروف نحو ضرب وعلم، وإلى تعديد أنواعه أشار الناظم بقوله:

. فَـــإِنْ يَـــكُ الوِفَـــاقُ عَـــنّ

فِي عَـــدَدِ الحُـــرُوفِ والأَنْـــوَاعِ ثُمّ   تَرْتِيبِهَـــا وهَيْئَـــةٍ فَالتَّـــامَ سَـــمّ

أي فإن كان الوفاق بين اللفظين المتشابهين في اللفظ، أي لفظي الجناس عن بتخفيف النون للوزن أي عرض في عدد الحروف، بأن كانا متفقين في العدد والأنواع، أي أنواع الحروف بأن كانا متفقين في أنواعها ثم ترتيبها، أي بأن كانا متفقين في ترتيب الحروف، وهيئة أي بأن كانا متفقين في هيئات

(1) – سنن الترمذي، أبواب النكاح، باب ما جاء في فضل التزويج والحث عليه، الحديث رقم 1080، ج3 ص383.

(2) – الإتقان في علوم القرآن للسيوطي م س ج3 ص310

(3) – صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ذكر أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع، الحديث رقم 3513، ج4 ص181.

الحروف، فسم ذلك الجناسَ بالتام أي بالجناس التام، أي اجعل هذا اللفظَ اسما له وعلامةً عليه، وهو أي التام على قسمين أّشار إليهما الناظم بقوله:

فَــإِنْ يَكُــنْ نَوْعًــا فَــذَا مُمَاثِــلُ ... أَوْ لا فَمُسْــتَوْفٍ كَقَــالَ قَائِــلُ

أي فإن يكن الجناس التام نوعا واحدا، أي لفظاه متفقان في النوعية، أي نوعية الكلم، أي في الاسمية أو الفعلية أو الحرفية، بأن كانا اسمين أو فعلين أو حرفين، فذلك الجناس التام مماثل، أي يسمى باسم المماثل، لتماثل طرفيه في الاسمية أو الفعلية أو الحرفية، أو لا يكون يكن الجناس، أي لفظاه متفقين في النوعية، أي نوعية الكلم، بأن كانا غير متفقين فيها، لكونهما من نوعين اسم وفعل، أو اسم وحرف، فإن كان كذلك فهو الجناس التام المستوفى .

فالأول: كقوله تعالى: **﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾**[1] الساعة الأولى القيامة، والثانية ساعةٌ من ساعات الدنيا، وقوله: **﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ٥٩﴾**[2] الأول العمل، والثاني الثواب .

ومنه قول الشاعر:

وَإِنِّي لِلثَّغْــــرِ المَخُــــوفِ لَكَــــالِئٌ ... ولِلثَّغْــرِ يَجْــرِي ظلمُــهُ لَرَشُــوفُ

والثاني: مثل له الناظم بقوله: كقال قائل، وكقول الشاعر أبي تمام:

مــا مــات مــن كَــرَم الزمــانِ فإنــه ... يَحْــيَى لــدَى يَحْــيَى بــن عبــد الله

وقوله:

وسميتــهُ يحــيى ليحيــا، فلــمْ يكــنْ ... لــردِّ قضــاء الله فيــه ســبيلُ

ومثال الاسم والحرف قوله ﷺ: ((**والله لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وجْهَ اللهِ، إِلَّا أُجِرْتَ، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي امْرَأَتِكَ**)) [3] ففي الأول حرف، والثاني اسم بمعنى الفم منقوصا .

---

(1) – سورة الروم، الآية: 55

(2) – سورة الرحمن، الآية: 60

(3) – صحيح البخاري، كتاب الدعوات باب الدعاء برفع الوباء والوجع، الحديث رقم 6373 ج8 ص80 وموطأ مالك كتاب الوصية باب الوصية في الثلث لا تتعدى الحديث رقم 4 الجزء 2 ص 763 ت عبد الباقي.

ومثال الفعل والحرف كقولك: " زيدٌ علا على الجبل " الأول فعل من العلو، والثاني حرف بمعنى الاستعلاء، ومنه قوله:

أُوارى أواري والــــــــدموعُ تُبِينُـــــــــهُ ولَمْ أَنْــوِ إِطْفــاءَ اللَّهِيــبِ وقَــدْ وقَــدَ
فَمَـــا تَعْـــذُرُوا مَـــنْ بَاتَ يَبْكِـــي حَبِيبَـــهُ وَمَـنْ فَقَـدَ الْأَحْبَـابَ مِثْلِـي فَقَـدْ فَقَـدَ

أُواري الأول فعل مضارع بمعنى أَسْتُرُ، والثاني اسمٌ وهو اللهيب، وقوله وقد وقد، الأول من حرفين الواو وقد، والثاني فعل ماض من الوقود، وقوله فقدْ فقدَ كذلك .

والمماثلُ هو أفضل أنواع الجناس وأكملها، ومعنى اتفاق لفظي الجناس التام بنوعيه في لطيئة الحروف أن يكونا متفقين في الكيفية التي تحصل للكلمات باعتبار حركات الحروف وسكناتها، ومعنى اتفاقهما في نوع الحروف أن يكون كل حرف في الأول في الثاني حرف مماثل له في النوعية كالهمزية مثلا والبائية، وكل حرف من حروف الهجاء نوع، ومعنى اتفاقهما في ترتيب الحروف أن يكون ترتيب الحروف في الثاني على ترتيبهما في الأول، احترازا من نحو الفتح والحتف انتهى .

الضمير في يكن عائد إلى الجناس، وقوله مستوفى خبر مبتدأ محذوف أي فهو مستوفى .

فَـــإِنْ يَكُــــنْ مُرَكَّبًـــا إِحْــدَاهُمَا جِنَـــــاسُ تَرْكِيــــبٍ . .

أي فإن يكن إحداهما أي إحدى لفظتي الجناس مركبا، والآخر مفردا، أو كانا مركبين، فهو جناس تركيب، أي يسمى جناس التركيب والجناس المركب، وهو أنواع أشار إلى تعديدها بقوله: **فَإِنْ تَشَابَهَا، خَطًّا فَذُو تَشَابُهٍ** أيْ [396] فإن تشابه لفظا الجناس المركب، أي تشابه اللفظ المركب والمفرد في الخط، بأن كانا متفقين فيه فجناسهما ذو تشابه، أي يسمى المتشابه، لتشابه لفظيه في الخط كقول النضر بن شميل:

إذا مَلِـــــــكٌ لمْ يَكُـــــن ذا هِبَـــــــهْ فدَعْـــــه فَدوْلَتُــــــه ذاهِبَـــــــهْ

الأول مركب من ذا بمعنى صاحب، وهبة مصدر وهب يهب هبة، والثاني اسم فاعل من الذهاب .

وَإِلَّا .. **فَذَاكَ مَفْرُوقٌ** أيْ وإلا يكن اللفظان أي لفظا الجناس المركب والمفرد متفقين في الخط، بأن كانا مختلفين فيه فذلك الجناس المركب يسمى مفروقا، لافتراق اللفظين فيه في الخط كقوله:

وَإِن أَقَـــــرَّ علــــــى رَقٍّ أناملَــــــهُ أقـــرَّ بالـــرِّقِّ كُتّـــابُ الأنامِ لَـــهُ

وقوله:

كُلُّكُـــم قـــدْ أخـــذ الجْــامَ ولا جـــامَ لنـــا ... مـا الـذي ضَـرَّ مُـديرَ الجْامِ لَـوْ جامَلَنا ؟

أي عاملنا بالجميل، فقوله أنامله في البيت الأول جمع أنملة، وهو مفرد، والثاني مركب من الأنام بمعنى الخلق، وله الجار والمجرور، وجام لنا في البيت الثاني مركب من الجام بمعنى كأس الفضة، ومن لنا جار ومجرور، والثاني مفرد حكما لأنه فعل ومفعوله، ومعناه عاملنا بالجميل، وكل من المتشابه والمفروق قسمان، لأنه إما أن يكون مركبا من كلمتين تامتين أو ثلاث كلمات، وإما أن يكون مركبا من كلمة وجزء كلمة أو حرف من حروف المعاني: الأول الملفوف والثاني المرفو كقول النضر:

إذا مَلِـــــــكٌ لمْ يَكُـــــــن ذا هِبَـــــــهْ ... فدَعْـــــــه فَدوْلَتُـــــــه ذاهِبَـــــــهْ

فاللفظ الأول مركب من ذا بمعنى صاحب، وهبة بمعنى عطية مصدر وهب، وهما كلمتان تامتان، وإلى الثاني أشار بقوله:

وَإِنْ تَجَلَّى

مِـــنْ كِلْمَـــةٍ وجُزْئِهَـــا فَـــالْمَرْفُو

أي وإن تجلى أي ظهر أحد لفظي الجناس مركبا من كلمة وجزء كلمة فهو الجناس التام المركب المرفوُّ، لأنه رفَّى فيه المتكلم الكلمة ببعض كلمة أخرى لتجانس أختها كالثوب الْمَرْفُوِّ أي الْمَرْقُوعِ كقول الحريري:

والمكْـــــرُ مهْمـــــا اســـــتطَعْتَ لا تأتِـــــهِ ... لتَقْتَـــــني السّـــــؤدَدَ والمَكرُمَـــــهْ

وقوله:

ولا تلـــــهُ عـــــن تَـــذكارِ ذنبِـــكَ وابكِـــهِ ... بـــدمعٍ يُضـــاهي المُـــزْنَ حـــالَ مَصـــابِهِ

ومثّـــــلْ لعينَيْـــــكَ الحِمـــــامَ ووقْعَـــــهُ ... وروْعَـــــةَ مَلْقـــــاهُ ومطْعَـــــمَ صـــــابِهِ

فالأول مركب من المكر، والميم والهاء من مهما رفى بهما ليجانس، المكرمة مفعل من الكرم وهو مفرد، والثاني مركب من صابه، وميم مطعم رفّى بها ليجانس، مصابه مفعل من صاب المطر إذا نزل، والصاب عصارة شجر مر .

أَوْ رُكِّبَا مُلَفَّقٌ يعنى أن الجناس التام المركب إذا ركب لفظاه فهو ملفق، أي يسمى بالملفق لتلفيق كل من طرفيه من كلمتين أو أكثر، وهو قسمان موافق ومفارق، فالموافق ما توافق فيه اللفظان المركبان في الخط كقوله:

فلـــمْ تَضـــعِ الأَعـــادي قَـــدْرَ شـــاني ... ولا قـــالوا فـــلانٌ قَـــدْ رشَـــانِي

عضّـــــنا الــــــدهرُ بِنَابِـــــهِ ... لَيْـــتَ مَـــا حَـــلّ بنابـــه

وقوله:

عضّـــــنا الــــــدهرُ بِنَابِـــــهِ ... لَيْـــتَ مَـــا حَـــلّ بنابـــه

والمفارق ما اختلف فيه اللفظان المركبان في الخط كقوله:

وكـــــمْ بِجِبـــــاهِ الــــراغبين إليـــــهِ ... مِـــن مَجـــالِ سُـــجود في مجـــالس جُـــود

وقول البستي:

إلى حَتْفـــــي سَـــــعَى قَـــــدمي ... أرى قَـــــــدمي أراقَ دمـــــــي

قوله: فالمرفو خبر مبتدأ محذوف أي فهو المرفو، وكذا قوله ملفق أي هو ملفق .

ثم أشار إلى تقسيم الجناس باعتبار اللفظين في هيآت الحروف بعدما فرغ من تقسيمه باعتبار التركيب والإفراد فقال:

فَالْخُلْفُ

فِي الـــنَّقْطِ إِذْ يُوجَـــدُ فَالْمُصَـــحَّفُ ... أَوْ حَرَكَـــاتٍ فَهُـــوَ الْمُحَـــرَّفُ

يعنى أن الخلاف بين لفظي الجناس إذا كان في النقط فهو الجناس الْمصَحَّف، وبعضهم يسميه جناس الخَطِّ، ويكون في نوع واحد، وفى نوعين كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ [397] وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ 80﴾[1] وقوله ﷺ: ((**إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا والرِّبَا فِي قَرْيَةٍ أَذِنَ اللهُ فِي هَلَاكِهَا**)) رواه الطبري[2] .

(1) – سورة الشعراء، الآية: 80.79

(2) – أخرجه الطبري في تفسير قول الله تعالى " وإن من قرية إلا نحن مهلكوها.." عن طريق أبي الأحوص عن سماك بن حرب عن عبد الرحمن بن عبد الله الحديث، الجزء 14 ص 634 ت عبد الله بن عبد المحسن التركي ط دار هجر للطباعة والنشر.

وحديث الصحيحين: ((**يَسِّرُوا ولَا تُعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا ولَا تُنَفِّرُوا**)) [1]

وإذا كان الخلاف بينهما في الحركات فهو المحرف، أي المسمى بالجناس المحرف بصيغة اسم المفعول كالمصحف، وإنما سمي المحرف محرفا لتحريف هيئة أحد اللفظين عن هيئة الآخر، وهو أن يختلف اللفظان في هيئة الحروف فقط، أي دون النوع والعدد والترتيب، بأن تتخالف الحروف في الكلمات والحركات والتضعيف كقولهم: " جُبَّةُ البُرْدِ جُنَّةُ البَرْدِ " فبين البُرد بالضم والبَرد بالفتح جناس محرف، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدَ اَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَۖ 72 فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ اُ۬لْمُنذَرِينَ 73**﴾[2] فبين منذرين بكسر الذال ومنذرين بفتحها جناس مُحرَّف، ومنه قولهم: " الْبِدْعَةُ شَرَكُ الشِّرْكِ " فبين الشرك بالفتح للراء والشين ـ وهو حبالة الصائد ـ والشرك بالسكون للراء وكسر الشين المشددة ـ وهو الكفر أعاذنا الله منه ـ جناس محرف، ومنه مفرد كما مثلنا، ومنه مركب، وملفوف، ومرفو، وكلاهما مفروق أو متشابه .

وأشار إلى تقسيم الجناس باعتبار الاختلاف بين اللفظين في عدد الحروف بقوله:

أَوْ عَـــــدَدٍ فَنَـــــاقِصٌ بِحَـــــرْفِ   فِي أَوَّلٍ أَوْ وسَـــــطٍ أَوْ طَـــــرْف

أي وإذا كان اختلاف اللفظين المتجانسين في عدد الحروف بأن يكون في أحد المتجانسين حرف زائد أو أكثر إذا سقط حصل الجناس التام، فهو جناس ناقص، سمي بذلك لنقصان أحد اللفظين فيه عن الآخر، وهو على قسمين: منه ما كانت الزيادة فيه بحرف واحد، وما كانت فيه بأكثر .

فالأول يكون بزيادة حرف في أول الكلمة أو وسطها أو طرفها، فما كانت الزيادة فيه في الطرف **مُطْرَفٍ** أي يسمى جناسا مطرفا بتشديد الراء المفتوحة، سمي بذلك لوقوع الزيادة فيه في الطرف كقول أبي تمام:

يمـــــدُّون مِـــــنْ أيـــــدٍ عَـــــواصٍ عواصـــــمٍ   تَصُـــولُ بأســـيافٍ قـــواضٍ قواضـــبُ[3]

---

(1) - صحيح البخاري كتاب العلم بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ والعِلْمِ كَيْ لَا يَنْفِرُوا الحديث رقم 68 الجزء 1 ص 25

(2) - سورة الصافات، الآية: 73.72

(3) - ديوان أبي تمام ص 42

وما كانت الزيادة فيه بِحرف في الوسط **مُكْتَنِفٌ** أي يسمى جناسا مكتنفا بصيغة المفعول، سمي بذلك لكون الزيادة فيه في الوسط، كحديث أحمد: ((**إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الْإِنْسَانِ كَذِئْبِ الْغَنَمِ، يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ والنَّاحِيَةَ**)) [1] وحديثُ مُسْلمٍ: ((**مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً**)) [2]

وحديث الطبراني: ((**مَاذَا يَرْجُو الْجَارُ مِنْ جَارِهِ، إِذَا لَمْ يُرْفِقْهُ بِأَطْرَافِ خَشَبَةٍ فِي جِدَارِهِ**)) [3]

وما كانت الزيادة فيه بحرف في الأول **مَرْدُوفُ** أي يسمى جناسا مردوفا، سمي بذلك لكون حرف الزيادة فيه مردوفا بالحروف بعده، كقوله تعالى: ﴿**وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ 28 إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ 29**﴾[4] وحديث الشيخين: ((**الْإِيمَانُ يَمَانٍ والْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ**)) [5] وحديث الطبراني: ((**تَرْكُ الْوَصِيَّةِ عَارٌ فِي الدُّنْيَا، ونَارٌ وشَنَارٌ فِي الْآخِرَةِ**)) [6]

وحديث الديلمي: ((**الحدَّةُ لا تَكُونُ إِلَّا فِي صالِحِي أُمَّتِي وأبْرارِها ثُمَّ تَفِيءُ**)) [7] انتهى .

فالجناس الناقص المردوف هنا بين لا وإلا لزيادة الهمزة في أول إلا، فقوله مطرف إلخ راجع إلى قوله بحرف في أول أو وسط أو طرف على طريق اللف والنشر المعكس .

وأشار إلى القسم الثاني من قسمي الجناس الناقص وهو ما كان الاختلاف فيه بين لفظي[398] الجناس بأكثر من حرف، وهو على ثلاثة أقسام أيضا:

---

(1) – مسند أحمد، تتمة مسند الأنصار حديث معاذ بن جبل رقم الحديث 22029 الجزء 36 ص 358 ت شعيب الأرنؤوط ط الرسالة.

(2) – صحيح مسلم كتاب السلام باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، الحديث رقم 2204 وهو بلفظ «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ ﷻ» الجزء 4 ص 1729 ت محمد فؤاد عبد الباقي ط دار إحياء التراث العربي.

(3) – المعجم الكبير للطبراني، باب الهاء، أبو سعيد هو سعيد بن أبي سعيد المقبري، الحديث رقم 492 ج22 ص188 ط مكتبة ابن تيمية القاهرة المحقق حمدي بن عبد المجيد السلفي

(4) – سورة القيامة، الآية: 30.29

(5) – صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، الحديث رقم 4388، ج5 ص173، وصحيح مسلم كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه، الحديث رقم 52 ج1 ص73

(6) – المعجم الأوسط للطبراني باب الميم، من اسمه محمد الحديث رقم 5423 ج5 ص319 ط دار الحرمين القاهرة ت طارق بن عوض الله الحسيني.

(7) – ذكره السيوطي برواية الديلمي في مسند الفردوس، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة الحديث رقم 28 ج1 ص102 ط دار المعارف الرياض

منه ما كانت الزيادة فيه في آخر اللفظ، وإليه أشار بقوله:

مُــــــذَيَّلٌ إنْ زِيـــــدَتِ الحُـــــرُوفُ

يعنى أن الجناس الناقص يسمى مُذيَّلا بتشديد الياء المفتوحة إذا كانت الزيادة بأكثر من حرف في آخر أحد لفظي الجناس كقوله تعالى: ﴿**وَانظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ**﴾[1] وحديث الديلمي: ((**هَل لَكَ فَي الْغَدَا يا هِلالُ**)) [2] وقول الخنساء:

إنّ البكــــــاءَ هـــــــو الشّـــــــفاءُ　　　مـــــنَ الجْـــوَى بـــيْنَ الجْـــوانِح

ويسمى الثاني متوجا بتشديد الواو المفتوحة، إذا كانت الزيادة فيه بأكثر من حرف في أول أحد لفظي الجناس، وإنما سمي بذلك لكون الزيادة فيه في أوله كالتاج الذي في رأس الملك، وإنما سمي الأول مذيلا لكون الزيادة فيه في آخره كالذيل أي الطرف .

مثال المتوج قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ**﴾[3] وقوله: ﴿**وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ**﴾[4] وحديث الشيخين: ((**الْحَبَّةُ السَّوْدَاءُ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ**)) [5] وقول البستي:

أبا العبــــــــاسِ لا تَحْســــــــب بِأني　　　بشــيءٍ مـــن حلـــي الأشـــعار عـــاري

فلـــــي طبـــــعٌ كسلســـــالٍ معـــــينٌ　　　زُلالٌ مـــن ذري الأحجـــار جـــاري

والثالث من أقسامه: وهو ما كانت الزيادة فيه في وسط أحد لفظي الجناس، وينبغي أن يسمى بالزائد ولم أظفر له بمثال .

وأشار إلى تقسيم الجناس باعتبار اختلاف لفظيه في أنواع الحروف بقوله:

أَوْ نَــــوْعُ حَــــرْفٍ لَمْ يَكُـــنْ بِأَكْثَـــرَا　　　مِــــنْ واحِـــــدٍ فِي أَوَّلٍ أَوْ آخِـــــرَا

أوْ وسَطٍ . .

(1) – سورة طه، الآية: 97

(2) – لم أقف له على مصدر

(3) – سورة العاديات، الآية: 11

(4) – سورة يونس، الآية: 40

(5) – صحيح البخاري كتاب الطب باب الحبة السوداء الحديث رقم 5688 ج7 ص124، وصحيح مسلم كتاب السلام باب التداوي بالحبة السوداء الحديث رقم 2215 ج4 ص1735

يعنى أن الاختلاف بين لفظي الجناس يكون في نوع الحروف، مع الاتفاق في العدد والترتيب والهيئة، ولا يكون بأكثر من حرف واحد، ويكون في أول الكلمة، وفى آخرها وفى وسطها، وهو على قسمين مضارع ولاحق .

فالأول: ما تقارب فيه مخرجا الحرفين، وإليه أشار بقوله:

ثُمَّ إِذَا تَقَارَبَا .. مُضَارِعٌ يعنى أن الحرفين المختلفين في النوعية إذا تقاربا في المخرج فهو مضارع، سمي بذلك لمشابهة كل من الحرفين للآخر فيه في المخرج، ويكون في الأول والوسط والآخر .

مثاله في الأول نحو: " بَيْني وبينَ كِنِّي ليلٌ دامسٌ وطريقٌ طامسٌ " الكِنُّ بالكسر البيت، والدامس المظلم، والطامس الدارس الذي لا يتبين فيه أثرٌ يُهتدى به، فالدال والطاء متقاربان في المخرج، ودامس وطامس بينهما الجناس المضارع .

ومثاله في الوسط: قوله تعالى: **﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾**(1) فقوله: **﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾** بينهما الجناس المضارع، لمقاربته الهاء والهمزة في المخرج .

ومثاله في الآخر: قولُه ﷺ: **((الخيلُ مَعْقُودٌ في نَواصِيهَا الْخَيْرُ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ))** (2)

و" كتبَ وكتمَ " فالخيل والخير بينهما الجناس المضارع، لمشابهة اللام والراء في المخرج، وكذا كتب وكتم .

قوله: مضارع خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو مضارع، والثاني: وهو ما اختلف فيه لفظا الجناس بحرفين مختلفين في النوع ولا تقارب بين الحرفين المختلفين في المخرج، بل بينهما تباين أشار إليه بقوله: **ولاحِقٌ إِنْ جَانَبَا** أيْ ويسمى الجناس الذي اختلف اللفظان فيه بحرفين مختلفين في النوع متباينين في المخرج لاحقا، ويكون في الأول والوسط والآخر .

مثاله في الأول: قوله تعالى: **﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ١﴾**(3) فقوله [399]: **﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ١﴾** بينهما

---

(1) - سورة الأنعام، الآية: 26

(2) - صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الحديث رقم 2850 ج4 ص28، وصحيح مسلم كتاب الإمارة باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الحديث رقم 1873 ج3 ص1493

(3) - سورة الهُمَزة، الآية: 1

جناس لاحق، لتباين الهمزة فيه واللام في المخرج .

ومثاله في الوسط قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ 7 وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ 8﴾[1]فقوله: شهيد وشديد بينهما جناس لاحق، لتباين الهاء فيه والدال في المخرج .

ومثاله في الآخر نحو: عابد وعابث، فقوله عابد وعابث بينهما جناس لاحق، لتباين الدال والثاء في المخرج .

قُلْـــتُ فَـــإِنْ تَنَاسَـــبَا فِي اللَّفْـــظِ كَالضَّـــادِ والظَّـــاءِ فَـــذَاكَ اللَّفْظِـــي

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: فإن تناسب الحرفان المختلفان في النوعية في لفظي الجناس مناسبة لفظية، لا من جهة التقارب في المخرج، كالضاد والظاء، إذا كانا في لفظي الجناس، بأن كان كل واحد منهما في أحد لفظي الجناس، فذلك الجناس يسمى بالجناس اللفظي، كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ 21 إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ 22﴾[2] والنون والتنوين كقول الأرجانيِّ:

وبـــيضُ الهنـــدِ مـــن وجـــدي هـــوازٍ ... بإحـدى البـيض مـن عليـا هـوازن

والنون والألف كقول ابن العفيف التلمساني:

أحســـنُ خلـــقِ اللهِ وجْهـــاً وفمـــا ... إن لمْ يَكُـــن أحـــقَّ بالحُسْـــنِ فَمَـــنِ

وَإِنْ يُخَـــالَفْ فِي تَرَتُّـــبٍ دُعِـــي ... بِالْقَلْـبِ فِي الكُـلِّ وفِي الْـبَعْضِ رُعِـي

أي وإن يخالف لفظ الجناس مجانسه في ترتب الحروف، مع الاتفاق في النوع والعدد والهيئة، لكن قدم في أحد اللفظين ما أخر في الآخر، دعي هذا الجناس بجناس القلب .

قوله: في الكل إلخ يعنى أن القلب وعي أي حفظ وسمع في الكل أي كل الحروف، وذلك بأن يقع الحرف الآخر من الكلمة الأولى أولا من الثانية والذي قبله ثانيا وهكذا على الترتيب وفى البعض أي بعض الحروف، فالأول قلب كل، والثاني قلب بعض .

فالأول: نحو " حُسامُه فَتْحٌ لأوليائه حَتْفٌ لأعدائه "

(1) – سورة العاديات، الآية: 8.7

(2) – سورة القيامة، الآية: 23.22

والثاني: كقوله تعالى: ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ﴾[1]وحديث الشيخين: ((**اللهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وآمِنْ رَوْعَاتِنَا**)) [2] وحديثهما: ((**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا المَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**)) [3]

قوله: وإن يخالف الضمير فيه عائد إلى الجناس أو إلى لفظ الجناس .

فَـــإِنْ يَقَـــعْ فِي أَوَّلِ البَيْـــتِ وفِي   آخِـــرِهِ فَهْـــوَ مُجَـــنَّحٌ قُفِـــي

أي فإن يقع الجناس المقلوب أي أحد لفظيه، في أول البيت والثاني في آخره، فهو مجنح أي يسمى مجنحا، لوقوع اللفظين كالجناحين للبيت، كقوله:

لاحَ أنـــــــــوارُ الهُـــــــــدَى   مـــن كَفِّـــه في كـــلِّ حَـــال[4]

قوله: قفي بالبناء للمفعول أي اتبع تتميم للبيت .

وَفَـــوْقَ حَـــرْفٍ أَوَّلاً مُتَـــوَّجُ

يعنى أن الجناس الناقص، إذا كانت الزيادة فيه في أحد اللفظين فوق حرف أي أكثر من حرف أولا، أي في أول الكلمة، فهو متوج، أي يسمى بالمتوج، وقد تقدم تمثيله وتفسيره عند قوله مذيل إن زيدت الحروف .

قوله: فوق حرف مفعول فيه لمقدر، وكذا قوله أولا أي وإن وقعت الزيادة فوق حرف في أول الكلمة، وقوله متوج خبر مبتدأ محذوف أي فهو متوج .

وإِنْ تَوَالَيَـــا فَـــذَا مُـــزْدَوَجُ

أي وإن توالى اللفظان المتجانسان ـ أيَّ جناس كان ـ وتلاصقا بلا فاصل بينهما، فذا الجناسُ مزدوج أي يسمى المزدوِج بصيغة اسم الفاعل والمكرر والمردَّدُ بصيغة اسم المفعول كقوله تعالى:

---

(1) – سورة طه، الآية: 94

(2) – لم أقف عليه عند الشيخين، ولكنه يوجد في مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري، الحديث رقم 10996 ج17 ص27.

(3) – صحيح البخاري كتاب النكاح باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها، الحديث رقم 5193 ج7 ص30، وصحيح مسلم كتاب النكاح باب تحريم امتناعها من فراش زوجها الحديث رقم 1436 ج2 ص1060

(4) – البيت من مجزوء الرّجز. ولم أعثر على قائله.

﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ 22﴾[1] وحديث: ((مَنْ حَسَّنَ اللهُ[400] خَلْقَهُ وحَسَّنَ خُلُقَهُ ورَزَقَهُ الإِسْلامَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ)) رواه ابن حبان[2] .

وحديث: ((الْمُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ)) [3]

وقول البحتري:

مـن كـل سـاجي الطَّـرف أغْيَـد أجيـدٍ ومهفهــفِ الْكَشْـحَيْنِ أحــوى أحــورِ

وَإِنْ يَكُـــنْ تَجَـــاذَبَ الطَّرْفَـــانِ مُشَـــوَّشٌ قَـــدْ زَادَ فِي الْبَيَـــان

أي وإن يكن الجناس تجاذبه طرفان من الصنعة أي نوعان من الجناس، فهو جناس مشوش بصيغة المفعول قد زاده الطيبي في التبيان كقولهم: " مليحُ البلاغة أنيقُ البراعة " لو اتحدت اللامان كان مضارعا، أو العينان كان مصحفا، ومنه حديث أبي داود: ((**سوءُ الْخُلُقِ شُومٌ**)) [4] لو اتحد أول الكلمة كان مطرفا، أو حذفت الميم كان مصحفا، وحديث الترمذي: ((**مِنًى مُنَاخُ مَنْ سَبَقَ**)) [5] لو اتحدت حركة الميمات كان في الكلمات الثلاث جناس مطرفا، أو حذفت الخاء كان محرفا .

وَبِالجِنَـــاسِ أَلحَقُـــوا شَـــيْئَيْنِ إِحْـــدَاهُمَا تَشَـــابُهُ اللَّفْظَـــيْنْ

يعنى أن البديعيين ألحقوا بالجناس شيئين، إحداهما أي إحدى الشيئين الملحقين، تشابه اللفظين في اللفظ دون المعنى، بأن يوجد في كل منهما جميع ما يوجد في الآخر من الحروف أو أكثر، لكن لا يرجعان إلى أصل واحد في الاشتقاق، وإلى تسميته أشار الناظم بقوله:

---

(1) – سورة النمل، الآية: 22

(2) – ذكره السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، كتاب المبتدأ ج1 ص110 ت أبي عبد الرحمن صلاح بن عويضه، ط دار الكتب العلمية.

(3) – شعب الإيمان للبيهقي، كتاب حسن الخلق، فصل في لين الجانب وسلامة الصدر، الحديث رقم 7777 ج10 ص447 ت الدكتور عبد العلي ع الحميد حامد ط مكتبة الرشد بالرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي الهند.

(4) – شعب الإيمان للبيهقي كتاب حسن الخلق الحديث رقم 7655 ج10 ص377 والحديث بتمامه: " سُوءُ الْخُلُقِ شُؤْمٌ، وحُسْنُ الْمَلَكَةِ نَمَاءٌ، والصَّدَقَةُ تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ " وقد ضعفه الألباني في السلسلة. ح792 ج2 ص207

(5) – سنن الترمذي أبواب الحج، باب ما جاء أن منى مناخ من سبق، الحديث رقم 881 ج2 ص220 ت بشار عواد معروف، ط دار الغرب الإسلامي.

قُلْـــتُ وذَا تَجَـــانُسُ الإِطْـــلاقِ

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: وذا الجناس يسمى تجانس الإطلاق، ويسمى أيضا المشابه والمقارب وإيهام الاشتقاق كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ١٦٨﴾[1] فالأول من القول، والثاني من القلي، وقوله: ﴿وَجَنَا ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ٥٣﴾[2]

والآخَــرُ الجَمْـــعُ فِي الاِشْـــتِقَاق

والشيءُ الآخَرُ من الشيئين الملحقين بالجناس، هو اجتماع اللفظين في الاشتقاق، وهو توافق الكلمتين في الحروفِ الأصولِ، مرتبةً مع الاتفاق في أصل المعنى كقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾[3] فإن أقم والقيم متوافقان في الحروف الأصول وأصل المعنى، لأنهما من قام يقوم إذا اعتدل، وقوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ٥٦﴾[4] وقوله: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾[5]

وقوله ﷺ: ((أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ، وغِفَارٌ غَفَرَ اللهُ لَهَا، وعُصَيَّةُ عَصَتِ اللهَ ورَسُولَهُ)) [6] وقوله: ((الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) [7]

قُلْـتُ الجِنَـاسُ المَعْنَـوِي أَنْ تُضْـمِرَا ... رُكْنَيْـــهِ والمُـــرَادِفَيْنِ تَـــذْكُرَا

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: ومن أنواع الجناس الجناس المعنوي، وهو أن تضمر أيها المتكلم ركنيه، أي الجناس أي لفظاه وتذكر المرادفين لهما، كقول ابن عبدوس وقد اصطبح بخمر وترك بعضها إلى الليل، فلما كان الليل صارت خلا:

أَلَا فِي سَـــبِيلِ اللَّهْـــوِ كَـــأْسُ مُدَامَـــةٍ ... أَتَتْنَـــا بِطَعْـــمٍ عَهْـــدُهُ غَـــيْرُ ثَابِـــتِ
حَكَـتْ بِنْـتَ بِسْـطَامِ بْـنِ قَـيْسٍ صَـبِيحَةً ... وأَمْسَـتْ كَلَحْـمِ الشَّـنْفَرَى بَعْـدَ ثَابِـتِ

(1) – سورة الشعراء، الآية: 168
(2) – سورة الرحمن، الآية: 54
(3) – سورة الروم، الآية: 43
(4) – سورة النجم، الآية: 57
(5) – سورة الواقعة، الآية: 89
(6) – مسند الإمام أحمد م س، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر، الحديث رقم 4702 ج8 ص326.
(7) – صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، الحديث 2447 ج3 ص129

فبنتُ بسطام اسمها الصهباء، والصهباء من أسماء الخمر، وجسم الشنفري بعد ثابت خاله خل إشارة لقوله:

فاسْـــقِنيها يا ســــوادُ بــــنَ عَمْـــــرو إنَّ جِســــمي بعــــد خلــــي لخَــلّ

أي ضعيف مهزول، والخمر أمست خلا، ففي البيت جناسان مضمران في قوله حكت بنت بسطام، وقوله وأمست كجسم الشنفري، أي حكت الصهباء صبيحة، وأمست خلا [401] كالخل، أي المهزول .

قوله: إن تضمرا بتركيب المضارع خبر قوله الجناس المعنوي، والألف للإطلاق، ونائبه عائد إلى المتكلم المفهوم من المقام، وركنيه مفعوله، والضمير فيه عائد إلى الجناس، وقوله المرادفين مفعول به لقوله تذكر بالنصب بالعطف على قوله أن تضمرا، والألف فيه للإطلاق .

وَذِكْـــــرُهُ لِوَاحِـــــدٍ ومَــــــا رَدِفْ أَوْ مَـــــا يَـــــدُلُّ بِإِشَـــــارَةٍ عُـــــرِفْ

يعنى أن ذكر المتكلم لواحد من ركني الجناس تصريحا، مع ما يرادف الركن الآخر كناية عنه، أو ما يدل عليه من غير مرادفة، بل بطريق الكناية، عُرف عند البديعيين بإشارة أي بجناس الإشارة كقوله:

حُلِقَــــــتْ لِحَيَــــــةُ موســــــى بِاسْمِــــــهِ وبِهَــــــارونَ نَــــــوْرَةٌ إذا مــــــا قُلِبــــــا

فقوله باسمه يشير به إلى حديدة الحلق، وقلب هارون أي مقلوبه، نورة بالضم نظرا إلى رسم هارون، فإنه يرسم بغير ألف، فبين موسى والموسى جناس تام، وبين هارون ونورة جناس قلب الكل، ومنه قوله:

إنّ هــــــــارون إذا مــــــــا قلبــــــــا يَجْعَــــلُ اللِّحيــــةَ شــــيئا عجبــــا

وقوله:

وتحـــــتَ البَراقِــــــع مقلوبُهــــــا تَــــدِبُّ علــــى وِرْدِ خَــــدٍّ نَــــدِي

ومقلوب البراقع عقارب، فبينهما جناس قلب الكل، ومن جناس الإشارة الذي دل عليه المرادف قول عقيلية أراد قومها الرحيل، وتوجه منهم جماعة يحصلون الإبل:

فمــــا مكثنــــا دامَ الجَمــــالُ عليكُمــــا بــــثهلانَ إلا أن تشــــدَّ الأباعِــــرُ

أرادت أن تجانس بين الجمال والجَمال فلم يساعدها الوزن ولا القافية، فعدلت إلى مرادفها وهو الأباعر .

ثُمَّ تَوَسُّـــــطُ الجِنَـــــاسِ قُـــرِّرَا وشَـرْطُ حُسْـنٍ فِيـهِ أَنْ لا يَكْثُـرَا

يعنى أنه قد قرر أي استقر وثبت عند البديعيين، أن الجناس ولو تاما، نوع متوسط في البديع، ليس من أعلاه كالتورية والاستخدام، ولا من أدناه، وشرطُ حُسنه عندهم أي شرط عدِّه محسِّنا للكلام أن لا يَكثرَ فيه، فإن كثر سمج وخرج إلى حد النزول، والألف للإطلاق في أن لا يكثرا .

فَـــإِنْ يَصِـــرْ تَوْرِيَـــةً وانْحَصَـــرَا فِي واحِـدٍ فَقَـــدْ عَـــلا وافْتَخَـــرَا

يعنى أن الجناس إذا صار تورية أي إذا تضمن التورية، وانحصرا أي المعنيان في واحد من ركنيه فقد علا وافتخرا أي علت رتبته وافتخرت وارتفعت وصار يسمى بالتورية التامة .

مثاله قول بعضهم:

أعــنِ العَقيــقِ ســألتَ برقــاً أومَضــا أأقــامَ حــادٍ بالرَّكائــبِ أو مَضَــى

فأومض الأول له معنيان: القريب أومض البرق أي لمع، والبعيد أومضت المرأة سارقت النظر إلى محبوبها، وأومض فلانٌ أشارَ إشارةً خفية، والله أعلم انتهى .

الألف للتثنية في قوله انحصرا، وللإطلاق في قوله افتخرا .

وَمِنْـــهُ رَدُّ عَجُـــزٍ لِصَـــدْرِ إِنْ تَقَـعِ اللَّفْظَـةُ صَـدْرَ النَّثْـرِ
وَشِـــــبْهُهَا فِي خَتْمِـــــهِ . .

أي ومن أنواع البديع اللفظي، نوع يسمى رد العجز على الصدر، فاللام في قوله لصدر بمعنى علا، ويسمى التصدير، وهو في الاصطلاح: أن تقع اللفظة المكررة أو المجانسة أو الملحقة بالمجانسة، والمراد بالملحقة التي يجمعها مع مصاحبتها الاشتقاق أو شبهه في صدر الفقرة في النثر، وشبهها أي اللفظة الآخرة في ختمه أي النثر أي ختم الفقرة في النثر .

فالأقسام أربعة:

أحدها: أن يكون[402] اللفظان مكرران كقوله تعالى: ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ

﴾[1]

الثاني: أن يكونا متجانسين نحو: " سَائِلُ اللَّئِيْمِ يَرْجِعُ ودَمْعُهُ سَائِلُ " إذ الأول من السؤال والثاني من السَّيَلان .

الثالث: أن يجمع اللفظين الاشتقاقُ كقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّاراً 10﴾[2]

الرابع: أن يجمعهما شبه الاشتقاق كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ 168﴾ لأن الأول من القول، والثاني من القلي، فليسا مشتقين من أصل واحد، لكنهما يشبهان المشتقين لتوافقهما في الحروف الأصول، بخلاف قوله: استغفروا، وقوله: غفارا، فإنهما مشتقان من أصل واحد هو الغفران .

قوله: أن تقع خبر مبتدأ محذوف تقديره هو أن تقع إلخ، وقوله صدر بالنصب مفعول فيه لقوله تقع .

. والشِّـــعْرِ فِي آخِـرٍ وشِـبْهُهَا فِي الصَّـدْر
لِـذَلِكَ الْمِصْـرَاعِ أَوْ صَـدْرِ اللَّـذَا قَبْـلُ كَـذَا فِي حَشْـوِهِ أَوْ خَـتْمِ ذَا

أي وتفسير رد العجز على الصدر، إذا كان في الشعر، هو أن يكون أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في آخر البيت، وشبهها أي شبه اللفظة التي في آخر البيت أي اللفظ الآخر من اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في الصدر لذلك المصراع، أي صدر الشطر الأخير الذي في ختمه اللفظ الآخر، أو في صدر الشطر اللذا أي الذي قبل أي قبل الشطر الأخير، وهو الشطر الأول، أو في حشوه أو ختمه أي آخره، وهو المشار إليه بقوله ذا .

فالأول كقوله:

وَإِنْ لَمْ يَكُـنْ إِلَّا مُعَـرَّجَ سَـاعَةٍ قَلِـيْلاً، فَـإِنِّي نَافِـعٌ لِي قَلِيلُهَـا[3]

والثاني كقوله:

---

(1) – سورة الأحزاب، الآية: 37

(2) – سورة نوح، الآية: 10

(3) – البيت لذي الرمة وهو في ديوانه ج2 ص913

سَــريعٌ إلى ابْـــنِ العَـــمِّ يلْطِـــمُ وجهَـــهُ، ولـيسَ إلى داعـي النَّـدى بِسَـريعِ[1]

والثالث كقوله:

إذا المَـــرْءُ لم يَخـــزُنْ عَلَيـــهِ لِسَـــانَهُ فَلَـيْسَ علـى شَـيْءٍ سِـوَاهُ بخَـزّانِ [2]

والرابع كقوله:

فمَشـــــغوفٌ بآياتِ المثـــــاني ومفْتـــونٌ بـــرَنّاتِ المثـــاني[3]

قوله: والشعر بالجر معطوف على محذوف من البيت الأول تقديره وهو في النثر أن تقع اللفظة إلخ وفى الشعر، وقوله في الصدر لذلك المصراع المراد به المصراع الأخير من البيت، وقوله أو صدر اللذا بالجر عطف على قوله في الصدر، واللذا لغة في الذي، وقبل بالبناء على الضم لقطعه عن الإضافة لفظا، وقوله أو ختم بالجر عطف على قوله في حشوه وذا إشارة إلى الشطر الأول من البيت .

قُلْــتُ فَــإِنْ قَافِيَــةٌ تُعَــادُ فِي أَوَّلِ تَالٍ فَهْـــوَ تَسْـــبِيغٌ وِفِي

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: فإن تعاد أي تكرر القافية، أي لفظ القافية وهو الكلمة الأخيرة من البيت، في أول تال، أي في أول البيت التالي، أي التابع للبيت الذي هي فيه، فهو تسبيغ وفي أي تام، والتسبيغ بسين مهملة وغين معجمة، أي فذلك التكرير أو الصنيع يسمى تسبيغا، وسماه قوم تشابه الأطراف كقول أبي نواس:

خزيمـــةُ خـــيرُ بـــني حـــازمٍ وحـــازمٌ خـــيرُ بـــني دارمِ

ودارمٌ خـــيرُ تمـــيمٍ ومـــا كمـــثلهم في بـــني آدمِ

فقد أعاد لفظ القافية الذي هو دارم في أول البيت الثاني .

قوله: قافية بالرفع نائب لفعل مقدر بعد أن مفسر بتعاد المذكور أي فإن تعاد قافية تعاد، وقوله فهو عائد إلى العود المفهوم من تعاد أو الصنيع المفهوم من السياق، وقوله وفي بتسكين الياء للوزن نعت

(1) – البيت للأقيشر قاله في ابن عم له موسر، وبعد البيت قوله:

حَـريصٌ علـى الـدُّنيا، مُضِـيعٌ لدِينِـهِ، ولَـيْسَ لِمَـا في بَيْتِـهِ بمُضِـيعِ

انظر دلائل الإعجاز للجرجاني م س ج1 ص150

(2) – ديوان امرئ القيس م س ص160، وهو من قصيدته التي مطلعها:

قِفَـا نَبْـكِ مـن ذكـرَى حَبيـبٍ وعِرْفَـانِ ورَسْـمٍ عَفَـتْ آياتُـه مُنـذُ أزْمَـانِ

(3) – مقامات الحريري لأبي محمد القاسم بن محمد الحيري، ص525، ، مطبعة المعارف بيروت.

لقوله تسبيغ تتميما للبيت . [403]

وَمِنْـــــهُ تَطْرِيـــــزٌ وذَا أَنْ تَـــــذْكُرَا عِـــدَّةَ أَسْمَـــــاءٍ وبَعْـــــدُ تُخْـــبِرَا
بِصِـــــــــفَةٍ كَرَّرْتَهَـــــــــا .

أي ومن البديع اللفظي نوع يسمى التطريز، وذا أي التطريز أي تفسيره أن تذكر أيها المتكلم عدة أسماء ذوات مجملة غير مفصلة، وبعد ذكرك إياها تخبر عنها بصفة واحدة مكررة بحسب عدد الأسماء التي أتي بها كقول ابن الرومي:

قــــــرونٌ في رؤوسٍ في وجـــــــوهٍ صـــلابٌ في صـــلابٍ في صـــلابِ

وقوله:

كـــأنَّ الكـــأس في يـــدها وفيهـــا عقيـــقٌ في عقيـــقٍ في عقيـــقِ

وقول ابن المعتز:

فَثَـــوْبِي والْمُـــدامُ ولَـــوْنُ خَـــدِّي شَـــقيقٌ فِي شـــقيقٍ في شـــقيقشِ

الألف في قوله تذكرا للإطلاق، وكذا في تخبر وهو بالنصب عطف على تذكر، وبعد مبني على الضم للقطع عن الإضافة لفظا انتهى .

. ومِنْـــــــــــــــهُ تَعْدِيـــدُكَ الأَوْصَـــافَ فَـــرْدًا عَنْـــهُ

أيْ ومن البديع اللفظي نوع يسمى تعديد الأوصاف، ذكره الفخر الرازي، وهو تعديدك أيها المتكلم الأوصاف فردا فردا على سياق واحد، فإن روعي فيه طباق أو جناس أو ازدواج أو مقابلة، فهو الغاية في الحسن كقوله تعالى: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ والْجُوعِ ونَقْصٍ مِّنَ ٱلأَمْوَالِ والأَنفُسِ والثَّمَرَاتِ﴾**[1]

وقوله ﷺ: ((**كفى بِالْمَرْءِ نقْصًا فِي دِينه أَن يَكثرَ خَطؤُهُ وينْقص حِلمهُ وتقلَّ حَقِيقَتُه جيفةٌ بِاللَّيْلِ بَطَّالٌ بِالنَّهَارِ كَسولٌ جزوعٌ هلوعٌ منوعٌ رَتوعٌ**)) رواه في الحلية . [2]

وكقول المتنبي:

فَالخَيْـــلُ واللَّيْـــلُ والبَيْـــدَاءُ تَعْـــرِفُنِي والحَـــرْبُ والضَّـــرْبُ والقِرْطَـــاسُ والقَلَـــمُ

(1) – سورة البقرة، الآية: 155

(2) – الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي، م س ج3 ص288

قوله: الأوصاف بالنصب مفعول به لتعديدك المضاف لفاعله، وفردا حال من الأوصاف، وقوله عنه تتميم للبيت .

تَنْسِـيقُهُمْ ثُلْـثُ صِـفَاتِ الْعَظَمَـهْ   تَلاحَمَـتْ مُسْتَحْسَـنًا مُلْتَئِمَـهْ

يعنى أن التنسيق عند البديعيين، هو ذكر الشيء بصفاته الدالة على عظمته حال كونها متوالية ومتلاحمة تلاحما مستحسنا لا معيبا مستهجنا، وحال كونها أيضا ملتئمة أي متناسبة في المعنى، وإذا أفرد منها البيت قام بنفسه واستقل معناه بلفظه كقوله:

بـيضُ الوُجـوهِ كريمـةٌ أحسـابُهُمْ   شُـمُّ الأنـوفِ مِـنَ الطّـرازِ الأوّلِ

قوله: مستحسنا نائب عن مصدر من قوله تلاحمت، وقوله ملتئمة حال من قوله صفات العظمة .

وَإِنْ يَجِـئْ لَفْـظٌ فَصِـيحٌ وارِدُ   مَـا غَـيْرُهُ يَسُـدُّ فَالْفَرَائِـدُ

أي وإن يجيء في الكلام لفظ فصيح فائق لما قبله وما بعده من الكلام في الفصاحة، متنزلا من الكلام منزلة الخرزة الفريدة من العقد، أو ألفاظ كذلك، وذلك اللفظ الفصيح أو الألفاظ لا يسد غيره مسده، أي لا يقوم مقامه، إذا سقط من الكلام الذي هو فيه، فهو النوع المسمى عند البديعيين بالفرائد جمع فريدة، سمي بذلك لكون ذلك اللفظ الفصيح أو الألفاظ بالنسبة لما هي فيه من الكلام كالخرزة الفريدة في العقد بالنسبة لسائره، كقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾[1] فالرفث فريدة يعز على الفصحاء الإتيان بمثلها، ولو سقطت من هذا الكلام لم يقم غيرها مقامها .

قوله: ما غيره يسد جملة اسمية منفية بما .

وَإِنْ يَجِـئْ وغَـيْرُهُ سَـدَّ ولَـهْ   تَخَصُّـصٌ تَنْكِيـتُهُمْ فَاسْـتَعْمِلَهْ

أي وإن يجيء في الكلام لفظ فصيح، وغيره يسد مسده، أي يقوم مقامه، لكن له تخصص بالذكر لنكتة [404] فيه ترجحه على غيره، مما يسد مسده من الألفاظ، فهو تنكيتهم أي هو المسمى عند البديعيين بالتنكيت، فاستعمله أيها المتكلم في كلامك فإنه حسن جدا كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ 48﴾[2] خص الشعري بالذكر دون سائر النجوم، وهي نجم مضيء، فنص على أنه ربها، وأنها

(1) - سورة البقرة، الآية: 187

(2) - سورة النجم، الآية: 49

مملوكة له من جملة عباده، مع أنه ﷻ رب كل شيء، لأجل أن بعض العرب كان يعبدها، فأنزل الله الآية في تخصيصها بالعبودية ردا على من ادعى إلهيتها

ومنه قول الخنساء:

يُــــذَكِّرُنِي طُلُـــوعُ الشَّـــمسِ صَـــخْرًا   وأَذْكُـــرُهُ بِكُـــلِّ مَغِيـــبِ شَمْـــسِ

خصت هذين الوقتين بالذكر دون غيرهما من الأوقات، وإن كانت تذكره كلَّ وقت، لما فيهما من النكتة المتضمنة للمبالغة في وصفه بالشجاعة والكرم ؛ لأن طلوع الشمس وقت الغارات وغروبها وقت وقود النيران للقِرى .

وهو لغة الأثر في الشيء يقال: نكت فلان في الأرض تنكيتا أي أثر فيها .

الضمير في قوله يجي عائد إلى قوله في البيت قبله لفظ فصيح، والضمير في قوله له عائد إليه أيضا، وقوله تنكيتهم خبر مبتدأ محذوف أي هو تنكيتهم، وقوله فاستعمله أمر للمتكلم باستعمال التنكيت وتتميم للبيت .

السَّـــجْعُ أَنْ تَوَاطَـــأَ الفَوَاصِـــلُ   فِي خَتْمِهَـــــا بِوَاحِـــــدٍ . .

أي من البديع اللفظي السجع، وهو لغة مأخوذ من سَجعَ الحمام، واصطلاحا أن تُواطِأ أيها المتكلم، أي توافق الفواصل أي الألفاظ المتواطأ عليها في أواخر الفقر، في ختمها بواحد أي على حرف واحد، فالسجع هنا المراد به المعنى المصدري الذي هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد في الآخر، وهو في النثر كالقافية في الشعر، وقد يطلق على نفس الكلمة الأخيرة من الفقرة باعتبار كونها موافقة للكلمة الأخيرة من الفقرة الأخرى .

قوله: الفواصل بالوقف على السكون على لغة ربيعة، والباء في قوله بواحد بمعنى على أي على حرف واحد .

وَالْفاضِلُ مَا اسْتَوَتِ الْقَرِينَتَانِ يعنى أن الفاضل من السجع، أي الأفضل منه هو ما استوت فيه القرائن كقوله تعالى: ﴿**سِدْرٍ مَّخْضُودٍ** 30 **وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ** 31 **وظِلٍّ مَّمْدُودٍ** 32﴾[1]

(1) – سورة الواقعة، الآية: 30.29.28

ثُمَّ أَنْ .. يَطُولَ ثَانٍ أيْ ثم يلي متساوي القرائن في الحسن ما طالت قرينته الثانية كقوله ﷺ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ 1 مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ 2﴾(1)

ثُمَّ ثَالِثٌ أيْ ثم يلي ما طالت فيه القرينة الثانية، ما طالت فيه القرينة الثالثة كقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ 30 ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ 31 ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ 32﴾[2]

قوله: ثم أن يطول ثان بنصب يطول بأن المصدرية، وثان فاعل يطول، والجملة تسبك بمصدر معطوف على ما من قوله ما استوت .

وَمَنْ، قَصَّرَ

الاوْلَى زَائِدًا لَمْ يُحْسِنِ يعنى أن من قصر الفقرة أي القرينة الأولى عن الثانية تقصيرا زائدا على المعتاد، أي كثيرا لم يحسن سجعه، وكذا من قصر القرينة الثانية عن الأولى تقصيرا كثيرا لم يحسن سجعه، بل تقصير [405] الثانية عن الأولى أقبح من تقصير الأولى عن الثانية ؛ لأن السمع قد استوفى أمده في الأولى بطولها، فإذا جاءت الثانية أقصر منها بكثير، يبقى الإنسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها، وإنما قيدنا تقصير الثانية بالكثرة، للاحتراز عن التقصير اليسير كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ 1 أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ 2﴾[3] انتهى .

قال ابن الأثير: الأحسن في الثانية المساواةُ وإلا فالطول قليلا، وفى الثانية أن تكون أطول .

وقال غيره: الأحسن في الفقر المختلفة أن تكون الثانية أزيد من الأولى بقدر يسير، ليلا يبعد عن السامع وجوه القافية وتذهب اللذة .

قوله: زائد مفعول مطلق نائب عن مصدر من قصر، والأولى مفعوله .

وكُـــلَّ الاعْجَـــازِ ابْنِهَـــا وسَـــكِّنِ

أي ابن أيها المتكلم بالسجع الإعجاز، أي أواخر فواصل القرائن وسكنها، إذ لا يتم ذلك في كل صورة إلا بالوقف والبناء على السكون، كقولهم: " ما أبعدَ ما فاتْ وما أقربَ ما هُوَ آتْ " إذ لو لم

---

(1) – سورة النجم، الآية: 2.1

(2) – سورة الحاقة، الآية: 32.30

(3) – سورة الفيل، الآية: 2.1

يعتبر البناء على السكون لفات السجع ؛ لأن التاء من فات مفتوح ومن آت مكسورٌ مُنَوَّنٌ .

قوله: كل بالنصب على الاشتغال بفعل مضمر قبلها مفسر بقوله ابنها وهو فعل أمر من البناء مبني على الحذف أي حذف الياء مشتغل بضمير الأعجاز .

وَفِي القُــــرَانِ قُــــلْ فَوَاصِــــلُ ولا يُقَــالُ أَسْــجَاعٌ فَعَنْهَــا قَــدْ عَــلا

يعنى أن الْفِقَرَ والقرائنَ المتواطئةَ في القرآن إنما يقال فيها فواصل، ولا يجوز أن يقال فيها أسجاع ؛ لأن القرآن قد علا عنها أي الأسجاع، أي أعلى رتبة من أن يقال في فواصله أسجاع ؛ لأن السجع في الأصل هدير الحمام، ولعدم الإذن الشرعي في ذلك، والإذن في تسميتها فواصل في قوله تعالى: ﴿**كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ**﴾[1] فسماها فواصل، فليس لنا أن نتجاوزه، ولأنه يشرف عن أن يشارك الحادث في اسم السجع، لا سيما الحادث الخسيس الذي هو الطائر الذي يُسمى هديرُه[2] سَجْعـًا .

قوله: عنا متعلق بقوله علا، والضمير عائد إلى الأسجاع .

قُلْــتُ وخَــيْرُ السَّــجْعِ مَــا قَــلَّ إِلَى عَشَــــرَةٍ وضِــــعْفُهَا مَــــا طُــــوِّلا

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: وخير السجع ما قل، أي أحسنه وأبلغه ما قل منه والقليل من اثنتين إلى عشرة، وضعفها أي ضعف العشرة وهو العشرون هو ما طول منه أي هو أطوله، وأحسنه ما قصرت فقره فقال أهل الفن: " قِصَرُ الْفَقْراتِ يَدلُّ على قُوَّة الْمُنشِئ " وأقل ما يكون كلمتان نحو ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ 1 قُمۡ فَأَنذِرۡ 2 وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ 3 وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ 4 وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ 5 وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ 6 وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ 7**﴾[3] والأكثر ما زاد على ذلك .

وقال ابن الأثير: السجع قصير وهو أحسن، وكلما قل كان أحسن نحو قوله ﷻ: ﴿**فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ 9 وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ 10 وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ 11**﴾[4] وطويل وهو ما زاد على عشر كلمات إلى عشرين كلمة، وما زاد على ذلك فغير حسن .

---

(1) – سورة فصلت، الآية: 2

(2) – ويقال أيضا الهديل باللام فهما بمعنى واحد.

(3) – سورة المدثر، الآية: 7.1

(4) – سورة الضحى، الآية: 11.9

الألف في قوله طولا للإطلاق .

ثُمَّ اللَّتَـــانِ وزْنُهُـــا ذُو خُلْـــفِ

يعنى أن القرينتين اللتين وزنهما ذو خُلفٍ أي الْمُختلفتين في الوزن يسمى سجعهما مطرفا نحو قوله تعالى[406]: ﴿مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلهِ وقَاراً 13 وقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً 14﴾[1]

ثُمَّ اللَّتَـــانِ وزْنُهُـــا ذُو خُلْـــفِ . . وإِنْ وفَاقًـــا تُلْفِـــــي

وَلَـــيْسَ مَـــا فِي أَوَّلٍ مُقَـــابِلا وزْنًا ولا تَقْفِيَـــةً لِمَـــا تَـــلا

فَالْمُتَوَازِي . .

أي فإن تلف فاصلتي القرينتين متفقتين في الوزن، والحال ليس ما في أول القرينتين، أي ليس ما في الأولى منهما من الحروف والكلمات مقابلا في الوزن والتقفية لما تلا، أي ليس موافقا لمقابله من القرينة الثانية التي تتلوها في الوزن والتقفية، فهو السجع المسمى عند البديعيين بالمتوازي، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ 13 وأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ 14﴾[2] لاختلاف سرر وأكواب في الوزن والتقفية جميعا، وقد يختلف في الوزن فقط كقوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَٰتِ عُرْفاً 1 فَالْعَٰصِفَٰتِ عَصْفاً 2﴾[3] وقد تختلف التقفية فقط دون الوزن كقوله ﷺ: ((اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وأَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا)) [4] وكقولنا: " حصل الناطق والصامت وهلك الحاسد والشامت "

قوله: وفاقا بالنصب مفعول به مقدم لقوله تلف وفاعله ضمير عائد إلى المتكلم المفهوم من المقام أي فإن تلفأيها المتكلم وفاقا بين فاصلتي القرينة، وقوله وزنا تمييز مبين لنسبة الموافقة إلى ما لما تلا، وقوله فالمتوازي خبر مبتدأ محذوف أي فهو المتوازي .

ضِدُّهُ مُرَصَّعُ يعنى أن المرصّع بتشديد الصاد المفتوحة ضد الْمُتوازي، أي هو أن يكون ما في

(1) – سورة نوح، الآية: 14.13

(2) – سورة الغاشية، الآية: 14.13

(3) – سورة المرسلات، الآية: 2.1

(4) – صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: " فأما من أعطى..." اللهم أعط منفق مال خلفا، الحديث رقم 1442 ج2 ص115

القرينة الأولى من الألفاظ أو أكثره موافقا لما يقابله من الثانية في الوزن والتقفية أي التوافق على الحرف الأخير كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ 25 ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم 26﴾(1)﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ 13 وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ 14﴾(2)

ومنه قول الحريري:

" يطْبَعُ الأَسْجاعَ بجواهِرِ لفظِهِ . ويقْرَعُ الأَسْماعَ بزَواجِرِ وعْظِهِ"

فجميع ما في القرينة الثانية في الآيتين، وكلام الحريري موافق لما يقابله من القرينة الأولى في الوزن والتقفية، إلا قوله تعالى: الفجار، فإنه لا يوافق قوله قبل الأبرار في الوزن، لكون الأبرار على وزن أفعال، والفجار على وزن فعال بتشديد العين وضم الفاء، فإن كان مع المرصع زيادة طباق أو مقابلة أو جناس زاد في الحسن كقوله ﷺ: ((الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ كَالصَّائِمِ الصَّابِرِ)) رواه الترمذي(3) .

وقول العرب: " إذا قَلَّتِ الأنصارُ كَلَّتِ الأبصارُ" وقولهم: " ما وراءَ الخَلْقِ الذَّميم إلا الْخُلُقُ الذَّميم "

أَوْ خُـــصَّ بِالْعَجْـــزَيْنِ فَالْمُصَــرَّعُ

يعنى أن المصرَّع بتشديد الراء المفتوحة خاص بتوافق العجزين، أي عجز الشطر الأول، وعجز الشطر الثاني من البيت في الوزن والروي والإعراب، خاص بتوافق ضرب البيت وعروضه في الوزن والروي والإعراب، وأكثر ما يكون في مطالع القصائد كقول امرئ القيس في أول معلقته: [407]

قِفَــا نبــكِ، مـــن ذِكــرى حبيـــبٍ، ومنـــزِلِ بسِقطِ اللّوى بينَ الدَّخولِ، فَحَوْمَـلِ(4)

وهو على خمسة أقسام:

ـ كامل: وهو أن يستقل كل مصراع بنفسه في فهم معناه بمنزلة الوقف التام عند القراء كقوله:

أفـــاطمُ مهـــلا بعـــضَ هـــذا التـــدلل وإن كنـت قـد أزمعـتِ صـرْمي فـأجملي

(1) – سورة الغاشية، الآية: 26.25

(2) – سورة الإنفطار، الآية: 14.13

(3) – سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب الحديث رقم 2486 ج4 ص653

(4) – ديوان امرئ القيس م س ص21

– الثاني: المرتبط وهو أن يكون المصراع الأول غير محتاج إلى الثاني مع ارتباطه بمنزلة الوقف الكافي عند القراء كقوله:

قِفَــا نبــكِ مِــن ذكــرى حَبيــبٍ ومَنــزلِ بسِــقط اللّــوى بــين الــدَّخول فحَوْمَــلِ

ـ الثالث: الناقص وهو أن لا يفهم معنى الأول إلا بالثاني، بمنزلة الوقف القبيح عند القراء كقول المتنبي:

مَغـــانِي الشِّـــعْبِ طِيبـــاً في المَغَـــانِي بمَنزِلَـــةِ الرَّبِيـــعِ مِـــنَ الزَّمـــانِ

ـ الرابع: المعلق وهو أن يكون المصراع الأول معلقا على صفة تذكر في أول الثاني كقوله:

ألا أيّهـــا اللّيـــلُ الطويـــلُ ألا انْجَلِـــي بصُـبْحٍ، ومـا الإصْبَاحُ مِنـكَ بأمثَـلِ[1]

وهذا معيب جدا .

ـ الخامس: المكرر، واللفظة المكررة:

إما متحدة المعنى في المصراعين كقول عبيد الله بن الأبرص:

وكـــلّ ذي غَيْبَـــةٍ يَـــؤُوبُ، وغائِـــبُ المَـــوْتِ لا يَـــؤُوبُ

وهذا أسفل درجة مما قبله .

وإما مختلفة المعنى لكونها مجازا كقول أبي تمام:

فَـــتًى كـــانَ شِـــرْباً لِلْعُفـــاةِ ومَرتَعـــاً فَأَصْـــبَحَ لِلْهِنديَّـــةِ البِـــيض مَرْتَعـــا

وَإِنْ يَكُـــنْ قَـــدْ سَـــاوَتِ الْمُقَارَنَـــهْ فِي الْـــوَزْنِ لا تَقْفِيَـــةٍ مُوَازَنَـــهْ

أي وإن تكن فاصلة القرينة الأولى مساوية لفاصلة القرينة الثانية في الوزن دون التقفية، أو فاصلة المصراع الأول مساوية لفاصلة المصراع الثاني في الوزن دون التقفية، فتلك المساواة تسمى عند البديعيين باسم الموازنة كقوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ 15 وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ 16﴾[2] فإن مصفوفة ومبثوثة متساويتان في الوزن دون التقفية ؛ لأن قافية الأولى على الفاء وقافية الثانية على الثاء ولا عبرة بتاء التأنيث .

(1) – ديوان امرئ القيس م س ص49

(2) – سورة الغاشية، الآية: 16.15

وكقوله:

هُـــوَ الشَّـــمْسُ قَـــدْراً، والْمُلُـــوْكُ كَوَاكِـــبٌ   هُـوَ الْبَحْـرُ جُـوْداً، والْكِـرَامُ جَـدَاوِلُ .

قوله: لا تقفية بالجر عطفا على في الوزن، وقوله موازنة خبر مبتدأ محذوف مقرون بالفاء أي فهي موازنة، والجملة جواب الشرط .

وَإِنْ يَكُـــنْ أَفْرَادُهَـــا مُقَابِلَـــهْ   يُقَـــالُ فِي أَوْزَانِهَـــا مُمَاثَلَـــهْ

أي وإن تكن أفراد القرينة الأولى أي الفقرة الأولى أو المصراع الأول مقابلة أي موافقة لما يقابلها من الفقرة التالية أي التالية التابعة لها، أو المصراع الثاني في أوزانها سواء ماثلتها في التقفية أم لا، فهي أي تلك القرينة تسمى مماثِلة بكسر الثاء عند البديعيين كقوله تعالى: ﴿**وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ** 117 **وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ** 118﴾[1] وكقول أبي تمام:

مَهَـــا الــــوحش إلا أنّ هــــاتا أوانِـــسٌ   قَنَـــا الخَـــطِّ إلا أنّ تلْـــك ذَوابِـــلُ[2]

" وهذه النساء نواضرٌ لا ذُبولَ فيهنَّ " وهذان المثالان لما يكون أكثر ما في إحدى القرينتين مماثلا لما يقابله من الأخرى، لعدم تماثل آتيناهما وهديناهما وزنا، وكذا ها وتا وتلك .

ومثال تماثل الجمع أي جميع أفراد الأولى لجميع أفراد الثانية قول البحتري:

فَـــأَحْجَمَ لَمَّـــا لَمْ يَجِـــدْ فِيـــكَ مَطْمَعَـــا   وأَقْـــدَمَ لَمَّـــا لَمْ يَجِـــدْ عنْـــكَ مَهْـــرَبَا[3]

وَقِيــــلَ لا يَخْـــــتَصُّ بِالتَّنْثِـــــيرِ

أيْ قال بعض البديعيين إن السجع لا يختص بالتنثير أي لا يختص بالنثر، بل قد يكون في النظم كقول أبي تمام:

تَجَلَّـــى بِـــهِ رُشْـــدِي وأَثْـــرَتْ بِـــهِ يَـــدِي   وفَـــاضَ بِـــهِ ثَمْـــدِي وأَوْرَى بِـــهِ زَنْـــدِي

ومِنْـــهُ مَـــا يَـــدْعُونَ بِالتَّشْـــطِير

أيْ ومن السجع الكائن في النظم ما، أي نوع يدعونه أي يسمونه بالتشطير، وهو أن يجعل في كل من شطري البيت سجعتين متفقتين في الروي، ورويُّ اللتين في الصدر مخالفٌ للَّتين في العجز كقول

(1) – سورة الصافات، الآية: 118.117

(2) – ديوان أبي تمام ص256

(3) – ديوان البحتري ج1 ص200 م س

أبي تمام: [408]

تــــــــدبيرُ مُعتصـــــــمٍ باللهِ مُنــــــــتقمٍ   لله مُرْتقـــــــبٍ في الله مُرْتَغـــــــبِ

وأشار الناظم إلى تفسير التشطير بقوله:

فِي كُــلِّ شَـــطْرٍ سَـــجْعَتَانِ اتَّفَقَــا   وخَــالَفَ الآخِــرُ مَــا قَــدْ سَــبَقَا

أي هو أن يكون في كل شطر من البيت سجعتان متفقتان في الروي، وخالف الشطر الآخر ما قد سبقا أي الشطر السابق في روي سجعته كالبيت الذي قدمنا .

قوله: اتفقا فعل ماض فاعله ألف التثنية، والجملة في محل نعت لقوله سجعتان .

وَسَــمِّ بِالتَّسْــمِيطِ إِنْ تَوَالَــتْ   ثَلاثَــةٌ وبِالْوِفَــاقِ وافَــتْ

أي سم السجع الكائن في النظم بالتسميط، إن توالت ثلاث سجعات في البيت متوافقة في الروي ثنتان في الشطر الأول، والثالثة في الشطر الأخير، وروي البيت مخالف لرويها .

وقسمه ابن مالك قسمين: تسميط تقطيع، وتسميط تبضيع .

فالأول: ما كان فيه كل الأجزاء على سجع يخالف الروي، ثم تارة تتفق الأجزاء في الوزن فيختص باسم الموازنة كقوله:

أفــــادَ، فجـــادَ، وســـادَ، فـــزادَ   وقـــادَ، وذادَ، وعـــادَ، فأفضـــلْ[1]

وهذا النوع ذكره الصفي، وتارة تختلف الأجزاء في الوزن كقوله:

وأسمــــرُ مُثمــــرٌ مــــن مزهــــرٍ نَضِــــرٍ   مــن مُقمِــرٍ مُسْــفرٍ عــن منظــر حســنِ

والثاني: وهو تسميط التبضيع هو ما كان بعض الأجزاء فيه مخالفا للروي، ثم منه ما سجعه على المقاطع، ومنه ما ليس كذلك كقوله:

هُـــمُ القَـــوْمُ ؛ إنْ قَـــالُوا أصَـــابُوا، وإنْ دُعُـــوا   أجَـــابُوا، وإنْ أعْطَـــوْا أطَـــابُوا وأجْزَلُـــوا

والثاني كقول الخنساء:

حَـــامِي الحَقيقَـــةِ مَحمـــودِ الخَليقَـــة مهـــ   ـــدِيِّ الطريقَـــةِ نفَّـــاعٌ وضـــرَّار

وَإِنْ يُسَــــجِّعْ كُلَّـــهُ وجُـــزِّأَهْ   مُخَالِفًــا جُــزْءًا بِجُــزْءٍ تَجْزِئَــهْ

أي وإن يسجع المتكلم كل البيت، أي يجعله كله سجعا، ويجزئه على وزنين حال كونه مخالفا

(1) - ويعرف في العروض بالمثمن المزاحف

بين الوزنين، جزءا بجزء، أي جزء هذا الوزن مع جزء من هذا الوزن، وأحد الوزنين يخالف رويه روي البيت، والثاني على روي البيت، فهو المسمى عند البديعيين بالتجزئة، وعبارة المصباح أن يأتي بمقاطع أجزاء البيت على سجعتين متداخلتين، أولهما مخالف للروي والثاني موافق له كقول الصفي:

بـبــــارقٍ خـــــذم في مــــأزق أمــــم أو ســـابق عـــرم في شـــاهق علـــم

وقال الآخر:

هنديـــــــةٌ لحظاتهـــــا خطيـــــــة خطراتهـــــا داريـــــة نفحاتهـــــا

قوله: وإن يسجع فاعله ضمير عائد إلى المتكلم المفهوم من المقام، وقوله كله بالنصب مفعول به ليسجع، ويحتمل أن يكون بالرفع ويكون نائبا عن فاعل يسجع بالبناء للنائب وقوله جزأه فعل ماض فاعله ضمير عائد إلى المتكلم أيضا والها الساكنة للوقف مفعوله وهو عائد إلى البيت كالهاء في كله ؛ لأن البيت مفهوم من المقام، وقوله مخالفا بكسر اللام حال من فاعل جزأ وقوله جزءا مفعول لمخالف، والباء في قوله بجزء بمعنى مع، وقوله تجزية خبر مبتدأ محذوف مقرون بفاء الجزاء أي فهو تجزية، والجملة جواب الشرط، ويحتمل أن يكون مخالفا بفتح اللام اسم مفعول لا اسم فاعل بالكسر ويكون حالا من الضمير المفعول به في جزأه العائد إلى البيت، وقوله جزءا بجزء حال ثانية منه أيضا .

وَالانْسِـــجَامُ مَـــا عَـــلا تَسَـــهُّلا عُذُوبَـــةً ومِـــنْ عِقَـــادَةٍ خَـــلا

يعنى أن من البديع اللفظي نوعا يسمى بالانسجام، وهو أن يكون الكلام عاليا في مرتبة البلاغة، سهلا [409] في تركيبه، عذبة ألفاظه، خاليا من العقادة أي من التعقيد، كانسجام الماء في انحداره، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة .

وَغَالِبًـــا فِي النَّثْـــرِ إِذْ مَـــا انْسَـــجَمَا مِـــنْ غَـــيْرِ قَصْـــدٍ قَـــدْ يُـــرَى مُنْتَظِمَـــا

يعنى أن الانسجام يرى غالبا منتظما في النثر إذا انسجم الكلام فيه من غير قصد، فتكون فقراته موزونة من غير قصد، لقوة انسجامه، وشاهد ذلك ما وقع في القرآن موزونا، فمنه من بحر الطويل:

﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُومِن ومَن شَآءَ فَلْيَكْفُرِۖ﴾[1] ومن البسيط: ﴿فَأَصْبَحُواْ لاَ تَرَىٰٓ إِلاَّ مَسَٰكِنَهُمْۖ﴾[2] ومن الوافر قوله: ﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّومِنِينَ 14﴾[3]

قوله: يرى بالتركيب نائبه ضمير عائد إلى الانسجام، وقوله منتظما حال منه، وقوله في أول البيت غالبا نائب عن مصدر من يرى .

وَمِنْـــهُ قَلْـــبُ عَكْسِـــهِ إِذَا سَـــلَكْ ... كَطَـــرْدِهِ كَمِثْـــلِ كُـــلٌّ فِي فَلَـــكْ

أي ومن البديع اللفظي نوع يسمى القلب والمقلوب والمستوى، وهو أن يكون عكس البيت إذا سلك، أي إذا قرأ مقهقرا، كطرده لفظا ومعنى، أي يقرأ بعكس حروفه من الأخير إلى الأول كما يقرأ من الأول إلى الأخير، وغايته أن يكون رقيقا منسجما بلا تكلف كقوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِے فَلَكٍ﴾[4]﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ 3﴾[5]

وأحسن ما قيل منه في النظم قول الأرجاني:

مودّتُـــــهُ تـــــدومُ لكـــــلّ هَـــــوْلٍ ... وهـــل كـــلُّ مودّتُـــهُ تـــدومُ ؟

قال الشيخ بهاء الدين: وبقي نوع آخر من القلب يقال له قلب الكلمات كقوله:

عـــدلوا فمـــا ظلمـــت لهـــم دول ... ســـعدوا فمـــا زالـــت لهـــم نعـــم
بـــذلوا فمـــا شـــحت لهـــم شـــيم ... رفعـــوا فمـــا زلـــت لهـــم قـــدم [6]

فهو دعاء، وإذا قلبت كلماته صار دعاء عليهم .

وَالْحَـــرْفُ مِـــنْ قَبْـــلِ الـــرَّوِيِّ مُلْتَـــزَمْ ... فَسَـــمِّهِ لُـــزُومَ مَـــا لا يَلْـــزَمْ

أي من أنواع البديع اللفظي، نوع يسمى التزام ما لا يلتزم، والإعنات والالتزام، وهو أن يلتزم الناثر

(1) – سورة الكهف، الآية: 29

(2) – سورة الأحقاف، الآية: 25

(3) – سورة التوبة، الآية: 14

(4) – سورة يس، الآية: 40

(5) – سورة المدثر، الآية: 3

(6) – البيان من الكامل، وهما بلا نسبة في شرح عقود الجمان للسيوطي للمؤلف وكذلك في عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ج2 ص305 م س

أو الشاعر حرفا من قبل الروي كالآيات المشار إليها في النظم بقوله:

كَقَوْلِـــهِ تَقْهَـــرْ وتَنْهَـــرْ صَـــدْرَكَا　　　وزْرَكَ ظَهْـــرَكَ وبَعْـــدُ ذِكْرَكَـــا

وهي قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ 9 وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ 10﴾[1] وقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ 1 وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ 2﴾ ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ 3 وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ 4﴾[2]

وفى الشعر كثير منه، وقد يقع الالتزام في أكثر من حرف كقول أبي العلاء:

كُـــلْ واشْـــرَب النـــاسَ عَلَـــى خِـــبْرَةٍ　　　فَهُـــمْ يَمُـــرُّونَ ولا يَعْـــذُبُونْ
وَلا تُصَـــــدِّقُهم إِذَا حَـــــدَّثُوا　　　فَـــإِنَّني أَعْهَـــدُهُمْ يَكْـــذِبُونْ
وَإِنْ أَرَوْكَ الـــودَّ عَـــنْ حَاجَـــةٍ　　　فَفِـــي حِبَـــالٍ لَهُـــمْ يَجْـــذِبُونْ

والألف في قوله صدركا وقوله ذكركا للإطلاق .

قُلْـتُ فَـإِنْ كَـانَ اللُّـزُومُ فِي الـرَّوِي　　　أَوْ كَلِمَـاتٍ فَهْـوَ تَضْـيِيقٌ قَـوِي

أي قال الناظم من زيادته: فإن كان الالتزام في نفس الروي لا بحرف قبله، أو كان الالتزام في كلمات البيت، بأن يلتزم الناظم في كل كلمة منها ضادا مثلا أو عينا، فهو تضييق أي هو المسمى بالتضييق، ومعنى كون الالتزام في نفس الروي أنه إذا كان هاء، فيلتزم أن لا يأتي بها ضميرا أو الفا فيلتزم أن لا يأتي بألف الإطلاق .

وقد عمل الأصبهاني هائية لا ضمير فيها وادعى البراعة، وعارضه أبو اليمن الكندي بقصيدة مطلعها:

هَـــلْ أَنـــتَ راحِـــمُ عَـــبْرَةٍ وتَوَلُّـــهِ　　　ومُجِـــيرُ صَـــبٍّ عِنْـــدَ مَأْمَنِـــهِ دُهِـــي
هَيْهَـــاتَ يَـــرْحَمُ قاتِـــلٌ مَقْتُولَـــهُ　　　وسِـــنانُهُ فِي الْقَلْـــبِ غَـــيْرُ مُنَهْنَـــهِ

ومثال الالتزام في كلمات البيت قول الحريري في رسالة له التزم في كل كلمة منها سينا أولها:

" بسم القدوس أستفتح، وبإسعاده أستنجح، [410] سجية سيدنا سيف السلطان، سدة سيدنا السيد النفيس، سيد الرؤساء، حرست نفسه، واستنارت شمسه، وبسق غرسه، واتسق أنسه، استمالة

(1) – سورة الضحى، الآية: 10.9

(2) – سورة الشرح، الآية: 4.1

الجليس، ومساهمة الأنيس، ومواساة السحيق والنسيب، ومساعدة الكسير والسليب إلى آخرها " .

وَمِنْـــهُ تَشْـــرِيعٌ بِأَنْ يُبْــــنَى عَلَـــى قَـــافِيَتَيْنِ البَيْـــتُ كُــلٌّ قَــدْ حَــلا

أي ومن البديع اللفظي التشريع، وهو مفسر بأن يبنى الشاعر البيت على قافيتين، أي وزنين من أوزان العروض، كل منهما قد جلا، أي حسن وعذب وسهل، فإذا أسقط منها جزءا أو جزئين، صار الباقي بيتا من وزن آخر، ثم تارة يكون الإسقاط من آخر النصف الثاني، كقول الحريري:

يا خاطِـــبَ الـــدّنيا الدّنِيّـــةِ إنّهـــا شــرَكُ الــرّدى وقَـــرارَةُ الأكـــدارِ

دارٌ مـــتى مـــا أضْـــحكتْ في يومِهـــا أبْكَـــتْ غـــداً بُعْـــداً لهـــا مـــنْ دارِ

فإذا أسقطت قوله: وقرارة الأكدار من البيت الأول، وقوله بعدا لها من دار من الثاني، كان الباقي بيتا مستقيما في وزن آخر من العروض رويه على الدال المفتوحة بعدها ألف مقصورة، وتارة يكون الإسقاط من آخر كل من الشطرين كقول الصفي:

فلـــو رأيـــت مصـــابي عنـــدما رحلـــوا رثيـــت لي مـــن عـــذابي يـــوم بيـــنهم

فإذا أسقطت من الشطر الأول قوله عندما رحلوا، ومن الثاني قوله يوم بينهم، كان الباقي بيتا مستقيما في وزن آخر هو المجتث، فتقول:

فلـــــــوْ رأيـــــــتَ مُصـــــــابي رَثَيْـــــــتَ لِي مِـــــن عـــــذابي

وَهْـــوَ الَّـــذِي أَبْدَعَـــهُ الْحَرِيـــرِي ووَسْمُـــهُ التَّـــوْءَمَ ذُو التَّحْرِيـــر

يعنى أن التشريع هو الذي اخترعه أي ابتدعه الحريري، ووسمه التوأم، أي تسميته باسم التوأم ذو تحرير، أي رأي صاحب تحرير وتهذيب وهو ابن الإصبع، لمناسبة التوأم له ومطابقته لمسماه الذي هو بناء البيت على قافيتين .

قال الشيخ بهاء الدين: وتسميته بالتشريع عبارة لا تناسب له لأنه خاص، أي لأن التشريع خاص بالشرع المطهر .

قال بعضهم:

ليــــتهم سمـــوه باســـم غـــير ذا إنمـــا التشـــريع ديـــن قـــيم

قوله في البيت الأول: يبنى بالتركيب نائبه قوله البيت، وقوله كل قد حلا مبتدأ خبره جملة حلا وهو فعل ماض من الحلاوة، وقوله في البيت الثاني: ووسمه مبتدأ وذو تحرير خبره على حذف

مضاف أي رأي ذي تحرير أي تحقيق .

قُلْــــتُ الــــرَّوِيُّ إِذْ لِأَشْـــيَا يَصْـــلُحُ　　　فَــذَلِكَ التَّخْيِــيرُ خُــذْ مَــا يَــرْجُحُ

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: إذا صلح روي البيت أو السجعة لأشياء، أي لعدة ألفاظ، فذلك النوع أو الصنيع هو المسمى[411] عند البديعيين باسم التخيير، خذ أيها المتكلم ما يرجح من تلك الألفاظ التي تصلح كلها لروي البيت، فاجعله روي بيتك، أي خذ أحسنها وانسبها بالمقام والتركيب، ومعنى تسميته بالتخيير أن المتكلم الشاعر أو الخطيب مخير بين تلك الألفاظ فما شاء منها جعله رويا لبيته أو سجعته .

وَإِنْ تَجِـــــيءْ قَافِيَــــــةٌ مَحَلَّهَـــــا　　　فَــذَلِكَ التَّمْكِــينُ مَهِّــدْ قَبْلَهَـــا

أي وإن تجيء القافية أو الفاصلة أي الكلمة الأخيرة من البيت أو السجعة في محلها، أي مكان حلولها، فتجده قد مهد لها أي مهده لها الشاعر أو الخطيب تمهيدا، بحيث تأتي وتقع فيه متمكنة مستقرة في قرارها، غير نافرة ولا قلقة، بحيث لو نَشدَ البيت أو الفقرة أحدٌ، ثم سكت كمَّلها السامع بطبعه، بدلالة ما قبلها عليها، فذلك النوع أو الصنيع يسمى باسم التمكين عند البديعيين، ويسمى ائتلاف القافية كقول المتنبي:

يَا مَـــنْ يَعِـــزُّ عَلَينـــا أَنْ نُفَـــارِقَهُمْ　　　وجْــدَانُنَا كُــلَّ شَــيء بَعْــدكمُ عَــدمُ

وَمِنْـــــهُ أَنْ تَاتَلِـــــفَ الْمَعَـــانِي　　　صَـــــحِيحَةً تَوَافُـــــقَ الأَوْزَان

أي ومن البديع اللفظي ائتلاف المعاني، أي معاني البيت أو السجعة، حال كونها صحيحة ائتلافا موافقا الأوزان، أي أوزان البيت أو السجعة، كقول عروة بن الزبير[1]:

فـــإني لـــو شـــهدت أبا ســـعاد　　　غـــداة غـــد بمهجتـــه يفـــوق

فـــديت بنفســـه نفســـي ومـــالي　　　ومـــا آلـــوه إلا مـــا أطيـــق

قوله: صحيحة حال من المعاني، وقوله موافق بالنصب مفعول مطلق نائب عن مصدر من قوله أن تأتلف .

(1) هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، تابعي. أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ¶ (ت 93هـ). ترجمته في الطبقات الكبرى، لابن سعد (178/5–181)، ومشاهير علماء الأمصار لابن حبان (ص105)، وتاريخ دمشق (237/40–286).

أَوْ وافَـــــــقَ الأَلْفَـــــــاظَ والأَوْزَانْ

أي ومن البديع اللفظي توافق الألفاظ والأوزان، أي ألفاظ البيت وأوزانه .

قال قدامة: وهو أن تكون الأسماء والأفعال تامة، لا يضطر الشاعر إلى نقصها أو الزيادة عليها، أو تقديم أو تأخير، كما وقع للفرزدق في قوله:

وَمَـــــا مِثْلُـــــه فِي النَّـــــاسِ إلا مُمَلكـــــاً ... أَبُـــو أُمِّــهِ حَـــيٌّ أَبُـــوهُ يُقَارِبُـــه

قوله: وافق فعل ماض فاعله عائد إلى المتكلم، والألفاظ والأوزان بالرفع للضرورة بقلب الإعراب مفعوله أصله النصب .

وضِـــــدُّهُ الطَّاعَـــــةُ والْعِصْـــــيَانْ

أيْ من أنواع البديع اللفظي نوعٌ يسمى بالطاعة والعصيان، وهو ضد موافقة الألفاظ للأوزان ؛ لأن تفسيره هو أن يقصد الشاعر نوعا من أنواع البديع فيعصيه الوزن ويطيعه لنوع آخر لم يقصده كقول أبي الطيب:

يَــــرُدُّ يَــــداً عَــــنْ ثَوْبِهَــــا وهــــو قَــــادِرٌ ... ويَعصِـي الهَـوَى فِي طَيْفِهـا وهَـو رَاقِـدْ

أراد أن يقول وهو مستيقظ بحيث يطيعه الطباق مع قوله وهو راقد فلم يطعه الوزن، وأطاعه لفظة قادر، فحصل بها مع راقد الجناس المقلوب .

وَالْوَصْـــلُ والْقَطْـــعُ ونَقْـــطُ الحَـــرْفِ ... وتَرْكُــــهُ حَـــذْفٌ وبِالْخُلْـــفِ يَفِـــي

يعنى أن الحذف من البديع اللفظي، وهو أن يحذف المتكلم من كلامه كل حرف موصول ويأتي بالجميع، أو يحذف منه كل حرف مقطوع ويأتي بالجميع موصولة، وهذا هو معنى قوله والوصل والقطع، أو يحذف كل حرف منقوط ويأتي بالجميع مهملة أو عكسه .

قوله: وبالخلف يفي يعنى أن الحذف يأتي بالخلف أي باختلاف الكلام بأن يأتي المتكلم بكلامه متخالفا حرف منه موصول وحرف منه مقطوع، أو حرف معجم وحرف مهمل، أو كلمة كل حروفها معجمة، وكلمة كل حروفها مهملة وهكذا .

وَاللَّفْـــــظُ إِذْ يَقْـــــرَؤُهُ الأَلْثَـــــغُ لا ... يُعَـــابُ قَـــدْ سَمَّيْتُـــهُ الْمُنْـــتَحَلا

يعنى أن اللفظ الذي إذا قرأه الألثغ لا يعاب، إذا تحراه المتكلم واختاره، فأتى به في كلامه فإنه قد

سماه الناظم المنتحَلا، وهو الذي اخترعه .

وقد رأيت في ذلك بيتين في الراء لبعض الأقدمين وهما:

مــن شــاءَ جَمْــعَ مَعــانٍ قــد خُصِّصــتُ بهــا   وجــاوزتْ كــلَّ حَــدٍّ لم ينـل وطَـرا (وطَـا)
وكيــف يســـطيعُ أن يُحصـــي فضـــائلَها   فزنـــدُك الْعِـــزُّ مَهْمــا تقدحُـــهُ ورا (وغَـــا)

وقيل في ذلك:

وذات وجهــــين أتـــــت بدعـــــة   غايتهـــا في الحســـن لا تبلـــغ
قافيـــــة رائيـــــة فيـــــك لا   يعـــاب في إنشـــادها الألثـــغ

وَأَصْـلُ حُسْـنِ مَـا مَضَـى أَنْ يَتْبَعَـا   اللَّفْـظُ مَعْـنًى دُونَ عَكْـسٍ وقَعَـا

يعنى أن أصل الحسن فيما مضى من الأنواع أي أنواع البديع اللفظي أن يتبع اللفظ المعنى أي أن تكون الألفاظ تابعة للمعاني لا العكس، وهو أن تكون المعاني تابعة للألفاظ، بأن يؤتى بألفاظ متكلفة مصوغة [412] المعنى كما يفعله من له شغف بإيراد المحسنات اللفظية، فيجعل الكلام كأنه غير مسوق لإفادة المعنى ولا يبالي بخفاء الدلالة وركاكة المعنى، فإذا تركت المعاني على سجيتها طلبت لأنفسها ألفاظا تليق بها، وعند ذلك تظهر البلاغة ويتميز الكامل من القاصر .

خاتمة في السرقات الشعرية وما يتصل بها

مثل الاقتباس، والتضمين، والعقد، والحل، والتلميح، وغير ذلك، مثل التأنق في الابتداء، والتخلص والانتهاء .

إنْ قَــائِلانِ اتَّفَقَــا فِي الْغَــرَضِ   عَلَــى الْعُمُــومِ فَكِلاهُمَــا ارْتُضِــي

يعنى أن القائلين شاعرين كانا أو خطيبين، إذا اتفقا على الغرض ذي العموم، أي الغرض العام، فكلاهما أي قوليهما ارتضي، أي مرضي عند أهل البلاغة، ومثل للغرض العام بقوله:

كَالْوَصْــفِ بِالسَّــخَاءِ والشَّــجَاعَةِ   ولا يُعَــدُّ سِــرْقَةً لِلْعَــادَةِ

يعنى أن الغرض العام المشترك بين الناس، الذي إذا اتفق القائلان فيه، كان قولُ كل منهما مرضيا، ولا يعد سرقة ولا أخذا في العادة ولا استعانة، فإنه كالوصف لمن أريد مدحه بالسخاء والشجاعة وحسن الوجه، لتقرر هذا الغرض في العقول والعادات واشتراك الناس فيه .

قوله: سرقة بتخفيف الراء لضرورة الوزن، واللام في قوله للعادة بمعنى في .

أَوْ فِي الدَّلالَــــةِ عَلَيْــــهِ كَالْمَجَــــازْ

يعنى أن اتفاق القائليْن شاعرين أو خطيبين أو غيرهما، في وجه الدلالة على الغرض العام مرضي، أي لا عيب فيه ولا سرقة ولا أخذ، أي فلا فرق بين اتفاقهما في الغرض العام، وفى وجه الدلالة عليه، في كون كل منهما مرضيا لا سرقة فيه ولا أخذ، ووجه الدلالة على الغرض العام كالمجاز والكناية والتشبيه، في تسمية الشجاع أسدا، ووصف الكريم بكثرة الرماد، وتشبيهه بالبحر في الكرم .

فقوله أو في الدلالة عليه معطوف على قوله في الغرض في البيت الأول بعد الخاتمة، والضمير في عليه عائد على الغرض العام .

وهَيْئَــةٍ تَخُــصُّ مَــنْ لِلْوَصْــفِ حَــازْ

يعنى أن اتفاق القائليْن في الهيئة التي تخص الحائز للوصف العام أي الغرض العام مرضي، لا يعد سرقة ولا أخذا عند البلغاء، كَ**التهلل** أي البشاشة في وصْ**فِهِ** أي القائل **الْجَوَادَ** أي الكريم السخي **بِالتَّهَلُّلِ** أي الهش والبشاشة، **لِطَالِبٍ** أي لطالب المعروف أي يتهلل في وجهه عندما يسأله معروفا ويعطيه إياه، وكَ**الْقَبْضِ** أي العبوسة في وصف القائل للبخيل أي اللئيم الشحيح بالقبض **لِلْمُبَخَّلِ** أي اللئيم الذي تبخله الناس أي تصفه بالبخل، أي أنه يعبس وينقبض في وجه الطالب والْعافِي عندما يسأله معروفا فلا يعطيه شيئا .

قوله: أو هيئة بالجر معطوف على قوله أو في الدلالة، وجملة تخص من الفعل وفاعله في محل نعت لهيئة، والضمير في تخص عائد إلى الهيئة، والوصف المراد به الغرض .

وأشار إلى مثال تلك الهيئة بقوله: كوصفه الجواد بالتهلل إلخ .

فَــــإِنْ يَكُــــنْ مُقَــــرَّرًا كَالْبَطَــــلِ كَأَسَــــدٍ فَحُكْمُــــهُ كَــــالأَوَّلِ

أي فإن يكن وجه الدلالة على الغرض العام مقررا، أي مثبتا ومستعملا كثيرا على ألسنة الشعراء والخطباء، كما في تشبيه البطل بالأسد، واستعمال الأسد فيه، وتشبيهِ الْكَرِيمِ بالبحر [413] واستعمال البحر فيه، فحكمُه أيْ وجهُ الدلالة المذكور كحكمِ الأول، الذي هو الغرض العام في أن اتفاق القائلين فيه مرضي لا يعد سرقة ولا أخذا عند البلغاء، فالضمير في يكن عائد إلى وجه الدلالة المذكور قبله، والضمير في حكمه عائد إليه أيضا، والأول المراد به الغرض العام .

أَوْ لا أي أو لا يكن اتفاق القائلين في الغرض العام، ولا في وجه الدلالة عليه، ولا في هيئة تخص الحائز للغرض العام، بل اتفاقهما في الغرض الخاص، أو في وجه الدلالة على الغرض الخاص .

. . فَفِيـــهِ السَّـــبْقُ كَـــالزِّيَادَةِ قَـــــــدْ يُـــــــدَّعَى . .

أي فحينئذ يجوز أن يدعى في اتفاق القائلين في الغرض الخاص أو وجه الدلالة عليه السبق، بأن يحكم بينهما بأن أحدهما سبق الآخر له، والزيادة بأن يحكم بينهما بأن الثاني زاد على الأول أو نقص عنه .

قال ابن الأثير: وإنما يطلق اسم السرقة في معنى مخصوص، وهذا المعنى المخصوص ضربان: خاصي في نفسه لا ينال إلا بفكر، وعامي تصرف فيه بما أخرجه من الابتذال إلى الغرابة، وإلى هذين الضربين أشار الناظم بقوله:

فَمِنْهُ ذُو غَرَابَة، فِي أَصْلِهِ أي فمن المعنى المخصوص ما هو ذو غرابة أي غريب في الأصل لا ينال إلا بعد فكر وتأمل .

فِي أَصْـــلِهِ ومِنْـــهُ ذُو ابْتِـــذَالِ أَغْرَبَـــهُ الحُسْـــنُ فِي الِاسْـــتِعْمَالِ

أي ومن المعنى المخصوص ما هو مبتذل قريب في الأصل يستعمله كل أحد، لكن أخرجه إلى الغرابة حسن استعماله، بأن تَصرَّف فيه المتكلمُ بما أخرجه من الابتذال إلى الغرابة، كما مر في التشبيه والاستعارة، ثم أشار الناظم إلى تسمية كل من هذين النوعين بقوله:

فَسَـمِّ بِالإِبْـدَاعِ مَـا قَـدِ اخْـتُرِعْ مِـنَ الْمَعَـانِي لَـيْسَ قَبْلَـهُ صُـنِعْ
أَوْ سَمِّـــهِ سَـــلامَةَ اخْـــتِرَاعِ

أي سَمِّ باسم الإبداع بالباء الموحدة ما أي المعنى الذي اخترعه المتكلم ولم يصنع قبله، أي لم يسبق إليه، سماه بهذا الاسم الطيبي في التبيان، أو سمه سلامة اختراع، وسماه بهذا الاسم أهل البديعيات، فالضمير في اخترع عائد إلى المتكلم المفهوم من المقام، وكذا الضمير في قبله .

وذَلِـــكَ الشَّـــامِلُ لِلأَنْـــوَاعِ

الإشارة بذاك إلى الإبداع، يعنى أن الإبداع قد جعل عند البديعيين اسما للكلام الشامل لأنواع البديع كلها أو بعضها كقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ

واسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّلِمِينَ 44﴾[1] فإن فيه المناسبة التامة بين أقلعي وابلعي، والمطابقة بين الأرض والسماء، والمجاز في ويا سماء، والمراد مطر السماء، والاستعارة في أقلعي، والإشارة في وغيض الماء، فإنه عبر به عن معانٍ كثيرة، والتمثيل في وقضي الأمر، والإرداف في واستوت على الجودي، والتعليل لأن غيض الماء، علة الاستواء وصحة التقسيم إِذِ استوعَبَ أقسامَ أحوالِ الماء حال نغضه، والاحتراس في وقيل بعدا للقوم الظالمين، ليلا يُظن أن الْهَلاكَ عمًّا لظالم وغيره، والمساواة لأن لفظ وقيل بعدا للقوم الظالمين، لا يزيد على معناها، وحسن النسق، لأنه قص القصة وعطف بعضها على بعض، وترتيب المعنى وائتلافه ؛ لأن مع كل لفظة لفظةٌ لا يصلح معها غيرها، وإيجاز القصد، [414] لأنه قص القصة مستوعبة بأوجز عبارة، والتسهيم لأن أول الآية يفهم منه آخرها والانسجام، وحسن البيان، والتمكين ؛ لأن الفاصلة مستقرة في محلها، والتهذيب، ومجموع ذلك هو الإبداع .

وأشار إلى تسمية النوع الثاني من نوعي المعنى الخاص بقوله:

وَسَـــمِّ ذَا الشُّـــهْرَةِ مَـــعْ إِغْـــرَابِ   بِالطُّرْفَـــةِ النَّـــوَادِرِ الإِغْـــرَاب

أي سم أيها المتكلم المعنى الخاص المشتهر استعماله عند الناس، الذي لم يخترعه أحد ولم يسبق إليه، مع إغراب أي مع تصرف المتكلم به فيه، بما يخرجه إلى حد الإغراب بالظرافة، أي سمِّه بالظرافة والنوادر والإغراب، كقول القاضي الفاضل:

تَـــــرَاءَى ومـــــرآةُ السّـــــماءِ صَـــــقيلَةٌ   فـــأَثَّر فيهَـــا وجهُـــهُ صُـــورَةَ البَـــدرِ

فتشبيه الوجه بالبدر في الاستدارة والاستنارة غريب مبتذل، لكن أخرجه إلى الغرابة زيادة هذه الصورة النادرة الغريبة، وهي تأثير الوجه صورة البدر حين تراءى .

قوله: مع إغراب حال من قوله ذا الشهرة، وقوله الإغراب معطوف بحذف حرف العطف على النوادر .

وَالأَخْـــذُ والسِّـــرْقَةُ ظَـــاهِرٌ ولا

ايعنى أن الأخذ والسرقة على قسمين ظاهر ولا، أيْ منها ما هو ظاهر، ومنها خفي، والأخذ

(1) - سورة هود، الآية: 44

والسرقة مترادفان بمعنى واحد، وتخفيف الراء من السرقة لضرورة الوزن .

ثم أشار الناظم إلى السرقة الظاهرة بقوله:

فَالظَّـــاهِرُ الأَخْــذُ لِمَعْــنًى كَمُــلا

مَـــعْ لَفْظِـــهِ أَوْ بَعْضِـــهِ أَوْ دُونَـــهُ

. أيْ فالأخذ الظاهر أي السرقة الظاهرة، هي الأخذ للمعنى كاملا، أي هي أخذ القائل الثاني للمعنى الذي قصده القائل الأول كله، وهذا الأخذ تحته ثلاثة أنواع، لأنه إما أن يكون أخذه للمعنى كله مع أخذه للَّفظ كله، أو مع أخذ بعضه أي اللفظ، أو دون أخذ اللفظ، بأن كان أخذ المعنى فقط، وإلى القسم الأول أشار بقوله:

فَـــذَاكَ مَحْـــضُ سِـــرْقَةٍ يَدْعُونَـــهُ

بِالِانْتِحَـــالِ النَّسْـــخُ لَـــيْسَ يُقْبَـــلُ

قوله: فذاك إشارة إلى أخذ القائل الثاني المعنى كله مع لفظه كله، يعنى أنه سرقة محضة أي خالصة من شوب الاختراع، وهي مذمومة جدا، يدعونه أي أصحاب البديعيات أي يسمونه بالانتحال والنسخ والمصالتة، سمي انتحالا من انتحل فلان شعرَ غيره إذا ادعاه لنفسه، وسمي نسخا، لأنه نقل الكلام إلى نفسه من نسخت الكتاب نقلت ما فيه إلى كتاب آخر .

قوله: ليس يقبل يعنى أن الانتحال ليس مقبولا عند البديعيين، بل هو مذموم عندهم جدا حتى قال الحريري: " واستراق عقد الشعراء أفظع من سرقة البيضاء والصفراء، وغيرتهم على بنات الأفكار كغيرتهم على البنات الأبكار " وأول من ذم ذلك طرفة فقال:

ولا أُغِـــيرُ علـــى الأشـــعار أسْـــرِقُها ... عنهـا غَنِيتُ، وشرُّ النـاسِ مَـن سـرَقا[1]

مثال الانتحال ما حكي عن عبد الله بن الزَّبِيرِ كَأَمِيرٍ من أسد خزيمة أنه دخل على معاوية رضي الله تعالى عنه فأنشده:

إِذَا أَنْـــتَ لَمْ تُنْصِـــفْ أَخَـــاكَ وجَدْتَـــهُ ... عَلَـى طَـرْفِ الْهُجْـرَانِ إِنْ كَـانَ يَعقِـلُ

وَيَرْكَـــبُ حَـــدَّ السَّـــيْفِ مَـــنْ أَنْ تُضِـــيمَهُ ... إِذَا لَمْ يَكُـنْ عَـنْ شَـفْرَةِ السَّـيْفِ مَزْحَلُ

(1) - ديوان طرفة بن العبد ص57 ت مهدي محمد ناصر الدين، ط3 دار الكتب العلمية

والمزحل بالزاء المعجمة والحاء المهملة المبعد مفعل من زحل عن المكان[415] تباعد منه .

والمعنى: أنه لا يبالي أن يركب من الأمور ما يؤثر فيه تأثير السيف مخافة أن تظلمه إذا لم يكن عن حد السيف مبعد .

فقال له معاوية لما أنشده البيتين: لقد شعُرت بعدُ بضم العين أي صرت شاعرا، فلم يخرج عبد الله حتى دخل معن بن أوس المزني فأنشده البيتين من قصيدة له أولها:

لعمـــــرك مـــــا أدري وإني لأوْجَـــــلُ ... علـــى أينـــا تَعـــدو المنيـــةُ أولُ

فقال معاوية لعبد الله ألم تخبر أنهما لك، فقال هو أخي من الرضاعة فأنا أحق بشعره .

كَـــذَا إِذَا بِرِدْفِـــهِ قَـــدْ يُبْـــدَلُ

يعنى أن أخذ المعنى كله مع إبدال كلماته كلها أو بعضها بما يرادفها كأخذ المعنى كله مع لفظه كله، في أن كلا منهما سرقة مذمومة، تسمى نسخا وانتحالا كما في قول الصاحب في قول المتنبي:

لـــــبسَ الوشــــيَ لا مُــــتجملات ... ولكــنْ كــي يَصُــنَّ بــه الجمـــالا

فقال الصاحب:

لبســـن بـــرود الوشـــي لا لتجمـــل ... ولكـــن لصـــون الحســـن بـــين بـــرود

وكما في قول الحطيئة:

دَعِ المكـــــارمِ لا تَرْحَـــــلْ لبُغْيَتِهــــا ... واقْعُـدْ فإنّـك أنـت الطَّـاعِمُ الكاسـي

مع قول الآخر:

ذَرِ المــــآثِرَ لا تَـــذْهَبْ لِمَطْلَبِهـــا ... واجْلِـسْ فإنـكَ أنـتَ الآكـلُ اللابـسُ

فالأول أبدل فيه البعض، والثاني أبدل فيه الكل .

وَأَخْــذُ بَعْــضِ اللَّفْــظِ بِالتَّغْيِـيرِ سَــمْ ... إِغَـــارَةً والْمَسْـــخَ ثُمَّ ذَا قُسِـــمْ

أشار بهذا الكلام إلى النوع الثاني من نوعي السرقة الظاهرة، يعنى أن أخذ القائل الثاني للمعنى كله مع بعض لفظه، بتغيير لنظم ذلك اللفظ، أو بدون تغييره، أو مع لفظه كله، بشرط أن يكون مع تغييره لنظم اللفظ عما كان عليه يسمى إغارة ومسخا، مأخوذ من الإغارة اللغوية التي هي نهب الأموال، ومن المسخ اللغوي الذي هو تحويل الصورة إلى أقبح منها، وهو ثلاثة أقسام ؛ لأن الثاني إما أن يكون أبلغ من الأول، أو دونه، أو مثله، وإليها أشار الناظم بقوله: **ثَمَّ ذَا** أي النوع المسمى بالإغارة

والمسخ قُسِمْ ثلاثةَ أقسام أشار إلى أولها بقوله:

فَــإنْ يَكُــنْ أَبْلَــغَ لاخْتِصَاصِــهِ   لِنُكْتَــةٍ فَامْدَحْــهُ لاقْتِصَاصِــهِ

أي فإن يكن القائل الثاني الآخذ للمعنى الذي قصد الأول كله ولفظه كله، مع تغيير النظم الأول أو بعض لفظه بدون تغيير أو معه أبلغ، أي فإن كان أبلغ من الأول لاختصاصه بنكتة أي بفضيلة كحسن السبك، أو الاختصار، أو الإيضاح، أو زيادة معنى، أو عذوبة لفظ، أو تمكين قافية، أو تتميم نقص، فامدحه في اقتصاصه أي اقتفائه القائل الأول وقصه أثره، ويسمى الإتباع كقول بشار بن برد:

مــن رَاقَــبَ النّــاس لَمْ يَظْفَــرْ بحاجَتِــهِ   وفــاز بالطَّيِّبــاتِ الفاتــكُ اللَّهِــجُ

راقب بمعنى حاذر، والفاتك الجريء، واللهج بالشيء الولوع به، أخذه راويتُه سَلْمٌ الْخَاسِرُ مولى أبي بكر الصديق ﷺ، فأغار عليه ومسخه فقال:

مَــنْ رَاقَــب النَّــاسَ مَــاتَ غَمًّــا   وفـــاز باللَّـــذَّةِ الجَسُـــورُ

فبيت سَلّم أخصرُ لفظا، لأنه ينقص بلفظتين، وأجودُ سبكا .

يحكى أن بشارا لما سمعه قال: ذهب والله ببيتي، فهو أخف منه وأعذب، وأشار إلى القسم الثاني من أقسام الإغارة والمسخ بقوله:

أَوْ دُونَهُ ذَمٌّ أيْ وإن كان قول القائل الثاني دون قول الأول في البلاغة، لنقصه عما تضمنه قول الأول من النكت الرائقة والمعاني الكثيرة الحسنة، فإنه يكون مذموما جدا كقول أبي تمام:

هَيهَـــــــاتَ لَا يأْتِي الزَّمَـــــــانُ   بمثلِـهِ [416] إنَّ الزَّمَـانَ بمثلِـهِ لَبَخَيـلُ

أخذه المتنبي فمسخه فقال:

أعــدى الزّمــان ســخاؤه فســخا بــه   ولقــد يكــون بــه الزّمــان بخــيلا

فالمصراع الثاني من بيت المتنبي مأخوذ من بيت أبي تمام من مصراعه الثاني، ومصراعه أجود سبكا لاستغنائه عن تأويل المضارع بالماضي ؛ لأن قول المتنبي: " ولقد يكون " بالمضارع لم يصب محله، إذ المعنى والمراد على الماضي أي ولقد كان، والمضي في مصراع أبي تمام مستفاد من الجملة الاسمية الدالة على الثبوت والدوام الشامل للماضي .

وإلى القسم الثالث من أقسام المسخ أشار الناظم بقوله:

. . ذَمٌّ وإِنْ تَسَـــــــــــاوَيَا   أَبْعَـــدُ عَـــنْ ذَمٍّ وفَضْـــلٌ بَادِيَا

أي وإن تساوى القائلان في البلاغة، بأن لم يزد أحدهما على الآخر فيها ولم ينقص عنه، فالقائل الثاني بعيد من الذم، لكنَّ فَضْلَ الأولِ عليه أبدى أي أبداه البلغاء في البلاغة وصرحوا به في كتبهم لسبقيته الثانيَ للمعنى .

قال ابن مالك: وهو بسبق حائز تفضيلا يعنى ابن معطي كقول أبي تمام:

لَـــوْ حـــارَ مُـــرْتادُ المَنِيَّـــةِ لمْ يَجِـــدْ   إلاّ الفَـــراق علـــى النُّفُـــوسِ دَلِـــيلاً

أي لو تحيرت المنية المرتادة لإهلاك النفوس، ولم يمكنها التوصل إليها لم تجد دليلا لها على ذلك إلا الفراق، أخذه المتنبي فمسخه فقال:

لـــولا مُفارقَـــةُ الأحبـــاب مـــا وجَـــدتْ   لهـــا المنـــايا إلى أرواحِنـــا سُـــبُلا

الضمير في لها عائد إلى المنايا، وهو في الأصل صفة لسبلا فلما قدم صار حالا، وقيل إنه جمع لهاة وأنه فاعل وجدت مضاف للمنايا، والمراد بها الأفواه، عبر عنها بها للمجاورة، فقد أخذ المعنى كله مع بعض الألفاظ كالمنية والفراق والوجدان، وبدل بالنفوس الأرواح، ومحل سلامة هذا النوع من الذم إذا لم يدل دليل على السرقة باتفاق الوزن والقافية، وإلا ذم .

وأشار إلى النوع الثالث من أنواع السرقة الظاهرة بقوله:

أَوْ أُخِـــذَ الْمَعْـــنَى فَقَـــطْ فَإِلْمَـــامْ   والسَّـــــــــــــــلْخُ .

يعنى أن القائل الثاني إذا أخذ المعنى المقصود للأول فقط أي دون أخذ شيء من اللفظ، فإن أخذه يسمى إلماما وسلخا، أصل الإلمام النزول بالمنزل ثم أطلق على مطلق القصد، ووجه المناسبة هنا أنه إذا أخذ المعنى فقد قصده وكأنه نزل به قاله ياسين .

والسلخ كشط الجلد عن الشاة، واللفظ للمعنى كالجلد للحم فكأنه كشط من المعنى جلدا وألبسه جلدا آخر، **وهُوَ** أيْ الإلمامُ والسَّلخُ **ذُو الثَّلاثَةِ الأَقْسَامْ** المعهودة آنفا أي المتقدمة قريبا تحت النوع المسمى بالإغارة والمسخ أي ينقسم إليها هو أيضا ؛ لأن القائل الثاني إما أن يكون أبلغ من الأول بسبب اختصاصه بنكت مقبولة كقول أبي تمام:

هُـوَ الصُّـنْعُ ؛ إِنْ يَعْجَـلْ فَخَـيْرٌ، وإِنْ يَـرِثْ فَلَلرَّيْـثُ فِيْ بَعْـضِ الْمَوَاضِـعِ أَنْفَـعُ[1]

أخذه المتنبي فألم به وسلخه فقال:

وَمِـــنَ الْخَـــيْرِ بُـــطْءُ سَـــيْبِكَ عَـــنِّي أَسْـرَعُ السُّـحْبِ فِي الْمَسِـيرِ الْجَهَـامُ

بالفتح السحاب الذي لا ماء فيه، فالبيت الثاني أبلغ من الأول لما فيه من زيادة بيان المقصود .

قال في المثل السائر: " وذلك أن يؤخذ المعنى فيضرب له مثال يوضحه، وهذا من أحسن الإتباع لا سرقة فيه، وإما أن يكون دون الأول في البلاغة وهو مذموم[417] وسرقة "[2]

كقول البحتري:

وَإِذَا تَأَلَّـــقَ فِي النَّـــدِيِّ كَلَامُـــهُ الْ مَصْـقُوْلُ ؛ خِلْـتَ لِسَـانَهُ مِـنْ عَضْـبِهِ[3]

الندى كغنى المجلس، والمراد بالمصقول المنقح من الالتباس والتخليط، أخذه المتنبي فألم به وسلخه فقال:

كَـــأَنَّ أَلْسُـنَهُمْ فِي النُّطْـقِ قَـدْ جُعِلَـتْ عَلَـى رِمَـاحِهِمْ فِي الطَّعْـنِ خُرْصَـانَا

جمع خرص مثلث، وخرصان الرماح أسنتها، يعنى أن ألسنتهم عند النطق في المضاء كألسنتهم عند الطعن، فبيت المتنبي دون بيت البحتري لأنه فاته ما أفاده الأول بلفظتي تألق والمصقول من الاستعارة التخييلية حيث أثبتهما للكلام، والمصقالة في الأصل إزالة الصدى من الحديدة، والتخييلية تلزمها الاستعارة[339] بالكناية، وهي تشبيه كلامه بالسيف .

وإما أن يكون مساويا له في البلاغة، والمعنى كقول أبي زياد الأعرابي:

ولم يـــكُ أكثـــرَ الفتيـــانِ مـــالاً ولكـــن كـــانَ أرحـــبَهم ذِراعـــا

يقال: فلان رحْبُ الذراع والباع ورحيبهما أي سخيٌّ .

أخذه أشجع يمدح جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي فقال:

وَلَـــيْسَ بِأَوْسَـــعِهِمْ فِي الغِـــنَى ولكِـــنَّ مَعْرُوفَـــهُ أَوْسَـــعُ

فبيته مساو لبيت زياد في المعنى والبلاغة، وهذا النوع سالم من الذم مع أن الفضل للأول .

---

(1) – ديوان أبي تمام م س ج2 ص332

(2) – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد م س ج2 ص371

(3) – ديوان البحتري م س ج1 ص164

ثم أشار إلى القسم الثاني من قسمي السرقة وهو الأخذ الخفي بقوله:

وَغَـــيْرُ ذِي الظُّهُـــورِ كَالتَّشَـــابُهِ فِي المَعْنَيَــيْنِ حِــينَ قَــدْ أَتَــى بِــه

يعنى أن الأخذ غير ذي الظهور أي الخفي، له أنواع كثيرة، كالتشابه بين المعنيين أي بيت الأول وبيت الثاني، حين أتى الثاني بشبه المعنى الأول، بأن يكون أحدهما نسيبا والآخر مديحا أو هجاء أو افتخارا أو غير ذلك .

قال في المثل السائر في تعريفه: " وهو أن يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه ولا يكون إياه، وهذا من أدق السرقات مذهبا وأحسنها صورة، ولا يأتي إلا قليلا "[1]

كقول أبي تمام في جمل:

رَعَتْـــهُ ٱلْفَيَـــافِي بَعْـــدَمَا كَـــانَ حِقْبَـــةً رَعَاهَـــا ومَـــاءُ الـــرَّوْضِ يَنْهَـــلُّ سَـــاكِبُهْ

أخذ البحتري هذا المعني واستخرج منه ما يشابهه فقال:

شـــيخانِ قـــد ثَقُـــل السّـــلاحُ عليهمـــا وعـــداهُما رأيُ السّـــميع المبصـــر

ركبـــا القنـــا مـــن بعـــدِ مـــا حَمَـــلا القنـــا في عســـكرٍ متحامـــلٍ في عســـكر

فأبو تمام ذكر أن الجمل رعي الأرض، ثم سار فيها فرعته، أي أهزلته، فكأنها فعلت به مثل ما فعل بها، والبحتري نقل هذا المعنى إلى وصف الرجل بعلو السن والهرم، فقال إنه كان يحمل الرمح في القتال، ثم صار يركب عليه أي يتوكأ عليه كما يفعله الشيوخ انتهى من فيض الفتاح .[2]

أَوْ لِمَحَـــلٍّ آخَـــرٍ قَـــدْ نُقِـــلا

الألف في نقل للإطلاق، نائبه ضمير مستتر عائد إلى المعنى الأول المفهوم من المقام، يعنى أن من خَفِيِّ السرقة أن ينقل القائلُ الثاني المعنى من محله الأول إلى غيره، ابتدعه هو بفكره كقول البحتري:

سُـــلِبوا وأشـــرقَتِ الـــدماءُ علـــيهِمُ محمـــرَّةً فكـــأنّهم لم يُســـلَبوا[3]

أي سلبت ثيابهم لأنهم قتلوا فصارت الدماء كالثياب، فكأن ثيابهم لم تنزع عنهم .

(1) - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير الكاتب، م س ت محيي الدين عبد الحميد ج2 ص353

(2) - فيض الفتاح م س ج2 ص320

(3) - ديوان البحتري م س ج2 ص189

أخذه المتنبي فقال يصف سيفا:

يـــبسَ النّجيـــعُ عليـــه وهُـــو مجـــرّدٌ　　　مـــن غِمـــدِه فكأنّمـــا هـــو مُغمَـــدُ

نقل المعنى من القتلى إلى السيف، وهذا النوع يسمى التوليد .

قوله **أَوْ لِنَقِيضٍ** معطوف على الضمير في قوله نقل، أي أو نقل المعنى من محله الأول إلى محل آخر بنفسه، أو نقل نقيض المعنى الأول أي نقله [418] القائل الثاني .

قال في فيض الفتاح: " وهذا النوع يسمى القلب، وهو أن يكون المعنى الثاني مقابلا للأول بالتضاد أو التناقض . "[1]

قال في المثل السائر: " وذلك حسن يكاد يخرجه حسنه عن حد السرقة، فمن ذلك قول أبي نواس:

قـــالوا عشـــقتَ صـــغيرةً فـــأجبتهم　　　خـــيرُ المطـــي لـــديَّ مـــا لمْ يُركـــب

كـــم بـــينَ حبـــةِ لؤلـــؤٍ مثقوبـــةٍ　　　لبســـتْ وحبـــةِ لؤلـــؤٍ لم تثقـــب(2)

وقال مسلم بن الوليد في ضد ذلك:

إن المطيـــــة لا يَلَـــــذُّ ركوبُهـــــا　　　مـــا لم تـــذلَّل بالزمـــام وتركـــبِ

والـــدرُّ لـــيس بنـــافعٍ أصـــحابَه　　　حـــتى يؤلَّـــفَ للنظـــام بمثقـــب "[3]

وقال أبو تمام:

ولـــولا خِـــلَالٌ سَـــنَّها الشِّـــعْرُ مـــا دري　　　بُغَـــاةُ العُـــلا مـــن أيـــن تُـــؤْتَى المَكـــارِمُ

أخذه ابن الأثير فقال في نقيضه:

لَـــولَا الكِـــرامُ ومَـــا سَـــنّوهُ مِـــنْ كَـــرَمٍ　　　لَمْ يَـــدْرِ قائـــلُ شِـــعرٍ كيْـــفَ يمتَـــدِحُ

الكاف في قوله كنقيض اسم بمعنى مثل معطوفة على الضمير المستتر في نقلا، وأدخلت الضد مع

---

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص321

(2) - في الأغاني والمنتظم أن هذا البيت أيضًا من قول أبي دُلف العجلي. وفيها أن فضلًا أجابت:

في الأغاني والمنتظم أن هذا البيت أيضًا من قول أبي دُلف العجلي. وفيها أن فضلًا أجابت:

إن المطيـــــة لا يَلَـــــذُّ ركوبُهـــــا　　　مـــا لم تـــذلَّل بالزمـــام وتركـــبِ

والـــدرُّ لـــيس بنـــافعِ أصـــحابَه　　　حـــتى يؤلَّـــفَ للنظـــام بمثقـــب

(3) - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد، م س ج2 ص359

النقيض .

. . أَوْ يَكُـــــونُ أَشْمَـــــــلا

يعنى أن من خفي السرقة أن يكون المعنى الثاني الذي هو مقول القائل الثاني أشمل من المعنى الأول الذي هو مقول الأول، وكذلك إذا كان أخص، وهما من السرقة التي يسامح صاحبها، وجعل الثاني أشمل من الأول يشمل صورتين:

الأولى: أن يكون الثاني أعم كقول جرير:

إذا غضِـــبَتْ عليْـــكَ بَنـــو تَمـــيمٍ   وجَـــدْتَ النّـــاسَ كلَّهُـــمُ غِضَـــابَا

أي لأنهم يقومون مقام الناس كلهم، أخذه أبو نواس فأتى بما هو أعم منه فقال:

لَـــــيْس مِـــــنَ الله بمســـــتَنْكَرٍ   أنْ يَجْمَـــعَ العَـــالَمَ في واحِـــدِ

فجدير جعل الناس كلهم بنو تميم، وأبو نواس جعل العالم في هارون الرشيد، فالثاني أحسن لتلك الزيادة .

الثانية: أن يؤخذ المعنى فيزاد عليه معنى آخر كقول ابن مسلمة:

أَذُلَّ الحَيَـــــاةِ وعِـــــزَّ المَمَـــــاتِ   وكُـــلًّا أَرَاهُ طعَامًـــا وبِـــيْلَا

فَـــإنْ لَمْ يَكُـــنْ غَـــيْرُ إحْـــدَاهُمَا   فَسَـــيْرًا إِلَى المَـــوْتِ سَـــيْرًا جَمِـــيْلَا

أخذه أبو تمام فزاد عليه معنى آخر فقال:

مثّـــل المـــوت بـــين عينيـــه وال   ذّلّ وكـــلّا رآه خطبـــا عظيمـــا

ثمّ ســـارت بـــه الحميّـــة قُـــدْماً   فأمـــات الْعِـــدا ومـــات كَرِيمـــا

زاد عليه فأمات العدي ومات كريما انتهى .

الألف في قوله أشملا لإطلاق القافية، وجملة أو يكون أشملا معطوفة على جملة أو لمحل آخر قد نقلا .

أَوْ أَخَـــذَ الْـــبَعْضَ وزَادَ حُسْـــنَا

يعنى من السرقة الخفية أن يأخذ القائل الثاني بعض المعنى المقابل أي المأخوذ منه ويضيف إليه ما يحسنه كقول الأفوه:

وَتَـــرى الطَّـــيرَ عَلـــى آثارِنا   رَأيَ عَـــينٍ ثِقَـــةً أن سَـــتُمارُ

أي ستطعم من لحوم من يقتل، أخذ بعض معناه أبو تمام فقال:

وقــد ظُلِّلَــتْ عِقبــانُ أعلامِــه ضُــحًى ... بعِقبــانِ طَــيْرٍ في الــدّماءِ نواهِــلِ

أقامــتْ مــعَ [419] الــرّاياتِ حــتى كأنّهــا ... مــنَ الجَــيش إلا أنّهــا لمْ تُقاتِــلِ

الْعِقبان بالكسر جمع عُقاب بالضم، وهو الْعَلَمُ الضخم، شبهه بعقاب الطير، قاله في الصحاح .

فإن أبا تمام لم يأخذ قول الأفوه ثقة أن ستمار، وقول التلخيص إنه لم يأخذ قوله رأي عين تعقبه الفنري بأنه أخذه بقوله: حتى كأنها من الجيش إذا كانت قريبة محيطة بهم، لكن زاد على الأفوه زيادة محسنة لبعض المعنى الذي أخذه، وهو تساير الطير على آثارهم بحيث ترى، والزيادة هي قوله: إلا أنها لم تقاتل .

قوله في الدماء نواهل، قوله أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش، وبهذا يتم حسن قوله إلا أنها لم تقاتل، لأنه لا يحسن الاستثناء إلا بعد أن تجعل مقيمة مع الرايات معدودة مع الجيش حتى يتوهم أنها من المقاتلين .

قوله: أو أخذ البعض معطوف على جملة أو يكون أشملا .

وكُــلُّ ذَا يُقْبَــلُ حَيْــثُ عَنَّــا

يعنى أن كل ما ذكر من الأنواع الخمسة من السرقة الخفية مقبول حيث عنَّ أي عرض، ومعنى قبوله أنه معدود من البديع، لما فيه من لطيف التصرف .

قوله: ذا إشارة إلى أنواع السرقة الخفية، والألف في عنا لإطلاق القافية .

بَــلْ رُبَّمَــا أَحْسَــنَ فِي التَّصَــرُّفِ ... فَصَــارَ كَالْمُبْــدِعِ لا كَــالْمُقْتَفِي

أي بل ربما أحسن القائل الثاني المستخرج للمعنى المقصود له من المعنى المقصود للأول في تصرفه في المعنى الأول في استخراجه أي المتبع لغيره فيه .

الضمير في قوله أحسن عائد إلى القائل الثاني المفهوم من المقام، وكذا في صار .

وَكُلَّمَــا كَــانَ أَشَــدَّ فِي الْخَفَــا ... فَهْــوَ إِلَى الْقَبُــولِ أَقْــرَبُ اقْتِفَــا

يعنى أن كل ما كان من أنواع السرقة الخفية أشد في الخفا، فإنه أقرب في الاقتفاء إلى القبول والابتداع، لكونه بعد عن الأخذ والسرقة .

قال في المثل السائر: " والأصل المعتمد عليه في هذا الباب التورية والاختفاء بحيث يكون ذلك أخفى من سفاد الغراب، وأظرف من عنقاء مغرب في الإغراب "[1]

قوله: اقتفا بالقصر لضرورة الوزن منصوب على التمييز .

هَــــذَا إِذَا يُعْلَــــمُ أَنَّ الثَّــــانِي قَـــدِ اقْتَفَـــى الأَوَّلَ فِي الْمَعَــــانِي

يعنى أن هذا الذي ذكرنا في السرقة، من تقسيمها إلى ظاهرة وخفية، وإعطاء السبق لواحد وإتباع الثاني له، ومن كونه مقبولا أو مردودا، ومن تسمية كل نوع من الأنواع المذكورة تحت الظاهرة والخفية باسمه الخاص به، وتحديده بحده المعروف له، وغير ذلك من كل ما سبق بيانه، إنما يكون إذا علم أن القائل الثاني قد اقتفي أي اتبع القائل الأول في المعاني التي قصد واخترع، وأخذ من قوله بأن يعلم أنه يحفظ الأول حين نظمه أو يخبر هو عن نفسه بذلك، وإلا فلا يحكم بسبق واحد، واتباع الآخر له فلا تترتب عليه الأحكام المذكورة، والأصل الابتداع .

إِذْ جَــازَ أَنْ يَكُــونَ مِــنْ تَــوَارُدِ الْخَـــاطِرَيْنِ لا بِقَصْــــدٍ وارِدِ

أي لأجل أنه يجوز أن يكون اتفاق القائلين المذكورين قبل ليس أخذا ولا سرقة، بل هو من توارد الخاطرين على معنى واحد من غير قصد من القائل الثاني لأن يأخذ قول الأول .

قال في فيض الفتاح: " وهذا يسمى المواردة ووقوع الحافر على الحافر، وهو نوعان:

الأول: ما يجتمع فيه اللفظ والمعنى كما أنشده ابن ميادة لنفسه:

مفيـــدٌ ومـــتلافٌ إذَا مَـــا أَتَيْتُـــهُ تَهَلَّـــلَ واهتـــزَّ اهتـــزازَ الْمُهنَّـــد

فقيل له هذا للحطيئة، فقال: الآن علمت أني شاعر إذ وافقته ولم أسمعه .

والثاني: ما ينفرد فيه المعنى، قال الثعالبي: اتفق لي أن قلت:

إنســـــــــــانةٌ فتَّانـــــــــــةٌ بـــدرُ الـــدجى منهـــا خجـــلْ
إذا زنـــــت عَيْـــــني بِهَـــــا فبالـــــدموع تَغْتَسِـــــلْ

وظننت أني لم أسبق إليه حتى سمعت قول أبي الفرج بن هند:

يقولـــون لي مـــا بالُ عَيْنِـــك مُـــذ رأتْ محَاسِـــنَ هـــذا الظَّـــبْيِ أدْمُعُهـــا هُطَّـــلُ

(1) - المثل السائر لابن الأثير، م س ج2 ص342

فقلــتُ زَنَــتْ عيـــني بطَلْعـــةِ وجهِـــه فكـان لهـا مِـن صَـوْبِ أدْمُعِهـا غُسْـلُ

فصح عندي توارد الخواطر ."[1][420]

قلت: وفى ما قاله في فيض الفتاح نظر، حيث جعل توارد الخواطر إنما يجرى في نوعين:

الموافقة في اللفظ والمعنى جميعا، والموافقة في المعنى فقط، بل الظاهر عندي أنه يجرى في جميع الأنواع التي ذكرنا تحت قسمي السرقة الظاهرة والخفية، والله أعلم وهو الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب .

وَإذا كان لا يُحكم بالأخذ **عِنْدَ فَقْدِ العِلْمِ** بالإتباع أي اقتفاء الثاني للأول وحفظه لقوله **فـَقُلْ** أيها الحاكي لقولهما الذي اتفقا عليه **قالَ** فلانٌ **كَذَا** كناية عن المقول الذي اتفقا عليه من شعر **وغَيْرُهُ** وهو فلان **سَبَقَهُ** إلى هذا القول، **أَوْ نَحْوَ ذَا** من الكلام المقتضي لحسن الظن بالقائل الثاني والتحرز من الكذب، لتغتنم بذلك فضيلة الصدق وتسلم من نسبة النقص إلى الغير بلا بينة .

فصل فيما يتصل بالسرقات

مِنْ ذَاكَ: أي مما يتصل بالسرقات من أنواع البديع **الإقْتِبَاسُ** أي نوع يسمى الاقتباس، وهو في الاصطلاح **أَنْ يُضَمِّنَا** المتكلم تركيبا **مِنَ الْقُرَانِ والْحَدِيثِ** أي بعض القرآن أو الحديث **مَا عَنَى** أيْ ما قصد من الكلام، أي يضمن كلامه الذي قصد تركيبا من القرآن أو الحديث **عَلَى طَرِيقٍ** أي على وجه يشعر بأنه أي التركيب المضمن بالفتح **لَيْسَ مِنْهُ** أيْ ليس من القرآن أو الحديث، بل من كلامه أي **الْمُضَمِّنُ** بالكسر من شاعر أو خطيب بأن لا يقول: قال الله كذا أو قال رسول الله ﷺ كذا، لأنه حينئذ لا يكون اقتباسا، وهو يكون في النثر والنظم .

مثاله من الحديث في النثر **مِثْلُ مَا** .. **قَالَ الْحَرِيرِيُّ** أي كقول الحريري في مقاماته **ولَمَّا دُهِمَا** أيْ أفجا الأمر الْمُخوِّف:

قُلْنَـــا جَمِيعًـــا شَـــاهَتِ الْوُجُـــوهُ وقُـــبِّحَ اللُّكَّـــعُ ومَـــنْ يَرْجُـــوهُ

اقتبس قوله ﷺ يوم حنين وقد رمى الكفار بكف من الحصباء: ((**شَاهَتِ الْوُجُوهُ**)) رواه مسلم،

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص328

[1] فتضمنه في كلامه ولم يبين أنه من كلام رسول الله ﷺ، بل أتى به على وجه يشعر بأنه من كلامه هو بنفسه .

ومثاله من القرآن في النثر قول الحريري: " فَلَمْ يَكُ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ، حَتَّى أَنْشَدَ فَأَغْرَبَ " وقول ابنِ نباتة في خطبته: " فَيَا أَيُّهَا الْغَفَلَةُ الْمُطْرِقُونَ، أَمَا أَنْتُمْ بِهَذَا الْحَدِيثِ مُصَدِّقُونَ، مَا لَكُمْ لَا تُشْفِقُونَ **﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ والأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ 23﴾**[2] "

ومثالُه من الحديث في النظم قولُه:

دمُ الشهيد يحكي ... ورداً نجدا لتركي
اللونُ لَوْنُ دمٍ ... والريحُ ريحُ مِسكِ

اقتبس قولَه ﷺ في وصفِ الشهيد أنه ((**يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وجُرْحُهُ يدْمِي اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ والرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ**)) [3]

وقول أبي جعفر الغرناطي:

لا تُعادِ الناسَ في أوطانهمُ ... قَلَّ ما يُرعى غَريبُ الوطنِ
وإذا ما عشتَ عيشاً بينهم ... خالقِ الناسَ بخلقٍ حَسَنِ

اقتبس قوله ﷺ لأبي ذر: ((**اتَّقِ اللهَ حَيْثُ مَا كُنْتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**)) رواه الترمذي[4] .

ومثاله من القرآن في النظم قوله:

إِنْ كُنْتِ أَزْمَعْتِ عَلَى هَجْرِنَا ... مِنْ غَيْرِ مَا جُرْمٍ فَصَبْرٌ جَمِيلْ
وَإِنْ تَبَدَّلْتِ بِنَا غَيْرَنَا ... فَحَسْبُنَا اللّهُ ونِعْمَ الْوَكِيلْ

وقول الناظم:

---

(1) – صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، الحديث رقم 1777 ج3 ص1402

(2) – سورة الذاريات، الآية: 23

(3) – موطأ الإمام مالك، كتاب الجهاد، باب الشهداء في سبيل الله، الحديث رقم 29 ج2 ص461 ت عبد الباقي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان

(4) – سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، الحديث رقم 1987 ج4 ص355

عــــابَ الامْـــــلاءَ للْحـــــديثِ رجــــالٌ   قدْ سَعوْا في الضّلالِ [421] سَعْيا حَثيثا
إنّمــــا ينكـــــرُ الأمــــالي قـــــومٌ   لا يكـــادون يفقهـــون حـــديثا

قوله: اللكْع بسكون الكاف لضرورة الوزن أصله اللُّكَع بفتح الكاف وضم اللام، وهو اللئيم وقبح بتشديد الباء، ثم أشار إلى أن الاقتباس على قسمين بقوله:

فَمِنْــــهُ مَـــا لَمْ يَنْقِـــلِ الْمُقْتَـــبِسُ   مِــنْ أَصْــلِهِ ومِنْــهُ مَــا قَــدْ يَعْكِــسُ

يعنى أن الاقتباس على قسمين:

ـ منه ما لم ينقله المتكلم المقتبس المضمن له في شعره أو خطبته من أصله، أي من معناه الأصلي، بأن أبقاه على معناه الأصلي كما تقدم من الأمثلة .

ـ **ومِنْهُ مَا قَدْ يَعْكِسُ** أيْ ومنه ما قد عكس أي نقل من معناه الأصلي إلى معنى سواه

كقول ابن الرومي:

لَــــئِنْ أَخْطَـــــأْتُ فِيْ مَـــــدْحِك   فَمَــــا أَخْطَـــأْتَ فِيْ مَنْعِــــي
لَقَــــدْ أَنْزَلْـــــتُ حَاجَـــــاتِي   بِــــــوَادٍ غَــــيْرِ ذِي زَرْعِ

نقل الآية عن معناها الأصلي ؛ لأن معناها في القرآن بواد لا نبات فيه ولا ماء، فنقلها إلى معنى آخر، وهو بجناب لا خير فيه ولا نفع .

وَرُبَّمَـــا غَـــيَّرَ لِلْـــوَزْنِ فَـــلا   يَضُــــــــــــــــرُّهُ .

يعنى أن اللفظ المقتبس الأصل فيه أن يبقى على لفظه الأصلي بلا تغيير، وربما غير لفظة تغييرا يسيرا فلا يضره، لكونه لم يغير معناه .

. . كَقَـــوْلِ بَعْــضِ مَـــنْ خَـــلا

أي كقول بعض من تقدم من المغاربة:

قَــدْ كَــانَ مَــا قَــدْ خِفْــتُ أَنْ يَكُــونَا   إِنَّا إِلَى الإِلَـــــهِ رَاجِعُـــــونَا

اقتبس قول الله ﷻ: ﴿**إِنَّا لِلهِ وإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ** 155﴾[1]وغير اللفظ تغييرا يسيرا لا يضر بالمعنى .

ثم أشار رحمه الله تعالى إلى حكم الاقتباس في الشرع بقوله:

قُلْــتُ وأَمَّــا حُكْمُــهُ فِي الشَّــرْعِ   فَمَــا لَــكَ مُشَــدِّدٌ فِي الْمَنْــع

(1) – سورة البقرة، الآية: 156

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: وأما حكم الاقتباس ففيه الخلاف بين العلماء على ثلاثة مذاهب: المنع مطلقا، والجواز مطلقا، والتفصيل بين أن يكون في النثر الوعظ فيجوز، وبين أن يكون في غيره فيمنع .

وأشار إلى القول بالمنع بقوله: فمالك مشدد في المنع، أي في تحريم الاقتباس قائلا: إن فيه سوء أدب مع الله ورسوله، والمالكية يبالغون في تحريمه ويشددون النكير على فاعله حتى حكي عن بعضهم أنه قال: إنه كفر لما سئل عنه .

وذكر الناظم في شرحه " أنه سأل عنه قاضي القضاة محيى الدين بن أبي القاسم الأنصاري عالم الحجاز، وأنشده قول الشهاب الحجازي:

مـــات ابـــنُ موســـى وهـــو بَحْـــرٌ كامـــلٌ   فهنـــاكم جمْـــعُ الملائـــكُ مُشْـــترك
يأتـــــيكم التـــــابوت فيـــــه ســـــكينة   مـــــن ربِّكـــم وبقيـــةٌ ممـــا تـــركْ

وقال له ما تقولون في هذا ؟ فقال له: هذا عندنا كفر . "[1]

وَلَيْسَ فِيهِ عِنْدَنَا معاشر الشافعية لأن الناظم ﵁ كان شافعيا **صَرَاحَهْ** أي نصا صريحا دالا دلالة قطعية على جوازه أو على تحريمه، **لَكِنَّهُ** قد ثبت عندنا في جوازه الأدلة غير القطعية أي الظنية، فقد ذكر الناظم أن في حفظه من كتاب الشعر للشيخ علاء الدين بن العطار أنه نقل فيه عن شيخه الشيخ محيى الدين **يَحْيَى النَّوَوِي** أنه **أَبَاحَهْ** أيْ أجازه **فِي النَّثْرِ وعْظًا دُونَ نَظْمٍ مُطْلَقَا** أيْ في خطب النثر حال كونه وعظا دون النظم مطلقا، أي منعه في النظم مطلقا أي سواء كان وعظا أو غيره .

وَالشَّرَفُ إسماعيل **الْمُقْرِيُّ** اليمني **فِيهِ حَقَّقَا** أيْ حقق وأثبت فيه أي في الاقتباس، فالضمير المجرور بفي عائد إلى الاقتباس، والألف في حقق لإطلاق القافية، [422] **جَوَازَهُ** أي الاقتباس ونصره، إذ الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي[2] الجليل، أي الجليل المرتبة في العلم،

(1) - شرح عقود الجمان للسيوطي م س ص168

(2) - عبد القاهر بن طَاهِر بن مُحَمَّد التَّمِيمِي الإِمَام الْكَبِير الْأُسْتَاذ أَبُو مَنْصُور الْبَغْدَادِيّ إِمَام عَظِيم الْقدر، جليل الْمحل، كثير الْعلم، حبر لَا يساجل فِي الْفِقْه وأصوله والفرائض والحساب وعلم الْكَلَام. اشْتهر اسْمه وبعد صيته وحمل عَنهُ الْعلم أَكثر أهل خُرَاسَان.. وَكَانَ يدرس فِي سَبْعَة عشر فَنًّا وله حشمة وافرة، مَاتَ سنة»42 هـ

وهو من كبار الشافعية وأجلائهم، قد شعر واقتبس من القرآن في شعره فقال:

يَا مــــن عَـــــدا ثمَّ اعْتـــــدى ثمَّ اقْـــتَرَف ثمَّ انْتهـــــى ثمَّ ارْعَـــــوَى ثمَّ اعْـــتَرَفْ
أبشــــــرْ بقـــــولِ اللّٰه فِي آيَاتِـــــــه ﴿إِن يَنتَهُواْ يُغْفَـرْ لَهُـم مَّـا قَـدْ سَـلَفَ﴾

ذكر هذا كله تاج الدين السبكي في الطبقات في ترجمة الإمام أبي منصور التميمي، وقال استعمالُ مثلِ **فِي شِعْرِ الزُّهْدِ** وخُطبهِ و**شِعْر الْوَعْظِ** وخُطَبِهِ وفِي شِعْر **مَدْحِ النَّبِي وَلَوْ بِنَظْمٍ** أيْ ولو في النظم في جميع ما تقدم، وذكر أنه ممنوع ومردود في غير ما ذكر **فَاقْتَفِي** أي اتَّبِعْ أيها الْمُقتبسُ مَذهبَه .

وتاجُنَا يعنى معاشر العلماء، وهو أيْ الناظم من أجلهم، يعنى تاج الدين **السُّبْكِي** ذكر في الطبقات **جَوَازَهُ** أي الاقتباس و**نَصَرَهُ إِذِ** الإمامُ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر **التَّمِيمِيُّ الْجَلِيلُ** أي الجليل المرتبة في العلم وهو من كبار الشافعية **قَدْ شَعَرْ** واقتبس من القرآن في شعره فقال:

يَا مــــن عَـــــدا ثمَّ اعْتـــــدى ثمَّ اقْـــتَرَف ثمَّ انْتهـــــى ثمَّ ارْعَـــــوَى ثمَّ اعْـــتَرَفْ
أبشــــــرْ بقـــــولِ اللّٰه فِي آيَاتِـــــــه ﴿إِن يَنتَهُواْ يُغْفَـرْ لَهُـم مَّـا قَـدْ سَـلَفَ﴾

ذكر هذا كله تاج الدين السبكي في الطبقات في ترجمة الإمام أبي منصور التميمي، وقال: فِي اسْتِعْمَال مثل الْأُسْتَاذ أبي مَنْصُور مثل هَذَا الاقتباس فِي شعره فَائِدَة فَإِنَّهُ جَليلُ الْقَدْرِ .

قلتُ: ما قاله أبو منصور ليس باقتباس في اصطلاحهم، لنسبته للآية إلى الله حيث قال: أبشر بقول الله .

وَقَـــــدْ رَأَيْـــــتُ الرَّافِعِــــيَّ اسْـــــتَعْمَلَهْ وغَــــيْرُهُ مِــــنْ صُــــلَحَاءَ كَمَلَــــهْ

أي قال الناظم إنه رأى الإمام أبا القاسم الرافعي[1] من أجلاء أئمة مذهب الشافعية علما ودينا استعمل الاقتباس في شعره وأنشده في أماليه، رواه عنه الأئمة الأجلاء فقال:

انظر «طبقات الشافعية الكبرى للسبكي» ج5 ص139، ت الدكتوران محمود محمد الطّنّاحي وع الفتاح محمد الحلو، ط2 دار هجر للطباعة والنشر.

(1) – عبد الْكَرِيم بن مُحَمَّد بن عبد الْكَرِيم بن الْفضل بن الْحسن الْقزْوِينِي الإِمَام الْجَلِيل أَبُو الْقَاسِم الرَّافِعِيّ صَاحب الشَّرْح الْكَبِير الْمُسَمّى ب الْعَزِيز، وله كتاب الإيجاز فِي أخطار الْحجاز، كَانَ الإِمَام الرَّافِعِيّ متضلعا من عُلُوم الشَّرِيعَة تَفْسِيرا وحديثا وأصولا، وكَانَ رَحمَه الله ورعا زاهدا تقيا نقيا طَاهِر الذيل مراقبا لله، قَالَ عنه ابْن الصّلاح أَظن أَنِّي لم أر فِي بِلَاد الْعَجم مثله، وقال السبكي معلقا: قلت لَا شكّ فِي ذَلِك، وقَالَ النَّوَوِيّ الرَّافِعِيّ من الصَّالِحين المتمكنين كَانَت لَهُ كرامات كَثِيرَة=توفي 623 هـ انظر طبقات الشافعية الكبري م س ج8 ص284.

الملـــك لله الـــذي عنـــت الوجـــوه ... لـــه وذلـــت عنـــده الأرباب
متفـــرد بالملـــك والســـلطان قـــد ... خســـر الـــذين تجـــاذبوه وخـــابوا
دعهـــم وزعـــم الملـــك يـــوم غـــرورهم ... فســـيعلمون غـــدا مـــن الكـــذاب

قوله: وغيره إلخ يعنى أنه رأى غير الرافعي من الصلحاء الكاملين في العلم والورع استعمل الاقتباس في الشعر كأحمد بن محمد بن يزيد، والشيخ شيخ الشيوخ الحموي، والشيخ زين الدين بن الوردي، والشيخ أبي الفضل بن حجر، وذكر الشيخ الشريف تقي الدين الحسني أنه نظم قوله:

مَجَـــازٌ حَقِيقَتُهَـــا فَـــاعْبُرُوا ... وَلَا تَعْمُـــرُوا هَوِّنُوهَـــا تَهُـــنْ
وَمَـــا حُسْـــنُ بَيْـــتٍ لَـــهُ زُخْـــرُفٌ ... تَـــرَاهُ إِذَا زُلْزِلَـــتْ لَمْ يَكُـــنْ

ثم توقف، لكونه استعمل هذه الألفاظ القرآنية في الشعر فجاء إلى شيخ الإسلام تقي الدين بن دقيق العيد ليسأله عن ذلك فأنشده إياهما فقال له: قل وما حسن كهف، فقال له: يا سيدي أفدتني وأفتيتني .

وفى شرح بديعية ابن حجر: أن الاقتباس ثلاثة أقسام: مقبول ومباح ومردود .

فالأول: ما كان في الخطب والمواعظ والعهود .

والثاني: ما كان في الغزل والرسائل والقصص .

والثالث على ضربين:

أحدهما: ما نسبه الله إلى نفسه، ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه كما قيل عن أحد ملوك بني أمية [423] أنه وقع على مطالعة فيها شكاية عماله فقال: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ 25 ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمٞ 26﴾[1]

والثاني: تضمين آية في معنى هزل، ونعوذ بالله من ذلك أيضا كقوله:

أَوْحَـــــى إِلَى عُشَّـــاقِهِ طَرْفَـــهُ ... هَيْهَـــاتَ هَيْهَـــاتَ لِمَـــا تُوعَـــدُونَ
وَرِدْفُـــهُ يَنْطِـــقُ مِـــنْ خَلْفِـــهِ ... لِمِثْـــلِ ذَا فَلْيَعْمَـــلِ الْعَـــامِلُونَ

انتهى قاله الناظم في شرحه .[2]

(1) – سورة الغاشية، الآية: 25.26

(2) – شرح عقود الجمان للسيوطي م س ص169

تنبـيه

قال في فيض الفتاح: " تنبيه في مختصر الوقار، ولا يُتمثل بالقرآن نحو ﴿وَأَخْرَجَتِ الْارض أَثْقَالَهَا 2﴾[1]، الصواب جوازه في النثر بشرط أن يورد لا على أنه من القرآن، ولم يخرج القرآن إلى معنى لا يليق به من الخلاعة وأوصاف النساء ونحو ذلك .

قال بهاء الدين السبكي في عروس الأفراح: لو أخذ مرادا به القرآن لكان ذلك من أقبح القبائح ومن عظيم المعاصي، وأما إذا استعمل على ما فيه إخلال بجلالته وتعظيمه فقد قال الحطاب في حواشيه على رسالة ابن أبي زيد: لا يشك مسلم في منع ذلك وتحريمه، وربما أدى ذلك إلى الكفر أعاذنا الله منه .

واحتجوا لجوازه في النثر بقوله ﷺ: ((إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ)) [2]

قال ابن عبد البر في هذا الحديث إباحة الاستشهاد بالقرآن فيما يحسن ويحمد . "[3]

قلتُ: ففي الاستدلال على إباحة الاقتباس بقوله ﷺ: ((إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا إلخ)) نظر لأن كلامه ﷺ كله وحيٌ، لأنه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ 3 إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ 4﴾[4] أَيْ ما يَنطِقُ به، والقرآن وحيٌ أيضا، فتضمينه ﷺ لآية أو تركيب من القرآن في كلامه، إنما هو خلط وحي بوحي، لأنه لا فرق بين الحديث والقرآن من جهة المعنى، إلا أن القرآن نزل بلفظه للإعجاز بسورة منه وللتعبد بتلاوته، والحديث نزل معناه على قلب النبي ﷺ فعبر عنه بلفظه، فليس تضمينه ﷺ للقرآن في كلامه كتضمين غيره له في كلامه، فلا يكون حجة على جوازه ؛ لأن القرآن والحديث من جهة المعنى سواء .

وقال في فيض الفتاح أيضا: " قال السيوطي ولا أعلم خلافا بين المسلمين في جوازه في النثر في غير المجون والخلاعة، ونقل استعماله عن أبي بكر وعمر وعلي وابنه الحسن وعبد الله بن مسعود

(1) – سورة الزلزلة، الآية: 2

(2) – موطأ مالك، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الخيل والمسابقة بينها والنفقة في الغزو، الحديث رقم 48 ج2 ص468

(3) – فيض الفتاح م س ج2 ص331.330

(4) – سورة النجم، الآية: 4.3

رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ورُوي استعماله عن الإمام وجوزه عياض وغيره من المالكية إلا أنهم كرهوه في الشعر . "[1]

وَمِنْهُ تَضْمِينٌ أيْ ومما يتصل بالسرقات من البديع اللفظي نوعٌ يسمى التضمينُ وهو مفسَّر في اصطلاح البديعيين **بِأَنْ يُضَمِّنَا** أي المتكلم مِن شاعر أو خطيب كلامه شعرا كان أو خطبة، والألف في يضمنا لإطلاق القافية شيئا **مِنْ شِعْرِ غَيْرِهِ** بيتا كان أو فوقه أو مصراعا أو دونه ويشترط فيه **أَنْ يُبَيِّنَا ذَلِكَ** أي يبين أنه من شعر غيره **إِنْ لَمْ يَشْتَهِرْ** **الْمُضَمَّنُ** بالفتح من بيت أوْ مصراع **عِنْدَ أُولِي** .. **بَلاغَةٍ** أي عند علماء البلاغة، فإن اشتهر المضمن عندهم فإنه لا يحتاج المتكلم الذي ضمنه كلامه حينئذ إلى أن يبين أنه من شعر الغير، وبهذا القيد أي قيد التبيين والاشتهار عند الناس يخرج التضمين ويفارق الأخذ والسرقة .

مثال ما بين فيه أنه من شعر [424] الغير قوله:

كَأَنَّــــهُ كَـــانَ مَطْـــوِيّاً عَلَـــى إِحَـــنٍ ... ولَمْ يَكُـنْ فِي ضُـرُوبِ الشِّـعْرِ أَنْشَـدَنِي
إِنَّ الكِـــرَامَ إِذَا مَـــا أَيْسَـــرُوا ذَكَـــرُوا ... مَـنْ كَـانَ يَأْلَفُهُـمْ فِي الْمَنْـزِلِ الْخَشِـنِ

ومثال ما لم يبين فيه أنه من شعر الغير لشهرته قول الشهاب المنصوري:

إليـــكِ اشـــتياقي يا كنانـــةُ زائـــداً ... فمـــالي غِنـــاءٌ عنـــكِ كـــلا ولا صَـــبْر
فـــلا زلـــتُ أبكـــي كـــلَّ يـــومٍ وليلـــةٍ ... ولا زال مُـــنْهَلاً بجَرْعائِـــكِ الْقَطْـــرُ

ضمن مصراع بيت الشاعر الشهير، وصدره:

ألا يا اسْـلَمِي يا دارَ مَـيَّ علـى البِلـى ... ولا زالَ مُـــنْهَلاً بجَرْعائِـــكِ القَطْـــرُ

وَالحُسْنُ فِيهِ أَنْ يَلِي، لِنُكْتَةٍ لَيْسَتْ هُنَاكَ يعنى أن الحسن في التضمين أي الأحسن منه هو أن يلي الكلام المضمن غيره، لنكتة أي سر ومعنى حسن، ليس هناك أيْ ليس ذلك المعنى والسر في أصل الكلام المضمَّن بالفتح كالتشبيه والتورية كقوله:

إِذَا الْـــوَهْمُ أَبْـــدَى لِيْ لَمَاهَـــا وثَغْرَهَـــا ... تَـــذَكَّرْتُ مَـــا بَـــيْنَ الْعُـــذَيْبِ وبَارِق
وَيُـــذْكِرُنِيْ مِـــنْ قَـــدِّهَا ومَـــدَامِعِيْ ... مَجَـــرَّ عَوَالِيْنَـــا ومَجْـــرَى السَّـــوَابِقِ[2]

---

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص331

(2) - البيتان لابن أبي الإصبع في كتابه تحرير التحبير ص 382

اللَّمى بالفتح سُمْرة الشفتين، والعذيب وبارق موضعان، ضمن بيتا للمتنبي، وهو:

تَـــــذَكَّرتُ مَـــــا بَـــــيْنَ العُـــــذَيبِ وبَارِقِ مَجَـــرَّ عَوَالِينَـــا ومَجْـــرَى السَّـــوَابقِ

يعنى المتنبي ببيته أنهم كانوا نزولا بين هذين الموضعين، وكانوا يجُرُّون الرِّماحَ عند مطاردة الفرسان ويتسابقون على الخيل، وزاد الشاعر الثاني الْمُضمِّن له في تضمينه بالعذيب وبارق، ومعناهما البعيد، لأنه جعل العذيب تصغير العذب وعنى به شفة المحبوبة وعنى ببارق ثغرها، مشبها له بالبرق وبما بينهما ريقها، وشبه تبختر قَدِّها بتمايل الأرماح وشبَّه جَرَيان دمعِهِ على التتابع بجريان سوابق الخيل، فزاد على المتنبي بهذه التورية والتشبيه .

قوله: أن يلي، والمشار إليه بهناك أصل الكلام المضمن .

ثُمَّ لا .. يَضُرُّ تَغْيِيرٌ يعنى أنه لا يضر في التضمين تغيير يسير في الكلام الذي قصد تضمينه، ليدخل في معنى الكلام الذي ضمنته كقول بعضهم في يهودي به داء الثعلب:

أَقُـــــولُ لِمَعْشَـــــرٍ جَهَلُـــــوا وغَضُّـــــوا مِـــنَ الشَّـــيْخِ الرَّشِـــيدِ وأَنْكَـــرُوهُ

هُـــــوَ ابْـــــنُ جَـــــلَا وطَـــــلَّاعِ الثَّنَـــــايَا مَـــتَى يَضَـــعُ العِمَامَـــةَ تَعْرِفُـــوهُ [1]

فغيره إلى الغيبة، ليدخل في المقصود وغيَّر معناه، لأنه أراد به التهكم والاستهزاء، وهو في الأصل مرادٌ به الفخر والْجِدُّ، وداء الثعلب هو أن تعظم إحدى الرجلين دون الأخرى .

فَبَيْتٌ كَمَلا، سَمِّ اسْتِعَانَةً يعنى أن التضمين لبيت كامل أو أكثر، يسمى في اصطلاحهم بالاستعانة ؛ لأن المتكلم به استعان بشعر غيره كقوله:

كَأَنَّـــــهُ كَـــــانَ مَطْـــــوِيًّا عَلَـــــى إِحَـــــنٍ ولَمْ يَكُـــنْ فِي ضُـــرُوْبِ الشِّـــعْرِ أَنْشَـــدَنِي

إِنَّ الكِـــرَامَ إِذَا مَـــــا أَيْسَـــــرُوا ذَكَـــــرُوا مَـــنْ كَـــانَ يَأْلَفُهُـــمْ فِي الْمَنْـــزِلِ الْخَشِـــنِ

ضمن بيت أبي تمام كاملا، وهو إن الكرام إلخ .

قوله: فبيت مبتدأ وكملا صفة له والألف فيه للإطلاق، وقوله سم إلخ خبر المبتدأ .

. . ولِلْمِصْـــــــــــــــرَاعِ فَدُونَـــــهُ بِالرَّفْـــــوِ والإِيـــــدَاع

يعنى أن التضمين لمصراع البيت فما دونه، يسمى في اصطلاحهم بالرفو والإيداع ؛ لأن المتكلم

---

(1) – البيتان ذكرهما العباسي في معاهد التنصيص، ج 2، ص177. والبيت الثاني – وهو محل الشاهد – أصله لسحيم بن وثيل، وهو قوله:

أَنَا ابْـــنُ جَـــلَا وطَـــلَّاعُ الثَّنَـــايَا مَـــتَى أَضَـــعِ العِمَامَـــةَ تَعْرِفُـــونِي

رَقَّى شعره بشعر غيره وأودعه إياه، فمن تضمين المصراع قوله:

قـــد قلـــت لمّـــا أطلعـــت وجناتـــه ... حـــول الشّـــقيق الغـــضّ روضـــة آس
أعـــذاره السّـــاري العجـــول ترفّقـــا ... مـــا في وقوفـــك ســـاعة مـــن باس[1]

[425] ضمن مصراع أبي تمام وتمامه:

مَـــا فِي وقُوفِـــكَ سَـــاعَةً مِـــنْ بَاسِ ... تَقْضِـــي ذِمـــامَ الأَرْبُـــعِ الأَدْرَاسِ

ومن تضمين ما دون المصراع قوله:

وإنْ حَللْـــتُ مكـــاناً كـــان يَجمعُنـــا ... جـــرَتْ دُمـــوعي زَرَافَـــاتٍ ووِحْـــدَانَا

آخر مصراع وهو: طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ ووِحْدَانَا .

قُلْـــتُ فَـــإِنْ مِـــنْ نَظْمِـــهِ قَـــدْ جَعَلَـــهْ ... فَـــذَاكَ تَفْصِـــيلٌ بِصَـــادٍ مُهْمَلَـــهْ

أي قال الناظم من زيادته على التلخيص: فإنْ جعلَ المتكلمُ التضمين من نظمه أي من شعره بأن ضمن شعره اللاحق بعضَ شعرِهِ السابق، فذلك التضمين يسمى بالتفصيل بالصاد المهملة .

وَمِنْـــهُ عَقْـــدُ نَظْـــمِ نَثْـــرٍ لا عَلَـــى ... طَرِيـــقِ الِاقْتِبَـــاسِ مِمَّـــا قَـــدْ خَـــلا

أي ومما يتصل بالسرقات من البديع اللفظي نوع يسمى العقد، وهو نظم الكلام المنثور على غير طريق الاقتباس مما قد خلا أي مما تقدم، ومعنى كونه على غير طريق الاقتباس، أن يكون النثر المنظوم من غير القرآن والحديث، أو منهما ولكن غُيِّر تغييرا كثيرا يخرجه عن حد الاقتباس، أو نبه فيه على أنه من القرآن أو الحديث .

مثاله في غير الحديث والقرآن قول أبي العتاهية:

عَجِبْـــــتُ للإِنْســـــانِ فِي فَخْـــــرِهِ ... وهْـــو غَـــداً فِي قَـــبْرِهِ يُقْـــبَرُ
مَـــا بالُ مَـــنْ أَوَّلُـــهُ نُطْفَـــةٌ ... وجِيفَـــةٌ آخِـــرُهُ يَفْخَـــرُ[2]

عقد بالبيت الثاني قول علي كرم الله وجهه: " ما لابْنِ آدمَ والفخر وإنما أول نطفةٌ مذرةٌ، وآخره

---

(1) – البيتان لأبي خاكان أبي العباس أحمد بن إبراهيم. وجناته: خدوده. الشقيق: ورد أحمر، استعارة لموطن الحمرة في خده. الآس: الريحان. وروضة الآس: استعارة للشعر الثابت في جانبي وجهه.
العذار: الشعر النابت في جانب الوجه مما يلي الأذن. انظر الإيضاح: ص363

(2) – البيتان لأبي العتاهية، انظر «الكامل في اللغة والأدب» م س ج2 ص10

جيفة قذرةٌ، وهو فيما ذلك يحمل العذرة "[1]

ومثاله في القرآن قوله:

فَـــــإِنَّ اللَّهَ خَـــــلَّاقُ الْـــــبَرَايَا ... عَنَـــتْ لِجَـــلَالِ هَيْبَتِـــهِ الْوُجُـــوهُ
يَقُـــــولُ إِذَا تَـــــدَايَنْتُمْ بِـــــدَيْنٍ ... إِلَى أَجَـــلٍ مُسَـــمًّى فَـــاكْتُبُوهُ[2]

ومثاله في الحديث قول الشافعي رضي الله عنه:

عُمْـــــدَةُ الـــــدِّينِ عِنْـــــدَنَا كَلِمَـــــاتٌ ... أَرْبَـــعٌ مِـــنْ كَـــلَامِ خَـــيْرِ الْبَرِيَّـــهْ
اِتَّـــقِ الشُّـــبُهَاتِ وازْهَـــدْ ودَعْ مَـــا ... لَـــيْسَ يَعْنِيـــكَ واعْمَلَـــنَّ بِنِيَّـــهْ[3]

عقد قوله ﷺ: ((**إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وعِرْضِهِ، ومَنْ وقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وهِيَ الْقَلْبُ**)) [4]
وقوله: ((**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ**)) [5] وقوله: ((**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**)) [6] وقوله: ((**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**)) [7]

وَضِدُّهُ الْحَلُّ يعنى أن الحل ضد العقد أي عكسه، وهو نوع من البديع اللفظي، وهو نثر النظم .

قال في الإيضاح: " وشرطُ كونه مقبولا أمران:

أن يكون سبكه مختارا لا يتقاصر عن سبك النظم المحلول، وأن يكون حسنَ الموقع مستقرا في

---

(1) – مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري ت518هـ الباب الثلاثون في نبذ من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ج2 ص448

(2) – البيتان أوردهما السيوطي في شرح عقود الجمان له، بلا نسبة، ص172

(3) – انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ج1 ص60، ت د ماهر ياسين الفحل، ط2 دار السلام للطباعة والنشر

(4) – صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، الحديث رقم 52 ج1 ص20

(5) – سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا، الحديث رقم 4102 ج2 ص1373

(6) – موطأ مالك، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في حسن الخلق، الحديث رقم 3 ج2 ص903

(7) – صحيح البخاري، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، الحديث رقم1 ج1 ص6

محله غير قلق، كقول بعض المغاربة: " فإنه لما قبحت فعلاته، وحنظلت نخلاته، لم يزل سوء الظن يعتاده، ويصدق توهمه الذي يعتاده "[1] انتهى .

ومن الحل قول المتنبي:

إِذَا سَـــاءَ فِعْـــلُ الْمَـــرْءِ سَـــاءَتْ ظُنُونُــــهُ ... وصَــدَّقَ مَـــا يَعْتَـــادُهُ مِـــنْ تَـــوَهُّمِ

ومنه قول أبي بكر لعمر ﷺ لما امتنع من الخلافة: " مَا حَبَوْناكَ بهَا، وإِنَّمَا حَبَوْناهَا بِكَ "[2]ومنه قول حسان رضي الله تعالى عنه:

مَـــا إِنْ مَـــدَحْتُ محمَّـــداً بمَقَـــالَتِي ... لكِـــنْ مَـــدَحْتُ مَقَـــالَتِي بمُحَمَّـــدِ .

قوله:

. . **وتَمْلِيحٌ[3]بِأَنْ ... لِقِصَّـــةٍ يُشِـــيرَ أَوْ شِـــعْرٍ يَعِـــنّ**

تمليح بالرفع معطوف على قوله عقد في البيت قبله، أي ومن البديع اللفظي نوع يسمى التمليح، وهو مفسر بأن يشير المتكلم في كلامه إلى قصة أو شعر أو مثل سائر من غير ذكر واحد من الثلاثة، ويكون في النظم والنثر، وهو بتقديم الميم على اللام، كذا ثبت في التلخيص، وتبع الناظم صاحب التلخيص فأتى به في البيت كذلك، لكونه رآه بخطه ونبه على هذا كله بقوله: **قُلْتُ كَذَا قَدَّمَ**[426] **مِيمًا** أي على اللام، كما في التلخيص بخط صاحبه، **وانْتُقِدْ** ذلك على صاحب التلخيص، أي غلط في تقديمه الميم على اللام أي في تعبيره بالتمليح غلّطه بعضُ شراحه، وقالوا إنما التمليح من الملاحة، وقد تقدم في باب التشبيه والاستعارة، وأمّا ما هنا فهو التلميح بتقديم اللام من لمحه إذا نظر إليه، وهو أن يشير المتكلم في كلامه إلى قصة أو شعر أو مثل سائر في النظم أو النثر، فتلك ستة أقسام .

فالإشارة إلى قصة في الشعر كقول أبي تمام:

فَـــرُدَّتْ عَلَيْنَـــا الشَّـــمْسُ واللَّيْـــلُ رَاغِـــمٌ ... بِشَمْسٍ بَدَتْ مِنْ جَانِبِ الْخِدْرِ تَطْلُعُ

نَضَـــا ضَـــوؤها صِـــبْغَ الدُّجُنَّـــةِ وانْطَـــوَى ... لِبَهْجَتِهَـــا ثَـــوب السَّـــماء المجـــزع

---

(1) – انظر الإيضاح: ص366، حنظلت نخلاته: أثمرت ثمرا رديئا مرّا، والمراد: ساءت أعماله وآذت.

(2) – مجمع الأمثال للنيسابوري، الباب الثلاثون: في نُبَذ من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وخُلَفَائه الراشدين، ج2 ص450

(3) – قال السيوطي في شرحه: وأما التلميح فذكره في التلخيص بتقديم الميم على اللام كذا رأيته بخطه، وهو غلط نبه عليه الشراح، لأن ذلك من الملاحة وهو في باب التشبيه والاستعارة، وأما الذي هنا فبتقديم اللام من لمحه إذا نظر إليه، انظر ص 171.

فـــــو الله مَـــــا أَدْرِي أَأَحْـــــلَامُ نَائِـــــمٍ   أَلَمَّتْ بِنَـا أَمْ كَـانَ فِي الرَّكْـبِ يُوشَـعُ[1]

المجزع ذو لونين، وانطواؤه كناية عن خفاء الكواكب، إشارة إلى قصة يوشع بن نون فتى موسى وابن أخته عليه السلام، واستيقافه الشمس لما قاتل الجبارين يوم الجمعة في يوم العنصرة وقد بقيت منهم بقية، فخشي أن تغيب الشمس ويدخل السبت، فلا يحل له قتالهم فدعا الله تعالى أن يحبس عليه الشمس ففعل حتى فرغ من قتالهم .

ومثال الإشارة إلى شعر في النظم كقوله:

لعَمْـــرٌو مـــع الرَّمْضـــاءِ والنـــارُ تَلْتَظِـــي   أرقُّ وأحفـى منـكَ في سـاعة الكَـرْبِ

أشار إلى البيت المشهور:

المســـــتجيرُ بعَمْــــــرٍو عنــــدَ كُرْبتــــه   كالْمُســـتجير مِـــنَ الرَّمْضـــاءِ بالنـــار

ومثال الإشارة إلى المثل في النظم كقول عمرو بن كلثوم:

.   .   .   وَمِــــنْ دُونِ ذَلِـكَ خَـرْطُ الْقَتَـادِ [2]

هذا نصف بيت من المتقارب أشار به إلى مثل وهو: " دُونَ عُلَيَّانَ خَرْطُ الْقَتَادِ " والقتاد هو المعروف في بلادنا بأوروار . [3]

ومثال الإشارة إلى قصة وشعر في النثر قول الحريري: " فبِتُّ بلَيلَةٍ نابغيّةٍ، وأحْزانٍ يَعقوبيّةٍ "

أشار إلى قول النابغة:

فَبِـــــتُّ كَـــــأَنِّي سَـــــاوَرَتْنِي ضَـــــئِيلَةٌ   مِـنَ الـرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَـا السُّـمُّ نَاقِـعُ[4]

وإلى قصة يعقوب عليه السلام . [5]

ومثال الإشارة إلى المثل في النثر كقوله: " فَيَا لَهَا مِنْ هِرَّةٍ تَعُقُّ أَوْلَادَهَا " أَشَارَ إِلَى الْمَثَلِ: " أَعَقُّ

(1) – والأبيات في الإيضاح: ص367 لأبي تمام.

(2) – في ديوانه ص 51 دون صدر. وأورده غير واحدٍ تاماً منسوباً لعمرو بن كلثوم بردّ العجز صدراً:

ومِــــنْ دُونِ ذلــــكَ خَــــرْطُ القَتَــــادِ   وضَــــرْبٌ وطَعْــــنٌ يُقِــــرُّ العُيُــــونَا

(3) – نوع من الشجر كثير الشوك.

(4) – ديوان النابغة الذبياني ص51

(5) – يعنى حزنه على ولده يوسف عليهما السلام.

مِنَ الْهِرَّةِ تَأْكُلُ أَوْلَادَهَا "[1] .

وشِـــبْهُهُ الْعُنْـــوَانُ فَـــافْهَمْ مَـــا قُصِـــدْ

فصل من الخاتمة في حُسن كل من الابتداء والانتهاء والطلب والتخلص .

وَيَنْبَغِــــي التَّـــانِيقُ فِي ابْتِـــدَاءِ وفِي تَخَلُّـــــصٍ وفِي انْتِهَـــــاءِ

يعنى أنه ينبغي للمتكلم، شاعرا كان، أو خطيبا، أو كاتبا، أي يُطلب منه التأنيق أي تحسين كلامه وتزيينه وتهذيبه، طلبا أكيدا في ثلاثة مواضع:

الأول منها: الابتداء، وذلك لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان عذبا حسنا مهذبا أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه، وإلا أعرض عنه، وإن كان الباقي في غاية الحسن فقد قيل: " على الشعر قفل ومفتاحه أوله " وقيل: " حسنُ الافتتاح مطية النجاح، وداعية الانشراح، وبه يستدل على جودة الطبع " وأما التخلص فلأن السامع ينتظر الانتقال من المبدأ إلى المقصود كيف يكون، فإذا كان حسنا متلائم الطرفين، حرك من نشاطه وأعان على الإصغاء لما بعده وإلا فبالعكس، والتأنيق فيه بأن ينتقل المتكلم من المعنى الذي بدأ به الكلام من تشبيب، أو أدب، أو افتخار، أو شكاية، أو غير ذلك، إلى المقصود، [427] مع حصول التناسب بين ما انتقل عنه وبين المقصود، وأما الانتهاء فلأنه آخر ما يعيه السامع، فإن كان حسنا تلقاه بالقبول، حتى أنه يجبر عنده ما سبق من تقصير، كالطعام اللذيذ، يتناول بعد الأطعمة التفيهة، وإن كان على العكس كان بالعكس، حتى أنه ربما أنساه محاسن ما سبق، والتأنق في هذه المواضع الثلاثة يكون **بِأَعْذَبِ اللَّفْظِ** عند من سمعه، بأن يكون الكلام في غاية البعد من التنافر والثقل، ويكون بأحسن السبك أي الصياغة، ويكون **وحُسْنِ النَّظْمِ** أي حسن سبك التركيب وصياغته، بأن يكون في غاية البعد عن التعقيد اللفظي والمعنوي حتى يفهم المعنى، وبأن تكون الألفاظ متقاربة في الجزالة، أي خلاف الركاكة، وفى السلاسة أي السهولة، وبأن تكون المعاني مناسبة لألفاظها، من غير أن يكسى اللفظ الشريف المعنى السخيف أي الركيك الضعيف، أو يكسى المعنى الشريف لفظا سخيفا، بأن يكون رديئا مشتملا على ما يوجب انحطاطه في الفصاحة والبلاغة، ويكون التأنق أيضا بِ**صِحَّةِ الْمَعْنَى** أي بأن يكون معنى الكلام صحيحا سالما من التناقض والخلل،

(1) - انظر جمهرة الأمثال م س ج1 ص243

ويكون بِـ**طِبْقِ الْفَهْمِ** أيْ بأن يكون الكلام مطابقا لفهم السامع ذكيا كان أو غبيا، فإن كان ذكيا خوطب بخطاب الأذكياء بالمعاني الدقيقة، والقرائن الخفية، والكلام الموجز المختصر، وإن كان غبيا خوطب بخطاب الأغبياء، بأن يجعل الكلام واضحا مبتذلا للخاص والعام، لكونه بالمعاني المحسوسة المنصوصة المصرح بها .

فمن حسن الابتداء في تذكار الأحبة والمنازل قول امرئ القيس:

قفا نبكِ من ذِكرى حبيبٍ ومنزِلِ ... بسِقطِ اللِّوى بينَ الدَّخولِ فحَوْمَلِ

فإنه وقف واستوقف، وبكى واستبكى، وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد، وأتى في المصراع الثاني بألفاظ غريبة قليلة المعنى، فباين الأول، فأحسنُ منه بيت النابغة:

كَلِيني لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبِ ... ولَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ

ومن حسن الابتداء في وصف الديار قول أشجع السلمي:

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وسَلامُ ... خَلَعَتْ عَلَيْهِ جَمَالَهَا الأَيَّامُ

وفى ذكر الفراق قول المتنبي:

فِرَاقٌ ومن فارقت غيرُ مذَمَّمِ ... وأَمٌّ ومَنْ يَمَّمْتُ خَيْرُ مُيَمَّمِ

وفى الشكاية قوله أيضا:

فُؤَادٌ مَا تُسَلِّيهِ الْمُدَامُ ... وعُمْرٌ مِثْلُ مَا يَهَبُ اللِّئَامُ

وفى الغزل:

أَريقُكِ أم مَاءُ الغَمامَةِ أمْ خَمْرُ ... بِفيَّ بَرُودٌ وهْوَ في كَبدي جَمْرُ

وإذا أراد الشاعر المدح **فَلْيُجْتَنَبْ** في الابتداء **فِي الْمَدْحِ مَا يُطَيَّرُ** أيْ ما يَتطير **بِهِ** الممدوح .

قوله: يطير بالبناء للنائب نائبه المجرور بعده، ولْيُجْتَنَبْ أيضا **مَا** أيْ الكلام الذي **مِنْهُ الْمَقَامُ يَنْفِرُ** أي ينفر منه المقام أي الحال الداعي إلى التكلم، لكونه غير مطابق له .

مثال الابتداء الذي فيه ما يطير به، كقول أبي مقاتل الضرير للداعي العلوي في قصيدة يمدحه بها: مَوْعدُ أحبابكَ بالْفُرْقةِ غَدُ، فقال: بل موعد أحبابك يا أعمى ولك المثلُ السَّوْءُ .

ومن قبح الابتداء الذي ينفر منه المقام قول ذي الرمة في عبد الملك بن مروان، وكانتْ عينه تدمع

أبدا:

ما بالُ عَينِكَ مِنها الماءُ يَنْسَكِبُ

فتوهم أنه عرض به فقال له: ما سؤالك عن هذا يا ابن الفاعلة ؟ وأمر بإخراجه .

ومنه قول أبي النجم في[428] هشام بن عبد الملك في وصف الشمس:

صــــفراءُ قـــد كـــادتْ ولمـــا تَفْعَـــلِ   كأنهـــا في الأفـــق عـــين الأحـــول

وكان هشام أحول فأخرجه وأمر بحبسه .

وَخَـــــيْرُهُ مُناسِـــــبٌ لِلْحَـــــالِ

يعنى أن الأحسن من حسن الابتداء هو المناسب منه للحال أي الغرض الذي سيق له الكلام، ومعنى مناسبته له أن يكون في الابتداء إشارة إلى ما سيق الكلام لأجله لتضمنه معناه، فيكون في الابتداء تلويحٌ بمقصود المتكلم في كلامه .

ابتد وسِمْـــــهِ بَرَاعَـــــةَ اسْـــــتِهْلالِ

أي وسم هذا الابتداء المناسب للمقصود براعة الاستهلال والمستهل وبراعة المطلع، من برع الرجل بالتثليث براعة وبروعا فاق أصحابه في العلم أو غيره ؛ لأن المتكلم فهم غرضه حين رفع صوته بأول كلامه، كما يرفع المستهل صوته عند رؤية الهلال، وهي كقول أبي محمد عبد الله يهنئ الصاحب بن عباد بولد لابنته:

بُشْــرَى فقَــد أَنْجَــزَ الاقبــالُ مَــا وعَــدا   وَكَوْكَــبُ المَجــدِ في أُفــقِ العُلَــى صَــعَدا

فإن قوله بشرى يناسب ما قصد بالكلام من التهنئة، وكقوله يرثي فخر الدولة:

هـــي الـــدُّنْيا تَقُـــولُ بِمِـــلْءِ فِيْهَـــا   حَــذَارِ حَــذَارِ مِــن بَطْشِــي وفَتْكِــي

فَـــلا يَغْـــرُرْكُمُ مِـــنِّي ابْتِسَـــامٌ   فَقَـــوْلِي مُضْـــحِكٌ والْفِعْـــلُ مُبْكِـــي

بِفَخْـــرِ الدَّوْلَـــةِ اعْتَـــبِرُوا فَـــإِنِّي   أَخَــذْتُ الْمُلــكَ مِنْــهُ بِسَــيْفِ هُلْكِــي

فإن هذا الابتداء يشعر بأن الكلام في الرثاء بالكسر والمد .

وَاعْـــنِ بِتَشْـــبِيبٍ يَجِـــيءُ فِي الْكَـــلامْ   قَبْـــلَ الشُّـــرُوعِ مَـــا يُمَهِّـــدُ الْمَـــرَامْ

أي اقصد بالتشبيب الذي يجيء في أول الكلام قبل الشروع في المقصود أيها المتكلم حيث ذكرته، الكلامُ الذي يمهد المرام أي المطلوب، سواء كان ذكرَ أيام الشباب واللهو أو غير ذلك .

قال الناظم في شرحه: " وهو أن يقدم قبل الشروع في الكلام ما يمهد المرام من تشبيب أو غيره . "

قال الواحدي[1]: وأصله ذكر أيام الشباب واللهو، ويكون ذلك في ابتداء قصائد الشعر، ثم سمي ابتداءُ كُلِّ أمرٍ تشبيبا، وإن لم يكن في ذكر الشباب .

قال في التبيان: وهو على وجوه منها التغزل قبل المدح .

قال الأندلسي: إذا كانت القصيدة مدحا خالصا خير في افتتاحها بالغزل وتركه، وإن تضمنت حادثة من الحوادث كهزيمة جيش ونصره وفتح ونحو ذلك، لم يحسن افتتاحها به لأنه رقة محضة، فبينه وبين هذه الحوادث مُبايَنة .

ومنها التثبت على الخطاب الهائل تلطفا كقوله تعالى حين أراد أن يعاتب رسول الله ﷺ على إذنه للمنافقين: ﴿**عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ**﴾[2] بدأ بالعفو قبل العتب تثبيتا لقول رسول الله ﷺ .

ومنها التنبيه على إلغاء السمع للخطاب الخطير، كألا ونحوها من حروف الاستفتاح . "[3]

قوله: اعن أمر من عنى يعنى بمعنى قصد، وقوله قصد، وقوله يجيء جملة في محل نعت لتشبيب، وقوله ما يمهد المرام مفعول به لقوله واعن .

وَرَاعِ أيها المتكلم من شاعر أو خطيب أيْ التمس وتحر **فِي تَخَلُّصٍ** أي في تخلصك من المبدأ من نسيب أو أدب أو افتخار أو شكاية أو غير ذلك، [429] أي التمس وتحر في انتقالك منه **لِلْقَصْدِ** أي إلى المقصود عندك، معنى دقيقا رقيقا سهلا تاما **مُلائِمًا** أي مناسبا **لِمَا** أيْ للمعنى الذي **بِهِ قَدِ ابْتُدِي** الكلامُ من نَسِيبٍ أَوْ أدبٍ أَوْ فَخرٍ أو نحو ذلك، حتى يكون بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني لشدة الالتئام والتناسب بينهما .

---

(1) - «الوَاحِدي (000 - 468 هـ = 000 - 1076 م) علي بن أحمد بن محمد بن علي بن مَتُّوية، أبو الحسن الواحدي: مفسر، عالم بالأدب، نعته الذهبي بإمام علماء التأويل. كان من أولاد التجار أصله من ساوة (بين الريّ وهمذان) ومولده ووفاته بنيسابور. له " البسيط و" الوجيز كلها في التفسير، وقد أخذ الغزالي هذه الأسماء وسمى بها تصانيفه، وشرح ديوان المتنبي – ط " و" أسباب النزول – ط " و" شرح الأسماء الحسنى " وغير ذلك وهو كثير. والواحدي نسبة إلى الواحد بن الديل ابن مهرة» «الأعلام للزركلي» م س. ج4 ص 255.

(2) - سورة التوبة، الآية: 43

(3) - شرح عقود الجمان للسيوطي م س ص173

وهذا النوع اعتنى به المتأخرون لشدة حسنه ودلالته على براعة المتكلم .

قال الناظم في شرحه: " ووقع منه في القرآن ما يسكر العقول ويحير الأوهام، فإنه تعالى في سورة الأعراف ذكر الأنبياء والقرون الماضية والأمم السالفة، ثم ذكر موسى وحكاية دعائه لنفسه ولأمته بقوله: ﴿۞وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ﴾[1] وجوابه تعالى عنه، ثم تخلص بمناقب سيد المرسلين بعد تخلصه لأمته بقوله: ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ 156﴾ من حالُهم ووصفهُم كيت وكيت، وهم ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ وأخذ في صفاته الكريمةِ وفضائلهِ الكثيرة .

وفى سورة الشعراء حَكى قولَ إبراهيم: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ 87﴾[2] فتخلص منه إلى وصف الميعاد بقوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ 88 إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ 89﴾

وفى سورة القيامة نهى نبيَّهُ عن الْعَجَلة بقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ثم تخلص بقوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ 19﴾[3]

ومنه قول البوصيري:

ظلمتُ سنَّةَ من أحيا الظَّلام إلى ... أن اشتكت قدماه الضُّرّ من ورم[4]

وَرُبَّمَا إِلَى سِوَاهُ يَنْتَقِلْ ... كَمَا رَأَى الْمُخَضْرَمُونَ والأُوَلْ

أي ربما ينتقل المتكلم من الابتداء من نسيب أو غيره، إلى المعنى المقصود عنده على سواه، أي على معنى غير المعنى الملائم، بأن ينتقل إلى معنى غير ملائم، كما رأى المخضرمون وهم من أدرك الجاهلية والإسلام، والعربُ الأولُ المتقدمون، أي كما هو رأيُ المخضرمين والأقدمين من العرب وشأنُهُمْ، وهو المسمى عند أهل هذا الفن بالاقتضاب، نعم لم يفتهم حسن التخلص كقول زهير:

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حِينَ كَانَ ... ولَكِنَّ الجَوَادَ عَلَى عِلَّاتِهِ هَرِمُ

(1) - سورة الأعراف، الآية: 156

(2) - سورة الشعراء، الآية: 87

(3) - سورة القيامة، الآية: 20

(4) - ديوان البوصيري ص 240

وقول أبي تمام:

لَــــوْ رَأَى اللهُ أَنَّ فِي الشَّـــيْبِ خَــيْراً ... جَاوَرَتْـهُ الْأَبْــرَارُ فِي الْخُلْـدِ شِـيبَا

كُــلَّ يَــوْمٍ تُبْــدِي صُــرُوْفُ اللَّيَــالِي ... خُلُقــاً مِــنْ أَبِي سَــعِيْدٍ غَرِيبَــا

فإن الانتقال من الإخبار عن عدم خيرية الشيب إلى الإخبار عن إبداء صروف الليالي من أبي سعيد خلقا غريبا غير ملائم، وكذا الانتقال من الإخبار عن كون البخيل ملوما إلى الإخبار عن كرم هرم .

تنبيـــه:

قال في فيض الفتاح: " الشعراء على أربع طبقات: جاهلية ومخضرمة وإسلامية نشأت في الإسلام، وهؤلاء يستشهد بكلامهم في النحو واللغة إجماعا في الأولين، وعلى الصحيح في الثالثة، والرابعة المولدون وهم الذين ولدوا بعد صدر الإسلام كبشار بن برد وأبي نواس والمتنبي، والصحيح أنه لا يستشهد بكلامهم مطلقا، وقيل إلا من وثق به منهم، واختاره الزمخشري وجعل ما يقوله كما يرويه [430] بمنزلة نقل الحديث بالمعنى .

قال الفنري: وليس بسديد، بل هو بعمل الراوي أشبه وهو لا يوجب السماع . "[1]

وَالْحُسْــنُ فَصْــلُهُ بِأَمَّـا بَعْــدُ أَوْ ... هَـذَا كَمَـا فِي ذِكْـرِ صَـادَ قَـدْ تَلَـوْا

يعنى أن الْحَسَنَ والْبَلِيغَ في الاقتضاب المذكور فَصْلُهُ أي الكلام السابق الْمَبْدُوِّ به الْمَحْمولِ وسيلة من الكلام اللاحق الذي هو المقصود للمتكلم حين الانتقال منه إليه بأما بعد، وهذا كما تُلِيَ في سورةِ ص ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ 54﴾[2] لأن ذلك يقربه من حسن التخلص في أنه يُخالِطُهُ بعضُ مُلائمةٍ بعض ملائمة، فلم يكن اقتضاباً صِرفا لشائبةِ الْمُلاءمة، ولا تخلصا صرفا لعدم تمامها، وشائبةُ الملائمة في الاقتضاب المفصول بفصل الخطاب الذي هو أما بعد، وهذا أنه لم يؤت بالمقصود فجأة من غير ارتباط بما قبله، بل أُوتِيَ به بلفظ يدل على ارتباطه به، كقول الخطيب بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ:

---

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص344

(2) - سورة ص، الآية: 55

أما بعد فإنه كان كذا وكذا، فإنه اقتضاب من جهة الانتقال من حمد الله تعالى والصلاة على رسول الله ﷺ إلى كلام آخر، من غير مناسبة بينهما، ويشبه التخلص من جهة الربط بلفظ أما بعد، فإن معناه مهما يكون من شيء بعد حمد الله والصلاة على رسول الله فإنه كان كذا وكذا .

قال ابن الأثير: " والذي أجمع عليه المحققون من علماء البيان أن فصل الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ 19﴾ هو أما بعد، لأنه يفصل المقصود عما سبق مُقَدِّمَةً له من الحمد والثناء، ومنه ما يكون بلفظ هذا كقوله تعالى بعد ذكر أهل الجنة: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ 54﴾ أي الأمر هذا أو هذا كما ذكر، أي لا افتراء فيه، وقد يذكر خبره كقوله تعالى حين ذكر جمعا من الأنبياء وأراد أن يذكر بعده الجنة وأهلها: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ 48﴾[1]

قال ابن الأثير أيضا: لفظ هذا في هذا المقام من الفصل الذي هو أحسن من الوصل، وهو علاقة وطيدة بين الخروج من كلام إلى كلام آخر .

وقال: وذلك من فصل الخطاب الذي هو أحسن موقعا من التخلص، والمراد بالفصل في كلامه القطع بين كلامين بلفظ أجنبي بالنسبة إليهما كلفظ هذا، قاله الجربي . "[2]

ومن الاقتضاب الذي يقرب من التخلص قول الكاتب عند إرادة الانتقال من باب من أبواب الحديث مثلا إلى باب آخر: هذا باب، فإن فيه نوعُ ارتباطٍ، حيث لم يبتدئ الحديث الآخر فجأة، ومنه لفظ إيضاح في كلام المتأخرين، انتهى من فيض الفتاح مع تصرف فيه .[3]

قلت: ومنه أيضا لفظة فرع وفصل وتنبيه وتتمة في كلام المتأخرين أيضا .

تنبيـــه

اختلف في أول من تكلم بأما بعد على سبعة أقوال:

قيل إنه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل قس بن ساعدة، وقيل سحبان وقيل أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ،

---

(1) - سورة ص، الآية: 49

(2) - المثل السائر لابن الأثير م س ج3 ص139.140

(3) - فيض الفتاح م س ج2 ص346

وقيل كعب بن لؤي، وقيل يعرب بن قحطان .

وقد روى أربعون صحابيا أن النبي ﷺ كان يقول: أما بعد في خطبه ورسائله، وتعبير غالب المصنفين ب: وبعد دون أما بعد إما اختصارا وإما أنهم فهموا أن المدار على الظرف ولم يصرح فيه بلفظة أما، قاله عبد الباقي .[1]

وَزَادَ فِي التِّبْيَــانِ حُسْـــنَ الْمَطْلَــبِ ... بَعْـــدَ وسِـــيلَةٍ أَتَـــى بِالطَّلَـــبِ

أي زاد الطيبي في التبيان على [431]المواضع الثلاثة التي ينبغي للمتكلم التأنق فيها موضعا رابعا يسمى حسن المطلب وبراعة المطلب، وهو من مستخرجات الزنجاني صاحب المعيار .

وأشار الناظم إلى تعريفه وتفسيره بقوله بعد وسيلة أتى بالمطلب أي هو أن يأتي المتكلم بمطلوبه وسيلة، بأن يخرج المتكلم إلى غرضه بعد الشروع في الكلام بتقديم وسيلة موصلة إليه كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ 4﴾ فإنه قدم الوسيلة التي هي العبادة على المطلوب الذي هو الاستعانة، لأنه أسرع إلى الظفر بالمطلوب كما يفعل ذلك عند الحضور إلى الملوك والكبار، ومنه قول أمية بن الصلت في عبد الله بن جدعان:

أَأَذْكُـــرُ حَـــاجَتِي أَمْ قَـــدْ كَفَـــانِي ... حَيَـــاؤُكَ إِنَّ شِـــيمَتَكَ الْحَيَـــاءُ

إِذَا أَثْـــنَى عَلَيْـــكَ الْمَـــرْءُ يَوْمًـــا ... كَفَـــاهُ مِـــنْ تَعرُّضِـــهِ الثَّنَـــاءُ

قوله: حسن مفعول به لقوله زاد، وقوله بعد وسيلة ظرف لقوله أتى وفاعله ضمير عائد إلى المتكلم المفهوم من المقام .

وَإِنْ يَجِـــئْ فِي الانْتِهَـــاءِ مُـــؤْذِنُ ... بِخَتْمِـــهِ فَهْـــوَ الْبَلِيـــغُ الأَحْسَـــنُ

يعنى أن الانتهاء من المواضع التي ينبغي أن يتأنق فيها، وإن يجئ فيه أي انتهاء الكلام لفظ أو كلام مؤذن، أي مُشعر ومُعلم بختمه أي الكلام، بالإشارة لا بالنص، فهو الانتهاء البليغ الأحسن من غيره من سائر أنواع حسن الانتهاء .

قال في فيض الفتاح: " وهذا النوع سواء كان حسنا أو أحسن يسمى حسن الانتهاء، وبراعة

(1) - يقصد أبا عبد الله ع الباقي محمد الخرشي المالكي شارح مختصر خليل، انظر شرح الخرشي المتوفى 1101 هـ على مختصر خليل ج1 ص31 ط2 دار الفكر.

المقطع، وحسن المقطع، وحسن الخاتمة، ومنهم من يسميه بالخاتمة، ومنهم من يسميه بالانتهاء .

ومثال الْحَسَن ـ وهو أن يختم الكلام بأجود خاتمة ـ قول بعض أهل الأندلس:

ولـــوْ أُنشِــــدتْ بَـــيْنَ الْعُــــذَيْبِ وبارِقٍ　　　لقـــالَ رُواةُ الْغَــرْبِ يا حبـــذا الشـــرق

ومثال الأحسن وهو أن يزيد على ما ذكر بالإشارة إلى المختم قول البوصيري:

وَائْـــذَنْ لِسُــــحْبِ صَـــلاةٍ منـــكَ دائمَـــةٌ　　　علـــى النَّـــبيّ بمُنْهَـــلٍّ ومُنسَـــجِم

مـــا رَنَّحَـــتْ عَـــذَباتُ الْبَـــانِ ريـــحَ صَـــباً　　　وأطـربَ الْعـيسَ حَـادي الْعِـيسِ بالـنَّغَم

وإنما كان مؤذنا بالختم لأن العادة ختم الكلام بالدعاء . "[1]

وَسُـــوَرُ الْقُـــرْآنِ فِي ابْتِـــدَائِهَا　　　وفِي خُلُوصِــــهَا وفِي انْتِهَائِهَـــا

وَارِدَةٌ أَبْلَـــغَ وجْـــهٍ وأَجَـــلّْ　　　وَكَيْـــفَ لا وهُـــوَ كَـــلامُ اللهِ جَـــلّْ

يعنى أن جميع سور القرآن في ابتدائها أي في فواتحها، وفى خلوصها أي في تخلُّصها، وفى انتهائها أي خواتيمها، واردة على أبلغ وجه وأفصحه وأكمله وأجله، وكيف لا تكون كذلك وهو أي القرآن الذي هو سورة كلام الله ﷻ سبحانه لا إله إلا هو .

وَمَنْ كان عالما بعلميْ البلاغة مستحضرا أصوله وقواعده ومسائله **ولَهَا** أيْ فواتح السور ومخلصاتها وخواتمها **أَمْعَنَ** النظر أي إذا أَدَامَهُ **فِي التَّأَمُّلِ** فيها وتذكر الأحكام المذكورة في الفنون الثلاثة، وكان ذا ذوقٍ سليم **بَانَ لَهُ كُلُّ خَفِيٍّ وجَلِي** مِن أنواع البلاغة والفصاحة، ورأى في جميع فواتحها من العجب العُجاب من البلاغة والتفنن في أنواع الإشارة ما تقصر عن كنه وصفه العبارة، كالتحميدات المفتتح بها أوائل السور، وحروف الهجاء والنداء، وأعظم ذلك ما تضمنته الفاتحة التي هي مبدأ [432] الكتاب من البراعة باحتوائها على العلوم التي احتوى عليها القرآن، وقامت بها الأديان، وهي علم الأصول، ومداره على معرفة الله وصفاته، وإليه الإشارة ب: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ 1 ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ 2﴾ ومعرفة النبوءات وأخبار النبيين مع قومهم، وإليه الإشارة ب: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ 6﴾ ومعرفة المَعاد أي علمه، وإليه الإشارة ب: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ 3﴾ وعلى العبادات، وإليه الإشارة ب: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وعلم السلوك، وهو حمل النفس على الآداب الشرعية والانقيادة لرب البرية، وإليه

(1) - فيض الفتاح م س ج2 ص347

الإشارة ب: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ 4 ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ 5﴾ وعلم القصص، وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية، ليعلم المطلع على ذلك سعادةَمن أطاع الله وشقاوة من عصاه، فيعملُ ويَتَّقي، وإليه الإشارةُ بقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ 6 غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ 7﴾ فنبه سبحانه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن، وهذا هو الغاية القصوى في براعة الاستهلال، مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة والمقاطع المستحسنة، ويجد أيضا في تخلصاتها العجب العجاب، مِنَ المناسبة التامة بين ما انتقل منه وبين ما انتقل إليه، ويجد في خواتم جميعها غاية الحسن ونهاية الكمال، لكونها بين أدعية ووصايا وموعظة وتحميد ووعد ووعيد، إلى غير ذلك من الخواتم التي لا يبقى للنفس معها تطلع ولا تشوف إلى شيء آخر، وكيف لا وكلام الله ﷻ هو الطرف الأعلى من البلاغة، والغاية القصوى في الفصاحة، وقد أعْجز مصاقعَ الْبُلَغاءِ وأخْرس شقاشقَ الفصحاء، ولا تظهر لنا أسراره وخفياته إلا بعد التأمل والتذكر لما تقدم في الفنون الثلاثة من الأحكام والنكت والمعاني الرائقة، فإن لكل مقام مقال لا يحسن فيه غيره، لكن تفاصيل ذلك مما لا يمكن الاطلاع عليها، فهي مما استأثر به عَلامُ الغيوب سبحانه لا إله إلا هو .

وقد ثبت في الإتقان للسيوطي ﵀ أن معاني القرآن وأسراره لا يطلع عليها من قلبه حب الدنيا، وحب الرياسة، أعاذنا الله والمسلمين من حب الدنيا وحب الرياسة .

وَتَمَّ أيْ كَمُلَ **ذَا النَّظْمُ** أيْ هذا الكتاب المنظومُ بالنظم فعل بمعنى مفعول **بِ**سَبَبِ أوْ عَوْن **تَيْسِيرِ** أيْ تسْهيل وتهْوين ربِّنا **الله** الواحِدِ **الأَحَدْ** أي الذي لا شريك له، وهو من أسماء الله تعالى بمعنى الواحد **سَلْخَ جُمَادَى** أيْ انسلاخ وتمامَ جمادى **الثَّانِ فِي يَوْمِ الأَحَدْ** بين الأحد الذي هو اسم من أسماء الله تعالى، والأحد الذي هو اليوم من الأسبوع جناس مفرد تام، والواو في وتم للاستئناف، والباء في بتيسير للاستعانة أو السببية، وقوله سلخ جمادى مفعول فيه لقوله تم **مِنْ عَامِ** أيْ في عام فتكون بمعنى في ويحتمل أن تكون للتبعيض **ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ** سنة **الَّتِي** استقرتْ وثبتتْ **بَعْدَ ثَمَانِمِائَةٍ** سنة **لِلْهِجْرَةِ** أي من الهجرة النبوية، فاللام [433]بمعنى من الابتدائية حال كونها **فِي أَلْفِ بَيْتٍ** من النظم، والمراد بالبيت ها هنا المصراعان جميعا، فقوله في ألف بيت حال من فاعل تم حال كون تلك

الألف بيت **كَالنُّجُومِ** أيْ الكواكب حال كونها أي النجوم **تَزْهَرُ** أي تُشرق وتُضيء، وهي أي الألفية أرجوزة و**كَالرِّيَاضِ** جمع روضة حال كونها أي الرياض **فَاحَ مِنْهَا** أي هبَّ منها **الزَّهْرُ** أي ريحه، وهي أي الألفية **أُرْجُوزَةٌ** أفعولة من الرجز بمعنى مرجوزة، أي منظومة في بحر الرجز **فَرِيدَةٌ** أي مفردة في الحسن وجودة السبك وصياغة النظم **فِي** كتب أو أراجيز أو تأليف **أَهْلِهَا** أي هذه العلوم الثلاثة، وذلك أيْ كونها فريدة، **إِذْ** أيْ لأجل أنه **لَمْ يَكُنْ فِي فَنِّهَا** أيْ العلم الذي نظمت فيه أرجوزة ولا منظومة **كَمِثْلِهَا** في حسن السبك وجودة النظم، وهي أيْ هذه الأرجوزة **بِكْرٌ** أي كالبكر في عدم المثال لمن لم يلتفت إليها ولم يلق باله إليها بالتأمل والطلب والسعي في تحصيلها **مَنِيعٌ سِتْرُهَا** أي عليها ستر منيع أيْ حجاب مانع **لِمَنْ دَنَا** أيْ فمن دنا منها وطلب منالها بغير كدٍّ وتعب باللام في قوله لمن دنا بمعنى من أو زائدة للتوكيد للعامل لضعفه بالفرعية .

وَمَنْ أَتَاهَا أيْ طلب مَنالها وتحصيلَها حال كونه **خَاضِعًا** أي متذللا مذعنا مستكينا لله ﷻ في طلبها يسأله إياها أيْ أن يفهمها **نَالَ الْمُنَى** أيْ نال أمنيته وطلبَه منها، ففهمها الفهم الصحيح التام، واطلع على ما فيها من الأسرار والنُّكت والقواعد والأصول .

زَفَفْتُهَا أي زوجتها وأهديتها أيْ البكر المذكورة التي يراد بها الألفية الفريدة **لِمَنْ نُهَاهُ رَاجِحُ** أيْ لمن عقله وفهمه راجح أي صحيح تام، وسمى العقل بالنهي لأنه يَنْهَى صاحبَه عن كل قبيح، و**مَهْرُهَا** أي صداقُها المطلوب **مِنْهُ** في مقابلة الإحسان بها عليه، حيث أخرجتْ من ظلمةِ جهلِ هذه الفنونِ**الدُّعَاءُ** أيْ الطلب والسؤال **الصَّالِحُ** أي الحسن الذي فيه خير الدنيا والآخرة من الله لي .

قلتُ: ففي قوله بكر استعارة تحقيقية عن الألفية الفريدة تشبيها لها بالبكر في عدم المنال لمن لم يلتفت إليها، ثم رشحها الناظم ﷺ تعالى بما يلائم المستعار منه وهو الزفاف والمهر لأنهما يلائمن البكر الحقيقية .

عَلِّى أيْ لعلي وعلَّ لغةٌ في لعل **إِذَا صِرْتُ قَرِينَ الرَّمْسِ** أيْ حين صرت مقارن الرمس أي مصاحبا للقبر أيْ اللحد الذي يرمس صاحبه أي يستره وملازما له **تَنْفَعُنِي دَعْوَتُهُ** أيْ طلبته ومسألته الصالحة **فِي بُؤْسِي** أيْ الشدة التي ألاقي فيه لحديث: ((**مَا الْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ إِلا شَبَهُ الغريق المتُغَوِّثِ يَنْتَظِرُ دَعْوَةً مِنْ أَب، أَوْ أخٍ أَوْ ولَد**، [435] **أَوْ صَدِيقٍ ثِقَةٍ فَإِذا لَحِقَتْهُ كَانَتْ أَحَبَّ إِليه مِنَ الدُّنْيَا ومَا فيهَا**)) رواه

الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس[1] .

فَأَحْمَدُ اللهَ أي أثنى عليه بما هو أهله **عَلَى الإِتْمَامِ** أيْ إتمامه لهذا النظم يعنى أنه يحمد الله ويشكره ويثنى عليه بما هو أهله على أن وفق لإتمام هذا النظم، **حَمْدًا** مفعول مطلق لأنه مصدر مؤكد **يَفُوقُ الْبَدْرَ** أي القمر التام **فِي التَّمَامِ** أي يزيد عليه في التمام، أي حمدا أتم من البدر لأنه على أتم النعم، وبين الإتمام والتمام جناس ناقص، وجملة يفوق نعت لقوله حمدا حال كوني **مُصَلِّيًا عَلَى نَبِيٍّ** هو محمد ﷺ، هو الذي **قَدْ عَلَتْ** .. **أَوْصَافُهُ** الحميدة على أوصاف كل إنسان، نبيا كان أو غيره، حال كون تلك الحميدة **بَيْنَ الوَرَى** أيْ الْخَلْقِ **وكَمُلَتْ** أيَّ كَمالٍ .

قلتُ: وبين عَلَتْ وكَمُلتْ لُزومُ ما لا يلزمُ، وفى لفظِ كَمُلتْ بَراعةٌ حَسَنةٌ في الخَتْم ؛ لأن أحسنَ الخَتْمِ ما كانَ بلفظٍ يُؤذِنُ به، وأبلغُه لفظُ الخَتْم والتَّمَامِ والْكَمَالِ .

وتَمَّ ما أردتُ مِن شَرحِ عقودِ الجُمان وإيضاحِهِ وبيانِ نُكتِهِ وأسْراره، وما أردتُّ إيرادَهُ فيهِ مِنَ الفوائِدِ النفيسةِ التي تقَرُّ بها أَعْينُ ذَوي الألبابِ، وتُزيلُ عنِ المشكلاتِ والمُعْضلاتِ كلَّ قِناعٍ وحِجابْ . وكانَ الفراغُ مِن تَسْويدِه وتَبْييضه يومَ الأحَد عَشيةً لِسِتٍّ ليالٍ خَلوْنَ مِن صَفر الخيرِ مِنَ العامِ السَّابعِ والثمانينَ بعدَ المائتينِ والألْفِ بولاتَه .

وجُلُّ اعْتِمادِي في النقلِ فيهِ فَيْضُ الْفتَّاحِ على نُورِ الأقاحِ لِلْعلويِّ، وعُجالةُ الناظمِ والشّهدةِ الصّريحة لانبوي بن الإمام ، والإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي، الذي هو الناظمُ، وسميته بـ: **" مرتعِ الجنان على عقود الجمان"** نفعَ الله تعالى بهِ وبأصْلِهِ وجَعلهُ خالصا لوجهِهِ مُتقبَّلا عِندهُ .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحابته أجمعين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله ﷺ وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(1) - الفردوس بمأثور الخطاب لأبي شجاع الديلمي، باب الميم، الحديث رقم 6332 ج4 ص103 ت السعيد بن بسيوني زغلول، ط دار الكتب العلمية بيروت.

الفهارس العامة للأطروحة

فهرس أجزاء الآيات القرآنية

				512
﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ 4﴾ 4		البقرة	2	246
﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ 1 ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾	1-2	البقرة	2	745
﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ 220 نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾	220-221	البقرة	2	542
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ 7 يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾	7-8	البقرة	2	471
﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾	1	البقرة	2	217
﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾	1	البقرة	2	333، 465
﴿لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ 1﴾	1	البقرة	2	466
﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾	1	البقرة	2	231، 338، 465
﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾	2	البقرة	2	513
﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ 1﴾	2	البقرة	2	238، 333، 509
﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾	3	البقرة	2	386
﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ 4﴾	4	البقرة	2	204
﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾	4	البقرة	2	479
﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ 4﴾	4	البقرة	2	204
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ 5﴾	5	البقرة	2	745

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾	5	البقرة	2	430
﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾	5	البقرة	2	85، 131، 519
﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ﴾	6	البقرة	2	227
﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ﴾	9	البقرة	2	228
﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ 10﴾	10	البقرة	2	303، 385
﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ﴾	11	البقرة	2	385
﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ﴾	13	البقرة	2	459
﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾	13	البقرة	2	474
﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾	14	البقرة	2	299، 302، 324، 474
﴿يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾	14	البقرة	2	117
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ 15﴾	15	البقرة	2	642
﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾	15	البقرة	2	193، 196، 199
﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا﴾	16	البقرة	2	577
﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ﴾	17	البقرة	2	557، 601
﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ﴾	17	البقرة	2	525
﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾	18	البقرة	2	577
﴿يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾	18	البقرة	2	577

حَذَرَ ٱلْمَوْتِۖ﴾				
﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾	18	البقرة	2	608
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾	20	البقرة	2	442، 445
﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشاً وَالسَّمَآءَ بِنَآءً﴾	21	البقرة	2	546
﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ 21﴾	21	البقرة	2	500
﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَاتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾	22	البقرة	2	437
﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾	22	البقرة	2	312
﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾	22	البقرة	2	315
﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾	23	البقرة	2	657
﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾	24	البقرة	2	228
﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾	27	البقرة	2	418، 431، 452
﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾	30	البقرة	2	222
﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ﴾	35	البقرة	2	610
﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾	36	البقرة	2	288
﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	42	البقرة	2	208
﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	42	البقرة	2	434
﴿أَتَامُرُونَ ٱلنَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾	43	البقرة	2	284، 431، 433، 616
﴿مِّنَ ـالِ فِرْعَوْنَ﴾	48	البقرة	2	357، 358

﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۖ﴾	48	البقرة	2	428
﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً﴾	58	البقرة	2	270، 546
﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ﴾	59	البقرة	2	520
﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَۖ 64﴾	64	البقرة	2	436
﴿ٱلَْٰٔنَ جِئْتَ بِالْحَقِّۖ﴾	70	البقرة	2	515
﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَاۖ﴾	71	البقرة	2	291
﴿أَيَّاماً مَّعْدُودَةًۖ﴾	79	البقرة	2	617
﴿لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ ٱللَّهَۖ﴾	82	البقرة	2	355
﴿وَإِذَ اَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيَ إِسْرَآءِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ ٱللَّهَۖ﴾	82	البقرة	2	450
﴿وَإِذَ اَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيَ إِسْرَآءِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ ٱللَّهَۖ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِے ٱلْقُرْبَىٰ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينِۖ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناًۖ﴾	82	البقرة	2	483
﴿وَإِذَ اَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾	83	البقرة	2	450
﴿فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَۖ 86﴾	86	البقرة	2	284
﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾	90	البقرة	2	284
﴿وَلَنْ يَّتَمَنَّوْهُ أَبَداًۖ﴾	94	البقرة	2	328
﴿مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَٰٓئِلَ﴾	97	البقرة	2	529
﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ﴾	101	البقرة	2	284
﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾	101	البقرة	2	283

﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾	110	البقرة	2	699
﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ﴾	116	البقرة	2	167
﴿كُن فَيَكُونُ 116﴾	116	البقرة	2	436
﴿وَلَئِنِ اِتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلذِے جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ 119﴾	119	البقرة	2	317
﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾	132	البقرة	2	279
﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾	137	البقرة	2	685
﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾	142	البقرة	2	374
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَےْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلأَمْوَٰلِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَٰتِ﴾	154	البقرة	2	776
﴿إِنَّا لِلهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ 155﴾	155	البقرة	2	808
﴿وَمَثَلُ ٱلذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ اِ۬لذِے يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ 170﴾	170	البقرة	2	739
﴿وَمَثَلُ ٱلذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ اِ۬لذِے يَنْعِقُ﴾	170	البقرة	2	513
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾	171	البقرة	2	438
﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾	172	البقرة	2	370، 371
﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ 174﴾	174	البقرة	2	452
﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾	176	البقرة	2	537
﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	176	البقرة	2	523

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾	178	البقرة	2	506، 549
﴿إِن تَرَكَ خَيْراً ٱلْوَصِيَّةُ﴾	179	البقرة	2	519
﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً اَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنَ اَيَّامٍ اُخَرَ﴾	183	البقرة	2	618
﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾	185	البقرة	2	445
﴿اُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾	186	البقرة	2	777
﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾	186	البقرة	2	652
﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾	186	البقرة	2	657
﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ﴾	186	البقرة	2	586
﴿۞يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلاَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ 188	188	البقرة	2	277
﴿وَلَٰكِنِ ٱلْبِرَّ مَنِ إِتَّقَىٰ﴾	188	البقرة	2	514
﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾	195	البقرة	2	537
﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلهِ﴾	195	البقرة	2	537
﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾	196	البقرة	2	514
﴿فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾	196	البقرة	2	327
﴿فَلاَ رَفَثَ﴾	196	البقرة	2	231
﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾	201	البقرة	2	85، 131، 512
﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾	201	البقرة	2	290
﴿فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ 207﴾	207	البقرة	2	317
﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ	207	البقرة	2	317

بَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ 207﴾				
﴿بَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ أَلْبَيِّنَٰتُ﴾	207	البقرة	2	681
﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَّاتِيَهُمُ أَللَّهُ﴾	208	البقرة	2	522
﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ كَمَ ـاتَيْنَٰهُم مِّنَ ـايَةِۢ بَيِّنَةٍۖ﴾	209	البقرة	2	417
﴿اَمْ حَسِبْتُمُۥٓ أَن تَدْخُلُواْ أَلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَاتِكُم مَّثَلُ أَلذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم﴾	212	البقرة	2	499
﴿مَتِىٰ نَصْرُ أَللَّهِۖ﴾	212	البقرة	2	420
﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَالاَقْرَبِينَ وَالْيَتَٰمِىٰ وَالْمَسَٰكِينِ وَابْنِ اِلسَّبِيلِۖ﴾	213	البقرة	2	278
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ اِلشَّهْرِ اِلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌۖ﴾	215	البقرة	2	236
﴿أَنّىٰ شِئْتُمْۖ﴾	221	البقرة	2	419
﴿فَاتُواْ حَرْثَكُمُۥٓ أَنّىٰ شِئْتُمْۖ﴾	221	البقرة	2	419
﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾	221	البقرة	2	657
﴿۞وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾	226	البقرة	2	451
﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۖ﴾	226	البقرة	2	617
﴿اِلطَّلَٰقُ مَرَّتَٰنِۖ﴾	227	البقرة	2	291، 615
﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُۥۖ﴾	228	البقرة	2	612
﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ﴾	230	البقرة	2	283، 613
﴿لاَ تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۖ﴾	231	البقرة	2	226
﴿وَعَلَى أَلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِۖ﴾	231	البقرة	2	726

﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً﴾	233	البقرة	2	657
﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً﴾	233	البقرة	2	621
﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَالصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطِىٰ﴾	236	البقرة	2	529
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾	241	البقرة	2	548
﴿مَّن ذَا ٱلذِے يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾	243	البقرة	2	430
﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۖ﴾	251	البقرة	2	665
﴿لَا تَاخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۖ﴾	254	البقرة	2	332، 744
﴿مَن ذَا ٱلذِے يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۖ﴾	254	البقرة	2	428
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَےْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾	254	البقرة	2	614
﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَاتِے بِالشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَاتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾	257	البقرة	2	714
﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ﴾	257	البقرة	2	672
﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِےۖ﴾	259	البقرة	2	581
﴿اَيَوَدُّ أَحَدُكُمُۥٓ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ تَجْرِے﴾	265	البقرة	2	539
﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافاًۖ﴾	272	البقرة	2	741
﴿يَحْسِبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِۖ﴾	272	البقرة	2	741
﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۖ﴾	274	البقرة	2	585
﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَانتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾	274	البقرة	2	509
﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ اَثِيمٍۖ 275﴾	275	البقرة	2	263
﴿فَاذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾	278	البقرة	2	228

﴿فَاذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾	278	البقرة	2	230
﴿وَاتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾	281	البقرة	2	545
﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾	284	البقرة	2	302
﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾	285	البقرة	2	672
﴿ءَأَسْلَمْتُمْۚ﴾	20	آل عمران	3	431
﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ 21﴾	21	آل عمران	3	613، 627، 640، 732
3﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ﴾	26	آل عمران	3	513
﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ 33﴾	33	آل عمران	3	683
﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾	35	آل عمران	3	219
﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾	36	آل عمران	3	185
﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَالأُنثَىٰۖ﴾	36	آل عمران	3	219
﴿نَبَاتًا﴾	37	آل عمران	3	358
﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾	39	آل عمران	3	291
﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾	40	آل عمران	3	497
﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾	52	آل عمران	3	302
﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾	53	آل عمران	3	505، 621، 684
﴿۞قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِيۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا﴾	80	آل عمران	3	280

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ تَبْغُونَ﴾	82	آل عمران	3	354، 355، 426
﴿كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْماً﴾	85	آل عمران	3	418
﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اِللَّهِ جَمِيعاً﴾	103	آل عمران	3	645
﴿وَلْتَكُن مِّنكُمُۥٓ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾	104	آل عمران	3	529
﴿وَأَمَّا ٱلذِينَ اَبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اِللَّهِ﴾	107	آل عمران	3	610
﴿هَآأَنتُمُۥٓ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾	119	آل عمران	3	547
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ اِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ اِلرُّسُلُ﴾	144	آل عمران	3	366، 382
﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾	144	آل عمران	3	309
﴿مُحَمَّدٌ اِلَّا رَسُولٌ﴾	144	آل عمران	3	369
﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ 158﴾	158	آل عمران	3	374
﴿وَلَئِن مِّتُّمُۥ﴾	158	آل عمران	3	309
﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ 159﴾	159	آل عمران	3	546
﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ﴾	167	آل عمران	3	522
﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم﴾	167	آل عمران	3	380، 611
﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ ٱلذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اِللَّهِ أَمْوَاتاً بَلَ اَحْيَآءٌ﴾	169	آل عمران	3	441
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾	185	آل عمران	3	535
﴿لَا يَحْسِبَنَّ ٱلذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ	188	آل عمران	3	530

أَنْ يُّحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلاَ تَحْسِبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِۖ﴾				
﴿تَسَّآءَلُونَ بِهِۦ وَالاَرْحَامَۖ﴾	1	النساء	4	525
﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمِىَٰٓ أَمْوَٰلَهُمْۖ﴾	2	النساء	4	612
﴿وَلْيَخْشَ ٱلذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفاً خَافُواْ عَلَيْهِمْۖ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداًۖ 9﴾	9	النساء	4	282
﴿وَلْيَخْشَ ٱلذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفاً خَافُواْ عَلَيْهِمْۖ﴾	9	النساء	4	614
﴿وَلْيَخْشَ ٱلذِينَ لَوْ تَرَكُواْ﴾	9	النساء	4	283
﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۖ﴾	11	النساء	4	291
﴿وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ اِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَۖ﴾	22	النساء	4	719
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾	35	النساء	4	191
﴿۞وَاعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَئْاًۖ﴾	36	النساء	4	355
﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوَ ـامَنُواْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ اِ۬لاَخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۖ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيماًۖ 39﴾	39	النساء	4	428
﴿اَوْ جَآءَ احَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾	43	النساء	4	657
﴿۞اِنَّ ٱللَّهَ يَامُرُكُمُۥ أَن تُؤَدُّواْ ٱلامَانَاتِ۞﴾	57	النساء	4	545
﴿وَلَوَ اَنَّهُمُۥٓ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماًۖ 63﴾	63	النساء	4	270
﴿جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمُۥٓ﴾	89	النساء	4	497
﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾	91	النساء	4	542

﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾	94	النساء	4	523
﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾	96	النساء	4	426
﴿فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ﴾	101	النساء	4	434
﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾	116	النساء	4	326
﴿أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾	127	النساء	4	236
﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾	141	النساء	4	483
﴿۞لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾	147	النساء	4	327
﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾	152	النساء	4	234
﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾	170	النساء	4	385
﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾	3	المائدة	5	435
﴿۞حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾	4	المائدة	5	521
﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ 4	4	المائدة	5	537
﴿مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾	5	المائدة	5	280
﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾	7	المائدة	5	283
﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟﴾	7	المائدة	5	308
﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾	7	المائدة	5	614
﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾	7	المائدة	5	512
﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟﴾	7	المائدة	5	308
﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ 46	29	المائدة	5	543

﴿فَلاَ تَخْشَوُاْ اُ۬لنَّاسَ وَاخْشَوْنِۖ﴾	46	المائدة	5	673
﴿فَسَوْفَ يَاتِے اِ۬للَّهُ بِقَوْمٖ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى اَ۬لْمُومِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى اَ۬لْكٰفِرِينَ﴾	56	المائدة	5	536
﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾	66	المائدة	5	657
﴿لَبِيسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَۖ 81﴾	81	المائدة	5	657
﴿وَمَا لَنَا لاَ نُومِنُ بِاللَّهِ﴾	86	المائدة	5	497
﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اُ۬للَّهُ حَلَٰلاً طَيِّباًۖ﴾	90	المائدة	5	437
﴿فَهَلَ اَنتُم مُّنتَهُونَۖ 93﴾	93	المائدة	5	431
﴿يَٰٓأَيُّهَا اَ۬لذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَسْـَٔلُواْ عَنَ اَشْيَآءَ اِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْۖ﴾	103	المائدة	5	440
﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ اُ۬لْغُيُوبِ 111﴾	111	المائدة	5	684
﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُّنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ اَ۬لسَّمَآءِۖ﴾	114	المائدة	5	613
﴿تَعْلَمُ مَا فِے نَفْسِے وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِے نَفْسِكَۖ﴾	118	المائدة	5	673، 684
﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ اَ۬لْعَزِيزُ اُ۬لْحَكِيمُۖ 120﴾	120	المائدة	5	681
﴿وَمَا تَاتِيهِم مِّنَ اٰيَةٖ مِّنَ اٰيَٰتِ رَبِّهِمُۥٓ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَۖ 5﴾	5	الأنعام	6	515
﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ اُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٞۖ وَلَوَ اَنزَلْنَا مَلَكاً﴾	9	الأنعام	6	474
﴿۞وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِے اِ۬ليْلِ وَالنَّهارِۖ﴾	14	الأنعام	6	513
﴿اِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾	20	الأنعام	6	543
﴿۞وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُۖ﴾	27	الأنعام	6	767
﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُۖ﴾	27	الأنعام	6	767

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ﴾	28	الأنعام	6	،125 399
﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾	28	الأنعام	6	،208 ،323 ،324 515
﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ 28﴾	28	الأنعام	6	،126 399
﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ 29﴾	29	الأنعام	6	،126 399
﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾	30	الأنعام	6	264
﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾	35	الأنعام	6	229
﴿۞إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾	37	الأنعام	6	379
﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾	39	الأنعام	6	543
﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾	44	الأنعام	6	397
﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًا﴾	55	الأنعام	6	185
﴿ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾	65	الأنعام	6	278
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾	68	الأنعام	6	505
﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾	74	الأنعام	6	،221 525
﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾	81	الأنعام	6	524
﴿كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾	85	الأنعام	6	353
﴿كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا﴾	85	الأنعام	6	355

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراًۖ﴾	91	الأنعام	6	327
﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّۚ﴾	96	الأنعام	6	302
﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾	103	الأنعام	6	202
﴿۞لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْاَبْصَٰرُ۞﴾	104	الأنعام	6	329
﴿إِنْ يَّتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ﴾	117	الأنعام	6	230
﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾	123	الأنعام	6	626، 673
﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ﴾	133	الأنعام	6	617
﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَيٰكُمُۥٓ أَجْمَعِينَۖ 150﴾	150	الأنعام	6	345
﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ اَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾	3	الأعراف	7	283
﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ﴾	11	الأعراف	7	613
﴿قَدَ اَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً﴾	25	الأعراف	7	610
﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدَ اَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَٰرِے سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشاً﴾	25	الأعراف	7	745
﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾	26	الأعراف	7	610
﴿قُلَ اَمَرَ رَبِّے بِالْقِسْطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾	28	الأعراف	7	455
﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۖ﴾	28	الأعراف	7	355
﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾	29	الأعراف	7	611
﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُوٓاْۖ﴾	29	الأعراف	7	483
﴿فَإِذَا جَآءَ اجَلُهُمْ لاَ يَسْتَٰخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَۖ ﴾ 32	32	الأعراف	7	283، 474، 614

﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِۚ﴾	39	الأعراف	7	720
﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِۚ﴾	39	الأعراف	7	711
﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ﴾	47	الأعراف	7	282
﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾	52	الأعراف	7	395
﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ 82﴾	82	الأعراف	7	617
﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ﴾	87	الأعراف	7	313
﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ 91﴾	91	الأعراف	7	213
﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ﴾	125	الأعراف	7	722
﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ﴾	130	الأعراف	7	307، 308
﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ﴾	143	الأعراف	7	348، 525
﴿لَن تَرَىٰنِي﴾	143	الأعراف	7	328، 329
﴿۞وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ﴾	149	الأعراف	7	339
﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾	151	الأعراف	7	435، 517
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾	152	الأعراف	7	518
﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ 156﴾	156	الأعراف	7	822

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيٓءَ ٱلۡأُمِّيَّ﴾	157	الأعراف	7	822
﴿فَـَٔامِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيٓءِ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِے يُومِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾	158	الأعراف	7	270
﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِے ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ﴾	168	الأعراف	7	628
﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ﴾	176	الأعراف	7	501
﴿مَنۡ يَّهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِےۖ﴾	178	الأعراف	7	283
﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا﴾	179	الأعراف	7	611
﴿أَيَّانَ مُرۡسِيٰهَاۖ﴾	187	الأعراف	7	419
﴿قُلِ اِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ﴾	187	الأعراف	7	372
﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسِيٰهَاۖ﴾	187	الأعراف	7	418
﴿فَلَمَّا تَغَشِّيٰهَا﴾	189	الأعراف	7	657
﴿هُوَ ٱلَّذِے خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾	189	الأعراف	7	656
﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَامُرۡ بِالۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَۖ 199﴾	199	الأعراف	7	511
﴿وَإِذَا لَمۡ تَاتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا اَجۡتَبَيۡتَهَاۖ قُلِ اِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحِيٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۖ﴾	203	الأعراف	7	372
﴿وَإِذَا قُرِۓَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَاسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾	204	الأعراف	7	434
﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمُۥٓ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمُۥٓ إِيمَٰنٗا﴾	2	الأنفال	8	190، 193
﴿لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ﴾	8	الأنفال	8	520
﴿وَلَوَ اَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ﴾	23	الأنفال	8	320
﴿إِن يَّنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾	38	الأنفال	8	809، 810

﴿وَإِنَ اَحَدٌ مِّنَ اَ۬لْمُشْرِكِينَ إِسْتَجَارَكَ﴾	6	التوبة	9	،231 518
﴿لَا يَرْقُبُونَ فِے مُومِنٍ اِلّاٗ وَلَا ذِمَّةٗۖ﴾	10	التوبة	9	749
﴿اَتَخْشَوْنَهُمْۖ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾	13	التوبة	9	431
﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْماٗ نَّكَثُوٓاْ أَيْمَانَهُمْ﴾	13	التوبة	9	430
﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٖ مُّومِنِينَ 14﴾	14	التوبة	9	786
﴿۞اِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اُ۬للَّهُ﴾	40	التوبة	9	315
﴿عَفَا اَ۬للَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ﴾	43	التوبة	9	822
﴿قُلَ اَنفِقُواْ طَوْعاً اَوْ كَرْهاٗ لَّنْ يُّتَقَبَّلَ مِنكُمُۥٓۖ﴾	53	التوبة	9	453
﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَنْ يُّرْضُوهُ﴾	62	التوبة	9	،290 ،524 615
﴿وَرِضْوَانٞ مِّنَ اَ۬للَّهِ أَكْبَرُۖ﴾	73	التوبة	9	229
﴿إِسْتَغْفِرْ لَهُمُۥٓ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمُۥٓ﴾	81	التوبة	9	4381، 453
﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاٗ وَلْيَبْكُواْ كَثِيراٗ﴾	83	التوبة	9	676
﴿۞وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ﴾	86	التوبة	9	532
﴿خَلَطُواْ عَمَلاٗ صَٰلِحاٗ وَءَاخَرَ سَيِّئاٗ﴾	103	التوبة	9	،514 ،517 740
﴿إِنَ اَرَدْنَآ إِلَّا اَ۬لْحُسْنَىٰۖ﴾	108	التوبة	9	326
﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيٓءِ وَالذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنْ يَّسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ اُوْلِے قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُۥٓ أَنَّهُمُۥٓ أَصْحَٰبُ اُ۬لْجَحِيمِۖ 114﴾	114	التوبة	9	476
﴿وَمَا كَانَ إِسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن	115	التوبة	9	476

مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌۖ 115﴾				
﴿إِيتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُۚ﴾	15	يونس	10	279
﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَنُ اُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآءِ نَفْسِيَۖ﴾	15	يونس	10	279
﴿۞وَمَا كَانَ اَ۬لنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْۖ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَۖ 19﴾	19	يونس	10	683
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِے اِ۬لْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾	22	يونس	10	274
﴿وَاللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دارِ اِ۬لسَّلَٰمِ﴾	25	يونس	10	349، 525
﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمُۥٓ إِلَّا ظَنّاًۖ اِنَّ اَ۬لظَّنَّ لَا يُغْنِے﴾	36	يونس	10	236
﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِے كِتَٰبٍ مُّبِينٍۖ 61﴾	61	يونس	10	327
﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي اِ۬لسَّمَاوَاتِ وَمَن فِي اِ۬لَارْضِۖ﴾	66	يونس	10	617
﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا اَ۬لْكِبْرِيَآءُ فِي اِ۬لَارْضِ﴾	78	يونس	10	292
﴿أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَۖ 80﴾	80	يونس	10	438
﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾	87	يونس	10	292
﴿وَأَقِيمُواْ اُ۬لصَّلَوٰةَۖ وَبَشِّرِ اِ۬لْمُومِنِينَۖ 87﴾	87	يونس	10	292
﴿فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ﴾	89	يونس	10	497
﴿إِن كُنتُمْ فِے شَكٍّ﴾	104	يونس	10	315

﴿وَإِنْ يُّرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾	107	يونس	10	288
﴿وَيُوتِ كُلَّ ذِے فَضْلٍ فَضْلَهُۥۖ﴾	3	هود	11	236
﴿أَلَا يَوْمَ يَاتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ﴾	8	هود	11	326
﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ اَ۬لسَّمْعَ﴾	20	هود	11	609
﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَۖ 28﴾	28	هود	11	426
﴿قَالَ إِنَّمَا يَاتِيكُم بِهِ اِ۬للَّهُ﴾	33	هود	11	372
﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِے فِے اِ۬لذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَۖ 37﴾	37	هود	11	183
﴿وَمَنَ اٰمَنَۖ وَمَآ ءَامَنَ﴾	40	هود	11	766
﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى اَ۬لْجُودِيِّۖ﴾	44	هود	11	697
﴿وَغِيضَ اَ۬لْمَآءُ﴾	44	هود	11	339
﴿يَٰٓأَرْضُ اُ۪بْلَعِے مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِے﴾	44	هود	11	542
﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً اِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾	52	هود	11	236
﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ اُ۬للَّهِ لَكُمُۥٓ ءَايَةً فَذَرُوهَا﴾	63	هود	11	442
﴿قَالُواْ سَلَٰماًۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ﴾	68	هود	11	300، 478
﴿أَصَلَوَاتُكَ تَامُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾	87	هود	11	427
﴿أَصَلَوَاتُكَ تَامُرُكَ﴾	87	هود	11	194
﴿إِنَّكَ لَأَنتَ اَ۬لْحَلِيمُ اُ۬لرَّشِيدُۖ 87﴾	87	هود	11	732
﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍۖ 91﴾	91	هود	11	252
﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ اُ۬لنَّاسُ﴾	103	هود	11	284، 285
﴿۞يَوْمَ يَاتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ اِلَّا بِإِذْنِهِۦۖ﴾	105	هود	11	705

﴿وَأَرْسِلُونِ 45 يُوسُفُ﴾ 46	45-	يوسف	12	520
﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضاً﴾	9	يوسف	12	232
﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾	18	يوسف	12	293
﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾	18	يوسف	12	614
﴿وَرَاوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾	23	يوسف	12	210، 211، 657
﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ﴾	29	يوسف	12	525
﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾	32	يوسف	12	217، 521
﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْراً﴾	36	يوسف	12	611
﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾	40	يوسف	12	355
﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾	43	يوسف	12	544
﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِالسُّوٓءِ﴾	53	يوسف	12	477- 475
﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾	76	يوسف	12	545
﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾	82	يوسف	12	514، 611، 618، 654
﴿تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ﴾	85	يوسف	12	522
﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾	86	يوسف	12	371
﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ﴾	90	يوسف	12	280
﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾	90	يوسف	12	185

بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ 119﴾				
﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾	1	الإسراء	17	229، 537
﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾	9	الإسراء	17	217
﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا 23﴾	23	الإسراء	17	688
﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾	40	الإسراء	17	425، 433
﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا 45﴾	45	الإسراء	17	615
﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾	48	الإسراء	17	438
﴿ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا 81﴾	81	الإسراء	17	535
﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا 81﴾	81	الإسراء	17	534
﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾	85	الإسراء	17	279
﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾	100	الإسراء	17	293، 296، 321، 322
﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا 101﴾	101	الإسراء	17	445
﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾	5	الكهف	18	452
﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾	18	الكهف	18	672
﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾	18	الكهف	18	301
﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا 18﴾	18	الكهف	18	609
﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾	29	الكهف	18	786

﴿لَّٰكِنَّا هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾	37	الكهف	18	84، 131، 512
﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيا كَمَآءٍ انزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلاَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾	44	الكهف	18	578
﴿اِلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ اِلدُّنْيا﴾	45	الكهف	18	701
﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾	60	الكهف	18	290، 615
﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾	62	الكهف	18	290
﴿فَإِنِّي نَسِيتُ﴾	62	الكهف	18	615
﴿جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَّنفَضَّ﴾	76	الكهف	18	613
﴿يَاخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً 78﴾	78	الكهف	18	515
﴿إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسُّدَّيْنِ﴾	89	الكهف	18	315
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَاراً﴾	92	الكهف	18	315
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾	92	الكهف	18	315
﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآءَ 1﴾	1	مريم	19	157
﴿وَاشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً﴾	3	مريم	19	359
﴿وَلَمَ اكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّاً 3﴾	3	مريم	19	330
﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾	14	مريم	19	228
﴿فَلَنُ اكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيّاً 25﴾	25	مريم	19	328
﴿وَمَا كَانَتُ امُّكِ بَغِيّاً 27﴾	27	مريم	19	519، 525
﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ﴾	42	مريم	19	442

﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيّٗا 51﴾	51	مريم	19	544
﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيّٗا 61﴾	61	مريم	19	615
﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمٗا﴾	62	مريم	19	721
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا 64﴾	64	مريم	19	332
﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا 65﴾	65	مريم	19	231
﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامٗا﴾	73	مريم	19	417، 517
﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ 4﴾	4	طه	20	663، 690
﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ 16﴾	16	طه	20	279، 430
﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾	17	طه	20	279
﴿هِيَ عَصَايَ﴾	17	طه	20	205
﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي 24﴾	24	طه	20	527
﴿وَيَسِّرْ لِيَ أَمْرِي 25﴾	25	طه	20	527
﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ 43﴾	43	طه	20	452
﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾	48	طه	20	292
﴿إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾	62	طه	20	194، 523
﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ 66﴾	66	طه	20	358
﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ 68﴾	68	طه	20	221
﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾	69	طه	20	358
﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾	77	طه	20	211

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً لَّهُۥ خُوَارٌ﴾	86	طه	20	631
﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾	90	طه	20	328
﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ﴾	92	طه	20	768
﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنَ اَثَرِ اِ۬لرَّسُولِ﴾	94	طه	20	517، 618
﴿وَانظُرِ اِلَيٰٓ إِلَٰهِكَ﴾	95	طه	20	765
﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ اَ۬لْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً 110﴾	110	طه	20	533
﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ اَ۬لْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ 114﴾	114	طه	20	194
﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ اِ۬لشَّيْطَٰنُ قَالَ﴾	117	طه	20	471
﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجاً مِّنْهُمْ﴾	129	طه	20	440
﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي اِ۬لْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ اُ۬لْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ 77 فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾	77-78	الأنبياء	21	750
﴿لَوَ اَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً﴾	17	الأنبياء	21	526
﴿أَمِ اِتَّخَذُوٓاْ﴾	21	الأنبياء	21	441
﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ 23﴾	23	الأنبياء	21	549
﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ 24﴾	24	الشعراء	21	415
﴿وَجَعَلْنَا مِنَ اَ۬لْمَآءِ كُلَّ شَےْءٍ حَيٍّ﴾	30	الأنبياء	21	220
﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾	33	الأنبياء	21	517، 787

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَالِدُونَ 34﴾	34	الأنبياء	21	535
﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾	36	الأنبياء	21	217
﴿۞وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾	47	المائدة	21	237
﴿لَأَكِيدَنَّ﴾	57	الأنبياء	21	522
﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ 57﴾	57	الأنبياء	21	425
﴿ءَآنتَ فَعَلْتَ هَاذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ 62﴾	62	الأنبياء	21	424
﴿ءَآنتَ فَعَلْتَ هَاذَا بِـَٔالِهَتِنَا﴾	62	الأنبياء	21	297
﴿ءَآنتَ فَعَلْتَ هَاذَا﴾	62	الأنبياء	21	281
{فَسْئَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ }	63	الأنبياء	21	666
﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾	63	الأنبياء	21	281، 296، 424، 666
﴿وَكُلًّا ـاتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾	78	الأنبياء	21	750، 751
﴿فَهَلَ اَنتُمْ شَاكِرُونَ 79﴾	79	الأنبياء	21	409
﴿قُلِ اِنَّمَا يُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمُۥٓ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾	107	الأنبياء	21	373
﴿إِنَّ ٱلذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	23	الحج	22	492
﴿وَالْمُقِيمِي اِلصَّلَوٰةِ﴾	33	الحج	22	525
﴿وَلَنْ يُّخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾	45	الحج	22	328
﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي اِلنَّهارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي اِلَّيْلِ﴾	59	الحج	22	675، 677

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾	61	الحج	22	423
﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾	63	الحج	22	84، 131، 512
﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا﴾	71	الحج	22	328
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾	71	الحج	22	442
﴿وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾	75	الحج	22	355
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ 12 ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ 13 ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ 14﴾	12-14	المؤمنون	23	683
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ 58 وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُومِنُونَ 59﴾	58-59	المؤمنون	23	302
﴿بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ 82 قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ 83﴾	82-83	المؤمنون	23	469
﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ 15 ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ 16﴾	15-16	المؤمنون	23	302
﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَاكُلُ مِمَّا تَاكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ 33﴾	33	المؤمنون	23	357
﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ﴾	35	المؤمنون	23	519
﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾	52	المؤمنون	23	435

﴿رَبِّ إِرْجِعُونِ 100﴾	100	المؤمنون	23	289، 616
﴿قَالَ رَبِّ إِرْجِعُونِ 100﴾	100	المؤمنون	23	291
﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۖ﴾	13	النور	24	397
﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم﴾	16	النور	24	397
﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اُ۬للَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ اَ۬للَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞۖ 20﴾	20	النور	24	516
﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَّغْفِرَ اَ۬للَّهُ لَكُمْۖ﴾	22	النور	24	430
﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى اَ۬للَّهِ جَمِيعاً اَيُّهَ اَ۬لْمُومِنُونَ﴾	31	النور	24	442
﴿فَكَاتِبُوهُمُۥٓ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراٗۖ﴾	33	النور	24	435
﴿۞اَ۬للَّهُ نُورُ اُ۬لسَّمَاوَاتِ وَالَارْضِۖ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَواةٖ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ اِ۬لْمِصْبَاحُ﴾	35	النور	24	
﴿۞اَ۬للَّهُ نُورُ اُ۬لسَّمَاوَاتِ وَالَارْضِۖ﴾	35	النور	24	
﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٞۖ﴾	35	النور	24	710
﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالَاصَالِ رِجَالٞ﴾	36	النور	24	281، 480
﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا﴾	36	النور	24	524
﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ﴾	43	النور	24	231
﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِۖ﴾	62	النور	24	284
﴿وَقَالُوٓاْ أَسَاطِيرُ اُ۬لَاوَّلِينَ﴾	5	الفرقان	25	518
﴿اَهَٰذَا اَ۬لذِے بَعَثَ اَ۬للَّهُ رَسُولًا 41﴾	41	الفرقان	25	217، 429
﴿۞اَلَمْ تَرَ إِلَيا رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ اَ۬لظِّلَّ﴾	45	الفرقان	25	423
﴿مَرَجَ اَ۬لْبَحْرَيْنِ﴾	53	الفرقان	25	618

﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ 78 وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ 79 وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ 80﴾	78-80	الشعراء	26	299
﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٖ وَبَنِينَ 133 وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ 134﴾	133-134	الشعراء	26	468
﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ 22 قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾	22-23	الشعراء	26	278
﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ 88 إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٖ سَلِيمٖ 89﴾	88-89	الشعراء	26	823
﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ 15﴾	15	الشعراء	26	613
﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ 22﴾	22	الشعراء	26	525
﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ 22﴾	22	الشعراء	26	415
﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ 23﴾	23	الشعراء	26	415
﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ 25﴾	25	الشعراء	26	415
﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٞ 26﴾	26	الشعراء	26	226، 416
﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ 27﴾	27	الشعراء	26	416
﴿نَعْبُدُ أَصْنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ 71﴾	71	الشعراء	26	279
﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوّٞ لِّيٓ﴾	77	الشعراء	26	614
﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ 78﴾	78	الشعراء	26	677
﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٖ فِي ٱلْأٓخِرِينَ 84﴾	84	الشعراء	26	609

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ 87﴾	87	الشعراء	26	823
﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ 117﴾	117	الشعراء	26	185
﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ 132﴾	132	الشعراء	26	468
﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ 133﴾	133	الشعراء	26	470
﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ 151﴾	151	الشعراء	26	190، 194
﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَالَمِينَ 165﴾	165	الشعراء	26	426
﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ 168﴾	168	الشعراء	26	770، 773
﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ 30 أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ 31﴾	30-31	النمل	27	509
﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾	12	النمل	27	513
﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ 13﴾	13	النمل	27	331
﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾	14	النمل	27	424
﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾	14	النمل	27	331
﴿مَا لِيَ لَا أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ 20﴾	20	النمل	27	421
﴿مَا لِيَ لَا أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾	20	النمل	27	422
﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ 22﴾	22	النمل	27	769
﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ﴾	28	النمل	27	289، 614
﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ 36﴾	36	النمل	27	291

﴿ارْجِعِ الَيْهِمْ﴾	38	النمل	27	291
﴿لَوْلاَ تَسْتَغْفِرُونَ أَللَّهَ﴾	48	النمل	27	397
﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَاتِى وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْماً﴾	86	النمل	27	424
﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِے أَلصُّورِ فَفَزِعَ﴾	89	النمل	27	282
﴿صُنْعَ أَللَّهِ﴾	90	النمل	27	614
﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ أَلسَّحَابِ﴾	90	النمل	27	599
﴿وَقَالَتِ إِمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾	8	القصص	28	178
﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾	9	القصص	28	516
﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ اِلْمَرَاضِعَ﴾	11	القصص	28	288
﴿هَلَ اَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ 11﴾	11	القصص	28	727
﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنَ اَقْصَا أَلْمَدِينَةِ يَسْعِىٰ﴾	19	القصص	28	227
﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ﴾	31	القصص	28	445
﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ أَلْيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾	73	القصص	28	674
﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ أَلْيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ 73﴾	73	القصص	28	699
﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِالْعُصْبَةِ﴾	76	القصص	28	288، 614
﴿ءَامَنَّا بِالذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾	46	العنكبوت	29	516
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ أَلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ أَلشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ أَللَّهُ﴾	61	العنكبوت	29	294

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾	64	العنكبوت	29	217
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾	22	الروم	30	700
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾	23	الروم	30	519
﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ 28	28	الروم	30	425
﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾	32	الروم	30	309
﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾	34	الروم	30	83، 193
﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ 35﴾	35	الروم	30	308
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾	42	الروم	30	771
﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾	54	الروم	30	760
﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾	13	لقمان	31	541
﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾	26	لقمان	31	320
﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ 12﴾	12	السجدة	32	324
﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾	12	السجدة	32	208، 515

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِے اِ۬لسَّبِيلَ 4﴾	4	الأحزاب	33	374
﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالذِے يُغْشِيٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾	19	الأحزاب	33	517
﴿يَوَدُّواْ لَوَ اَنَّهُم بَادُونَ فِے اِ۬لَاعْرَابِ﴾	20	الأحزاب	33	322
﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلِيٰ فِے بُيُوتِكُنَّ مِنَ ـايَٰتِ اِ۬للَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾	34	الأحزاب	33	751
﴿وَتَخْشَي ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشِياهُ﴾	37	الأحزاب	33	773
﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ اَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾	40	الأحزاب	33	331
{إِنَّا عَرَضْنَا ٱلامَانَةَ عَلَي ٱلسَّمَاوَاتِ والَارْضِ والْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وأَشْفَقْنَ مِنْهَا وحَمَلَهَا ٱلِانسَانُ إِنَّهُۥ كَانَ	70	الأحزاب	33	646
﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَيٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمُۥٓ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ اِنَّكُمْ لَفِے خَلْقٍ جَدِيدٍ 7﴾	7	سبأ	34	734
﴿اَفْتَرِيٰ عَلَى اَ۬للَّهِ كَذِباً اَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾	8	سبأ	34	176
﴿غُدُوُّهَا شَهْرٞ وَرَوَاحُهَا شَهْرٞ﴾	12	سبأ	34	233
﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ يُجَٰزِيٰٓ إِلَّا ٱلْكَفُورُ 17﴾	17	سبأ	34	535
﴿وَهَلْ يُجَٰزِيٰٓ إِلَّا ٱلْكَفُورُ 17﴾	17	سبأ	34	425
﴿وَإِنَّآ أَوِ اِيَّاكُمْ لَعَلَيٰ هُدىً اَوْ فِے ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ 24﴾	24	سبأ	34	244
﴿وَلَوْ تَرِيٰٓ إِذِ اِ۬لظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾	31	سبأ	34	515
﴿بَلْ مَكْرُ اُ۬ليْلِ﴾	33	سبأ	34	191
﴿وَهُمْ فِے اِ۬لْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ 37﴾	37	سبأ	34	617
﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ اُ۬للَّهِ يَرْزُقُكُم﴾	3	فاطر	35	301

﴿وَإِنْ يُّكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾	4	فاطر	35	520
﴿وَإِنْ يُّكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ﴾	4	فاطر	35	315
﴿وَاللَّهُ ٱلذِے أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَٰهُ﴾	9	فاطر	35	274
﴿وَاللَّهُ ٱلذِے أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً﴾	9	فاطر	35	325
﴿وَمَا يَسْتَوِے ٱلْبَحْرَٰنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ اجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَاكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً﴾	12	فاطر	35	745
﴿وَمِن كُلٍّ تَاكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾	12	فاطر	35	290
﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾	15	فاطر	35	442
﴿وَمَا يَسْتَوِے ٱلَاعْمِىٰ وَالْبَصِيرُ 19﴾	19	فاطر	35	672
﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾	37	فاطر	35	426
﴿عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالَارْضِ﴾	38	فاطر	35	222
﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾	43	فاطر	35	505
﴿إِتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ 19 إِتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمُۥ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ 20﴾	19-20	يس	36	533
﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ 13﴾	13	يس	36	180
﴿مَآ أَنتُمُۥ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَےْءٍ اِنَ اَنتُمُۥ إِلَّا تَكْذِبُونَ 14﴾	14	يس	36	181
﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ 15﴾	15	يس	36	180
﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلذِے فَطَرَنِے وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ 21﴾	21	يس	36	273، 318

﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ﴾	21	يس	36	273
﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾	29	يس	36	616
﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾	36	يس	36	631
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ 44﴾	44	يس	36	515
﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾	51	يس	36	632
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ 72 فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ 73﴾	-72 73	الصافات	37	764
﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾	48	الصافات	37	514
﴿ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ 86﴾	86	الصافات	37	354
﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ 86﴾	86	الصافات	37	426
﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ 95﴾	95	الصافات	37	426
﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ 109﴾	109	الصافات	37	228
﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ 117 وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ 118﴾ -117	118	الصافات	37	784
﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ﴾	158	الصافات	37	234
﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ 168﴾	168	الصافات	37	322
﴿لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ 7﴾	7	ص	38	330
﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ 19﴾	19	ص	38	824
﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ﴾	21	ص	38	291
﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ	22	ص	38	656

نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾				
﴿هَٰذَا ذِكْرٌۖ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ 48﴾	48	ص	38	825
﴿هَٰذَاۖ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ 54﴾	54	ص	38	824
﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾	74	ص	38	607
﴿فَاعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ ٱلدِّينَۖ 2 أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۖ﴾ 3	-2	الزمر	39	234
﴿فَاعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ ٱلدِّينَۖ 2﴾	2	الزمر	39	354
﴿فَاعْبُدِ ٱللَّهَ﴾	2	الزمر	39	354
﴿هَلْ يَسْتَوِے ٱلذِينَ يَعْلَمُونَ وَالذِينَ لَا يَعْلَمُونَۖ﴾	10	الزمر	39	344
﴿يَٰعِبَادِ فَاتَّقُونِۖ 15﴾	15	الزمر	39	442
﴿وَالذِينَ إَجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾	16	الزمر	39	374
﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾	22	الزمر	39	374
﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلَانفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالتِے لَمْ تَمُتْ فِے مَنَامِهَاۖ﴾	39	الزمر	39	704
﴿لَئِنَ اَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾	62	الزمر	39	316، 355
﴿بَلِ ٱللَّهَ فَاعْبُدْ﴾	63	الزمر	39	353، 354، 355
﴿وَالَارْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَالسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۖ﴾	64	الزمر	39	664
﴿وَنُفِخَ فِے ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِے ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الزمر	65	الزمر	39	282
﴿وَقَالَ ٱلذِےٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِۖ 38 يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ	-38 39	غافر	40	530

ﭐلدُّنْيا مَتَٰعٌ﴾				
﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِے ٱلطَّوْلِۖ﴾	2	غافر	40	456
﴿ٱلذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُومِنُونَ بِهِۦ﴾	6	غافر	40	547
﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۖ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾	8	غافر	40	234
﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقاًۖ﴾	12	غافر	40	610
﴿فَادْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾	13	غافر	40	353
﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُۖ 18﴾	18	غافر	40	741
﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّومِنٌ مِّنَ ـالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾	28	غافر	40	357
﴿يَكْتُمُ﴾	28	غافر	40	357
﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ﴾	31	غافر	40	157
﴿كَبُرَ مَقْتاً عِندَ ٱللَّهِ﴾	35	غافر	40	452
﴿لَّعَلِّيَ أَبْلُغُ ٱلاَسْبَٰبَ 36 أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعُ﴾ -37	36	غافر	40	398
﴿لَّعَلِّيَ أَبْلُغُ ٱلاَسْبَٰبَ 36 أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ -37	36	غافر	40	234
﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِے صَرْحاً﴾	36	غافر	40	194، 199
﴿۞وَيَٰقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمُۥٓ﴾	41	غافر	40	442
﴿۞وَلَقَدَ ـاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدِيٰ﴾	53	غافر	40	234
﴿إِنَّ ٱلذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِے سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَۖ 60﴾	60	غافر	40	212

﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ 5 ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	6-5	فصلت	41	547
﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾	2	فصلت	41	780
﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ 10﴾	10	فصلت	41	291، 616
﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾	16	فصلت	41	523
﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾	27	فصلت	41	708
﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾	39	فصلت	41	435
﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾	45	فصلت	41	518
﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ 45﴾	45	فصلت	41	548
﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾	45	فصلت	41	518
﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ 49 صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾	49-50	الشورى	42	233
﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ 38 إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾	38-39	الشورى	42	372
﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ 46 أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾	46-47	الشورى	42	706
﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ﴾	1	الشورى	42	524
﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾	3	الشورى	42	613
﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾	7	الشورى	42	441، 515
﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾	9	الشورى	42	313

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ﴾	9	الشورى	42	654
﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌۖ 15﴾	15	الشورى	42	446
﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ﴾	37	الشورى	42	621، 685
﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍۖ 38 ۞إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ -39	38	الشورى	42	233
﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحاً إِن كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَۖ 4﴾	4	الزخرف	43	310
﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُۖ 8﴾	8	الزخرف	43	294، 524
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُۖ 8﴾	8	الزخرف	43	280، 296
﴿سُبْحَٰنَ ٱلذِے سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾	12	الزخرف	43	436
﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِے ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِے ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍۖ 17﴾	17	الزخرف	43	657
﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍۖ 30﴾	30	الزخرف	43	290
﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِے وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾	37	الزخرف	43	618
﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلذِے تَخْتَلِفُونَ فِيهِۖ﴾	63	الزخرف	43	609
﴿يَٰعِبَادِے لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾	68	الزخرف	43	442
﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلتِے أُورِثْتُمُوهَا﴾	72	الزخرف	43	217
﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ﴾	77	الزخرف	43	84، 131، 512
﴿قُلِ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَۖ 81﴾	81	الزخرف	43	311

﴿قُلِ إن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾	81	الزخرف	43	307
﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾	82	الزخرف	43	237
﴿وَهُوَ ٱلذِے فِے ٱلسَّمَآءِ اِلَٰهٌ وَفِے ٱلاَرْضِ إِلَٰهٌ﴾	84	الزخرف	43	236
﴿وَهُوَ ٱلذِے فِے ٱلسَّمَآءِ اِلَٰهٌ وَفِے ٱلاَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ 84﴾	84	الزخرف	43	237
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾	87	الزخرف	43	294، 524
﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِے إِسْرَآءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ 29 مِن فِرْعَوْنَ﴾	29-30	الدخان	44	427
﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ 12 ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ 13﴾ -12	13	الدخان	44	429
﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ 29﴾	29	الدخان	44	427
﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِياً مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ 30﴾	30	الدخان	44	428
﴿ذُقِ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ 46﴾	46	الدخان	44	436، 731
﴿لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلاَّ ٱلْمَوْتَةَ ٱلاُولَىٰ﴾	53	الدخان	44	721
﴿إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنّاً﴾	31	الجاثية	45	230، 387
﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْراً﴾	14	الأحقاف	46	726
﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾	19	الأحقاف	46	287، 288
﴿فَأَصْبَحُواْ لاَ تَرَىٰ إِلاَّ مَسَٰكِنَهُمْ﴾	24	الأحقاف	46	786
﴿فَلَوْلاَ نَصَرَهُمُ ٱلذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾	27	الأحقاف	46	397
﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ 34﴾	34	الأحقاف	46	425

﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَاۚ 4﴾	4	محمد	47	193
﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ﴾	6	الفتح	48	545
﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ﴾	10	الفتح	48	607
﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾	29	الفتح	48	674
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ﴾	1	الحجرات	49	442
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ﴾	5	الحجرات	49	322
﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾	7	الحجرات	49	250
﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْۖ﴾	14	الحجرات	49	330
﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ﴾	17	الحجرات	49	519
﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾	24	ق	50	289، 290، 615
﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ 6﴾	6	الذاريات	51	284، 285
﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ 12﴾	12	الذاريات	51	419
﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ 23﴾	23	الذاريات	51	747، 806
﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾	47	الذاريات	51	690، 691
﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ 48﴾	48	الذاريات	51	481
﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾	58	الذاريات	51	246
﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ 10﴾	10	الطور	52	452
﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْۖ﴾	14	الطور	52	438

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ 1 مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ 2﴾	2-1	النجم	53	778
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ 3 إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ 4﴾	4-3	النجم	53	86، 109، 812
﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ 8﴾	8	النجم	53	289، 614
﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ 42﴾	42	النجم	53	344
﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ 47﴾	47	النجم	53	344
﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ 48﴾	48	النجم	53	777
﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ 56﴾	56	النجم	53	771
﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾	5	القمر	54	546
﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾	12	القمر	54	359
﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ 3 وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ 4﴾	4-3	الرحمن	55	682، 695، 701
﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ 31 فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ 32﴾	-31 32	الرحمن	55	292
﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ 11﴾	11	الرحمن	55	532
﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ 20﴾	20	الرحمن	55	290، 615
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ 24 وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ 25﴾ -25	24	الرحمن	55	746
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ 24﴾	24	الرحمن	55	532
﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ 53﴾	53	الرحمن	55	770

﴿هَلْ جَزَآءُ اُ۬لِاحْسَٰنِ إِلَّا اُ۬لِاحْسَٰنُۖ 59﴾	59	الرحمن	55	،237 760
﴿۞فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ اِ۬لنُّجُومِ 78 وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ 79۞﴾	78-79	الواقعة	56	542
﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌۖ 2﴾	2	الواقعة	56	614
﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَاثِيماًۖ 27 اِلَّا قِيلاَ سَلَٰماً سَلَٰماًۖ 28﴾ -28	27	الواقعة	56	722
﴿وَأَصْحَٰبُ اُ۬لْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ اُ۬لْيَمِينِۖ 29﴾	29	الواقعة	56	533
﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٞ كَرِيمٞ 80﴾	80	الواقعة	56	542
﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا اُ۬لْمُطَهَّرُونَۖ 82﴾	82	الواقعة	56	451
﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمُۥٓ﴾	85	الواقعة	56	517
﴿فَرَوْحٞ وَرَيْحَانٞ﴾	92	الواقعة	56	771
﴿هُوَ اُ۬لَاوَّلُ وَالَاخِرُ وَالظَّٰهِرُ وَالْبَاطِنُۖ﴾	3	الحديد	57	،455 ،456 544
﴿لَا يَسْتَوِے مِنكُم مَّنَ اَنفَقَ مِن قَبْلِ اِ۬لْفَتْحِ وَقَٰتَلَۖ﴾	10	الحديد	57	517
﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٖ فَخُورٍۖ 22﴾	22	الحديد	57	263
﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ اُ۬لشَّيْطَٰنِۖ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ اَ۬لشَّيْطَٰنِ﴾	19	المجادلة	58	545
﴿اُ۬لْخَالِقُ اُ۬لْبَارِئُ اُ۬لْمُصَوِّرُۖ﴾	24	الحشر	59	455
﴿هُوَ اَ۬للَّهُ اُ۬لْخَٰلِقُ اُ۬لْبَارِئُ اُ۬لْمُصَوِّرُۖ﴾	24	الحشر	59	،239 ،543 744
﴿لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ﴾	10	الممتحنة	60	687
﴿هَلَ اَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ اَلِيمٍ 10﴾	10	الصف	61	،450 451

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلَ اَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ اَلِيمٖ 10﴾	10	الصف	61	430
﴿كَمَثَلِ اِ۬لْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراَۢ﴾	5	الجمعة	62	221، 574
﴿لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾	5	الجمعة	62	574
﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرِيٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ اِ۬لْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراَۢ﴾	5	الجمعة	62	590، 595
﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرِيٰةَ﴾	5	الجمعة	62	574
﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾	1	المنافقون	63	175
﴿قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۖ﴾	1	المنافقون	63	182
﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلَاعَزُّ مِنْهَا ٱلَاذَلَّۖ وَلِلهِ اِ۬لْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُومِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَۖ 8﴾	8	المنافقون	63	734
﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾	10	المنافقون	63	397
﴿لَا تَدْرِے لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْراٗۖ 1﴾	1	الطلاق	65	447
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيٓءُ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾	1	الطلاق	65	292
﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾	2	الطلاق	65	283، 613
﴿مَّآءٖ دَافِقٖ 6﴾	6	الطارق	65	615
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيٓءُ لِمَ تُحَرِّمُ﴾	1	التحريم	66	442
﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ﴾	4	التحريم	66	289، 616
﴿عَسِيٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُّبَدِّلَهُۥٓ أَزْوَٰجاً خَيْراٗ مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٖ مُّومِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ	5	التحريم	66	455

تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا 5﴾				
﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ 6﴾	6	التحريم	66	546، 740
﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ 12﴾	12	التحريم	66	313، 617
﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾	3	الملك	67	544
﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾	4	الملك	67	531، 615
﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ 21﴾	21	الملك	67	326
﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾	27	الملك	67	372
﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ 10 هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ 11 مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ 12 عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ 13﴾	10-13	القلم	68	544
﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ 6﴾	6	القلم	68	615
﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ 10﴾	10	القلم	68	263
﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ 30 ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ 31 ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ 32﴾	30-32	الحاقة	69	778
﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾	10	الحاقة	69	633
﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ 20﴾	20	الحاقة	69	722
﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ 20﴾	20	الحاقة	69	189، 198
﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا 19 إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا 20 وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا 21﴾	19-21	المعارج	70	238، 544، 753
﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ 15 نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ 16﴾ -	15	المعارج	70	193

16				
﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ 22﴾	22	المعارج	70	290
﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلهِ وَقَاراً 13 وَقَدْ خَلَقَكُمُۥٓ أَطْوَاراً 14﴾	13-14	نوح	71	780
﴿فَقُلْتُ إِسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمُۥٓ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّاراً 10﴾	10	نوح	71	773
﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً﴾	16	نوح	71	290
﴿أَنۢبَتَكُم﴾	17	نوح	71	359
﴿وَاللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتاً 17﴾	17	نوح	71	358
﴿أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَاراً 26﴾	26	نوح	71	674
﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً 29﴾	29	نوح	71	612
﴿رَّبِّ إغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُومِناً وَلِلْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَٰتِ﴾	30	نوح	71	529
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيْلَ﴾	1	المزمل	73	442
﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً 14 فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ -15	14	المزمل	73	233
﴿يَوْماً يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيباً﴾	16	المزمل	73	190
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ 1 قُمْ فَأَنذِرْ 2 وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ 3 وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ 4 وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ 5 وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرْ 6 وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ 7﴾	1-7	المدثر	74	780
﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ 3﴾	3	المدثر	74	787
﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ 35﴾	35	المدثر	74	85، 131، 512

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ 21 إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ 22﴾	21-22	القيامة	75	608، 768
﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ 6﴾ 6	6	القيامة	75	419
﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾	16	القيامة	75	823
﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ 19﴾	19	القيامة	75	823
﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِالسَّاقِ 28 إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ 29﴾ 28-	29	القيامة	75	765
﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا 1﴾	1	الإنسان	76	330
﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾	8	الإنسان	76	537
﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا 1 فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا 2﴾ -1	2	المرسلات	77	781
﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا 6 وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا 7﴾	7-6	النبأ	78	546
﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا 44﴾	44	النازعات	79	379
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ 1 أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ 2﴾ 2	-1	عبس	80	273
﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ 3﴾	3	عبس	80	273، 447
﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾	8	التكوير	81	665
﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ 26﴾	26	التكوير	81	418، 422
﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ 28﴾	28	التكوير	81	526
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا الزمر غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ 6﴾	6	الإنفطار	82	431
﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ 13 وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ 14﴾	14	الإنفطار	82	483، 781

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ 1﴾ 1	1	المطففين	83	452
﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ 17 وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ 18 وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ 19 وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ 20﴾	17-20	الغاشية	88	490
﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ 25 ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ 26﴾	25-26	الغاشية	88	781، 811
﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ 15 وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ 16﴾	15-16	الغاشية	88	783
﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ 13 وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ 14﴾ 14-	13	الغاشية	88	781
﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ 25﴾	25	الغاشية	88	358
﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ 5﴾	5	الفجر	89	424
﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾	24	الفجر	89	521، 654
﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا 7﴾	7	الشمس	91	158
﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَاهَا 13﴾	13	الشمس	91	524
﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ 5 وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ 6 فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ 7 وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ 8 وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ 9﴾ -9	5	الليل	92	677
﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ 10﴾	10	الليل	92	677
﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ 9 وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ 10 وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ 11﴾	11-9	الضحى	93	780
﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ 3﴾	3	الضحى	93	348، 525
﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ 6﴾	6	الضحى	93	424
﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ 9 وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا	10	الضحى	93	787

تَنْهَرْ 10﴾ 9-				
﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ 3 وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ 4﴾	4-3	الشرح	94	787
﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ 1 وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ 2﴾ 1-	2	الشرح	94	424، 787
﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً 5 اِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً 6﴾ 6-	5	الشرح	94	235
﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ 1﴾ 1	1	العلق	96	21
﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾	1	العلق	96	352
﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ 17﴾	17	العلق	96	609
﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ 18﴾	18	العلق	96	611
﴿وَمَآ أَدْرِيٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ 2﴾	2	القدر	97	475
﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْاَرْضُ أَثْقَالَهَا 2﴾	2	الزلزلة	99	193، 811
﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ 8﴾	8	العاديات	100	288
﴿وَمَآ أَدْرِيٰكَ مَا هِيَهْ 9 نَارٌ﴾	10-9	القارعة	101	518
﴿اَلْقَارِعَةُ مَا ٱلْقَارِعَةُ 1﴾	1	القارعة	101	428، 533
﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ 8﴾	8	القارعة	101	193
﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ 3 ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ 4﴾ 4-	3	التكاثر	102	529، 534
﴿إِنَّ ٱلْاِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ 1﴾ 1	1	العصر	103	290، 615
﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ 1﴾	1	الهمزة	104	767
﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾	1	الهمزة	104	767

﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ 107﴾	107	هود	104	202، 525
﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ 1 أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ 2﴾	1-2	الفيل	105	779
﴿أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ 2 وَأَرۡسَلَ﴾ -2	3	الفيل	105	424
﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ 2﴾	2	الماعون	107	218
﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ 1 فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ 2﴾	1-2	الكوثر	108	273
﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ 1﴾ 1	1	المسد	111	658
﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ 1 ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ 2﴾ -2	1	الإخلاص	112	208، 235، 545
﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ 1﴾	1	الإخلاص	112	236، 264، 268، 298
﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ 2﴾	2	الإخلاص	112	268

–فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

م	العلم	الصفحة
18	ابن الرومي	216، 501، 580، 644، 754، 777، 809
19	ابن الرومي=علي بن العباس	216، 501، 580، 644، 754، 777، 809
20	ابن الزبير	508
21	ابن الزملكاني	281، 328، 455، 458
22	ابن السبكي	215، 225، 276، 304، 354، 356
23	ابن السكيت	82
24	ابن السكيت =أبو يوسف يعقوب بن إسحاق	82
25	ابن الشجري	182، 619
26	ابن الصائغ	452
27	ابن العربي	67، 685
28	ابن العفيف التلمساني	769
29	ابن العفيف التلمساني =شمس الدين محمد بن سليمان التلمساني	769
30	ابن العميد =أبو الفضل محمد بن الحسين بن محمد الكاتب	644
31	ابن القاسم	244
32	ابن القاص	195
33	ابن المعتز	574، 584، 743، 777
34	ابن المعتز = عبد الله بن المعتز العباسي	574، 584، 743، 777
35	ابن المنير	303
36	ابن النقيب =أبو عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان البلخي	714
37	ابن تيمية = أحمد بن عبد الحليم راجع العلم	176، 248، 539، 717، 728، 766، 812، 837، 839
38	ابن جابر	168
39	ابن جرير الطبري	122، 278
40	ابن جزي	456، 742
41	ابن جني	332، 424، 549

م	العلم	الصفحة
66	ابن عطاء	70
67	ابن عطية	329، 619
68	ابن عمر	759
69	ابن فارس	292، 452
70	ابن قتيبة	202
71	ابن قيم الجوزية	123
72	ابن كثير = إسماعيل بن عمر	66، 122، 238، 290، 722، 834
73	ابن ماجة	66، 757
74	ابن ماجة=أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني	66، 757
75	ابن مالك	120، 135، 156، 160، 165، 170، 281، 305، 322، 329، 369، 371، 372، 406، 409، 414، 419، 482، 524، 679، 726، 753، 754، 755، 756، 786، 800، 837
76	ابن مسعود	511
77	ابن مكانس	751
78	ابن مكانس =أبو الفرج فخر الدين عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم	751
79	ابن ميادة=أبو شراحيل الرماح بن يزيد	806
80	ابن هشام	70، 123، 236، 261، 321، 322، 413، 414، 464
81	أبو إسحاق الشيرازي	378
82	أبو إسحاق الصابئ	586
83	أبو البقاء	351
84	أبو البقاء الرندي	351
85	أبو الحسن الأشعري	512
86	أبو الحسين بن القطان	378
87	أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري	173
88	أبو السعادات = مبارك بن محمد بن الأثير	182
89	أبو الطيب	294، 531، 678، 679، 709،

-فهرس القصائد العامة

م	الشطر الأول	الشطر الثاني	الصفحة
24	وأظهرتَ فينا مِن سَمِيِّك سُنةً	فأظهرت ذاك الفرضَ من ذلك الندب	694
25	والدهرُ لوْ لم يَخُنْ و الشمسُ لوْ نَطقتْ	والليث لوْ لم يَصِدْ و البحرُ لوْ عَذُبا	599
26	وسَيْرُكَ فينا سيرةً عُمَرِيَّةً فرَوَّحْتَ	عن قلبٍ و أفرجت عن كَرْب	694
27	وصاعقةٍ من نَصْله تَنكفي بها	على أرْؤُسِ الأقْرانِ خمْسُ سَحائب	627
28	ولستَ بمستبق أخا لا تذَمّه	على شَعثٍ أيُّ الرّجال المهذَّب	536
29	وللغَزَالَةِ شيء من تَلَفُّتِه	ونُورُها من ضِيَا خَدَّيْهِ مُكْتسَب	697
30	ولِمْ أقُلْ مثلك أعنى به	سواك يا فرداً بلا مُشَبَّه	261
31	كأنَّ مُثارَ النقعِ فَوقَ رؤوسِنا	وأسيافنَا لَيْلٌ تهاوى كَواكبُهْ	571
32	وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا	كَفَى الْمَرْءُ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهْ	429
33	إذا ما تميميٌّ أتاك مُفَاخِراً	فقلْ عَدِّ عَن ذا، كيفَ أَكْلُكَ للضَّبّ	732
34	أخِلاَّيَ لو غَيْرُ الحِمامِ أصابكم	عَتَبْتُ و لكن ليس للدهر مَعْتَبُ	322
35	تشابهَ دمعي إذ جرى و مُدامتي	فمن مثل ما في الكأس عيني تسكبُ	586
36	طَحَا بِكَ قَلْبٌ في الحِسَانِ طَرُوبُ	بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حانَ مَشِيبُ	274
37	ووراءَ تَسْدِيَةِ الْوِشاحِ مَلِيَّةٌ	بالْحُسْنِ تَمْلُحُ في القلوب و تَعْذُبُ	692
38	يُكَلِّفُنِي لَيْلَى و قد شَطَّ و لْيُها	وعادَتْ عَوَادٍ بيننا و خُطُوبُ	274
39	إذا كوكبُ الخرْقاء لَاحَ بسُحْرَةٍ	سُهيلٌ أذاعت غزلَها فِي القرائبِ	226
40	أسْكَرُ بِالْأَمْسِ إِنْ عَزَمْتُ عَلَى الشُّرْ	بِ غَدًا إِنَّ ذَا مِنَ العَجَبِ	712
41	أَوْ لِبَيَانِ حَالِهِ مِنْ قُرْبِ	أَوْ بُعْدٍ...	217
42	بِيضُ الصفائحِ لا سودُ الصّحائفِ في	متونِهنّ جلاءُ الشكّ و الريبِ	676
43	فَسقَى ٱلْغَضَا و الساكِنِيهِ و إِن هُمُ	شبُّوهُ بينَ جوانحٍ و قلوبِ	697
44	كالغيثِ إن جئتَهُ و افاكَ رِيّعُه	وإن ترحَّلْتَ عنهُ لجَّ في الطَّلَبِ	593
45	وقالَ إني في الْهَوى كاذبٌ	انتقمَ اللهُ مِنَ الْكاذبِ	465
46	ولا فَضْلَ فِيها للشَّجاعَة و النَّدى	وَصَبْرُ الفتى لولا لِقَاءُ شَعُوبِ	504
47	يَكادُ النَّدَى منها يَفيض على الْعِدا	مع السيف في ثِنْيَيْقَناً و قَواضِبِ	627
48	إذا نَزَلَ السَّماءُ بأرضِ قومٍ	رَعَيْناهُ و إنْ كانُوا غِضَابَا	697
49	فَرَجّي الْخَيْرَ و انتظري إيابي	إِذَا مَا الْقَارِظِيّ الْعَنَزِيّ أَبَا	290

حرف التاء

م	الشطر الأول	الشطر الثاني	الصفحة
50	بَنَفْسجٌ جُمعتْ أوراقُه فحَكَتْ	كُحْلاً تَشرَّبَ دمعا يومَ تَشْتيت	584
51	كأنهُ و ضِعافُ الْقُضْبِ تحمِلُه	أوائل النار في أطراف كبريت	584
52	كأنها فوق قامات ضعفن بها	أوائل النار في أطراف كبريت	595
53	كأنها فوقَ قاماتٍ ضَعفْنَ بها	أوائلُ النار في أطْراف كِبريت	583
54	كذبَ العواذلُ، لو رأيْنَ مَناخَها	بالقادسية قُلْنَ لجَّ و ذَلَّت	479
55	ولا زوردية تزهو بزرقتها	بين الرياض على حمر اليواقيت	595
56	ولا زَوَرْدِيَّةٍ تزهو بزُرْقَتِها	بيْنَ الرِّياضِ على حُمْرِ الْيَواقيت	583
57	أَلَا عُمْرَ و لَّى مُسْتَطَاعٌ رُجُوعُهُ	فَيَرْأَبَ مَا أَثَأَتْ يَدُ الغَفَلَاتِ	397
58	زعَم العواذلُ أنَّ ناقةَ جُندَبٍ	بجُنوبِ خَبْتٍ عُرِيَتْ و أُجَمَّتِ	479
59	كما أبْرَقتْ قوماً عِطاشاً غمامةٌ	فلمّا رأوْها أقْشَعَتْ و تجَلَّتِ	576

حرف الجيم

م	الشطر الأول	الشطر الثاني	الصفحة
60	وَكَفَلًا و هْناً إذا تَرَجْرَجَا	...	153
61	أَلَا سَبِيلَ إِلَى خَمْرٍ فَأَشْرَبُهَا	أَمْ لا سَبِيلَ إِلَى نَصْرِ بْنِ حَجَّاجِ	397
62	إنَّ السّماحةَ و الْمروءةَ و النّدى	في قُبَّةٍ ضُربتْ على ابن الْحَشْرَجِ	663
63	أَزْمانَ أبْدتْ و اضِحاً مُفَلّجا	أَغَرَّ بَرّاقاً و طَرْفاً أبْرَجَا	153
64	ومُقْلةً و حاجِباً مُزَجّجا	وَفاحِماً و مَرْسِناً مُسَرَّجَا	153

حرف الحاء

م	الشطر الأول	الشطر الثاني	الصفحة
65	جُمِعَ الحقُّ لنا في إمامٍ	قَتَلَ البُخلَ و أحْيا السماحا	641
66	باتَ نديما لِيَ حتى الصباح	أغْيدُ مجْدولُ مَكانِ الوِشاحْ	590
67	كأنّما يَبْسمُ عن لؤلؤٍ مُنَضَّدٍ	أوْ بَرَدٍ أوْ أقاحْ	590
68	كأن لم يمُتْ حيٌّ سِواكَ و لم تَقُمْ	على أحدٍ إلا عليكَ النوائحُ	389
69	لِيُبْكَ يَزيدُ ضارِعٌ لِخُصومةٍ	ومُخْتبِطٌ ممّا تُطيحُ الطّوائحُ	296
70	وَلَمَّا قَضْيَنا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجَةٍ	وَمَسَّحَ بالأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ	631
71	ثغْرٌ و خدٌّ و نهدٌ و احمرَارُ يدٍ	كالطلعِ و الوَرد و الرّمان و البلَحِ	589
72	لَوْ أَنَّ حَيًّا مُدْرِكُ الْفَلَاحِ	أَدْرَكَهُ مُلَاعِبُ الرِّمَاحِ	322
73	وكأنَّ البَرْقَ مُصَحَفُ قَار	فَانطِباقاً مَرّةً و انفِتَاحا	574

حرف الدال

م	الشطر الأول	الشطر الثاني	الصفحة
127	ثَلاثةٌ تشرقُ الدُّنيا بِبَهجِتها	شَمسُ الضحَى و أبو إسحقَ و القمرُ	339
128	وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكانٍ قَفْرِ	وليسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ	155
129	يا صاحبيَّ تقصَّيا نظريكُما	تَرَيا و جوةَ الأرض كيفَ تصوَّرُ	572
130	أكلتُ دَماً إن لم أَرِعْكِ بضرة	بعيدةِ مَهْوى القِرْط طَيِّبَةِ النَّشْرِ	611
131	باللهِ يا ظبياتِ القاعِ قُلنَ لنا	ليْلايَ منكنَّ أم ليلَى منَ البشرِ	210
132	فإن كان زَهْراً فهْو صُنْعُ سَحابةٍ	وإن كان دُرّاً فهْو من لُجَّةِ البحرِ	599
133	فللهِ ما أدْرِي أزَهْرُ خَميلةٍ	بطِرْسِك أم دُرٌّ يلُوح على نَحْرِ	599
134	فَمَن أَنْتُمُ إنَّا نَسِيْنَا مَنَ أنْتُمُ	وَرِيحُكُمُ مِنْ أيِّ رِيحِ الأعَاصِرِ	429
135	كَالْقِسِيِّ الْمُعَطَّفَاتِ، بَلِ الْأَسْ	هُمِ مَبْرِيَّةً، بَلِ الْأَوْتَارِ	681
136	من كل ساجي الطَّرف أغْيَد أجيدٍ	و مهفهفِ الْكَشْحَيْنِ أحوى أحورِ	771
137	وإذا احْتَبى قَرْبُوسُهُ بِعِنانِهِ	عَلَكَ الشَّكيمَ إِلَى انْصِرافِ الزَّائِرِ	630
138	وإذا تأملَ شخصَ ضيفٍ مُقبلٍ	متسربلٍ سربالَ ليلٍ أغبرِ	216
139	وَإِذَا رَجَوْتَ الْمُسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا	تَبْنِي الرَّجَاءَ عَلَى شَفِيرٍ هَارِ	695
140	والخِلُ كالماءِ يُبْدي لي ضَمائِرُهُ	مَعَ الصَّفاء و يُخْفيها مَعَ الكدَرِ	221
141	وَيُجْعَلُ الْمُقِرُّ مِثْلَ الْمُنْكِرِ	إِنْ سِمَةُ النُّكْرِ عَلَيْهِ تَظْهَرِ	184
142	سَفَرْنَ بُدُوْرًا و انتَقَبْنَ أَهِلَّةً	وَمِسْنَ غُصُوْنًا و التفَتْنَ جَآذِرَا	600

حرف السين

143	قامت تظللني فَواَ عجباً	شمسٌ تظللني من الشمس	645
144	وَإذا ذَكَرْتكُم غَسَلْتُ فَمِي	ولقدْ عَلِمْتُ بأنهُ نَجِسُ	202

حرف الشين

145	والعيشُ خيرٌ فِي ظلا	ل النُّوك ممّن عَاشَ كَدّا	504

حرف الصاد

146	قَالُوا اقْتَرِحْ لَوْنًا نُجِدْلكَ طَبْخَهُ	قُلْتُ اطْبُخُوا لِي جُبَّةً و قَمِيْصَا	686

حرف الضاد

147	جربت دهري و أهليه فما تركت	لي التجارب في و د امرئ غرضا	480
148	وقد عرضْتُ عن الدنيا فهل زمني	معط حياتي لغِرّ بعد ما عرضا	480
149	لَوْلا التَّطَيُّرُ بِالْخِلافِ و أَنَّهُمْ	قَالُوا مَرِيضٌ لا يَعُودُ مَرِيضًا	694

م	الشطر الأول	الشطر الثاني	الصفحة
176	**لَا يَرْقَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَى و إنْ جَهدُوا**	**طُولَ الحَيَاةِ، و لَا يُوهُونَ مَارَقَعَا**	676
177	وَيَا قَبرَ مَعْنٍ كَيْفَ و اريْتَ جُودَهُ	وقَدْ كَانَ مِنْهُ البَرُّ و البَحْرُ مُتْرَعَا	445

حرف الفاء

م	الشطر الأول	الشطر الثاني	الصفحة
178	نحنُ بما عِندنا و أنتَ بما	عندكَ راضٍ و الرَّأيُ مُخْتِلف	296
179	لَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ مَا حُذِفْ	مُمَاثِلاً لِمَا عَلَيْهِ قَدْ عُطِفْ	165
180	كَيْفَ أَسْلُو و أَنتِ حِقْفٌ و غُصْنٌ	وغَزَالٌ لَحْظًا و قدًّا و رِدْفًا	701
181	زَعَمْتُمْ أنَّ إخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ	لهم إلْفٌ و ليس لكُمْ إلافُ	481
182	أَيُّها المنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلًا	عَمْرَكَ اللهُ كَيْفَيَلْتَقِيَانِ	694

حرف القاف

م	الشطر الأول	الشطر الثاني	الصفحة
183	كَمْ عَاقِلٍ عَاقِلٍ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ	وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلْقَاهُ مَرْزُوقا	267
184	لا يألفُ الدِّرهَم الْمَضْروبُ صُرَّتَنا	لكنْ يمُرُّ عليها و هْوَ مُنطِلق	301
185	هَذَا الَّذي تَركَ الأَوهامَ حائِرَةً	وصَيَّرَ العَالِمَ النِّحْرِيرَ زِنْدِيقا	267
186	هَوايَ مع الرَّكْبِ اليمانيِّ مُصْعِدٌ	جنيب و جثماني بمكة موثق	647
187	كَقَوْلِنَا لِمُسْلِمٍ و قَدْ فَسَقْ	يَا أَيُّهَا الْمِسْكِينُ إنَّ الْمَوْتَ حَقْ	184
188	ولئن نَطقْتُ بِشِكْرِ بِرِّكَ مُفْصِحاً	فِلسانُ حالِي بالشِّكاية أنْطَقُ	649
189	فلإنْ كُنْتُ مَأكُولاً فَكُنْ خَيْرَ آكُلٍ	وإلاّ فأدْرِكْني و لما أُمَزَّقِ	331

حرف الكاف

م	الشطر الأول	الشطر الثاني	الصفحة
190	إلهي عبدُك الْعاصي أتاكا	مُقِرّا بالذُّنوبِ و قدْ دَعاكا	270
191	أمَا و الله لوْلا خَوفُ سُخطك	لهانَ عليَّ ما ألقي برهْطك	693
192	فإن تغفرْ فأنتَ لذاكَ أهْلٌ	وإن تَطْرُدْ فمن يرحَمْ سِواكا	270
193	تعاللْتِ كيْ أُشجى و ما بكِ علَّةٌ	تُريدينَ قتلِي قدْ ظفرتِ بذلكِ	268
194	سَئِمْتُ تَكَالِيْفَ الحَيَاةِ و مَنْ يَعِشْ	ثَمَانِينَ حَوْلاً لا أَبَا لَكَيَسْأَمِ	684
195	وأنتَ الذي أخلفتني ما و عدتني	وأشمتَّ بي مَن كان فيكَيلوم	208

حرف اللام

م	الشطر الأول	الشطر الثاني	الصفحة
196	إذا سَئِمَتْ مُهنَّدَهُ يَمِينٌ	لِطُولِ الْحَمْلِ أبدلَه شِمالا	231
197	أقِل أنِل اقْطع احْمِل عَلِّ سَلِّ أعِدْ	زِدْ هَشَّ بَشَّ تَفضَّلْ ادْنُ سُرَّ صل	679
198	ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انْجَلي	بصُبحٍ و ما الإصْباح فيكَ بأمثل	438

	الشطر الأول	الشطر الثاني	الصفحة
225	أولادُ جفنةَ حولَ قبرِ أبيهمُ	قبرِ بنِ ماريةَ الكريمِ المِفضِلِ	228
226	أيَقْتُلُني و المَشْرَفيُّ مُضَاجِعِي	ومَسْنُونَةً زُرْقٌ كأنيابِ أَغْوَالِ	562
227	قال و ما يكُ فِيَّ مِنْ عَيْبٍ فَإِنِّي	جبانُ الْكَلْبِ مَهْزولُ الْفَصِيلِ	663
228	مَا أَحْسَنَ الدِّينَ و الدُّنْيا إذا اجتَمَعا	وَأَقْبَحَ الفِسقَ و الإفلَاسَ بالرَجلِ	678
229	مِكَرّ، مفرٍّ، مُقْبِلٍ، مُدْبِرٍ معاً	كجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ	676
230	فَانْعَقْ بِضَأْنِكَ يَا جَرِيرُ فَإِنَّمَا	مَنَّتْكَ نَفْسُكَ فِي الْخَلَاءِ ضَلَالَا	445
231	هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ	وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّيَمَانِ	695

حرف الميم

232	أثافِيَّ سُفْعًا فِي مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ	وَنُؤيًا كجِذْم الحوْضِ لميتثَلّمِ	680
233	أخو العلمِ حيٌّ خالد بعدَ موته	وأوصالُه تحتَ التُّراب رَميم	561
234	إذا أنا عاتبتُ الملوك كأنما	أخُطُّ بأقلامي على الماء أرقما	582
235	إن بنيَّ خَضّبوني بالدَّم	شِنشِنَةٌ أعْرفُها مِن أخْزَم	204
236	أَنا من خَدّه و عَيْنَيْهِ و الثغر	وَمن رِيقه الْبعيد المرام	600
237	أوَ كُلّما و ردتْ عُكاظَ قبيلةٌ	بَعثوا إليَّ عَريفَهميتوَسَّمُ	300
238	أولئك آبائي فجئني بمثلهم	...	269
239	بَكّي على قَتْلِ الْعدان فإنهُم	طالتْ إقامتُهم ببطن بَرام	479
240	بَين و رد و نرجس و تلالي	أقحوان و بابلي مدام	600
241	ثُمَّ انْصَرَفْتُ و قَدْ أَصِيبَتْ و لَمْ أُصَبْ	جَذَعَ الْبَصِيرَة قارِحَ الْإِقْدَام	289
242	زَعمَتْ هَوَاك عَفا الغداةَ كَمَا عفَا	مِنْهَا طُلولٌ باللوى و رسوم	459
243	شخصٌ هو العالَمَ الكليّ في شرفٍ	و نفسُه الجوهر القدْسيُّ في عظم	714
244	فساق إليَّ الْقدْح غيرَ مُكدّر	وسُقتُ إليه المدحَ غيرَ مُذمّم	533
245	كانوا على الأعداء نارَ مُحَرّقٍ	ولقومهم حَرَماً من الأحْرام	479
246	لوْ قلتُ ما في قومها	يفضلها في حسب و ميسم	515
247	مُذْ هِمتُ من و جْدي فِي خَالها	وَلم أصِل مِنْهُ إِلَى اللثم	692
248	هم الأخيار منسكة و هديا	وفي الهيجا كأنّهمصقور	679
249	والله يُبقيك لنا سالما	بِبرِداكَ تبْجيل و تعظيم	501
250	وخُفوقُ قلبى لوْ رأيتِ لَهيبَهُ	يا جَنّتى لرَأَيْتِ فيه جهنّما	695

م	الشطر الأول	الشطر الثاني	الصفحة
251	وخفوقُ قلبي لوْ رأيتِ لَهيبه	يا جنتي لرأيتِ فيه جهنما	542
252	وذو الجهلِ ميْتٌ و هْو ماشٍ على الثَّرى	يُظن من الأحياء و هو عَديم	561
253	وقدْ لَوَوْا فيهِ أعِنَّةَ الأقْلامِ	وأجْمحُوا في مَواضِع الإقْدام	411
254	وكَمْ ذُدْتَ عَنِّي مِنْ تَحامُل حادِثٍ	وسَوْرَةِ أَيام حَزَزْنَ إلى العَظْم	347
255	ولقد أراني و الجديدَ إلى بِلىً	في فِتْيَةٍ طُرُفِ الحْديثِ كِرام	541
256	ونورٌ أضاء الأرض شرقا و مغربا	وموضع رَحْلي منه أغبرُ مظلم	599
257	ويَصْعدُ حتى يظنُّ الجْهولُ	بأن له مَسْكنا في السما	644
258	النّشْرِ مسكٌ و الْوُجُوهُ دناني	رٌ و أطْرَافُ الأكُفِّ عَنَمْ	589
259	أوَ ما رأيتَ المِجدَ ألقى رَحْلهُ	في آلِ طلحةَ ثم لميتحوَّل	668
260	صدَفْتُ عنهُ فلم يَصْدِفْ مَواهبَهُ	عنّي و عاوَدَهُظني فلمْيَخِبِ	593
261	فلمَّا خَشِيتُ أَظافِرَهُمْ	نجوتُ و أَرْهنُهُمْمالِكا	497
262	فلو أنَّ ما بِي بالجبالِ لهَدَّها	وبالنار أطْفاها و بالماء لمِيَجْر	679
263	لله لذةُ عَيشٍ بالْحَبيبِ مَضَتْ	فلم تدُمْ لي و غيرُ الله لمِيَدُم	535
264	وبالناس لمْ يَحْيوا و بالدَّهر لمْ يَكن	وبالشمس لمْ تطلُع و بالليل لمِيَسر	679
265	أَقُولُ لَهُ ارحَلْ لَا تُقِيمَنَّ عِنْدَنَا	وإلا فَكُنْ فِي السِّرِ و الجهْر مُسْلِمًا	469
266	سَحابٌ خَطاني جُودُه و هو مُمْرِعٌ	وبحرٌ عداني صَوْبُهُ و هو مُفْعَمُ	599
267	سَعِدَتْ بغُرَّةِ و جْهِكَ الأَيَّامُ	وتَزَيَّنَتْ بِلقَائِكَ الأَعْوَامُ	340
268	فأَصبَحَ بطنُ مكَّةَ مقشعرّاً	كأنَّ الأرضَ ليس بها هشامُ	578
269	فاللهُ يكْلأُ عُذَّالي و يُلْهِمُهُم	عَذْلي فقد فرَّجوا كربي بذكرهمُ	690
270	فَلَيْسَ قَوْلُكَ مَنْ هَذَا؟ بِضَائِرِهِ	الْعُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ و الْعَجَمُ	429
271	قِفْ بِالدِّيَارِ التي لَمْ يَعْفُها الْقِدَمُ	بَلَى و غَيَّرها الأرواحُ و الدِّيَمُ	689
272	كَالنَّشْرِ مِسْكٌ و الْوُجُوهُ أَنْجُمُ	وَالرِّيقُ خَمْرٌ و الْبَنَانُ عَنْدَمُ	589
273	لا و الذي هو عالم أن النوى	صَبِرٌ و أن أبا الحسين كريمُ	459
274	مَا حُلْتُ عَن سنَن الوفاءِ و لَا غَدَتْ	نَفسِي على إلفٍ سواكِ تَحُومُ	459
275	هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ و طْأَتَهُ	وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ و الْحِلُّ و الْحَرَمُ	216
276	وَتَظُنُّ سَلْمى أَنَّنِي أَبْغِي بِهَا	بَدَلًا أُرَاهَا في الضّلالِ تَهِيمُ	474
277	أَحَادِيثُ تَرْوِيهَا السُّيُولُ عَنِ الْحَيَا	عَنِ الْبَحْرِ عَنِ كَفِّ الْأَمِيرِ تَمِيمِ	681

م	الشطر الأول	الشطر الثاني	الصفحة
278	أَصَحُّ و أَعْلَى مَا سَمِعْنَاهُ فِي النَّدَى	مِنَ الْخَبَرِ الْمَرْوِيِّ مُنْذُ قَدِيمِ	681
279	سائِلْ فَوَارِسَ يَرْبُوعٍ بِشِدَّتِنا	أَهلْ رأَوْنا بِسَفْح القُفِّ ذِي الأَكَمِ	408
280	غَيْرِي جَنَى و أَنَا المعَاقَبُ فِيكُمُ	فكَأَنَّنِي سَبَّابَةُ المتَنَدِّمِ	262
281	فَلَمّا عَرَفْتُ الدَّارَ قلتُ لِرَبْعِهَا	أَلا انْعَمْ صباحًا أيها الرَّبع و اسلَمِ	680
282	ورُبَّما جَرُّوا الذِي أَبْقَوْا كَمَا	لَوْ كَانَ قَبْلَ حَذْفِ مَا تَقَدَّمَا	165

حرف النون

م	الشطر الأول	الشطر الثاني	الصفحة
283	أتلومُني في عظمِ نَوْحي و البكا	شأنُ المطوّق أن ينوح على غُصون	693
284	الضَّاربينَ بكلِّ أبيضَ مِخْذَمٍ	والطّاعنينَ مَجامِعَ الأضْغان	659
285	إن الثمانين و بُلّغتَها	قد احوجت سمعي إلى ترجمان	541
286	كم من أبٍ قد علا بابن ذُرى شرفٍ	كما علتْ برسول الله عدنان	580
287	وبدا الصباح كأن غرته	وجه الخليفة حينيُمتدح	584
288	ومُذْهَبِ الْوَجَناتِ مَعْسولِ اللّمَى	يُنسي كَليمُ لِحاظِهِ أوطانَه	584
289	ونحن التاركون لِما سَخِطنا	ونحن الآخذون لما رَضينا	208
290	يا من رآني بالهُموم مُطوّقا	وظللت من فقدي غُصونا في شُجون	693
291	وَالتَّمْثِيلِ، و ذِي الْكِنَايَةِ و ذِي التَّحْقِيقِ أَنْ	يَرْعَى الَّذِي فِي و جْهِ تَشْبِيهٍ رُكِنْ	652
292	زعَمَ الْبَنَفْسَجُ أنهُ كعِذارِهِ	حُسْناً فَسُلُّوا مِنْ قَفاهُ لِسانَهُ	584
293	ما كُلُّ ما يَتمنَّى المرْءُ يُدْرِكُهُ	تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لا تَشْتَهي السُّفُنُ	263
294	حَمَلْتُ رُدَيْنِيًّا كأَنَّ سِنانَهُ	سَنا لَهَبٍ لمْ يَتَّصِلْ بدُخانِ	597
295	وأسمرُ مُثمرٌ من مزهرٍ نَضِرٍ	من مُقمِرٍ مُسْفرٍ عن منظر حسنِ	786
296	وَالنوع الثَّالِثُ التَّشْبِيهُ لِلْإِنْسَانِ	بِالشَّمْسِ فِي الْحُسْنِ	576
297	وَريقُكِ أمْ خَمرٌ يلذ لشاربٍ	ونَبتُ عِذارِتِمَّ أم نبتُ سَوْسَنِ	586
298	وَقَدَّدَتِ الْأَدِيمَ لِرَاهِشِيهِ	وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا و مَيْنَا	503
299	وَمُلتفِتَاتٍ بِاللِّحَاظِ كَأَنَّمَا	سَلَلْنَ سُيُوْفًا و انْتَضَيْنَخَنَاجِرًا	600

حرف الهاء

م	الشطر الأول	الشطر الثاني	الصفحة
300	وَرُبَّمَا يُؤْخَذُ و جْهٌ للتَّشْبِيهْ	مِنَ التَّضَادِ..	577
301	فهرسالقصائدالعامة		
302	قَالَت قِفوا و اسْتَمعُوا مَا جرى	خَالِي قد هام بِهِعَمّي	692

-فهرس الأمثال

فهرس الفرق والطوائف والقبائل

م	الفرقة	الصفحة
		810، 811، 838
74	الشاميون	66، 698، 834
75	الشعراء	17، 25، 26، 59، 60، 122، 186، 191، 192، 202، 216، 227، 279، 280، 300، 331، 416، 417، 424، 427، 439، 471، 610، 614، 615، 678، 744، 751، 764، 772، 794، 797، 824، 825، 838
76	الشهداء	808
77	الصالحون	15، 19، 163
78	الصحابة رضي الله عنهم	34، 144، 279، 383، 684، 699، 726، 752، 757، 770، 772، 834
79	الصوفية	32، 33، 46، 123، 687
80	الظاهرية	195، 252، 321
81	العجم	279
82	العرب	6، 26، 32، 35، 48، 49، 81، 112، 152، 157، 167، 168، 199، 203، 204، 216، 248، 259، 279، 288، 328، 354، 380، 397، 408، 421، 444، 445، 449، 453، 481، 508، 517، 520، 524، 526، 528، 531، 532، 549، 550، 556، 557، 607، 611، 657، 663، 674، 688، 698، 732، 734، 779، 783، 824، 834
83	العقلاء	45، 178، 315، 387، 505
84	العلماء	5، 10، 14، 15، 19، 23، 24، 25، 26، 32، 44، 47، 51، 52، 53، 54، 59، 77، 81، 85، 93، 97، 100، 106، 107، 112، 115، 117، 119، 120، 121، 131، 141، 142، 163، 177، 287، 320، 370، 376، 434، 444، 498، 507، 528، 810، 811، 833، 840
85	علماء البيان	826
86	العنادية	627، 628

م	الفرقة	الصفحة
		558، 826، 837
114	المحمدية	32، 147، 833، 840
115	المذهب الأشعري	512
116	المرسلون عليهم السلام	824
117	المسلمون	23، 24، 37، 60، 94، 434، 472، 664، 666، 686، 728، 813، 829
118	المشبهة	187، 302، 457، 634، 645
119	المشركون	548، 735
120	المعتزلة	173، 175، 239، 267
121	المكلفون	618
122	الملائكة	136، 241، 280، 426، 433، 479، 529
123	الملثمون	17، 24
124	الملوك	39، 173، 292، 582، 752، 827
125	المنافقون	176، 304، 398، 459، 473، 558، 591، 602، 735، 823
126	المنطقيون	320
127	الموحدون	267
128	المؤذنون	20
129	المؤمنون	144، 187، 205، 222، 230، 236، 269، 270، 271، 272، 290، 303، 358، 418، 436، 449، 470، 472، 480، 520، 530، 537، 538، 546، 548، 591، 614، 617، 618، 684، 735، 746
130	النبيون عليهم السلام	828
131	النحاة	81، 87، 119، 122، 154، 244، 297، 302، 321، 358، 371، 397، 408، 409، 420، 458، 466، 498، 504، 523، 524، 541، 634، 679، 730
132	النحويون	244، 281، 338، 499
133	النصارى	318، 686، 700
134	النظّار	18، 620، 836

-فهرس الأماكن والبلدان

م	المكان	الصفحة
81	اليمن	49، 679، 695، 732، 733، 766، 789

-فهرس الكتب التي في المتن

-فهرس المصطلحات البلاغية

-فهرس المصطلحات العقدية

-فهرس المصطلحات الأصولية

-فهرس المصطلحات الحديثية

-فهرس الكلمات الغريبة

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

الكتب:

1. أبجد العلوم، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت1307هـ)، دار ابن حزم الطبعة، الطبعة الأولى 1423 هـ- 2002 م
2. إتمام الدراية لقراء النقاية، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، تحقيق، الشيخ إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة، الأولى، 1405ه-1985م
3. أدب الكاتب. لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، نشر مكتبة السعادة، مصر، الطبعة الرابعة، 1963م.
4. إرشاد الساري. لشرح صحيح البخاري. أحمد بن محمد القسطلاني. دار إحياء التراث العربي. بيروت. الطبعة 7. 1304هـ.
5. أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق محم باسل عيون السود، ط1 1419 -1998: دار الكتب العلمية .
6. أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق، د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، ط السابعة، 1419 هـ.
7. أسد الغابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت630هـ)، دار الفكر – بيروت عام النشر، 1409ه- 1989م
8. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق، محمد عبد المنعم الخفاجي، مكتبة القاهرة، ط الثالثة، 1399 هـ.
9. أسرار البلاغة، تأليف عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تعليق، محمود محمد شاكر، ط 1. مطبعة المدني، مصر، سنة 1412 هـ، 1991 م.
10. أسرار التكرار في القرآن (البرهان في متشابه القرآن)، لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت 505ه)، دراسة وتحقيق، عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، 1397ه، 1977م.
11. أصول الدين، لأبي منصور، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، تسنة 429هـ، طبع دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثالثة سنة 1401هـ- 1981م.

12. إعجاز القرآن، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق، السيد أحمد صقر،ط 5،دار المعارف، مصر، 1997م.

13. أعمال ندوة " محمد يحيى الولاتي عالم التجديد والتواصل" منشورات مركز البحوث والدراسات الولاتية 2012

14. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ط 1974 : الهيئة المصرية العامة للكتاب،

15. الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي حكم عليها ابن كثير في تفسيره، لأبي ع الرحمن محمود بن محمد ط1 1431 ـ2010 : مكتبة العلوم والحكم .

16. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، للأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط ط1 1408 ـ1988 : مؤسسة الرسالة بيروت .

17. الأسلوب الحكيم، للدكتور محمد بن علي الصامل، دار إشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى، 1422 ç.

18. الأشباه والنظائر في فروع الشافعية. ل-عبد الوهاب بن علي ابن السبكي. ت، عادل عبد الموجود. دار الكتب العلمية. بيروت، 1-1411هـ

19. الأشباه والنظائر، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت771هـ)، دار الكتب العلمية الطبعة، الأولى 1411هـ- 1991م

20. الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع، حسن بن عمر بن عبد الله السيناوني المالكي (تبعد 1347هـ)، مطبعة النهضة، تونس الطبعة، الأولى، 1928م

21. الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، لإبراهيم بن محمد بن عربشاه، ت د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422 ç.

22. الإعجاز والإيجاز، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت429هـ)، مكتبة القرآن - القاهرة

23. الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) لخير الدين الزركلي طبع دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة (1980م).

24. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين" لخير الدين الزّركلي، ط دار العلم للملايين، بيروت، ط 15 2002 .

25. الأمثال في الحديث النبوي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق، د.عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية، بومباي، الهند، الطبعة الثانية، 1408ه،1987م.

26. الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، الطبعة الرابعة 1998م، دار إحياء العلوم، بيروت.

27. البداية والنهاية في التاريخ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة الفجالة الجديدة بالقاهرة.

28. البداية والنهاية لابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، تحقيق، علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف، بيروت، 1412ه، 1992م.

29. البردة شرحا وإعرابا وبلاغة لطلاب المعاهد والجامعات، محمد يحيى حلو مراجعة، محمد علي حميد الله، دار البيروتي – دمشق الطبعة، الثالثة – 1426 هـ

30. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1408 هـ.

31. البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1425ه، المكتبة العصرية، بيروت.

32. البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق، فوزي عطوي، الطبعة الأولى 1968م، دار صعب، بيروت.

33. التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، لأبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، المعروف بابن الزيات، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 2، 1997،

34. التفسير القيم، لشمس الدين ابن قيم الجوزية، جمع محمد أويس الندوي، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية بمصر.

35. التكرار، للدكتور، حسين نصار، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1423ه، 2003م.

36. الجامع الصحيح للإمام مسلم، تحقيق محمد فؤاد ع الباقي، ط 1955 : دار إحياء التراث، بيروت .

37. الجامع الكبير – سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت279هـ)، تحقيق، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت سنة النشر، 1998 م

38. الجلالين تصنيف، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، عناية، أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، 1419هـ.

39. الجمهورية الإسلامية الموريتانية، دراسة مسحية شاملة، تأليف المنظمة العربية للثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية .

40. الحلل في شرح أبيات الجمل للبطوسي، دون تاريخ ودون طبعة.
41. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق، محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط الأولى، 1376 هـ.
42. الخلاف بين العلماء، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت1421هـ)، دار الوطن للنشر الطبعة، 1423هـ
43. الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر بيروت، 1414 هـ.
44. الدرر الكامنة في أعيان المائة 8. ل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. ت، محمد سيد جاد الحق. دار الكتب الحديثة. مصر. 2، 1385هـ.
45. الدعاء، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، 1413 هـ.
46. الديباج المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت.
47. الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت502هـ)، تحقيق، د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي دار النشر، دار السلام – القاهرة، 2007 م
48. الرحلة الحجازية، للولاتي، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط 2، 2009، .
49. الرسالة–للشافعي–تحقيق، أحمد شاكر–دار الكتب العلمية–بيروت،–ط1، 1413هـ.
50. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، لابن قيم الجوزية، نشر، دار الكتب العلمية – بيروت، 1395ه–1975م.
51. الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية، أبو القاسم عبد الرحمن السهلي، ت، طه عبد الرؤوف، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ط، الأولى.
52. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، شرحها عبد الرحمن عبد الله السهلي، تحقيق، طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر، بيروت، 1409هـ.
53. الروض الأُنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، للإمام أبي القاسم عبد الرحمن السهيلي، تحقيق، عمر عبد السلام السلامي، الطبعة الأولى، 1421ه، 2000م، دار إحياء التراث العربي.
54. السلفية وأعلامها في موريتانيا، للطيب ولد الحسين، الطبعة الأولى 1995، : دار ابن حزم بيروت .
55. السن الكبرى للنسائي، ط الأولى 1421 ـ2001 مؤسسة الرسالة بيروت .

56. السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، الطبعة: الثالثة 2003 1424 : دار الكتب العلمية بيروت .

57. السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (ت1044هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة، الثانية - 1427هـ

58. السيرة النبوية لابن كثير.، تحقيق، مصطفى عبد الواحد، مطبعة عيسى البابي القاهرة، 1384هـ.

59. السيرة النبوية-عبد الملك بن هشام المعافري-تقديم، طه عبد الرؤوف سعد-دار الجيل-1975م.

60. الشروح الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، العصر الأول: دراسة في الأنماط والاتجاهات، د. عبد الله المرابط الترغي، دار الأمان 2009م.

61. الشعر والشعراء (طبقات الشعراء)، ابن قتيبة ١، دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى 1417ه، 1996م 2، دار المعارف، القاهرة، مصر، تحقيق، أحمد محمد شاكر

62. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، لإسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط2، 1399ه، 1979م.

63. الضوء اللامع للسخاوي، : دار مكتبة الحياة ببيروت .

64. العلامة الولاتي سيرته ومآثره، للأستاذ حسني بن الفقيه حفيد الولاتي، نسخة إلكترونية، كتبت عام 1986.02.01 .

65. الغيث الهامع شرح جمع الجوامع. لولي الدين أبي زرعة أحمد العراقي (ت 826هـ)، تحقيق، مكتب قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، الفارق الحديثة للطباعة والنشر، ط1، 2000م

66. الفائق في غريب الحديث. للعلامة جار الله محمود عمر الزمخشري، وضع حواشيه، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ.

67. الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة الأولى 1406 ـ1986 : دار الكتب العلمية بيروت .

68. الفقيه محمد يحي الولاتي عالم التجديد والتواصل، أعمال الندوة العلمية المنظمة في نواكشوط أيام 7و8و9 صفر الخير من العام 1434 ه الموافق 20 و21 و22 ديسمبر 2012 : مركز البحوث والدراسات الولاتية 2015 .

69. الفوائد لابن القيم، الطبعة الثانية 1393هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

70. ألفية ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت672هـ)، دار التعاون

71. القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

72. القراءات الشاذة. لابن خالويه. دار الكندي للنشر، الأردن.

73. القرآن العظيم، هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين. محمد صادق عرجون.

74. الكامل في التاريخ، ابن الأثير الجزري، صحح أصوله وكساه ملاحظات مفيدة، عبد الوهاب النجار، إدارة الطباعة المنيرية، مصر.

75. الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المُبَرِّد، تسنة 285ه، عارضه وعلّق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1422ه = 2002م.

76. الكامل في اللغة والأدب، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3 1417 –1997 : دار الفكر العربي .

77. الكتاب لسيبويه (ت180ه)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.

78. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تأليف/ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى/ 538هـ) / دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة/ الثالثة – 1407 هـ

79. الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، لنجم الدين محمد بن محمد الغزي، تحقيق: خليل المنصور، ط1 1997، : دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان .

80. اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، تأليف الإمام جلال عبد الرحمن السيوطي، خرج أحاديث وعلق عليه، أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1417هـ.

81. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، ت أحمد الحوفي / بدوي طبانة، ط دار نهضة مصر .

82. المحتسب في شواذ القراءات. لأبي الفتح بن جني، تحقيق علي النجدي ناصف ود. عبد الفتاح شلبي، نشر وزارة الأوقاف بالقاهرة 1414هـ.

83. المحرر الوجيز. لابن عطية.، ط1.، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1413هـ.

84. المختصر في أخبار البشر، تأليف/ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفى/ 732هـ) / المطبعة الحسينية المصرية الطبعة/ الأولى

85. المسائل الفقهية، تأليف/ أبو علي عمر بن قداح الهواري (المتوفى/ 734هـ)تحقيق/ محمد بن الهادي أبو الأجفان / مركز المصطفى للدراسات الإسلامية (منشورات **ELGA**) - مالطا الطبعة/ بلا، 1996م

86. المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت، 792 ه-)، تحقيق د، عبد الحميد هنداوي، نشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (1)، 1422 هـ 2001 م.

87. المعجم الأوسط للطبراني، ت أبو معاذ طارق بن عوض الله / أبو الفضل ع المحسن الحسيني، ط 1415 -1995 : دار الحرمين القاهرة .

88. المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق، طارق عوض والحسيني، الطبعة الأولى 1415هـ، دار الحرمين، القاهرة.

89. المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، 1415ه، دار الحرمين، القاهرة.

90. المعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق، حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط2، 1404هـ.

91. المعجم المفصل في شواهد العربية، لإميل بديع يعقوب، نشر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1، 1417 هـ، 1996 م.

92. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ضبطه وراجعه، محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط الثانية، 1420 هـ.

93. المنتظم في تاريخ الأمم، أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي، دار صادر، بيروت، ط، الأولى1358هـ.

94. المؤتلف والمختلف، الدارقطني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1406ه، 1986م، تحقيق، موفق عبد القادر

95. الناسخ والمنسوخ، لعلي بن احمد بن سعيد ابن حزم الظاهري، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، ط1، 1406 ه-، دار الكتب العلمية بيروت.

96. النجوم الزاهرة. لابن تغري بردي الأتابكي، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية للنشر والترجمة.

97. الوافي بالوفيات، صلاح الدين بن ايبك الصفدي، تحقيق، أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت،1420هـ.

98. الوافي بالوفيات،. صلاح الدين الصفدي، تحقيق، إحسان عباس، دار فرانز شتايز بفيسبادن 1389هـ.

99. الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، أحمد بن الأمين الشنقيطي، الطبعة الثالثة، 1380هـ-1961م،، مكتبة الخانجي – مصر، ومكتبة الوحدة العربية بالدار البيضاء.

100. الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، والكلام على تلك البلاد تحديدا، وتخطيطا، وعاداتهم، وأخلاقهم، وما يتعلق بذلك . لأحمد بن الأمين الشَّنْقِيطي) المتوفى: 1331ç عني بتصحيحه وتنقيحه: المؤلف نفسه . : الشركة الدولية للطباعة – مصر، الطبعة: الخامسة، 1422 2002 – ç م

101. الوصول إلى علم الأصول، لأحمد بن علي البغدادي، تحقيق، د، عبد الحميد علي أبو زنيد، ط، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 1403هـ.

102. إنباه الرواة، تأليف، الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1. المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، سنة 1424 هـ، 2004م.

103. بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، تحقيق: محمود مطرحي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى 1418هـ.

104. بداية المجتهد ونهاية المقتصد لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي (ت595ه)، دار الفكر، بيروت.

105. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد، تحقيق عبد الحليم بن محمد بن عبد الحليم، وعبد الرحمن محمود (ت 595ه)، طبع دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ببيروت، الطبعة الثانية (1412ه-1992).

106. بدائع الفوائد لابن القيم (ت751ه)، تحقيق هشام عبد العزيز عطا وعادل عبد الحميد العدوي وأشرف أحمد، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1416ه، 1996م.

107. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار الفكر، بيروت.

108. بلاد شنقيط المنارة والرباط، الخليل النحوي، من مطبوعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987م.

109. تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام هارون، مؤسسة الحلبي، القاهرة، 1965،

110. بلاد شنقيط المنارة والرباط، عرض للحياة العلمية، والإشعاع الثقافي، والجهاد الديني، من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر) للخليل النحوي، ط المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987.

111. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

112. تاج العروس من جواهر القاموس لأبى الفيض السيد محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الشهير بمرتضى الحسيني الزبيدى، المطبعة الأميرية، مصر، بدون تاريخ.

113. تاريخ إفريقيا والمغرب، للرقيق القيرواني، تحقيق الدكتور المنجي الكعبي، طبعة تونس 1967م، .

114. تاريخ الأدب العرب، لكارل بروكلمان، تسنة 1956م، الطبعة العربية، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1993م وذيله في طبعته الألمانية.

115. تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، شوقي ضيف، ط الأولى، 1995 : دار المعارف مصر .

116. تاريخ الأمم والملوك، لمحمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

117. تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، 1371 هـ 1952 م.

118. تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، تحقيق، حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز الطبعة، الطبعة الأولى، 1425هـ-2004م

119. تاريخ المدينة لابن شبة، عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (ت262هـ) حققه، فهيم محمد شلتوت طبع على نفقة، السيد حبيب محمود أحمد - جدة عام النشر، 1399 هـ

120. تاريخ النحو العربي في المغرب والمشرق، للدكتور محمد المختار ولد اباه، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية 1429-2008، بيروت، لبنان، .

121. تاريخ بغداد أو مدينة السلام. لأحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت 463هـ)، تحقيق، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ، 1997م.

122. تاريخ بغداد، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

123. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت571هـ)، تحقيق، عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عام النشر، 1415 هـ- 1995 م

124. تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، د حماه الله ولد السالم، منشورات الزمن، ط الثانية .

125. تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام محمد هارون (ت1408هـ)، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع الطبعة، الثانية 1385ه-= 1965م

126. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ؛ لجلال الدين السيوطي، تسنة 911ه، حقَّقَه أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، الطبعة الثالثة، 1417هـ.

127. تذكرة الحفاظ لأبي عبد الله شمس الدين الذهبي تسنة (748 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

128. تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي، تصحيح الشيخ، عبد الرحمن المعلّمي ط دار الفكر العربي.

129. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض (ت544)، تحقيق ابن تاويت الطنجي، ط1، : مطبعة فضالة، المحمدية المغرب .

130. تشنيف المسامع بجمع الجوامع، للإمام بدر الدين الزركشي، تحقيق، الحسيني بن عمر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420 هـ.

131. تفسير ابن العربي (أحكام القرآن) لأبي بكر، محمد بن عبد الله، المعروف بابن العربي، تسنة 543ه، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، طبع دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة 1408ه، 1988م.

132. تفسير البيضاوي (المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ؛ لعبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي، توفي سنة 685ه، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1408ه = 1988هـ.

133. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ)، دار الحديث - القاهرة الطبعة، الأولى

134. تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل). لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق، عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1417هـ.

135. تفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني، تحقيق، ياسر إبراهيم، وغنيم عباس، ط الأولى 1418هـ، دار الوطن للنشر – الرياض.

136. تفسير القرآن، لأبي المظفر منصور بن محمد المروزي السمعاني (ت 489ه)، دار الوطن، الرياض، الأولى، 1418ه، 1997م، تحقيق،غنيم بن عباس بن غنيم.

137. تفسير القرآن، لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق د. مصطفى مسلم طبع مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى (1410ه-1989م).

138. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق، محمد عبد المنعم خفاجي، أ. محمود فرج العقدة، أ. علي محمد البجادي، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

139. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى 1965م، نشر، دار المعارف – القاهرة.

140. جامع الترمذي (سنن الترمذي)، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تسنة 279ه، دار السلام للنَّشر والتوزيع،الرياض، الطبعة الأولى 1420هـ.

141. جامع العلوم و الحكم، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ت،750ه، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى1408هـ.

142. جمع الجوامع، تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي مع شرح المحليو حاشية الآيات البينات، ضبطه وخرج أحاديثه زكريا عميرات مكتبة التراث للنشر والتوزيع المدينة المنورة ط2، 1413هـ

143. جمع الجوامع في أصول الفقه، لعبد الوهاب بن علي السبكي، ط1، 1421ه، دار الكتب العلمية، بيروت.

144. جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطايش، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط الأولى 1424 هـ.

145. جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (تنحو 395هـ)، دار الفكر – بيروت

146. حاشية العطار على شرح الجلال المحلى على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية .
147. حروف المعاني لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي
148. حياة موريتانيا الجغرافية للمختار بن حامد ت 1414ه، ط جامعة محمد الخامس، منشورات معهد الدراسات الإفريقية في الرباط، معاجم وموسوعات .
149. خزانة الأدب، لعبد القادر البغدادي، تحقيق،محمد طرفي وآخر،دار الكتب العلمية، بيروت، ط،1998،1م.
150. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت1093ه)، تحقيق محمد نبيل طريفي واميل بديع اليعقوب.
151. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب-عبد القادر البغدادي-دار صادر-بيروت، لبنان.
152. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر لمحمد الأمين بن فضل الله المحبي (ت1111ه)، دار صادر، بيروت.
153. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (ت1111هـ)، دار صادر - بيروت
154. دلائل الإعجاز، لعبد القادر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الحافجي بالقاهرة الطبعة الثانية (1410ه-1989م).
155. ديوان ابن الرومي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ.
156. ديوان أبي تمام، شرح وتقديم محيي الدين صبحي، الطبعة الأولى 1997، : دار صادر بيروت .
157. ديوان أبي نواس الحسن بن هاني، تحقيق، أحمد عبد المجيد الغزالي، نشر دار الكتاب العربي بيروت.
158. ديوان البحتري، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ.
159. ديوان الحماسة بشرح التبريزي، : دار القلم بيروت .
160. ديوان الحماسة، شرح التبريزي، دار القلم، بيروت، لبنان.
161. ديوان الفرزدق، قدم له وشرحه، مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1414هـ.
162. ديوان المتنبى شرح العكبري، تحقيق مصطفى السقا، : دار المعرفة بيروت .

163. ديوان النابغة الجعدي، تحقيق، د. واضح الصمد، طبع دار صادر بيروت، الطبعة الأولى سنة 1418ه، 1998م.

164. ديوان امرئ القيس 1، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1964م، تحقيق، أبو الفضل إبراهيم 2، دار الجيل، بيروت، لبنان، تحقيق، حنا الفاخوري.

165. ديوان جرير بن عطية، تحقيق، نعمان أمين طه، دار المعارف – مصر – 3-1962م

166. ديوان ذي الرمة (غيلان بن عقبة العدوي)، شرح أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي، تحقيق، د. عبد

167. ديوان زهير، اعتنى به حمدو طماس، ط الأولى 1423ه، دار المعرفة – بيروت.

168. ديوان سلامة بن جندل، صنعه محمد بن الحسن الأحول، الطبعة الأولى 1414 –1994 : دار الكتاب العربي .

169. ديوان طرفة بن العبد البكري مع شرح الأعلم الشنتمري، اعتنى بتصحيحه مكس سلغسون، طبع في مدينة شالون 1900م.

170. ديوان لبيد بن ربيعة العامري، لَبِيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري الشاعر معدود من الصحابة (ت41هـ) اعتنى به، حمدو طمّاس، دار المعرفة الطبعة، الأولى، 1425 ه– 2004 م

171. رحلة ابن بطوطه، المسماة " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" ط دار الشرق العربي .

172. روح المعاني، تأليف، أبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، تعليق علي عطية ط1. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة 1422 هـ، 2001 م.

173. سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت466هـ)، دار الكتب العلمية الطبعة، الطبعة الأولى 1402هـ_1982م

174. سلسلة الأحاديث الضعيفة. للألباني. المكتب الإسلامي. بيروت، 5– 1405 هـ.

175. سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت.

176. سنن ابن ماجه، للإمام محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي، 1395هـ.

177. سنن ابن ماجه–محمد بن يزيد القزويني–تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي–دار الحديث–القاهرة–1414هـ.

178. سنن أبو داود، لأبي داود سلمان بن الأشعث (ت279هـ)، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، د. ط، د. ت.

179. سنن أبي داود، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط الأولى 1430 ـ2009 : دار الرسالة العالمية ت

180. سنن الإمام النسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الطبة الثانية 1406ه– 1986م، نشر مكتبة المطبوعات الإسلامية– حلب.

181. سنن البيهقي السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين البيهقي، تسنة 458ه، طبع دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة 1411ه، 1991م.

182. سنن الترمذي المسمى الجامع الصحيح لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، .

183. سنن الترمذي؛، تحقيق وشرح أحمد شاكر ومن معه، دار إحياء التراث العربي.

184. سنن النسائي (السنن الكبرى)، تأليف، أحمد بن شعيب أبو عبد الله النسائي، تحقيق، د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروى حسن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411ه، 1991م.

185. سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد الذهبي (ت 748ه)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الحادية عشرة، 1417ه، 1996م.

186. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. لمحمد محمد مخلوف، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1349هـ.

187. شرح الأربعين النووية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت1421هـ)، دار الثريا للنشر

188. شرح العضد على مختصر ابن الحاجب.، عضد الملة والدين، دار الكتب العلمية، بيروت، مصورة عن ط1، سنة 1316هـ.

189. شرح اللمع، لأبي إسحاق إبراهيم الشيرازي، تحقيق، عبد المجيد تركي، ط، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1408هـ.

190. شرح المعلقات السبع، حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، أبو عبد الله (ت486هـ)، دار إحياء التراث العربي الطبعة، الأولى 1423ه– 2002 م

191. شرح تسهيل الفوائد لابن مالك النحوي، (الشرح والتسهيل كلاهما لابن مالك)، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، ط1 1410 –1990 هجر للطباعة والنشر والتوزيع .

192. شرح ديوان المتنبي، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (ت616هـ)، تحقيق، مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة – بيروت

193. شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان .

194. شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن حسين البيهقي، تحقيق، محمد بسيوني زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ.

195. شواذ القراءات لأبي عبد الله محمد بن نصر الكرماني، تحقيق د.شمران العجلي، الطبعة الأولى 1422هـ نشر، مؤسسة البلاغ – بيروت

196. شواذ القراءات، رضي الدين شمس القراء أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الكرماني، تحقيق، د.شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1422ه، 2001م.

197. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى 1408 هـ–1988م : مؤسسة الرسالة بيروت .

198. صحيح البخاري لأبي عبد الله البخاري، ط دار إحياء التراث العربي.

199. صحيح مسلم، لمسلم بن حجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.

200. ضياء التأويل في معاني التنزيل لأبي محمد عبد الله بن محمد الملقب بفودي الهوصي المالكي، ت1245 هـ، ط1 مكتبة الاستقامة –القاهرة سنة 1380 .–ه

201. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي تحقيق: محمود محمد الطّناحي وع الفتاح محمد الحلو، ط2 دار هجر للطباعة والنشر .

202. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، تحقيق، د، عبد الفتاح الحلو و د، محمود الطناحي، الطبعة الثانية 1413هـ، دار هجر للطباعة، القاهرة.

203. طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلاّم الجُمَحي،تسنة 231ه، قَرَأَهُ وَشَرَحَهُ، محمود محمد شاكر،مطبعة المدني القاهرة.

204. عالم الصحراء محمد يحي الولاتي (1259 – 1330هـ) / (1843 – 1912م) . بمناسبة مرور قرن على وفاته، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء – الرباط، سلسلة ندوات ومحاضرات(2)، الطبعة الأولى: 1432ه–/ 2011م .

205. عالم الكتب، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر

206. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للسبكي، ت ع الحميد هنداوي، ط1 1423 –2003 : المكتبة العصرية للطباعة والنشر .

207. عقود الجمان في المعاني والبيان، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الثانية، 1474هـ–1955م، مطبعة البابي الحلبي – بمصر.

208. عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي،، ت ع الحميد ضحا، ط1 دار الإمام مسلم للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة

209. علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب خضيري أحمد،، مكتبة مدبولي مصر ط الأولى، 1996(

210. علم البيان، د. عبد العزيز عتيق، 1985م، دار النهضة بيروت.

211. علم اللغة، علي عبد الواحد وافي – رحمه الله –، نهضة مصر للطباعة والنشر الطبعة، الأولى

212. علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق، 1985م، دار النهضة بيروت

213. علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر الحلبي، مطبعة الصباح – دمشق – 1993 م

214. عواد معروف، وشعيب الأرناؤوط، وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت،

215. غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق، د. حسين محمد محمد شرف، القاهرة، مصر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1404هـ.

216. غريب القرآن، لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني تسنة 330 هـ، تحقيق، محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، 1416 هـ= 1995 م.

217. فتح الباري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب،دار المعرفة، بيروت.

218. فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تأليف أبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، تحقيق محمد حجي، ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1428ـ2007 .

219. فتح الودود على مراقي السعود، للعلامة محمد يحي الولاتي، صححه محمد عبد الله الولاتي، ط1412ه، مطابع عالم الكتب، الرياض.

220. فضائل الصحابة، لأحمد بن حنبل، تحقيق، د، وصي الله محمد عباس، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1403 هـ.

221. فقه اللغة، لعلي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة.

222. فهم القرآن، للحارث بن أسد المحاسبي (ت243هـ)، تحقيق، حسين القوتلي، دار الكندي ودار الفكر، بيروت، ط2، 1398هـ.

223. فيض الفتاح على نور الأقاح لسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي، إشراف محمد الامين بن محمد بيب، ط2 1420 ـ1999

224. كتاب سيبويه، لأبي بشر بن عثمان بن قنبر، تحقيق، عبد السلام هارون، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1425هـ.

225. كشف الأسرار، عبد العزيز البخاري، تح عبد الله محمود ، ط1418ه، دار الكتب العلمية بيروت.

226. كشف الظنون، لحاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ.

227. كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج. ل أحمد بابا التنبكتي، ضبط النص وعلّق عليه، أبو يحيى عبد الله الكندري، دار ابن حزم، ط.1، سنة 1422هـ.

228. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت،،1374ه ط، الأولى.

229. لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، تحقيق، (دائرة المعارف النظامية، الهند)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط الثالثة، 1406هـ.

230. متشابه القرآن، لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي. أحد القراء السبعة. ت، 189ه، تحقيق، د. صبيح التميمي، كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، طرابلس، ط1، 1402ه، 1994م.

231. مجمع الأمثال للميداني، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.

232. محاضرات الأدباء، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، تحقيق، عمر الطباع، دار القلم، بيروت، 1420ه، 1999م.

233. مختصر خليل. لخليل بن إسحاق بن موسى المالكي، تحقيق، أحمد علي حركات، دار الفكر، بيروت، دط، 1415هـ.
234. مذكرة أصول الفقه، العلامة الشيخ، محمد الأمين الشنقيطي، المكتبة السلفية – المدينة المنورة.
235. مرآة الجنان، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن أسعد اليافعي، ط 1413ه، دار الكتاب، القاهرة.
236. مسند الإمام أحمد. لأحمد بن حنبل الشيباني، نشر مؤسسة قرطبة، مصر، بدون تاريخ.
237. مسند الشاميين للطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي . ط1 1405 ـ1984 مؤسسة الرسالة بيروت .
238. مسند الشهاب، للقضاعي، تحقيق حمدي بن ع المجيد السلفي ط2 1407 –1986 : مؤسسة الرسالة بيروت .
239. مسند عبد الله بن عمر، تأليف/ أبو أمية محمد بن إبراهيم بن مسلم الخزاعي البغدادي ثم الطرسوسي (المتوفى/ 273هـ)، تحقيق/ أحمد راتب عرموش / دار النفائس – بيروت الطبعة/ الأولى، 1393
240. مصطلح الحديث، تأليف/ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى/ 1421هـ) / مكتبة العلم، القاهرة الطبعة/ الأولى، 1415 ه– 1994 م
241. معاني القرآن للفراء، ت أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / ع الفتاح الشلبي، ط1 دار المصرية للتأليف والترجمة .
242. معاني القرآن للفراء، تحقيق أحمد نجاتي،ومحمد النجار، ط دار السرور .
243. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تأليف/ عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي (المتوفى/ 963هـ)تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد / عالم الكتب – بيروت في مجلد واحد
244. معاوية بن أبي سفيان – شخصيته وعصره، تأليف/ عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي / دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، مصر الطبعة/ الأولى، 1429 ه– 2008 م
245. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، : مكتبة المثنى بيروت، دار إحياء التراث العربي .
246. معرفة الصحابة، تأليف/ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى/ 430هـ)، تحقيق/ عادل بن يوسف العزازي / دار الوطن للنشر، الرياض الطبعة/ الأولى 1419 ه– 1998 م

247. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق، د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله و سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط الثانية.
248. مغني اللبيب، جمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق، د.مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة، 1985م.
249. مفتاح العلوم، للسكاكي، تعليق، نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ.
250. مفردات القرآن، الإمام عبد الحميد الفراهي، تحقيق، د.محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى.
251. مقامات الحريري لأبي محمد القاسم بن محمد الحيري، مطبعة المعارف بيروت .
252. مقامات الحريري، تأليف/ أبو محمد القاسم بن علي الحريري (المتوفى/ 516هـ) / مطبعة المعارف، بيروت عام النشر/ 1873 م
253. مكارم الأخلاق، تأليف/ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت 281هـ)، تحقيق مجدي السيد إبراهيم / مكتبة القرآن - القاهرة
254. من غاب عنه المطرب، تأليف/ عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى/ 429 هـ) / المطبعة الأدبية، بيروت عام النشر/ 1309هـ
255. منح الرب الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور للمحجوبي، دراسة وتحقيق وتقديم د الهادي المبروك الدالي ط1 سلسلة من التاريخ الثقافي المشترك لإفريقيا فيما وراء الصحراء وشمالها .
256. موريتانيا الحديثة لمحمد يوسف مقلد، : دار الكتاب اللبناني، بيروت 1960 .
257. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986 م.
258. موطأ الإمام مالك، تأليف/ مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى/ 179هـ)، تحقيق/ بشار عواد معروف - محمود خليل / مؤسسة الرسالة سنة النشر/ 1412 هـ
259. موطأ مالك، لمالك بن أنس الأصبحي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث، مصر.
260. ميزان الاعتدال، تأليف، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق، علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.

261. نزهة الألباء، تأليف / كمال الدين أبي البركات محمد بن عبد الرحمن الأنباري ت. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. دار نهضة مصر، القاهرة، سنة 1386 هـ، 1967 م.

262. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، - المقري الحفيد أحمد التلمساني، : دار الفكر - بيروت، 1986 . تحقيق: د . إحسان عباس،

263. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. أحمد بن محمد المقري التلمساني؛، تحقيق د.إحسان عباس.، بيروت/ دار صادر، 1968م.

264. نهاية الأرب في فنون الأدب، تأليف/ أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى/ 733هـ) / دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة الطبعة/ الأولى، 1423 هـ

265. نيل الابتهاج بتطريز الديباج. لأحمد بابا التنبكتي بهامش الديباج المذهب.، بيروت، لبنان/ دار الكتب العلمية.

266. ورقات مخطوطة في التعريف بالولاتي، للمرواني بن محمد المختار بن احمادو (تلميذ الولاتي)

267. وصف إفريقيا، للوزّان (محمد بن الحسن الوزان الفاسي) المعروف بليون الإفريقي ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية 1983 . الجزء الأول.

المجلات العلمية:

268. مجلة المنار، منشئها محمد رشيد رضا، مصر، إدارة مجلة المنار. عدد (6)، مجلد (6)، 1321هـ.

269. مجلة معهد المخطوطات العربية، الكويتية.

270. رسالة الشنقيطي في الكفارات، مخطوط يوجد بالمكتبة الوطنية بتونس في قسم المخطوطات تحت الرقم 21788، نشره وعلق عليه محمد الأمين بن سيد المختار، ضمن دراسة له بعنوان " جوانب مخفية من حياة وآثار الفقيه محمد يحيى الولاتي" مجلة الموكب الثقافي، نواكشوط، العددان 32و33، 2003

271. .الفقيه والمجتمع في الحواضر الصحراوية لعبد الودود ولد عبد الله جامعة نواكشوط، مجلة رفوف مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا، جامعة أدرار - الجزائر العدد الثامن - ديسمبر 2015.

272. إشكالية التحقيق على النسخة الفريدة مقال للدكتور: محمد كنون الحسني مجلة كلية الآداب، جامعة عبد المالك السعدي تطوان، العدد 16، السنة 2011.

فهرس المحتويات

تم بحمد الله